

مَنْ تَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

فِي تَوَارِيخِ النَّبِيِّ وَالْأَوَّلِ

تَأَلَّفَ
أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

الجزء الأول





مَنْتَهَى الْإِيمَانِ
فِي تَوَارِيخِ النَّبِيِّ وَالْأَوَّلِ
١

مُنْتَهَى الْأَمْثَالِ

فِي تَوَارِيخِ النَّبِيِّ وَالْأَوَّلِ^ع

تَأَلَّفَ
الْشَيْخُ عِبَّاسُ الْقُصَيْبِيُّ

الجزء الأول



دار المستشفى الخيرية

جميع حقوق الطبع والإقتباس محفوظة
ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة ترجمة
أو طباعة الكتاب أو جزء منه إلا بإذن خطي من الناشر

الطبعة الثالثة
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار المصطفى العالمية

لبنان بيروت حارة حريك
شارع دكاش مقابل ثانوية الشهيد محمود قعيق
هاتف: 70.113666





مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلوات وأتم التسليمات على سيد الخلق حبيب الخالق ورسوله محمد بن عبد الله وآله الطيبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وبعد.

هذا هو كتاب (منتهى الآمال في معرفة النبي وآله) لمؤلفه المعروف العلم العلامة المرحوم الشيخ عباس القمي(ره)، وهو في مجلدين مفصلة ومبوبة بطريقة علمية ممنهجة، بحيث جاءت شاملة لسيرة سيد المرسلين والأئمة المعصومين المطهرين من آل بيته (عليهم صلوات الله وسلامه) كما تضمنت المجلدات بالترتيب بعضاً من كرامات النبي والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم.

ودار المصطفى العالمية قد أخذت على عاتقها نبش الكنوز الإسلامية الثقافية الدفينة، لتقدمها للمسلمين في كل مكان، ارتأت أن تقوم بطبع هذا الكتاب، نظراً للقيمة الجليلة التي يمثلها، في وقت ترى فيه أن الأمة بأمر الحاجة إلى مراجعة تاريخها، والإقتداء بنبيها وأوصيائه عليهم صلوات الله وسلامه، بعد الضياع والتخبط الذين باتت هذه الأمة تعيشهما، خصوصاً وأن الناس قد انحرفوا، إلا من رحم ربي، عن الصراط المستقيم الذي رسمه لهم الخالق سبحانه، بأيدي هؤلاء الأئمة الأطهار.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، إنه هو السميع العليم، وهو نعم المولى ونعم المعين.

دار المصطفى العالمية

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .
يقول الفقير إلى الزاد ، المتمسك بأذيال أهل بيت الرسالة ، عباس بن محمد رضا
القمي ، ختم الله لهما بالحسن والسعادة :
حيث غدا ثابتاً بمقتضى الأخبار الكثيرة أنّ أعظم الطاعات وأشرف القربات إنما هو إحياء
أحاديث أئمة الدين والمقربين إلى ذي الجلال رب العالمين ، والبكاء على من أولئك السادة
المظلومين .

كما يروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه سأل الفضيل بن يسار :
« هل تجلسون - أنتم الشيعة - إلى بعضكم في المجالس ، وتذكرون أحاديثنا ؟ » .
قال : « أجل ، جعلت فداك » .

قال (عليه السلام) : « ألا إني أحب تلك المجالس ، فأحيوا - أي فضيل - أمرنا ،
ورحم الله أمرءاً ذكر أحاديثنا وأحيا أمرنا .

« أي فضيل ، مَنْ ذكرنا ، أو ذكرنا عنده ، فنزل من عينه دمع بقدر جناح ذبابة ، غفر الله
له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر » .

ويروى - بأسانيد معتبرة - عن مولانا الإمام زين العابدين (عليه السلام) :

« ألا كل مؤمن نزلت من عينه قطرة دمع ، حزنأ على قتل الحسين بن عليّ

(عليهما السلام) ، فجرت على وجهه ، أمر الحق تعالى بغرف الكرامة فبنيت له في الجنة ؛ ألا كل مؤمن نزلت من عينه دعة فجرت على وجهه ، للعذاب الذي أنزله بنا الأعداء في الدنيا ، هيا الله له مكاناً طيباً في الجنة ؛ ألا كل مؤمن أصابه أذى في ولايتنا ومحبتنا ، فجرى الدمع من عينه على وجهه من شدة تلك المصيبة وحرقتها ، رفع الحق تعالى عنه كل عذاب ، وحفظه في القيامة من غضبه ، ومن نار جهنم .

لهذا ، جرى في خاطري العزم على تأليف كتاب في ذكر مواليد ومصائب سيد المرسلين وعترته الطيبين ، صلوات الله عليهم أجمعين ؛ مع ذكر طرف من فضائل أولئك العظام ومناقبهم وأخلاقهم ، كي يفوز المؤمنون - بقرائتها وسماعهم لها - بثواب إحياء أحاديثهم ؛ وكي يبلغوا - بالحنن والبكاء على مصائبهم العظيمة - درجات المقرّبين

لذا قمت بجمع هذا الكتاب الشريف بأكمل إيجاز واختصار وأسميته : « منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل » وجعلته مرتباً على أربعة عشر من الأبواب ، بعدد المقرّبين من ربّ الأرباب .



الباب الأول
في تلخيص ختم الأنبياء، محمد
(صلى الله عليه وآله وسلم)

الفصل الأول

في النسب الشريف لمحضرة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

هو أبو القاسم محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .
روي عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أنه قال : « إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا » .
ولهذا أمسكنا عن ذكر ما فوق عدنان .

وقبل الشروع بالحديث عن أحوال هذه الجماعة ، ننقل كلاماً للعلامة المجلسي ، قال :
اعلم إن إجماع علماء الإمامية معقود على أن أبا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ،
وأمه ، وجميع أجداده وجذاته حتى آدم (عليه السلام) كانوا كلهم مسلمين ، وأن نوره
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يستقر في صلب ورحم مشركين ، وليست هناك شبهة في نسبه
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ونسب آبائه وأمهاته ، وللأحاديث المتواترة عن الخاصة والعامة دلالتها
على هذه المضامين .

بل يتضح من الأحاديث المتواترة أن أجداده (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كانوا كلهم أنبياء
وأوصياء وحملة لشرعية الله ، وأن أبناء إسماعيل - وهم أجداده (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) - كانوا
أوصياء لإبراهيم (عليه السلام) . وسادة لكّة ، وسدنة لبيت الكعبة ، وكان ترميمها
واعمارها موكولاً إليهم ، كما كانوا مرجعاً للخلق عامّة ، وفيهم كانت ملّة إبراهيم (عليه
السلام) ، وكانوا حافظة لتلك الشريعة ، بوصي بها بعضهم بعضاً ، كما يودع أحدهم الآخر
آثار الأنبياء حتى وصلت إلى عبد المطلب ، الذي جعل أبا طالب وصيّاً له ، وقام أبو طالب
بتسليم آثار الأنبياء وودائعهم (عليهم السلام) إلى حافظ الرسالة (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .
انتهى .

ونشرع الآن بالحديث عن أحوال أولئك العظام :

عدنان المذكور بن « ادد » واسم أمه « بلهاء » ، وفي أيام طفولته كانت بوارق الرشد والشهامة تلتصع على جبينه المبارك ، وكان كهنة ذلك العهد ومنجمو تلك الأيام يقولون بأنه سيظهر من نسله شخص يطيعه الإنس والجان ، ولهذا السبب برز له أعداء كثيرون .

ولما بلغ عدنان الرشد غدا سيد قومه وقبلة العرب ، كما أن ساكني البطحاء وسكان يثرب وقبائل البر كانوا منقادين مطيعين لحكمه .

ولما فرغ « بختنصر » من فتح بيت المقدس صمم على قهر بلاد العرب وأهلها ، فتصدى له عدنان حرباً وقتالاً ، وقضى على الكثير من أعوانه ، غير أنه تغلب على عدنان في النهاية ، وقتل عدداً من رجاله ، الأمر الذي لم يبق معه مجال لإقامة عدنان ورجاله حيث هم ، وغدوا لا مندوحة لهم عن أن يتفرق كل منهم في اتجاه ، وتوجه عدنان مع أبنائه إلى اليمن ، حيث تحول هذا الملاذ وطناً له ، بقي فيه حتى وافته منيته .

وكان لعدنان عشرة من الأبناء ، منهم معد وعك وعدن وأد وغنى ، وذلك النور الذي كان قد أشرق في جبين عدنان تلالاً في طلعة ابنه معد ، كما أن هذا النور المبارك في وجود نبي آخر الزمان هو الدليل الواضح على انتقاله من صلب إلى صلب ، ولأن ذلك النور الطاهر قد انتقل إلى معد ، واتفق أن « بختنصر » قد فارق الدنيا وأصبح الناس في أمان من شره ، فقد أرسل نفر في طلب معد ، واستقدموه إليهم في جماعة من العرب ، وأصبح نقيباً للذرية ، ومن صلبه خرج أربعة أبناء ، وانتقل نور جماله إلى ابنه نزار ، وكانت أمه مُعانة بنت خَوْشَم من قبيلة جرهم ، وحين قدم نزار إلى الدنيا ، ورأى أبوه نور النبوة يلمع بين عينيه ، سروراً عظيماً ، وقَدَّم الإبل للذبح قرباناً ، ودعا الناس إلى الطعام وهو يقول :

« إن هذا كلُّه نزر في حقِّ هذا المولود » .

ويقال إنه قَرَّب الفأ من الإبل ، وحيث إن نزاراً تعني القلة فقد سَمَّى الطفل نزاراً ؛ وحين بلغ رشده ، وتوفي أبوه ، ترأس نزار قبيلته ، وأصبح سيداً للعرب ، وأنجب أربعة أبناء ؛ وحين شعر بدنو الأجل المحتوم يَمُّ من البادية شطر مكة المعظمة ، ووافاه الأجل هناك .

أما أبنائوه الأربعة فأولهم ؛ ربيعة ، والثاني إغار ، والثالث مُضَر ، والرابع إباد ؛ وتروى عنهم قصة لطيفة معروفة في صدد تقاسمهم لأموال أبيهم ، ورجوعهم في ذلك إلى حكم « أفعى الجرهمي » ، وكان بارعاً في علم الكهانة ، كما كان مرجعاً للأعظم والأشراف في نجران .

ومن إثمار خرجت قبيلتان : خَشَعَمَ وبجيلة ، وكانتا تستوطنان اليمن ؛ وإلى إباد يُنسب قس بن ساعدة الإيادي ، الذي كان من حكماء العرب وفصحائهم ، كذلك تفرعت عن ربعة ومُضر قبائل كثيرة أيضاً ، كما أن نصف العرب ينسبون إليها ، وقد أصبحوا مضرِباً للمثل من حيث كثرة أعدادهم .

وفي فضل ربعة ومضر يكفي ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال : « لا تسبوا مضر وربعة فإنهما مسلمان » .

ومُضر (بضم الميم وفتح الضاد المعجمة) معذلة عن ماضر ، وتعني الحليب قبل أن يصبح لبناً .^(١) واسم مضر : عمرو ، وأمه سَوْدَة بنت عك ؛ وقد انتقل نور النبوة إليه من نزار ، ويواصل نسل السادة امتداده .

وكان العرب يولونه الطاعة والإنقياد ، مما سهّل الترويج لدين إبراهيم (عليه السلام) ، وتقصي الأيام وينجو الناس نحو طريق الإيمان ؛ ويقال إن صوته فاق أصوات جميع الناس حسناً ، وكان أول حادٍ للإبل ، ومنه أتى الوجود ولدان ، أحدهما : عيلان (بفتح العين المهملة وسكون الياء) ومنه أتت قبائل كثيرة .

وثانيهما : إلياس الذي انتقل إليه نور النبوة ، فلا غرو أن عظم شأنه بين القبائل بعد أبيه ، وقد لُقّب بسيد العشيرة ؛ وكان يدير شؤون القبائل وأمورها بالصلاح وسداد الرأي ، وغداً فيصلاً في تلك الأمور .

وحق ذلك اليوم الذي انتقل فيه النور المحمدي من صلبه كانت تسمع أحياناً هينيات التسيح ، وكان العرب يعظمونه على الدوام ويعُدُّونه من الكبراء كلقبائهم وأشباهم .

أمه واسمها رباب ، وزوجه ليل بنت جلوان ، قضائية بمنية ، ويقال لها خنذيف ، رزقت منه بثلاثة أبناء : عمرو وعامر وعمير ، ويروى أن الأبناء حين بلغوا سنَّ الرشد ، رافق عمرو وعامر أمهم ليل إلى الصحراء ، وهناك لاح لهم أرنب يتحرك عن بعد ، ثم يفرّ في أحد الاتجاهات ، فنفرت منه الإبل خوفاً ، لكن عمراً وعامراً انطلقا في أثره ، وكان عمرو الأول في الوصول إليه وتبعه عامر ، فاصطاده ثم شواه .

غمر ليل السرور والزهو مما فعل ولداها ، ثم عادت مسرعة إلى إلياس ، ولما رأى ما هي

(١) وفي التنجيد : اللبن الماضر : الحامض . وسُمّي مضر . بذلك لأنه كان مولعاً بشرب اللبن الماضر (المعرب) .

عليه من تبخر ، سألها « أين تخندفين ؟ » (يقال لمن يتبخر ويزهو بنفسه : خندفة) قالت ليل :

« أنا دائماً بك أزهو وأفتخر » .

ولهذا السبب لقبها إلياس بخندف ، ومن هنا يقال للقبائل التي تنتمي بالنسب إلى إلياس : بني خندف^(١) (بكسر الحاء والذال المهملة المكسورة ، على وزن زبرج) ، ومن هنا أيضاً أن إلياس لقب عمراً به مدركة ، لأنه كان أول من أدرك الأرنب ، كما لقب عامراً به طبابعة ، لأنه اصطاده وشواه ، ولأن عميراً كان أثناء هذه الواقعة منقماً في الخباء ، منصرفاً عن القيام بشيء فقد لقب به قمعة (محرّكة)

وإجمالاً ، فقد كانت خندف مغرمة بإلياس كثيراً ، ويقال إنها حزنت عليه حزناً شديداً عند موته ، فلم تفارق قبره ؛ بعد أن شيدت فوقه سقفاً يظله ، حتى وافتها المنية على ذلك .

ثم انتقل نور النبوة من إلياس إلى مدركة (بضم الميم وكسر الراء) ، ويقال إن هذا هو السبب في تلقيبه بمدركة ، إذ نال وأدرك كل الشرف الذي كان يحوزه آباه ؛ كما كان يكنى (أبي الهذيل) ، وزوجه تدعى سلمى بنت أسد بن ربيعة بن نزار ، وقد رزق منها بولدين أحدهما خزيمه والآخر هذيل ، وهو أبو قبائل كثيرة .

ثم انتقل نور النبوة إلى خزيمه (بضم الحاء وفتح الزاي المعجمتين) ، الذي حكم قبائل العرب بعد أبيه ، ورزق بأبناء ثلاثة : كنانة ، ونون ، وأسد . وكنانة (بكسر الكاف) أمه عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، وكنيته أبو النضر ، وحين كان يتراأس قبائل العرب قيل له في نومه : تزوج من برة بنت مر بن أد بن طبابعة بن إلياس ، ترزق منها بولد يكون أوسع زمانه ؛ فتزوج برة ورزق منها بأولاد ثلاثة : النضر ، وملك ، وملكان . كما تزوج من هالة وكانت قبيلة الأزد ورزق منها بولد يدعى بعيد مناة ؛ ومن بين جميع أبنائه فقد سطع نور النبوة من جبين النضر ، وسبب تسميته بالنضر (بفتح النون وسكون الضاد المعجمة) يعود إلى نضارة وجهه ، كما يدعونه به قريش أيضاً ، وكانت كل قبيلة يعود نسبها إلى النضر تدعى قرشية ؛ وتتضارب الأقوال في سبب تسمية النضر بقريش ، ولعل أقربها إلى الصحة هو أن النضر إذ كان رجلاً عظيم القدر ذا حصافة ، وكان سيد قومه ، فقد عمل على لم شمل من

(١) ولهذا السبب فإن يزيد حين حمل إليه الرأس الشريف للحسين (عليه السلام) راح ينادي : لست من خندف إن لم أنتقم الخ . فردت عليه زيب (عليه السلام) : وكيف يجرى من لفظ قوه أكباد الأركباء الخ ... فنسبه إلى أكلة الأكباد .

تفرّق من قبيلته ، فكانوا - يجتمعون كل صباح حول خوانه المبسوط ، ومن هنا نال لقب قريش ؛ ذلك أن التقرّش يعني التجمّع .

وكان النضر أباً لوالدين هما مالك ويخلد ، وكان النبوة نور في جبين مالك ؛ وأمه عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ؛ وكان لمالك ابن يدعى فهراً (بكسر الفاء وسكون الهاء) ، وأمه جندلة بنت الحارث ، الجرهميّة .

وكان فهر رئيس الناس بمكة في زمانه ، ويقال له جماع قريش ، وكان له من ليل بنت سعد بن هذيل أربعة أبناء : غالب ، ومحارب ، والحارث ، وأسد ؛ ومن بينهم انتقل نور النبوة إلى غالب .

وكان لغالب إبنان من سلمى بنت عمرو بن ربيعة ، الخزاعيّة ، هما : لؤي وتيم ؛ وانتقل نور النبوة الشريف إلى لؤي ، ولؤي (بضم اللام وفتح الهمزة وتشديد الياء) تصغير اللّاي ويعني النور ؛ وكان له أربعة أبناء هم : كعب ، وعامر ، وسامة ، وعوف ؛ ومن بين جميعهم انتقل نور النبوة إلى كعب ، وأمه مارية بنت كعب القضاعيّة ، وكان كعب بن لؤي من صناديد العرب ، عظيم القدر في قريش يفوق من عداه ، وكان بيته ملجأ وملاذاً للثلاثين ؛ وكان من عادة العرب أن يؤرخوا لعظائمهم بواقعة كبيرة تقع لهم ، فلا جرم أنهم أرخوا عام وفاته وكان بعد هبوط آدم بـ ٥٦٤٤ عاماً ، إلى عام الفيل .

وكان كعب أباً لثلاثة أبناء ، هم : مرة (بضم الميم وتشديد الراء) ، وعديّ ، ومُصيص (بمهملات كزبير) ؛ وكان مصيص أكبر إخوته ، وكان له ابن باسم عمرو ؛ ولعمرو ابنان هما سهم ومُحج (بضم الجيم وفتح الميم) ، وإلى سهم يُنسب عمرو بن العاص ؛ وإلى محج يُنسب عثمان بن مظعون ، وصفوان بن أميّة ، وأبو محذورة مؤذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؛ وإلى عديّ بن كعب يُنسب عمر بن الخطاب .

ومرة بن كعب هو من انتقل إليه النور المحمّدي من أبيه ، وكان له ثلاثة أبناء : الأول كلاب ، وأمه هند بنت سُريّر بن ثعلبة ؛ والثاني تيم (بفتح التاء وسكون الياء) وثالثهم يَظْظَة (بفتح الياء والقاف) ؛ وأمّ الأخيرين البارقيّة ، وإلى تيم تنسب قبيلة أبي بكر وطلحة ؛ وكان ليظظة ابن اسمه مخزوم ، وإليه ينتسب بنو مخزوم ومنهم أم سلمة ، وخالد بن الوليد ، وأبو جهل ؛ وكان لكلاب بن مرة ولدان ، أحدهما زهرة وتنسب إليه أمّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ؛ والثاني قُصَيّ (بضم القاف وفتح الصاد المهملة وياء مشدّدة) واسمه زيد ، ولأبنا سُمَيّ قُصَيّاً لأن أمّه فاطمة بنت سعد تزوجت بعد وفاة زوجها كلاب من ربيعة بن حرام القضاعي ، وكان أخوه الأكبر زهرة قد

تَخَلَّفَ في مكة ، وقصِيَ طفل ، فاحتمله زوج أمّه إلى قومه بني قضاة مع أمّه ، فسَمِيَ قَصِيًّا لأنه أَقْصِي عن مَكَّة ، وحين بلغ مبلغ الرجال رافق أمّه وأخاه لأمّه زُرَّاج بن ربيعة^(١) إلى مَكَّة في موسم الحج ، مع لفيّ من حُجَّاج بني قضاة ، حيث بقي هناك إلى جانب شقيقه زهرة ، حتى تسنم ذروة الملك .

كان كبير مكة في ذلك العهد هو جُلَيْل بن حُسَيْة (بحاء وسين مهملتين على وزن وحشية)^(٢) وكان قد استولى على مكة مع قومه بني خزاعة ، بعد حكم الجرهميين ؛ وكان ذا بنين وبنات منهم ابنته حُصَي (بضم الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة) ، وقد اتخذها قصي زوجة له ، وحدث أن ظهر وباء في مكة فغادرها جُلَيْل وقومه ، حيث وافته النُبَيْة وهو خارج مَكَّة ، وكان قد أوصى بأن تؤوّل حجابة البيت بعده إلى ابنته حُصَي على أن يتركها في ذلك أبو غبشان الملكاني ، واستقرّ الأمر على هذه الحال زمنًا رزق فيه قصي من زوجته بأربعة بنين وهم : عبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد قصي ، وعبد الدار .

وقال قصي لزوجته : إن ابنك عبد الدار أولى بتسلّم ولاية الكعبة ، كي لا تخرج ولايتها عن أبناء إسماعيل (عليه السلام) .

قالت : لا مانع لديّ أبداً من جهة ولدك ، ولكن . . . ما العمل مع أبي غبشان ، وهو - بحكم وصية أبي - شريك لي ؟ .

قال قصي : دعي علاج هذا الأمر لي ، فهو عليّ حين .

هكذا تنازلت حُصَي عن حقّها في حجابة الكعبة لابنها عبد الدار ، وبعد أيام قصد قصي الطائف حيث يقيم أبو غبشان .

وفي إحدى الليالي ، وأبو غبشان مشغول في مجلس شرايه ، حضر قصي إلى المجلس ، وترثّ ريشا بلغ السكر من أبي غبشان مبلغه ، فاشتري منه ولاية البيت بزرّ خر ، وأحكم صفقته بشهادة الشهود ، وتسلم منه مفتاح البيت ، ثم عجل بالعودة إلى مَكَّة حيث سلّم المفتاح إلى ولده عبد الدار في محفل من أهل مَكَّة جمعه لهذا الغرض .

أما أبو غبشان ، فإنه لما استفاق ندم أشدّ الندم على فعلته ، بعد أن أسقط في يده ، وغدا مضرب المثل في الحقّ بين الأعراب ، حتى كان يقال : أحق من أبي غبشان ، أندم من أبي غبشان ، أحرص صفقة من أبي غبشان .

(١) في تاريخ الطبري : زُرَّاج بن ربيعة (المَرَب) .

(٢) في تاريخ الطبري : حُلَيْل بن حُسَيْة . (المَرَب) .

وهكذا استتب الأمر لقصي ، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء ؛ والحجابة هي الاحتفاظ بمفتاح البيت ، والقيام بفتحه أمام الحجاج وإغلاقه ؛ والسقاية والرفادة تعنيان تقديم الماء والطعام لضيوف البيت ، وقد ابتاع قصي أرضاً في جوار بيت الله فابتنى فيها داراً للندوة حيث كان سادة قريش يجتمعون للشورى ، وجعل بابها إلى المسجد ، كما كان يعقد ألوية الحروب العامة لأمراء الجيش .

واستقر هذا الأمر في أبناء قصي حتى عهد رسول الله (صل الله عليه وآله) .

وإجمالاً فإن قصياً جمع الناس وقال لهم :

يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته ، وإن الحجاج ضيوف الله وزواره ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام هذا الحج ، حتى يصدروا عنكم .

ففعّلوا ، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم ، فيصدقونه إليه ، فيصنعه طعاماً للناس ، فجرى ذلك من أمره على قومه في الجاهلية حتى قام الإسلام .

ثم قسّم قصي مكة أربعة أقسام ، أسكن فيها قريشاً ، ولما رأى بنو خزاعة وبنو بكر غلبة قصي على مكة جمعوا جيشاً لحربه ، فهزم أمامهم في بادية الأمر ، لكنه استنجد بأخيه لأمه زراح بن ربيعة ، فاقبل إليه زراح وفي إخوة له آخرين من أيه ربيعة ، ومعهم قوم من قضاة ، ومع قصي قومه من بني النضر ، فمالت كفة الحرب لمصلحته ، فأجل خزاعة عن البيت ، واستقر له أمر قريش والعرب ، ثم جمع قومه من الشعاب والأودية والجبال إلى مكة ، فسَمي «مجمعاً» ، وفي هذا يقول الشاعر :

أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فُهر

وهكذا عظم شأن قصي ، فكان لا يُقضى أمر دون إذن منه ، ولا تُنكح امرأة ولا يعقد لواء إلا في داره ، وكانت أحكامه في قومه كالدين المتبع ، في حياته وبعد مماته .

فَوُضَّ قصي أمر السقاية والرفادة والحجابة واللواء ودار الندوة إلى ولده عبد الدار ، وورث ذلك عنه أولاده من بني شيبه .

وبعد أن أتم قصي واجباته وافته المنية ، فدفن في الحجون (يفتح الحاء المهملة وضم الجيم وسكون الواو) وهي مقبرة تقع عند مشارف مكة .

وبعد وفاة قصي انتقل النور المحمدي إلى عبد مناف ، واسمه المغيرة ، وكان يُلقَّب بقرم البطحاء لجماله ، وكنيته أبو عبد شمس ؛ تزوج عاتكة بنت مرة بن هلال السلمية ، ورزق منها

بولدين توأمين ، ولدا وإصبح أحدهما ملتصقة بجبهة أخيه ، فتم فصلهما بالسيف ، وسَمِي أحدهما هاشماً ، والآخر عبد شمس .

قال أحد العارفين العرب حين سمع بهذه الواقعة : لن يكون بين أبناء هذين إلا السيف فيصلا ؛ وهكذا كان ، فقد كان عبد شمس أباً لأمية ، وكان أولاد أمية في خصام دائم مع أبناء هاشم ، واستَلَّت السيف بينهم .

وكان لعبد مناف ولدان غير هذين ، أحدهما : المطلب ، ومن قبيلته عبدة بن الحارث ، والشافعي ؛ والآخر نوفل ، وإليه ينتسب جبير بن مطعم .

وهاشم بن عبد مناف واسمه عمرو ، وكان يقال له لعلو شأنه : عمرو العلى ، كما كان هو والمطلب يدعيان بالبدريين لحسنهما ؛ وكانت بينهما علاقة حميمة ، وكذلك بين نوفل وعبد شمس .

لما بلغ هاشم الرشد بدت عليه مخايل الفتوة والمروءة ، واستظل أهل مكة بظل حمايته ؛ حين أصابهم القحط وعمّ الغلاء ، فرحل إلى الشام ، وأوسق إليه بالدقيق ، وقدم به مكة ، فكان يأمر بالجزور فيذبح ، وبالدقيق فيطبخ بلحومها ومرقها ، ثم يدعو أهل مكة إلى ثريدته كل صباح ومساء ، ومن هنا جاءت تسميته بهاشم ، لأنه أول من هشم الثريد لقومه ، يقول الشاعر :

عمرو العلى هشم الثريد لقومه قوم بمكة مسنتين عجاف
وذكر أن هاشماً هو أول من سنّ الرحلتين لقريش ، رحلة الشتاء والصيف :

نسبت إليه الرحلتان كليهما سير الشتاء ورحلة الأصيف

علا شأن هاشم ، وقويت شوكة بني عبد مناف حتى كان لهم سبق على بني عبد الدار ، وفاقوهم رفعة وشرافاً ، فلا غرو أنهم تطلّعوا إلى الفوز بالسقاية والرفادة والحجابة واللواء ودار الندوة من بني عبد الدار ، وكان الإخوة الأربعة هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل على اتفاق ووثام فيما بينهم .

في ذلك الوقت كان رأس بني عبد الدار هو عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان على معرفة بنوايا عبد مناف ، فراح يجمع أعوانه وأنصاره ، كما جمع بنو عبد مناف أنصارهم وأعوانهم .

في هذا الحين كان بنو أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تميم بن مرة ، وبنو الحارث بن فهر ، قد تحوّلوا إلى نصرة بني عبد مناف .

أحضر هاشم وإخوته إلى المجلس وعاء مملوءه بالطيب والروائح الزكية ، وبعد أن مسح القوم أيديهم بذلك الطيب وضعوها بأيدي بني عبد مناف ، يدأ بيد ، وأقسموا ألا يسترجموا قبل أن ينجزوا ما أرادوا ، ومن أجل إحكام اتفاقهم يَمُمُّوا شطر البيت الحرام ، وأكدوا أقسامهم بعد تناول الكعبة بأيديهم على أن يأخذوا المناصب الخمسة كلها من بني عبد الدار . ومن هنا جاءت تسميتهم بـ « المطَّيِّين » كونهم مسحوا أيديهم بالطيب .

ومن جانب آخر تداعى بنو خزوم ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص ، وبنو عدي بن كعب لنصرة بني عبد الدار ، ويمُمُّوا مع مخالفيهم شطر البيت الحرام ، وأقسموا أن لا يسمحوا لبني عبد مناف بالتدخل بشؤونهم ، وقد سُمُّوا بـ « الأحلاف » .

ولما اشتدت العداوة غلياناً بين المطَّيِّين والأحلاف ، ولجأوا إلى إعداد السلاح وأدوات القتال ، تداعى العقلاء من الجانبين وتوسَّطوا بين الفريقين المتنازعين ، وأقنعوهما بأن في القتال خسراناً للجميع ، ولن ينجم عنه سوى سفك الدماء وضعف قريش ، والإساءة إلى سمعتها بين الأعراب ، وأن من الأفضل للفريقين اللجوء إلى الصلح .

وهكذا قعدوا للصلح ، وتوصَّلوا إلى إقرار اتفاق تكون السقاية والرفادة بموجبه لبني عبد مناف ، بينما تكون الحجابة واللواء ودار الندوة لبني عبد الدار ؛ ولما انحسر النزاع عاد التحفظ ليذرَ بقرنه بينهم ، فاقترح بنو عبد مناف فيما بينهم على المنصبين اللذين كانا من نصيبهم ، فوقعت القرعة بالمنصبين على هاشم ؛ وهكذا أضحت المناصب الخمسة بين بني عبد مناف وبني عبد الدار يتوارثونها حتى عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حيث كان مفتاح البيت في حوزة عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، وحتى فتح مكة، وحين هاجر عثمان المذكور إلى المدينة سلَّم المفتاح لابن عمه شيبة، حيث انتقل إلى أولاده.

أما اللواء فقد بقي مع بني عبد الدار حتى زمان فتح مكة ، فتقدموا من رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) قائلين : اجعل اللواء فينا . فاجابهم بقوله (صلَّى الله عليه وآله) : «الإسلام أوسع من ذلك» ، كناية عن أن الإسلام أكبر من أن تكون رايات الفتح مقصورة على عائلة واحدة .

وأما دار الندوة فاستقرَّ أمرها على حاله حتى عهد معاوية ، حيث ابتاعها من بني عبد الدار وجعلها داراً للإمارة .

وأما السقاية والرفادة فقد انتقلتا من هاشم إلى أخيه المطلب ، ومنه إلى عبد المطلب بن هاشم ، ومنه إلى ابنه أبي طالب ؛ ونظراً لقلَّة ذات يده ، وعجزه عن تلبية مطالب الرفادة ، فقد اقترض من أخيه العباس مقداراً من الذهب أنفقَه على إطعام الحجاج ، ثم عجز عن وفاء

دينه ، فنقل السقاية والرفادة إلى العباس مقابل دينه ؛ ومن العباس انتقلنا إلى ولده عبد الله ومنه إلى ابنه علي وهكذا حتى وصلنا إلى خلفاء بني العباس .

هذا ، وبعد أن ذاع صيت هاشم في الأفاق ، راح السلاطين والعظماء يبعثون إليه بالهدايا ، ويتطلع كل منهم إلى أن يتخذه له صهراً ، لعل النور المحمدي الذي يسطع من جبينه ينتقل إلى زوجه ، لكن هاشماً كان يرفض ، فمبولة كانت عند بنت من نجباء قومه ، رزق منها بأبناء ذكور وإناث ، منهم أسد أبو فاطمة ، أم أمير المؤمنين (عليه السلام) ؛ غير أن النور بقي في جبينه .

وذات ليلة وبينما كان يطوف حول الكعبة راح يتضرع ويبتهل إلى الحق تعالى أن يهبه ابناً يحمل عنه هذا النور الطاهر ، فأتاه الأمر في منامه أن تقدم لطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن ليبيد من بني النجار في المدينة ، زوجة لك .

عزم هاشم على التوجه إلى الشام ، فسلك طريق المدينة إليها ، فلما قدم المدينة قصد بيت عمرو فخطب ابنته سلمى إليه ، فأنكحه إياها شرط ألا تلد ولداً إلا في أهلها ، ويبقى الولد في المدينة ، فلا يغادرها إلى مكة ، ورضي هاشم بهذا الشرط ، ثم مضى لوجهه قبل أن يبني بها . ولما انصرف راجعاً إلى المدينة حمل سلمى معه إلى مكة وبني بها هناك ، وحملت ، فلما أنفلتت أقر بها إلى دار قومها بيثرب وفاء لمهده الذي قطعه لآبيها ، ثم مضى في طريقه إلى الشام ؛ وفي غزوة (بفتح المعجمتين) ، وهي مدينة في أقصى الشام بينها وبين عسقلان فرسخان ، وافاه الأجل ، ودفن فيها .

وفي بيثرب ، وضعت سلمى وليدها عبد المطلب وأسمته عامراً ، وكانوا يدعونوه به شيبه ، لأنه كان في رأسه شيبه عند ولادته ، وقامت على رعايته وتربيته حتى غدا بإمكانه التمييز بين بين وشمال ، ولاحت عليه مخايل الحسن في الحصال ، والحمد في الفعال ، فلُقّب به شيبه الحمد .

في ذلك الوقت كان عمه المطلب سيد قومه في مكة ، وكانت إليه السقاية والرفادة ، كما كانت عنده قوس إسماعيل وعلم نزار ، ولما علم بآبن أخيه قدم إلى يثرب وأخذه ، وأردفه على عجز ناقته وسار به إلى مكة ؛ فقدما ضحوة والناس في مجالسهم ، فجعلوا يقولون : من وراءه ؟ فيقول : هذا عبيدي ، حتى أدخله منزله . ثم خرج به العشي إلى مجلس بني عبد مناف ، فأعلمهم أنه ابن أخيه ، فكان بعد ذلك يطوف بمكة ، ويقال : هذا عبد المطلب ، وغلب هذا الاسم عليه .

راح عبد المطلب من هنا فصاعداً يلبس لبوس المجد فيتألق بين بني عبد مناف ، وتظهر

ملكاته الحميدة بين الناس يوماً بعد يوم ، وشأنه يسمو ؛ واستمرت حياته على ذلك حتى وفاة عمه ، فتحوّلت إليه الرفاة والسقاية وغيرها ، وزاد شأنه علواً واشتهاراً حتى صارت التحف والهدايا تتقاطر إليه من البلاد والأمصار البعيدة ، وشرف في قومه وعظم فيهم خطره ، فمن آمنه منهم أمين ، ولما آلت بالعرب نازلة ، صعدوا به إلى جبل ثبير ، وقدموا القرابين ، وسألوا تلبية الحاجات ببركة عظمت ، ومسحوا وجوه أصنامهم بدماء القرابين ، أما عبد المطلب فلم يكن يرفع الحمد سوى لله الواحد الأحد .

كان الحارث بكر عبد المطلب ، فكثي بأبي الحارث ، ولما بلغ الحارث الرشد ، أمر عبد المطلب في منامه بحفر بئر زمزم .

ومما يجدر ذكره أن عمراً بن الحارث ، وكان كبير الجراهمة في مكة في عهد قصي ، كان قد اشتبك في قتال مع حليل بن الحبسية الخزاعي ، الذي تغلب عليه وأمره بالرحيل عن مكة ، فعزم عمرو فعلاً على الرحيل ، وراح يعدّ لرحيله في مهلة بضعة أيام كانت لديه ، وفي سورة غضبه انتزع الحجر الأسود من الركن المخصص له ، كما حمل غزاليين ذهبيين صغيرين كان اسفنديار بن كشتاسب قد بعث بهما إلى مكة كهدية ، مع عدد من الدروع والسيوف ، وهي أشياء تعود ملكيتها لمكة ، ثم رماها جميعاً في بئر زمزم بعد أن غشاها بالتراب ، ثم أخذ قومه وانطلق بهم هارباً إلى اليمن .

كان هذا إلى زمان عبد المطلب ، حيث قام هذا الرجل الكبير مع ابنه الحارث بحفر البئر وإخراج الأشياء المذكورة منها ، فطلبت منه قريش أن يعطيها نصف ما وجده بحجة أنها أشياء تعود إلى أسلافهم ؛ فأحاطهم إلى حكم القرعة فرضوا ، فعمد إلى تقسيم الأشياء قسمين ، وأمر صاحب القداح بأن يقرع باسم الكعبة واسم عبد المطلب واسم قريش ففعل ، فخرج الغزالان الذهبيان باسم الكعبة ، والدروع والسيوف باسم عبد المطلب ، ولم ينل قريشاً شيء ؛ فباع عبد المطلب نصيبه ، وصنع بئراً للكعبة ، أما الغزالان الذهبيان فعلقهما على باب الكعبة ، فصارا يعرفان بغزالي الكعبة ، وقد ذكر أن أبا لهب سرقهما وباعهما ، وأنفق ثمنهما في الشراب والميسر .

يذكر ابن أبي الحديد ، وآخرون أنه بعد أن أجرى عبد المطلب ماء زمزم ، اشتعلت نار الحسد في صدور قريش كافة ، فقالوا له : هذه البئر تعود إلى جدنا إسماعيل ، ولنا فيها حق ، ونحن لك فيها شركاء ؛ فأجابهم : إنها كرامة خصنا الحق تعالى بها ، وليس لكم فيها نصيب ؛ وبعد خصام شديد تراضوا على أن تحكم بينهم كاهنة من بني سعد ، وكانت في أطراف الشام ، ثم توجه عبد المطلب مع ليف من بني عبد مناف إلى الشام ، يرافقه من كل قبيلة من قبائل قريش بضعة أنفار .

وفي طريقهم في الصحراء نفذ الماء من بني عبد مناف ، فمَنَعَهُمْ أفراد قريش ما كان معهم من الماء ، ولما غلبهم العطش ، أشار عليهم عبد المطلب بأن يَحْفَرُ كُلُّ مِنْهُمْ قَبْرًا لَهُ ، حتى إذا هلك من العطش دفنه الآخرون ، فأن يبقى واحد منهم دون دفن خير من أن يبقوا جميعاً ؛ ولما حفروا القبور ، وجلسوا في انتظار الموت ، قال عبد المطلب : إن جلوسنا هكذا دون سعي حتى الموت لعجزٌ ، وإن اليأس من رحمة الله هو من ضعف اليقين ، قوموا بنا نضرب الأرض لعل الله يرزقنا ماء .

ثم إنهم حَلَمُوا متاعهم ، والقرشيون ينظرون إليهم ما هم صانعون ، ولما ركب عبد المطلب راحلته ، انفجرت من تحت خفها عين تجري بماء صاف عذب ، فقال عبد المطلب : الله أكبر ، وكبر أصحابه بعده ، ثم نزل وشرب مع أصحابه ، وملأوا بالماء قربهم ، ثم دعوا القرشيين أن هَلَمُوا إلى الماء ، فقد أكرمنا الله به ، فاشربوا منه واحملوا .

ولما رأى القرشيون هذه المكرمة العظمى لعبد المطلب قالوا : لقد حكم الله بيننا وبينك ، فليست بنا إلى حكم الكاهنة حاجة ، ولن ترى منا في أمر زمزم أي معارضة ، إن الذي سقاك الماء بهذه المفاضة هو الذي سقاك زمزم . ثم انصرفوا عائدين ، وخلوا بينه وبين زمزم .

وقد زاد حفر زمزم من علوشان عبد المطلب ، وتقاطرت عليه الألقاب من قبيل سيد البطحاء ، وساقى الحجيج ، وحافر زمزم ؛ وكان الناس عند وقوع المصائب يلوذون بكنفه ، وإذا حلت داهية أو عَمَّ قحط نوسلوا بنور جماله ، حتى يرفع الحق تعالى الشدائد عنهم ؛ وقد رزق هذا الرجل الكبير عشرة بنين وست بنات ، وسيأتي ذكرهم في عداد قرابة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، وكان عبد الله أثر أبنائه عنده ، وهو وأبو طالب والزبير أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم ؛ وحين ولدته أمه عرف أكثر أحيار اليهود والقيسين النصارى والكهنة والسحرة أن أبا لنبي آخر الزمان (صلى الله عليه وآله) قد ولدته أمه ؛ ذلك أن طائفة من أنبياء بني إسرائيل قد بشرُوا ببعث الرسول (صلى الله عليه وآله) وأن طائفة من اليهود القاطنين في أراضي الشام كانت عندهم قطعة نسيج من الصوف ملونة بدم النبي يحيى (عليه السلام) ، وكان كبار الأحيار قد أنبأوا بأن هذا الدم إذا انقلب طرياً فتلك علامة على أن أبا نبي آخر الزمان قد ولد ، وأن دماً طرياً سيفور ليلة مولده من هذا النسيج ، الذي هو من الصوف الأبيض .

وأجمالاً ، لما ولد عبد الله فإن - النور النبوي - الذي كان يُرى عند كل من أجداد النبي - سطع من جبينه ، وكان يزداد يوماً فيوماً حتى في مسيره وحديثه ، وكان بعد ذلك يلحظ آثاراً غريبة وعلامات عجيبة ؛ فقد صارح أباه يوماً قائلاً : كنت لما سرت إلى جانب البطحاء وجبل

ثبير رأيت نوراً خرج من ظهري ، ثم استطال إلى فرعين اتجه أحدهما ناحية المشرق ، والآخر ناحية المغرب ، ثم اتّصل رأسهما فشكلت دائرة خرج منها ما يشبه السحاب وانتشر قسم منه فوق رأسي فأظلمني ؛ وهنا تفتحت أبواب السماء فاخترق ذلك النور الفلك ، ثم عاد ليستقرّ في مكانه في ظهري ، وكنت إذا جلست أحياناً في ظلّ شجرة يابسة اخضرت وأبنت ، وإذا فارقتها عادت إلى بيوتها ؛ وكنت كثيراً ما أجلس على الأرض فأسمع نداء يقول : يا حامل نور محمد - (صلّى الله عليه وآله) - عليك السلام .

قال عبد المطلب : أي بني ، لك البشري ، وأرجو أن نبّي آخر الزمان سيخرج من صلبك .

في ذلك الوقت أراد عبد المطلب أن يغي بنذره ، ذلك أنه كان حين أمر بحضر زمزم ، وانتهجت قريش معه سبيل النزاع ، عهد على نفسه مع الله عهداً أنه إذا رزق بعشرة بنين ليكونوا حماة لما يقوم به ، فيسقط أحدهم إلى النحر قرباناً ، وإذ هو الآن أب لعشرة بنين ، فقد عزم على الوفاء بعهده .

لذلك فقد جمع أبناءه ، وأطلعهم على ما عزم عليه ، فقدم الجميع أعناقهم ؛ فأشار أن يضرب على أسائهم بالقدح ، فمن خرجت القرعة باسمه فهو ، ثم ضرب صاحب القدح فخرج القدح على عبد الله ، فأخذ عبد المطلب بيده ، وأقبل به إلى إساف ونائلة ، وهما وثنا قريش اللذان تنحرا عندهما ذبائحهما ، وتناول السيف ليذبحه ، فقام إليه إخوة عبد الله ، وطائفة من قريش ، والمغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بمنعونه قائلين : والله لا تذبحه حتى تُعذر فيه ، فاضطرّ عبد المطلب إلى النزول عند إرادتهم ، إذ أشاروا بأن ينطلق بابنه إلى عرّافة بالمدينة لتحكم في هذا الأمر ، لعلّ لديها رأياً يكون فيه الفرج ، فوافقهم ، وانطلقوا إلى العرّافة وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه ، فسألت كم دية الرجل فيكم ؟ قالوا : عشر في الإبل ، قالت : فارجعوا إلى بلدكم ، ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل ، ثم أضربوا عليه وعليها بالقدح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل ، حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها ، فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قدموا مكة ، ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل ، فخرج القدح على الإبل ، فزادوا عشراً من الإبل ، فخرج القدح على عبد الله أيضاً ، ثم لم يزالوا يزيّدون ويقرّعون حتى بلغت الإبل المائة ، وهذه المرة وقعت القرعة على الإبل ، فقال الجميع فرحين : قد انتهى رضي ربك يا عبد المطلب . فقال : لا والله ، حتى أضرب عليها ثلاث مرات ، وضربوا فوقعت القرعة على الإبل في المرتين ، فثبتت عبد المطلب من صواب ما فعل ، وأمر بالإبل فتحررت ؛ ومن هنا قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « أنا ابن الذبيحين » ،

وأراد بالذبيحين جدّه إسماعيل ذبيح الله ، وأباه .

- يقول العلامة المجلسي : لما بلغ عبد الله سنّ الشباب ، سطع نور النبوة من جبينه ، وأمل الأكابر من النواحي والأطراف أن يزوجه إحدى بناتهم علّها تفوز بهذا النور ، فقد كان أوحّد زمانه في الحسن والجمال ، فإذا مرّ نهاراً فاح منه غير المسك والعنبر ، وإذا مرّ ليلاً اشرق الكون حوله بنوره ، حتى دعاه أهل مكة بدّ مصباح الحرم ؛ وشاءت القدرة الإلهية أن يكون عبد الله مع صدقة جوهر الرسالة - يعنى أمّه أمانة بنت وهب (ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة) - أن يكونا زوجين . ثم نقل أسباب زواجهما بكلام مستفيض لا يتسع المقام لذكره ، ويروى أنه بعد أن تمّ زواج أمانة بعبد الله فإن مائتي امرأة هلكن حسرة على عبد الله .

وإجمالاً فحين غدت أمانة صدقة لذلك الدر الثمين عرف الأمر طائفة من الكهنة العرب وتناقلوا خبره ؛ وكانت قد انقضت بضع سنين عمّ فيها القحط ديارهم ، فما انتقل ذلك النور إلى أمانة هطلت الأمطار وعمّ الخصب ، وعاش الناس في نعم وفيرة حتى سمّوا ذلك العام بدّ عام الفتح .

في ذلك العام بعث عبد المطلب بابنه عبد الله في مرة إلى الشام ، وعند رجوعه ووصوله إلى المدينة ساءت صحته ، فخلّفه رفاقه وانطلقوا إلى مكة ، ومات في مرضه ذاك ، ودفن جسده الطاهر في دار النابتة الجمعدّي .

ومن ناحية أخرى ، فحين وصل خبر مرض عبد الله إلى أبيه ، بعث بابنه الحارث - وكان أكبر إخوته - في طلبه ، وعند وصوله وجدّه قد فارق الحياة قبل وصوله ، وكان عمره خمساً وعشرين سنة ، وعند موته لم تكن أمانة قد وضعت حملها ، وكان قد بلغ شهرين من عمره الشريف على قول ، وسبعة شهور على قول آخر .

وقد ورد في الروايات أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذهب في إحدى الليالي إلى قبر أبيه وصلّى عنده ركعتين لله ، وراح يناديه ، فإذا بالقبر ينشق فجأة ، وعبد الله جالس فيه يقول :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك نبيّ الله ورسوله » .

فسأله من وليك يا أبة ؟ فأجابته متسائلاً : ومن وليك يا بني ؟ قال : إنه لعليّ وليك ، قال : أشهد أنّ عليّاً وليّ ؛ ثمّ إنّه لما عاد إلى بستانه ، دنا من قبر أمه ، وفعل نحو ما فعل عند قبر أبيه .

يقول العلامة المجلسي (ره) : يظهر من هذه الرواية أنّها كليهما أمانة بالشهادتين ، وأن إرجاعهما كان لكي يكمل إيمانها بالإقرار بإمامة عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) .

الفصل الثاني

فَجِدْ وَاحِدَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

اعلم أن المشهور بين علماء الإمامية أن ولادته (صلى الله عليه وآله) كانت في السابع عشر من شهر ربيع الأول ، وقد نقل المجلسي (ره) الإجماع عليه ، وذكر أكثر علماء السنة الثاني عشر من الشهر المذكور ، وقد اختار الشيخ الكليني وبعض أفاضل علماء الشيعة هذا القول أيضاً ، ولشيخنا العلامة النوري طاب ثراه رسالة في هذا الباب اسمها « ميزان الساء في تعيين مولد خاتم الأنبياء » فعل من يطلبها الرجوع إليها .

كما أن المشهور أن ولادته (صلى الله عليه وآله) كانت قرب طلوع فجر الجمعة من ذلك اليوم في العام الذي أحضر فيه أصحاب الفيل فيلاً لهدم الكعبة المشرقة ، فعُذِّبُوا بحجارة من سجيل ، وجرت ولادته الشريفة بمكة في بيته ، لكنه (صلى الله عليه وآله) وهب هذا البيت لعقيل بن أبي طالب ، وباعه أولاد عقيل لمحمد بن يوسف أخي الحجاج ، فأدخله في داره ؛ وفي أيام هارون الرشيد أعادت أمه الخيزران فصله عن دار محمد بن يوسف وجعلت منه مسجداً يصلي فيه الناس ؛ وفي سنة تسع وخمسين وستمئة سعى الملك المظفر والي اليمن سعيّاً جليلاً في عمارته ، وهو الآن معروف يزوره الناس ويصلّون فيه ، وقد ظهرت فيه غرائب كثيرة عند ولادته (صلى الله عليه وآله) .

يروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال :

كان إبليس لعنه الله يخرق السماوات السبع [يترق السمع] ، فلما ولد عيسى (عليه السلام) حُجِبَ عن ثلاث سماوات ، وكان يخرق أربع سماوات ؛ فلما ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حُجِبَ عن السبع كلّها ، ورُجِمَت الشياطين بالنجوم ، وقالت قریش : هذا قيام الساعة الذي كنّا نسمع أهل الكتاب يذكرونه ، وقال عمرو بن أمية وكان أزجر [أعلم] أهل الجاهلية : انظروا هذه النجوم التي يتحدى بها ، ويُعرف بها أزمان الشتاء

والصيف ، فإن كان رُمي بها فهو هلاك كل شيء ، وإن كان بُنِت رُمي بغيرها فهو أمر حدث ؛ وأصبحت الأصنام كلها صبيحة ولد النبي (صلى الله عليه وآله) ليس منها صنم إلا وهو منكَب على وجهه ؛ وارتجس^(١) في تلك الليلة إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وفاض وادي السهاوة^(٢) . وحدث نيران فارس ، ولم تحمد قبل ذلك بألف عام ، ورأى المؤيدان^(٣) في تلك الليلة في المنام إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً ، قد قطعت دجلة وانسربت في بلادهم ، وانفصم طاق كسرى من وسطه ، وانخرقت عليه دجلة العوراء ، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ثم استطال حتى بلغ المشرق ، ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً ، والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك ، وانتزع علم الكهنة ، وبطل سحر السحرة ، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حُجبت عن صاحبها ، وعظمت قريش وسُموا آل الله .

قال أبو عبد الله (عليه السلام) : إنما سُموا آل الله لأنهم في بيت الله الحرام .

وقالت أمة : إن أبي ، والله سقط ، فاتقى الأرض بيده ، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها ؛ ثم خرج مني نور أضاء كل شيء ، فسمعت في الضوء قائلاً يقول : إنك قد ولدت سيد الناس فسمي محمدًا ؛ وأتى به عبد المطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمه ، فأخذه ووضع في حجره ، ثم قال :

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأرداني
قد ساد في المهد على الغلمان

ثم عوّذه بأركان الكعبة ، وقال فيه أشعاراً ، قال :

وصاح إبليس لعنه الله في أبالسته ، فاجتمعوا إليه فقالوا : ما الذي أفرعك يا سيدنا ؟ فقال لهم : ويلكم ، لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة ، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله منذ رفع عيسى بن مريم (عليه السلام) ، فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث . فافترقوا ، ثم اجتمعوا إليه فقالوا : ما وجدنا شيئاً ، فقال إبليس لعنه الله : أنا لهذا الأمر ؛ ثم صار مثل الصرّ ، وهو العصفور ، فدخل من قبل حراء ، فقال له جبرائيل (عليه السلام) : وراك ، لعنك الله ، فقال له : حرف أسألك عنه يا جبرئيل ،

(١) ارتجس : اضطرب وتزلزل .

(٢) واد في البادية بين الكوفة والشام ، كان جافاً لسنتين متتاليتين .

(٣) فقيه الفرس وحاكم المجوس .

ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض ؟ فقال له : ولد محمد (صلي الله عليه وآله) ؛ فقال هل لي فيه نصيب ؟ قال : لا ، قال : ففي أمته ؟ قال نعم . قال : رضيت . وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال :

لما ولد (صلي الله عليه وآله) انكبّت الأصنام - على الكعبة - على وجوهها ، ولما حلّ الليل سُمع هذا النداء من السماء .

﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ .

وأشرقت الدنيا كلّها في هذه الليلة ، وضحك الحجر والمدر ، وسبح لله ما في السماوات والأرضين ، وبكى إبليس وقال : خير الأمة وأفضل الخلائق ، وأكرم العباد وأعظم العالمين محمد (صلي الله عليه وآله) .

يروى الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) قوله :

... ومحمد (صلي الله عليه وآله) سقط من بطن أمّه واضعاً يده اليسرى على الأرض ، ورافعاً يده اليمنى إلى السماء ، يحرك شفّته بالتوحيد ، ويبدأ من فيه نور رأى أهل مكة منه قصور بصرى من الشام وما يليها ، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها ، والقصور البيض من إصطخر وما يليها ، ولقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبي (صلي الله عليه وآله) حتى فزع الجن والإنس والشياطين ، وقالوا : حدث في الأرض حدث ؛ ولقد رؤيت الملائكة ليلة ولد تصعد وتنزل ، وتسبح وتقدس ، وتضطرب النجوم وتنساقط علامة ميلاده .

ولقد همّ إبليس بالظعن في السماء لما رأى من الأعاجيب في تلك الليلة ، وكان له مقعد في السماء الثالثة ، والشياطين يسترقون السمع ، فلما رأوا المعجائب أرادوا أن يسترقوا السمع ، فلإذا هم حُجبوا عن السماوات كلّها ، ورُموا بالشهب دلالة [جلالة] نبوته (صلي الله عليه وآله) انتهى .

الفصل الثالث

في أحواله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في أيام الرضاع والطفولة

في حديث معتبر عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :

لما ولد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بقي أياماً دون أن يؤق له بلبن يتناوله ، فقربه أبو طالب إلى صدره ، فأرسل فيه الحق تعالى لبناً بقي يرضعه أياماً ، حتى استطاع أبو طالب الوصول إلى حليمة السعدية وتسليمه لها .

وفي حديث آخر قال :

عرض أمير المؤمنين (عليه السلام) على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن يعقد نفسه على بنت حمزة ، فقال له :

أولاً تعلم أنها אחتي في الرضاعة ؟

ذلك أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) رضع مع عمه حمزة من امرأة واحدة .

ويروي ابن شهر آشوب أن ثَوْبَةَ (بضم الثاء المثلثة وفتح الواو) كانت أول من أرضعت الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حين أعطفها أبو لهب ، وبعدها أرضعته حليمة السعدية ، وبقي عندها خمس سنوات ، ولما بلغ السابعة سافر مع أبي طالب إلى الشام ، ويقول بعضهم : كان له من العمر آنذاك اثنتا عشرة سنة ، وأما سفره بتجارة خديجة إلى الشام فحين كان له من العمر خمس وعشرون سنة .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال :
«... ولقد قرن الله به (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من لدن كان قطيباً أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره ؛ ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر

أمه ، يُرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً ، يأمرني بالاعتداء به ، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشمّ ريح النبوة^(١) .

ويروي ابن شهر آشوب والقطب الراوندي وآخرون عن حليلة بنت أبي ذؤيب واسمه عبد الله بن الحارث من قبيلة مضر ، وكانت حليلة زوجة الحارث بن عبد العزّى ؛ تقول حليلة :

في سنة ولادة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عمّ بلادنا القحط والجذب . وقدمت مكة في طائفة من نسوة بني سعد بن بكر ، حيث نأخذ أطفالاً لأهل مكة لإرضاعهم ، وكنت أمطي أناثاً لبعض الطريق ، ومعنا ناقة لا تدرّ ضرعها فطرة لبن ، ومعني طفلي الذي لم يكن في ثديي من اللبن ما نعلّله به ، ولم تكن عيناه تعرفان النوم ليلاً من جوعه ؛ ولما بلغنا مكة لم ترض أي من النسوة بأخذ محمد (صلّى الله عليه وآله) لأنه يتيم ، وكُنّ يطمعن في عطاء الأبناء ؛ ثم إذا بي أرى رجلاً جليلاً ينادي : أينها المرضعات ، أليس فيكن من تأخذ طفلاً مجهولاً ؟ فسألت عنّ يكون هذا الرجل ، قالوا : عبد المطلب بن هاشم سيّد مكة ، فتقدّمت سرعة وقلت : أنا ، قال : من أنت ؟ قلت : امرأة من بني سعد ، واسمي حليلة ؛ فتبسم عبد المطلب وقال : بخ بخ ، خصلتان حسنتان سعدٌ وحلم ، فيها عزّ الدهر وعزّ الأبد .

ثم أردف يقول : أي حليلة ، عندي طفل يتيم اسمه محمد ، ونساء بني سعد لم يقبلنه ، وقلن : يتيم ، ولا يُتصوّر النفع من يتيم ، وما أشبهك في هذا العمل بي إذ كنت طفلاً مجهولاً ؛ فقبلته ، ثم قدمت معه بيت آمن ، ولما وقعت عليها عيني راعني جمالها ، ثم أخذت هذا اليتيم ، وما أن ضممته إلى صدري ونظر إليّ حتى رأيت نوراً يسطع من عينيه ، ورغب قرة عين أصحاب اليمين بشديي الأيمن . وتناوله ، راغباً عن الثدي الأيسر ، فتركه لابني ، وامتلأ الثديان - ببركته - باللبن ، فرضعنا حتى ارتويا .

ولما قدمت به إلى زوجي ، جرى اللبن في أئداء ناقتنا ببركته ، حتى أشبع أطفالنا ، فقال زوجي : لقد جئتنا بطفل مبارك ، تدفقت علينا النعمة ببركته ؛ وفي الصباح أركبته على أناث لنا ، فاتجهت إلى الكعبة وبمعجزة منه سجدت ثلاث سجديات ونطقت قائلة : لقد شفيت ببركته من السقم ، وتخلصت من الإعياء ببركة أنّ عليّ ظهري سيّد المرسلين ، وخاتم النبيّين ، وخير السابقين واللاحقين ؛ وانطلقت - رغم ضعفها - رهواً حتى جاوزت كل ما كان برفقتنا من المطايا ، وكان ما طرأ من تبدّل على أحوالنا موضع تعجب الجميع ، وكان كل يوم يأتي منه

بالمزيد ، فإذا عادت مواشي القبيلة من المرعى جائعة ، عادت مواشينا شبعة ممتلئة الضروع ؛ مررنا في طريقنا بفشار ، أطلّ منه رجل يسطع النور من جبينه حتى يبلغ السماء ، فسلم عليه وقال : لقد وكلني الحق تبارك وتعالى برعايته ؛ وظهر أمامنا قطع من الغزلان ، وقلن بلسان فصيح : إنك لا تدريين يا حليلة من تريين ، إنه أظهر المطهرين ، وأطيب الطيبين ؛ وكان كل جبل غمر به يسلم عليه ، وعمت البركة عيشنا وكثرت أموالنا وأثرينا ، وكثرت مواشينا من بركته ؛ وهو لم يحدث قط في ثيابه (بل لم يُر براز يخرج منه) ولم تُر عورته مكشوفة أبداً ، فكنا نرى لباسه يلتصق فوق عورته فيحفظها .

قمت بتريته (صلّ الله عليه وآله) خمس سنوات ويومين ، وسألني يوماً : أين يذهب إخوتي كلّ يوم ؟ قلت : يذهبون لرعي الأغنام ، قال : سارافقهم اليوم . ولما ذهب معهم أخذهم فوج من الملائكة إلى قمة الجبل ، فغسلوه ، فأسرع ابني نحوي وهو يقول : أسرعني إلى عمّد فقد ذهبوا به ، ولما وصلت إليه رأيت نوراً يسطع منه نحو السماء ، فتناولته بيدي أقبله وقلت : ماذا جرى لك ؟ قال : أماء لا تحزنني إن الله معنا . وفاحت منه رائحة أطيب من المسك ؛ وقد رآه كاهن يوماً فهتف يقول : هذا قاهر الملوك ومفرّق الأعراب .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال :

كانوا إذا أحضروا الطعام للأطفال تنازعوا فيها بينهم ، أما هو فكان لا يمدّ إليه يداً ، وكانوا إذا استيقظوا من النوم غمضت عيونهم ، بينما يستيقظ هو بوجه نظيف ورائحة زكية .

كما روى بسند معتبر آخر أنه بينما كان عبد المطلب يجلس يوماً قرب الكعبة ، نادى منادٍ يقول : إنّ ولدًا لحليمة يدعى محمداً قد اختفى ، فغضب عبد المطلب وراح يصيح : أي بني هاشم ، أي بني غالب اركبوا ، فمحمّد (صلّ الله عليه وآله) قد فقد ؛ وأقسم أنه لن يترجّل عن فرسه ما لم يأت بمحمّد ، أو يقتل ألف أعرابي ومئة قرشي ، وراح يطوف حول الكعبة ويقول :

يا ربُّ ربِّ رَاكِبِي محمّداً رَدّاً إِلَيَّ واتَّخِذْ عِنْدِي بَدَا
يا ربُّ إنّ محمّداً لم يوجداً فجمعُ قومي كلُّهم تبسّداً

فسمع نداء يقول : إنّ الحقّ تبارك وتعالى لن يضيّع محمداً ، فسأل : وأين هو ؟ فوصل النداء : إنه في الوادي الغلاني تحت شجرة أمّ غيلان الشوكية ، ولما قدمنا ذلك الوادي رأينا يتناول من شجرة الشوك وطباً غنية بالماء ويأكلها ، وإلى جانبه يقف شابان ابتعدا لما اقتربنا ، وكانا جبرئيل وميكائيل ، فسألناه من أنت ؟ فأجاب : أنا ابن عبد الله بن عبد المطلب ، فرفعه عبد المطلب فوق كتفه وعادوا به ، ثم طاف به سبعة أشواط حول الكعبة ، واحتجم عند أمانة

كثير من النساء مواساة لها ، ولما قدم به إلى البيت انطلق إلى أمّه دون أن يلتفت إلى الآخرين . وإجمالاً فحين دخوله على أمه انصرفت إليه أم أيمن الحبشية تعتني به وترعاه ، وكانت جارية لعبد الله ، ثم انتقلت بالميراث إلى النبي (صلّى الله عليه وآله) ، وكانت إذا لم تراه شكت الجوع والعطش ، فإذا شربت شربة من زمزم ، كفتها حتى وقت العشاء ، وكثيراً ما كان يقدم لها الطعام فلا تأكله .



الفصل الرابع

فجد وصف خَلْقَةِ رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله)

وشمالته وصفاته الشريفة

إنَّ من أراد الحديث عن شمائل رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) كان كمن يحاول أن يكيل البحر بقدح ، أو كمن يحاول إدخال الشمس من كوة البيت ؛ غير أنَّي - حرصاً مني على ما يفرضه الواجب من كمال الكتاب - سأشير إليها بإيجاز هو ديدن هذا الكتاب .

اعلم أن رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) « كان فخماً مفخماً ، يتلألاً وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربع ، وأقصر من المشدَّب^(١) ، عظيم الهامة ، زَجَل الشعر^(٢) ، إذا انفردت عقيفته فرق ، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وقره^(٣) ؛ أزهر اللون ، واسع الجبين ، أَرْجُ الحاجبين^(٤) ، سوابغ في غير قرن^(٥) ، بينهما عرق يدرّ الغضب ، أفتى

(١) المشدَّب ، على وزن معظَم : البائن الطول في نحافة ، الحسن الخلق .

(٢) الشعر الرَجُل : ما كان بين الجعودة والاسترسال .

(٣) كان خلق الشعر في ذلك العهد مستقيحاً ، ولا يحسن أن يصدر عن النبي والإمام ما يستقبحه النظر ، ولما جبَّ الإسلام ذلك ، صار الأئمة (عليه السلام) يملقون رؤوسهم .

وإجمالاً فقد كانت شمائله (صَلَّى الله عليه وآله) من الحسن والصبابة والاعتدال - حديث الأفاق وسمر أهل الأرض ، ويروى عن ابن عباس أنه (صَلَّى الله عليه وآله) ما قورن نوره بنور الشمس إلا وكان نور الشمس الأضعف ، وما جلس مرة قرب مصباح إلا وكان نور المصباح نجو ؛ وحديث أم معبد في ذلك معروف ؛ وقد اشتهر عن السيدة خديجة في مدحه قولها :

جاء الحبيب الذي أهواه من سفر والشمس قد أثرت في وجهه أثرا
عجبت للشمس من تقليل وجته والشمس لا ينبغي أن تدرك الغمرا

كما ينسب إلى تلك القاضلة (وينسب بعضهم إلى السيدة عائشة) قولها :

نواحي زليخا لو رأين جبينه لأثرن بالقطع القلوب على الأيدي
ولو سمعوا في مصر أوصاف وجهه لما بذلوا في سوم يوسف من نقب

(٤) أَرْجُ الحاجب : رقيقه في طول .

(٥) القرن : الطرف الشاخص من كل شيء .

العرين^(١)، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع^(٢) القم، أشنب، مفلج^(٣) الأسنان، دقيق المسربة^(٤)، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق بادناً متهاكماً، سواء البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس^(٥)، أنور المتجرّد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن وما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر، طويل الزندين، رجب الراحة، شش^(٦) الكفين والقدمين، سائل الأطراف، سبط العصب، خمسان الأخصين^(٧)، فسيح القدمين ينبوعها الماء، إذا زال زال ثقلها، يخطو نكفاً ويمشي هوناً، ذريع المشية^(٨)، إذا مشى كأنها ينحط من صيب^(٩)، وإذا التفت التفت جميعاً؛ خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلّ نظره الملاحظة، ييدر من لقيه بالسلام.

كان (صلّى الله عليه وآله) متواصل الأحزان، دائم الفكرة ليست له راحة، ولا يتكلّم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، يتكلّم بجوامع الكلم فضلاً لا فضول فيه، ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي ولا بالمهين، تعظم عنده النعمة وإن دقت، لا يذمّ منها شيئاً، غير أنه كان لا يذمّ ذوقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا توطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى يتصرّ له، وإذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجّب قلبها، وإذا تحدّث قارب يده اليمنى من اليسرى؛ فضرّب بإبهام اليمنى راحة اليسرى، وإذا غضب أعرض بوجهه وأشاح، وإذا فرح غصّ طرفه؛ وجُلّ ضحكه التبسّم، يفتّر عن مثل حبّ الغمام.

وكان من سيرته في الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاعل ويشغلهم في ما

(١) العرين: الأنف، وفي الأنف: ارتفع وسط قصبته وضاق منخراه، فهو أنفى.

(٢) ضليع القم: عظيمه قوته.

(٣) المفلج من الأسنان: المنفرج.

(٤) المسربة: مجرى الدمع.

(٥) الكراديس: جمع كردوسة وهي كل عظم تكرر اللحم عليه، أو كلّ عظمين التغايا في مفصل.

(٦) الشش: من كان غليظ اللحم.

(٧) الأخص: وسط القدم، وخمسان: ضامر، والمعنى أنّ قدميه ضامرتا الوسط غير مسطّحتين.

(٨) يقال: ذرع في المشي إذا حرّك ذراعيه.

(٩) الصيب: ما انحدر من الأرض أو الطريق.

أصلحهم وأصلح الأمة ، من مسألته عنهم ، وإخبارهم بالذي ينبغي ، ويقول : ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته . . يدخلون رواداً ولا يفترون إلا عن ذواق ، ويخرجون أدلة فقهاء .

كان (صلى الله عليه وآله) يحزن لسانه إلا عما يعنيه ، ويؤلفهم ولا ينفهم ، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه ؛ ويتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهنه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا ، ولا يقصر عن الحق ، ولا يجوزوه الذين يلونه من الناس ؛ خيارهم أفضلهم عنده ، وأعمهم نصيحة للمسلمين ؛ وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواسة ومؤازرة .

كان (صلى الله عليه وآله) لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ، ولا يوطن^(١) إلا ماكن وينهى عن إبطائها ؛ وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ؛ ويعطي كلًّا من جلسائه نصيباً ، حتى لا يحسب أحد من جلسائه أن أحداً أكرم عليه منه ؛ من جالسه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، من سألته حاجة لم يرجع إلا بها أو يمسور من القول ؛ قد وسع الناس منه خلقه ، وصار لهم أباً رحيماً ، وصاروا عنده في الحق سواء .

مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة ، ولا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤين^(٢) فيه الحرم ، ولا تثنى فلتاته ، متعادلين متواصلين فيه بالتقوى ، متواضعين يوقرون الكبير ، ويرحمون الصغير ، ويؤثرون ذا الحاجة ، ويحفظون الغريب .

كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب ، ولا فحاش ولا عياب ، ولا مزاح ولا مداح ؛ يتغافل عما لا يشتهي فلا يؤيس منه ، ولا يجيب فيه مؤمله ؛ قد ترك نفسه من ثلاث ؛ المراء والإكثار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث ؛ كان لا يذم أحداً ولا يعبره ولا يطلب عثراته ولا عورته ، ولا يتكلم إلا في ما رجا ثوابه ؛ إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، وإذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعون عنده الحديث ، وإذا تكلم عنده أحد أنصتوا له حتى يفرغ من حديثه ؛ يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في المسألة والمنطق ، حتى أن كان أصحابه ليستجلبونهم ، ويقول : إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه ؛ ولا يقبل الشاء إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد كلامه حتى يجوزوه فيقطعه بنهي أو قيام .

(١) يوطن المكان : يتخذ له وطناً ، أي يختص به .

(٢) تؤين بشي : عابه واتهمه به .

وفي الخبر أن شاباً قدم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال :

هل ترخص لي بالزنى ؟ !

فاندفع الصحابة ينهرونه ، لكن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : أدن مني .

تقدم الشاب منه ، فقال له :

أتحب أن يزي أحد بأهلك ، أو بأختك وابنتك ، أو بعمّاتك وخالاتك وذوات قرباك ، وهل تأذن بذلك ؟ .

قال الشاب : لا ، لا أرضى بذلك .

قال (صلى الله عليه وآله) : فجميع عباد الله كذلك .

ثم وضع يده المباركة على صدره وقال :

« اللهم اغفر ذنبي ، وطهر قلبي ، وحصن فرجي » .

فلم يُر بعدها مع أجنية قط .

ويروى نقلاً عن سيرة ابن هشام أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث بسريّة إلى بني طيء ، وتمّ لهم الفتح ، وعادوا إلى المدينة بالأسرى ، وكانت فيهم ابنة حاتم الطائي ، فما أن بصرت برسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى بادرت بالقول :

« يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن عليّ ، من الله عليك » .

ومرادها أن أباه حاتماً قد مات ، وأن أخاه عُدياً بن حاتم قد فرّ إلى الشام .

لكن النبي (صلى الله عليه وآله) أمسك عن الجواب ، حتى مضى اليوم الأول والثاني ، وفي اليوم الثالث أمر بإحضارها ، فأشار إليها أمير المؤمنين (عليه السلام) بأن تكرر عرض شكائتها ، ففعلت وأعدت قولها ، فأجابها الرسول الأكرم بأنه يرصد وصول قافلة مأمونة ليعيدها إلى قومها ، وعفا عنها .

وتلك كانت سيرته (صلى الله عليه وآله) مع الكفار .

ويروي أرباب السير في سيرته ، (صلى الله عليه وآله) أنه كان إذا بعث بالجند أوصاهم ووعظهم فقال :

أذهبوا على اسم الله ، واستقيموا بالله ، وجاهدوا الله وعلى ملة رسول الله .

أيها الناس ، اجتنبوا المكر ، ولا تستحلوا السرقة في الغنائم ، ولا تمثّلوا بمن يقتل من الكفار ، فلا تسمّلوا عيناً ، ولا تقطعوا أذنًا أو عضواً ؛ ولا تؤذوا شيخاً أو امرأة أو طفلاً ؛ ولا تقتلوا راهباً سكن في كهف أو غار ؛ ولا تقطعوا شجرة من أصلها إلّا لضرورة ، ولا تحرقوا نخلة ، ولا تفرقوا بالماء زرعاً ، ولا تقلعوا شجرة مثمرة ، ولا تحرقوا الحرث والزرع ، فإنتم له محتاجون ؛ ولا تهلكوا حيواناً حلّ لحمه ، إلّا ما كان نصيباً للقوت ؛ ولا تسمّموا ماء المشركين أبداً ، ولا تلجأوا إلى الخيلة .

هذا ولم يكن أعداؤه يلقون منه سوى هذا اللون من المعاملة ، ولم يكن يغير ليلاً ، وكان يرى جهاد النفس فوق كل جهاد ، ويروى أنّه (صلى الله عليه وآله) بعث سرّية ، فلمّا رجعوا قال :

« مرحباً بكم قضا الجهاد الأصغر ، وبقي عليهم الجهاد الأكبر » .

قيل : يا رسول الله ، وما الجهاد الأكبر ؟ .

قال : « جهاد النفس » .^(١)

وفي رواية معتبرة : أنه سئل عمّا أسرع بالشيب إلى فوديه ، فقال :

شيتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعمّ يتساءلون ؛ ففيها أخبار القيامة ، وعذاب الأمم الغابرة .

ويروى أنّه لما انتقل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الرفيق الأعلى ، لم يترك وراءه درهماً ولا ديناراً ، ولا غلاماً ولا جارية ، ولا شاة ولا بعيراً ، غير مطيّة ؛ وكانت درعه - عند موته - رهينة عند يهودي من يهود المدينة لقاء عشرين صاعاً من الشعير اقترضها لطعام عياله .

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) قال : نزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : إن الله جلّ جلاله يقرئك السلام ويقول لك : هذه بطحاء مكة إن شئت أن تكون لك ذهباً ، قال : فنظر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى السماء ثلاثاً ثم قال :

لا يا رب ، ولكن أشبع يوماً فأحمدك ، وأجوع يوماً فأسألك .

وقال (عليه السلام) : ما شبع النبي (صلى الله عليه وآله) من خبز برّ ثلاثة أيام حتّى مضى ليلته .

وعن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قال :

(١) سفينة البحار : ج ١ ، ص ١٩٥ .

« كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ ، إِذْ جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ وَمَعَهَا كَسِيرَةٌ مِنْ خَبْزٍ ، فَدَفَعَتْهَا إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، فَقَالَ النَّبِيُّ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) : مَا هَذِهِ الْكَسِيرَةُ ؟ قَالَتْ : قُرْصُ خَبِزَتِهِ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ جِئْتُكَ مِنْ هَذِهِ الْكَسِيرَةِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : يَا فَاطِمَةُ أَمَا إِنَّهُ أَوَّلُ الطَّعَامِ دَخَلَ جَوْفَ أَبِيكَ مِنْذُ ثَلَاثٍ . »

وعن ابن عباس أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَانَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَقْبِضُ عَلَى اللَّحْمِ بِيَدِهِ ، وَإِذَا دَعَا غُلَامًا إِلَى خَبْزِ الشَّعِيرِ فِي بَيْتِهِ أَجَابَهُ .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَانَ يَحْمَدُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثُمِئَةً وَسِتِينَ مَرَّةً ، عَدَدَ عُرُوقِ الْجَسَدِ ، يَقُولُ :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَثِيرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ . »

وعن المجلسي أَنَّهُ كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ - وَإِنْ خَفَ - حَتَّى يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً .

وكان (صلى الله عليه وآله) يستغفر الله - عز وجل - كل يوم سبعين مرة ، ويتوب إليه سبعين مرة .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :

« أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَشِيَّةَ خَمِيسٍ فِي مَسْجِدِ قُبَا ، فَقَالَ : هَلْ مِنْ شَرَابٍ ؟ فَآتَاهُ أَوْسُ بْنُ خُوَلَّى الْأَنْصَارِيُّ بَعْضَ نَحِيضٍ بِعَسَلٍ ، فَلَمَّا وَضَعَهُ عَلَى فِيهِ نَحَاءً ثُمَّ قَالَ : شَرَابَانِ يُكْتَفَى بِأَحَدِهِمَا مِنْ صَاحِبِهِ ، لَا أَشْرَبُهُ وَلَا أَحَرِّمُهُ ؛ وَلَكِنْ أَتَوَاضَعُ لِلَّهِ ، فَإِنَّ مِنْ تَوَاضَعٍ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ خَفَضَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ اقْتَصَدَ فِي مَعِيشَتِهِ رَزَقَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ بَذَرَ حَرَمَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ أَحَبَّهُ اللَّهُ . »

ويروى بسند صحيح عن الإمام الصادق (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَوَّلَ مَا بُعِثَ يَصُومُ حَتَّى يُقَالَ : مَا يَفْطُرُ ؟ وَيَفْطُرُ حَتَّى يُقَالَ : مَا يَصُومُ ؟ ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ وَصَامَ يَوْمًا وَأَفْطَرَ يَوْمًا ، وَهُوَ صَوْمُ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ؛ ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ وَصَامَ الثَّلَاثَةَ الْأَيَّامَ الْغَرَّ (الْبَيْضَ) ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ وَفَرَّقَهَا فِي كُلِّ عَشْرَةِ يَوْمًا : خَمِيسَيْنِ بَيْنَهُمَا أَرْبَعَاءَ ، فَقَبِضَ (عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ) وَهُوَ يَقْعُلُ ذَلِكَ . »

وكان (صلى الله عليه وآله) يصوم شعبان كله ، ويقول : « شعبان شهري . »

يقول ابن شهر آشوب (رحمه الله) عن بعض الآداب الشريفة والأخلاق الكريمة لحافظ الرسالة (صلى الله عليه وآله) :

يظهر من الأخبار المتفرقة أنه (صلّى الله عليه وآله) كان أحكم الناس وأحلمهم وأشجعهم وأعدلهم وأعطفهم ، لم تمس يده امرأة لا تحل ، وأسخطى الناس ، لا يثبت عنده دينار ولا درهم ، فإن فضل ولم يجد من يعطيه - ويحتمه الليل - لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه ، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من يسير ما يجد من التمر والشعير ، ويضع سائر ذلك في سبيل الله ؛ ولا يسأل شيئاً إلا أعطاه ، ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه ، حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأنه شيء .

وكان يجلس على الأرض ، وينام عليها ، ويأكل عليها ؛ وكان يخفف العمل ، ويرفع الثوب ، ويفتح الباب ، ويحلب الشاة ، ويعقل البعير فيحلبها ، ويطحن مع الخادم إذا أعيا ، ويضع ظهوره بالليل بيده ، ولا يتقدمه مطرق (أي كان أكثر الناس إطفافاً إلى الأرض حياة) ، ولا يجلس متكئاً ، ويخدم في مهنة أهله ، ويقطع اللحم .

وإذا جلس على الطعام جلس عقرأ ، وكان يقطع أصابعه (يلعقها ويمصها) ، ولم يتجشأ قط .

ويحب دعوة الحر والعبد ولو على ذراع أو كراع ، يقبل الهدية - ولو أنها جرة لبن ، ويأكلها ، ولا يأكل الصدقة ، لا يثبت بصره في وجه أحد ، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ، يأكل ما حضر ، ولا يرد ما وجد ، لا يلبس ثوبين ، يلبس بُرداً حبرة مينة ، وشملة جبة صوف ، والغليظ من القطن والكتان ، وأكثر ثيابه البياض ، ويلبس العمامة ، ويلبس القميص من قبل ميامنه ، وكان له ثوب للجمعة خاصة ، وكان إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً ، وكان له عباء يفرش له حيثما ينقل يثني ثنيتين ، يلبس خاتم فضة في خنصره الأيمن .

يحب البطيخ ، ويكره الريح الرديئة ، ويستاك عند الوضوء ، يردف خلفه عبده أو غيره ؛ يركب ما أمكنه من فرس أو بغلة أو حمار .

وقال : كان (صلّى الله عليه وآله) يشيع الجنائز ، ويعود المرضى في أقصى المدينة ، يجالس الفقراء ، ويؤاكل المساكين ويناولهم بيده ، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ، ويتألف على أهل الشرف بالبرّ لهم ؛ يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على غيرهم إلا بما أمر الله ؛ ولا يجفو على أحد ، يقبل معذرة المعتذر إليه ؛ وكان أكثر الناس تبساً ما لم ينزل عليه قرآن أولم تجر عظة ، وربما ضحك من غير قهقهة ؛ لا يرتفع على عبيده وإمائه في مأكول ولا ملبس ، ما شتم أحداً بشتمه ، ولا لعن امرأة ولا خادماً بلعنة ؛ ولا لاموا أحداً إلا قال : دعوه ، ولا يأتيه أحد - حرّ أو عبد أو أمة - إلا قام معه في حاجته ، لا فظ ولا غليظ ، ولا صحّاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يغفر ويصفح .

يبدأ من لقيه بالسلام ، ومن رآه بحاجة صابرة حتى يكون هو المتصرف ؛ ما أخذ أحد يده فبرسل يده حتى يرسلها ، وإذا لقي مسلماً بدأ بالمصافحة ؛ وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله ، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي - إلا خفف صلاته ، وأقبل عليه وقال : ألك حاجة ؟ . . . يجلس حيث ينتهي به المجلس ، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة ، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه ، ويؤثر الداخل بالوسادة التي تحته ؛ وكان في الرضى والغضب لا يقول إلا حقاً .

كان يأكل الفتاء بالربط والملح ، وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب ، وأكثر طعامه الماء والتمر ، وكان يتمتع (يأكل جمعاً) اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين ؛ وكان أحب الطعام إليه اللحم ، ويأكل الثريد باللحم ، وكان يحب القرع ، وكان يأكل لحم الصيد ولا يصيده ، وكان يأكل الخبز والسمن ، وكان يحب من الشاة الذراع والكنتف ، ومن القدر (الحساء) القرع ، ومن الصباغ (الإدام) الخل ، ومن التمر العجوة ، ومن البقول الهندباء والبادروج (من البقول) ، والبقلة اللينة .

يقول الشيخ الطبرسي إن تواضعه (صلى الله عليه وآله) بلغ حداً أنه في يوم خيبر ويسم بني قريظة وبني النضير كان على حمار مخطوم بحيل من ليف تحته إكاف من ليف ، وكان يسلم على النساء والأطفال .

وعن ابن مسعود قال : أتى النبي (صلى الله عليه وآله) رجل يكلمه فأرعد ، فقال (صلى الله عليه وآله) : « هَوْن عليك ، فلست بملك ، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القذ » .

وعن أنس قال : « خدمت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشر سنين ، فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته ، لم صنعت ولا لشيء تركته لم تركته » .

وعن أنس أيضاً : « كانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) شربة يفرط عليها ، وشربة للسحر ، وربما كانت واحدة ، وربما كانت لبناً ، وربما كانت الشربة خبزاً يماث ؛ فهأتها له (صلى الله عليه وآله) ذات ليلة ، فاحتبس النبي (صلى الله عليه وآله) فظننت أن بعض أصحابه دعاه ، فشربتها حين احتبس ؛ فجاء (صلى الله عليه وآله) بعد العشاء بساعة ، فسألت بعض من كان معه : هل كان النبي (صلى الله عليه وآله) أقطر في مكان ، أو دعاه أحد ؟ فقال : لا . فبت ليلة لا يعلمها إلا الله من غم [خوف] أن يطلبها مني النبي (صلى الله عليه وآله) ولا يجدها ، فبييت جائعاً . فأصبح صائماً ، وما سألني عنها ، ولا ذكرها حتى الساعة » .

يقول المطرزي : كان لأنس بن مالك أخ لأمه يقال له « أبو عمير » ، وذات يوم رآه

النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وهو مغموم ، فسأله عَمَّابُهُ ، فقال : مات تُغَيْرُ ! (وهو فرح دجاج كان عنده فمات) فأجابهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مازحاً :

« يا أبو عُمَيْر ، ما فعلَ التُّغَيْرُ ؟ » .

وروي أَنَّهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان في سفر ، فأمر بإصلاح شاة ، فقال رجل : يا رسول الله ، عليّ ذبحها ، وقال الآخر : عليّ سلخها ، وقال آخر : عليّ طبخها ؛ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (: وعليّ جمع الخطب .

فقالوا : يا رسول الله ، نحن نكفيك .

فقال : « قد علمت أنكم تكفونني ، ولكن أكره أن أتميّز عليكم ، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميّزاً بين أصحابه » . وقام فجمع الخطب .

وروي أيضاً : كان خدام المدينة يأتون رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) - إذا صَلَّى الغداة - بأنيتهم فيها الماء ، فما يؤق بأنية إلا غمس يده فيها ، وربما كان ذلك في الغداة الباردة ؛ يريدون به التبرّك .

وكان يؤق بالصبي الصغير ليدعوله ، أو يسمّيه ؛ فيأخذه فيضعه في حجره تكمّراً لأهله ، فربّما بال الصبيّ عليه ، فيصيح بعض من رآه حين بال ؛ فيقول : « لا ترموا الصبيّ » .

فيدعه حتّى يقضي بوله ، ثم يفرغ له من دعائه أو تسميته ، فيبلغ سرور أهله فيه ، ولا يرون أَنَّهُ يتأذى ببول صبيّهم ؛ فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعد .

وفي الخبر أَنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) صاحبَ رجلاً ذمياً في سفر ، فقال له الذمي : أين تريد يا عبد الله ؟ فقال : أريد الكوفة .

فلما عدل الطريق بالذميّ عدل معه أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقال له : أأنت زعمتَ أَنَّك تريد الكوفة ؟ فقال له : بلى . فقال له الذميّ : فقد تركت الطريق ! فقال له : قد علمت ، قال : فلم عدلت معي وقد علمتَ ذلك ؟ فقال أمير المؤمنين :

هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه ، وكذلك أمرنا نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) .

فقال له الذميّ : هكذا قال ؟ قال نعم . قال الذميّ :

لا جرم أنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة ؛ فأنّا أشهدك أنّي على دينك .

ورجع الذمي مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فلما عرفه أسلم .

ولنعم ما قال البصري :

عَمَدُ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ وَالشَّقَلِيَّينِ مِنْ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ
فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خُلُقٍ وَفِي خُلُقٍ وَلَمْ يَدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مَلْتَمَسٌ غَرَفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ السَّيْمِ
فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِيءُ النَّسَمِ
فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

وعن أنس أنه قال : خدمت النبي (صلى الله عليه وآله) عشر سنين ، فيما قال لي قط :
هَلَا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قط . وشممت العطر كله فلم أشم نكهة أطيب من
نكهته . وما أخرج ركبتيه بين جليسي له قط . أدركه أعرابي فأخذ بردانه فجذبه جذبة شديدة ،
حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد أثرت به حاشية الرداء من
شدة جذته ، ثم قال له : يا محمد ، مُر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه رسول الله
(صلى الله عليه وآله) وضحك ، وأمر له بمطاء ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَمَعْلَى خَلْقٍ
عَظِيمٍ ﴾ .

وعن ابن عباس ، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : « أنا أديب الله ، وعليّ
أديبي ؛ أمرني ربي بالسخاء والبر ، ونهاني عن البخل والجفاء ، وما شيء أبغض إلى الله (عزّ
وجل) من البخل وسوء الخلق . . . » .

وقد بلغت شجاعته (صلى الله عليه وآله) حداً جعل أسد الله الغالب (عليه السلام)
يقول : « كُنَّا إِذَا أَحْمَرُ الْبَاسِ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى
الْعَدُوِّ مِنِّي » .

وعن ابن عباس قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا حَدَّثَ الْحَدِيثَ أَوْ سَأَلَ
عَنِ الْأَمْرِ كَرَّرَهُ ثَلَاثًا لِيَفْهَمُ وَيُفْهَمَ عَنْهُ .

ويروى أنه (صلى الله عليه وآله) كان لا يتناول الثوم والبصل والبقول والخضار ذات
الرائحة الكريهة ، وهو لم يذم طعاماً قط ، فما استطابه أكله ، وإلا تركه .

وكان إذا أكل مع القوم كان أوّل من يبدأ ، وآخر من يرفع يده ؛ وكان إذا أكل ، أكل
مما يليه ، فإذا كان الرطب والتمر جالت يده ؛ وكان إذا شرب بدأ فسقى ، وحسا حسوة
وحوتين ، ثم يقطع فيحمد الله ، ثم يعود فيسقي ، ثم يزيد في الثالثة ، ثم يقطع فيحمد

الله ، وكان يَمَصُّ الماء مَصًّا ، ولا يَغْتَبِ عَبًّا ؛ وكان رَمَبَا شرب بنفس واحد حتى يفرغ ؛ وكان (صَلَّى الله عليه وآله) يشرب في أقداح القوارير ، ويشرب في الأقداح التي تتخذ من الخشب ، وفي الجلود ، ويشرب في الخزف ، ويشرب بكفِّيه ؛ وكان يأكل بأصابعه الثلاث : الإبهام ، والتي يليها ، والوسطى ؛ وربما استعان بالرابعة ، ولم يأكل بإصبعين قط ؛ وكان يغسل يديه من الطعام حتى يَنْقِيَهَا ، فلا يوجد لما أكل ريع ؛ وكان (صَلَّى الله عليه وآله) إذا أكل الخبز واللحم خَاصَةً غسل يديه غسلًا جَيِّدًا ، ثم مسح بفضل الماء الذي في يده وجهه ؛ وكان لا يأكل وحده ما أمكنه .

وكان (صَلَّى الله عليه وآله) إذا غسل رأسه ولحيته غسلها بالسدر ، وكان يحب الدهن ويكره الشعث ، طيب ريع عرقه يفوق كل المعطور ، والريح الكريهة لا تبلغ مشامته قط ، ريقه المبارك يعطي البركة لكل ما يقع عليه ، وإذا دهن به المريض شفي .

وكان (صَلَّى الله عليه وآله) إذا استأذن ، استأذن ثلاثاً ، ولا يقبل أن يقف أحد أمامه وهو جالس ، وكان يجيد التحدث بكل لسان ، قادراً على القراءة والكتابة ، وإن كان لم يخط شيئاً قط ؛ وكان لا يَمُرُّ بحجر ولا شجر إلَّا سلَّم عليه ، والذباب والبعوض وأمثالها لا تحطُّ عليه قط ؛ ولا يطير عنه الطير ، إذا مشى لم يكن لقدمه أثر على الأرض اللينة ، فإذا وطئ صحراً خلفت عليه أثراً ؛ ومع تواضعه الجسم ، فله في القلوب مهابة ، والأنظار لا ترتفع إليه ؛ وكان يقول : « خمس لا أدعهنَّ حتى الممات : الأكل على الحضيض مع العبيد ، وركوب الحصان مؤكفاً ، وحلب العزبيدي ، ولبس الصوف ، والتسليم على الصبيان » .

وقد روي أنه (صَلَّى الله عليه وآله) كان يمزح ، ولا يقول إلَّا حقاً .

ويروي أنه استدبر رجلاً من ورائه ، وأخذ بعضده وقال : من يشتري هذا العبد ؟ !
يعني أنه عبد الله .

وقال لامرأة ذكرت زوجها : أهذا الذي في عينيه بياض ؟ فقالت : لا ، ما بعينه بياض . وحكت لزوجها فقال : أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها ؟

وقالت عجوز من الأنصار للنبي (صَلَّى الله عليه وآله) : أدع لي بالجنة ، فقال (صَلَّى الله عليه وآله) : إنَّ الجنة لا يدخلها العَجِز ، فبكت المرأة ، فضحك النبي (صَلَّى الله عليه وآله) وقال : أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً ﴾ (١) ؟

وحكاية مزاحه (صلّى الله عليه وآله) مع عجوز أخرى ومع بلال وابن عباس وآخرين معروفة .

ويروي ابن شهر آشوب أن امرأة شكت إلى النبي (صلّى الله عليه وآله) أن رجلاً قبلها ، فأرسل إليه ، فاعترف وقال : إن شاءت أن تقتصّ فلتقتصّ ! فتبسّم رسول الله وأصحابه ، وقال أولاً تعود ؟ فقال : لا والله يا رسول الله ، فتنجاوز عنه .

يقول المؤلف : إذا تدبّر العاقل وتأمل ما ذكرناه من حسن أخلاق الرسول (صلّى الله عليه وآله) وحيد خصاله ، علم يقيناً أنه نبي بالحق ، وأن هذه الأخلاق الشريفة ليست إلا إعجازاً ، ذلك أنه (صلّى الله عليه وآله) نشأ وترعرع بين قوم تجردوا عن كل خلق حسن ، تدور عاداتهم حول العصبية والعناد والتنازع والتغاير والتحاسد والفساد ، فتراهم في الحج يطوفون حول الكعبة ويتنافزون عراً يصفرون ويصرخون ، كما حكى عنهم الحق تعالى بقوله :

﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتضديعاً ﴾^(١).

فمن كانت عبادتهم على هذه الشاكلة ، علم كيف تكون سائر أحوالهم ، والحال أنه بعد مضي ما يتوف عن ألف وثلاثمائة عام على مبعثه (صلّى الله عليه وآله) ، وما أُنتم به الشريعة المقدسة - طوعاً وكراهاً - من إصلاح ، فمن يراهم يدرك أي مرتبة من الإنسانية قد بلغوا ، وفي أي مرحلة من الآدمية هم ؛ ورسول ، (صلّى الله عليه وآله) نشأ بين ظهري قوم كهؤلاء الأعراب ، وقد اتّصف بكل خلق حميد من علم وحلم وكرم ، وعفة وشجاعة وجود ، ومروءة وغيرها من صفات الكمال التي دَبّج العلماء في تعدادها ووصفها المؤلفات ، فلم يحيطوا بعشر أعشارها معترفين بمعجزهم عن بلوغ شأوها ، والله هو العالم .



الفصل الخامس

في ذكر شطر من معجزات رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)

اعلم أنه كانت لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) معجزات لم تكن لغيره من الأنبياء .
في حين ظهرت على يديه معجزات تماثل ما ظهر على أيديهم جميعاً .
ويذكر ابن شهر آشوب أن معجزاته (صلّى الله عليه وآله) هي أربعة آلاف وأربعمئة
وأربعون معجزة ، ذكر منها ثلاثة آلاف فقط .

يقول الفقير إليه تعالى : إنّ أقوال رسول الله وأحواله وأخلاقه كافة إنما كانت
معجزات ، وخاصّة إخباره بالمغيبات (وستأتي الإشارة إليها إن شاء الله) ، وعلاوة عن
المعجزات التي ظهرت قبل ولادته (صلّى الله عليه وآله) وعند ولادته ، فإن من الظاهر والبيّن
عند المطلعين أن أقوى المعجزات كافة وأيقاها هو القرآن المجيد الذي عجز أهل الفصاحة
والبلاغة مجتمعين عن الإتيان بمثله ، مستسلمين مقرّين بمعجزهم ، وكلّ من لقّق كلمات حاول
بها مضاهاة القرآن انقلب خاسئاً وقد افترض وانكشف ، أمثال مسيلمة الكذاب والأسود
العنسي وغيرهما ؛ فمن كلام مسيلمة الذي يعارض به سورة الذاريات قوله :

« والزرعات زرعاً ، فالخاصدات حصداً ، فالطاحنات طحناً . فالخايزات خبزاً ،
فالأكالات أكلاً » .

وفي معارضة سورة الكوثر قوله :

« أنا أعطيناك الجاهر ، فصلّ لربّك وهاجر ، إن شانئك هو الكافر » .

ومن كلام الأسود في معارضة سورة البروج قوله :

« والسهاء ذات البروج ، والأرض ذات المروج ، والنساء ذات الفروج ، والخيّل ذات

السروج ، ونحن عليها نموج ، فوق اللوى والفلج .
ومن كلامه أيضاً قوله :

« يا ضفدع بين ضفدعين ، نقيّ نقيّ كم تنقيّ ، لا الشاربُ ثمنين ، ولا الماء
تكدرين ، أعلاكِ في الماء وأسفلكِ في الطين » .

فمعجزة القرآن المجيد هي أنّه يفضح - ببلاغته وفصاحته - هذه الكلمات الجافية لمسيلمة
والأسود ، سيّما وهما يدعيان أنّ كلامهما وحى منزل ، ويقراونه أمام كثيرين ، ذلك أن مسيلمة
والأسود عريّان ، وما من عربيّ يقول كلاماً قبيحاً كهذا ، وإن قاله فهو يعلم قبحه ، فلا يقرأه
على أحد .

ومن شاء الاطلاع - بشكل موجز - على إعجاز القرآن فليرجع إلى الباب الرابع عشر من
المجلد الثاني من كتاب (حياة القلوب) . للعلامة المجلسي (رضوان الله عليه) ، ذلك أن
كتابنا هذا لا يتسع لذلك .

وإجمالاً فنحن سنشير في هذا الكتاب المبارك - إن شاء الله - إلى بعض من معجزاته
(صلى الله عليه وآله) .

القسم الأول

المعجزات المتعلقة بالأجرام السماوية مثل شقّ القمر ، وردّ الشمس ، وتظليل الغمام ،
ونزول المطر ، وإنزال مائدة له (صلى الله عليه وآله) بطعامها وفاكهتها من السماء ؛ وغيرها ،
ونكتفي هنا بإيراد أربع منها .

الأولى : شقّ القمر : قال تعالى :

﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آيةً يُعرضوا عنها ويقولوا سحر
مستمر^(١) .

يروى أكثر المفسرين من الخاصّة والعامة أن هذه الآيات نزلت حين طلبت قريش معجزة
من النبي (صلى الله عليه وآله) ، فأشار إلى القمر فانشق نصفين بقدرته الحقّ تعالى ، وفي
بعض الروايات أن هذا كان ليلة الرابع عشر من ذي الحجة .

الثانية : ردّ الشمس : يروي أكثر المفسرين من الخاصّة والعامة بأسناد كثيرة عن أسباء
بنت عميس وغيرها أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث أمير المؤمنين (عليه السلام) في

(١) سورة القمر : الآيتان ٢٠ و ٢١ .

حاجة في غزوة حنين ، وقد صلّى النبي (صلّى الله عليه وآله) العصر ولم يصلّها عليّ ، فلما رجع وضع رأسه في حجر عليّ (عليه السلام) وقد أوحى الله إليه ، فجلّله بثوبه ، فلم يزل كذلك حتى كادت الشمس تغيب ؛ ثمّ إنّه سرّي عن النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال : أصليت يا عليّ ؟ قال : لا . فقال النبي (صلّى الله عليه وآله) : اللهم ردّ عليّ الشمس ، فرجعت حتى بلغت نصف المسجد ، قالت أساء : وذلك بالصهباء .

وهكذا رجع وقت صلاة العصر ، وصلّاها أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم غربت الشمس .

الثالثة : نزول المطر : روى الخاصّة والعامة أيضاً أنه عندما انتمر الأعراب على أذية رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، دعا عليهم بالعذاب ونزول القحط بهم كالقحط في زمان يوسف (عليه السلام) ، فاحتبس المطر عنهم سبع سنين حتى بلغ القحط يثرب ، فأتى قوم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقالوا : يا رسول الله ، إنّ بلادنا قد قحطت ، وتوالت السنون علينا ، فادع الله تبارك وتعالى يرسل السماء علينا .

فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، بالمنبر فأخرج ، واجتمع الناس ، فصعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ودعا ، وأمر الناس أن يؤمنوا ، ونزل المطر والرسول (صلّى الله عليه وآله) يدعو ، واستمر نزوله أسبوعاً ، حتى جاء أولئك نفر بأعيانهم إلى النبي (صلّى الله عليه وآله) فقالوا : يا رسول الله ، ادع الله لنا أن يكفّ السماء عنا ، فإننا كدنا أن نغرق .

فاجتمع الناس ، ودعا النبي (صلّى الله عليه وآله) وأمر الناس أن يؤمنوا على دعائه ، فقال له رجل من الناس : يا رسول الله أسمعنا ، فإنّ كلّ ما تقول ليس نسمع ، فقال : قولوا : اللهمّ حولينا ولا علينا ، اللهمّ صبّها في بطون الأودية ، وفي نبات الشجر ، وحيث يرعى أهل الوبر ، اللهمّ اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً .

وهكذا سالت المياه في الأودية وحول المدينة شهراً ، وقال (صلّى الله عليه وآله) : لله درّ أبي طالب ، لو كان حيّاً لفقرت عيناه ، من ينشدنا قوله ؟

فقام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال : كأنك أردت يا رسول الله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمّال اليناسى عصمة للأرامل
فقال : أجل .

الرابعة : (نزول فاكهة من فواكه الجنة) : روي بسند معتبر عن أمّ سلمة أنّ فاطمة

(عليها السلام) جاءت إلى النبي (صلى الله عليه وآله) حاملة حسناً وحسيناً ، وفخاراً فيه حرية ؛ فقال : أدعي ابن عمك ؛ وأجلس أحدهما على فخذه اليماني والأخر على فخذه اليسرى ، وعلياً وقاطمة أحدهما بين يديه ، والأخر خلفه ، فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي ، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قالها ثلاثاً .

تقول أم سلمة : وأنا عند عتبة الباب ، فقلت : وأنا منهم ؟ فقال : أنت إلى خير . وما في البيت غير هؤلاء وجبرئيل ؛ ثم أغدق عليهم كساء خيبرياً ، فجعلهم به وهو معهم ؛ ثم أتاه جبرئيل بطبق فيه رمان وعنب ، فأكل النبي (صلى الله عليه وآله) فسبح العنب والرمان ؛ ثم أكل الحسن والحسين ، فتناولوا ، فسبح العنب والرمان في أيديهما ؛ ثم دخل (أكل) علي ، فتناول منه ، فسبح أيضاً ؛ ثم دخل رجل من الصحابة ، وأراد أن يتناول ، فقال جبرئيل : إنما يأكل من هذا نبي ، أو ولد نبي ، أو وصي نبي .

القسم الثاني

المعجزات التي ظهرت منه في الجمادات والنباتات ، كتسليم الحجر والشجر عليه ، وتحرك الشجر بامرهم ، وتسبيح الحصى بين يديه ، وحنين جذع النخلة ، وتحول الحطب إلى سيف لعكاشة في موقعة بدر ، ولعبد الله بن جحش في أحد ، وتحول ورق النخل إلى سيف لأبي دجانة بمعجزة منه (صلى الله عليه وآله) ؛ وكيف أن قوائم فرس سراقه ساخت في الأرض حين خرج في طلب النبي (صلى الله عليه وآله) في بداية الهجرة ، وغيرها ؛ ونحن نكتفي هنا بذكر شطر منها :

الأولى : يروي الخاصة والعامة بأسناد كثيرة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يخطب بالمدينة على جذع نخلة في صحن مسجدها ، فقال له بعض أصحابه : يا رسول الله ، إن الناس قد كثروا ، وإنهم يحبون النظر إليك إذا خطبت ؛ فلو أذنت أن نعمل لك منبراً له مراقب ترقاها فيرك الناس إذا خطبت ، فأذن في ذلك .

فلما كان يوم الجمعة مرّ بالجذع فتجاوزه إلى المنبر فصعده ، فلما استوى عليه حن ذلك الجذع حين التكلل ، وأن أنين الجبل . . . فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك نزل عن المنبر ، وأق الجذع فاحتضنه ، ومسح عليه يده . . . فهذا حنينه وأنيته ؛ وعاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى منبره ، ثم قال : معاشر المسلمين ، هذا الجذع يحن إلى رسول رب العالمين ، ويحزن لبعده عنه . . . ولولا أنني احتضنت هذا الجذع ومسحت يدي عليه ما هدا حنينه إلى يوم القيامة .

واشتهرت هذه الشجرة بـ (الحنّانة) ، وبقيت حتى خراب المسجد وتجديد بنائه في عهد بني أمية ، فتم اقتلاعها .

وجاء في رواية أخرى أنه (صلى الله عليه وآله) أمر باقتلاعها ثم دفنها تحت المنبر .

الثانية : ورد في نهج البلاغة وغيره عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته المسماة بالقاصعة أنه قال :

« ولقد كنت معه (صلى الله عليه وآله) لما أتاه الملا من قريش ، فقالوا له : يا محمد ، إنك قد ادّعت عظمياً لم يدّعه أبأوك ولا أحد من بيتك ، ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأرابتنا علمنا أنك نبيّ ورسول ، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب ؛ فقال (صلى الله عليه وآله) : وما تسألون ؟ فقالوا : تدعونا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك ، فقال (صلى الله عليه وآله) : إن الله على كل شيء قدير ، فإن فعل الله لكم ذلك ، أنؤمنون وتشهدون بالحق ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنّي سأريكم ما تطلبون ، وإني لأعلم أنكم لا تفيتون إلى خير ، وإنّ فيكم من يطرح في القلب ، ومن يحزّب الأحزاب .

ثم قال (صلى الله عليه وآله) : يا أيّها الشجرة ، إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر ، وتعلمين أنّي رسول الله ، فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يديّ بإذن الله .

فوالذي بعثه بالحق ، لانتقلت بعروقها ، وجاءت ولها دوّي شديد وقصف كقصف أجنحة الطير ، حتى وقفت بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) مرفرفة ، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبيعض أغصانها على منكبي ، وكنت عن يمينه (صلى الله عليه وآله) .

فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا - علواً واستكباراً - : فمرّها فليأتك نصفها ويبقى نصفها ، فأمرها بذلك ، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دوراً ، فكادت تلتفت برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقالوا - كفرأ وعتواً - : فمرّ هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان ، فأمره (صلى الله عليه وآله) فرجع :

فقلت أنا : لا إله إلا الله ، إنّني أوّل مؤمن بك يا رسول الله ، وأوّل من أقرّ بأنّ الشجرة فعلت ما فعلت - بأمر الله تعالى - تصديقاً بنبيّوك ، وإجلالاً لكلمتك .

فقال القوم كلّهم : بل ساحر كذاب ، عجيب السحر خفيف فيه ، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا ! (يعنونني) .

أقول : إن صاحب (الناسخ) يقول : إن هذه المعجزة التي يروها أمير المؤمنين (عليه

(السلام) عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في تحرّك الشجرة ، إنّما تشبه قصة أبرهة وظهور الأبايل ، ذلك أنه بعدّ علياً (عليه السلام) وصيّاً للنبي (صلّى الله عليه وآله) ، وإماماً مفترض الطاعة ، ويعلم أنّه صادق مصدّق ، وأنّه لم يكن بمقدوره - وهو على منبر الكوفة ، وإمام عشرين ألفاً يستمعون إليه - لم يكن بمقدوره أن يلصق الكذب برسول الله ويقول إنّ النبي دعا الشجرة فاقبلت ، إضافة إلى أنه حين روايته لذلك كان بين الحضور جماعة ممّن شهدوا معه تحرّك الشجرة ؛ وأنه ليس بمقدور أحد تحريف خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، إذ لم يكن أحد على هذا القدر من الفصاحة والبلاغة ، كما أن خطبه (عليه السلام) محفوظة ومضبوطة منذ صدر الإسلام حتى اليوم . انتهى .

الثالثة : روي عن الصادق (عليه السلام) أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أقبل إلى الجعرانة (اسم موضع) فقسّم فيها الأموال (من غنائم موقعة حنين) ، وجعل الناس يسألونه فيعطيههم ، حتى أجاوزه إلى شجرة ، فأخذت برّده ، وخذشت ظهره ، حتى جلوه عنها وهم يسألونه ، فقال : أيّها الناس ، ردّوا عليّ بردي ، والله لو كان عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته بينكم ، ثم ما ألفتيموني جباناً ولا بخيلاً .

ثم خرج من الجعرانة في ذي القعدة . قال : فما رأيت تلك الشجرة إلّا خضراء كأنها برش عليها الماء . (وذلك من بركة ظهره) .

الرابعة : يروي ابن شهر آشوب أن الطفيل بن عمرو نته قريش عن قرب النبي (صلّى الله عليه وآله) ، فحشا أذنيه بكرسف (قطن) لكيلا يسمع صوته ، فكان يسمع ، فأسلم .

ثم قال : يا رسول الله ، إنّ امرؤ مطاع في قومي ، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً على ما أذعوههم إلى الإسلام ، فقال (صلّى الله عليه وآله) : اللهم اجعل له آية ؛ فانصرف إلى قومه إذ رأى نوراً في طرف سوطه كالقنديل .

القسم الثالث

المعجزات التي ظهرت في البهائم ، كتكلّم عجل آل ذريح ، ودعوته الناس إلى الإيمان بنبوّة محمد (صلّى الله عليه وآله) ؛ وتكلّم الأطفال الرضّع معه (صلّى الله عليه وآله) وتكلّم الذئب والبعير والشاة المسمومة وغيرها من الحكايات الكثيرة ، ونحن نكتفي هنا بالإشارة إلى شطر منها .

الأولى : يروي الراوندي وابن بابويه عن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت :

كان النبي (صلّى الله عليه وآله) يمشي في البادية ، فناداه مناد : يا رسول الله ، مرتين ،

فالتفت فلم ير أحداً ؛ ثم ناداه ، فالتفت فإذا هو بظبية موثقة ، (قال : ما حاجتك ؟) فقالت : إن هذا الأعرابي صادني ، ولي خشفان^(١) في ذلك الجبل ، أطلقني حتى أذهب وأرضعها وأرجع ، فقال : وتفعلين ؟ قالت : نعم ، إن لم أفعل عذبني الله عذاب العشار ؛ فاطلقها ، فذهبت فأرضعت خشفيهما ثم رجعت ، فأوثقها ، فأتاه الأعرابي فقال : يا رسول الله أطلقها ، فاطلقها فخرجت تعدو وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك رسول الله .

وفي رواية ابن شهر آشوب أن تلك الظبية كانت قد صاهاها يهودي ، وأنها لما ذهبت إلى خشفيهما قال لها : إن رسول الله قد ضمنك ، وهو في انتظارك ، فلن نرضع حتى نذهب إليه ، فخرجت مع خشفيهما إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأثنت عليه ، وجعلوا يمسحون رؤوسهم به ، فجعل اليهودي يبكي ، ثم أسلم ؛ ثم أطلق الظبية ، واتخذ مسجداً في ذلك الموضع ، ثم طوّق رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعناقها بالسلاسل كعلامة ، وقال : لقد حرّمت لحومكم على الصيادين .

الثانية : يروى بأسناد كثيرة عن جماعة من العلماء عن الصادق (عليه السلام) قال :

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم قاعداً إذ مرّ به بعير ، فبرك بين يديه ورغا ، فقال عمر : يا رسول الله ، أيسجد لك هذا الجمل ؟ فإن سجد لك فنحن أحقّ أن نفعل ؛ فقال : لا ، بل اسجدوا لله ، إن هذا الجمل يشكو أربابه ، ويزعم أنهم أنتجوه صغيراً واعتملوه ، فلما كبر وصار أعور كبيراً ضعيفاً أرادوا نحره . ولو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها .

وفي رواية أنه (صلى الله عليه وآله) أرسل إلى صاحب البعير ، فلما جاء قال له : إن هذا يزعم أنه كان لكم شاباً حتى هرم ، وأنه قد نفعمكم ، وأنكم أردتم نحره ؛ فقال : صدق ، لنا وليمة فأردنا أن ننحروه ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لا تنحروه ودعوه ، قال : فتركوه .

الثالثة : يروي الراوندي وغيره من محدّثي الخاصّة والعامة أن (سفينة) مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال :

خرجت غازياً ، فكُفّري ، ففرق المركب وما فيه ، وأقبلت وما عليّ إلا خرقه قد انزّرت بها ، وكنت على لوح ، وأقبل اللوح يرمي بي على جبل في البحر ، فإذا صعدت وظننت أني

(١) الخشف : ولد الظبي أول ما يولد .

نجوت ، جاءني موجة فانتفتني ، ففعلت بي مراراً ، ثم اني خرجت أستند على شاطئ البحر ، فلم تلحقني (الأمواج) ، فحمدت الله على سلامتي .

فبينما أنا أمشي إذ بصر بي أسد ، فأقبل نحوي يريد أن يفرسني ، فرفعت يدي إلى السماء فقلت : اللهم إني عبدك ومولى نبيك ، نجيتني من الغرق ، أفضّل عليّ سبعك ؟ فألمت أن قلت : أيها السبع ، أنا سفينة مولى رسول الله ، احفظ رسول الله في مولا ، فوالله إنه لترك الزئير ، وأقبل كالسنور يسمح خذّه هذه الساق مرة ، وهذه الساق أخرى ، وهو ينظر في وجهي ملياً ، ثم طأطأ ظهره ، وأومأ إليّ أن أركب ، فركبت ظهره ، فخرج يجنب بي ، فما كان بأسرع من أن هبط جزيرة ، وإذا فيها من الشجر والثمار ، وعين عذبة من ماء ، فدهشت ، وأومأ إليّ أن انزل ، فنزلت ، فبقي واقفاً حذاي ينظر ، فأخذت من تلك الثمار وأكلت ، وشربت من ذلك الماء فرويت ، فعمدت إلى ورقة فجعلتها لي مشرباً واتزرت بها ، وتلحّفت بأخرى ، وجعلت ورقة شبيهة بالزود فملأتها من تلك الثمار ، وبلّلت الخرقه التي كانت معي لأعصرها إذا احتجت إلى الماء فأشربه ، فلما فرغت مما أردت أقبل إليّ ، فطأطأ ظهره ، ثم أومأ إليّ أن أركب ، فلما ركبت أقبل بي نحو البحر ، في غير الطريق الذي أقبلت منه .

فلما جزت على البحر ، إذا مركب سائر في البحر ، فلوّحت لهم ؛ فاجتمع أهل المركب يسبحون وهللون ، إذ يرون رجلاً راكباً أسداً ، فصاحوا : يا فتى من أنت ؟ أجنبي أم إنسي ؟ قلت : أنا سفينة مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، رعى الأسد في حق رسول الله ففعل ما ترون .

فلما سمعوا ذكر رسول الله حطّوا الشراع ، وحلّوا رجلين في قارب صغير ، ودفعوا إليهما ثياباً ، فجاء إليّ ، ونزلت عن الأسد ، ووقف ناحية مطرقاً ينظر ما أصنع ، فرميا إليّ بالثياب وقالا : البسها ، فلبستها ، فقال أحدهما : اركب ظهري حتى أحملك إلى القارب ، أيكون السبع أرعى لحق رسول الله من أمته ؟ فأقبلت على الأسد فقلت : جزاك الله خيراً عن رسول الله ، فوالله لنظرت إلى دموعه تسيل على خذّه ما يتحرك ، حتى دخلت القارب ، وأقبل يلتفت إليّ ساعة ، حتى غبنا عنه .

الرابعة : يروي المحدثون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان إذا أراد حاجة أبعد في المشي ، فأتى يوماً وادياً لحاجة ، فترع خقه وقضى حاجته ، ثم توضأ وأراد لبس خقه ، فجاء طائر أخضر (كان يقال له أخضر قبا) ، فحمل الخف فارتفع به ، ثم طرحه فخرج منه أسود .

وفي رواية أخرى أن الطائر أخذ الحية من خفّه وارتفع بها ، ولهذا السبب نهي (صلى الله عليه وآله) عن صيده .

أقول : إن نظيراً لهذا روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكذلك فإن أبا الفرج يروي عن المدائني أن السيد الحميري وكان يمتطي فرساً ، وقف في كناسة الكوفة وقال : من يذكر منكم فضيلة من فضائل علي (عليه السلام) لم تتضمنها أشعاري فله هذه الفرس وما علي من ثياب ، وأقبل المحدثون يروون أحاديث في فضائله (عليه السلام) والسيد ينشد أشعاره التي تتضمن تلك الفضائل ، حتى أقبل رجل يروي حديثاً عن أبي الزغل المرادي ، قال :

كنت في خدمة أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان منشغلاً بالوضوء للصلاة ، وقد نزع خفيه ، فتسللت حية إلى أحدهما ، وحين أراد لبسه ظهر غراب واختطف الخف وارتفع به ، ثم طرحه ، فخرجت الحية منه .

فما أن سمع السيد حديث الرجل حتى يادر فأعطاه ما وعد ، ثم ضمن هذه الفضيلة في شعره ، وقال :

ألا يا قوم للعجب العجيب الخفُّ أبي الحسين وللحباب
... الأبيات

القسم الرابع

معجزاته (صلى الله عليه وآله) في إحياء الموتى وشفاء المرضى ، والمعجزات التي ظهرت من أعضائه الشريفة ، كإزالة الألم من عين أمير المؤمنين (عليه السلام) ببركة لعابه المبارك ، وإحيائه الغزال الذي أحب لحمه ، وإحيائه جدي رجل من الأنصار كان قد أولمه له ، وتكلم فاطمة بنت أسد - رضي الله عنها - معه في القبر ، وإحيائه الشاب الأنصاري الذي كانت له أم عجوز عمياء ، وشفائه جرح سملة بن الأكوع الذي كان أصيب به في خير ، وعلاجه اليد المقطوعة لمعاذ بن عفراء ، فالتأمت وعادت كحالتها الأولى ، وقدم محمد بن سلمة ، وقدم عبد الله العتيك ، وعين قتادة بعد أن فقت وخرجت من محجرها ، وإشباعه بضعة ألوف من الجند ببضع تمرات ، وإروائه جماعة من الناس مع خيولهم وإبلهم من ماء تفجر من بين أصابعه المباركة ، إلى غير ذلك ، ونكتفي هنا بالإشارة إلى شطر منها .

الأولى : يروي الراوندي والطبرسي وغيرهما أن امرأة أتته (صلى الله عليه وآله) بصبي لها ترجو بركته بأن يمسه ويدعوله ، وكان برأسه عاهة ... فمسح بيده على رأسه فاستوى شعره وبرئ داؤه ؛ فبلغ ذلك أهل البسامة ، فأتوا مسيلمه بصبي فسألوه ، فمسح شعره فصلح ، وبقي نسله إلى يومنا هذا صلحاً .

أقول : لقد روي الكثير من هذا النحو من المعجزات المنقلبة إلى ضدها عن مسيلمة ، منها أن لعابه المنحوس سقط في بئر فملّح ماؤها ، وأنه تفل لعابه في دلو ماء ، ثم صُبَّ في بئر ليكثر ماؤها ، فجفت ذلك الماء ؛ وأنه نثر ماء وضوئه في بستان فلم يخضر فيه عشب بعد ذلك ، وأن رجلاً سأله أن يدعو لطفلين له ، فرفع مسيلمة يده ، ودمد بكلمات ، ولما رجع الرجل إلى بيته وجد أحد طفليه وقد مرقه الذئب ؛ والآخر وقد وقع في بئر ؛ وأن رجلاً شكّا إليه أنما في عينه ، فلما مسحها بيده عميت ؛ ولما سئل مسيلمة عن حقيقة هذه المعجزات المنحوسة ردّ بقوله : كان هذا الرجل في شك من نبوتي ، فأتت معجزاتي عليه بالنحس .

الثانية : يروي السيد المرتضى وابن شهر اشوب أن النابغة الجعدي أنشد رسول الله قصيدة إلى أن بلغ قوله :

بلغنا السماء عِزَّةً وتكرُماً وإنّا لنرجو فوق ذلك مظهراً
فقال (صلّى الله عليه وآله) : إلى أين يا بن أبي ليل ؟

قال : إلى الجنة يا رسول الله .

قال : أحسنت ، لا يفضض الله فاك .

قال الراوي : فرأيت شيخاً له مئة وثلاثون سنة ، وأسنانه مثل ورق الأقحوان نقاءً وبياضاً ، قد تهدّم جسمه ، إلا فاه .

وفي رواية أخرى : كلّمنا سقطت له سنّ نبت له أخرى أحسن منها .

الثالثة : روي أن أبا هريرة قال : أتيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوماً بتمرات فقلت : ادع لي بالبركة فيهن ، فدعا ثم قال : خذهن فاجعلهنّ في المزود ، إذا أردت شيئاً فادخل يدك فيه فلا تنثره . قال : فلقد حملت من ذلك التمر أوسقاً ، وكنا نأكل ونطعم .

وحين قتل عثمان ، أغاروا على بيت أبي هريرة ، وذهبوا بالمزود ، فاغتّم أبو هريرة وقال في هذا المقام :

لنناس همّ ولي في الناس همّان همّ الجراب وقتل الشيخ عثمان

الرابعة : يروي أن النبي (صلّى الله عليه وآله) ذهب مع جماعة من الصحابة إلى دار أبي الهيثم بن التيهان ، فقال أبو الهيثم : مرحباً برسول الله ، ما كنت أحبّ أن تأتيني وأصحابك إلّا وعندي شيء ، وكان عندي شيء ففرّقته في الجيران ، فقال (صلّى الله عليه وآله) : أوصاني جبريل بالجار حتى حسبت أنّه سيورثه .

قال : فنظر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى نخلة في جانب الدار فقال : يا أبا الهيثم ، تآذن في هذه النخلة ؟ فقال : يا رسول الله ، إنه لفعل ، وما حمل شيئاً قط ، شأنك به . فقال : يا علي ، انثني بقدح ماء ، فشرب منه ، ثم مسح فيه ، ثم رش على النخلة فتملأت أعذاقاً من بسر ورطب ما شئنا ، فقال : يا علي ، هذا من النعيم الذي يسألون عنه يوم القيامة .

الخامسة : يروي الراوندي أنه كان لبعض الأنصار عناق^(١) فذبحها ، وقال لأهله : اطيخوا بعضاً ، واشووا بعضاً ، فعمل رسولنا يشرّفنا ويحضر بيتنا ويفطر عندنا ، وخرج إلى المسجد .

وكان له ابنان صغيران ، وكانا يريان أباهما يذبح العناق ، فقال أحدهما للآخر : تعال حتى أذبحك ، فأخذ السكين وذبحه ، فلما رأتهما الوالدة صاحت ، فعدا الذابح فهرب ، فوقع من الغرفة فمات ، فسترتهما ، وطبخت وهيات الطعام .

فلما دخل النبي (صلى الله عليه وآله) دار الأنصاري نزل جبرئيل (عليه السلام) وقال : يا رسول الله ، استحضر ولدي ؛ فخرج أبوهما يطلبهما ، فقالت والدتهما ليسا حاضرين ، فرجع إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وأخبره بغيبتهما ، فقال : لا بد من إحضارهما ، فخرج إلى أمهما فأطلعه على حالهما ، فأخذهما إلى مجلس النبي (صلى الله عليه وآله) فدعا الله فأحيهما ، وعاشا ستين .

السادسة : في خبر عن سلمان رضي الله عنه أنه لما نزل (صلى الله عليه وآله) دار أبي أيوب الأنصاري لم يكن له سوى جدي وصاع من شعير ، فذبح له الجدي وشواه ، وطحن الشعير وعجنه وخبزه ، وقدم بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله) ، فامر بأن ينادى : ألا من أراد الزاد فليأت إلى دار أبي أيوب ، فجعل أبو أيوب ينادي والناس يهرعون كالسيل ، حتى امتلأت الدار ، فأكل الناس بأجمعهم والطعام لم يتغير ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : اجعوا العظام ، فجمعوها ؛ فوضعها في إهابها ثم قال : قومي بإذن الله تعالى ، فقام الجدي ، فضج الناس بالشهادتين

السابعة : يروي الشيخ الطبرسي والراوندي وآخرون أن أبا براء ، ملاعب الأسنة ، كان به استسقاء ، فبعث إلى النبي (صلى الله عليه وآله) لبيد بن ربيعة ، وأهدى له فرسين

(١) العناق : الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها السنة . المنجد .

ونجائب ، فقال (صلی الله عليه وآله) : لا أقبل هديةً ومن مشرك ، قال لبيد : ما كنت أرى أن رجلاً من نصر يردّ هديةً أبي براء !

فقال (صلی الله عليه وآله) : لو كنت قابلاً هديةً من مشرك لقبلتها ، قال : فإنه يستشفيك من علة أصابته في بطنه .

فأخذ حشوة من الأرض فتفل عليها ، ثم أعطاه فقال : دُفها بماء ، ثم اسقه إياها . فأخذها متعجباً يرى أنه قد استهزى به ، فأتاه فشرها ، وأطلق من مرضه ، كأنما انشط من عقال .

الشامة : من المعجزات المتواترة التي تروىها الخاصة والعامة أن النبي (صلی الله عليه وآله) لما هاجر من مكة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة ، ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي (أريقط ، برواية الطبري) فمروا على أم معبد الخزاعية . . . وكانت تجلس بفناء الخيمة ، فسألوا تمراً أو لحماً ليشتروه ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، وإذا القوم مرملون^(١) ، فقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القري .

فنظر رسول الله (صلی الله عليه وآله) في كسر خيمتها فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك ، قال : اتأذنين في أن أحلبها ؟ قالت : نعم - بأبي أنت وأمي - إن رأيت بها حلباً فاحلبها .

فدعا رسول الله (صلی الله عليه وآله) بالشاة ، فمسح ضرعها ، وذكر اسم الله وقال : « اللهم بارك في شاتها » فتفاجت ودّرت ، فدعا رسول الله (صلی الله عليه وآله) بإناء لها يريض الرهط^(٢) ، فحلب فيه ثجاً^(٣) حتى علته الثال^(٤) ، فسقاها فشربت حتى رويت ، ثم سقى أصحابه فشربوا حتى رروا ، فشرّب أجرحهم وقال : « ساقى القوم أجرحهم شرباً » . . . ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء ، فغادره عندها ، ثم ارتحلوا عنها .

فقلماً لبث أن جاء زوجها أبو معبد . . . فلما رأى اللبن قال : من أين لكم هذا ؟ . . . قالت : مرّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت . . .

(١) أرمّل القوم زادهم : أنفدوه .

(٢) يريض الرهط : يروي القوم .

(٣) الثج : السبّال .

(٤) الثال : الرغبة .

التاسعة : يروي جماعة من محدثي العامة والخاصة عن جابر الأنصاري أنه قال : صرت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وقعة الخندق فوجدته مستلقياً وقد شدَّ على بطنه الحجر ، وكان في منزلي صاع من شعير وشاة مشدودة ، فصرت إلى أهلي فقلت : رأيت الحجر على بطن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأظنه جائعاً ، فلما أصلحنا هذا الشعير وهذه الشاة ودعونا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، إلينا كان لنا قربة عند الله ؛ قالت : فاذهب فأعلمه ، فإن أذن فعلناه .

فذهبت فقلت له : يا رسول الله ، إن رأيت أن تجعل غداءك اليوم عندنا ، قال : وما عندك ؟ قلت : صاع من الشعير وشاة ، قال : أفأصبر إليك مع من أحبُّ أو أنا وحدي ؟ قال : فكرهت أن أقول : أنت وحدك ، قلت : بل مع من تحبُّ ، وظننته يريد علياً (عليه السلام) بذلك .

فرجعت إلى أهلي فقلت : أصلحي أنت الشعير ، وأنا أصلح الشاة ، ففرغنا من ذلك ، وجعلنا الشاة كلها قطعاً في قدر واحدة وماء وملحاً ، وخبزت أهلي ذلك الدقيق فصرت إليه وقلت : يا رسول الله قد أصلحنا ذلك ، فوقف على شفير الخندق ، ونادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أجيئوا دعوة جابر .

فخرج جميع المهاجرين والأنصار ، فخرج النبي (صلى الله عليه وآله) والناس ، ولم يكن يمرّ بلاء من أهل المدينة إلّا قال : أجيئوا دعوة جابر ، فأسرعت إلى أهلي وقلت : قد أتانا ما لا قبيل لنا به ، وعرفها خبر الجماعة ، فقالت : أأنت قد عرفت رسول الله ما عندنا ؟ قلت : بلى ، قالت : فلا عليك ، هو أعلم بما يفعل ، فكانت أهلي أفقه مني .

فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الناس بالجلوس خارج الدار ، ودخل هو وعليّ الدار ، وفي رواية أخرى : أدخل الجميع الدار ، وليست في الدار سعة ، فكان (صلى الله عليه وآله) يشير إلى الحائط ، والحائط يبعد حتى تمكّنوا ، وكان عددهم سبعة على قول ، وثلاثة على آخر ، والفا على ثالث .

نظر (صلى الله عليه وآله) في التنور والحيز فيه ، فتفل فيه وكشف القدر فنظر فيها ، ثم قال للمرأة : اقلمي من التنور رغيفاً رغيفاً ، وناوليني واحداً بعد واحد ، فجعلت تقلع رغيفاً وتناوله إياه ، وهو وعليّ يتردان في الجفنة ، ثم تعود المرأة إلى التنور فتجد مكان الرغيف الذي قلعت رغيفاً آخر ، فلما امتلأت الجفنة بالثريد غرف عليها من القدر ، وقال : أدخل عليّ عشرة من الناس ، فدخلوا وأكلوا حتى شبعوا ، ثم قال : يا جابر ابني بالذراع ، ثم قال : أدخل عليّ عشرة ، فدخلوا وأكلوا حتى شبعوا ، والثريد بحاله ، ثم قال : هات الذراع ، فأتيته

بها ، فقال : أدخل عشرة ، فأكلوا وشبعوا ، ثم قال : هات الذراع ، قلت : كم للشاة من ذراع ؟ قال : ذراعان ، قلت : قد أثبت بثلاث أذرع ، قال : لو سكّنت لأكل الجميع من الذراع .

فلم يزل يدخل عشرة ، ويخرج عشرة حتى أكل الناس جميعاً ، ثم قال : تعال حتى نأكل نحن وأنت ، فأكلت أنا ومحمد (صلّى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) وخرجنا ، والخبز في التنور بحالة ، والقدر على حاله ، والثريد في الجنة على حاله ، فعشنا أياماً بذلك .

العاشرة : يروى أن قتادة بن النعمان ، خال أبي سعيد الخدري ، وممن شهدوا واقعتي بدر وأحد ، حيث أصيب بإحدى عينيه فسالت حتى وقعت على خدّه ، فأتى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مستغيثاً يقول : إن لي زوجة حسناء أحبها وتحبني ، ولم تمض على زواجنا أيام ، ولشد ما أكره أن ترائي بهذه العين المتدلّية ، فأخذها (صلّى الله عليه وآله) فردّها إلى مكانها ، وقال : « اللهم اكسه الجمال » ، فازداد حسناً على حسن - وكانت عينه الأخرى تؤله أحياناً ، أما هذه فلا .

ويروى أن ولداً لقتادة قدم إلى عمر بن عبد العزيز يوماً ، فسأل : من الرجل ؟ فأجابه :

أنا الذي سألت على الخدّ عينه فرُدّت بكفّ المصطفى أحسن الرّد
فعادت كما كانت لأوّل مرّة فيا حسن ما عين ويا حسن ما ردّ

القسم الخامس

المعجزات التي ظهرت في كفاية شرّ الأعداء ، كهلاك المستهزئين ، وتمزيق الأسد لعتبة بن أبي لهب ، وكفّ شرّ أبي جهل ، وأبي لهب ، وأمّ جميل ، وعامر بن الطفيل ، وأزيد بن قيس ، والمعمّر بن يزيد ، والنضر بن الحارث ، وزهير الشاعر عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، إلى غير ذلك ، ونكتفي هنا بالإشارة إلى شطر منها .

الأولى : عن عليّ بن إبراهيم وآخرين أن النبي (صلّى الله عليه وآله) قام يصليّ عند الكعبة ، وقد حلف أبو جهل لئن رآه يصليّ ليدمغنه ، فجاءه معه حجر ، والنبي (صلّى الله عليه وآله) قائم يصليّ ، فجعل كلّما رفع الحجر ليرميه أثبت الله يده إلى عنقه ، ولا يدور الحجر بيده ، فلما رجع إلى أصحابه سقط الحجر من يده . (وفي رواية أخرى أنه تضرّع إلى النبي (صلّى الله عليه وآله) فدعاه الله فأطلق يده) .

ثم قام رجل آخر من رهطه فقال : أنا أقتله ، فلما دنا منه فجعل يسمع قراءة رسول الله

(صلى الله عليه وآله) فأرعب ، فرجع إلى أصحابه فقال : حال بيني وبينه كهية الفحل يحظر بذنبه ، فحفت أن أتقدم .

الثانية : يروي علماء التفسير في قوله تعالى :

﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ إنا كفيناك المستهزئين ﴿ . . . أنه بعد أن نبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان أول من أسلم علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ثم أسلمت خديجة بنت خويلد زوجة النبي (صلى الله عليه وآله) ، ثم دخل أبو طالب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يصلي ، وعليّ يجنبه ، وكان مع أبي طالب جعفر ، فقال له أبو طالب : « صلّ جناح ابن عمك » . فوقف جعفر على يسار رسول الله (صلى الله عليه وآله) فبدر رسول الله من بينهما ، فكان يصلي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعليّ (عليه السلام) وجعفر وزيد بن حارثة ، وخديجة ، فلما أتى لذلك ثلاث سنين أنزل الله عليه ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ إنا كفيناك المستهزئين ﴿ .

وكان المستهزون برسول الله (صلى الله عليه وآله) خمسة : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن طلاطة الخزاعي ؛ (ويقول بعضهم : إنهم كانوا ستة ، ويضيفون إلى الخمسة الحارث بن قيس) .

فمرّ الوليد بن المغيرة برسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه جبرئيل ، فقال جبرئيل : يا محمد ، هذا الوليد بن المغيرة ، وهو من المستهزئين بك ، قال ، نعم .

وقد كان مرّ (جبرئيل) برجل من خزاعة على باب المسجد ، وهو يرش نبأ له ، فوطئ على بعضها ، فأصاب أسفل عقبه قطعة من ذلك ، فذميت .

فلما مرّ (الوليد) بجبرئيل أشار إلى ذلك الموضع ، فرجع الوليد إلى منزله ، ونام على سريره ، وكانت ابنته نائمة أسفل منه ، فانفجر الموضع الذي أشار إليه جبرئيل أسفل عقبه ، فسال منه الدم حتى صار إلى فراش ابنته ، فانتهت ابنته ، فقالت للجارية : انحلي وكاء (رباط) القربة ، قال الوليد : ما هذا وكاء القربة ، ولكنه دم أبيك ! فاجمعي لي ولدي وولد أخي ، فإني ميت ، (فجمعتهم فأوصاهم والتحق بجهنم) .

ومرّ العاص بن وائل ، فأشار جبرئيل إلى رجله ، فدخل عود في أخمص قدمه وخرج من ظاهره ، ومات . وبرواية أخرى أن شوكة دخلت في أخمص قدمه ، فجعل يحكّها حتى هلك .

ومرّ الأسود بن المطلب ، فأشار إلى بصره فعمي ، وجعل يضرب رأسه بالحائط حتى

هناك

وبرواية أخرى أنه أشار إلى بطنه ، فلم يزل يستسقي حتى انشق بطنه .

ومرّ الأسود بن عبد يغوث ، فدعا عليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقال :
« اللهم أعم بصره ، وأثكله بولده » ، فلما كان في ذلك اليوم أناه جبرئيل بورقة خضراء ،
فضرب بها وجهه فعمي ، وبقي حتى أثكله الله عز وجل بولده يوم بدر ، ثم مات .

وأما الحارث بن طلاطة فيقال إن ثعباناً لدغه فمات ، وقيل إنه خرج من بيته في
السّوم ، فتحول حبشياً ، فرجع إلى أهله فأنكروه فقتلوه .

وأما الحارث بن قيس فإنه أكل حوتاً ملحاً ، فأصابه العطش ، فلم يزل يشرب الماء حتى
انشق بطنه فمات .

الثالثة : روى الراوندي وغيره عن ابن مسعود أنه قال :

كنا مع النبي (صلّى الله عليه وآله) فصلّى في ظلّ الكعبة ، وناس من قريش وأبو جهل
نحروا جزوراً في ناحية مكّة ، فبعثوا وجاءوا بسلامها^(١) فطرحوه بين كتفيه ، فجاءت فاطمة
(عليها السلام) فطرحته عنه ؛ فلما انصرف قال : « اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك
بأبي جهل ، وبعتبة ، وشيبة ، والوليد بن عتبة ، وأمّية بن خلف ، وبعتبة بن أبي معيط » .

قال عبد الله : ولقد رأيتهم قتل في قلب بدر .

الرابعة : روى الراوندي أيضاً عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :

صلّى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في بعض الليالي فقراً : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ
وَتَبَّ ﴾ ، فقيل لأم جميل أخت أبي سفيان امرأة أبي هب : إنّ محمداً لم يزل البارحة يهتف بك
ويزوجك في صلاته ، ويقت عليكما ؛ فخرجت تطلبه وهي تقول : لئن رأيته لأسمعنه ،
وتشدد : من أحسن لي محمداً ؟ حتى انتهت إلى رسول الله وأبو بكر جالس معه ، فقال
أبو بكر : يا رسول الله لو انتحيت ، فإن أم جميل قد أقبلت ، وأنا خائف أن تسمعك شيئاً ،
فقال : إنها لم ترني .

فجاءت حتى قامت عليه ، وقالت : يا أبا بكر ، أرايت محمداً ؟ قال : لا ، فمضت
راجعة إلى بيته .

قال أبو جعفر (عليه السلام) : ضرب الله بينهما حجاً بأصفر ، وكانت تقول له

(صلى الله عليه وآله) : مذمّم ، وكذا قرّش كلّهم ؛ فقال النبي : « إن الله أنساهم اسمي وهم يعلمون ، يسمّون مذمّماً وأنا محمّد » .

الخامسة : يروي ابن شهر آشوب وكثير من المؤرخين أنّه لما رجع مشركو قرّش من موقعة بدر ، سأل أبو لهب أبا سفيان عن قصة بدر ، فقال :

إنّا لقيناهم فمحنناهم أكتافنا ، فجعلوا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا ، وإيم الله مع ذلك ما ملت الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض ، لا يقوم لها شيء .

قال أبو رافع لأم الفضل زوجة العباس : تلك الملائكة ! فسمعه أبو لهب فجعل يضربه ، فضربه أم الفضل على رأسه بعمود الخيمة ، ففلقت رأسه شجّة منكّرة ، فعاش (بعدها) سبع ليال ، وقد رماه الله بالعدسة^(١) ، ولقد تركه ابنه ثلاثاً لا يدفنه ، وكانت قرّش تتقي العدسة ، فدفنوه بأعلى مكّة على جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه .

يقول العلامة المجلسي : إن مدفن أبي لهب قائم الآن على رأس طريق العمرة ، وكلّمها عبره عابر رماه بالعدديد من الحجارة ، حتى ارتفع في الموضع منها تلّ عظيم .

فتأمّل كيف أنّ مخالفة الله ورسوله تضع ذا الحسب الشريف ، وأن طاعتها ترفع من لا حسب له ولا نسب درجات ، وتلحقه بأهل بيت العزّة والشرف .

القسم السادس

معجزاته (صلى الله عليه وآله) في استيلائه على الجنّ والشياطين ، وإيمان بعض الجنّ به ، ونكتفي هنا بالإشارة إلى شطر منها .

الأولى : يروي علي بن إبراهيم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج من مكّة إلى سوق عكاظ ومعه زيد بن حارثة يدعو الناس إلى الإسلام ، فلم يجبه أحد ، ولم يجده من يقبله ، ثمّ رجع إلى مكّة ، فلمّا بلغ موضعاً يقال له وادي مجنة تهجد بالقرآن في جوف الليل ، فمرّ به نفر من الجنّ ، فلمّا سمعوا قراءة رسول الله (صلى الله عليه وآله) استمعوا له ، فلمّا سمعوا قراءته قال بعضهم لبعض : ﴿ انصتوا ، فلمّا قضى ﴾ أي فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) من القراءة ﴿ ولّوا إلى قومهم منذرين ﴾ قالوا يا قومنا إنّنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه ، يهدي إلى الحقّ ، وإلى طريق مستقيم ﴿ يا قومنا أجيئوا داعي الله وأمنوا به . . ﴾ إلى قوله : ﴿ أولئك في ضلال مبين ﴾ .

(١) العدسة : بثرة تخرج في الجسد ، وهي من الطاعون تقتل صاحبها .

فجاءوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأسلموا وآمنوا ، وعلمهم رسول الله شرائع الإسلام ، فأنزل الله على نبيه : ﴿ قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن ﴾ السورة كلها ، فحكى الله قولهم ، وولّى رسول الله عليهم منهم ، وكانوا يعودون إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في كلّ وقت ، فأمر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أن يعلمهم ويفقههم ، فمنهم مؤمنون وكافرون وناصبون ، ويهود ونصارى ، ومجوس وهم ولد الجن .

الثانية : يروي الشيخ المفيد والطبرسي وسائر المحدثين أنه لما خرج النبي (صلى الله عليه وآله) إلى بني المصطلق ، نزل بقرب وادٍ وعر ، فلما كان آخر الليل هبط عليه جبريل بحجره عن طائفة من كفّار الجنّ قد استبطنوا الوادي ، يريدون كيده وإيقاع الشرّ بأصحابه ، فدعا أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال : اذهب إلى هذا الوادي ، فسيعرض لك من أعداء الله الجنّ من يريدك ، فادفعه بالقوة التي أعطاك الله إياها ، وتحصّن منه بأساء الله التي خصّك بعلمها ؛ وأنفذ معه مئة رجل من أخطا الناس ، وقال لهم : كونوا معه ، وامتلوا أمره .

فتوجّه أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الوادي ، فلما قارب شفيره أمر المئة الذين صحبوه أن يقفوا بقرب الشفير ، ولا يتحدثوا شيئاً حتّى يأذن لهم ، ثم تقدم فوقف على شفير الوادي وتعوّذ بالله من أعدائه ، وسأله بأحسن أسأله ، وأومأ إلى القوم الذين تبعوه أن يقربوا منه فاقربوا ، وكان بينه وبينهم فرجة مسافتها غلوة^(١) . ثم رام الهبوط إلى الوادي فاعترضت ريح عاصف كاد القوم أن يقعوا على وجوههم لشدّتها ، ولم تثبت أقدامهم على الأرض من هول ما لحقهم ، فصاح أمير المؤمنين (عليه السلام) : أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، وصيّ رسول الله وابن عمّه ، اثبتوا إن شئتم ، وظهر للقوم أشخاص كالرّط^(٢) تحيل في أيديهم شعل النار ، قد اطمأنوا بجنّات الوادي ، فتوغّل أمير المؤمنين (عليه السلام) بطن الوادي وهو يتلو القرآن ، ويومئ بسيفه يميناً وشمالاً ، فما لبثت الأشخاص حتى صارت كاللدخان الأسود ، وكبر أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ثم صعد من حيث هبط ، فقام مع القوم الذين تبعوه حتّى أسفر الموضع عمّا اعتراه .

فقال له أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما لقيت يا أبا الحسن ، فقد كدنا نهلك خوفاً وإشفاقاً عليك ؟ فقال : (عليه السلام) : لما تراءى لي العدو جهرت فيهم بأساء الله فتضاءلوا ، وعلمت ما حلّ بهم من جزع ، فتوغّل الوادي غير خائف منهم ، ولو بقوا على هيئاتهم لأتيت على آخرهم ، وكفى الله كيدهم ، وكفى المسلمين شرّهم ، وسيبقي

(١) الغلوة : رمية السهم .

(٢) الرّط : الزنج .

بِقِيَّتِهِمْ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَيُؤْمِنُونَ بِهِ .

وانصرف أمير المؤمنين (عليه السلام) بمن معه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره الخبر، فسُرِّي عنه، ودعا له بخير، وقال له: قد سبقك يا عليّ إلى من أخافه الله بك، فاسلم وقبلت إسلامه .

الثالثة: يروي ابن شهر آشوب أن نعيمًا الداري قال:

أدركني الليل في بعض طرقات الشام، فلما أخذت مضجعي قلت: أنا الليلة في جوار هذا الوادي^(١)، فإذا منادٍ يقول: عُذ بالله، فإنَّ الجَنَّ لا تحير أحداً على الله؛ قد بُعث نبيّ الأُمَمِينَ رسول الله، وقد صلّينا خلفه بالحجون، وذهب كيد الشياطين، ورميت بالشهب؛ فانطلق إلى محمد رسول ربِّ العالمين .

الرابعة: يروي الطبرسي وغيره عن الزهري أنه قال:

لما توفي أبو طالب (رضي الله عنه) اشتدَّ البلاء على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعمد لثقيف بالطائف رجاء أن يؤووه (بأن يستمعوا إليه ويؤمنوا بدعوته)، فوجد ثلاثة نفر منهم، هم سادة، وهم إخوة: عبيد ياليل، ومسعود، وحبيب، بنو عمرو بن عمير؛ فعرض عليهم نفسه، فقال أحدهم: جعلت سارق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء فط .

وقال الآخر: أعجز الله أن يرسل غيرك؟

وقال الثالث: والله لا أكلّمك بعد مجلسك هذا أبداً، ولئن كنت رسولا كما تقول فلأنت أعظم خطراً من أن يرُدَّ عليك الكلام، وإن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلّمك بعد .

وتنزأوا به، وأفشوا في قومهم ما راجعوه به، فقعدهوا له صفين على طريقه، فلما مرَّ رسول الله بين صفّيهما جعلوا - لا يرفع رجله ولا يضعها - إلّا رضخوها بالحجارة حتى آدموا رجله، فخلص منهم وهما يسيلان دماً، فعمد فجاء إلى حائط من حيطانهم^(٢)، فاستظلَّ في ظلِّ نخلة منه وهو مكروب موجه، تسيل رجلاه دماً، فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، فلما رأهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله، فلما رأياه أرسلًا إليه غلاماً لها يدعى عدّاس، معه عنب، وهو نصراني من أهل نينوى؛ فلما جاءه قال له رسول الله

(١) تلك عادة جاهلية، إذا نزلوا في موضع يستعيذون بالجن من أهل هذا المكان .

(٢) الحائط: البستان - الجدار .

(صلى الله عليه وآله) : من أي أرض أنت ؟ قال : من أهل نينوى ، قال : من مدينة العبد الصالح يونس بن متى ؟ فقال له عداس : وما يدريك من يونس بن متى ؟ فقال (صلى الله عليه وآله) : أنا رسول الله ، والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى ، فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس خَرَّ عداس ساجداً لله ، ومعظماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وجعل يقبل قدميه وهما تسيلان دماً ؛ فلما بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكنا ، فلما أتاها قالا : ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ، ولم ترك فعلت ذلك بأحد منا ؟ قال : هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى ؛ فضحكا وقالوا : لا يفتننك عن نصرائيتك ، فإنه رجل خذاع .

فرجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى مكة ، حتى إذا كان بنخلة قام في جوف الليل يصلي ، فمر به نفر من أهل نصيبين من اليمن ، فوجدوه يصلي صلاة الغداة ، ويتلو القرآن ، فاستمعوا له ، وآمنوا ، وانقلبوا إلى قومهم يدعونهم للإسلام .

وقال آخرون : أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ، ويقرأ عليهم القرآن ، فصرف الله إليهم نقرأ من الجن من نينوى ، فقال : (صلى الله عليه وآله) : إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة ، فأياكم يتبعني ؟ فاتبعه عبد الله بن مسعود .

قال عبد الله : ولم يحضر معه أحد غربي ، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة ، ودخل نبي الله شعباً يقال له شعب الحجون ، خطب لي خطباً ، ثم أمرني أن أجلس فيه وقال : لا تخرج منه حتى أعود إليك ، ثم انطلق حتى قام ، فافتتح القرآن ، فغشيت أسود^(١) كثيرة حتى حالت بيني وبينه ، حتى لم أسمع صوته ، ثم انطلقوا وطفقوا يقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط ، وفرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع الفجر فانطلق فبرز ، ثم قال : هل رأيت شيئاً ؟ فقلت : نعم ، رأيت رجالاً سوداً مستغفري^(٢) ثياب بيض ، قال : أولئك جن نصيبين . . . وروي عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة نفر من جن نصيبين ، فجعلهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) رسلاً إلى قومهم ؛ وقال بعضهم : كانوا تسعة نفر .

القسم السابع

معجزاته في إخباره بالمغيبات .

أقول : يكفي في هذا المقام ما سنذكره بعد هذا من إخبار أمير المؤمنين (عليه السلام)

(١) أسودة : جمع سواد .

(٢) استغفر : نى توبه فجمعه بين فخدبه .

عن الغيب ، ذلك أن ما أعطاه أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الغيب إنما أخذه عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، واقتبسه من مشكاة النبوة .

قال شيخنا البهائي (ره) : جميع أحاديثنا - إلا ما ندر - تنتهي إلى اثمتنا الاثني عشر ، وهم ينتهون إلى النبي (صلى الله عليه وعليهم) ، لأن علومهم مقتبسة من تلك المشكاة .
لكننا للتبرك والتبصن - نكتفي بذكر شطر منها .

الأولى : يروي الحميري عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال :

قال أبي : كان النبي (صلى الله عليه وآله) أخذ من العباس يوم بدر دنانير كانت معه ، فقال : يا رسول الله ، ما عندي غيرها ، فقال : أين الذي استخيتته عند أم الفضل ؟ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، إنك رسول الله ، ما كان معها أحد حين استخيتتها .

فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ﴾ .

فكان العباس يقول : صدق الله وصدق رسوله ، فإنه كان معي عشرون أوقية ، فأعطاني الله مكانها عشرين عبداً كل منهم يضرب^(١) بمال كثير ، أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم .

الثانية : يروي ابن بابويه والراوندي عن ابن عباس أنه قال :

دخل أبو سفيان على النبي (صلى الله عليه وآله) يوماً فقال : يا رسول الله ، أريد أن أسألك عن شيء ، فقال (صلى الله عليه وآله) : إذا شئت أخبرتك قبل أن تسألني ، قال : أفصل ، قال : أردت أن تسألني عن مبلغ عمري ، فقال : نعم يا رسول الله ، فقال : إني أعيش ثلاثاً وستين سنة ، فقال : أشهد أنك صادق ، فقال (صلى الله عليه وآله) : بلسانك دون قلبك !

قال ابن عباس : والله ما كان إلا منافقاً ، قال : ولقد كنّا في محفل فيه أبو سفيان وقد كفّ بصره ، وفيما عليّ (عليه السلام) فأذن المؤذن ، فلما قال : أشهد أن محمداً رسول الله ، قال أبو سفيان : ها هنا من يُحتشم ؟ قال واحد من القوم : لا ، فقال أبو سفيان : لله در أخي بني هاشم ، انظروا أين وضع اسمه ! فقال عليّ (عليه السلام) : أسخن الله عينك^(٢) يا أبا سفيان ، والله فعل ذلك بقوله عزّ من قائل :

(١) يضرب بالمال : يتجر به لحسابه .

(٢) أسخن عينه : أبكاه .

﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ .

فقال أبو سفيان : أسخن الله عين من قال : ليس هيهنا من يحتشم .

الثالثة : بروي الراوندي عن أبي سعيد الخدري قوله :

كنا نخرج في غزوات مترافقين تسعة وعشرة ، فنقسم العمل ، فيقعد بعضنا في الرجال ، وبعضنا يعمل لأصحابه ويسقي ركائبهم ويصنع طعامهم . . . فاتفق في رفقتنا رجل يعمل عمل ثلاثة نفر ، يحيط ويسقي ويصنع طعاماً ؛ فذكر ذلك للنبي (صلی الله عليه وآله) فقال : ذلك رجل من أهل النار ؛ فلقينا العدو وقتلناهم ، فجرح الرجل وأخذ سهماً فقتل به نفسه ؛ فقال (صلی الله عليه وآله) [حين أخبرناه الخبر] : أشهد أني رسول الله وعبد .

الرابعة : يروي الراوندي أن رجلاً جاء إلى النبي فقال : ما طعمت طعاماً منذ يومين ، فقال عليك بالسوق ؛ فلما كان من الغد دخل فقال : يا رسول الله ، لقد أتيت السوق أمس فلم أصب شيئاً ، فبت بغير عشاء ؛ قال : فعليك بالسوق ، فأتى بعد ذلك أيضاً فقال (صلی الله عليه وآله) : عليك بالسوق ؛ فانطلق إليها فإذا غير قد جاءت عليها متاع ، فباعوه ففضل دينار ، فأخذه الرجل ، وجاء إلى رسول الله (صلی الله عليه وآله) وقال : ما أصبت شيئاً .

قال (صلی الله عليه وآله) : هل أصبت من غير آل فلان شيئاً ؟ قال : لا ، قال : بلى ، ضرب لك فيها بسهم خرجت منها بدینار ! قال : نعم ، قال : فما حلك على أن تكذب ؟ قال : أشهد أنك صادق ، ودعاني إلى ذلك إرادة أن أعلم أتعلم ما يعمل الناس ، وإن ازداد إلى خير ؛ فقال له النبي (صلی الله عليه وآله) : صدقت ، من استغنى أغناه الله ، ومن فتح على نفسه باب مسألة فتح عليه سبعين باباً من الفقر ، لا يسد أدناها شيء ؛ فما رني سائلاً بعد ذلك اليوم .

الخامسة : يروى أنه لما قدم جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - من الحبشة بعث رسول الله (صلی الله عليه وآله) إلى مؤتة ، وهي قرية من قرى اللقاء في الشام ، والمسافة بينها وبين بيت المقدس مئتان ؛ واستعمل على الجيش معه زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ، وذلك في سنة ثمان ، فمضي الناس حتى كانوا مؤتة وفيها جيش عظيم أعده القيصر الحريم .

اتخذ الجيشان موقعهما في أرض ضيقة ، وخرج جعفر بن أبي طالب من بين الصفوف كالأسد المصور ، وشهر سيفه ونادى في الناس أن يترجلوا عن خيولهم ويقاتلوا راجلين ، وكان ذلك لأن جيش الكفار كان كبيراً ، وأراد أن يترجل المسلمون كي يوقتوا أن الفرار مستحيل .

عليهم فيصدّقوا القتال ، أما هو فقد اقتحم على فرس له شقراء ، فعقرها ، وتقدم رافعاً اللواء ، واشتد أوار المعركة ، فحمل الكفار من كل جانب وضربوا حلقة حول جعفر ، وعلوه بالسيوف والأستة فقطعوا يده اليمنى ، فأخذ اللواء باليد الأخرى فقطعوها ، فاحتضن اللواء بين عضديه إلى صدره ، وقد انخنته الجراح ، وتلقّى في وسطه ضربة سيف استشهد على أثرها وسقط اللواء ، وقد وجد في بدنه خمسون جراحة من قبل ، وقيل اثنتان وتسعون بين طعنة ورمية .

ويروي عن جابر أنه لما كان اليوم الذي وقع فيه حربهم صلى النبي (صلى الله عليه وآله) بنا الفجر ، ثم صعد المنبر فقال : قد التقى إخوانكم مع المشركين للمحاربة ، فأقبل يحدّثنا بكرات بعضهم على بعض ، إلى أن قال : قتل زيد بن حارثة وسقطت الراية ، ثم قال : قد أخذها جعفر بن أبي طالب ، وتقدّم للحرب بها ، ثم قال : قد قطعت يده وقد أخذ الراية بيده الأخرى ، ثم قال : قطعت يده الأخرى وقد أخذ الراية في صدره ، ثم قال : قتل جعفر بن أبي طالب وسقطت الراية ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة ، وقد قتل من المشركين كذا ، وقتل من المسلمين فلان وفلان ، ثم قال : قتل عبد الله بن رواحة ، وأخذ الراية خالد بن الوليد ، فانصرف المسلمون .

ثم نزل عن المنبر ، وصار إلى دار جعفر ، فدعا عبد الله بن جعفر فأقعده في حجره ، وجعل يمسح على رأسه ، فقالت والدته أسماء بنت عميس : يا رسول الله ، إنك لتمسح على رأسه كأنه يتيم ، فقال قد استشهد جعفر في هذا اليوم ، ودعمت عينا رسول الله وقال : قطعت يداه قبل استشهاده ، وقد أبدله الله من يديه جناحين من زمرد أخضر ، فهو الآن يطير بها في الجنة مع الملائكة كيف يشاء .

وعن الصادق (عليه السلام) : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفاطمة : اذهبي فابكي على ابن عمك ، فإن لم تدعي بشكل ، فما قلت فقد صدقت .

وفي رواية أنه (صلى الله عليه وآله) قال : على مثل جعفر فلتبك الباكية .

وفي رواية أخرى أنه (صلى الله عليه وآله) أمر فاطمة (عليها السلام) أن تتخذ طعاماً لأسماء بنت عميس ، وتأتيها ونساؤها ثلاثة أيام .

أقول : لعلنا هنا قد خرجنا عن الموضوع نوعاً ، إنما ذكرناه الخیر والصالح .

وإجمالاً فمن معجزات رسول الله (صلى الله عليه وآله) إخباره بأمر الصحيفة التي حملتها امرأة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين ، وإخباره أبا ذرّ بما سيلقاه من بلاء وأذى ، وأنه يعيش وحيداً ويموت وحيداً ، وأنه سيقوم بغسله وتكفينه ودفنه قوم من أهل العراق ؛

وإخباره بأن إحدى النساء تركب جملًا كثير الوبر ، تخرج لحرب وصيه وتنبحها كلاب الحوَاب .
ومنها قوله لعمار : ستقتلك الفئة الباغية ، وآخر زادك ضياع^(١) من لبن ؛ وقوله لفاطمة (عليها السلام) : إنك أول أهل بيتي لحاقًا بي ؛ وإخباره أمير المؤمنين (عليه السلام) في مجالس متعددة أن لحيته ستخضب من دم رأسه ، وكان (عليه السلام) ينتظر هذا الخضاب باستمرار .

كذلك إخباره في مجالس متعددة عن استشهاد الحسين (عليه السلام) ومكان مقتله وأنه يقتل على أيدي شرار الناس ، وإعطاؤه أم سلمة تراباً من كربلاء ، وأنه سيستحيل دماً عند مقتله .

وإخباره عن استشهاد الإمام الرضا (عليه السلام) وأنه سيدفن في خراسان ؛ وقوله للزبير وقد مرّ به يوماً مع عليّ (عليه السلام) : والله لتكونن أول العرب تنكت بيعته . وقوله لعنه العباس : ويل لذرّيتي من ذرّيتك .

وإخباره بأن الأرض ستلحس ما في صحيفة القطيعة التي كتبها قريش غير اسم الله الذي فيها ؛ وإخباره ببناء مدينة بغداد ، وموت المناقق رقاعة بن زيد ، وأن ملك بني أمية سيدوم ألف شهر ، وأن معاوية سيقتل حجر بن عدي وأصحابه ظليماً ، وعن وقعة الحرّة ، وأن ابن عباس وزيد بن أرقم سيصابان بالعمى ، وعن موت النجاشي ملك الحبشة ، ومقتل الأسود العنسي في اليمن في نفس الليلة التي قتل فيها .

ومنها قوله في محمد بن الحنفية : يا عليّ ، سيولد لك ولد قد نحلته اسمي وكنيتي ؛ وكذلك إخباره بأن أبا أيوب الأنصاري يدفن عند سور القسطنطينية ، إلى غير ذلك .

يقول العلامة المجلسي في (حياة القلوب) بعد تعداده جملة من معجزاته (صلّى الله عليه وآله) :

يقول المؤلف : إن ما تمّت الإشارة إليه من معجزاته (صلّى الله عليه وآله) إنّما هو من الألف واحد ، وإنّما هو نزر يسير من كثير ، فجميع أقواله وأطواره وأخلاقه (صلّى الله عليه وآله) كانت معجزات ، وخصوصاً معجزات إخباره بالمغيّبات التي تشتمل على ارتباط هذا الكلام المعجز بنظام سيّد الأنام .

يقول المنافقون : اجتنبوا الحديث عن محمد ، فإن كل باب وجدّار ، والحصى والأحجار ستخبره بما نقول .

(١) الضياع بالفتح : لبن رقيق يخلط بالماء .

فالعاقِل إذا تفكَّر ، وحكَّم عقله وتدبَّر ، وجد أن كلَّ حديث من أحاديثه (صلَّى الله عليه وآله) وأحاديث أهل بيته ، وكلَّ كلمة من كلماتهم اللطيفة ، وكلَّ حكم من أحكام الشريعة المقدسة إنما هي معجزة شافية ، وخارقة للعادة .

هل من عاقل يحكم بجواز أن بمقدور فرد واحد من بني الإنسان - من دون وحي وإلهام من الحق الأقدس سبحانه - أن يوجد شريعة إذا عمل بها انتظمت أمور المعاش والمعاد للخلق طرّاً ؟ وسدّت بها صدوع الفتن والنزاع والفساد ؟ وأن كلَّ فتنة وفساد إنما ينشأ عن مخالفة قوانينها الحقّة ؟ وأنها قررت - على الخصوص - كل واقعة من بيع وشراء وتجارات ومضاربات ومعاملات ومنازعات وموارث ، وكيفية معايشة الآباء والأبناء ، والأزواج والزوجات ، والسادة والعبيد ، ومعايشة المرء لأهل بيته وأهل بلده ، والعلاقة بين الأمراء والرعايا ، وسائر الأمور القانونية ، مما لا يمكن تخيّل ما يفضلها ؟

ووضعت من الآداب الحسنة والأخلاق الكريمة في كلِّ حديث وخطاب أضعاف ما اشتملت عليه أفكار الحكماء في الآف السنين .

وبيّنت من المعارف الربّانيّة ومن غوامض المعاني في مدة الرسالة الوجيزة ، ومع ما أضاعه وأفسده طلاب حطام الدنيا ، فإنّ ما وصل منها إلى الناس إنما يعجز فحول العلماء عن الوصول إلى سرٍّ من مائة ألف من أسرارها ، ولو أعملوا فيه أفكارهم حتّى قيام الساعة . انتهى .



الفصل السادس

فِي وَقَائِعِ الْإَيَّامِ وَالسَّنِينَ مِنَ الْعُمْرِ الشَّرِيفِ لِلرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

يقول المؤرخون إن ولادة خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله) كانت بعد ثلاث وستين ومئة وستة آلاف سنة ، أعقبت هبوط آدم (عليه السلام) ، وكانت وفاة أمنة (رضي الله عنها) سنة تسع وستين ومئة وستة آلاف ، بعد أن أتم (صلى الله عليه وآله) السادسة من عمره الشريف .

فقد قدمت أمنة إلى عبد المطلب تسالهُ أن يأذن لها بالرحيل إلى المدينة حيث يسكن أخوالها من بني عديّ بن النجار ، وأن تصحب معها ابنتها محمداً (صلى الله عليه وآله) كي يروه ، فأذن لها ، فحملته وانجحت إلى المدينة برفقة حاضنته أمّ أئمن ، ونزلت في دار النابغة حيث دفن عبد الله أبو النبي (صلى الله عليه وآله) ، وهناك اجتمعت بأهلها ، وبعد شهر قفلت راجعة إلى مكة ، وفي الطريق إليها ، في الأبواء ، وتقع بين مكة والمدينة ، ساءت صحتها وفارقت الحياة ، ودفنت هناك ، أما عن قبرها الذي يقوم في مكة هذه الأيام فيقال إن جسدها المبارك قد نقل إلى مكة من الأبواء .

وبعد رحيل أمنة (رضي الله عنها) قفلت أم أئمن عائدة بمحمد (صلى الله عليه وآله) إلى جدّه في مكة ، حيث أخذهُ في كفالاته ، وعاش في كنفه ، وكان لا يقرب خوفاً أو يمدّ يده إلى طعام دونه ، ويقال إن وسادة كانت تبسط لعبد المطلب يومياً في ظل الكعبة ، فإذا خرج توسّدها ، دون أن يمرّؤ أحد من عشيرته على فعل ذلك ، بل كانوا يفترشون الأرض بعيداً عنها ؛ أمّا محمد (صلى الله عليه وآله) فكان إذا خرج إلى الكعبة توجّه إلى الوسادة رأساً ، فيحتضنه جدّه ويقبله ويقول : ما رأيت قبلة أطيب منه ولا جسداً ألين منه .

وفي السنة الحادية والسبعين بعد المئة وستة آلاف توفي عبد المطلب ، بعد أن أكمل محمد (صلى الله عليه وآله) الثامنة من عمره المبارك .

ويروى أنه لما أحسّ هذا الرجل الكبير بدنوّ أجله دعا إليه أبا طالب ، وأوصاه برعاية محمد (صلّى الله عليه وآله) ، ومشدّداً عليه أن يحافظ عليه وينصره باليد والمال واللسان ، حتى يصبح سيّد قومه ، ثم أخذ بيده يد أبي طالب وأخذ عليه عهداً بذلك ، وعندها قال : الآن يهون عليّ الموت ، ثم ضمّ محمداً (صلّى الله عليه وآله) إلى صدره وراح يكيّ ، وطلب إلى بناته أن يكيّنه ويرثينه لسمع رثاءه قبل موته ، فراح كل واحدة من بناته الست تنشده مرثيتها ، وعلى هذا الوقع فارق الحياة ، وله من العمر مئة وعشرون سنة ، والروايات في مدحه كثيرة ، ويروى أنه سيعث يوم القيامة بحسن الملوك وسياء الأنبياء .

السنن الخمس لعبد المطلب

ويروى أيضاً أن عبد المطلب قد سنّ في الجاهلية خمس سنن أجراها الحق تعالى في الإسلام :

الأولى : حرمة نساء الآباء على الأبناء ، قال تعالى : ﴿ لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من نساء ﴾ (النساء/ ٢٢) .

الثانية : الحصول على الغنائم ، وإنفاق خُمسها في سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ واعلموا أنّ ما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسة ﴾ (الأنفال/ ٤١) .

الثالثة : لما حفرت بئر زمزم اتخذ طريقة سقاية الحاج ، قال تعالى :

﴿ أجعلتم سقاية الحاج . . ﴾ (التوبة/ ١٩) .

الرابعة : تقريره أن دية المقتول مئة من الإبل ، وقد أجرى الإسلام هذا الحكم .

الخامسة : أنه قرّر تحديد الطواف بسبعة أشواط ، بعد أن كان الطواف عند قريش دون تحديد ، وقد أجرى الإسلام هذه السنّة .

كما أنّ عبد المطلب لم يقرب المقامرة بالأزلام ، ولم يعبد صنماً ، ولم يأكل لحم ذبيحة قُذمت لئسّم ، وكان يقول : إني على دين أبي إبراهيم مقيم ، وللإمام الرضا (عليه السلام) أشعار قالها فيه .

وفي السنة الخامسة والسبعين والمئة بعد ستة آلاف ، وكان قد مضى من عمره الشريف (صلّى الله عليه وآله) اثنتا عشرة سنة وشهران ويومان ، عزم أبو طالب على السفر إلى الشام في تجارة ، ويروى أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) تشبّت بزمام ناقته وقال : أي عمّ ، لمن تركني وأنا لا أب لي ولا أمّ ؟ فبكي أبو طالب وأخذه معه .

وفي الطريق كان كلّمَا اشتدّ الحر ظهرت غمامة فأظلمت من بين القوم ، حتى مرّوا بصومعة راهب يقال له بحيرا ، وكان على شريعة عيسى (عليه السلام) ذا علم وشأن ، لا يفارق صومعته ، فلما رأى الغمامة تظّل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نزل من صومعته ، ودعا الركب إلى طعام أعدّه لهم ، فتوجّه الجميع إلى الصومعة وتخلّفوا محمداً (صلّى الله عليه وآله) عند متاعهم ، فسألهم الراهب إن كان أحد منهم قد تخلف عن دعوته ، فأجابوه بالنفي ، غير طفل لهم تركوه عند المتاع ، فقال الراهب : أدعوه ، فلا يليق أن يتخلف أحد عن طعامي ؛ فلما انطلقوا إليه وأحضره إلى الصومعة تحركت الغمامة معه ، فسأل : من يكون هذا الطفل ؟ قالوا إنه ابن أبي طالب ، فاستدار إلى أبي طالب وقال له : ما هذا الغلام منك ؟ أهو ابنك ؟ قال : هو ابن أخي ، قال فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلت به ، قال : صدقت ، أرجع به إلى بلده واحذر عليه من اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرف ليبيّين به شراً ، فإنه كائن له شأن عظيم ، وهو نبيّ هذه الأمة وسيخرج بالسيف .

أقول : في الأمر هنا اختلاف ، فمن قائل إن أبا طالب خرج به سريعا حتى أقدمه مكة ، وقائل إنه بعث به إلى مكة ، وتابع هو سفره إلى الشام ، والله هو العالم .

زواج الرسول (صلّى الله عليه وآله) من السيدة خديجة الكبرى وبعثته (صلّى الله عليه وآله)

وفي السنة الثامنة والثمانين بعد المئة وستة آلاف ، وكان (صلّى الله عليه وآله) قد أتم الخامسة والعشرين من عمره الشريف ، تم زواجه من خديجة (رضي الله عنها) وهي ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، كانت قبل زوجة لعتيق بن عائذ المخزومي ، ولها ابن منه يدعى جارية ، وتزوجت بعده من أبي هالة بن المنذر الأسدي ، ورزقت منه هند بن أبي هالة ، ولما توفي أبو هالة كان قد اجتمع لخديجة من مالها وأموال زوجها ثروة عظيمة استخدمتها رأس مال في المضاربات التجارية ، حتى غدت من صناديد الأغنياء ذوي القدرة ، حيث يروى أن ثمانين ألفاً من الإبل كانت تستخدم في أعمالها التجارية ، والثروة تنمو يوماً بعد يوم ، واسمها يعلو ويشتهر ، ويرتفع فوق سقف منزلها سراق من الحرير الأخضر ، يشدّ بأطناب من الإبريسم (وهو الحرير) ، ونصة زواجه (صلّى الله عليه وآله) بها طويلة وتفصيلها خارج عن هذا المختصر ، ولكننا نكتفي منها برواية واحدة .

يروى الشيخ الكليني وغيره أنه لما رغب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أن يعقد له على خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) ، توجه أبو طالب مع آلِه وجماعة من قريش إلى ورقة بن نوفل عمّ خديجة ، وخطب فقال :

« الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً يحمي إليه ثمرات كل شيء ، وجعلنا الحكام على الناس في بلدنا الذي نحن فيه .

ثم إن ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب لا يوزن برجل من قريش إلا رجح ، ولا يقاس بأحد منهم إلا أعظم عنه ، وإن كان في المال قل ، فإن المال رزق حائل ، وظل زائل ؛ وله في خديجة رغبة ، ولها فيه رغبة ، والصدّاق ما سألت من مالي .

وشفع قوله بالقسم برب البيت على أنه سيكون ذا شأن رفيع ، ومنزلة منيعة ، وحظاً شامل ، ودين شائع ، ورأي كامل .

وكان ورقة عمّ خديجة من القسيسين والعلماء ، وكان عظيم الشأن ، حاول الرّد على أبي طالب ، فلم يسمعه الحال ، وكان اضطرابه في الحديث جلياً ، فعجز عن الرد برّد حسن ، ولما رأت خديجة هذه الحال ، غالبت حياءها وقالت بلسان فصيح :

أي عمّ ، وإنك وإن كنت الأولي بالكلام في هذا المقام ، غير أنّي بما أختاره الأولى ، فقد زوجت نفسي منك يا محمد ، وأما مهري فهو من مالي ؛ هلّم يا عمّ فانحر ناقة لوليمة الزفاف .

فقال أبو طالب : أيها الناس ، اشهدوا أن خديجة زوجت نفسها من محمد (صلّى الله عليه وآله) وأنها ضمنت مهرها .

فقال أحد القرشيين : عجباً ، أن يضمّن النساء مهورهن للرجال !

فانتفض أبو طالب غاضباً ، وكان إذا غضب هابت قريش غضبه ، وحذرت من سطوته ، ثم قال : لو كان الأزواج والآخرون مثل ابن أخي لطلبتهن النساء بأعلى القيم وأعلى المهور ، ولو كانوا مثلكم لطلبن منهم مهراً غالياً .

ثم إن أبا طالب نحر جزوراً للمناسبة ، وتم عقد زفاف درة الأنبياء على جوهره خير النساء ، ولما دخلت خديجة (رضي الله عنها) في حباله محمد (صلّى الله عليه وآله) أنشد عبد الله بن غنم ، أحد القرشيين شعراً حمّله تهانيه فقال :

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت لك الطيرُ فيما كان منك بأسعد تزوّجت من خير البرية كلّها ومن ذا الذي في الناس مثلُ عمّد به بشرُ السّران عيسى بن مريم وأقرّت به الكتابُ قدماً بأنّه رسول من البسطحاء هادٍ ومهتد

وفي السنة الثالثة والتسعين بعد المئة وستة آلاف ، وتوافق السنة الثلاثين من عمر

رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، كانت ولادة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، كما سيرد في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

وفي السنة الثامنة والتسعين بعد المئة وستة آلاف ، وتوافق السنة الخامسة والثلاثين من عمره الشريف هدمت قريش الكعبة وأعادت بناءها ، زادت في طول البيت وعرضه ، ورفعت جدرانها بنحو حافظ على مكانه الأصلي .

وفي السنة الثالثة بعد المئتين وستة آلاف في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب ، الموافق ليوم نوروز ، بعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالرسالة ، وله من العمر أربعون سنة .

يروى عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أنه لما انقضت أربعون سنة من عمره الشريف . جعل الحق تعالى قلبه أفضل القلوب وأكبرها وأكثرها خشوعاً وإطاعة ، ثم أعطى بصره نوراً آخر ، وأمر أبواب السماء ففتحت ، ونزل الملائكة إلى الأرض أفواجا ، وقد نظر (صلّى الله عليه وآله) فشاهدتهم واتصلت رحمته من ساق العرش حتى رأسه ، ثم هبط جبرئيل آخذاً بأطراف السماء والأرض ، وأخذ بعضده فهزّه قائلاً :

يا محمد اقرأ ، قال : وما اقرأ ؟ قال :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق • ﴾ .

وتتابع نزول وحى ربّه إليه ، وفي رواية أخرى أن جبرئيل ومكائيل هبطا ومع كلّ منهما سبعون ألف ملك ، وقَدَّما إلى النبي (صلّى الله عليه وآله) كرسيّ العزّة والكرامة ، ووضعوا تاج النبوة على رأس سلطان سرير الرسالة ، وناولاه لواء الحمد بيده ، وقالوا : اصعد على هذا الكرسي واحد ربك ؛ وفي رواية أخرى أن ذلك الكرسي كان من ياقوت أحمر ، وإحدى قائمتيه من الزبرجد ، والأخرى من اللؤلؤ .

ولما صعد الملائكة إلى السماء ، ونزل النبي (صلّى الله عليه وآله) من جبل حراء تصحبه أنوار الجلال ، لم يكن بمقدور أحد النظر إليه ، وكان لا يمر بشجر ولا نبات إلّا سجد له وقال بصوت فصيح :

السلام عليك يا نبيّ الله ، السلام عليك يا رسول الله .

ولما دخل بيت خديجة أشرق البيت بشعاع شمس جماله ، فقالت : ما هذا النور الذي أراه منك ؟ قال : إنه نور النبوة ، قولي :

لا إله إلّا الله ، محمد رسول الله .

قالت خديجة ، طالما عرفت ذلك ، ثم نطقت بالشهادتين وآمنت ، فقال (صلى الله عليه وآله) : إني لأجد برداً ، دُثْرِي ، فلما نام أثناء نداء الحق تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ ﴾ .

فقام (صلى الله عليه وآله) واضعاً إصبعه في أذنه وقال : الله أكبر ، الله أكبر . فكان كل موجود يسمعه ويوافقه .

وفي السنة السابعة بعد المثني وستة آلاف جهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بدعوته ، بعد أن كان ثلاث سنوات يدعو الناس خفية ، وآمن فريق برسائله ودعوته فنزل جبرئيل بقوله تعالى :

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ .

إنه الأمر بإظهار الدعوة ، فصار (صلى الله عليه وآله) إلى جبل الصفا ، وأندر الناس ، وبينَ دعوته إلى الدين المبين ، وقرأ القرآن عليهم ، وتلقى العذاب والأذى منهم ، وكلَّ هذا خارج عن مختصرنا ، وقد ذكرنا من خلال القسم الخامس من معجزاته (صلى الله عليه وآله) ما يناسب هذا المقام ، فيرجع إليه هناك .

ومن هذا القبيل ما جهد به كفَّار قريش من إنزال الأذى بالمسلمين ، وأنزلوا الأذى بالسنتهم في كلِّ من لم يقدرُوا على مواجهته منهم ، أمَّا من لم تكن له عشيرة تدفع عنه فقد أنزلوا به من العذاب ما لا يطاق ، من جرَّ على رمضاء مكة المحرقة ، والتعذيب بالجوع والعطش ، ومعاناة الوحز بالحديد ، والوقوف تحت أشعة الشمس الملتهبة ، ما لم يتبرأوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودعوته .

أقول : ستأتي الإشارة إلى عمار بن يسار من خلال ذكر صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله) ، وما لاقوه من أذى كفار قريش وتعذيبهم .

وفي السنة الثامنة بعد المثني وستة آلاف كانت هجرة أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الحبشة ، وذلك حين اشتدَّ أذى المشركين للمسلمين ، ولم يعد بمقدورهم الصبر عليه ، فسألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يأذن لهم بالهجرة إلى بلد آخر ، فأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ، فأهلها كتابيون ، وملكها لا يظلم ؛ وتلك هي الهجرة الأولى لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أمَّا الهجرة الكبرى فكانت هجرته (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة .

وكان مَن هاجر إلى الحبشة : عثمان بن عفان وزوجه رقية ، وأبو حذيفة بن عتبة بن

ربيعة وزوجه سهلة ، ورزق في الحبشة بابنه محمد بن أبي حذيفة ؛ ثم الزبير بن العوام ؛ ومُصعب بن عُمر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة وزوجه أم سلمة ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة ، وجعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) مع زوجه أسماء بنت عميس ، وعمرو بن سعيد بن العاص ، وأخوه خالد وزوجتها ؛ وعبد الله بن جحش وزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو عبيدة بن الجراح وآخرون .

كانوا جميعاً يناهزون الثمانين عدداً ، وقد خرجوا من مكة في شهر رجب ، وركبوا سفينة أبحرت بهم إلى أرض الحبشة ، حيث استراحوا من حقد قريش وكيدها ، وعرفوا الأمان إلى جانب النجاشي ، وانصرفوا إلى عبادة الله تعالى .

يقول أبو طالب في حث النجاشي على نصرته رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) :

تَعْلَمُ مَلِيكَ الْحَبَشِ أَنْ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ كَمُوسَى وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ
أَنْ يَهْدِيَ مِثْلَ الَّذِي أَتَيْتَا بِهِ فَكُلُّ بِأَمْرِ اللَّهِ يَهْدِي وَيَعْصِمُ
وَأَنْتُمْ تَتْلُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ بِصَدَقِ حَدِيثٍ لَا حَدِيثَ الْمُرْجَمِ
وَأَنْتَ مَا يَأْتِيكَ مَنَّا عَصَابَةٌ بِفَضْلِكَ إِلَّا عَاوَدُوا بِالتَّكْرَمِ
فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ نَدًا وَأَسْلَمُوا فَإِنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ لَيْسَ بِمُظْلَمِ

وفي السنة التاسعة بعد المثين وستة آلاف ، لخمس مضيئ على البعثة ، كانت الولادة السعيدة لفاطمة (صلوات الله عليها) ، بنحو سيأتي تفصيله في الباب الثاني إن شاء الله تعالى .

قصة شعب أبي طالب ، ووفاة أبي طالب وخديجة

وفي السنة العاشرة بعد المثين وستة آلاف كان خروج رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) إلى الشعب ، وإجمال القصة أنه لما رأى المشركون لجوء المسلمين إلى الحبشة ، وأنهم حصلوا على الأمان هناك ، وأن الذين تحلفوا في مكة منهم قد اطمأنوا إلى حماية أبي طالب ، كما أن إيمان حمزة شد من عزائمهم ؛ تنادوا إلى عقد مؤتمر كبير توافقوا فيه على قتل محمد (صَلَّى الله عليه وآله) ، ولما علم أبو طالب بذلك ، جمع آل هاشم وعبد المطلب ونساءهم وأطفالهم وخرج بهم إلى وادٍ يقال له شعب أبي طالب ، واستجاب أبناء عبد المطلب مسلمين وغير مسلمين إلى أوامر أبي طالب بحماية النبي (صَلَّى الله عليه وآله) والذود عنه ، إلا أبا لهب فقد انقلب وانضم إلى العدو .

وقام أبو طالب مع ذويه بحفظ محمد (صَلَّى الله عليه وآله) وحمايته ، ووضع حراساً عند

طرفي الشعب ، وكان ابنه عليّ (عليه السلام) يرقد أكثر لياليه إلى جانب محمد (صلى الله عليه وآله) بينما تكفل حمزة بالحراسة قائماً بالسيف عند رأسه .

ولما رأى المشركون ذلك ، وأيقنوا أن لا سبيل لهم للوصول إلى محمد (صلى الله عليه وآله) ، تداعى أربعون من كبارهم إلى دار الندوة ، واتخذوا فيما بينهم عهداً على مقاطعة بني هاشم ؛ فلا يصاهرونهم ، ولا يبيعونهم ولا يشترون منهم ، ولا يرمون معهم صلحاً ما لم يسلّموهم محمداً ليقتلوه ، وكتبوا بمعهدهم هذا صحيفة توافقوا عليها جميعهم ، وأودعوها عند أم جلاس خالة أبي جهل .

وهكذا حاصرت قريش بني هاشم في الشعب ، وتوقف أهل مكة عن التعامل معهم في بيع أو شراء ، إلّا في أوقات الحج ، وهي أوقات حرام يفد الأعراب فيها إلى مكة ، فيخرج بنو هاشم من الشعب ، ويتابعون منهم ما يطعمون ، وكانت قريش تنازعهم في ذلك ، فإذا أراد أحدهم شراء شيء دفعت قريش إلى البائع أضعاف ثمنه ليحولوا دون حصوله عليه ، وإذا ذهب أحد من القرشيين بشيء إلى الشعب بدافع القرابة والرحم منعه ، وإذا أمسكوا بأحد من بني هاشم خارج الشعب أخذوه وعذبوه .

وكان ممن يزودهم بالأطعمة أحياناً أبو العاص بن الربيع صهر النبي (صلى الله عليه وآله) ، وهشام بن عمرو ، والحكيم بن حزام بن خويلد وهو ابن أخي خديجة .

ويروى أن أبا العاص حمل إلى الشعب إبلاً موسوقة بالقمح والتمر ، ومن هنا ما قاله (صلى الله عليه وآله) من أن أبا العاص أدى حق المصاهرة .

وانصرفت ثلاث سنوات سارت فيها الأمور على هذا المنوال ، حتى ارتفع صراخ بني عبد المطلب من شدة الجوع ، فتنادى بعض المشركين لنقض العهد ، واجمع خمسة منهم أمرهم على نقض العهد وتمزيق الصحيفة وهم ؛ هشام بن عمرو ، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة ، والمطعم بن عدي ، وأبو البختری ، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ؛ وتوجهوا في الغداة إلى الكعبة حيث يجتمع كبار قريش ، وأعلنوا ما عزموا عليه ؛ وإذا بأبي طالب يصل فجأة إلى الكعبة قادماً من الشعب مع رهط من قومه ، فظن أبو جهل أن أبا طالب قد فقد صبره مما لقيه وأمله في الشعب ، وأنه قدم لتسليمهم محمداً (صلى الله عليه وآله) .

لكن أبا طالب وقف يقول : أيها القوم ، أقول قولاً ليس فيه لكم إلّا الخير ، إن ابن أخي محمداً (صلى الله عليه وآله) أخبرني أن الله أوكل بصحيفتكم أرضة تاكل منها ما كتب من الجور والظلم والقطيعة ، إلّا ما كان من « باسمك اللهم » فتدعه ؛ فأرى أن تحضروا

الصحيفة ، فإن كان ما قاله حقاً فلکم عليه حقٌ في حقد أو كيد ، وإن كان كذباً سلّمته إليکم .

استحسن القوم قوله ، ثم أحضروا الصحيفة من أم جلاس ، ولما فتحوها وجدوها وقد أتت عليها الأرضة إلا « باسمك اللهم » ، وهي فاتحة كانت قریش تفتتح بها كتاباتها ، فصعقوا وغمرهم الخجل .

ثم إن المطعم بن عديّ مرّق الصحيفة وقال : إننا نبرأ من هذه الصحيفة الظالمة .

إذ ذاك قفل أبو طالب عائداً إلى الشعب ، وفي اليوم التالي توجّه الرجال الخمسة إلى الشعب يصحبهم رهط من قریش ، وعادوا ببني هاشم إلى مكّة وأقرّوهم في بيوتهم .

وبعد خروج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من الشعب ، فإنّ المشركين أصروا ما وسعهم على خصامه ، وسعوا جهدهم في أذيتة بنحو لا يتسع له المقام .

وفي السنة الثالثة عشرة بعد المئتين وستة آلاف توفيّ أبو طالب وخديجة ، أما أبو طالب فكانت وفاته في السادس والعشرين من رجب في ختام السنة العاشرة للبعثة ، ويكاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، ولما حملوا جثمانه تقدّمه وهو يقول : يا عمّ ، لقد وصلت رحماً ، ولم تخذلني في أمري ، فجزاك الله عني خيراً .

هذا وإنّ جلالة شأن أبي طالب ، وما كان من نصرته لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وغيرها من فضائل لا يتسع لذكرها هذا المقام ، وسنشير إليها في الفصل المخصّص لأهل بيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) باختصار إن شاء الله تعالى .

وبعد ثلاثة أيّام على قول ، أو خمسة وثلاثين يوماً على قول آخر توفيت خديجة (رضي الله عنها) ، فقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بدفنها بيده في الحجون ، وهي مقبرة في مكّة ، وبعد وفاتها ووفاة عمّه (رضي الله عنهما) ، حزن رسول الله كثيراً لموتها ، فلزم بيته ، وقلّباً كان يغادره ، وسَمّي عامه هذا عام الحزن .

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في رثاء هذين العظمين :

أعينيّ جوداً ببارك الله فيكما	على هالكين ما ترى لها مثلاً
على سيد البطحاء وابن رئيسها	وسيدة النسوان أول من صلّى
مصاحبها أرجى لي الجوّ والهوا	فبت أناسي منها المم والشكلا
لقد نصرا في الله دين محمّد	على من بغى في الدين قد رعباً إلّا

وقال أيضاً في رثاء أبي طالب :

أبا طالب عصمة المستجيب - ر وغيث المحول ونور الظلم
لقد هدّ فقدك أهل الحفا ظ فصلّى عليك وليّ النعم
ولقّاك ربك رضوانه فقد كنت للطهر من خير عم

بعد وفاة أبي طالب رفع المشركون من وثيرة الخصومة مع محمد (صلى الله عليه وآله) ،
وطمعوا في زيادة مضايقته ؛ فقد قام أحد سفهاء القوم يوماً - بتحريض من تلك الجماعة -
بقذف حفنة من التراب على رأسه المبارك ، فلم يكن بمقدوره إلا الصبر .

وفي السنة الرابعة عشرة بعد المئتين وستة آلاف تزوّج رسول الله (صلى الله عليه وآله)
من سودة بنت زمعة ، وهذا هو الزواج الأول له بعد خديجة ، إذ لم يتخذ له زوجة أخرى في
حياة خديجة ، وفي تلك السنة أيضاً تمّت خطبته لعائشة وكانت إذ ذاك في السادسة ، وبنى بها في
السنة الأولى للهجرة ، وفي تلك السنة أيضاً بدأ دخول الانصار في الإسلام .

الإسراء والمعراج : وفي السنة الخامسة عشرة بعد المئتين وستة آلاف كان معراج
النبي (صلى الله عليه وآله) .

اعلم أنه ثبت من الآيات الكريمة والأحاديث المتواترة أن الحقّ تعالى أسرى برسول الله
(صلى الله عليه وآله) في ليلة واحدة من مكّة المعظّمة إلى المسجد الأقصى ، ومن هناك عرج به
إلى السماوات حتّى سدره المنتهى والعرش الأعلى ؛ وأظهر له عجائب خلق السماوات ، وألقى
إليه الأسرار الخفية والمعارف اللامتناهية ، وقام (صلى الله عليه وآله) بعبادة الحقّ تعالى في
البيت المعمور وتحت العرش ، وأراه سبحانه الأنبياء ، وأدخله الجنة فشاهد منازل أهلها .

والأحاديث المتواترة عن الخاصّة والعامة تدلّ على أنّ عروجه (صلى الله عليه وآله) كان
بالبدن لا بالروح ، وفي البقطة لا في المنام ؛ ولا خلاف في هذا بين قدماء علماء الشيعة ، وفي
هذا يقول العلامة المجلسي :

« ... وإنكار أمثال ذلك ، أو تأويلها بالعروج الروحاني ، أو يكونه في المنام ، ينشأ إمّا
من قلة التّبع في آثار الأئمة الطاهرين ، أو من قلة التدبّر وضعف اليقين ، أو الإندفاع
بتسويات المتفلسفين ، والأخبار الواردة في هذا المطلب لا أظنّ مثلها ورد في شيء من أصول
المذهب ، فما أدري ما الباعث على قبول تلك الأصول ، وأدعاء العلم فيها ، والتوقّف في هذا
المقصد الأقصى ... واعلم أن قدماء أصحابنا وأهل التحقيق منهم لم يتوقّفوا في ذلك » .

إذا كانت عبارة « عرجت به » قد وردت في بعض النسخ : « عرجت بروحه » فلا تنافي
بينهما ، وهذا يماثل قولك : « جئت بروحي » ، ببيان ليس هنا مقام ذكره ، وقد ذكر تفاصيله
شيخنا العلامة التوري في (تحية الزائر) .

واعلم أن وقوع المعراج قبل الهجرة متفق عليه ، أما إن كان وقوعه في الليلة ، السابعة عشرة من شهر رمضان أو في الحادية والعشرين منه ، لستة شهور قبل الهجرة ؛ أم في شهر ربيع الأول لستين بعد البعثة ، فأمر مختلف فيه . كما أن هناك اختلافاً في مكان العروج ، وهل كان بيت أم هانئ ، أم شعب أبي طالب ، أم المسجد الحرام ؟ والحق تعالى يقول :

﴿ سبحان الذي أمرى بعبيده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، لئريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير ﴾ (الإسراء / ١) .

يقول بعضهم : إن المراد بالمسجد الحرام هنا مكة ، ومكة والحرم كلها مسجد . المعروف أن المسجد الأقصى هو مسجد في بيت المقدس ، ويظهر من أحاديث كثيرة أن المراد البيت المعمور الذي هو في السماء الرابعة ، وهو أبعد المساجد .

كما وقع الاختلاف في هل أن معراج (صلى الله عليه وآله) كان على دفعة واحدة أو اثنتين أو أكثر ، ويظهر من الأحاديث المعتبرة أنه وقع على دفعات ، ويمكن حمل الاختلاف في أحاديث المعراج على هذا ، ويروي العلماء عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن الله سبحانه وتعالى رفع النبي (صلى الله عليه وآله) إلى السماء مئة وعشرين مرة ، وكان في كل مرة يؤكد عليه ويوصيه لولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وإمامته مع سائر الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ، زيادة عن سائر الفرائض .

قال البوصيري :

سريت من حرم ليلاً إلى حرم	كما سرى البدر في داج من الظلم
فظلت ترقى إلى أن نلت منزلة	من قاب قوسين لم تدرك ولم تُرم
وقد متك جميع الأنبياء بها	والرسل تقديم محمد على خدم
وأنت تحترق السبع الطباق بهم	في موكب كنت فيه صاحب العلم
حتى إذا لم تدع شأواً لمسيبني	من الدنو ولا مرقى لمستيم

بيعة العقبة : وفي السنة السادسة عشرة بعد المئتين وستة آلاف جرت بيعة العقبة الثانية ، وبايعه من حضر من أهل المدينة على أن يمنعه مما يمنعون منه أنفسهم وذرايرهم إن جاء إليهم في المدينة . ولما أبرمت البيعة عاد أهل المدينة إلى بلدهم .

وعلم كفار قريش بأمر البيعة ، فازداد حقدهم وكيدهم ، وتنادوا للتشاور ، فاجتمع منهم أربعون من كبارهم في دار الندوة ، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل من نجد ، فدخل معهم ، وبعد نقاش وتبادل في الآراء استقر رأي جميعهم على أن يأخذوا من كل قبيلة فتي شاباً جلدأ ، ثم يعطى كل فتي منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل

واحد فيقتلونه ، فيتفرّق دمه في القبائل كلها ، فلا تقوى عشيرته على حرب قومهم جميعاً .
فيرضون بالعقل (الدية) ، وتفرّق القوم على ذلك وهم مجمعون عليه .

هجرة الرسول (صلّى الله عليه وآله) و ليلة المبيت

وفي الليلة الأولى من ربيع الأول كمن المتآمرون حول بيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) محققين به من كلّ جانب ، ومكثوا يرقبون ريشاً يغلب عليه النوم لينهالوا عليه بضرباتهم ، لكن الحقّ تعالى أطلع رسوله على مكبرهم ، ونزل جبريل (عليه السلام) بقوله عزّ وجل :

﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين ﴾ (الأنفال / ٣٠) .

وأثناء الأمر بأن ينام أمير المؤمنين (عليه السلام) في فراشه ، وأن يغادر مكة ؛ فأخبر علياً (عليه السلام) أن المشركين آتون في طلبه الليلة ، وأنه أمر بالرحيل عن مكة إلى غار ثور ، وأمر بأن يخلفه في فراشه ، كي لا يعلم المشركون برحيله ، فسأله عليه السلام :

وهل ستكتب لك السلامة ؟ قال : أجل ، قال : حباً وكرامة ، ثم سجد لله شاكراً ، وكانت تلك أول سجدة شكر في هذه الأمة ، ثم رفع رأسه وقال : اذهب أينما أمرت روعي لك الفداء ، ثم احتضنه (صلّى الله عليه وآله) وبكى ، ثم استودعه الله ، وأخذ جبرئيل بيده ، وخرج به من البيت وهو يقرأ :

﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ (يس / ٩) .

وخرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأخذ حفنة من تراب نثرها عليهم وهو يقول :
شاهت الوجوه .

ويروى أنه قصد دار أمّ هانئ ، وفي غلس الصبح توجه إلى غار ثور ، بينما من ناحية أخرى نام أمير المؤمنين (عليه السلام) في فراشه بعد أن التحف ببرده ، ورغب المتآمرون بالإغارة على البيت ليلاً ، غير أنّ أباهب - وكان واحداً منهم - أشار عليهم بالترثيث إلى الصباح ، وهكذا كان ، فلما تقاطروا إلى البيت عند الصبح وقف لهم أمير المؤمنين (عليه السلام) زاعقاً بهم ، فسألوه :

أين محمّد ؟ فاجاب : وهل أودعتموه عندي ؟ لقد خرج ، فخلّوا عنه وانطلقوا بطلبون النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ، وفي هذا الشأن نزل قوله تعالى :

﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ (البقرة/ ٢٠٧)

ثم إن النبي (صلى الله عليه وآله) لبث في غار ثور ثلاثة أيام ، وفي الرابع توجه إلى المدينة ، وبلغها في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ، لثلاث عشرة سنة خلت من البعثة ، وكانت هذه الهجرة إلى المدينة بداية للتاريخ الإسلامي

وفي السنة الأولى للهجرة ، بعد الشهر الخامس أو الثامن منها .

آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين المهاجرين والأنصار ، كما آخى بينه وبين أمير المؤمنين (عليه السلام) ؛ وفي شهر شوال من العام نفسه بنى بزوجه عائشة .

وقائع العام الثاني من الهجرة

وفي السنة الثانية للهجرة تحولت قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ، وفي هذه السنة تزوج أمير المؤمنين من فاطمة (عليها السلام) ، ويقول بعض المحققين إن سورة ﴿ هل أتى ﴾ نزلت في شأن أهل البيت ، وفيها ذكر للكثير من نعم الله عز وجل ، كما فيها ذكر الخور العين ، ولعل ذلك إجلالاً لفاطمة (صلوات الله عليها) ، وفي آخر شعبان من هذه السنة فرض صوم شهر رمضان .

وفي هذه السنة أيضاً أذن للمسلمين بقتال المشركين .

غزوة الأبواء : وبعد سبعين يوماً خلت هذه السنة غزا رسول الله (صلى الله عليه وآله) غزوة الأبواء ، وهي بلدة بين مكة والمدينة ، وفيها قبر أمينة أم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وبحذاتها بلدة هي ودان ، ولذا تسمى هذه الغزاة بغزوة ودان ؛ وانتهت هذه الغزوة بالصلح ، ورجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) منها دون قتال ، وكان صاحب لوائه فيها الحمزة عمه (رضي الله عنه) .

عما تحسن معرفته أنه إذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) على رأس جيشه في حرب ، سميت غزوة ، أما إن لم يكن ، سميت بعثة أو سرية ، وهي طائفة من الجيش ترسل للعدو ، أقلها تسعة وأكثرها أربعمئة ، ويقول البعض : إن السرية التي تعدادها خمسمئة فما فوق يقال لها منس ، وإذا كان العدد فوق ثمانمئة سمي جيشاً ، وإذا كان فوق أربعة آلاف سمي جحشاً ، (وذلك بتقديم الجيم على الحاء على وزن جعفر) ، أما عدد غزوات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ففيه اختلاف بين تسع عشرة وسبع وعشرين كما يقال ، لكن القتال وقع في تسع غزوات فقط .

غزوة بواط والعشيرة وبدر الأولى : وفي شهر ربيع الآخر وقعت غزوة بواط ، وكان

رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) في مثنين من أصحابه يريد عيراً لقريش ، وبُواط جبل من جبال جهينة في ناحية رضوى ، ورضوى جبل بين مكة والمدينة قرب يَنْبُع التي يقول الكيسانية إن محمد بن الحنفية مقيم هناك ، ويبقى حياً حتى خروجه .

وبعد بُواط غزا غزوة العُشَيْرَة ، وهي اسم موضع من بطن ينبع ، وفيها بنو مُدَلج ، وقصتها أن رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) بلغه أن أبا سفيان مع رهط من قريش هم في سفر إلى الشام في تجارة ، فجاء (صَلَّى الله عليه وآله) مع بعض أصحابه في أثرهم ، لكنهم لم يلقيهم ، فودع بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة .

وفي شهر جمادي الآخرة كانت غزوة بدر الأولى ، فقد أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة (ماشيتها) فخرج رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سَفْوَان في ناحية بدر ، وكان حامل لوائه علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفاته كرز فلم يدركه ، وبعد ثلاثة أيام قفل راجعاً إلى المدينة ، وكان شهر جمادي الآخرة قد انقضى .

غزوة بدر الكبرى : كذلك ففي السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى ، وخلاصتها أن كَفَّار قريش كعتبة وشيبة ابني ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأبي جهل ، والبخترى ، ونوفل بن خويلد وغيرهم من صناديد مكة والكثير من المحاربين ، بلغ مجموعهم تسعمئة وخمسين رجلاً ، خرجوا من مكة يريدون حرب رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، وأخرجوا معهم القيان يضربن بالدقوف ، على خيلٍ من مئة فرس وسبعمئة من الإبل ، وأمرؤا فيها بينهم أن يتكفل كل يوم واحد من أشرافهم بالمؤونة والعلف للجيش ، وأن ينحر عشرة من الإبل .

وعلى الجانب الآخر فإن رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) تحرَّك نحو أرض بدر ، وبدر هي اسم لبئر يلقي المشركون فيه قتلاهم ؛ ولما استقرَّ مع أصحابه هناك راح يشير بيده المباركة إلى مواضع في الأرض ويقول : هذا مصرع فلان محدداً وكان مصرع كل من صناديد قريش ، وهذا ما وقع .

وكان عسكر العدو قد علوا كثيراً كشف لهم جيش النبي (صَلَّى الله عليه وآله) بكامله ، فاستقلَّوهم واحتفروهم (كان تعدادهم ثلاثمئة وثلاثة عشر مقاتلاً) والمسلمون بدورهم كان مشهد المشركين في أعينهم قليلاً ، وإلى هذا يشير قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّنَ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً ، وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ، لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ (الأنفال / ٤٤) .

لما رأى كَفَّار قريش قلة أصحاب رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) بعثوا عمير بن وهب

الجمحي ، وكان فارساً شجاعاً ، ليستطلع مواقع جيش النبي (صَلَّى الله عليه وآله) ، ويرى إن كان لهم كمين أو مدد ، فجال بفروسه ثم رجع فقال :

ما لهم من كمين ولا مدد ، ولكن نواضح يثر قد حلت الموت الناقع ، أما ترونهم خُرساً لا يتكلمون ، يتلَمَّظون تَلَمَّظ الأفاعي ، وما لهم ملجأ إلا سيوفهم ، وما أراهم يؤلون حتى يُقتلوا ، ولا يُقتلون حتى يُقتلوا بعددهم . (وقَدَّر عددهم بثلاثمائة رجل) .

ولما سمع حكيم بن حزام هذه المقالة رجأ عتبة أن يرجع بالناس عن الحرب ، قال : فأت ابن الحنظلة - يعني أبا جهل - فقل له : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك عمَّد ؟ فجاء حكيم أبا جهل وبلغه رسالة عتبة فقال أبو جهل : انتفع والله سحره (والسحر : الرثة ، والقول كناية عن الجبن) وقد خاف على ابنه أبي حذيفة ، وهو فيهم (وكان ابن عتبة قد أسلم) .

نقل حكيم قول أبي جهل إلى عتبة ، وكان قد جاء في أثره ، فبادره عتبة قائلاً : يا مُصَفَّر الأنت ، يعبره ، ستعلم من انتفع سحره أنا أم أنت .

وعلى الجانب الآخر فإن رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) - رغبة منه في تطيب قلوب أصحابه ودفع رهبة الحرب عنهم ، وعملاً بقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ . ومع علمه أن قريشاً لن تجنح للسلم ، وذلك لأنه فات وقت الكلام - فقد أرسل إلى قريش يقول : يا معشر قريش ، ما أحد من العرب أبغض إليّ من أن أبدأ بكم ، فخلّوني والعرب ، فإن أك صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً ، وإن كنت كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري فارجعوا .

فقال عتبة : والله ما أفلح قوم ردّوا هذا ، يا معشر قريش ، أطيعوني اليوم ، فإن عمَّداً له إل وذمة ، وهو ابن عمّكم ، فارجعوا ولا تردّوا رأيي ؛ فلما سمع أبو جهل ذلك غاضبه وقال : يا عتبة ، نظرت إلى سيف بني عبد المطلب وجبت ، وانتفع سحرك ، فقال عتبة : أمثلي بيمين ؟ وستعلم قريش اليوم أننا الأجبن والألام ، ثم ترجل عن بعيره ، وترجل أبو جهل عن فرسه فاجتمع إليهما الناس وفصلوا بينهما .

وهنا كانت نار الحرب قد انبعثت السنتها ، واندفع الناس من الجانبين لخوض غمارها .

وكان عتبة أول من برز للحرب ، وقد أخذته الحمية بعد أن نسب أبو جهل إلى الجبن ، ولبس درعه ، واعتمَ بعمامة إذ لم يجدوا له خوذة تناسب رأسه لعظم هامته ، ثم تقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد ، فصالوا بين الجيشين وقالوا : من يبارز ؟ فخرج فية من الأنصار ، فقال لهم عتبة بعد أن انتسبوا : ارجعوا فإننا لسنا إياكم نريد ، ثم نادى : يا عمَّد ، أخرج إلينا أكفأنا من بني عمّنا .

وكره رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يكون أول الكثرة بالانصار ، فدعا علياً (عليه السلام) ، وحمزة بن عبد المطلب عمه ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وانطلق ثلاثهم للبراز كالأسود .

قال حمزة : أنا حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله .

فقال عتبة : كفؤ كريم ، وأنا أسد الحلفاء .

وعتبة بهذا القول عدّ نفسه سيد الحلفاء المطّيين ، وقد تقدّمت الإشارة إلى حلف المطّيين عند الحديث عن آباء الرسول (صلى الله عليه وآله) .

وإجمالاً ، فقد توجه أمير المؤمنين (عليه السلام) نحو الوليد ، وحمزة نحو شيبة ، وعبيدة نحو عتبة .

ثم ارتجز أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال :

أنا ابن ذي الحوضين عبد المطلب وهاشم المظم في العمام السغب
أوفي بميثاقي وأحمي عن حسب

ثم حل على الوليد بن عتبة فضربه على جبل عاتقه ، فأخرج السيف من إبطه ، وكانت ذراعه من الضخامة بحيث إذا رفعها أخفت وجهه ، ويقال إنه أخذ يمينه المقطوعة بيساره فضرب بها هامة علي (عليه السلام) فكاد يسحقها ، لكن علياً (عليه السلام) راغ عنها ، وعاجله بضربة كان فيها أجله .

وحمل حمزة على شيبة ، فتضاربا بالسيفين حتى انثليا ، ثم اعتنقا ، فصاح المسلمون : يا عليّ ، أما ترى الكلب قد بهر عمك ؟ فحمل عليه عليّ (عليه السلام) ثم قال : يا عم طاطىء رأسك ، وكان حمزة أطول من شيبة ، فادخل حمزة رأسه في صدره ، فضربه أمير المؤمنين على رأسه فطنّ نصفه .

أما عبيدة وعتبة فكانا متقاربين معدودين كليهما من الأقران ، فسرعان ما تصالوا ثم تبادلا ضربتين ، فأصابا ضربة عبيدة مفرق عتبة فمزق رأسه نصفين ، وأصابا ضربة عتبة ساق عبيدة فقطعتها ، وكان عليّ (عليه السلام) قد انتهى من شيبة ، فجاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه ، وهكذا شرك (عليه السلام) في قتل الرجال الثلاثة ، ومن هنا قوله عند قتاله معاوية :

« وعندي السيف الذي أعضضته أخاك وخالك وجذك يوم بدر » .

ثم حل عبيدة بين عليّ وحمزة حتى أتيا به رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فنظر إليه

واستعبر فقال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، ألتست شهيداً ؟ فقال : بلى ، أنت أول شهيد من أهل بيتي .

وعند أوتيتهم من بدر ، ولما بلغوا أرض الروحاء أو الصفراء أسلم عبيدة الروح فدفن هناك ، وكان يكبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعشر سنوات ، وأنزل الله عز وجل قرآنه في شأن أولئك الخصوم الستة فقال :

﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يَصْـبُ من فوق رؤوسهم الحميم ﴾ (الحج / ١٩) .

وبعد مقتل أولئك الثلاثة دبَّ الرعب في قلوب القرشيين ، فراح أبو جهل يحرّضهم على القتال ، وجاء إبليس - عليه اللعنة - إلى قريش في صورة سراقه بن مالك ، فقال لهم : أنا جار لكم ، ادفعوا إليّ رايتكم ؛ فدفعوا إليه رابية الميسرة ، فجاء يهول على أصحاب رسول الله ، ويحِيل إليهم ويفزعهم ، ويقوّي قلوب المشركين .

وأقبلت قريش يقدمها إبليس ومعه الراية ، فنظر إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : غَضُوا أَبصاركم ، وَغَضُوا على النواجذ . ولما رأى قلة أصحابه رفع يده إلى السماء وسأل ربه النصر .

قال تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أذلة - إلى قوله : يُدْـدِكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين ﴾ (آل عمران / ١٢٣ - ١٢٥) .

واشتدَّ القتال ، وحين نظر إبليس إلى جبرئيل تراجع ورمى باللواء ، فأخذ منه بن الحجاج بمجامع ثوبه ثم قال : وياك يا سراقه ، تفتّ في أعضاء الناس ؟! فركله إبليس ركلة في صدره وقال : إني أرى ما لا ترون .

قال تعالى : ﴿ فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم ، إني أرى ما لا ترون ﴾ (الأنفال / ٤٨) .

وحمل أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) كالأسد الغاضب ، في كل ناحية ، وراح يحنّـدل الرجال والمطايا ، حتى قتل ستة وثلاثين رجلاً من أبطال قريش ؛ ونقل عنه قوله (عليه السلام) : عجباً لقريش ! لقد شهدوا قتالي للوليد بن عتبة ، وراوا كيف أتى بضربة واحدة مني جعلت عيني حنظلة تخرجان من عجزيهما ، فكيف يقدمون على قتالي ؟!

وإجمالاً فقد قتل من صناديد قريش سبعون منهم : عتبة وشيبة ، والوليد بن عتبة ، وحنظلة بن أبي سفيان ، وطعيمة بن عديّ ، والعاص بن سعيد ، ونوفل بن خويلد ، وأبو

جهل ؛ ولما أتوا برأسه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) سجد لله شكراً .

وهزمت قريش ، وخرج المسلمون في أثرهم فأسروا منهم سبعين ، وكان ذلك في السابع عشر من شهر رمضان .

ومن الأسرى النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ، وقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتلها ، وكانا من أشد قريش عداً للنبي (صلى الله عليه وآله) .

وجاء في الخبر أنه لما قتل النضر بيد علي (عليه السلام) قالت أخته تربيته :

أحمد ، ولأنت نجل نجيبية في قومها ، والفحل فحل معرق
ما كان ضرّك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق
النضر أقرب من أسرت قرابة واحقهم إن كان عتق يُعتق
فلما سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) مرثيتها قال : لو كنت سمعت شعرها لما
قتلتها .

غزوة بني قينقاع : وفي السنة الثانية ، في منتصف شوال ، على رأس عشرين شهراً من الهجرة ، كانت غزوة بني قينقاع ، وهم طائفة من يهود المدينة .

اعلم أن الكفار بعد الهجرة كانوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : وهم الذين عاهدوا الرسول (صلى الله عليه وآله) على أن لا يجاربوه ولا يُعينوا على حربه ، وهم اليهود من بني قريظة ، وبني النضير ، وبني قينقاع .

القسم الثاني : وهم الذين حاربوه وناصروا أعداءه ، وهم كفّار قريش .

القسم الثالث : وهم الذين لم يكن لهم شأن معه ، بل كانوا يرقبون ما يكون من عاقبة أمره (صلى الله عليه وآله) مع الأعراب ، لكن بعضهم كان يتبع ظهور أمره (صلى الله عليه وآله) وآله (كقبيلة خزاعة ، خلاف بعضهم الآخر كبني بكر ، وبعض كانوا معه ظاهراً ومع عدوّه باطناً ، كالمناقيين ، وكطوائف اليهود الثلاث ، ثم غدروا به ، وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد منهم .

وكان سبب الغزوة أن امرأة من المسلمين كانت تجلس عند دكان صائغ يهودي في سوق قينقاع ، فالتهم مع يهودي آخر السخريّة بها ، فمزق ثوبها من الخلف وربطه بمشبك ، والمرأة غافلة عنها ، فلما وقفت انحسر الثوب كاشفاً عن كفلها ؛ وراح اليهوديان يضحكان ،

فصاحت المرأة ، ورأى أحد المسلمين ما جرى فقتل اليهودي جزاء فعلته القبيحة ، فتنادى اليهود من كل صوب وقتلوا ذلك الرجل .

فلما علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالأمر طلب أشراف اليهود فقال :

« يا معشر اليهود ، احذروا من الله الذي مثل الذي نزل بقريش يوم بدر ، وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم ، وقد عرفتم أنني نبي ومرسل ، وتجدون ذلك في كتابكم » .

فقالوا : يا محمد ، لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغياراً لا علم لهم بالحرب ، فأصبحت منهم فرصة ، إنا والله لو قابلناك لعرفت أننا نحن الناس .

ثم قاموا فانصرفوا ، فنزل جبرئيل بقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ (الأنفال / ٥٨) .

فاستخلف (صلى الله عليه وآله) أبا لبابة على المدينة ، وجعل على لوائه حزمة عمه (رضي الله عنه) ، وخرج إليهم ، فلما رأوا أنهم لا قبل لهم على حربه لجأوا إلى حصونهم يحنمون بها ، فحضر عليهم حصاراً امتد خمسة عشر يوماً حتى اشتد عليهم الحصار ورضوا بحكم الله فيهم ، وفتحو أبواب الحصون ، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) المنذر بن قدامة فأوثق المحاربين منهم ، وكانوا سبعمئة ، وظنوا أنهم مقتولون .

وكان عبد الله بن أبي رجلاً منافقاً بين المسلمين ، فسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يحسن إليهم ، وألح في مسأله ، فحجب (صلى الله عليه وآله) دماءهم على أن يخرجوا من المدينة ويخلفوا أموالهم وأثقالهم وضياعهم وقلاعهم ، وهكذا كان ، ثم خرجوا إلى أذرعات في الشام ، ويرجع البعض هذه الغزوة إلى السنة الثالثة من الهجرة .

غزوة قرقرة الكدر : وفي شهر شوال من السنة الثانية أيضاً كانت غزوة قرقرة الكدر ، وهو ماء لبني سليم على ثلاثة منازل من المدينة ، وسببها أنه بلغ رسول الله أن جماعة من بني سليم وبني عطفان أئتمروا على الشارلقريش بالإغارة ليلاً على المدينة ، فعزم على الخروج إليهم ، وسلم لواء جيشه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) على رأس اثنين من أصحابه ، ولما وصل المكان بعد يومين فاته القوم فلم يلتق منهم أحداً ، وقفل راجعاً إلى المدينة .

غزوة السويق : وفي العشرة الأخيرة من ذي القعدة (أو ذي الحجة) من تلك السنة كانت غزوة السويق ، وذلك أن أبا سفيان نذر بعد واقعة بدر أن لا يمس رأسه من جنابة حتى يغزو محمداً (صلى الله عليه وآله) ، فخرج من مكة في اثنين من الرجال حتى بلغوا العريض ، في أطراف المدينة ، فوجدوا رجلاً من الأنصار يقال له معبد بن عمرو وحليفاً له

فقتلوهما ، وأحرقوا بيتاً أو بيتين مع بضع نخلات ، ثم انصرفوا .

علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالامر فاستخلف أبا لبيبة على المدينة وخرج مع متين من المهاجرين والأنصار في طلب أبي سفيان حتى بلغ قرقرة الكدر ، وقد فاته أبو سفيان بعد أن أمر رجاله بالتخفف من أزوادهم لتسهيل عليهم النجاة من محمد (صلى الله عليه وآله) ، فطرحوها وراءهم ، وكان فيها السويق ، ومن هنا سُميت غزوة السويق ، وقفل الرسول (صلى الله عليه وآله) راجعاً إلى المدينة ، وكانت مدة هذه الغزوة خمسة أيام ، ويرجعها بعضهم إلى السنة الثالثة من الهجرة .

وفي السنة الثانية من الهجرة كانت ولادة الإمام الحسن (عليه السلام) ، على قول ، بينما يرجع الكثيرون ولادته (عليه السلام) إلى السنة الثالثة ، وسيأتي الحديث عن ولادته (عليه السلام) في الباب الرابع إن شاء الله تعالى .

وقائع العام الثالث من الهجرة

غزوة غطفان : في هذه السنة كانت غزوة غطفان ، وسميها البعض غزوة ذي أمر ، أو غزوة أثمار ، وهو موضع في نجد ، وذلك لما بلغه (صلى الله عليه وآله) أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب قد تجتمعوا في ذي أمر يريدون أن يصيبوا أطراف المدينة ، عليهم رجل يقال له : دُعْثُور بن الحارث بن محارب ، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أربعمئة وخمسين رجلاً ومعهم أفراس ، ونزل ذا أمر وعسكره ، فهرب منه الأعراب فوق ذرى الجبال ، ولم يره أحد سوى رجل من بني ثعلبة أخذه المسلمون إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ، فعرض عليه الإسلام فأسلم .

وأصابهم مطر كثير ، فذهب رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحاجة فأصابه ذلك المطر فبل ثوبه وقد جعل (صلى الله عليه وآله) وادي أمر بينه وبين أصحابه ، ثم نزع ثيابه ونشرها لتجف ، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها والأعراب ينظرون إلى كل ما يفعل رسول الله ، فقالت الأعراب لدُعْثُور - وكان سيدهم وأشجعهم - : قد أمكنك محمد .

فأقبل عليه حتى قام على رأسه بالسيف مشهوراً ، فقال :

يا محمد ، من يمنك مني اليوم ؟ قال : الله .

ودفع جبرئيل في صدره ، فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وآله ، وقام على رأسه فقال :

من يمنحك مني؟ قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وإن عمداً رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً.

فأعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيفه، فأق قومه ودعاهم إلى الإسلام، ونزل قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يسلطوا إليكم أيديهم فكفت أيديهم عنكم﴾ (المائدة/ ١١).

ثم قفل رسول الله (صلى الله عليه وآله) راجعاً إلى المدينة بعد غياب واحد وعشرين يوماً عنها.

وفي السنة الثالثة - على أحد الأقوال - قُتل اليهودي كعب بن الأشرف في الرابع عشر من ربيع الأول، وكان يحرّض على المسلمين، ويهجو رسول الله (صلى الله عليه وآله).

غزوة بحران: كما وقعت في تلك السنة أيضاً غزوة بحران، وهي في ناحية فُرع، وفُرع قرية من نواحي الربذة، وسببها أنه بلغ رسول الله أن جمعاً من بني سليم تجتمعوا في بحران يكيدون له، فخرج إليهم في ثلاثمائة من أصحابه، ففترقوا في أراضيهم فلم يلق منهم أحداً، فانصرف راجعاً.

وفي السنة الثالثة أيضاً كانت ولادة الحسين (عليه السلام)، وتزوج (صلى الله عليه وآله) في تلك السنة من حفصة في شعبان، ومن زينب بنت خزيمة في شهر رمضان.

غزوة أحد: وفي شهر شوال من السنة الثالثة وقعت غزوة أحد، وأحد جبل مشهور على فرسخ من المدينة، وذلك أن قريشاً لما رجعت من بدر كانت أشد ما تكون غضباً، وقد امتلأت الصدور منهم بالغضب والحقد على المسلمين، فانصرفوا إلى إعداد جيش كبير وتجهيزه، حتى جمعوا خمسة آلاف رجل مع ثلاثة آلاف من الإبل ومئتي فرس، وتوجهوا نحو المدينة لقتال رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأخرجوا معهم النساء يذكرنهم ويحثنهم على الحرب، ويرين قتلى بدر لإثارة مكامن الحقد والبغضاء.

فلما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك جمع أصحابه ودعاهم إلى الجهاد، ثم خرج مع نفر من أصحابه يتفنون موضعاً للقتال، واختاروا أن يكون جبل أحد من خلفهم، وجبل عنين إلى يسارهم، والمدينة أمامهم، ونظراً لوجود شعب في جبل عنين فقد وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب، وأشفق أن يأتي كمينهم من ذلك المكان، فقال لعبد الله بن جبير وأصحابه:

« إن رأيتُمونا قد هزمناهم حتَّى أدخلناهم مَكَّة فلا تَبْرَحُوا من هذا المكان ، وإن رأيتُموهم قد هزمونا حتَّى أدخلونا المدينة فلا تَبْرَحُوا ، والزموا مراكزكم . »

ولما فرغ (صَلَّى الله عليه وآله) من تسوية صفوفه خطب أصحابه فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، أوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته ، والتناهي عن محارمه (وساق الخطبة الشريفة إلى قوله) : قد بينَ لكم الحلال والحرام ، غير أنَّ بينها شُبُهًا من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلَّا من عُصِم ، فمن تركها حفظ عرضه ودينه ، ومن وقع فيها كان كالرَّاعي إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه ، وليس مَلِك إلا وله حمى ، ألا وإنَّ حمى الله عماره ؛ والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى عليه سائر جسده ، والسلام عليكم . »

ومن جانب آخر ، جهَّز المشركون صفوفهم ، ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد على الميمنة في خمسة رجل ، وعكرمة بن أبي جهل في مثلها على الميسرة ، وجعل صفوان بن أمية وغمرأ بن العاص أميرين على الفرسان ، وعبد الله بن ربيعة أميراً للرماة ، وهو على رأس مئة من الرجال ، وقد حملوا هُبُل على بعير في المقدمة ، وشغل النسوة مؤخرة الجيش ، وسلم اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة .

سأل رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) : من هو حامل لواء الكفَّار ؟ فقيل : إنه من بني عبد الدار ، فقال : نحن أحقَّ بالفداء منهم .

فتقدَّم مصعب بن عمير ، وهو من بني عبد الدار ، فسأل اللواء فأسند إليه ، فرفعه متقدِّماً القوم .

حَثَّ طلحة بن أبي طلحة فرسه ، وهو كبش الكتبية ، وصاحب لواء المشركين ، وطلب البراز ، فلم يجرؤ أحد على إجابته ، لكنَّ عليّاً (عليه السلام) ، برز إليه كالأسد المصور وهو يرتجز ، فقال طلحة :

قد علمت يا قصم أنه لا يجسر عليّ أحد غيرك ، ثم شدَّ عليه طلحة فضربه ، فأتقاه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالحجفة (الترس) ، ثم ضربه على مفرقه ، فسقط على ظهره وسقطت الرابية ، فذهب علي (عليه السلام) ليجهز عليه فقال : أنشدك الله والرحم ، فانصرف عنه .

سُرَّ رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) من قتله ، ورفع صوته بالتكبير ، وكبَّر المسلمون ، ثم أخذ الرابية بعد طلحة أخوه مصعب ، فقتله علي (عليه السلام) ، وسقطت رايته إلى

الأرض ، ثم تعاقب بنو عبد الدار واحداً بعد واحد لآخذ الراية كلها سقطت ، وراحوا يتساقطون واحداً تلو الآخر حتى لم يعد منهم أحد يرفع الراية ، فأخذها غلام لهم يدعى صواب ، فالحقه أمير المؤمنين (عليه السلام) بهم .

ورد في الخبر أن هذا الغلام كان حبشياً ضخماً الحجة كالقبة المنيّة ، وكان فمه في ذلك الوقت يرغي ويزيد ، وعيناه حمراوين ، ويقسم أنه لن يقتل بدلاً عن أبيه سوى محمداً (صلى الله عليه وآله) وقد خاف منه المسلمون ، لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) عاجله بضربة قدّته من وسطه نصفين ، فصلت نصفه الأعلى عن أسفله ، فراح المسلمون ينظرون إليه بتعجب ، ثم حملوا حلة صادقة اختلط فيها حابل المشركين بنابلهم ، وهزموا شرّ هزيمة ، وراح كل منهم يفرّ إلى ناحية ، وسقط البعير الذي يحمل مُبَلّ ، وطرح حولته على الأرض ، وأغار المسلمون في أثر المشركين يجمعون ما يصل إلى أيديهم من الغنائم .

ولما رأى حرّاس الشعب ما يجري جاش فيهم الطمع ، وتركوا مكانهم من الشعب ، وجروا يطلبون نصيبهم من الغنائم ، ولم تجد معهم مناشدة عبد الله بن جبير للبقاء في مواقعهم ، فانسَلَوْا منها وخلفوا عبد الله في أقلّ من عشرة ، فانحطّ خالد بن الوليد مع عكرمة بن أبي جهل في مثنى فارس على عبد الله بن جبير ، وقد قرّ أصحابه وبقي في نفر قليل فقتلوه ، ثم التّفوا من وراء المسلمين فوضعوا فيهم السيف ، وعادت راية قريش إلى الارتفاع .

ونظرت قريش إلى الراية قد نصبت فلاذوا بها . وجاء إبليس بصورة جُعيل بن سراقه ، ونادى : ألا إنّ محمداً قد قُتل ، وانهم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) هزيمة قبيحة ، حتى أنهم من ذهولهم وضعوا السيف في بعضهم ، وأقبلوا يفرّون في كل وجه ، وتحلّوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فلم يبق معه إلا أبو دجاجة وأمير المؤمنين (عليه السلام) ، فكلّما حملت طائفة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) استقبلهم (عليه السلام) فدفعهم عن رسول الله بسيفه حتى أصابه في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة ، وسُمع منادٍ من السماء ينادي :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ

ونزل جبرئيل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : يا محمد ، هذه والله المواساة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، لأنّي منه وهو مني ، فقال جبرئيل : وأنا منكما .

يروى إجمالاً أن عبد الله بن قميصة أقبل يريد قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

فذهب مصعب بن عمير - وهو صاحب راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) - عنه ، فتحول ابن قميئة إليه وقطع يمينه ، فأخذ الراية بيساره فقطعها ، ثم أجهز عليه ، وسقطت الراية ، لكن ملكاً بصورة مصعب نصب الراية عالياً ، ورمى ابن قميئة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحجر شجّه في وجهه فسال منه الدم ، فجعل يثلقى الدم بيديه ويرمي به نحو السماء كي لا يسقط على الأرض فيتزل العذاب ، ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله عز وجل ؟!

وأصابه عتبة بن أبي وقاص بحجر فشق شفته وكسر ربايعته ، وحمل بعضهم عليه بالسيف فجعد قبل الوصول إلى جسده الشريف ، ويروى أنه حمل عليه في تلك المجمععة سبعين ضربة سيف ، لكن الله حفظه ، ومع كل ذلك فهو لم يدع على القوم بل قال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

استشهد حمزة بن عبد المطلب

وشهد هذه الواقعة وحشيّ عبد جبير بن مطعم ، وكان يضمّر الحقد على حمزة بن عبد المطلب ، فكمن له وهو منشغل بالقتال يهذّ الناس هذّاً ، فأخذ حربته فهزّها ورماء بها فوقعت في عاتقه ، وخرج رأسها من الجانب الآخر ، وعلى قول آخر : وقعت في خاصرته وخرجت من مثانته ، فسقط شهيداً .

ثم إن وحشيّاً جاء إلى جسده فبقرها وأخرج كبده وأخذها إلى هند زوجة أبي سفيان ، فأخذتها في قمها فلاكتها ، فجعلها الله في فيها صلبة قاسية كي تلفظها فلا يمتلئ جزء من بدنه الشريف مع بدن كافر ، ثم رمت بها ، ومن هنا سميت هند بأكلة الأكباد .

ثم إنّه أعطت وحشيّاً كلّ ما كانت تنزّين به من حلي وقلائد ، وصارت إلى الجسد الشريف فجذعت أذنيه وجعلتها قرصين ، وقطعت أعضاء أخرى من بدنه تحملها معها إلى مكة ، وتأسّت بها نساء قريش ، فرحن يمثّلن بالشهداء ، فقلعن العيون ، وبقرن البطون ، وقطعن الأعضاء ، وسلكنها في خيوط وأنخذن منها خلاخيل وأساور وقلائد ، كما جاء أبو سفيان إلى مصرع حمزة ، وراح ينكت فمه بتصل سنانة ويقول : ذق عقق !

ولمّا رأى الحليّ بن علقمة ما جرى هتف قائلاً : يا معشر بني كنانة ، انظروا إلى من يزعم أنه سيّد قريش ما يصنع بابن عمّه الذي قد صار لحماً ، فبان الغضب في وجه أبي سفيان وقال : إنما كانت مني زلّة ، اكتمها عني !

وإجمالاً فقد قتل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذه الغزوة سبعون شهيداً عدّد أسرى قريش الذين أسروا في بدر فلم يقتلهم المسلمون ورضوا بإطلاقهم وأخذ

الفدية ، على أن يستشهد بالمقابل من المسلمين بعددهم في وقعة أخرى .

ولما وصل خبر استشهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة خرجت أربع عشرة امرأة من أهل البيت وذويهم من المدينة إلى أرض المعركة ، فلما دنت فاطمة (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورأت ما به من جراحات صاحت وجعلت تمسح الدم عن وجهه وتبكي ، فترقق الدمع في عيني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأناه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالماء في درقته ، وفاطمة (عليها السلام) تغسل رأسه ووجهه دون أن يتوقف الدم ، فأخذت قطعة من حصير أحرقتها وباشرت جراحاته برمادها ، فسكن الدم .
ويروي علي بن إبراهيم القمي أنه لما سكن القتال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : وآله) :

من له علم بعَمِّي حمزة ؟ فقال له الحارث بن الصُّمَّة : أنا أعرف موضعه ، فجاء (الحارث) حتَّى وقف على حمزة ، ففكره أن يرجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيخبره ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأمر المؤمنين (عليه السلام) يا عليّ ، اطلب عَمَّك ؛ فجاء عليّ (عليه السلام) فوقف على حمزة ، ففكره أن يرجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله) ، فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتَّى وقف عليه ، فلما رأى ما فعل به بكى ، ثم قال : والله ما وقفت موقفاً قط أغيظ عليّ من هذا المكان ، لئن أمكنني الله من فريش لأمثلنّ بسبعين رجلاً منهم ، فنزل عليه جبرئيل فقال :

﴿ وإن عاقبتهم فمعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * واصبر . . . ﴾ (النحل / ١٢٦ / ١٢٧) .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : بل أصبر ؛ ثمّ ألقى على حمزة (رحمه الله) بردة كانت عليه ، فكانت إذا مدها على رأسه بدت رجلاه ، وإذا مدها على رجله بدا رأسه ، فمدها على رأسه ، وألقى على رجله الخشيش ، وقال : « لولا أنّي أحذر أن أحزن نساء عبد المطلب لتركته للعقبان والسباع ، حتّى يحشروم القيامة من بطون السباع والطير » . ذلك أن المصيبة كلّها عظمت ، كلّها كان ثوابها أكثر .

وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقتل فجمعوا ، فصلّ عليهم ، ودفنهم في مضاجعهم ؛ وكبر على حمزة سبعين تكبيرة .

ويقول البعض : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر بأن يدفن حمزة مع عبد الله بن جحش ابن أخته في قبر واحد ، وأن يدفن عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر مع عمرو بن الجموح في قبر واحد ، وهكذا فقد تم دفن كل جسد مع آخر ألف له أو اثنين ، كما قرّب مَنْ

أكثر من قراءة القرآن منهم من بعضهم ، ودفن الشهداء بأثوابهم المخفضة بالدم والمغفرة بالتراب وقال (صلى الله عليه وآله) :

« زَمَلُوهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ وَصَنَائِهِمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كُلِّمْ كُلِّمْ فِي اللَّهِ إِلَّا وَهُوَ يَأْتِي اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ » .

وجاء في الحديث : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) صَلَّى عَلَى حِمَزة وَكَفَّنَهُ لِأَنَّهُ كَانَ جُرْدًا » .

كما يروى أن عبد الله بن عمرو ، وعمرو بن الجموح دفنا في قبر واحد ، وكان قبرهما ممّا يلي السيل ، فإذا ما جاء الأسيل وجرف القبر رأوا عبد الله ، وكان قد أصابه جرح في وجهه ، فبده على وجهه ، فأبسطت يده عن جرحه فثغب الدم ، (أي سال) فردّت إلى مكانها فسكن الدم ؛ قال جابر : رأيته في حفرة كانه نائم ما تغير من حاله قليل ولا كثير ، فقليل : أفرايت أكفانه ؟ قال : إنما كفّن ووضع على رجله الخمرل (نبات له حب أسود كالسمنسم) فوجدنا الكفن كما هو ، والخمرل على رجله كهيئة ، وبين ذلك وبين دفنه ست وأربعون سنة .

ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن فرغ من شأن الشهداء توجه إلى المدينة ، فكان لا يمرّ بحيّ إلا أخرج أهله يشكرون الله على سلامته ولا يذكرون قتلاهم .

وقد سارعت كُثَيْبَةُ أم سعد بن معاذ إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكان ابنها سعد ممسكاً بعنان فرس رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله ، هذه أمي قد حضرت ، قال : مرحباً بها ، وعزاها بولدها عمرو بن معاذ فقالت : كل مصيبة بعدك جلل ، فدعا لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يذهب عمن بقي لها الحزن ، وأن يموتها عن مصيبتها الأجر والمرحمة ، وطلب من سعد أن يأمر الجرحى من قومه بالذهاب إلى بيوتهم للتداوي ، فأمرهم سعد بذلك ، وكانوا ثلاثة رجال ، بينما لازم سعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله حتى أبلغه بيته ، ثم قفل راجعاً .

وفي الطريق سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بكاء النوائح على قتلائهن ، فترقت عيناه وبكى ثم قال : لكنّ حمزة لا يواكي له اليوم ، فلما سمعها سعد بن معاذ وأسيد بن حضير قالا : لا تبكين امرأة حيمهما حتى تأتي فاطمة (عليها السلام) فتسعداها ، فلما سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) الواقعة على حمزة ، وهو عند فاطمة (عليها السلام) على باب المسجد قال : أرجعن رحمكن الله ، فقد أسيتن بأنفسكن ، وتقرر منذ ذاك أنه عند كل مصيبة تقع في المدينة ، فالبواكي يبكين حمزة أولاً ، ثم يبكين حميمهن .

وفضائل حمزة جمّة ، وما أكثر من رثاء من الشعراء ، وقد اشرت إلى ذلك في كتابي

(كحل البصر في سيرة سيد البشر) كما ذكرت في (مفاتيح الجنان) فضل زيارته مع نصّها ، وزيارات شهداء أحد ، ولا مجال في هذا الكتاب لأكثر من ذلك ، وقد ورد مختصر عن فضائله عند الحديث عن أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وقد جرت واقعة أحد في منتصف شوال من السنة الثالثة للهجرة ، ويقول البعض إنّ قريشاً بلغت أرض أحد يوم الخميس الخامس من شوال ، وجرت المعركة يوم السبت ، والله هو العالم .

غزوة حمراء الأسد : وهي موضع يبعد ثمانية أميال عن المدينة ، وخلاصتها أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر بلالاً أن ينادي بأنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى نبيّه أن اخرج من وقتك هذا لطلب قريش ، ولا تخرج معك من أصحابك إلّا من كانت به جراحة ، فترك الأصحاب ما كانوا فيه من شأن العلاج ولبسوا لبوس الحرب على ما كان بهم من جراح وخرجوا في طلب قريش ، يتقدّمهم أمير المؤمنين (عليه السلام) براءة المهاجرين ، حتى بلغوا حمراء الأسد .

وكان ذلك في الغد من يوم أحد ، ولثلاثا تراجع قريش أمرها وتوجّه إلى المدينة .

وبعد أن مكث بأصحابه أياماً ، فضل (صلى الله عليه وآله) عائداً إلى المدينة ، وفي طريق العودة ظفروا بمعاوية بن المغيرة بن العاص ، وأبي غرّة الجمحي ، فاخذوها إلى المدينة ، وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتل أبي غرّة ، ذلك أنه كان قد وقع أسيراً في بدر ، فعاهد على أن لا يعود لحرب المسلمين ، فأطلقه ، وراح يرجو رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يطلقه هذه المرّة أيضاً ، فقال (صلى الله عليه وآله) :

« لا يلدغ المؤمن من جحر مرتّين » وأمر به فقتل .

وقائع العام الرابع من الهجرة

غزوة معونة والرجيع : في شهر صفر من هذا العام قدم عامر بن مالك بن جعفر - وكنيته أبو براء ، ويلقب بملاعب الأبيّة ، وكان سيّد بني عامر بن صعصعة من نجد - على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المدينة ، فعرض (صلى الله عليه وآله) عليه الإسلام ، فلم يُسلم ولم يبعد ، وقال : يا محمد ، إنّ أمرك هذا الذي تدعو إليه حسن جميل ، فلو بعث رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إني أخشى عليهم أهل نجد ، فقال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) سبعين رجلاً ، وقيل أربعين ، من خيار

أصحابه ، منهم : المنذر بن عمرو ، وجسرام بن ملحان ، وأخوه سُليمان ، والحارث بن الصُّمَّة ، وعامر بن فُهَيْرَة ، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وعمرو بن أمية الضمير وغيرهم من وجوه الصحابة والقرّاء والعبّاد ، فساروا أياماً يحطّطون ويبيعون ، ويشترّون بالثمن طعاماً ، ويبيتون ليلاتهم بالصلاة والعبادة والتلاوة ، كما قاموا بنقل الحطب من أجل الحجرات المطهرة .

وعقد رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) إِمارة هذه السرية للمنذر بن عمرو ، وبعث معهم برسان إلى أشرف نجد وإلى بني عامر كي يتقبّلوا ما يحملونه إليهم من تعليم وإرشاد ، فساروا حتى بلغوا بئر معونة في أرض بني عامر وحرّة بني سُليمان من أعالي نجد ، فنزلوا هناك ، وأوكلوا أمر إبلهم إلى عمرو بن أمية ورجل من الأنصار ليقيموا على إعلافها ، ويقال : إلى الحارث بن الصُّمَّة ، ثم طلبوا إلى جرام بن ملحان أن يخرج بكتاب رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) إلى عامر بن الطفيل بن مالك العامري ، ابن أخي عامر بن مالك ، فلما أتاه لم ينظر عامر في كتاب رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، ويقال إنه أخذه وقذف به ، فلما رأى جرام ذلك قال : يا أهل بئر معونة ، إني رسول رسول الله إليكم ، فأمنوا بالله ورسوله ؛ فلم يكمل قوله حتى خرج إليه رجل منهم وعاجله بمرع في جنبه حتى خرج من الشق الآخر ، فقال : الله أكبر ، فزت وربّ الكعبة ، ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا أن يجيؤوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا : لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً ؛ فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُليمان : عُصَيَّة ورعلاً وذكوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتّى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحاهم ، فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم ، إلّا كعب بن زيد ، الذي أصيب بجراح بليغة فتركوه ظناً منهم أنه ميّت ، لكنه كان به رمق فأنسل من بين القتلى ، فعاش حتّى قتل يوم الخندق ؛ وأخذوا عُمَرَ بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل ، بعد أن جرّ ناصيته ، واعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه ، فوقّ بذلك بندرها .

أخذ عمرو طريقه إلى المدينة ، ولما بلغ أرض قرقرة لقي رجلين من بني عامر ، وكانا في أمان رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) لكنّ عُمراً لم يكن يعلم بذلك ، فلما جنّ الليل وراحا في سباتهما ، قام عمرو إليهما فقتلهما بدماء أصحابه شهداء معونة ، ولما بلغ المدينة ونقل إلى رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) الخبر قال : لقد كانا في أمان ، ووجبت علينا دينتهما .

تأمّ رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) لمقتل شهداء بئر معونة أشدّ الألم ، ويقال إنه بقي شهراً أو أربعين يوماً يدعو على قبائل رعل وذكوان وعُصَيَّة ، ويضيف إليهم في اللعن بني لحبان غُضَل وقارة .

وذلك أن سفيان بن خالد الهذلي اللحياني قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسأله أن يبعث معهم نفرًا من أصحابه يفقهونهم ويقرئونهم القرآن ، ويعلمونهم شرائع الإسلام ، فبعث معهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشرة منهم عاصم بن ثابت ، ومروء بن أبي مَرْثَد ، وخبيب بن عدي ، مع سبعة آخرين ، فخرجوا حتى إذا كانوا بالرجيع ، وهو ماء لَهْذِيل ، غدروا بالقوم وقتلوا سبعة منهم ، وأسروا الثلاثة الباقين بعد أن أعطوهم العهد بالأمان ، ثم غدروا بهم وتَسَبَّوْا أخيراً بقتلهم ، وتُعرف هذه السرية بسرية الرجيع .

وبالعودة إلى غزوة معونة نقول : إن حَسَّان بن ثابت وكعب بن مالك أنشدا أشعاراً ينددان فيها بإخفار عهد أبي براء ، ولما سمع أبو براء بما جرى حزن حزناً شديداً حتى مات غمًا ، وأما عامر بن الطفيل فقد هلك من غدة أصيب بها في بيت امرأة سلولية ، وذلك بعد أن دعا عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

غزوة بني النضير : وقد وقعت في السنة الرابعة من الهجرة ، ومن الجدير ذكره أن يهود بني النضير كانوا يبلغون الألف ، في حين يعدّ يهود بني قريظة سبعمئة ، وكان بنو النضير أكثر مالاً وأحسن حالاً من قريظة ، وكانوا حلفاء لعبد الله بن أبي المنافق ، فكان إذا وقع بين قريظة والنضير قتيل ، وكان القتل من بني النضير قالوا لبني قريظة : لا نرضى أن يكون قتيل منا بقتيل منكم ، فجرى بينهم في ذلك مخاطبات كثيرة حتى كادوا أن يقتلوا ، حتى رضيت قريظة وكتبوا بينهم كتاباً على أنه أيما رجل من النضير قتل رجلاً من قريظة أن يُقعد على جمل ، ويؤلى وجهه إلى ذنب الجمل ، ويلطخ وجهه بالقيح الأسود ويدفع نصف الدية .

وأيما رجل من بني قريظة قتل رجلاً من بني النضير أن تدفع إليه الدية كاملة ، ويقتل به أيضاً .

وكانوا جميعهم يقيمون في المدينة بعد أن أمنتهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) شريطة أن لا يشيروا عليه أعداءه ، وأن لا يجالغوا أعداء الدين .

وحدث أن قتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير ، فبعث إليهم بنو النضير يطلبون دية القتيل ، ويطلبون القتيل ليقتلوه ، وذلك حسب العهد المبرم بينهما .

وكان الإسلام في هذا الوقت قد اشتدَّ عوده ، وقويت شوكته ، فرأى بنو قريظة في ذلك فرصتهم لنقض العهد ؛ فأسرسلوا إلى بني النضير أن العهد شيء غلبتمونا عليه ، وليس حكم التوراة ، فلما الدية ، وإما القتل وإلا فهذا محمد بيننا وبينكم فهلّموا نتحاكم إليه .

ولما عرضت الخصومة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قضى بتنقض العهد المبرم بينهما لبطلانه . ورضي بنو قريظة - بالطبع - بحكمه ، في حين اغتمَّ بنو النضير وأضمرُوا في

أنفسهم الكيد للنبي (صلى الله عليه وآله) إذا واتتهم الفرصة .

وأتت الفرصة المرتقة لما قتل عمرو بن أمية الرجلين العامريين اللذين كانا في جوار رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقدم النبي (صلى الله عليه وآله) إلى بني النضير يستقرض منهم دية القتيلين ، فرحبوا به ودعوه إلى ضيافتهم ، وقال له كعب بن الأشرف : نعم يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت .

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا فرصة أحسن من هذه ، فهذا محمد جالس إلى جانب جدار من بيوتنا ، فمن رجل يعلو على هذا البيت ويلقي عليه صخرة ؟ ويريجنا منه ؟

هذا ورسول الله (صلى الله عليه وآله) في نفر من أصحابه ، أتاه جبرئيل يخبره بما أراد القوم ، فقام وقال لأصحابه : لا تبرحوا ؛ وخرج راجعاً إلى المدينة ، وأمر محمد بن مسلمة بالذهاب إلى بني النضير وإنذارهم بالجللاء عن المدينة خلال عشرة أيام ، لأنهم غدروا وخانوا العهد ، فمن شوهدهم بعد هذه المهلة عرض نفسه للهلاك .

وتنبأ اليهود للخروج ، لكنَّ عبد الله بن أبي أرسل لهم يقول : لا تخرجوا ، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم يدخلون حصونكم ويمدونكم بالعمون ، فإن قاتلتهم قاتلوا معكم . ونزل قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : لَئِنْ أَخْرَجَتُمُ لِلْخُرُوجِ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (الحشر / ١١) .

ثم إن اليهود تحصَّنوا بحصونهم وبعثوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن اصنع ما بدا لك ، فنحن لن نغادر بيوتنا ؛ فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكبير ، وكبير أصحابه ، وقال لأمير المؤمنين (عليه السلام) :

تقدّم إلى بني النضير ، فآخذ (عليه السلام) الراية وتقدم ، وجاء النبي (صلى الله عليه وآله) وآله (في إثره ، وأحاط بحصونهم ، وغدر بهم عبد الله بن أبي .

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الحشر / ١٦) .

قضى اليهود في ضيق الحصار خمسة عشر يوماً ، ثم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقطع نخيلهم من جذوره ، إلا ما حمل العجوة منها ، ويقال إنه فعل ذلك كي يجزع اليهود

ويقطعوا الأمل من البقاء ، ولما اشتد الأمر عليهم قالوا : يا محمد نخرج من بلادك ، فأعطينا مالنا ، فقال : لا ، ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل ، فلم يقبلوا ، فبقوا أياماً ثم قالوا : نخرج ، ولنا ما حملت الإبل ، فقال : لا ، ولكن تخرجون ولا يحمل أحد منكم شيئاً ، فخرجوا على ذلك ، ودفعهم غيظهم إلى تخريب بيوتهم لما أيقنوا بوقوعها غنيمة للمسلمين ، فنزل فيهم قوله تعالى :

﴿ تَجْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ (الحشر / ٢) .

ثم ولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) محمد بن مسلمة إخراجهم ، فخرجوا كل ثلاثة منهم على بعير وقربة ، ويقال إنها كانت ستتمة بعير ، وأذن لهم بحمل ما استطاعوا حمله ، إلا السلاح ، وعبروا سوق المدينة وهم يضربون على الدفوف وينشدون إخفاء لعجزهم وغيظهم ، وخرج قوم منهم إلى الشام ، وآخرون إلى خيبر .

وكانت غنائمهم خالصة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فخير الأنصار بين أن يقسم غنائم بني النضير بينهم وبين المهاجرين ، ويكون المهاجرون والأنصار كما كانوا ، وبين أن يخص بها المهاجرين ولا يكونوا بعد ذلك مع الأنصار ، فاختاروا الأخير .

وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان لما أمر المهاجرين بالهجرة إلى المدينة قضى بأن يأخذ كل رجل من الأنصار رجلاً من المهاجرين في بيته ، ويكون شريكه في ماله ومعاشه ، وبقي الأمر على ذلك حتى كان ما كان من إجلاء بني النضير ، وقبل الأنصار بقسمة الغنائم على مساكن المهاجرين ، وأن يبقوا كما كانوا شركاء في المعاش والبيوت ، فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال :

اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .

ثم إنه قسم الغنائم بين المهاجرين ، ولم يعط من الأنصار إلا رجلين هما سهل بن حنيف وأبو دجانة ، فإنها كانا محتاجين .

ونزل في الأنصار قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شَنْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر / ٩) .

ثم إنه (صلى الله عليه وآله) وهب مزارع القوم ومرايعهم وآبارهم وأنهارهم إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فوقفها على أولاد فاطمة (عليها السلام) .

وقائع العام الخامس من الهجرة

في هذا العام تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) من زينب بنت جحش ، وإذ ذاك نزلت آية الحجاب .

غزوة المريسيع : وفي تلك السنة أيضاً كانت غزوة المريسيع ، وهو يثر ينزل عندها بنو المصطلق ، وكانت البئر لحزاعة بين مكة والمدينة من ناحية القديد ، وهذه الغزوة تسمى أيضاً غزوة بني المصطلق ، وهو لقب جُذَيْمَة بن سعد ، وهم بطن من خزاعة ، وكان سيد القوم وقائدهم الحارث بن أبي ضرار ، قد جمع لحرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فلما بلغه الخبر جهّز أصحابه لقتالهم ، وخرج من المدينة يوم الاثنين الثاني من شعبان ، وبصحبه زوجته أم سلمة وعائشة ، وفي سيرهم بلغوا وادياً مخوفاً فترّلوا هناك ، وأناه جبرئيل ببنيه أن جماعة من كفار الجن قد أجمعوا على إنزال الأذى بأصحابه ، فأرسل يستقدم علياً (عليه السلام) ، فأرسله لقتالهم ، وكتب له الظفر عليهم ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن معجزات النبي (صلى الله عليه وآله) ، فلا نكرّر .

ثم إنه (صلى الله عليه وآله) قدم أرض المريسيع فلقى الحارث وقومه ، وكان بينهم قتال شديد ، فقتل قتادة حامل لواء المشركين ويدعى صفوان ، وسقط اللواء ، كما أنّ علياً قتل رجلاً منهم يدعى مالكا وابنه ، وانهزم القوم ، وخرج المسلمون في أثرهم فقتلوا منهم عشرة رجال آخرين ، وسقط للمسلمين شهيد واحد .

وبعد ثلاثة أيام من الجدل قتل جماعة منهم ، ولجأ آخرون إلى الفرار ، ووقع الباقيون في الأسر ، ومنهم مثنان من نساءهم ، وغنم المسلمون منهم ألفين من الإبل وخمسة آلاف شاة ؛ وكان بين النساء برة بنت الحارث بن أبي ضرار ، ف وقعت نصيباً لثابت بن قيس بن الشساس ، فكانتها على أن تؤدي إليه مالاً تنال به حرّيتها ، فسألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يعينها على أداء ما كاتبته عليه ، فقال : هل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضي كتابتك وأتزوجك . قالت : نعم ، فأخذها من ثابت بن قيس ، وسأها جويرية ، وجعلها في جملة أزواجه ؛ ولما رأى المسلمون ذلك قالوا : لا يليق بنا أن يبقى قومٌ ضجيجة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الأسر والرق ، وهكذا أعتقوا كل امرأة أسيرة من بني المصطلق .

تقول عائشة : ما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

وإجمالاً فقد أقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) أربعة أيام بعد المعركة ، ثم قفل راجعاً إلى المدينة ، وفي هذه الرجعة جرت قصّة جهجاه بن سعيد (بن مسعود) الغفاري ،

وسنان الجُهني ، وقول عبد الله بن أبي المنافق : ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلُّ ﴾ يريد بالأعز نفسه ، وبالأذل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، نعوذ بالله ، فنقل زيد بن الأرقم - وكان غلاماً حديث السن - قول ابن أبي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فمشى عبد الله بن أبي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولما بلغه أن زيد بن الأرقم نقل إليه ما سمعه ، فحلف بالله أنه ما قاله ولا تكلم به ، وأن زيداً يكذب ، فاعتمَ زيد لذلك ، فنزل قوله تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون . . . ﴾ . فتأكد صدق زيد ونفاق ابن أبي .

كما وقعت في الرجعة من هذه الغزوة قصّة الإفك .

غزوة الخندق : في شوال من السنة الخامسة وقعت غزوة الخندق ، ويقال لها غزوة الأحزاب ، ذلك أن قريشاً استصرخت الأعراب لحرب المسلمين ، فاجتمع من كل قبيلة حزب ، وهذه الغزوة أتت بعد أن أجل المسلمون يهود بني النضير عن المدينة ، مما استفحلت معه عداوة اليهود للمسلمين ، فقدم عشرون رجلاً من زعمائهم إلى مكة ، منهم حيي بن اخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع ، وهوذة بن قيس ، وأبو عامر الراهب المنافق ؛ واجتمعوا في مكة إلى أبي سفيان وخمسين رجلاً من كبار قريش ، فدعواهم إلى حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، وكتبوا على ذلك فيما بينهم عهداً ، ثم دعا القبائل لما عزموا عليه ، وخرج أبو سفيان إلى المدينة في جيش تعداده أربعة آلاف رجل ، وفيهم ألف بعير وثلاثمائة فرس ، ولما بلغ مر الظهران انضم إليه ألفان من أسلم وأشجع وكنانة وفزارة وغطفان وغيرهم ، حتى بلغ تعداد الجيش عند بلوغه المدينة عشرة آلاف رجل .

فلما سمع بهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) جمع أصحابه لتبادل الرأي ، فأشار سلمان (رضي الله عنه) عليه بحفر خندق حول المدينة ، وقال : إنه أمر يصنعونه في بلادنا إذا غزاهم جيش عظيم ، وبذلك تنحصر المواجهة في جانب واحد ، فسأعجب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما أشار به سلمان ، وأمر أصحابه بحفر الخندق ، وخص كل عشرة منهم بحفر أربعين ذراعاً ، أو عشرة أذرع على قول ، وشاركهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحفر حتى استكملوه في شهر ، وجعلوا له ثمانية مداخل وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يحرس كل مدخل رجل من المهاجرين وآخر من الأنصار ، مع آخرين ، وأمر بالنساء والأطفال فوضعوا في مامن ، وهكذا أحكم تحصين المدينة قبل قدوم قريش بثلاثة أيام .

أما من جانب المشركين فقد استدعى أبو سفيان حيي بن اخطب ، فقال له : إن استطعت أن تحول بني قريظة إلى جانبنا تصنع خيراً ، فخرج حيي حتى أتى كعب بن أسد صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله (صلى الله عليه وآله) على

قومه ، وعاهده وعاقده ، لما سمع كعب بن بحيّ بن أخطب أغلق دونه حصنه ، وأبى أن يفتح له فقال حيّ : ويحك يا كعب ، جئتكم بعزّ الدهر ، جئتكم بقريش على قادتها وساداتها ، بمن معهم من الأعراب حتى بلغوا عشرة آلاف ، قال كعب : جئتني والله بذلّ الدهر ، فدعني ومحمداً فما رأيت منه إلا صدقاً ووفاء ، فلن أنقض عهده .

لكنّ حيّاً لم يزل به يقسم له الأيمان بأنه لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً ، دخل معه في حصنه حتى يصيبه ما يصيبه ، فنقض كعب بن أسد عهده ، وبسرى عما كان بينه وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وخرج حيّاً فالتحق بأبي سفيان ، وبشره بنقض عهد قريظة .

وجاء نقض العهد هذا في وقت عصيب ، فعظم الأمر على المسلمين ، لكنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) خفف عنهم وبشرهم بالنصر من عند الله عزّ وجل .

وعظم عند ذلك البلاء ، وتقاطر الأحزاب فوجاً إثر فوج ، وعمّ الفزع أصحاب القلوب الخائرة لما رأوا هذا الجيش العظيم ، حتى كادت العيون تخرج من محاجرها ، كما قال تعالى :

﴿ إذ جساؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ﴾ (الأحزاب / ١٠) .

ولما رأى المشركون الخندق قالوا : والله إنّ هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ، واستمر الحصار أربعة وعشرين يوماً أو سبعة وعشرين ، ولقي أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل تعب ونصب من ضيق الحصار ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ، واستأذن بعضهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يأذن لهم بالعودة إلى المدينة لحماية بيوتهم ، قال تعالى :

﴿ ويستأذن فريق منهم النبيّ يقولون إنّ بيوتنا عورة وما هي بعورة ، إنّ يريدون إلاّ فراهاً ﴾ (الأحزاب / ١٣) .

ولم يكن بين القوم حرب خلال الحصار إلاّ الرمي بالنبل والقذف بالحجارة ، وإن فرساناً من قريش منهم عمرو بن عبد ودّ ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة ، وضرار بن الخطّاب ، وهبيرة بن أبي وهب ، وعكرمة بن أبي جهل ، وجميعهم من شجيمان قريش ، أقبلوا نحو الخندق ، ثم تيمّموا مكاناً منه ضيقاً ، فضربوا خيولهم فاقتحمت منه ، وأبو سفيان ، وخالد بن الوليد وجماعة من المقاتلين اصطَفَوْا على حافة الخندق يرقبون ما يجري ، فصرخ بهم عمرو : هلمّوا فاقتحموا ، قالوا : سنلحق بكم إن دعت الحاجة .

ثمّ إن غمراً جعل يغلي فوق فرسه وهو بنادي : هل من مبارز ؟ وكان عمرو يسمّى

فارس يَنْزِلُ ، ويعدّلونه بألف فارس ، وإذ يعلم الأصحاب شجاعته ، صَمِنُوا كَأَن عَلَى رُؤُوسِهِم الطير ، وكأَنما أراد ابن لُحطاب أن يتحرّى لهم عذراً ، فراح يذكر طرفاً من شجاعة عمرو ، مما زاد في تحاذل الأصحاب ، ولَمَّا رَأَى رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) أن عَمْرُاً يطلب المبارزة قال : هل فيكم من يكفيني شرّ هذا العدو؟ فوثب أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : أنا له يا رسول الله ، فسكت (صَلَّى الله عليه وآله) ، وهذا وعمرو ينادي : هل من مبارز؟ أيها الناس ، أَلَسْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ قِتْلَكُمْ فِي الْجَنَّةِ وَقِتْلَانَا فِي النَّارِ؟ أَلَا يَجِبُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَصِيرَ إِلَى الْجَنَّةِ ، أَوْ يَرْسَلَ عَدُوّه إِلَى النَّارِ؟ ثم ركز رمحه في الأرض ، وأقبل يحول جولة ويقول :

ولقد بحثت من السدا ، بجمعكم هل من مبارز

فقال رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) من لهذا الكلب؟ فلم يجبه أحد ، فوقف أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : أنا له يا رسول الله ، فقال : يا عليّ ، هذا عمرو بن ودّ! قال : وأنا عليّ بن أبي طالب . فقال له رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) : ادن مني ، فدنا منه فألبسه درعه ذات الفضول ، وعمّمه بعمامته السحاب ، ودعا له .

فمر أمير المؤمنين (عليه السلام) يهول وهو يرتجز رداً على عمرو :

لا تعجلنّ فقد أنا ك عجيب صوتك غير عاجز
ذو نيّة وبصيرة والصدق منجى كلّ فائز
إني لأرجو أن أقبى عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يب قى صوتها بعد الهزاهز

وكان رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) يقول : برز الإيمان كلّهُ إلى الشرك كلّهُ ، ثم إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) دعا عَمْرُاً إلى واحدة من ثلاث : إمّا الإسلام ، وإمّا الرجوع عن حرب رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، وإمّا أن ينزل عن فرسه ، فعليّ (عليه السلام) كان راجلاً ، فاختار عمرو الثالثة ، لكنه في الحقيقة كان يبطن الخوف من قتال عليّ (عليه السلام) ، ذلك أنه قال له : عُذْ يا عليّ ، فأنت لم تبلغ مبلغ الرجال ، وهانذا ابن ثمانين ، وأبوك كان لي صديقاً ونديماً ، وإني أكره أن أقتلك ، وهل أمن ابن عمّك حين بعثك إليّ أن أخطفك برمي هذا فأتركك معلّقاً بين السماء والأرض ، فلا أنت بالحي ولا بالميت؟ .

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : دع هذا يا عمرو ، فأنا أحبّ أن أقتلك في سبيل الله ؛ فغضب عمرو واقتحم عن فرسه فعمّره ، ثم بدر أمير المؤمنين (عليه السلام) بضربة من سيفه ، فاتّقاهما بالدرقة فقطعها وثبت السيف على رأسه فجرّحه ، واشتبك في قتال عنيف وثار

الغبار بينهما حتى غابا عن أبصار الفريقين ، ثم عاجله أمير المؤمنين (عليه السلام) بضربة على ساقه فقطعهما ، وسقط عمرو على الأرض ، وجلس أمير المؤمنين (عليه السلام) على صدره ، فقال عمرو : يا علي ، قد جلست مني مجلساً عظيماً ، فإن قتلني فلا تجردني من ثوبي ، فقال : لك ذلك .

ويروي ابن أبي الحديد وغيره أنّ علياً بعد أن تلقى ضربة عمرو انقلب إليه كالأسد الغاضب وعاجله بضربة على رأسه النجس ففصله عن جسده ، وارتفع صوته بالتكبير ، فلما سمع المسلمون صوت التكبير أيقنوا أنّ غمراً قد قتل ، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الجن والإنس إلى يوم القيامة .

وقد نظم الشيخ الأزري قصة مقتل عمرو في قصيدته الهائية ، ورأيت من المناسب إيرادها هنا ، قال (رحمه الله) :

ما أن القوم كلهم ما أتاهما
لهوات الفلا وضاق فضاءها
لاهباب العدى ولا يخشاهما
ينظرون الذي يشبّ لظاهما
تتقي الأسد بأسه في شراهما
ثات أو يورد الجحيم عداها
يؤجّر الصابرون في أخراها
ليس غير المهاجرين يراها
له من جنانه أعلاها
لا تراها مجيبة من دعاها
ترجف الأرض خيفة أن يطاها
هذه ذمة علي وفاها
في خاص الخشا إلى مرعاها
ساق عمرو بضربة فبراهما
بملا الخافقين رجع صداها
لم يزن ثقل أجراها ثقلها
وعلى هذه فقس ما سواها

ظهرت منه في الورى سطوات
يوم غصت بجيش عمروين ود
وتغطى إلى المدينة فرداً
فدعاهم وهم الوف ولكن
أين أنتم من قسور عامري
أين من نفسه تتوق إلى الجند
فابتدى المصطفى يحدث عبا
قائلاً : إن للجليل جناها
من لعمرو وقد ضمنت على الد
فالتوا عن جوابه كسوام
فإذا هم بفارس قرشي
قائلاً ما لها سواي كنفيل
ومضى يطلب البراز كما تمشد
فانتضى مشرفة فتلقى
والى الخشر رنة السيف منه
يسا لها ضربة حوت مكرمات
هذه من علاه إحدى المعالي

يروي عن جابر أنه لما سقط عمرو خرج أصحابه منهزمين حتى طفرت خيولهم الخندق ، وتبادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد الله في جوف الخندق ، فجعلوا يرمونه بالحجارة ، فقال

لهم : قتلة أجل من هذه ! ينزل بعضكم أقاتله ، فتقدم أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنهى أمره بضربه واحدة ، كما ضرب هيرة ضربة أصابت قربوس فرسه ونفذت إلى درعه فقطعتها ، وسقط مضرباً .

يقول جابر : ما أشبه قصة مقتل عمرو بقصة قتل داود جالوت .

وإجمالاً ، فبعد أن وضعت الحرب أوزارها بعث المشركون إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشترطون جثتي عمرو ونوفل ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : هما لهم ، فنحن لا نأكل ثمن الموت .

ولما وقفت أخت عمرو على جسد أخيها رأت أن درعه التي لم يكن لها مثيل عند العرب ، وأن سائر أسلحته وثيابه باقية لم تنزع ، قالت ، ما قتله إلا كفو كريمة ، ولكن من هو قاتله ؟ فقالوا : علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فأنشدت :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتله من لا يُعاب به من كان يدعى أبوه بيضة البلد

وإجمالاً فقد كان حصار قريش لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قاسياً ، فقال أبو سميعة الخدري : قد بلغت القلوب الحناجر ، ألا من كلمة تخفف عنا ؟ فقال (صلى الله عليه وآله) قل : اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا .

كما أن السنة النفاقين بدأت تطول بالأقوال الشنيعة ، فصعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى مسجد الفتح فدعا الله ونجاه وقال :

« يا صريخ المكروبين ، ويا عجيب المضطرين ، ويا كاشف الكرب العظيم . . . »
الدعاء ، فأرسل الله تعالى على المشركين ريح الدبور فانهزموا ، وقلعت أخبيتهم وقلبت قدورهم ، فلم يكن أمامهم من هول ما نزل بهم سوى الفرار ، وكان مقتل عمرو ونوفل أهم أسباب الهزيمة ، ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ ﴿ بعلي بن أبي طالب ﴾ وكان الله قوياً عزيزاً ﴿ .

يقول بعض العلماء : لولا أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان رحمة للعالمين ، لكانت هذه الريح التي أتت على الأحزاب ، أشد في سورتها وفي ثورتها .

وعن حذيفة بن اليمان أن أبا سفيان قال : لقد طال مقامنا ها هنا ، وهلك الخف والحافر ، وخذلنا اليهود ، وأتتنا أخيراً هذه الريح ، فالتجاء التجاء ، وقام إلى راحلته فركبها ، وحذت قريش حذوه ، ولحقوا به منهزمين بما استطاعوا حمله من أثقالهم .

غزوة بني قُريظة : وفي السنة الخامسة من الهجرة أيضاً كانت غزوة بني قريظة ، فلما

رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من غزوة الخندق ، وصار إلى بيت فاطمة (عليها السلام) يريد أن يفتسل ويحرق البخور ، أتاه جبرئيل يقول :

عذيرك من عارب ، والله ما وضعت الملائكة لأمتها ، كيف تضع لأمك ؟ إن الله يأمرك أن لا تصلّي العصر إلا ببني قريظة ، فإنّي متقدّمك ومزلزل بهم حصنهم . فنادى بلال بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الناس أن لا يصلّين أحد العصر إلا في بني قريظة ، فخرج الناس فأحاطوا بحصنهم ، وامتدّ الحصار خمسة عشر يوماً أو خمسة وعشرين على قول ، والحرب قائمة بالرمي بالنبال والحجارة ، حتى بعث الله الرعب فيهم ، واشتدت عليهم وطأة الحصار ، فنزلوا من قلاعهم ، ورضوا بحكم سعد بن معاذ بهم ، فقال سعد : قد حكمت أن تقتل رجالهم ، وتسيئ نسائهم وذرائعهم ، وتقسم غنائمهم بين المهاجرين والأنصار ، وهكذا كان .

قال تعالى : ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم ، وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ﴾ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ، وأرضاً لم تطأوها ، وكان الله على كلّ شيء قديراً ﴿ (الأحزاب - ٢٦ - ٢٧) .

ويروى أن سعد بن معاذ رُمي في الخندق بسهم فقطع أكله ، فنزفه الدم ، فقبض على أكله بيده ثم قال : « اللهم إن كانت الحرب قد وضعت أوزارها بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين قريش فاجعلها لي شهادة ، ولا تمنني حتى تفرّ عيني من بني قريظة » ، فأمسك الدم ، فلما حقق الله له مراده انفجر جرحه ، فما زال ينزفه حتى قضى ، (رحمة الله عليه) .

غزوة دومة الجندل : في السنة نفسها تمّ القضاء على يهود طاس ، وفيها أدّى رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلاة الخسوف ، وفي تلك السنة أيضاً كانت غزوة دومة الجندل .

وذاك أن قوماً من شرار تلك الأرض راحوا يتعرّضون للقوافل والركبان ، فسار إليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول على رأس ألف من أصحابه يتعقبهم ، ولما علم الأشرار بذلك لجأوا إلى الفرار ، فاستولى المسلمون على أموالهم ومواشيهم ، ثم اتخذوا طريقهم نحو المدينة فبلغوها في العشرين من ربيع الثاني .

(دومة) موضع يقع على خمسة منازل من الشام قرب جبل طيء ، ويبعد عن المدينة مسيرة خمسة عشر يوماً أو ستة عشر ، وقد دعي بدومة الجندل لأنه مبني من الصخر ، فالجندل تعني الصخر .

وقف العام السادس من الهجرة

في هذه السنة فرض الحج إلى الكعبة ونزلت الآية الكريمة : ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ، ويقول البعض : إن فريضة الحج وجبت في السنة التاسعة للهجرة .

غزوة ذات الرِّقَاع : وفي السنة السادسة أيضاً وقعت غزوة ذات الرِّقَاع ، وسيبها أن خيراً ورد المدينة بفيد بأن جماعة من غطفان وبني محارب وأنمار وثعلبة يستعدون لغزو المدينة ، فاستخلف رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) أباذر على المدينة وخرج في منتصف جمادى الأولى في أربعمئة أو سبعمئة من أصحابه إلى جانب نجد حتى بلغ موضع نخلة ، ومنه نزل إلى ذات الرِّقَاع ؛ فلما علم القوم بعزم الرسول (صَلَّى الله عليه وآله) نزل الرعب في قلوبهم وفرّوا إلى قُلل الجبال يمتنعون بها ، وخلفوا وراءهم - من رعيهم - نساء لهم فاخذهنَّ المسلمون .

وحلَّ وقت الصلاة إذ ذاك ، فخاف المسلمون إذا هم اشغلوا بالصلاة أن يغدر العدو المشرك بهم ، وهنا شرع رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) صلاة الخوف ، ووفقاً لبعض الروايات فإنَّ هذه الآية نزلت في هذا المقام :

﴿ فلإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم .. ﴾ (الآية : النساء / ١٠٢) .

وفي وجه تسمية هذه الغزوة بذات الرِّقَاع اختلاف ، فالبعض يرجعها إلى أن الأرجل كانت تصاب بالجروح من أثر المشي فكانت تعصب بالرقاع ، ويرجعها البعض إلى أن الرايات كانت تتخذ من الرِّقَاع ، ويرجعها البعض الآخر إلى وجود جبل في تلك الأرض ذي ألوان متعددة كالثوب المرقع ؛ وآخرون يقولون : إنه اسم شجرة نزل عندها رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، ويروى أن المسلمين أسروا امرأة كان زوجها غائباً ، فلما حضر راح يتعقب جيش المسلمين ، فكانوا إذا نزلوا منزلاً قال رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) : (من يجرسنا الليلة ؟) فبرز رجل من المهاجرين وآخر من الأنصار وقال : نحن يا رسول الله .

وأخذوا موضعاً في مدخل الوادي للحراسة ، وانفقا على أن ينام المهاجري أول الليل ويحرس الآخر ، وينام الأنصاري آخر الليل ؛ ثم وقف الأنصاري للصلاة ، وحضر زوج المرأة ، فرأى سواداً فرماه بسهم استقر في بدنه ، فسحبه ولم يقطع صلاته ، ثم رماه بالثاني فلم يقطع صلاته ، وبعد أن رماه بالثالث سلم ، وأيقظ رفيقه ، فلما رأى الزوج أنها عليها بقدمه انطلق هارباً .

ولما علم المهاجري بما جرى قال : سبحان الله ، كنت أيقظني عند نزول السهم الأول ، فاجابه : كنت أقرأ سورة لم أشأ قطعها ، فلما تابعت ورود السهم أنهيت صلاتي

وأيقظتكم ، ووالله لولا خوفي من مخالفة أوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتقصيري في الحراسة لأثرت أن تنقطع روعي قبل أن أقطع تلك السورة .

أقول : كان المهاجري عمار بن ياسر ، والأنصاري عباد بن بشر ، والسورة التي كان يتلوها كانت سورة الكهف .

غزوة بني لحيان : في هذه السنة أيضاً وقعت غزوة بني لحيان ، ولحيان هو ابن هذيل بن مدركة ، وكانوا طائفتين : عضل وقارة ، وذلك أن قبيلة هذيل قتلت عاصم بن ثابت ، وخبيب بن عدي وآخرين ، وغدروا برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فعزم (صلى الله عليه وآله) على تأديبهم ، فخرج في مئين من أصحابه ، ولما بلغ بني لحيان ما عزم عليه لجأوا إلى الجبال وتحصنوا بقللها ، فاقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تلك الأرض يوماً أو يومين . ثم قفل راجعاً إلى المدينة بعد أربعة عشر يوماً من خروجه .

غزوة ذي قرد : وكان وقوعها في السنة السادسة أيضاً ، وفرد ماء قرب المدينة ، وسببها أنه كانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) عشرون من الإبل الحلوبة يرعاها هناك ، يرعاها له أبو ذر الغفاري ، فأغار عليها عينية بن الحصين الفزاري في أربعين فارساً ، وقتل ابناً لأبي ذر ورجلاً من غفار ، وأسر زوجته ، التي غافلتهم ونجت بنفسها على بعير من إبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولما بلغت المدينة صارت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله) وأنبأته بالأمر ، كما أنبأته بأنها نذرت إن وصلت سالمة أن تنحر هذا البعير ، فقال (صلى الله عليه وآله) : ما أسوأ ما جزيت به هذا البعير بعد أن حملك على ظهره وأوصلك سالمة ، وتريدين قتله ! إنه لا نذر في معصية ، ولا لأحد في ما لا يملك .

وإجمالاً فلما أطلع رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الواقعة نادى : يا خيل الله اركبي ، فتقاطر خمسمئة أو سبعمئة رجل ، وأسلم اللواء إلى المقداد وأرسله في طليعة الجند ، ووصل المقداد إلى العدو فقتل أبو قتادة أحد رجالهم ، وراح سلمة بن الأكوع يرميهم بالنبل راجلاً وهو يقول : « خذها وأنا ابن الأكوع » ، واليوم يوم الرّضع « وذلك من قولهم « لثيم راضع » أي : وضع اللّؤم في بطن أمه .

وفّر الكفار ، ومرتوا بشعب فيه ماء يقال له ذو قرد ، وهم عطاش ، فلم يستطيعوا الشرب منه لخوفهم .

غزوة الحديبية : في شهر ذي القعدة من السنة السادسة خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله) يريد العمرة ، وساق معه الهدي سبعين بعيراً ، وأحرم عند مسجد الشجرة ، وكان بصحبته ألف وخمسمئة وعشرون أو أربعمئة من المسلمين ، ومن النساء كانت تلتزمه

أم سلمة ، ولما علم المشركون في مكة بالأمر عزموا على صدّه عن زيارة البيت ، ونزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الحديبية ، وهي في منزل عن مكة ، عند بئر قليلة الماء ، ونفذ الماء في مدة قصيرة ، فشكا الناس العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه في الماء ، فما زال يمحس لهم بالريّ حتى صدروا عنه .

وبينا هم كذلك إذ جاءهم بُذَيْل بن ورقاء الخزاعي من جانب فريش ونقل إليه أن القوم اجتمعوا أمرهم على صدّه ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكنّا جئنا معتمرين ، وسنحر هدينا ونذر لكم لحومها ، وإن فريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم ، وستصرّ بهم أكثر .

ثم أعقبه عروة بن الثقفى ، فتكلم النبي (صلى الله عليه وآله) معه كما تكلم مع بديل ، ولاحظ عروة خفية مقدار ما يكنّه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) لنيّهم من احترام وإكبار ، فرجع إلى أصحابه وقال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاً قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد عمداً ، إذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا اخفضوا أصواتهم عنده ، وما يحذّون إليه النظر تعظيماً له^(١) ، وإنه قد عرض عليكم خطّة رشد

(١) اعلم أن الروايات في تعظيم الصحابة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) كثيرة ، فيروى أنه كان في خيمته والصحابة خارجها ، فخرج بلال يحمل آنية فيها ماء غسل فيه يديه ، فتبادروا إلى الماء ، فمن ظفر بشيء منه مسح به وجهه للتركي به ، ومن لم يظفر مسح يده بيد آخر ، ثم مسح وجهه . ويروى عن أنس قوله : حلّق النبي (صلى الله عليه وآله) شعره ، فاجتمع الصحابة على ما تخلف من شعره المخصوص يتخاطفونه حتى وصلت كل شعرة منه إلى يد أحدهم . وعن أسامة بن شريك قال : قدمت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله) فرأيت الصحابة وقد جلسوا بعيداً عنه كأن على رؤوسهم الطير ؛ والمغيرة يقول : كان الصحابة إذا أرادوا قرع باب الرسول (صلى الله عليه وآله) قرعوه بأظفارهم وليس بالحجارة ، والبراء بن عازب يقول : ما أكثر ما رغبت أن أسأل النبي (صلى الله عليه وآله) سؤالاً ، لكني كنت أحجم من مهابة (صلى الله عليه وآله) ، إلى عامين .

العلامة المجلسي يقول : كما أن تكريم رسول الله وأهل بيته الأظهر وتعظيمهم واجب في حياتهم فهو واجب بعد مماتهم أيضاً ، ذلك أن دلائل التعظيم عامّة ، وقد وردت أحاديث كثيرة في أن حرمتهم بعد الموت كحرمتهم حال الحياة ، وأن حيّهم وميتهم سواء ، وأنهم يظلمون على أحوال الناس بعد وفاتهم ، فينبغي إذا مراعاة الأدب عند الدخول إلى روضاتهم المقدسة وأضرحتهم المنورة ، كما عند الخروج ، وأن لا نعطي للصريح ظهورنا ، وأن لا نمذّ نحوه أقدامنا ، وأن نقف بأدب عند الزيارة ، وأن نقرا بجهودهم ، وأن نقوم بتعظيمهم وتقديسهم لما يتضمّنه الشرع والعرف ، إلا ما ورد النهي عنه كالسجود ، ووضع الجبين على القبر ؛ وينبغي تعظيم أسماؤهم الشريفة في القبول والكتابة ، وإرسال الصلوات عند قولها أو ساءما ، واحترام أحاديثهم وتعظيم ذرّيّتهم العلية ورواة أحاديثهم وحفّاظ شريعتهم تعظيماً لهم ، وإجمالاً فكل تعظيم لما نسب إليهم تعظيم لهم ، وتعظيمهم تعظيم لرّب العالمين . انتهى قوله رحمه الله .

فأقبلوها ، والله لقد رأيت جيشاً لن يبخل رجاله بأرواحهم حتى يغلبوكم .

وأخيراً فقد بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) عثمان بن عفان إلى مكة ليطلع قريشاً على ما عزم عليه ، وقال المسلمون : الفرج قريب ؛ فصار عثمان إلى مكة ولحقه إليها عشرة من المهاجرين ، فاحتبسوه في مكة ، فظن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنهم قتلوه ، (شائعة نشرها الشيطان بينهم) فقال (صلى الله عليه وآله) : لا نبرح حتى نناجز القوم ، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة على أن يقاتلوا المشركين ولا يفرّوا ، وسُميت هذه البيعة ببيعة الرضوان ، لأن الله عز وجل قال في سورة الفتح : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ الآية .

بعثت هذه البيعة الرعب في قلوب قريش ، فبعثوا سهيل بن عمرو وحفص بن الأحنف كي يكلموه في الصلح ، وهكذا كان وكتب بينه (صلى الله عليه وآله) وبين سهيل كتاباً للصلح هذا ملخصه :

الحرب مكفوفة عشر سنوات بين المسلمين وقريش ، ولا إضرار في الأموال والأنفس ، وحرية السفر والانتقال للجانبين مضمونة ، ومن أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وأن يُعبد الله بمكة علانية ، وعلى أن تخل مكة للرسول في عام قابل فيدخلها حاجاً والسلاح في غمده ، على الأبقى فيها فوق ثلاثة أيام ومن لحق محمداً وأصحابه من قريش فإن محمداً يرده إليهم ولو كان مسلماً ، ومن رجع من أصحاب محمد إلى قريش بمكة فإن قريشاً لا تردّه إلى محمد .

شعر جماعة من الصحابة بعدم الارتياح لهذا الصلح ، كما أصاب التشويش أفكار البعض ، وكيف أن رؤيا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بزيارة الكعبة وأداء العمرة وفتح مكة لم تتحقق ، حتى أن ابن الخطّاب أورد حديث القلب هذا على لسانه إذ قال : « ما شككت في نبوة محمد (صلى الله عليه وآله) قط إلا يوم الحديبية » .

وقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : لم تعط الدنيا في ديننا ؟ قال (صلى الله عليه وآله) وآله : إني رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصري ، قال : أولست نخدثنا أننا سنأتي البيت ونظوف حقاً ؟ قال : بلى ، أفأخبرتك أننا نأتيه العام ؟ قال : لا ، قال (صلى الله عليه وآله) : فإنك تأتيه ونظوف به .

وقال تعالى : ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ﴾ الآية .

وقائع العام السابع من الهجرة

فتح خيبر : من المعلوم أن سورة الفتح نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند رجوعه من الحديبية ، وهي تبشّر بفتح خيبر ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَابِهِمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ .

وخيبر هذه سبعة حصون محكمة هي : الناعم ، القموص ، الكتبية ، الشق ، النظاة ، الوطيح ، السّلام .

لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) المدينة من الحديبية ، مكث بها عشرين ليلة ، ثم أمر بإعداد العدة للحرب ، ثم خرج إلى خيبر في ألف وأربعمئة رجل ، فلما نزل بساحتهم أصبحوا وغدوا إلى زرعهم وحرثهم ، فلما نظروا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالوا : محمّد وحيشه ! ثم ولّوا هاربين إلى حصونهم .

ولما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك قال : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا جيش إذا نزلنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين .

ذلك أنّ اليهود كانوا يحملون السلال والمعاول ، وهي من أدوات الهدم ، ولما رآها رسول الله (صلى الله عليه وآله) توسّم فيها علامة قال بأن خيبر ستخرب .

أما اليهود فقد صمموا على القتال ، فجمعوا نساءهم وذرايرهم في حصن الكتبية ، والعلف والمؤن في حصن الناعم ، ووضعوا عليها حراسة شديدة ، كما جمعوا رجال حربهم في حصن النظاة .

قال الحَبَّاب بن المنذر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن هؤلاء اليهود يحبّون أشجار النخيل أكثر من محبتهم لأنفسهم ، فلو أمرت بقطع نخيلهم لضاعفت حزنهم وغمّهم ، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقطع أصحابه أربعمئة نخلة .

وإجمالاً فقد احترب الفريقان ، وفتح المسلمون بعض القلاع ، ثم إنهم ضربوا الحصار حول قلعة القموص ، وكانت قويّة محكمة التحصين ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس ، وكان كلّ من الصحابة يخرج في يوم بالراية فإذا حل المساء ولم يفتح الله عليه عاد ، حتى خرج أبو بكر بالراية يوماً ورجع منهزماً ، وفي اليوم الذي تلاه خرج عمر بالراية ورجع منهزماً كذلك ، يقول ابن أبي الحديد في قصيدة عن فتح خيبر :

وإن أنس لا أنس السّليّذين تقدّما	وفسرهما الفّر قد علما حوب
ولسراية العظمى وقد ذهبها	ملابس ذل فوقها وجلاليب
يشلّهما من آل موسى شمسردل	طويل نجاد السيف أجيد يعبوب

عَذَّرْتُكُمَا إِنَّ الْجِثَامَ لَمُبْتَغَضٌ وَإِنْ بَقِيَ النَّفْسُ لِلنَّفْسِ مَحْبُوبٌ
ولما رجع عمر عشية قال رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) : سأعطي الراية غداً رجلاً
كزّاراً غير فَرَّارٍ ، يحبُّ الله ورسوله ، ويحبُّه الله ورسوله ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه .

ولما كان من الغد ، وكان الأصحاب يتطاولون لنيل هذا الشرف ، قال (صَلَّى الله عليه وآله) : ادعوا لي عليّاً ، قالوا هو أرمَدُ يشكو الضعف ، قال : جيئوني به ، فأتى به سلمة بن الأكوع ، فقال النبي (صَلَّى الله عليه وآله) : ادن مني ، وضع رأسك على فخدي ، ففعل فدعا له النبي (صَلَّى الله عليه وآله) وتغل في يده فمسح بها على عينيه ورأسه ، فانفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من صداع ؛ يقول حسان بن ثابت في ذلك :

وكان عليّ أرمَدَ العينِ يبتغي دواءَ فلما لم يُحسَّ مداوياً
شفاه رسول الله منه بتفلة فبورك مرقبياً وبورك راقباً
وقال سأعطي الراية اليوم صارماً كميّاً محبّاً للرسول موالياً
يحبُّ إلهي والإلهَ بحبِّه به يفتح الله الحصون الأوابياً
فأصفى بها دون البرية كلها عليّاً وسماه الوزير المواخياً

ثم أعطاه الراية ، فتناولها ومضى بها حتى أتى حصن القموص ، فخرج مرحب كعادته كلَّ يوم كالفيل المائج وهو يرتجز ويقول :

وقد علمت خيبر أني مرحبُ شاكي السلاح بطل مجرّب
فأقبل إليه أمير المؤمنين كالأسد الغاصب وهو يقول :

أنا الذي سَمَتْنِي أمي حيدرة ضرغامُ آجامٍ وليست قسورة
(الأبيات)

فلما سمع مرحب قوله ذكر كلام كاهنته ، إذ كانت قد قالت له : قاتل كلَّ من قاتلك ، وغالب كلَّ من غالبك ، إلّا من سمّي عليك بحيدرة ، فليترك إن وقفت له هلكت ، فلما سمعها منه هرب ، فتمثّل له إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود وقال : حيدرة في الدنيا كثير ، فمَن فراك ؟ فرجع وأراد أن يبادر بالضرب لكنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يمهله ، وأهوى عليه بذئ الفقار بضربة سقط منها لوجهه ، وقتل من بعده الربيع بن أبي الحقيق ، وكان من صناديد القوم ، وعنترة الخيبري من أبطال الرجال ، وهو معروف بالجلد والشجاعة ، ومُرّة وياسر وأمثالهما من شجعان اليهود .

وانهزم اليهود ودخلوا حصن القموص ، وأغلَقوا بابَه عليهم دونه ، فصار أمير المؤمنين

(عليه السلام) إليه فعالجه حتى فتحه ، واهتز الحصن بشده ، حتى أن صفية بنت حيي بن اخطب قالت ارجف بي السرير فسقطت لوجهي ، فشجني جانب السرير .

ثم إن علياً (عليه السلام) رفع الباب فجعله مجتأ له ، وتقاطر اليهود نحو القلعة ، إذ ذاك جعل أمير المؤمنين (عليه السلام) الباب جسراً فعبى عليه المسلمون وظفروا بالحصن ، ولما انصرفوا من الحصن أخذه أمير المؤمنين (عليه السلام) بيمنه ، ورمى به فوق رأسه أربعين ذراعاً ، وحاول أربعون رجلاً رفعه فما استطاعوا .

وفي هذا المقام قيل شعر كثير ، رأينا من المناسب إيراد بعض مما قاله الشيخ الأزري رحمه الله ، قال الله دهره من قاتل :

ولم يوم خير فتكات	كبرت منظرأ على من رآها
يوم قال النبي إني لأعطي	رايتي لبشها وحامي حماها
فاستطالت أعناق كل فريتي	ليروا أي ماجد يعطاهما
فدعا أين وارث الحلم والـ	باس مجبر الأيام من بأسها
أين ذو النجدة العُلى لودعته	في الشريفا مروة لبأها
فأناه الوصي أرمد عين	فسقاهامن ريقه فشفاها
ومضى يطلب الصفوف فولت	عنه علماً بأنه أمضاها
وبرى مرحباً بكف اقتدار	أقوياء الأقدار من ضعفاها
ودحا بأها بقوة بأس	لو حمت الأفلاك منه دحاها
عائد للمؤملين مجيب	سامع ما تر من نجواها

يروى أن جعفر بن أبي طالب قدم من الحبشة يوم خير فسر رسول الله أيما سرور لمقدمه ، وقد أتاه بالهدايا من الطيب والثياب والقطيفة المنسوجة من الذهب ، فأعطاهما علياً (عليه السلام) ففصلها سلكاً سلكاً ، فباع الذهب وكان ألف مثقال ، ففرقه في فقراء المهاجرين والأنصار ، ولم يترك منه شيئاً لنفسه .

وفي السنة السابعة للهجرة كانت عمرة القضاء ، وذاك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما رجع من خير عزم على زيارة مكة ، لأداء عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه عنها ، وخرج معه المسلمون ممن كان معه في عمرته تلك ، وخرج آخرون غيرهم ، وأخذوا معهم سبعين بدنة من الهدى كما أخذوا معهم سلاحهم غير ظاهر كي لا يؤخذوا على غرة لو فكرت قريش بنقض العهد .

ركب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ناقته القصواء وزمائها بيد عبد الله بن رواحة ،

وصحبه المسلمون، ركباً وأرجلين، يلبون، ودخلوا مكة من ثنية الحجون حتى بلغوا المسجد الحرام، وطافوا ركباً، واستلم الحجر الأسود بمحجته^(١)، وأمر أصحابه بالاضطباع^(٢) والجلد في الطواف كي لا يظن المشركون بهم الضعف، ثم هروا ثلاثة أطواف ومشي سائرهما، ومضت هذه الهرولة منذ ذلك سنة، وقفلوا راجعين بعد ثلاثة أيام قضوها في مكة.

وفي هذه السنة تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت تحت عبد الله بن جحش الذي هاجر بها إلى الحبشة مسلماً، لكنه ارتد هناك ومات على دين النصارى، غير أن أم حبيبة ثبتت على إسلامها حتى كتب رسول الله إلى النجاشي في شأنها - بخطبها لنفسه، فعقد النجاشي مجلساً دعا إليه جعفر بن أبي طالب مع جماعة من المسلمين وعقد للرسول (صلى الله عليه وآله) عليها بوكالته عنه مع خالد بن سعيد بن العاص وكيل أم حبيبة، وخطب النجاشي بالمناسبة فقال:

الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم.

أما بعد، فإن رسول الله كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجابت إلى ما دعاها إليه رسول الله، وأصدقته أربعمئة دينار.

ثم أمر بإحضار أربعمئة دينار مهرأ لها.

ثم خطب خالد بن سعيد فقال:

الحمد لله أحمد وأستعينه وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد، فقد أجبت إلى ما دعا إلي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسوله (صلى الله عليه وآله).

ثم أخذ خالد المال، وأمر النجاشي بالطعام، وأكل الحاضرون.

وقائع العام الثامن من الهجرة

وقعة مؤتة: في هذا العام من الهجرة كانت وقعة مؤتة، وهي قرية من قرى البلقاء في الشام، وسبب هذه الواقعة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث الحارث بن عمير

(١) المحجن: المصا المقوفة.

(٢) الاضطباع: إدخال الرداء تحت الإبط الأيمن وتنظيف الأيسر.

الأزدي بكتاب إلى حاكم بصرى ، وهي قصبة من أعمال الشام ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني ، وهو من كبار بلاط قيصر ، فقتله ، وبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاشتد عليه ، وندب الناس فأسرعوا وخرجوا فمكروا بالجرف ، فأتى (صلى الله عليه وآله) الجرف وعرض الجيش ، وكان يعد ثلاثة آلاف مقاتل ، ثم عقد لهم راية بيضاء ، وأسند الإمارة إلى جعفر بن أبي طالب ، ثم قال : فإن أصيب جعفر فزيد بن حارثة ، فإن أصيب زيد فعبد الله بن رواحة ، فإن أصيب عبد الله فليترى المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم .

وكان أحد اليهود حاضراً فقال : يا أبا القاسم ، إن كنت نبياً فسيصاب من سميت قليلاً كانوا أو كثيراً ، إن الأنبياء في بني إسرائيل كانوا لو سموا مئة أصيبوا جميعاً ؛ ثم أوصاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا بلغوا حيث قتل الحارث أن يدعوا الكفار إلى الإسلام فإن أبوا فليحاربوهم .

ومضى المسلمون حتى قاربوا مؤتة ، فلما بلغ شرحبيل مقدمهم استنجد بالقيصر فأمدّه بجيش قوامه مئة ألف أو أكثر .

كان المسلمون طلاب شهادة ، فلم يحسوا لكثرة الأعداء ضعفاً وخوراً ، واصطف الجيشان ، ونادى جعفر في الناس أن ترسلوا عن رواحلكم ، وقتلوا رجالاً ، وكان هذا التدبير ليشعر المسلمين أنهم لا يستطيعون الفرار ، وأن عليهم أن يقاتلوا بصدق ، ثم نزل عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم رفع الراية وتقدم ، واستعر القتال ، والكفار يتعاقبون كال موج فوجاً إثر فوج ، وأحاطوا بجعفر كالخلقة ، ثم أهواوا عليه بالسيوف فقطعوا يمناه ، فأخذ الراية يسراه فقاتل حتى أصيب مقبلاً بخمسين جراحة ، ثم قطعوا يسراه فأخذ الراية بين عضديه ، فضربوه في وسطه فوقع شهيداً ؛ فأخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وقاتل حتى قتل ؛ وقد أشرنا إلى وقعة مؤتة في أواخر فصل معجزات النبي (صلى الله عليه وآله) ، فليرجع إليها هناك .

والروايات في فضل جعفر كثيرة ، ومنها أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : « خلق الناس من أشجار شتى وخلقت أنا وجعفر من شجرة واحدة » ، وقال (صلى الله عليه وآله) لجعفر يوماً : « أشبهت خلقي وخلقي » .

ويروي ابن بابويه عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قوله : إن الحق عز وجل أوحى إلى النبي (صلى الله عليه وآله) أني شكرت لجعفر بن أبي طالب أربع خصال وقبلتها منه ؛ فدعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسأله عنها ، فقال : يا رسول الله ، لولا أن الله عز وجل أخبرك بها لما أبديتها ، أولاها أني لم أشرب شراباً قط ، لأنّي أعلم أن الشراب يذهب

بالعقل ؛ والثانية أني لم أكذب قط ، فالكذب يذهب بالرجولة والمروءة ؛ ولم أزن بحرم أحد قط ، لأن من زنى بحرم آخر زنى بحرمه ، ولم أعبد صنماً قط ، لأنه لا يُتصور منه نفع أو ضرر ؛ فربت رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) على كتفه وقال : إنك لأهل لأن يجعل الله لك جناحين تطير بهما مع الملائكة .

وفي حديث للإمام السَّجَّاد (عليه السلام) أنه لم يَمُرَّ يوم أسوأ على رسول الله من يوم أحد . إذ استشهد فيه عمُّه حمزة أسد الله وأسد رسوله ، وبعده يوم مؤتة إذ استشهد فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب .

موقعة ذات السلاسل : وخلاصتها أن أهل وادي يابس اجتمعوا اثني عشر ألف فارس ، وتعاهدوا على أن يقتلوا محمداً (صَلَّى الله عليه وآله) وعليّاً (عليه السلام) ، فنزّل جبرئيل على محمد (صَلَّى الله عليه وآله) فأخبره بقصّتهم ، وأمره أن يبعث إليهم أبا بكر في أربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار ؛ فأمر (صَلَّى الله عليه وآله) أبا بكر بالمسير إليهم ، وأوصاه أن يعرض عليهم الإسلام ، فإن تابعوا وإلاّ واقمهم ، فقتل مقاتليهم ، وسبى ذراريهم ،

فمضى أبو بكر ومن معه من المهاجرين والأنصار ، يسير بهم سيراً رقيقاً حتى انتهوا إلى أهل وادي اليابس ، ونزلوا قريباً منهم ، فخرج إليهم من أهل الوادي مثنى رجل مذبحين بالسلاح ، وطلبوا أن يتحدّث إليهم أبو بكر . فخرج إليهم في نفر من أصحابه ، فقالوا : أما واللّات والعزى ، لولا رحم مائّة ، وقرابة قريبة لقتلناك وجميع من معك قتلة تكون حديثاً لمن يكون بعدكم ، فارجع أنت ومن معك واربحوا العافية ، فإنّا إنّما نريد صاحبكم بعينه وإخاه عليّ بن أبي طالب ، فرأى أبو بكر الصّلاح في عودة الجيش ، فانصرف وأخبر النبي (صَلَّى الله عليه وآله) بمقالة القوم ، فقال (صَلَّى الله عليه وآله) : يا أبا بكر خالفت أمري ولم تفعل ما أمرتك به . وكنت والله عاصياً فيما أمرتك .

ثم إنّ النبي (صَلَّى الله عليه وآله) نصب مكانه عمر بن الخطّاب ، وأرسله على رأس الجيش ، فجرى له ما جرى لأبي بكر (١) .

ثم دعا رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) أمير المؤمنين (عليه السلام) وأوصاه بما أوصى به أبا بكر وعمر ، وبشّره بأنّ الله سيفتح عليه ، فخرج عليّ (عليه السلام) ومعه المهاجرون والأنصار ، فسار بهم سيراً غير سريّ أبي بكر وعمر ، وذلك أنه أعنف بهم في السير ، حتى إذا كانوا قريباً منهم حيث يرونهم أمر أصحابه أن ينزلوا ، فخرج إليه من العدو مثنى رجل شاكين في

(١) يروى أن النبي (ص) بعث غمّرين العاص كذلك لكنه رجع خائباً .

السلح ، وسألوه : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب ، ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخوه ، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ولكم ما للمسلمين ، وعليكم ما عليهم من خير وشر ، فقالوا : إياك أردنا ، وأنت طلبتنا ، قد سمعنا مقاتلتك ، فاستعد للحرب العوان ، واعلم أنا قاتلوك وقاتلو أصحابك ، والموعود فيما بيننا غداً ضحوة ، فقال لهم علي (عليه السلام) : ويلكم تهذدونني بكثرتكم وجمعكم ، فإنا أستمعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولما جنَّ الليل أمر أصحابه أن يحسنوا إلى دوابهم ، ويقضموها ويسرجوها ، فلما انشقَّ عمود الصبح صلى بالناس بغلس ، ثم غار عليهم بأصحابه ، فلم يعلموا حتى وطشهم الخيل ، فها أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم ، وسبى ذراريهم ، واستباح أموالهم ، وخرب ديارهم ، وأقبل بالأسارى والأموال معه .

وانزل الحق عز وجل سورة العاديات في ذلك اليوم ، قال تعالى :

﴿ والعاديات ضبحاً ﴾ : يقسم بالعاديات وهي الخيل تعدو بالرجال ، الضبح : ضبحها في اعتها ولجمها .

﴿ فالموريات قدحاً ﴾ : المخرجات النار من الصخور بسنابكها ، ويقول علي بن ابراهيم : إن أرضهم كانت مليئة بالحجارة ، فإذا وقعت عليها حوافر الخيل خرجت منها النار .

﴿ فالمغيرات صبحاً ﴾ : القسم بالمغيرات في وقت الصبح .

﴿ فأنثرن به نقماً ﴾ فوسطن به جمعاً : يعني الخيل يثرن النقع بالوادي ، حتى توسطوا القوم .

﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ وإنه على ذلك لشهيد * وإنه لحب الخير لشديد ﴾ : والحق أن الإنسان جحود لربه ، وهو شاهد على هذا الجحود ، وهو حريص على المال والحياة بشدة .

﴿ أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ﴾ وحُصل ما في الصدور * إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾ : ألا يعلم الإنسان إذا بُعث من قبره ، ورأى ما في صدره حاضراً ، أن ربه في ذلك اليوم عليم بما فعل ؟

ويروى أنه كانت لأمر المؤمنين (عليه السلام) عصابة لا يتعصب بها حتى يبعثه الرسول (صلى الله عليه وآله) في وجه شديد ، فمضى إلى منزل فاطمة (عليها السلام) فالتمس العصابة منها ، فقالت : أين تريد ، وأين بعث بك أبي ؟ قال : إلى وادي الرمل ، فبكت

إشفاقاً عليه . فدخل النبي (صَلَّى الله عليه وآله) وهي على تلك الحال ، فقال لها : ما لك تبكين ، أتخافين أن يقتل بعلك ؟ كلا إن شاء الله . فقال له عليّ (عليه السلام) : لا تنفُري عليّ بالجَنَّةِ يا رسول الله ؟

ثم خرج (عليه السلام) ورسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) يشيَّعه حتى مسجد الأحزاب ؛ ولما رجع من غزوته خرج رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) لاستقباله ، والمسلمون قاموا له صفين ، فلما بصر شمس الولاية (عليه السلام) بشمس النبوة (صَلَّى الله عليه وآله) ترَجَّلَ عن فرسه وأهوى إلى قدميه يَقْبِلُهَا ، فقال له (صَلَّى الله عليه وآله) : اركب فإن الله تعالى ورسوله عنك راضيان فبكي أمير المؤمنين (عليه السلام) فرحاً ، وانصرف إلى منزله .

وتسلَّم المسلمون الغنائم ، فقال النبي (صَلَّى الله عليه وآله) لبعض من كان معه في الجيش : كيف رأيتم أميركم ؟ قالوا : لم ننكر منه شيئاً إلا أنه لم يؤم بنا في صلاة إلا قرأ فيها ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، فقال النبي (صَلَّى الله عليه وآله) : أسأله عن ذلك ، فلما جاءه قال له : لم لم تقرأ بهم في فرائضك إلا بسورة الإخلاص ؟ فقال : يا رسول الله ، أحببتها ، قال له النبي (صَلَّى الله عليه وآله) : فإن الله قد أحَبَّك كما أحببتها ، ثم قال له : يا عليّ ، لولا أنّي أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بجلا منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك .

أقول : يقال عن هذه الغزوة « ذات السلاسل » لأنه لما ظفر أمير المؤمنين (عليه السلام) بأعدائه قتل أكثر رجالهم ، وأسر نساءهم وأبناءهم ، ثم ربط سائر رجالهم بالسلاسل والحبال ، ومن هنا سميت بذات السلاسل ، وهذا الموقع يبعد عن المدينة خمسة منازل .

فتح مكة المعظمة : كان أحد الشروط التي تضمّنها كتاب صلح الحديبية ينصّ على عدم التعرّض لمن دخل في حلف أحد الجانبين ، وكان بنو بكر وكنانة في حلف قريش ، بينما كانت خزاعة من حلفاء ومعاهدي رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، وكان بين القبيلتين شرّ قديم .

وذات يوم قال رجل من بني بكر شعراً في هجاء النبي (صَلَّى الله عليه وآله) ، فسمعه غلام من بني خزاعة فمنعه فلم يمتنع ، فعدا عليه فشجّه في رأسه ووجهه ، فأجمع بنو بكر على قتال خزاعة وسألوا قريشاً المدد ، فرفدتهم قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً ، وقتل من خزاعة ما يقرب من عشرين رجلاً ، فبلغ رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ما جرى فقال : لا نصرت إن لم أنصر خزاعة ، ثم أرسل في القبائل أن يوافي المدينة في أول شهر رمضان كل شاك السلاح ، وأمر من في المدينة بالتأهب ، وبثّ العيون كي لا يتسرّب إلى مكة الخبر .

لكن حاطب بن بلتعة كتب إلى قريش كتاباً يحذرهم فيه مما عزم عليه النبي (صلى الله عليه وآله) قال فيه : من حاطب بن بلتعة إلى أهل مكة : إن رسول الله يريدكم ، فخذوا حذرکم ، وبعث بالكتاب مع امرأة تدعى سارة ، أخفته في ضفائرها ، وانجھت نحو مكة ، ونزل جبرئيل فأخبر النبي (صلى الله عليه وآله) بما فعلت ، فأرسل علياً (عليه السلام) في جماعة وأمرهم بإحضار الكتاب منها ، فأدركوها فأنكرت وأقسمت بالله ما معها من كتاب ، فسأل (عليه السلام) سيفه وقال : أخرجني الكتاب ولأ والله لأضربن عنقك ، فلما رأت الجذ أخرجته من ذؤابتها ، فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فأرسل إلى حاطب فسأله : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : أردت أن أأخذ عند قريش يداً ، فأهلي بين ظهرانيهم ، فنزل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ الآية الممتحنة / ١ .

وفي الثاني من شهر رمضان ، أو في العاشر منه خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) عامداً إلى مكة في عشرة آلاف من المسلمين ، يقول ابن عباس : طلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في منزل عسفان قدحاً من الماء فشرب والناس ينظرون ، فلم يصم من ساعته تلك حتى مكة ، يقول جابر : بعد أن شرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قيل له إن البعض صائمون فقال : أولئك العصاة !

ومن جانب آخر فإن العباس عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج من مكة مع أهله وعشيرته عامداً المدينة ، فلقى النبي (صلى الله عليه وآله) في بيوت السقياء أو ذي الخليفة ، فسر الرسول (صلى الله عليه وآله) لرؤيته وقال : لهجرتك آخر الهجرات ، كما أن نبوتي آخر النبوات ، ثم أمر بأهله فأرسلوا إلى المدينة ولزم هو الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ثم تابعوا طريقهم حتى نزلوا بمنى الظهران .

قال العباس بن عبد المطلب يحدث نفسه : والله لئن بغت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قريشاً بهذا الجيش فدخل مكة عنوة إنه هلاك كل من فيها ، ثم خرج على بغلة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال : أخرج إلى الأراك لعلي أرى حطاباً أو صاحب لبن ، أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيأتونه فيستأمنونه . قال العباس : فوالله إنني لأطوف في الأراك أتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وبذئيل بن ورقاء يتحدثان ، فتكلم أبو سفيان فعرفت صوته ، فقلت : يا أبا حنظلة (يعني أبا سفيان) فقال : أبو الفضل ؟ فقلت : نعم قال : ليك فداك أبي وأمي ، ما وراءك ؟ فقلت : هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد جاء بما لا قبل لكم به ، باثني عشر ألفاً من المقاتلة ، قال : فما تأمرني ؟ قلت : تركب عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وآله) ، واعلم يا أبا سفيان أن على الطليعة الليلة عمر بن الخطاب ، ولئن رآك لما تركك حياً ، ذلك لأن بين أبي سفيان وعمر خصومة مكنونة منذ الجاهلية ، ويقال إن هند زوجة أبي سفيان كانت تلتزم ألواناً من المعاشرة مع عدد من شباب قريش ، وكان عمر واحداً منهم ، ومن هنا كان منشأ الخصومة والحقد المتبادل .

وإجمالاً فقد أورد العباس أبا سفيان خلفه وقصد رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، فلما بلغا خيمة عمر بن الخطاب ، رآه عمر ، فبادر إلى رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله ، هذا عدو الله لا أمان له ولا إيمان ، فدعني أضرب عنقه ، فقال العباس : يا رسول الله إنِّي قد أجرته .

قال النبي (صَلَّى الله عليه وآله) يا أبا سفيان ، آمن تأمن ، قال : فما نصنع باللات والعزى ؟ فقال له عمر : اسلح^(١) عليهما ؛ قال أبو سفيان : أف لك ما أفحشك ، ما يدخلك يا عمر في كلامي وكلام ابن عمي ؟ فقال عمر : لو كنت خارج هذه الخيمة لما جرؤت على هذا القول .

فأسكتها رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) وقال للعباس : اذهب فقد أمناه حتى تغدو به عليّ بالغداة . فبات أبو سفيان في خيمة العباس .

ولما أصبح الصباح سمع أبو سفيان أذان بلال ، فقال : من هذا ؟ قال العباس : إنه مؤذن رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، ونظر أبو سفيان إلى النبي (صَلَّى الله عليه وآله) وهو يتوضأ ، وأيدي المسلمين تحت شعره ، فليس فطرة تصيب رجلاً منهم إلا مسح بها وجهه ، فقال : بالله ما رأيت كالיום قطّ كسرى ولا قيصر .

وبعد الصلاة غدا به العباس إلى رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، فنطق من خوفه بالشهادتين ، قال العباس : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فلو خصصته بمعروف بين قومه ، فقال رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

ثم قال : ومن وضع سلاحه وأغلق بابه فهو آمن ، ومن جلس عند الكعبة فهو آمن .

ثم مضى أبو سفيان ، فقال النبي (صَلَّى الله عليه وآله) لعنه أدركه واجسه في مضائق الوادي حتى يمرّ به جنود الله ، فلحقه العباس وقال له : صبراً يا أبا حنظلة حتى ننظر إلى جنود الله .

(١) سلح : نفوط .

وقف أبو سفيان في مضيق الوادي ، فجعلت الجنود تمرّ به فرجاً إثر فوج من أمامه ثم مرت كتيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في قلبها ، وفي ركابه خمسة آلاف رجل من أبطال المهاجرين والأنصار على خيول عربية وإبل حمراء وسيوف مشرّفة ودروع داوذية ، فقال للعبّاس : ما أعظم ملك ابن أخيك ! قال العباس : وبحك يا أبا سفيان ، إنّها النبوة ، قال : نعم .

ثم إن أبا سفيان سارع بالخروج إلى مكة ، وقد سطح الغبار من فوق الجبال وقريش لا تعلم ، وأقبل أبو سفيان من أسفل الوادي يركض ، فاستقبلته قريش ، وقالوا : ما هذا الغبار ؟ قال : محمد في خلق ، يا آل غالب البيوت البيوت ، من دخل داري فهو آمن ، ومن وضع سلاحه وأغلق بابه فهو آمن ، ومن جلس عند الكعبة فهو آمن .

قالت قريش : قبحك الله ! وعرفت هند فأخذت تطردهم ثم قالت : اقتلوا الشيخ الحبيث ، لعنه الله من وافد قوم وطلّيعه قوم !

ثم اتالت أفواج الكتائب يتلو بعضها بعضاً كالسيل حتى بلغت ذا طوى ، وبلغ الرسول (صلى الله عليه وآله) ذا طوى ، والجيش حوله كالطوق ، فلما رأى (صلى الله عليه وآله) كثرة المسلمين ومكة بين يديه تذكّر أيام الوحدة والهجرة ، فوضع جبينه على سرج ناقته في سجدة شكر ، ذلك أنه لما كان مهاجراً إلى المدينة التفت بوجهه نحو مكة وقال :

« الله يعلم أنّي أحبّك ، ولولا أنّ أهلك أخرجوني عنك لما أثرت عليك بلداً ، ولا ابتغيت بك بدلأً ، وإنّي لمفتمّ على مفارقتك » .

ثم نزل في الحجون ، حيث قبر خديجة (عليها السلام) في خيمة سجاجها من أديم أحمر نصبت له فاغتسل ، ثم ركب راحلته شاك السلاح ، وقرأ سورة الفتح حتى بلغ البيت ، واستلم الحجر الأسود بمحجنه وهو يكبر ، وارتفع صوت المسلمين بالتكبير حتى رددت صدهاء الغياي والجبال ، ثم نزل عن ناقته وأخذ بعضا دقي الباب ثم قال :

« لا إله إلا الله ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وغلب الأحزاب وحده » .

ثم أمر بتحطيم الأصنام والأوثان المنصوبة في أطراف البيت ، وكان يشير بعصاه إلى الصنم أو ينزّه بطرف قوسه في عينه ويقول :

« جاء الحق وزهق الباطل ، إنّ الباطل كان زهوقاً ، وما يبدىء الباطل وما يعيد » .

وكانت الأصنام تتساقط بإشارته ، أما الأصنام الكبيرة التي نصبت فوق الكعبة فقد أمر علياً (عليه السلام) فوضع قدمه على كتفه ، ورفعها حتى وصل إليها ورمى بها إلى الأرض

واحداً فواحداً ، فتحطمت عن آخرها ، ثم نزل (عليه السلام) عن الكعبة بأدب ، ولما بلغ الأرض تبسم ، فسأله عن السبب فقال : لقد ألقيت بها إلى الأرض ولم ألق ضرراً ، فقال له (صلى الله عليه وآله) : وكيف تلقى ضرراً ومحمد يرفعك وجبرئيل ينزلك ؟

ويروى أنه (صلى الله عليه وآله) أخذ مفتاح البيت ففتحه ، ثم أمر بصور الأنبياء والملائكة نصبها المشركون على الجدران ، فطمست ، وبعد التهليل والحمد قال مخاطباً أهل مكة :

ماذا تقولون ، وماذا تظنون ؟ قالوا : نقول خيراً ، ونظنّ خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت .

فأخذته الرقة ، وفاضت عيناه ، ولما رأى أهل مكة هذا ارتفع بكاؤهم ، فقال :

« فإني أقول كما قال أخي يوسف ، لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين » . ثم قال :

« ألا لبس جيران النبي كتم ، لقد كذبتم ، وطردتم ، وأخرجتم ، وفلنتم ، ثم ما رضيت حتى جثمتوني في بلادتي تقاتلونني » .

ثم عفا عنهم وقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » !

ودخل وقت الصلاة ، فأمر بلالاً فصعد على الكعبة وأذن ، سمع المشركون صوت الأذان ، من كان منهم في المسجد ، ومن كان في أطراف الجبال ، فصدرت عن بعضهم أقوال قبيحة ؛ قال عكرمة بن أبي جهل : والله إن كنت لأكره أن أسمع صوت ابن رباح ينهق على الكعبة ؛ وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أكرم أبا عتاب (أبوه) من هذا اليوم أن يرى ابن رباح قائماً على الكعبة ؛ وقال أبو سفيان ؛ أما أنا فلا أقول شيئاً ، والله لو نطقت لظننت أن هذه الجذرة تخبر به محمداً .

فأخبر جبرئيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما قالوا ، فدعاهم ، فواجه كلأً بما قال ، فأسلم بعضهم . ثم تقاطر رجال قريش فبايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومنهم أبو حذافة ، وكان إذ ذاك شيخاً ضريباً ، وأنزل الله تعالى سورة الفتح .

ثم جاء الدور إلى النساء ، فجنن يباعته (صلى الله عليه وآله) ، فجمعهن جوله ، ثم دعا بإناء فصب فيه ماء ، ثم غمس يده فيه وقال : من أرادت البيعة فلتغمس يدها في هذا الماء ، فهي البيعة ، فإني لا أصافح النساء ، ويقال إن أمية أخت خديجة أخذت له البيعة من النساء ، ونزل في بيعة النساء قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيَعُكَ - عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا يَرْقُنَ ، وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْسُدْنَ بِهِنَّ أَبْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلَهُنَّ ، وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ - فَبَايِعَهُنَّ وَاسْتَغْفَرَ لهنَّ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المتحنة/ ١٢) .

فلما قرأ هذه الآية عليهنَّ قالت أم حكيم بنت الحارث بن هشام^(١) ، وكانت عند عكرمة بن أبي جهل : يا رسول الله ، ما ذلك المعروف الذي أمرنا الله أن لا نعصيك فيه ؟ فقال :

« لَا تَلْطَمُنَ خَدًّا ، وَلَا تَحْمُسْنَ وَجْهًا ، وَلَا تَنْتَقِنَ شَعْرًا ، وَلَا تَشْفَقْنَ جَبِيًّا ، وَلَا تَسُوْدَنَ نَوْبًا ، وَلَا تَدْعِينَ بَوِيلًا » .
وبايعهنَّ على ذلك .

غزوة حنين : بعد فتح مكة ازداد إقبال الأعراب وقبولهم للدعوة ودخولهم في الإسلام ، غير أن قبائل هوازن وثقيف تمردوا وتكبروا ، ثم راحوا يجمعون الجموع والسلاح ، وأمرؤا عليهم مالك بن عوف النصري وهو سيد هوازن ، وخرجوا يسوقون معهم أموالهم ونساءهم وذرائعهم حتى نزلوا بأوطاس ، وكانوا أربعة آلاف مقاتل ، ثم أرسل مالك يستصرخ بني سعد ، لكنهم أبوا إمداده قائلين : إن محمداً رضي عنا ، وقد نشأ بين ظهرانينا ، فلن نحاربه ، وبعد إلحاح من مالك ، ورسل ورسائل استطاع خداع فريق منهم ، فخرجوا معه .

وإجمالاً فقد استطاع مالك بن عوف أن يحشد جيشاً قوامه ثلاثون ألف مقاتل ، وسار بهم في واد عريض يقال له وادي حنين ، وعسكر هناك .

وبلغ رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) اجتساع القوم على حربه فانصرف إلى الإعداد للحرب ، ثم استخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس ويعلمهم ، ثم خرج بالفي رجل من أهل مكة إلى الآلاف العشرة الذين معه ، وصار مجموعهم اثني عشر ألفاً ، ويقال ستة عشر ألفاً ، وأعاره صفوان بن أمية مئة درع وبعض آلات الحرب الأخرى ، وسار بهم حتى اقترب من حنين ، ويروى أن أبابكر قال وقد أعجبت به الكثرة : لن نُغلب اليوم من قلة ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾ (التوبة/ ٢٥) .

من جانب آخر فقد قال مالك بن عوف لأصحابه : اكسروا جفون سيوفكم ، واكنموا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر ، فإذا كان في غلس الفجر فاحملوا حملة رجل واحد .

(١) البعض يقول : أم حكيم بنت الحارث بن عبد المطلب .

أما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما أسفر الصبح عقد اللواء الأكبر ودفعه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، وخرج الناس على راياتهم، وسلك الجيش طريقاً ينحدر إلى وادي حنين، وكان بنو سليم على مقدمته بقيادة خالد بن الوليد، الذي عبر الوادي مراعيًا ضيقه وانحداره. مما اضطر قومه للمسير كثائب متفرقة، وهنا انقضَّ عليهم رجال هوازن من كل ناحية، فانهزم بنو سليم، وانهزم من وراءهم من كتائب قريش، وكانوا حديثي عهد بالإسلام، وتبعهم الآخرون في الهزيمة فلم يبق أحد إلا انهزم، وبقي أمير المؤمنين (عليه السلام) يقاتل في نفر قليل، ومَرَّ المنهزمون برسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يملكون على شيء.

وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يركب بغلته البيضاء (كُلْدَل) فأقبل ينادي: إلى أين أيها الناس؟ فلم يلو أحد عليه؛ وكان من بقي مع النبي (صلى الله عليه وآله) عشرة أنفس، تسعة من بني هاشم خاصة، وعاشرهم أئمن بن أمّ أئمن، وقد قتله مالك، رحمة الله عليه، وبقي الهاشميون التسعة، العباس بن عبد المطلب عن يمينه (صلى الله عليه وآله) أخذاً بلجام بغلته، والفضل بن العباس عن يساره، وأبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب ممسكاً بسرج بغلته، وأمير المؤمنين (عليه السلام) بين يديه يضرب بالسيف، ويدفع عنه الأعداء، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب حوله، وقد ولّت الكافة مدبرين.

ولما رأى النبي (صلى الله عليه وآله)، ذلك، وكز بغلته وحمل على القوم، وحمي الوطيس وهو (صلى الله عليه وآله) يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهذه هي الوقعة الوحيدة التي قاتل فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنفسه.

وعن الفضل بن العباس أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قتل وحده في هذا اليوم أربعين رجلاً من القوم، كان بضربة منه يقدِّ واحد منهم نصفين، وكانت ضرباته بكراً، كما يقول الفضل، فكانت تكفيه ضربة واحدة يردي بها خصمه، ولا يحتاج إلى ثانية.

قال: وأقبل رجل من هوازن اسمه أبو جرول، على جمل أحم، بيده راية سوداء ركزها في رأس رمح طويل، وكان يتقدم القوم، فإذا ظفر بأحد من المسلمين فقتله رفع الراية لمن وراءه من المشركين فاتبعوه، وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جرول لا أبرأ حتى نبيخ القوم أو نُبأخ

فصمد له أمير المؤمنين (عليه السلام) فضرب عجز بعيره فصرعه ، ثم ضربه أخرى فقذّه نصفين مجذلاً وهو يقول :

قد علم القوم لدى الصباح أني لدى المهبجاء ذو نصاح
وقد انخذل المشركون يقتل أبي جرول ، وارتفع صوت العباس - وكان جمهوري الصوت - بنادي الأصحاب ويقول : « يا معشر الأنصار ، يا أصحاب بيعة الشجرة ، يا أصحاب سورة البقرة ، فالتأم الناس وانحدروا خلف العدو .

وتناول النبي (صلى الله عليه وآله) حفنة من تراب نثرها على العدو وقال : « شامت الوجوه » ، ثم دعا فقال : « اللهم إنك أذقت أول قريش نكالاً ، فأذق آخرها نوالاً » .

ويروى أن خمسة آلاف من الملائكة شهدوا هذه الحرب ، وفرّ مالك بن عوف مع جماعة من هوازن وثقيف إلى الطائف ، كما فرّ آخرون إلى أوطاس ، وفريق ثالث يسطن نخلة ، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قتل كافراً فله سلاحه وثيابه .

يقال إن أبا طلحة قتل في هذه الحرب عشرين رجلاً ، وكان له سلبهم ، وقد قُتل من المسلمين أربعة شهداء ، ولما وضعت الحرب أوزارها كان بين المنهزمين ألف وخمسة بين محارب وقائد ، وكلّ من أدركوه منهزماً قتلوه .

وبعد ثلاثة أيام على هذه الحال أمر رسول الله بالغنائم فجمعت في الجعرانة لتوزيعها ، وكانت أربعة وعشرين ألفاً من الإبل ، وأربعين ألف [أربعة آلاف] أوقية من الفضة ، وما يزيد على أربعين ألف شاة ، إلى جانب ستة آلاف من الأسرى ، وكان بينهم شيعة بنت حليمة ، وأخت رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الرضاعة ، فلما قامت على رأسه قالت : يا محمد أختك سبي بنت حليمة ، فنزع رسول الله (صلى الله عليه وآله) برده فبسطه لها فأجلسها عليه ، ثم كتب عليها بسائلها ، وخبرها بين أن تكون معه أو تعود إلى بيتها فاخترت الأخير ، فأعطاه غلاماً أو جارية على قول ، وبعينين وبيض شياء ، وقد كلمته في أسارى هوازن فقال : أما نصيبي ونصيب بني عبد المطلب فهو لك ، وأما ما كان للمسلمين فاستشفي بي عليهم .

فلما صلوا الظهر قامت فتكلّمت ، فوهب لها الناس أجمعون ، إلا الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، فإنهما أبيا أن يبا ، فأقرع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بينهم وبين الأسرى ثم قال : اللهم توه سهميهما ، فأصاب أحدهما خادماً لبني عقيل ، وأصاب الآخر خادماً لبني نضير ، فلما رأيا ذلك وهبا ما منعا .

ويروى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر منادياً فننادى يوم أوطاس : « ألا لا

توطأ الحبالى حتى يضعن ، ولا غير الحبالى حتى يُستبران بحیضة .

ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج من الجعرانة في ذي القعدة إلى مكة ففضى بها عمرته ، ثم صدر إلى المدينة وخليفته على أهل مكة عتاب بن أسيد ، وقرره درهماً من بيت المال في اليوم ، ففتح به وأغناه عن حاجة غيره .

وفي السنة الثامنة توفيت زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) زوجة أبي العاص بن الربيع ، ويقال إنهم صنعوا لها تابوتاً ، وهو أول تابوت صنع في الإسلام ، وكان لها ابن وابنة ، الابن هو عليّ ، وقد توفيّ لما قارب البلوغ ، والابنة هي أمانة ، وقد صارت زوجة لأمبر المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاة فاطمة (عليها السلام) وفقاً لوصيتها .

وفي هذه السنة ولد إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وسيأتي الحديث عنه - إن شاء الله - في الفصل الثامن ، ضمن الحديث عن أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وقائع العام التاسع من الهجرة

في مستهلّ العام التاسع من الهجرة عين رسول الله (صلى الله عليه وآله) عمالاً يتنقلون إلى القبائل المسلمة ليجمعوا زكاة أموالهم ، فامتنع بنو نعيم عن أداء الزكاة ، فخرج إليهم خسون نفرأ أغاروا عليهم فجأة فأسروا أحد عشر رجلاً منهم وإحدى عشرة امرأة وثلاثين من ذراريهم ، ورجعوا بهم إلى المدينة ، فاقبل في أثرهم كبار بني تميم أمثال عطاردة بن حاجب بن زُرارة ، والزُّبرقان بن بدر ، وعمرو بن الأهم ، والأقرع بن حابس ، فصاروا إلى حجرات الرسول (صلى الله عليه وآله) ونادوا : يا محمد ، اخرج إلينا ، فقام إليهم (صلى الله عليه وآله) من قبلوته ، ونزل فيهم قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم ، والله غفور رحيم ﴾ (الحجرات / ٤-٥) .

ثم قالوا : لقد قدمنا مع شاعرنا وخطيبنا نفاخركم ، فقال (صلى الله عليه وآله) : ما بالشعر بُعثت ، ولا بالفخار أمرت ، فماذا عندكم ؟

وقف عطاردة وخطب خطبة في فضل بني تميم ، ثم تلاه الزُّبرقان^(١) بن بدر فأنشد :

نحن السكرام فلا حيّ يعادلنا نحن الروؤس وفينا السادة الرُّعُ

(١) الزُّبرقان : بكسر الزاي : القمر ، ولقبه الحصين بن بدر لجأله ، أولصفرة في عمامته .

ونطعم الناس عند القحط كلهم من الشريف إذا لم يونس الفزع
ولما انتهيا من قولها قام ثابت بن قيس خطيب الأنصار بأمر من سيد الأبرار (صلى الله
عليه وآله) فخطب خطبة أطول وأبلغ مما قال : ثم استأذن حسان في الرد عليها ، فأذن
فقال :

إن الذوائب من فھر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تُتَّبَعُ
يرضى بها كل من كانت سريسته تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوهم أو حاولوا النفع من أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة إن الخلائق حقاً شرّها البدع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
إن كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأذن سبقهم تبع
لا يجهلون وإن حاولت جهلهم في فضل أحلامهم عن ذاك متنع
إن عفة ذكرت في الوحي عفتهم لا يطمعون ولا يرددهم الطمع

فقال الأقرع بن حابس : تالله إن عمداً أظفره الغيب ، فخطيبه أفضل من خطيبنا ،
وشاعره أفضل من شاعرنا ، وقد أيدأ دينه .

ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعاد إليهم أسراهم ، وأمر لكل منهم بعتاء
لائق .

غزوة تبوك : وتبوك موضع بين الحجر^(١) والشام ، وهي اسم حصن وماء في تلك
النواحي نزل عنده جيش المسلمين ، ويقال لهذه الغزوة : الفاضحة ، لافتضاح كثير من
المنافقين فيها ، ويقال لهذا الجيش : جيش العسرة ، لما لقيه الناس من قحط وشدة ، وهي
آخر غزوة من غزوات الرسول (صلى الله عليه وآله) .

وسبب هذه الغزوة أن قافلة من التجار قدمت المدينة من الشام ، فأشاعوا أن الروم قد
اجتمعوا يريدون غزو رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عسكر عظيم ، وأن هرقل قد سار
في جنوده وجلب معهم قبائل غسان وحذام وفهر وعاملة ، وقد قدم عساكره اللقاء ، فأمر
رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه بالتهيؤ ، وحثهم على الجهاد .

وكان ذلك في وقت عسير على أهل المدينة ، فقد كان الجؤ شديد الحرارة ، وكانت الشجار
والمحاصيل قد أردكت وحن قطائفها ، وأحب الناس المقام في المسكن والمال ، إلى بعد الشقة

(١) الحجر : ديار ثمود في ناحية الشام ، قال تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

وكثرة الأعداء ، فتناقل القوم عن الخروج ، ونزل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنُاقِلْتُمْ ﴾
(التوبة/ ٣٨) .

ثم إن الناس بدأوا يأتون بصدقاتهم لتجهيز الجيش ، وكان عند أبي عقيل الأنصاري صاعان من التمر جمعتهما من عمله بالأجر ، فترك صاعاً لعمياله ، وقدم صاعاً للجيش ، فقبله رسول الله (صلى الله عليه وآله) منه ؛ لكن بعض المنافقين سخروا منه لقلة صدقته ونالوه بلمزهم ، فنزل قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ، وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التوبة/ ٧٩) .

وتصدق كثير من النساء بحلّاهم فضمتها (صلى الله عليه وآله) إلى تجهيز الجيش وأمر أن يأخذ كلّ نعلين زيادة فيعدّ كالراكب ، وهكذا جهّز جيشاً قوامه ثلاثون ألف رجل ، منهم ألف راكب ، وجاء جماعة يعدّون اثنين وثمانين رجلاً يلتمسون الإذن في التحلّف لفقيرهم وقلة مالهم ، فقال لهم (صلى الله عليه وآله) : اذهبوا أغناي الله عنكم ، ونزل قوله تعالى :

﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذِنَ لَهُمْ ﴾ (التوبة/ ٩٠) .

وفريق آخر من المنافقين فعدوا عن الخروج دون أن يقدموا اعداراً ، لا بل كانوا يخشون الناس ويقولون إن الحرّ شديد ، أو يقولون إن محمداً يظنّ أن حرب الروم هي كغيرها من الحروب ، وإن رجلاً واحداً لن يعود من هذا الجيش قطّ ، وأمثال ذلك من القول ، وفيهم نزل قوله تعالى :

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾
(التوبة/ ٨١) .

وإذ كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أذن لبعض المنافقين بالقيود ، فقد أنزل تعالى قوله : ﴿ عفا الله عنك لم أذنّت لهم ﴾ الآيات .

وإجمالاً فلما حصل المنافقون على الإذن بالتحلّف ، أضمرّوا في أنفسهم أنهم - في حال طال غياب النبي (صلى الله عليه وآله) ، أو في حال هزيمته في تبوك - سيفيرون على بيته ويخرجون أهله من المدينة ، ولما علم النبي (صلى الله عليه وآله) بما تكنّه ضلّهم استخلف على المدينة أمير المؤمنين (عليه السلام) كي لا ينال المنافقون مبتغاهم ، وكى يعلم الناس أن

الخلافة بعد النبي (صَلَّى الله عليه وآله) إنما هي لعليّ (عليه السلام) .

ولما خرج من المدينة قال المنافقون : إن النبي (صَلَّى الله عليه وآله) لم يستخلفه إلا استئفاً له ، وإلا فلم لم يخرج معاه ؟ ! فلما سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) بمقتلهم لحق بالنبي (صَلَّى الله عليه وآله) في الجوف وأبلغه بزعم المنافقين من استئفاله إيّاه ومقتله له ، فقال له النبي (صَلَّى الله عليه وآله) : ارجع يا أخي إلى مكانك ، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك ، فأنت خليفتي في أهلي ودار هجري وقومي ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدي ؟

وتوجّه المسلمون إلى تبوك ، ولاقوا في سفرهم هذا من العناء والشدة ما لم يلقوه من قبل أبداً ، فقد كان لكل عشرة منهم حمل واحد يتناوبون ركوبه ، إلى قلة في الزاد ، حتى أن قوت الرجلين منهم كان حبة تمر ، يلوّك نصفها ويدع النصف لرفيقه : « وكان زادهم الشمبر المسوس ، والتمر الزهيد ، والإهالة السخنة »^(١) .

وفضلاً عن شدة الحرّ وسورته فقد كان الماء قليلاً ، حتى أنهم مع قلة راحلهم كانوا ينحرون البعير ويشربون ما يخزنه في جوفه ، ومن هنا جاءت تسمية هذا الجيش بجيش العسرة ، فقد عابوا ثلاثة ألوان من العسرة الشديدة ، قال تعالى :

﴿ لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار الذين اتَّبَعُوهُ في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ﴾ (التوبة / ١١٧) .

وفي هذه الغزوة ظهرت معجزات كثيرة على يدي رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، منها إخباره بحديث المنافقين ، ومنها تكلمه مع الجبل ، وإجابة الجبل له بلسان فصيح ، ومنها كلامه (صَلَّى الله عليه وآله) مع الجنّي الذي ظهر بصورة أفعى كبيرة في رأس الطريق ، وإخباره عن مكان ناقة ضالّة ، وزيادته ماء تبوك ببركته ، إلى غير ذلك .

وإجمالاً ، بلغ رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) أرض تبوك ، وعلم هرقل بقدمه ، وكان امبراطوراً على أوروبا وبلاد الشام وبيت المقدس ، وقد اتخذ مقاماً له في حصص ، وكان منذ البداية يميل إلى رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) لما عرفه من دلائل نبوته ؛ وفي رواية أنه أسلم ودعا قومه إلى التصديق به فأبوا عليه حتى خافهم على ملكه ، فامتنع وأسلم سراً .

ولما عرف النبي أن غزو قيصر للمدينة كان خبيراً كاذباً جمع كبار أصحابه وسألهم ماذا

(١) الإهالة السخنة : الشحم الفاسد .

ترون ؟ هل نغزو من هنا ممالك بني الأصفر ، أم نعود إلى المدينة ؟ فرأى بعضهم أن الصلاح في العودة فرجع بالجيش إلى المدينة .

أصحاب العقبة ومسجد ضرار

وفي طريق العودة جرت قصة أصحاب العقبة ، وهم جماعة من المنافقين ائتمروا على أن ينفروا ناقة رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند عقبة في الطريق ، فإذا نفرت طرحته فقتل ، ولما بينوا أمرهم أثناء جريثيل فأخبره خبرهم ، فركب (صلى الله عليه وآله) الناقة وأمر عياراً أن يمسك بزمام الناقة كما أمر حذيفة أن يسوقها ، ولما بلغوا العقبة أمر أن لا يتقدمه أحد إليها ، ثم رقي العقبة فرأى فرساناً متلثمين ، فصرخ بهم وأسرع حذيفة فاستقبل وجوه راحلهم ضرباً بحجن كان معه ، فخافوا وظنوا أن مكرمهم قد انكشف ، فأسرعوا حتى خالطوا الناس ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : يا حذيفة ، هل عرفت الرهط ؟ قال : لا ، فوجوههم كانت متلثة ، قال : إنهم فلان وفلان حتى عددهم ، ثم قال : اكتم هذا الحديث ، ومن هنا كان حذيفة يمتاز عن الصحابة بأنه يعرف المنافقين ، ويقال بشأنه : صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ، وكتب بعضهم أن قصة منافقي العقبة جرت عند عودته (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع .

وأثناء عودته (صلى الله عليه وآله) من تبوك أيضاً جرت قصة مسجد ضرار الذي بناه المنافقون إلى جنب مسجد قباء ، تفريقاً بين المؤمنين ، وكانوا يتوقعون أن يبيشهم أبو عامر الفاسق إلى هذا المسجد ، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) به أن يهدم ويحرق ، فهدم وأحرق ، واتخذ كناسة تطرح فيه الجيف والأقذار ، ونزل في شأنه قول الله تعالى : ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً ﴾ (التوبة / ١٠٧) .

ولما ورد رسول الله (صلى الله عليه وآله) المدينة كان قد بقي في شهر رمضان أيام ، فأتى جري عادته إلى المسجد ، فصلّى ركعتين ، ثم انصرف إلى بيته .

وبعد عودته (صلى الله عليه وآله) من تبوك أيضاً في العشر الأواخر من شوال وقع عبد الله بن أبي ، كبير المنافقين مريضاً ، ومات في ذي القعدة بعد أن بقي طريح الفراش عشرين يوماً ، واعتناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) به بسبب رعاية ابنه ، وبسبب حكمة لا يعلمها الآخرون ، واعتراض عمر عليه ، مما تمّ تفصيله في موضعه .

وفي السنة التاسعة أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بكر بقراءة أوائل سورة براءة على أهل مكة ، ولما انصرف أبو بكر من المدينة وبلغ ذا الحليفة فأحرم منها ، نزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال : إن الأعلى يقرئك السلام ويقول لك : يا محمد ، لا

يؤذيها إلا أنت أو رجل منك ، وبرأوية أخرى : لا يؤذيها إلا عليّ (عليه السلام) فأمر علياً (عليه السلام) بأن يلحق بأبي بكر ويأخذ الآيات منه ، ويقراها على الناس في موسم الحج ، فخرج (عليه السلام) فأدرك أبا بكر في الروحاء وأخذها منه وقرأها على الناس .

وفي أحاديث معتبرة عن الإمام الصادق (عليه السلام) يروى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أخذ الآيات العشر الأوائل من سورة براءة ، وقرأها على الناس يوم عرفة في عرفات ، وليلة العيد في المشعر الحرام ، ويوم العيد عند الجمار ، وفي ختام أيام التشريق في منى ، وأنه جهر بها على المشركين ، شاهراً سيفه ينادي في الناس :

« لا يطوفنّ بالبيت عريان ، ولا يحجّن البيت مشرك ، ومن كان بينه وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهد فعهدهُ إلى مدّته ، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر .

ويروى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث أبا بكر بسورة براءة في الأول من ذي الحجة ، وأن أمير المؤمنين (عليه السلام) أدرك أبا بكر في الروحاء في اليوم الثالث ، وأخذ الآيات منه وذهب بها إلى مكة ، ورجع أبو بكر .

هذا وإن الروايات في عزل أبي بكر عن أداء براءة ، وإرسال أمير المؤمنين مكانه وردت في كتب السنة والشيعة .

وفي السنة التاسعة أيضاً توفيّ النجاشي ملك الحبشة ، ويوم وفاته قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : اليوم توفيّ رجل صالح ، قوموا بنا نصلّ ، عليه ، ويقال إن جشنان النجاشي كان ظاهراً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أما أصحابه فقد صلّوا عليه ومعه .

وقائع العام العاشر من الهجرة

قصة المباهلة ونصارى نجران : قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفد نجران فيهم بضعة عشر رجلاً من أشrafهم ، وثلاثة نفر يتولّون أمورهم : العاقب^(١) ، وهو أميرهم وصاحب مشورتهم ، واسمه عبد المسيح ؛ والسيد ، وهو ثمالهم وصاحب رحلهم ، واسمه الأيهم ، وثالثهم أبو حارثة^(٢) بن علقمة الأسقف ، وهو حبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم ، وله فيهم شرف ومنزلة ، وكانت ملوك الروم قد بنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم من علمه واجتهاده في دينهم .

(١) وكان منهم أيضاً أسهم بن النعمان ، ويقال إنه كان أسقف نجران ، ومثالي العاقب علو منزلة .

(٢) أبو حارثة واسمه الحصين بن علقمة ، ويرجع نسبه إلى البكر بن وائل ، وكان عمره مئة وعشرين سنة ، وكان يؤمن برسول الله (صلى الله عليه وآله) خفية .

فلما توجهوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) جلس أبو حارثة على بغلة ، وإلى جنبه أخ له يقال له كرز بن علقمة ، إذ عثرت بغلة أبي حارثة ، فقال كرز : تمس الأبعد ، يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست ، قال له : لم يا أخ ؟ فقال : والله إنه للنبي الذي كنا نتظر ، فقال كرز : فما يمنعك أن تتبعه ؟ فقال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا وأكرمونا ، وقد أبوا إلّا خلافه ، لو فعلت لنزعوا منا كلّ ما ترى ؛ فأضمر عليها منه أخوه كرز ، فلما قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أسلم .

وقدما على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقت العصر ، وفي لباسهم الدياج ولياس الحيرة ، على هيئة لم يقدم بها أحد من العرب ، ثم أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسلموا عليه ، فلم يرد ولم يكلمهم ، فانطلقوا يبعثون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم ، فقالوا : إن نبيكم كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيبين له ، فأتيناها فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا ولم يكلمنا ، فما الرأي ؟ فقالا لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) : ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم ؟ قال : أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ، ثم يعودوا إليه ، ففعلوا ذلك ، فردّ سلامهم ثم قال : والذي بعثني بالحق ، لقد أتوني في المرة الأولى وإن إبليس لهم .

ثم سألوه ودارسوه يومهم ، وقال الأسقف : ما تقول في السيّد المسيح يا محمد ؟ قال : هو عبد الله ورسوله ، قالوا : فهل رأيت قطّ ابناً دون أب ؟ فنزل في ذلك :

﴿ إِنْ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران / ٥٩) .

وطالت المناظرة فيما بينهم ، ولجوا في الخصومة ، فنزل قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ^(١) وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (آل عمران / ٦١) .

ولما نزلت هذه الآية قالوا للنبي (صلى الله عليه وآله) : نباهلك غداً ، وانصرفوا .

(١) الزعشري والفخر الرازي والبيضاوي وغيرهم كثير من علماء السنة أعطوا الدليل من خلال آية المباحلة هذه على أنّ علياً (ع) وقاطمة وبنيهما أفضل - بعد النبي (ص) - من على وجه الأرض جميعاً ، وأنّ الحسين (ع) ابنا النبي (ص) بحكم القول : « أبناءنا » ، وأنّ علياً (ع) أشرف من سائر الأنبياء ومن الصحابة كافة بحكم القول : « أنفسنا » .

قال أبو حارثة لأصحابه : انظروا ، فإن كان محمد غدا بولده وأهل بيته فاحذروا مباہلته ، وإن غدا بأصحابه وأتباعه فباہلوه .

وفي الصباح قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) ، أخذاً بيد الحسن والحسين ، تتبعه فاطمة (عليها السلام) ، وبين يديه علي (عليه السلام) ، ثم خرجوا من المدينة للمباہلة ، فلما رأهم النصارى قال أبو حارثة : من هؤلاء معه ؟ قيل : هذا ابن عمه زوج ابنته ، وهذان ابنا ابنته ، وهذه ابنته أعز الناس عليه وأقربهم إلى قلبه .

وغدا السيد والعاقب بابنين لهما ، وتقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجثا على ركبتيه ، فقال أبو حارثة : جثا والله كما جثا الأنبياء للمباہلة ، ثم انكفأ راجعاً ، فقال له السيد : إلى أين تذهب ؟ قال : إني لأرى رجلاً جريئاً على المباہلة ، وأنا أخاف أن يكون صادقاً فلا يحول والله علينا الحول وفي الدنيا نصراتي واحد .

وفي رواية أخرى : أنه قال : إني لأرى وجوهاً لو سألتوا الله أن يزيل جبلاً عن موضعه لأزاله ، فلا تباہلوه فتهلكوا ولا يبقی نصراتي على وجه الأرض .

ثم إن أبا الحارثة قدم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال : يا أبا القاسم ، إننا لا نباہلك ولكن نصالحك ، فصالحهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ألفي حلة^(١) في السنة ، قيمة كل حلة أربعون درهماً ، وعليهم في كل حرب ثلاثون درعاً وثلاثون سناناً وثلاثون فرساً يعطونها عارية ، وكتب لهم بذلك كتاب مصالحة ، ثم انصرفوا .

وروي أنه قال النبي (صلى الله عليه وآله) : والذي نفسي بيده ، إن العذاب قد تدلى على نجران ، ولو لاعتوا لمسخوا قردة وخنازير ، ولأضرم عليهم الوادي ناراً ، ولا ستأصل الله نجران ، ولو لاعتوا وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ، ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا .

وبعد مدة قصيرة قدم السيد والعاقب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأسلما .

وينقل صاحب الكشاف وغيره من علماء السنة في صحاحهم عن عائشة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج يوم المباہلة وعليه مرط مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله ، ثم جاء الحسين فأدخله ، ثم فاطمة ، ثم علي ، ثم قال : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويظهركم تطهيراً ﴾ .

(١) ورد في بعض الروايات أنه (ص) صالحهم على ألفي حلة نفيسة سنوياً ، وألف مثقال من الذهب يؤدى نصفها في المحرم والنصف الآخر في رجب .

ويقول الزعخشري أيضاً :

« فإن قلت : ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه ، وذلك أمر يختص به ويمن يكاذبه ، فما معنى ضمّ الأبناء والنساء ؟

قلت : ذلك أكد في الدلالة على ثقته بحاله ، واستيقانته بصدقه ، حيث استجراً على تعريض أعزته ، وأفلاذ كبده ، وأحب الناس إليه لذلك ، ولم يقتصر على تعريض نفسه له ؛ وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وعزته هلاك الاستيصال إن تمت المباهلة ؛ وخصّ الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل والصقهم بالقلوب ، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ، ومن ثم كانوا يسوقون مع أنفسهم الطعائن في الحروب لئلا تمنعهم من الحرب ، وقدمهم في الذكر على الأنفس ليؤذن بأنهم مقدّمون على الأنفس ، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء « عليهم السلام » انتهى .

حجة الوداع

وفي السنة العاشرة للهجرة كانت حجة الوداع .

يروى الشيخ الكليني أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقي في المدينة بعد الهجرة عشر سنين دون أن يحج ، حتى نزل في السنة العاشرة قوله تعالى :

﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ﴾ (الحج / ٢٧ ٢٨) .

فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) المؤذنين أن يؤذّنوا بأعلى أصواتهم بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحج في عامه هذا ، وعلم بخروجه للحج من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب ، وكتب إلى من بلغه كتابه ممن دخل في الإسلام : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يريد الحج ، يؤذّنهم بذلك ليحج من أطاق الحج ، فاقبل الناس واجتمعوا للحج رسول الله (ص) ، وإنما كانوا تابعين ينظرون ما يؤمرون به ويتبعونه ، أو يصنع شيئاً فيصنعونه .

فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أربع بقين من ذي القعدة ، فلما انتهى إلى ذي الحليفة زالت الشمس ، فأمر الناس بإزالة شعر الإبط والعانة والغسل ، والتجرد في إزار ورداء ، ثم اغتسل غسل الإحرام ودخل مسجد الشجرة فصلّى فيه الظهر ، ثم عزم بالحج مفرداً كي لا تدخل فيه العمرة ، ذلك أنّ حجّ التمتع لم يكن قد نزل بعد ، ثم أحرم وخرج من المسجد ، حتى إذا انتهى إلى البيداء عند الميل الأول اصطفّ له الناس على جانبي الطريق ، فلبى بالحج مفرداً وقال :

« لَيْكَ اللَّهُمَّ لَيْكَ ، لا شريك لك لَيْكَ ، إِنَّ الحمد والنعمة لك ، والمملك لك ، لا شريك لك » .

وكان رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) يكثر في تليته من « ذي المعارج » ، وكان يلبي كلما لقي ركباً ، أو علا أكمة ، أو هبط وادياً ، ومن آخر الليل وفي أدبار الصلوات ، ونحر الهدى^(١) بيده ستاً وستين ، أو أربعاً وستين ، وبرواية أخرى : مئة بعير ، حتى انتهى إلى مكة في سلخ أربع من ذي الحجة ، فلما انتهى إلى باب المسجد الحرام دخل من باب شبية ، وعند الباب حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على أبيه إبراهيم (عليه السلام) ، ثم أتى الحجر (الأسود) فاستلمه (مسحه بيده وقبله) ثم طاف بالبيت سبعاً ، وصلى ركعتي الطواف خلف مقام إبراهيم (عليه السلام) ، ودخل زمزم فشرب منها ثم قال :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً ، وشفاءً من كل داء وسقم » .

فجعل يقول ذلك وهو مستقبل الكعبة ، ثم استلم الحجر ، وتوجه نحو الصفا وهو يتلو : « إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت واعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » (البقرة / ١٥٨) .

ثم أتى الصفا فصعد عليه ، واستقبل الركن اليماني فحمد الله وأثنى عليه ، ودعا مقدار ما يقرأ سورة البقرة مترسلاً (أي : متمهلاً) ، ثم انحدر إلى المروة فصعد عليه ، وتوقف بمقدار ما توقف على الصفا ، ثم نزل من المروة وتوجه إلى الصفا ، ودعا ، ثم عاد إلى المروة وهكذا حتى أتم سبعة أشواط .

ولما فرغ من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن هذا جبرئيل - وأوماً بيده إلى خلفه - يأمرني أن أمر من لم يسق هدباً أن يحل (ويدلك) ينقلب حجة عمره ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت (أي : لو علمت أن هذا سيكون لما أحضرت الهدى معي) لصنعت مثل ما أمرتكم ، ولكني سقت الهدى ، ولا ينبغي لسانك الهدى أن يحل حتى يبلغ الهدى محله » .

فقال رجل من أصحابه : وكيف نخرج حجاً جاً ورؤوسنا وشعورنا تقطر (من غسل الجنابة) ؟ فقال له رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) : « أما إنك لن تؤمن بهذا (أي : حج التمتع) أبداً » .

فقال له سراقه بن مالك بن جُعْثَم الكناني : يا رسول الله ، علمنا ديننا كأننا خلقنا

اليوم ، فهذا الذي أمرتنا به ، ألعاننا هذا أم لما يُستقبل ؟ فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « بل هو للأبد إلى يوم القيامة » ، ثم شبك أصابعه وقال : « دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة » .

وقدم عليّ (عليه السلام) من اليمن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بمكة ، فدخل على فاطمة (عليها السلام) وهي قد أحلت ، فوجد ريحاً طيباً ، ووجد عليها ثياباً مصبوغة ، فقال ما هذا يا فاطمة ؟ (ولماذا تحلين قبل وقت الحِلِّ ؟) فقالت : أمرنا بهذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فخرج عليّ (عليه السلام) إلى رسول الله مستفتياً فقال : يا رسول الله ، إنّي رأيت فاطمة قد أحلت وعليها ثياب مصبوغة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « أنا أمرت الناس بذلك ، فأنت يا عليّ بم أهلت (بماذا أحرمت) ؟ قال : يا رسول الله ، إهلال كإهلال النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « قرّ على إحرامك مثلي وأنت شريكي في هديي » .

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : ونزل رسول الله بمكة بالبطحاء هو وأصحابه ، ولم ينزل الدور ، فلما كان يوم التروية (اليوم الثامن) عند زوال الشمس أمر الناس أن يغتسلوا ويهلوا (يحرموا) بالحج ، وهو قول الله عز وجل الذي أنزله على نبيّه (صلى الله عليه وآله) : ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ ﴾ . (المراد بالاتباع في حجّ التمتع) .

وخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأصحابه مهّلين بالحج حتى أتوا منى ، فصلّى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر ، ثم غدا (مع فجر اليوم التاسع) والناس معه ، (متوجهين إلى عرفات) .

ومن البدع أنّ قريشاً كانت تفيض من المزدلفة (أي : المشعر الحرام) ولا تتجاوزه ، وكانوا يقولون : نحن أهل الحرم ، وعن الحرم لا نبعد ، وسائر الناس يذهبون إلى عرفات ، ولما كان الناس يفيضون من عرفات إلى المشعر الحرام ، فكانوا هم يتوجهون مع الناس من المشعر الحرام إلى منى ، وكانت قريش ترجو أن تكون إفاضته (صلى الله عليه وآله) من حيث كانوا يفيضون ، فنزل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ، وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾ (البقرة/ ١٩٩) .

ويقول (صلى الله عليه وآله) : إن المراد بالناس في هذه الآية : إبراهيم وإسماعيل وإسحاق (عليهم السلام) ومن كان بعدهم من الأنبياء ، فهم جميعاً أفاضوا من عرفات .

فلما رأت قريش أن قبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد مضت (من المشعر الحرام إلى عرفات) كأنه دخل في أنفسهم شيء للذي كانوا يرجون من الإفاضة من مكانهم ، حتى

انتهى (صلى الله عليه وآله) إلى غرة ، بحيال شجر الأراك ، فضربت قَبْته ، وضرب الناس أحييتهم عندها ، فلما زالت الشمس خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه قريش (وسائر الناس) وقد اغتسل وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد (موضع يقال له مسجد) ، فوعظ الناس وأمرهم ونهاهم ، ثم صلى الظهر والعصر بأذان وإقامتين ، ثم مضى إلى الموقف فوقف به ، فجعل الناس يتحدرون أخفاف ناقته ، يقفون إلى جانبها ، فتأخأها ففعلوا مثل ذلك ، فقال : « أيها الناس ، ليس موضع أخفاف ناقتي بالموقف ، ولكن هذا كله » ، وأومأ بيده إلى الموقف ، فنفترق الناس ؛ وفعل مثل ذلك بالمزدلفة ، فوقف الناس حتى وقع القرص ، قرص الشمس ، ثم أفاض وأمر الناس بالدعة .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : إن المشركين كانوا يفيضون من قبل أن تغيب الشمس ، فخالفهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فافاض بعد غروب الشمس وقال : « أيها الناس ، إن الحج ليس بوجيف الخيل ، ولا إضباع^(١) الإبل ، ولكن اتقوا الله وسيروا سيراً جميلاً ، ولا توطئوا ضعيفاً ، ولا توطئوا مسلماً » ، وكان يكف ناقته حتى يصيب رأسها مقدم الرجل ، ويقول : « أيها الناس ، عليكم بالدعة » .

ولما انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المزدلفة صلى المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين ، ثم أقام حتى صلى الفجر ، وعجل بإرسال ضعفاء بني هاشم إلى منى في الليل ، وفي رواية أخرى أنه أرسل النساء ليلاً ، بعث أسامة بن زيد معهن ، وأمرهن أن لا يرمين حجرة العقبة حتى تطلع الشمس ، فلما أضاء له النهار أفاض من المزدلفة حتى انتهى إلى منى ، فرمى حجرة العقبة (بسبع حصيات) .

وكان الهدي الذي جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) أربعة وستين أوسنة وستين ، وجاء علي (عليه السلام) بأربعة وثلاثين أوسنة وثلاثين ، فيكون مجموع ما جاء به مئة بعير ، ورواية أخرى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يجيء معه بشيء ، وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساق مئة بدنة كاملة ، فاشرك علياً (عليه السلام) معه ، فحضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ستاً وستين ، ونحر علي (عليه السلام) أربعاً وثلاثين بدنة ، وأمر رسول الله أن يؤخذ من كل بدنة منها جذوة من لحم ثم تطرح في برمة (يدر من الحجر) ثم تطبخ ، فأكل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) وحسوا من مرقها ، ولم يعطيا الجزارين جلودها ، ولا جلاها ولا قلائدها ، وتصدق به ، ثم حلق وزار البيت (وطاف) ورجع إلى منى وأقام بها ، حتى كان اليوم الثالث من أيام التشريق (الثالث عشر من

(١) الوجيف : السير السريع ، وأوضع البعير : جعله يسرع في سيره .

ذي الحجة) ثم رمى الجمار (ثلاث جمرات) ونفر عائداً إلى الأبطح في مكة .

غدير خم ونصب أمير المؤمنين (ع)

يروى الشيخ المفيد والطبرسي أنه لما قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) نسكه فقل إلى المدينة ومعه عليّ (عليه السلام) والمسلمون ، حتى انتهى إلى الموضع المعروف بغدير خم ، وليس بموضع إذ ذاك يصلح للنزول ، لعدم الماء فيه والمرعى ، فنزل في الموضع ونزل المسلمون معه ، وكان سبب نزوله في هذا المكان نزول القرآن عليه بنصبه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة في الأمة بعده .

وقد كان تقدّم الوحي إليه في ذلك من غير توقيت له ، فأخبره لحضور وقت يأمن فيه الاختلاف منهم عليه ، فتردّ بعضهم عن الدين ، وعلم الله عزّ وجلّ أنّه إن تجاوز غدير خمّ انفصل عنه كثير من الناس إلى بلادهم وأماكنهم وبواديه ، فأراد الله أن يجمعهم لسماع النصّ على أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وتأكيّد الحجة عليه فيه ، فلا يبقى لأحد المسلمين عذر ، فأنزل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ .

يعني في استخلاف عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) والنصّ بالإمامة عليه ، ثم قال : ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

فأكّد الفرض عليه بذلك ، وخوّفه من تأخير الأمر فيه ، وضمن له العصمة ومنعه الناس منه ، لذلك نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا الموضع الذي لا يصلح للنزول فيه .

ورجع المسلمون من سبق منهم ، ونزلوا حوله ، وكان يوماً قاتلاً شديداً الحرّ ، فأمر بدوحات هناك فتمّ ما تحتها ، وأمر بجمع الرجال في ذلك المكان ، ووضع بعضها فوق بعض ، ثم أمر مناديه فنادى في الناس : « الصلاة جامعة » فاجتمعوا من رحالهم إليه ، وإنّ أكثرهم ليلفّ رداه على قدميه من شدة الحرّ ، فلما اجتمعوا صعد على تلك الرحال حتى صار في ذروتها ، ودعا أمير المؤمنين (عليه السلام) ففرقي معه حتى قام عن يمينه ، ثم خطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ فأبلغ في الموعظة ، ونعى إلى الأمة نفسه ، وقال :

« قد دُعيت ويوشك أن أجيب ، وقد حان مني خفوق^(١) من بين أظهركم ، وإنّي مخلف

فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض .

ثم نادى بأعلى صوته : « الست أولى بكم منكم بأنفسكم » ؟ قالوا : اللهم بلى ، فقال لهم وقد أخذ بضبعي^(١) أمير المؤمنين (عليه السلام) فرفعهما حتى بان بياض إبطيهما :
« فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » .

ثم نزل (صلى الله عليه وآله) وكان وقت الظهيرة ، فصلّى ركعتين ، ثم زالت الشمس ، فأذن مؤذنه لصلاة الظهر ، فصلّى بهم الظهر وجلس في خيمته ، وأمر علياً (عليه السلام) أن يجلس في خيمة له بإزائه ، ثم أمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنّوهم بالمقام ، ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين ، ففعل الناس كلّهم ذلك ، ثم أمر أزواجه وسائر نساء المؤمنين معه أن يدخلن عليه ويسلمن عليه بإمرة المؤمنين ، ففعلن ، وكان فيمن أطب في نهنته بالمقام عمر بن الخطاب ، وأظهر له من السرّة به وقال في ما قال : بخ بخ لك يا عليّ ، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة .

وجاء حسان بن ثابت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله ، أتأذن لي أن أقول في هذا المقام ما يرضاه الله ؟ فقال له : قل يا حسان على اسم الله ، فوقف على نشز^(٢) من الأرض ، وتطاول المسلمون لسإع كلامه ، فأنشأ يقول :

بناديهم يوم الغدير نبّهم	بخم ، وأسجع بالنبّي مناديا
وقال : فمن مولاكم ووليكم	فقالوا ولم يدعوا هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا	ولن تجدن مثالك اليوم عاصيا
فقال له : قم يا عليّ فإنني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فخص بها دون البرية كلّها	عليّاً وسماه الوزير المؤاخيا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أتباع صدق قواليا
هناك دعا : اللهم والٍ وليه	وكن للذي عادى عليّاً معاديا

وهذه الأشعار متواترة عن الخاصّة والعامة .

ويروى أنه لما أنشد حسان هذا الشعر قال له رسول الله : « لا تنزل يا حسان مؤيداً

(١) الضبع : العضد .

(٢) النشز : الارتفاع من الأرض .

بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ، ، وإنما اشترط رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الدعاء له لعلمه بعاقبة أمره في الخلاف ، ولو علم سلامته في مستقبل الأحوال لدعا له على الإطلاق .

وللكميت الشاعر أيضاً قصيدة في قصة الغدير هذه أبيات منها :

ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو أطيعا
ولكن الرجال تبايعوها فلم أر مثلاً خطراً منيعا
ولم أر مثل ذلك اليوم يوماً ولم أر مثله حقاً أضيعا

أقول أنا الأحقر : كتبت كتاباً في حديث الغدير وسميته بـ (فيض الغدير فيما يتعلق بحديث الغدير) لا يتسع له المقام ، وإلا لكنت أوردت ملخصاً له هنا .

ونظراً لأنه في أوائل السنة الحادية عشرة للهجرة ، وبعد حجة الوداع ، كانت وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فيها نحن نشرع في الحديث عن وفاته (صلى الله عليه وآله) .



الفصل السابع

فجد وقوع المهيبه العظمه بوفاته النبي الاكرم (صلّى الله عليه وآله)

اعلم أن أكثر علماء الفريقين يرون أن ارتحال سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) إلى عالم البقاء كان يوم اثنين ، ويرى أكثر علماء الشيعة أن ذلك اليوم كان اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر ، في حين يقول أكثر علماء السنة إنه اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، ويرى في (كشف الغمّة) عن الإمام الباقر (عليه السلام) أن رحيله (صلى الله عليه وآله) إلى عالم البقاء كان في السنة العاشرة للهجرة بعد ثلاث وستين سنة انقضت من عمره الشريف ، منها أربعون سنة في مكة قبل نزول الوحي عليه ، وثلاث عشرة سنة أخرى في مكة أيضاً بعد نزول الوحي ، ولما هاجر إلى المدينة كان عمره الشريف ثلاثاً وخمسين سنة ، وأقام بعدها في المدينة عشر سنين حتى قبض في شهر ربيع الأول يوم الاثنين لليلتين خلتا منه .

والمؤلف يقول : إن وفاته (صلى الله عليه وآله) وقعت في الثاني من شهر ربيع الأول عما يتفق مع قول بعض أهل السنة ، وليس من علماء الشيعة من يقول بذلك ، ويحتفل أن تكون هذه الفقرة من الرواية محمولة على التقية . واعلم أن روايات كثيرة^(١) وردت بشأن كيفية وفاة

(١) يروي ابن بابويه بشأن وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ابن عباس ما خلاصته : لما مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعنده أصحابه قام إليه عمار بن ياسر فقال له : فذاك أبي وأمي يا رسول الله ، فمن يصلي عليك منا إذا كان ذلك منك ؟ قال : من رحمك الله ، ... (ثم بين لعلي عليه السلام) كيفية غسله وتكفينه والصلاة عليه ، والتسليم عليه من أهل بيته وسائر المسلمين ، ثم دفنه .

ثم قال : يا بلال هلّم علي بالناس ، فاجتمع الناس ، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) متمصّباً بعمامته ، متوكّئاً على قوسه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : معاشر أصحابي ، أيّ نبي كنت لكم ؟ ألم أجاهد بين أظهركم ؟ ألم تكسر رباعي ؟ ألم يعقر جيني ؟ ألم تسلب الدماء على حرّ وجهي حتى كثفت لحيتي ؟ ألم أكابد الشدة والجهد مع جهال قومي ؟ ألم أربط حجراً =

المجاعة على بطني ؟ قالوا : بل يا رسول الله ، لقد كنت لله صابراً ، وعن منكر بلاء الله ناهياً ، فجزاك الله عنا أفضل الجزاء .

قال : « وأنتم جزاكم الله ، ثم قال : إِنَّ رَبِّيَ عَزَّ وَجَلَّ حَكَمَ وَأَقْسَمَ أَنْ لَا يَجُوزَهُ ظَلَمٌ ظَالِمٌ ، فَنَاشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ أَيُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ كَانَتْ لَهُ قِيلَ مُحَمَّدٌ مَظْلَمَةٌ إِلَّا قَامَ فَلْيَقْتَصْ مِنْهُ ، فَالْقَصَاصُ فِي دَارِ الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْقَصَاصِ فِي دَارِ الْآخِرَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ » ، فَجَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقَوْمِ يُقَالُ لَهُ : سَوَادَةُ بْنُ قَيْسٍ ، فَقَالَ لَهُ : فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ لَمَّا أَقْبَلْتَ مِنَ الطَّائِفِ اسْتَقْبَلْتُكَ وَأَنْتَ عَلَى نَاقَتِكَ الْمُقْبِيَاءِ ، وَبِيَدِكَ الْقَضِيبُ الْمَشُوقُ ، فَرَفَعْتَ الْقَضِيبَ وَأَنْتَ تَرِيدُ الرَّاحِلَةَ فَاصْأَبْ بِطَنِي ، فَلَا أَدْرِي عَمْدًا أَوْ خَطَا ، فَقَالَ : « مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَكُونَ تَعَمَّدْتُ » ، ثُمَّ قَالَ : « يَا بِلَالُ ، فَمِنْ إِلَى مَنْزِلِ فَاطِمَةَ قَاتِنِي بِالْقَضِيبِ الْمَشُوقِ » ، فَخَرَجَ بِلَالٌ وَهُوَ يَنَادِي فِي سَكَنِ الْمَدِينَةِ : مَعَاشِرَ النَّاسِ مِنْ ذَا الَّذِي يَعْطِي الْقَصَاصَ مِنْ نَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟ فَهَذَا مُحَمَّدٌ يَعْطِي الْقَصَاصَ مِنْ نَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَطَرَقَ بِلَالُ الْبَابَ عَلَى فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وَهُوَ يَقُولُ : يَا فَاطِمَةُ قَوْمِي ، قَوْلُكَ يَرِيدُ الْقَضِيبَ الْمَشُوقَ ، فَأَقْبَلْتَ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وَهِيَ تَقُولُ : يَا بِلَالُ وَمَا يَصْنَعُ الَّذِي بِالْقَضِيبِ ، وَلَيْسَ هَذَا يَوْمَ الْقَضِيبِ ؟ فَقَالَ بِلَالُ : يَا فَاطِمَةُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدَكَ قَدْ صَعِدَ الْمَنِيرَ وَهُوَ يَدْفَعُ أَهْلَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا ؟ فَصَاحَتْ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وَقَالَتْ :

وَأَغْيَاهُ لَعْنُكَ يَا أَبَتَاهُ ، مِنْ لِفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ يَا حَبِيبَ اللَّهِ ، وَحَبِيبَ الْقُلُوبِ ؟ ثُمَّ نَاولَتْ بِلَالًا الْقَضِيبَ ، فَخَرَجَ حَتَّى نَاولَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : « أَيْنَ الشَّيْخُ ؟ » فَقَالَ الشَّيْخُ : « هَا أَتَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، فَقَالَ : « تَعَالَى فَاقْتَصْ مِنِّي حَتَّى تَرْضَى » ، فَقَالَ الشَّيْخُ : فَكَشَفْتُ عَنْ بَطْنِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَشَفَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَنْ بَطْنِهِ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَضَعُ فَمِي عَلَى بَطْنِكَ ؟ فَأَذِنَ لَهُ فَقَبَّلَهُ ، فَقَالَ : أَعُوذُ بِمَوْضِعِ الْقَصَاصِ مِنْ بَطْنِ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ النَّارِ يَوْمَ النَّارِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : « يَا سَوَادَةُ بْنُ قَيْسٍ ، أَنْتَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسِكَ ؟ » فَقَالَ : بَلْ أَعْفُو يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اعْفُ عَنْ سَوَادَةَ بْنِ قَيْسٍ كَمَا عَفَا عَنْ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ » .

ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَدَخَلَ بَيْتَ أُمِّ سَلَمَةَ وَهُوَ يَقُولُ : « رَبِّ سَلِّمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مِنَ النَّارِ ، وَبَسِّرْ عَلَيْهِمُ الْحِسَابَ » فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا لِي أَرَاكَ مَغْصُومًا مَتَغَيَّرَ اللَّوْنُ ؟ فَقَالَ : « نَعِيتُ إِلَيَّ نَفْسِي هَذِهِ السَّاعَةَ ، فَلَا مَعَالِيكَ فِي الدُّنْيَا ، فَلَا تَسْمَعِينَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ صَوْتَ مُحَمَّدٍ أَبَدًا » ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : وَاحْزَنَاهُ حَزْنًا لَا تَذْكُرُهُ الدَّامَةُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدَاهُ . ثُمَّ قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : « ادْعُ لِي حَبِيبَةً قَلْبِي وَفَرَّةَ عَيْنِي فَاطِمَةَ » ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ وَهِيَ تَقُولُ : نَفْسِي لِنَفْسِكَ الْفَدَاءُ ، وَرُجُوعِي لِرُجُوعِكَ الْوَقَاءُ يَا أَبَتَاهُ ، أَلَا تَكَلِّمُنِي كَلِمَةً ؟ فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ وَأَرَاكَ مُفَارِقَ الدُّنْيَا ، وَأَرَى عَسَاكِرَ الْمَوْتِ تَتَشَاكَّ شَدِيدًا فَقَالَ لَهَا :

« يَا بِنْتِي إِنِّي مُفَارِقُكَ ، فَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنِّي » (وَلَا سَمِعَتْ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) هَذَا الْخَبَرَ ظَهَرَتْ عَلَيْهَا آسَارَتُ الْفَرْقِ لِفِرَاقِ هَذَا الْعَظِيمِ ، وَتَذَتْ عَنْهَا آهُ الْحَسْرَةِ ، وَرَاحَتْ تَسْأَلُهُ أَسْئَلَةَ عَجِيْبَةٍ ، ثُمَّ أَعْيَى عَلَيْهِ) .

فَدَخَلَ بِلَالٌ وَهُوَ يَقُولُ : الصَّلَاةُ رَحِمَكَ اللَّهُ (فَأُفَاقَ رَسُولَ اللَّهِ) وَخَرَجَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ ، وَخَفَّفَ الصَّلَاةَ ، =

هذا العظيم وبشأن وصاياه ، ونكتفي هنا بما اختاره الشيخ المفيد والطبرسي منها ، رضوان الله عليها .

= ثم قال : « ادعوا لي عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد ، فجاءا ، فوضع يده على عاتق عليّ (عليه السلام) والأخرى على أسامة ، ثم قال : « انطلقا بي إلى فاطمة ، فجاءا به حتى وضع رأسه في حجرها ، فإذا الحسن والحسين (عليهما السلام) يبكيان ويصطرخان وهما يقولان : أنفسنا لنفسك الغداء ، ووجوهنا لوجهك الزقاء ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « من هذان يا عليّ ؟ قال : هذان ابناك الحسن والحسين ، فصانقهما وقبلهما ، وكان الحسن أشدّ بكاءً ، فقال له : « كف يا حسن ، فقد شقت على رسول الله » .

ونزل ملك الموت (عليه السلام) وقال : السلام عليك يا رسول الله ، قال : « وعليك السلام يا ملك الموت ، لي إليك حاجة » ، قال : وما حاجتك يا نبيّ الله ؟ قال : « حاجتي أن لا تقبض روحي حتى يجيئني جبرئيل فيسلم عليّ وأسلم عليه » ، فخرج ملك الموت وهو يقول : يا محمداه ! فاستقبله جبرئيل في الهواء فقال : يا ملك الموت ، قبضت روح محمد ؟ قال : لا يا جبرئيل ، سألتني أن لا أقبضه حتى يلقاك فتسلم عليه وسلم عليك ، فقال جبرئيل : يا ملك الموت ، أما ترى أبواب السماء مفتحة لروح محمد ؟ أما ترى الخور العين قد تزّينت لروح محمد ؟ ثم نزل جبرئيل (عليه السلام) فقال : السلام عليك يا أبا القاسم ، فقال : « وعليك السلام يا جبرئيل ، أعند الشدائد تحذلي » ؟ فقال : يا محمد ، إنك ميت وإنهم ميتون ، كل نفس ذائقة الموت ، فقال : « أدن مني حبيبي جبرئيل » فدنا منه ، فنزل ملك الموت ، فقال له جبرئيل : يا ملك الموت ، احفظ وصيّة الله في روح محمد ، وكان جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، وملك الموت أخذ بروحه (صلى الله عليه وآله) .

يقول ابن عباس : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ذلك المرض كان يقول : « ادعوا لي حبيبي ، فجعل يُدعى له رجل بعد رجل ، فيمرض عنه ، فقيل لفاطمة : امضي إلى عليّ فها ترى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يريد غير عليّ ، فبعثت فاطمة إلى عليّ (عليه السلام) ، فلما دخل فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) عينه وتهمّل وجهه ، ثم قال : « إليّ يا عليّ ، إليّ يا عليّ » ، فما زال يذنيه حتى أخذ بيده وأجلسه عند رأسه ، ثم أغشى عليه ، فجاء الحسن والحسين (عليهما السلام) بصيحان ويكبان حتى وقعا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأراد عليّ (عليه السلام) أن ينحّيهما عنه ، فافاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال : « يا عليّ ، دعني أشمّها ويشّاني ، وأنزود منها ويزودان مني ، أما إنهما سيُظلمان بعدي ويقتلان ظلياً ، فلما الله على من يظلمهما » ، يقول ذلك ثلاثاً ، ثم مَدَّ يده إلى عليّ (عليه السلام) فجذب إليه حتى أدخله تحت ثوبه الذي كان عليه ، ووضع فاه على فيه ، وجعل ينأجيه مناجاة طويلة حتى خرجت روحه العلية ، صلوات الله عليه وآله .

فأنسلّ عليّ من تحت ثيابه وقال : أعظم الله أجوركم في نبيكم ، فقد قبضه الله إليه ، فارتفعت الأصوات بالفضّة والبكاء (من أهل بيت الرسالة ، وتلقوا التعازي من بعض الأصحاب الذين لم يشغلوا بالإعداد للخلافة) .

يقول ابن عباس : فقيل لأمر المؤمنين (عليه السلام) : ما الذي ناجاك به رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله حين أدخلك تحت ثيابه ؟ فقال : « علّمني ألف باب ، يفتح في كل باب ألف باب » .

وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأصحابه

قالا : لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع ، وقد تحقق من دنو أجله ، جعل يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين يحذّره من الفتنة بعده ، والخلاف عليه ، ويؤكد وصايتهم بالتمسك بسنته والاجتماع عليها والوفاء ، ويحثّهم على الاقتداء بعترته ، والطاعة لهم ، والنصرة والحراسة ، والاعتصام بهم في الدين ؛ ويزجرهم عن الاختلاف والارتداد ، ويكرر قوله :

« يا أيها الناس ، إني فرطكم ، وأنتم واردون عليّ الحوض ، ألا وإنّي سائلكم عن الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنّ اللطيف الخبير نبأني أنّهم لن يفرقا حتى يلقياي ، ألا وإنّي قد تركتهما فيكم : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فلا تسبقوهم فتفرقوا ، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم .

أيها الناس ، لا ألفينكم بعدي ترجعون كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فتلقوني في كنية كمجر السيل الجزار ؛ ألا وإنّ عليّ بن أبي طالب أخي ووصي ، يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله »

فكان (صلى الله عليه وآله) يقوم مجلساً بعد مجلس بمثل هذا الكلام ونحوه ، ثمّ إنه عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الإمرة ، وأمره ونديه أن يخرج بجمهور الأمة إلى حيث أصيب أبوه من بلاد الروم ، واجتمع رأيهم على إخراج جماعة من متقدّمي المهاجرين والأنصار في معسكره ، حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في الرياسة ، ويطمع في التقدّم على الناس بالإمارة ، ويستتبّ الأمر لمن استخلفه من بعده ، ولا ينازعه في حقّه منازع ، فعقد له الإمرة على ما ذكرناه ، وجذّ في إخراجهم ، وأمر أسامة بالبروز عن المدينة بمعسكره إلى الجرف (موضع يبعد فرسخاً واحداً عن المدينة) وحثّ الناس على الخروج إليه والمسير معه ، وحذّره من التلوم والإبطاء عنه .

توكل الرسول ووصاياه (صلى الله عليه وآله)

فبينما هو في ذلك إذ عرضت له الشكاة التي توفي فيها ، فلمّا أحسّ بالمرض أخذ بيد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وأتبعه جماعة من الناس ، وتوجّه إلى البقيع ، فقال للذي أتبعه : إني قد أمرت بالاستغفار لأهل البقيع ، فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم وقال :

« السلام عليكم أهل القبور ، ليهنّكم ما أصبحتم فيه عمّا فيه الناس ، أقبلت الفتن قطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أوهّا » .

ثم استغفر لاهل البقيع طويلاً ، وأقبل على أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال :

« إِنَّ جِبْرِيلَ (عليه السلام) كان يعرض عليّ القرآن كلّ سنة مرّة ، وقد عرضه عليّ العام مرتين ، ولا أراه إلا لحضور أجلي » ثم قال :

يا عليّ ، إِنِّي خُيِّرْتُ بين خِزَانِ الدُّنْيَا وَالْخُلُودِ فِيهَا أَوْ الْجَنَّةِ ، فَاخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ ، فإِذَا أَنَا مَتٌ فَاسْتَرْعُورِي ، فَإِنَّهُ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَكَمَهُ .

ثم عاد إلى منزله ، فمكث ثلاثة أيام موعوكاً ، ثم خرج إلى المسجد معصوب الرأس ، معتمداً على أمير المؤمنين (عليه السلام) بيمين يديه ، وعلى الفضل بن العباس باليد الأخرى ، حتى صعد المنبر ، فجلس عليه ثم قال :

« معاشر الناس ، وقد حان مِنِّي خُضُوقٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدِي عِدَةٌ فَلْيَأْتِنِي أَعْطُهُ إِيَّاهَا ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عَلَيَّ دَيْنٌ فَلْيُخْبِرْنِي بِهِ ؛ معاشر الناس ، ليس بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيراً أَوْ يَصْرِفُ عَنْهُ بِهِ شَرّاً إِلَّا الْعَمَلُ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا يَدْعِي مَدْعٍ وَلَا يَتَمَنَّى مَتَمَنٍّ ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيّاً لَا يَنْجِي إِلَّا عَمَلٌ مَعَ رَحْمَةٍ ، وَلَوْ عَصَيْتَ لَهْوَيْتَ ، اللَّهُمَّ قَدْ بَلَغْتَ » .

ثم نزل فصلى بالناس خفيفة ، ثم دخل بيته ، وكان إذ ذاك في بيت أم سلمة (رضي الله عنها) ، فأقام به يوماً أو يومين ، فجاءت عائشة إليها تسألها أن تنقله إلى بيتها لتتولّى تعليمه ، وسألت أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) في ذلك ، فأذن لها ، فانتقل إلى البيت الذي أسكنه عائشة ، واستمر به المرض فيه أياماً ، وثقل .

فجاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله (صلى الله عليه وآله) مغموماً بالمرض ، فنادى : الصلاة يرحمكم الله ، فأودن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بندائه ، فقال : « يصليّ بالناس بعضهم ، فَإِنِّي مشغول بنفسي » ، فقالت عائشة : مروا أبا بكر ، وقالت حفصة : مروا عمر ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين سمع كلامهما ورأى حرص كل واحدة منهما على التنويه بأبيها وافتانها بذلك ورسول الله حيّ : « أَكْفَفُنْ فَإِنَّكُنَّ صَوِيحِبَاتِ يَوْسُفَ » ، ثم قام مبادراً خوفاً من تقدّم أحد الرجلين ، وقد كان (صلى الله عليه وآله) أمرهما بالخروج مع أسامة ، ولم يك عنده أنهما قد تخلّفا ، فلما سمع من عائشة وحفصة ما سمع علم أنهما متأخران عن أمره ، فبدر لكفّ الفتنة وإزالة الشبهة ، فقام (صلى الله عليه وآله) وإنه لا يستقلّ على الأرض من الضعف ، فأخذ بيده عليّ بن أبي طالب والفضل بن العباس (عليهما السلام) ، فاعتمد عليهما ورجلاه تحطّان على الأرض من الضعف ، فلما خرج إلى المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب ، فأومأ إليه بيده أن تأخر عنه ، فتأخّر أبو بكر ،

وقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) مقامه فكبر وأبدأ الصلاة التي كان ابتدأها أبو بكر ، ولم ين على ما مضى من فعالة ، فلما سلم انصرف إلى منزله ، واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة ممن حضر المسجد من المسلمين ، ثم قال : « ألم أمر أن تنفذوا جيش أسامة ؟ » فقالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « فلم تأخرتم عن أمري ؟ » قال أبو بكر : إني كنت قد خرجت ، ثم رجعت لأجد بك عهداً ، وقال عمر : يا رسول الله ، إني لم أخرج لأنني لم أحب أن أسأل عنك الركب ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : « نفذوا جيش أسامة ، نفذوا جيش أسامة » يكررها ثلاث مرات .

وفي رواية أنه قال : « ملعون من تخلف عن جيش أسامة » ، كررها ثلاثاً ، ثم اغمى عليه من التعب الذي لحقه والأسف الذي ملكه ، فمكث هنيئة مغمى عليه ، وبكى المسلمون ، وارتفع النحيب من أزواجه وولده ونساء المسلمين ، وجميع من حضر ، فأفاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنظر إليهم ثم قال : « ايتوني بدواة وكف لأكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً » فقام بعض من حضر يلتمس دواة وكفاً ، فقال له عمر : ارجع فإنه يهجر ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، واختصموا ، منهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول : القول ما قال عمر ، وتلاوموا بينهم وقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، لقد أشفقنا من خلاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقال بعضهم : ألا نأتيك بدواة وكف يا رسول الله ؟ فقال : « أبعد الذي قلتُم ؟ لا ، ولكني أوصيكم بأهل بيتي خيراً » ، وأعرض بوجهه عن القوم فنهضوا ، وبقي عنده العباس والفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب وأهل بيته خاصة ، فقال له العباس : يا رسول الله ، إن يكن هذا الأمر فينا مستقراً من بعدك فبشرنا ، وإن كنت تعلم أننا نغلب عليه فأوص بنا ، فقال : « أنتم المستضعفون من بعدي » ، وأصمت ، فنهض القوم وهم ييكون ، قد يشوا من النبي (صلى الله عليه وآله) .

فلما خرجوا من عنده قال : « ردوا علي أخي وعمي العباس » ، فأنفذوا من دعاهما فحضرا ، فلما استقر بهما المجلس قال (صلى الله عليه وآله) :

« يا عم رسول الله ، تقبل وصيتي ، وتنجز عدي ، وتقضي ديني » ، فقال العباس : يا رسول الله ، عمك شيخ كبير ، ذو عيال كثير ، وأنت تباري الريح سخاء وكرماً ، وعليك وعد لا ينقض به عمك .

فأقبل على علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال له :

« يا أخي ، تقبل وصيتي ، وتنجز عدي ، وتقضي عني ديني ، وتقوم بأمر أهلي بعدي » ؟ فقال : نعم يا رسول الله ، فقال له : « ادن مني » ، فدنا منه ، فضمه إليه ، ثم

نزع خاتمه من يده فقال له : «خذ هذا فضعه في يدك » ، ودعا بسيفه ودرعه وجميع لأمته فدفن ذلك إليه ، والتمس عصابة كان يشدها على بطنه إذا لبس سلاحه وخرج إلى الحرب فجيء بها إليه ، فدفنوها إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال له : « امض على اسم الله إلى منزلك » .

كيفية وفاته وغسله ودفنه (صلى الله عليه وآله)

فلما كان من الغد حجب الناس عنه ونقل في مرضه ، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يفارقه إلا لضرورة ، فقام في بعض شؤونته ، فأفاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) إفاقة فافتقد علياً (عليه السلام) ، فقال وأزواجه حوله : « ادعوا لي أخي وصاحبي » ، وعأوده الضعف فأصمت ، فقالت عائشة : ادعوه أبا بكر ، فدعي ودخل عليه وقعد عند رأسه ، فلما فتح عينه نظر إليه ، فأعرض عنه بوجهه ، فقام أبو بكر فقال : لو كان له إلي حاجة لأفضي بها إلي ؛ فلما خرج أعماد رسول الله (صلى الله عليه وآله) القول ثانية ، فقالت حفصة : ادعوا له عمر ، فدعي فلما حضر ورآه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعرض عنه ، فانصرف ؛ ثم قال : « ادعوا لي أخي وصاحبي » ، فقالت أم سلمة (رضي الله عنها) ادعوا له علياً (عليه السلام) فإنه لا يريد غيره .

فدعي أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فلما دنا منه أوماً إليه ، فأكب عليه ففاجأه رسول الله (صلى الله عليه وآله) طويلاً ، ثم قام فجلس ناحية حتى أغفى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فلما أغفى خرج ، فقال له الناس : ما الذي أوعز إليك يا أبا الحسن ؟ فقال : « علمني ألف باب من العلم ، فتح لي كل باب ألف باب ، وأوصاني بما أنا قائم به إن شاء الله تعالى » .

ثم نقل وحضره الموت وأمير المؤمنين (عليه السلام) حاضر عنده ، فلما قرب خروج نفسه قال له : « ضع يدا علي رأسي في حجري ، فقد جاء أمر الله تعالى ، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك ، وامسح بها وجهك ، ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري ، وصل علي أول الناس ، ولا تفارقني حتى تواري في رمي ، واستعن بالله تعالى » .

فأخذ علي رأسه فوضعه في حجره ، فأغمي عليه ، فأكبت فاطمة (عليها السلام) تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمة للآراميل
ففتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) عينه وقال بصوت ضعيف : « يا بني ، هذا قول صك أبي طالب لا تقوله ، ولكن قل :

﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ (آل عمران / ١٤٤) .

فبكت طويلاً ، فأومأ إليها بالدنو منه ، فدنت منه فأسر إليها شيئاً تهلل وجهها له ، ثم قبض (صلى الله عليه وآله) ويد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه ، ففاضت نفسه (صلى الله عليه وآله) فيها ، فرفعها إلى وجهه فمسح بها ، ثم وجهه وغمضه ، ومدّ عليه إزاره ، واشتغل بالنظر في أمره .

وجاء في الرواية أنه قيل لفاطمة (عليها السلام) : ما الذي أسر إليك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسرّى عنك به ما كنت عليه من الحزن والقلق ؟ قالت : إنّه أخبرني أنّي أول أهل بيته لحوقاً به ، وأنه لن تطول المدة لي بعده حتى أدركه ، فسرّى ذلك عني .

ثم إن أمير المؤمنين (عليه السلام) انصرف إلى غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فاستدعى الفضل بن العباس فأمره أن يناول الماء ، فغسله بعد أن عصب عينه ، ثم شق قميصه من قبل جيبه حتى بلغ به إلى سرته ، وتولى غسله وتحنيطه وتكفينه ، والفضل يعاطيه الماء ويعينه عليه ، فلما فرغ من غسله وتجهيزه تقدّم فصلّ عليه وحده ، ولم يشركه معه أحد في الصلاة عليه ، وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمهم في الصلاة عليه ، وأبن يدفن ، فخرج إليهم أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال لهم : « إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله (إمامنا حياً وميتاً ، فيدخل عليه فوج بعد فوج منكم فيصلّون عليه بغير إمام وينصرفون ، وإن الله تعالى لم يقبض نبياً في مكان إلا وقد ارتضاه لرمسه فيه ، وإنّي لدافنه في حجرته التي قبض فيها » ، فسلم القوم بذلك ورضوا به .

ولما صلى المسلمون عليه أنفذ العباس بن عبد المطلب برجل إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وكان يحفر لأهل مكة ويضرح ، وكان ذلك عادة أهل مكة ، وأنفذ إلى زيد بن سهل ، وكان يحفر لأهل المدينة ويلحد ، فاستدعاهما وقال : اللهم خير لنيك ، فوجد أبو طلحة زيد بن سهل ، وقيل له : احفر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فحفر له لحداً ، ودخل أمير المؤمنين (عليه السلام) والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد ليشوّلوا دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فنادت الأنصار من وراء البيت : يا عليّ ، إننا نذكرك الله وحققاً اليوم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يذهب ، أدخل منا رجلاً يكون لنا به حظ من مواراة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال : ليدخل أوس بن خويّ ، وكان بدريةً فاضلاً من بني عوف من الخزرج ، فلما دخل قال له علي (عليه السلام) : انزل القبر فنزل ، ووضع أمير المؤمنين رسول الله (صلى الله عليه وآله) على يديه ودلّاه في حفرته ، فلما حصل في الأرض قال له : اخرج فخرج ، ونزل عليّ القبر فكشف عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله)

عليه وآله) ، ووضع خذّه على الأرض موجّهاً إلى القبلة على يمينه ، ثم وضع اللبن وأهال عليه التراب ، وكان ذلك يوم الاثنين لثمان وعشرين خلون من صفر من السنة الحادية عشرة من هجرته (صلى الله عليه وآله) ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ولم يحضر دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكثر الناس لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة . انتهى .

ورد في الأحاديث المعتمدة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مضى شهيداً ، كما روى الصفاة بسند معتبر عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله :

« سُمِّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم خير ، فتكلم اللحم فقال : يا رسول الله إنِّي مسموم ، قال : فقال النبي (صلى الله عليه وآله) عند موته : اليوم قطعت مطاياي الأكلة التي أكلت بخير ، وما من نبي ولا وصي إلا شهيداً » .

وقال في رواية أخرى :

« سَمَتَ اليهوديةُ النبيَّ في ذراع .. فأكل ما شاء الله ، ثم قال الذراع : يا رسول الله ، إنِّي مسموم ، فتركه ، وما زال ينتفض به سَمَهُ حتى مات صلوات الله عليه » .

هذا وتستحبُّ زيارته (صلى الله عليه وآله) من قرب ومن بعد ، كما يقول الشيخ الشهيد في (الدروس) : تستحبُّ زيارة النبي والأئمة (عليهم السلام) ، كل يوم جمعة ، ولو كان الزائر بعيداً عن قبورهم ، فإذا وقف على مكان مرتفع وأدّى زيارته يكن أفضل . انتهى .

كما يستحسن زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) عقب كل صلاة بهذه الكلمات التي علمها الإمام الرضا (عليه السلام) لابن أبي نصر البرنطي ، قال :

« السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا محمد بن عبد الله ، السلام عليك يا خيرة الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا صفوة الله ، السلام عليك يا أمين الله ، أشهد أنك رسول الله ، وأشهد أنك محمد بن عبد الله ، وأشهد أنك قد نصحت لأمتك وجاهدت في سبيل ربك ، وعبدته حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله أفضل ما جزى نبياً عن أمته ، اللهم صل على محمد أفضل ما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » .

الفصل الثامن

فجد بيان أحوال أبناء النبي (صلّى الله عليه وآله)

ورد في (قرب الأسناد) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه ولد لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) من خديجة : القاسم والطاهر وفاطمة وأم كلثوم ورقية وزينب ، فتزوج علي (عليه السلام) فاطمة (عليها السلام) وتزوج أبو العاص بن الربيع^(١) - وهو من بني أمية - زينب ، وتزوج عثمان بن عفان أم كلثوم ، ولم يدخل بها حتى هلك ، وزوجه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مكانها رقية .

ثم ولد لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) من أم إبراهيم ، إبراهيم ، وهي مارية القبطية ، أهداها إليه صاحب الاسكندرية مع البغلة الشهباء ، وأشياء معها .

أقول : من المشهور وما نقله المؤرخون أن تزويج أم كلثوم بعثمان كان بعد وفاة رقية ، وإن رقية توفيت في السنة الثانية للهجرة إبان وقعة بدر .

والشيخ الطبرسي وابن شهر آشوب يرويان أنه لم يولد لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) أبناء من غير خديجة سوى إبراهيم الذي ولد من مارية القبطية ؛ والمشهور أنه ولد له ثلاثة

(١) زواج زينب بأبي العاص كان قبل البعثة ، وقبل تحريم الزواج بالكفار ، وولدت زينب بتاً من أبي العاص اسمها أمامة ، تزوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاة فاطمة (عليها السلام) عملاً بوصيتها ، وروي أن أبا العاص وقع أسيراً في بدر ، فبعث زينب فلاة كانت خديجة قد أعطتها لها إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فداءً لزوجها ، فلما رأى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الفلاة تذكر خديجة فرق ، وطلب من أصحابه أن يسيروا ففعلوا ، وأطلق أبو العاص من غير فداء ، واشترط عليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أن يبعث بزينب حال رجوعه إلى مكة ، فوفى بشرطه وبعث إليه بزينب ، ثم قدم بعدها إلى المدينة وأسلم ، وانتقلت زينب إلى جوار ربها في السنة السابعة ، أو الثامنة للهجرة على قول .

أبناء ، أولهم القاسم ، ولهذا كُنِيَ (صلى الله عليه وآله) بأبي القاسم ، وقد كانت ولادته قبل البعثة ؛ والثاني عبد الله وكانت ولادته بعد البعثة ، وقد لَقِبَ بالطاهر والطيب ، وكلاهما ارتحلا إلى دار الخلود في مكة ؛ هذا ويقول البعض إن الطيب والطاهر اسمان لابنين آخرين غير عبد الله ، وهو قول لم يؤخذ بالاعتبار ؛ والثالث إبراهيم (عليه السلام) ويروى أنه لما مات رقية قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «الحقي بسلطان الصالح عثمان بن مظعون وأصحابه» ، وفاطمة (عليها السلام) على شفير القبر تنحدر دموعها في القبر ، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يتلقاه (الدمع) بثوبه قائماً يدعو ، قال : إني لأعرف ضعفها ، وسألت الله عز وجل أن يجبرها من ضمة القبر .

ومن المشهور أن ولادة إبراهيم (عليه السلام) كانت في المدينة في السنة الثامنة للهجرة ، وبشرته بولادته أبو رافع ، فوهبه غلاماً ، وسمى ولده إبراهيم ، وفي اليوم السابع أمر له بعقيقة ، وحلق رأسه ، وتصدق على المساكين بوزن شعره فضة ، وأمر بدفن شعره في الأرض ، وتنازعت نساء الأنصار في إرضاعه ، فأعطاه (صلى الله عليه وآله) إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد لترضعه ، ولم يبق إبراهيم (عليه السلام) في الدنيا غير قليل ، وتوفي في السنة العاشرة للهجرة لثمان عشرة خلت من رجب ، وكان عمره الشريف سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام ، ورواية أخرى : سنة وستة أشهر وبضعة أيام ، ودفن في البقيع ، وظهرت عند موته ثلاث سنن يأتي تفصيلها في موضعه .

ويروى ابن شهر آشوب (ره) عن ابن عباس قوله :

كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم ، وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي (عليه السلام) ، وهو تارة يقبل هذا ، وتارة يقبل هذا ، إذ بهبط جبرئيل بوحى من رب العالمين ، فلما سرى عنه قال : أتاني جبرئيل من ربي فقال : يا محمد ، إن ربك يقرئك السلام ويقول : لست أجمعهما ، فافد أحدهما بصاحبه ، فنظر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى إبراهيم فبكى ، ونظر إلى الحسين فبكى ، وقال : إن إبراهيم أمه أمة (مارية) ، ومتى مات لم يحزن عليه غيري ، وأم الحسين فاطمة ، وأبوه عليّ ابن عمي ولحمي ودمي ، ومتى مات حزنت ابنتي ، وحزن ابن عمي ، وحزنت أنا عليه ، وأنا أؤثر حزني على حزنها ، يا جبرئيل يقبض إبراهيم فديته للحسين .

قال : فقبض بعد ثلاث ، فكان النبي (صلى الله عليه وآله) إذا رأى الحسين مقبلاً قبله وضّمه إلى صدره ورشف ثناياه وقال : «فديت من فديته بابي إبراهيم» .

ويروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه لما مات إبراهيم (عليه السلام) هملت

عيننا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالدمع وقال : (تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يخطئ الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » .

ثم رأى النبي (صلى الله عليه وآله) في قبره خللاً فسوّاه بيده . ثم قال : « إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن » ، ثم قال : « الحق بسلفك الصالح عثمان بن مظعون » .

وسياتي ذكر عثمان بن مظعون في ذيل الحديث عن شهادة عثمان بن أمير المؤمنين (عليه السلام) .



الفصل التاسع

في بيان موجز لأحوال أقارب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

يروى الشيخ الطبرسي وآخرون أنه كان لرسول الله تسعة أعمام هم بنو عبد المطلب : الحارث ، والزبير ، وأبو طالب ، وحمة ، وعُيْدَاق ، وضرار ، والمقوم ، وأبو لهب ، والعبّاس ؛ كان الحارث أكبرهم سنّاً ، ولهذا يكنّى عبد المطلب بأبي الحارث ، وكان شريكه في حفر بئر زمزم .

وأبناء الحارث : أبو سفيان ، والمغيرة ، ونوفل ، وربيعه ، وعبد شمس ؛ وأبوسفيان أخو رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من الرضاعة ، فقد أرضعته حليلة السعدية ، وكان شبيهاً به (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، توفي في العشرين من عمره ، ودفن في البقيع ، ويقال إن مدفنه في منزل عقيل بن أبي طالب .

وخلف نوفل بضعة أبناء منهم : المغيرة بن نوفل ، وهو الذي أسك بابن ملجم المرادي (عليه اللعنة) بعد ضربته لأمر المؤمنين (عليه السلام) ، ويذكر التاريخ أنه كان قاضياً في أيام عثمان ، وحضر صفين مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وتزوج بعده من أمانة بنت أبي العاص بن الربيع فأنجبت له يحيى ؛ وربيعه بن الحارث هو الذي عناه رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يوم فتح مكة إذ قال :

« إلا إن كلّ ماثرة كانت في الجاهلية موضوعة تحت قدمي ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث » .

ذلك أنّ أحد أبنائه كان قد قتل في الجاهلية ، والعبّاس بن ربيعة وشجاعته في صفين معروفة ، وعبد شمس بن الحارث ، وقد سماه رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وقيل إن أبناءه في الشام .

وكان أبو طالب ، وعبد الله ، أبو الرسول (صلى الله عليه وآله) ، والوزير أبناء أم واحدة ، وأُمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن مخزوم ، واسم أبي طالب عبد مناف ، وكان له أربعة أبناء : طالب ، وعقيل ، وجعفر ، وعلي (عليه السلام) ، وروي أنه كان يفصل بين كل من هؤلاء الأربعة عشر سنين ؛ وكان لأبي طالب بنتان : أم هانئ ، واسمها فاختة ، ومُحانة ، وأُمهم جميعهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ؛ وقد أعقبوا جميعاً ، غير طالب .

ومُحانة كانت زوجة سفيان بن الحارث بن المطلب ، وكانت أم هانئ زوجة أبي وهب هبيرة بن عمرو المخزومي ، وولد له منها أبناء أحدهم جعدة بن هبيرة ، وكان فارساً مغواراً ، وولاه أمير المؤمنين (عليه السلام) خراسان .

وانتقل أبو طالب إلى رحمة ربّه قبل هجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بثلاث سنين ، وعلى قول : إن وفاة خديجة كانت بعد وفاته بثلاثة أيّام ، وسُمّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذا العام بعام الحزن ، وقد سبقت الإشارة إلى وفاة هذين العظيمين في الفصل السادس .

وأما العباس ، وكنيته أبو الفضل ، فكانت معه سقاية زمزم ؛ وقد أسلم في موقعة بدر ، وتوفّي في أواخر أيّام عثمان ، وقد كفّ بصره في أواخر عمره ، وأُمّه وأمّ ضرار هي نُثيلة وكان له تسعة أبناء وثلاث بنات : عبد الله ، وعبيد الله ، والفضل ، وقثم ، ومُعبد ، وعبد الرحمن ، ونُعام ، وكثير ، والحارث ، وأمّ حبيب ، وأمنة ، وصفية ، وأمّ حبيب مع ستّة إخوة ممّن تقدّمت أسماؤهم هي أمّ الفضل لبابة بنت الحارث الهلالي ، أخت ميمونة بنت الحارث زوجة النبي (صلى الله عليه وآله) ، ومع أنّ أمّ الفضل ولدتهم في بيت واحد ، فإن مدافنتهم بعيدة عن بعضها ، ففُيّر الفضل في أجنادين من أراضي الروم ، ومُعبد وعبد الرحمن في إفريقية ، وعبد الله في الطائف ، وعبيد الله في اليمن ، وقثم في سمرقند .

يقول البغوي : أمّ الفضل هي المرأة التي أسلمت بعد خديجة (رضي الله عنها) ، ويقول البعض إن أبناء العباس كانوا عشرة ، بزيادة عون ، ويؤيد هذا القول تصريح العباس بعددهم ، والشيخ الشهيد الثاني يقول في كتابه (شرح الدراية) : إن من بين الأبناء العشرة كان ثَمَام أصغرهم ، فكان العباس يأخذه في حجره وهو يقول :

تَمَّوْا بِثَمَامٍ فَصَارُوا عَشْرَةً يَا رَبِّ فَاجْعَلْهُمْ كِرَاماً بِرَّةً
وَاجْعَلْ لَهُمْ ذِكْراً وَأَنْتُمْ الشَّجَرَةُ

وأما أبو لهب فأبناؤه : عُتْبَة ، وعُتْبِيَّة ، ومُعْتَب ، ودُرَّة وأُمهم أم جميل أخت أبي سفيان التي دعاها الحقّ بـ : حَمَّالَة الخطب .

وعلمته (صلّى الله عليه وآله) ست من إتهات متعدّدة : أميمة ، وأمّ حكيم ونسرة ، وعاتكة ، وصفية ، وأروى ؛ أمّا أميمة ويدعوها بعضهم : فاطمة ، فقد كانت زوجة جحش بن الرّيان ، وولدت له عبد الله ، وعبيد الله ، وأبا أحمد ، وزينب ، وخنسة . وأمّ حبيبة ؛ وزينب هي زوجة زيد بن حارثة ، وطلقها زيد ، وزوّجها الحقّ تعالى من نبيّه (صلّى الله عليه وآله) .

وأما أمّ الحكيم بنت عبد المطلب فكانت زوجة كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، وولدت له عامراً ، وهو أبو عبد الله بن عامر وكان والياً لعُثمان على العراق وخراسان .

وأما برة بنت عبد المطلب فكانت زوجة أبي رُهم ، ثم صارت زوجة عبد الأسد بن هلال المخزومي بعده ، وولدت له أبا سلمة ، واسمه عبد الله وهو أول مهاجر إلى الحبشة مع زوجه أم سلمة ، ثم هاجر بعد إلى المدينة وشهد بدرأً وأحداً وجرح جراحة مات على أثرها ، ومن بعده تزوّج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من أرملته أم سلمة .

وأما عاتكة بنت عبد المطلب فكانت زوجة عمير بن وهب ، ثم صارت تحت كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار .

وأما صفية بنت عبد المطلب فكانت زوجة الحارث بن حرب بن أميّة ، ثم تزوّجت بعده من العوّام بن خويلد أخي السيدة وولدت له الزبير .

ويروى أنه عند وفاة عبد المطلب كانت بناته الست أولئك حاضرات ، فطلب منهنّ أن يكيّنه ويؤثّنه مراثي يسمعه قبل موته ، فقالت كلّ منهن قصيدة تُرثي بها أباهن ، وفارق عبد المطلب الحياة وهو يستمع اليهنّ .

ومن بين أعمام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان أبو طالب والحزمة أفضلهم ، وأبو طالب اسمه عبد مناف وكنيته أبو طالب ، وفيه يقول أبوه عبد المطلب :

وَصِيتُ مِنْ كَنِيَّتِهِ بِطَالِبٍ عَبْدَ مَنْافٍ وَهُوَ ذُو نَجَارٍ
وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ الْكَبِيرُ سَيِّدَ الْبَطْعَاءِ ، وَشَيْخُ قُرَيْشٍ ، وَرئيس مَكَّةَ ، وَقَبْلَةُ الْقَبِيلَةِ ؛ وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ شَيْخاً جَسِيماً ، عَلَيْهِ بَهَاءُ الْمُلُوكِ ، وَوَقَارُ الْحُكَمَاءِ .

يُروى أنه قيل لأكثم بن صفيّ حكيّم العرب : مَنْ تَعَلَّمَتِ الْحِكْمَةَ وَالرَّئَاسَةَ وَالْحِلْمَ وَالسِّيَادَةَ ؟ قَالَ : مَنْ حَلِيفُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، سَيِّدُ الْعَجَمِ وَالْعَرَبِ ، أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

وفي روايات كثيرة أنَّ مثله مثل أصحاب الكهف ، أخفى إيمانه كي يكون بمقدوره نصرته النبي (صلى الله عليه وآله) ، ودفع شرَّ كفَّار قريش عنه ، وكان أبو طالب مستودع وصائب وأثار الأنبياء ، وقد ردَّها للنبي (صلى الله عليه وآله) .

وفي الخبر أنَّ نوره يطفىء أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار (هي نور محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين) ، ولئن وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان ، وإيمان هذا الخلق في كفة أخرى يظهر رجحان إيمان أبي طالب على إيمانهم ، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يحب رواية أشعار أبي طالب وتدوينها ويقول : تعلّموها وعلموها أولادكم ، ذلك أنه كان على دين الله ، وفي أشعاره علم كثير .

وإجمالاً فإن خدمات أبي طالب للدين ونصرته لسيد المرسلين (صلوات الله عليه وآله) قد تجاوزت البيان ، ويكفي في هذا المقام قول النبي (صلى الله عليه وآله) بما مضمونه : ما زالت قريش في جبن وخوف حتى توفي أبو طالب .

وقال ابن أبي الحديد :

ولسولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخص فقاما
فذاك بمكة أوى وحامي وذاك بيثرب جسّ الحمام^(١)
وأما حمزة بن عبد المطلب فهو عظيم الجلال ، وقد سبق الحديث عن استشهاديه في أحد .

كما استشهد جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) في مؤتة ، وقد أتينا على ذكر استشهاديه عند الحديث عن معجزات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووقائع العام الثامن من الهجرة .

وإليك طرفاً من فضائل حمزة وجعفر :

يروى ابن بابويه عن الإمام الرضا (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال :

« خير إخواني عليّ ، وخير أعمامي حمزة ، والعبّاس صنواي » .

وقال : « وصلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على حمزة سبعين صلاة ، وكبّر عليه سبعين تكبيرة » .

(١) وسياقي هذا الشعر ومعناه عند الحديث عن أولاد الإمام موسى الكاظم (ع) إن شاء الله .

ويروى في قرب الأسناد عن الصادق (عليه السلام) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال :

« منّا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سيّد الأولين والآخرين ، وخاتم النبيين ؛ ووصيه خير الوصيين ، وسبطه خير الأسباط : حسناً وحسيناً ، وسيّد الشهداء حمزة عمة ، ومن طار مع الملائكة جعفر ، والقائم (عليه السلام) » .

والروايات بهذه المضامين كثيرة ، ويروي علي بن إبراهيم أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال :

« إنّ إلهي اختارني في ثلاثة من أهل بيتي ، وأنا سيّد الثلاثة وأتقاهم ولا فخر ، (اختارني) وعليّ وجعفر ابني أبي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب » .

كما يروى عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قوله في تفسير الآية :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » :

إن المراد بـ « من قضى نحبه » أي أجله ، وهو حمزة وجعفر بن أبي طالب ، و « من ينتظر » يعني عليّاً (عليه السلام) .

كما يروى عنه (عليه السلام) في (البصائر) قوله :

« على قائمة العرش مكتوب : حمزة أسد الله وأسود رسوله وسيّد الشهداء » .

ويروي الشيخ الطوسي عن جابر الأنصاري قوله :

أقبل العباس ذات يوم إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكان العباس طوالاً حسن الجسم ، فلما رآه النبي (صلّى الله عليه وآله) تبسّم إليه ، فقال : إنك يا عمّ لجميل ، فقال العباس : ما الجمال بالرجل يا رسول الله ؟ قال : بصواب القول بالحق ، قال : فما الكمال ؟ قال : تقوى الله عزّ وجلّ وحسن الخلق .

ويروى عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال :

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « احفظوني في عمّي العباس ، فإنه بقيّة آبائي » .

ويروي ابن بابويه أن جبرئيل (عليه السلام) هبط على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعليه قباء أسود ، ومنطقة فيها خنجر ، فقال : يا جبرئيل ما هذا الزي ؟ فقال :

زَيِّ ولد عمِّك العباس ، فخرج النبي (صلى الله عليه وآله) إلى العباس فقال : يا عم ، ويل لولدي من ولدك ، فقال : يا رسول الله ، أفاجب نفسي ؟ قال : جرى القلم^(١) بما فيه .

ويروى عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله) :

يا رسول الله ، إنك لتحب عقيلاً ؟ قال : إي والله ، إنِّي لأحبّه حين : حبّاً له ، وحبّاً لحبّ أبي طالب له ، وإنّ ولده لمقتول في محبة ولدك ، فتدمع عليه عيون المؤمنين ، ويصلي عليه الملائكة المقربون ، ثم بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتّى جرت دموعه على صدره ، ثم قال : إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي .

وسباني الحديث عن عقيل وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس عند الحديث عن أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إن شاء الله تعالى .



(١) بقول البعض : المراد أن قطع آلة رجولتك لا يفيد لأن عبد الله ولد منك ، وأن الأبناء منه سيولدون ، ويحتمل أن المراد معنى آخر .

الفصل العاشر

فجد بيان أحوال بعض أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)

الأول : سلمان المحمدي

سلمان رضوان الله عليه ، وهو أول الأركان الأربعة ، مخصوص بشرف : « سلمان منا أهل البيت » منسلك في سلك أهل بيت النبوة والعصمة ، ومن قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في فضله :

« سلمان بحر لا يئزف ، وكنز لا ينفد ، سلمان منا أهل البيت ، يمنح الحكمة ، ويؤق البرهان » .

قال عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) : « ومن لكم يمثل لقمان الحكيم ؟ بيد أن الإمام الصادق (عليه السلام) قال عنه : « سلمان خير من لقمان » ، وقال عنه الإمام الباقر (عليه السلام) : « كان سلمان من المتوسمين » .

ويستفاد من الروايات أن سلمان علم الاسم الأعظم ، وأنه كان محدثاً ، وأن الإيمان عشر درجات ، وسلمان في العاشرة منها ، وكان عالماً بعلم الغيب والمنابا ، وأنه كان يميل إلى تحف الجنة في الدنيا ، وأن الجنة كانت مشتاقاً وعاشقة له ، وأن الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) يحبونه ، وأن الله عز وجل أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بحب أربعة سلمان أحدهم . ونزلت آيات في مدحه ومدح أقرانه . وكان جبرئيل (عليه السلام) ما حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا أمره أن يقرئه السلام عن الله عز وجل ، وأمره أن يطلععه على علم المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب ، وكانت له ليالي خلوة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومع أمير المؤمنين (عليه السلام) يعلمانه من مكنون علم الله ونخزونه ما لا يقوى على تحمله أحد ، حتى بلغ مرتبة قال عنها الإمام الصادق (عليه السلام) :

« أدرك سلمان العلم الأول والعلم الآخر ، وهو بحر لا يُنزع ، وهو من أهل البيت » .

يقول القاضي نور الله : كان سلمان الفارسي منذ صباه يسمى في طلب الدين الحق ، فتروّد على علماء الأديان من يهود ونصارى وغيرهم ، وكان يصبر على ما يلقي من شدائد في هذا الطريق ، حتى أن عشرة أسياد تناقلوه بيعاً وشراء حتى وصل إلى سيّد الكائنات عليه وآله أفضل الصلوات ، فاشتراه من بعض اليهود بمبلغ من مال ، وبلغ من المحبة والإخلاص والمودة ، واختصاصه بالانتساب إلى الحضرة النبوية مكاناً يدعو للفخر ، مشحوناً بمضمون الرعاية من لسان النبي المبارك ، إذ يقول : « سلمان من أهل البيت » . ولنعم ما قيل :

كانت مودة سلمان له نسباً ولم يكن بين نوح وابنه رحماً
ويروي الشيخ الأجل أبو جعفر الطوسي نور الله مشهده ، في كتاب (الأمالي) عن منصور بن بزرج أنه قال :

قلت لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام) : ما أكثر ما أسمع منك سيدي ذكر سلمان الفارسي ، فقال : لا تقل سلمان الفارسي ، ولكن قل : سلمان الحمّدي ، أتدري ما كثرة ذكرني له ؟ قلت : لا ، قال : ثلاث خلال : إحداها إشاره هوى أمير المؤمنين (عليه السلام) على هوى نفسه ، والثانية : حبه الفقراء واختياره إياهم على أهل الثروة والعدد ، والثالثة : حبه للعلم والعلماء ؛ وإن سلمان كان عبداً صالحاً خيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين .

كما روى بأسناده عن سدير الصيرفي ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : « كان سلمان جالساً مع نفر من قريش في المسجد ، فاقبلوا ينتسبون ويرفعون في أنسابهم حتى بلغوا سلمان ، فقال له عمر بن الخطّاب : أخبرني من أنت ، وما أصلك ، وما حسبك ؟ فقال سلمان :

أنا سلمان بن عبد الله ، كنت ضالاً فهداني الله عزّ وجلّ بحمّد (صلّى الله عليه وآله) ، وكنت عائلاً فأغثنني الله بحمّد (صلّى الله عليه وآله) ، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بحمّد (صلّى الله عليه وآله) ، فهذا حسبي ونسبي يا عمر . انتهى .

وجاء في الخبر أن أبا ذرّ دخل على سلمان وهو يطبخ قدرأ له ، فبينما هما يتحادثان إذ انكفأت القدر على وجهها على الأرض ، فلم يسقط من مرقها ولا من ودكها^(١) شيء ، فعجب من ذلك أبو ذرّ عجباً شديداً ، وأخذ سلمان القدر فوضعها على حائها الأول على النار ثانية ،

(١) الودك : الدسم من اللحم والشحم .

وأقبلتا يتحدثان ، فبينما هما يتحدثان إذ انكفأت القدر على وجهها ، فلم يسقط منها شيء من مرجها ولا من ودكها .

قال : فخرج أبو ذرّ وهو مذعور من عند سلمان ، فبينما هو متفكّر إذ لقي أمير المؤمنين (عليه السلام) على الباب ، فلما أن بصر به أمير المؤمنين (عليه السلام) قال له : يا أبا ذرّ ، ما الذي أخرجك ، وما الذي أذكرك ؟ فقال له أبو ذرّ : يا أمير المؤمنين ، رأيت سلمان صنع كذا وكذا فعجبت من ذلك ، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : يا أبا ذرّ ، إنّ سلمان لو حدثك بما يعلم لقلت : رحم الله قاتل سلمان : يا أبا ذرّ ، إنّ سلمان باب الله في الأرض ، من عرفه كان مؤمناً ، ومن أنكره كان كافراً ، وإنّ سلمان منا أهل البيت .

وقدم المقداد على سلمان وكان رفع قدراً على موقد دون نار ، والقدر تغلي ، فقال : يا أبا عبد الله ، قدر تغلي من غير نار . فتناول سلمان حجرين وضعهما تحت القدر فاشتعل كالقش ، وزاد غليان القدر ، قال سلمان : يا مقداد سكّن غليان القدر ، قال : وكيف أجعله يسكن ولا أرى ما أسكنه له ! فأدخل سلمان يده المباركة في القدر كالمغرفة فسكن ، وسحب يده وعليها أثر من الحساء ، فعجب المقداد من ذلك أشدّ العجب ، وروى القصة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وإجمالاً فالروايات في فضله أكثر من أن تذكر ، وسيأتي طرف منها عند الحديث عن أحوال أبي ذرّ (رضي الله عنه) ، وقد توفّي في المدائن سنة ست وثلاثين ، وصار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) من المدينة ليلة موته ، إذ طويت له الأرض ، فغسله وكفّنه وصلى عليه ، ودفن هناك .

وفي رواية أنّه لما جاء أمير المؤمنين (عليه السلام) ليغسله ، رفع الشملة عن وجهه ، فتبسّم سلمان ، فقال له :

مرحباً يا أبا عبد الله ، إذا لقيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقل له ما مرّ على أخيك من قومك .

قال : ثمّ أخذ في تجهيزه ، فلما صلى كنّا نسبح من أمير المؤمنين (عليه السلام) تكبيراً شديداً ، وكنت رأيت معه رجلين ، فقال : أحدهما جعفر أخي ، والآخر الخضر (عليه السلام) ، ومع كلّ واحد منهما سبعون صفّاً من الملائكة ، في كلّ صفّ ألف ملك .

وفي نفس الليلة رجع أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى المدينة ، ويقوم قبر سلمان في المدائن في صحن كبير ، وهو مزار لكلّ باءٍ وحاضر .

وقد نقلت زيارته (رضي الله عنه) في (هدية الزائرين ، والمفاتيح) .

الثاني : أبو ذرٍّ ، جُنْدَب بن جُنَادَة

وهو من قبيلة غفار ، وأحد الأركان الأربعة ، وكان ثالث مَنْ أسلم ، وعلى قول : كان الرابع أو الخامس ، ورجع إلى قومه بعد إسلامه فلم يشهد بدرأً وأحد والخندق ، ثم قدم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلزمه ، وكانت مكانته عنده تفوق الذكر ، وقال (صلى الله عليه وآله) في حقِّه الكثير ، ودعاه بصديق الأمة وشبيه عيسى ابن مريم في الزهد ، ومن أقواله في حقِّه الحديث المشهور :

« ما أظَلَّت الخضراء ولا أقلتُ الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذرٍّ » .

يقول العلامة المجلسي في (عين الحياة) :

يستفاد من أخبار الخاصَّة والعامة أنه بعد المعصومين (عليه السلام) ليس بين الصحابة من يفوق سلمان الفارسي وأبا ذرٍّ والمقداد جلالة قدر ورفعة شأن ، ويظهر من بعض الأخبار أن سلمان يرجح أبا ذرٍّ ، وهو يرجح المقداد .

وقال : قال أبو الحسن موسى (عليه السلام) : « إذا كان يوم القيامة نادى منادٌ : أين حواريجي محمد بن عبد الله رسول الله ، الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه ؟ فيقوم سلمان وأبو ذرٍّ والمقداد » .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « إنَّ الله تعالى أمرني بحبِّ أربعة من أصحابي ، فقيل : يا رسول الله من هم ؟ قال : عليٌّ والمقداد وسلمان وأبو ذرٍّ » .

ويروى بأسانيد كثيرة في كتب السنَّة والشيعة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال :

« ما أظَلَّت الخضراء ولا أقلتُ الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذرٍّ » .

وهذا ابن عبد البرِّ ، وهو من أعظم علماء السنَّة يروي في كتاب (الاستيعاب) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : أبو ذرٍّ في أمِّي بزهد عيسى ابن مريم ، وفي رواية أخرى : شبيه عيسى ابن مريم في الزهد ؛ ويروي أيضاً أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قال عن أبي ذرٍّ :

« ذلك رجل وعى علماً عجز عنه الناس ، ثم أوكأ عليه ولم يخرج شيئاً منه » .

يروي ابن بابويه بسند معتبر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال :

« إِنَّ أَبَا ذَرٍّ أَيْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَمَعَهُ جَبْرِئِيلُ فِي صُورَةِ دَحِيَّةِ الْكَلْبِيِّ وَقَدْ اسْتَخْلَاهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، فَلَمَّا رَأَاهُمَا انْصَرَفَ عَنْهُمَا وَلَمْ يَقْطَعْ كَلَامَهُمَا ، فَقَالَ جَبْرِئِيلُ : يَا مُحَمَّدُ ، هَذَا أَبُو ذَرٍّ قَدْ مَرَّ بِنَا وَلَمْ يَسَلِّمْ عَلَيْنَا ، أَمَا لَوْ سَلِّمْ لَرَدَدْنَا عَلَيْهِ ، يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ لَهُ دَعَاءَ يَدْعُو بِهِ مَعْرُوفًا عِنْدَ أَهْلِ السَّمَاءِ ، فَاسْأَلْهُ عَنْهُ إِذَا عَرَجْتَ إِلَى السَّمَاءِ .

فَلَمَّا ارْتَفَعَ جَبْرِئِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) جَاءَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : مَا مَنَعَكَ يَا أَبَا ذَرٍّ أَنْ تَكُونَ سَلِّمْتَ عَلَيْنَا حِينَ مَرَرْتَ بِنَا ؟ فَقَالَ : ظَنَنْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّ الَّذِي مَعَكَ دَحِيَّةُ الْكَلْبِيِّ قَدْ اسْتَخْلَيْتَهُ لِبَعْضِ شَأْنِكَ ، فَقَالَ : ذَاكَ جَبْرِئِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَقَدْ قَالَ : أَمَا لَوْ سَلِّمْ عَلَيْنَا لَرَدَدْنَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَبُو ذَرٍّ أَنَّهُ كَانَ جَبْرِئِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) دَخَلَ مِنَ التَّدَامَةِ حَيْثُ لَمْ يَسَلِّمْ عَلَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : مَا هَذَا الدَّعَاءُ الَّذِي تَدْعُو بِهِ ؟ فَقَدْ أَخْبَرَنِي جَبْرِئِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّ لَكَ دَعَاءَ تَدْعُو بِهِ مَعْرُوفًا فِي السَّمَاءِ ، فَقَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقُولُ :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْإِيمَانَ بِكَ ، وَالتَّصَدِيقَ بِنَبِيِّكَ ، وَالْعَافِيَةَ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَاءِ ، وَالشُّكْرَ عَلَى الْعَافِيَةِ ، وَالغَنَى عَنْ شَرَارِ النَّاسِ » .

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) قَالَ :

« بَكَى أَبُو ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى اشْتَكَى بِصَرِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا ذَرٍّ ، لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ أَنْ يَشْفِيَ بِصْرَكَ ، فَقَالَ : إِنِّي عَنْهُ لَمُشْغُولٌ ، وَمَا هُوَ أَكْبَرُ هَمِّي ؛ قَالُوا : وَمَا يَشْغَلُكَ عَنْهُ ؟ قَالَ : الْعَظِيمَتَانِ : الْجَنَّةُ وَالنَّارُ » .

وَيُرْوَى ابْنُ بَابُوَيْهٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَسْجِدِ قُبَا وَعِنْدَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ السَّاعَةَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ قَامَ نَفَرٌ مِنْهُمْ فَخَرَجُوا وَكُلُّ وَاحِدٍ يَحِبُّ أَنْ يَعُودَ لِيَكُونَ هُوَ أَوَّلُ دَاخِلٍ ، فَيَسْتَوْجِبُ الْجَنَّةَ ؛ فَعَلِمَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ذَلِكَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ لِمَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ : سَيَدْخُلُ عَلَيْكُمْ جَمَاعَةٌ يَسْتَبْقُونِي ، فَمَنْ بَشَّرَنِي بِأَذَارٍ فَلَهُ الْجَنَّةُ » .

فَعَادَ الْقَوْمَ وَدَخَلُوا وَمَعَهُمْ أَبُو ذَرٍّ ، فَقَالَ لَهُمْ : فِي أَيِّ شَهْرٍ نَحْنُ مِنَ الشُّهُورِ الرُّومِيَّةِ ؟ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : قَدْ خَرَجَ أَذَارٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ يَعْلَمَ قَوْمِي أَنَّكَ رَجُلٌ مِنَ الْجَنَّةِ ؛ وَكَيْفَ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ وَأَنْتَ الْمَطْرُودُ عَنْ حَرَمِي بَعْدِي لِمَحَبَّتِكَ لِأَهْلِ بَيْتِي ، فَتَمِيشُ وَحْدَكَ ، وَتَمُوتُ وَحْدَكَ ، وَيَسْعُدُ بِكَ قَوْمٌ يَتَوَلَّوْنَ تَجْهِيزَكَ وَدَفْنَكَ ، أَوْلَئِكَ رَفَقَاتِي فِي جَنَّةِ الْخُلَدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ .

وقد نقل أرباب السير المعتمدة أن أبا ذرٍّ كان عاملاً لعمر على الشام ، حتى خلافة عثمان الذي أحلَّ معاوية بن أبي سفيان عمله على الشام ، وانصرف معاوية إلى الدنيا وبها رجعها ، وشغف بقصورها وعماراتها ، فأنبرى إليه أبو ذرٍّ باللوم والتوبيخ ، وراح يدعو إلى الخليفة بالحقِّ أمير المؤمنين (عليه السلام) متوَّهاً بمناقبه وفضائله ، داعياً أهل الشام إليه حتى مال كثير منهم إلى التشيع له ، ومن هنا ما اشتهر من أنَّ شيعة الشام وجبل عامل كانوا ثمرة دعوة أبي ذرٍّ ونتاج بركته .

فكتب معاوية إلى عثمان يقول : أمَّا بعد ، فإن كان لك حاجة في الناس قبلي فأقدم إليك أبا ذرٍّ ، فإنِّي أخاف أن يفسد عليك الناس .

فكتب إليه عثمان : أمَّا بعد ، فحين تنظر في كتابي فأحمل جنيداً إليَّ على أغلظ مركب وأوعره ، حتى يغلب عليه النوم من الجهد فيغفل عن ذكرِّي وذكرك .

فوجه به مع من سار به الليل والنهار ، وحمله على بعير ليس عليه وطاء ، وكان أبو ذرٍّ (رحمه الله) رجلاً طوالاً نحيفاً ، قد عدا عليه الشيب فابيض شعر رأسه وفوديه ، وهكذا حتى قدم به المدينة بعد أن سقط لحم فخذَيْه من الجهد .

وفي المدينة ، راح أبو ذرٍّ يعرض بعثمان وفعاله ، وكان إذا رآه تلا الآية الكريمة :

﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ .

معرضاً بعثمان ومحدراً وواعظاً ، لكنَّ عثمان لم يستجب لما يقوم به أبو ذرٍّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم تزده مواعظه إلا إمعاناً في ملامته ، فقصي بخروجه مع أهله وعباله إلى الرُبْدَةِ ، ولم يكتف بذلك ، بل إنَّه حظر على الناس أن يقاعدوه أو يكلموه ، لا بل حتى إنَّه حظر عليهم تشييعه عند خروجه ، لكن أمير المؤمنين والحسين (عليهما السلام) خرجوا لتشييعه يرافقهم عقيل وعمار بن ياسر وغيرهم ، فاعترض مروان بن الحكم طريقهم ، وكان مكلفاً من عثمان أن يخرج بأبي ذرٍّ .

قال مروان مخاطباً الحسن (عليه السلام) : إياها يا حسن ، ألا تعلم أنَّ أمير المؤمنين قد نهى عن كلام ذلك الرجل ؟ فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك .

فحمل عليَّ على مروان فضرب بالسوط بين أذني راحلته ، وقال : تنحَّ نَحَاكَ الله إلى النار . فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر ، فلما لقي عثمان أمير المؤمنين (عليه السلام) قال له فيها قال : إنَّ مروان يشكو أنك ضربت راحلته ، فأجاب : دونه راحلتي فليقتص منها .

وإجمالاً ، فقد صار أبو ذرٍّ إلى الرَبْذَةِ ، وبلغ من معاناته هناك أنَّ ولده ذرّاً مات ، وكانت له غنيمات يقتات بها مع عياله فأصابته آفة فنفت ، كما ماتت زوجته في الرَبْذَةِ أيضاً ، فبقي وحيداً إلّا من ابنته .

تقول ابنته : أصابنا الجوع ، وبقينا ثلاثة أيام لم نأكل شيئاً ، فقال لي أبي : يا بنية ، قومي بنا إلى الرمل نطلب القث ، وهو نبات له حبٌ ، فصرنا إلى الرمل فلم نجد شيئاً ، فجمع أبي رملاً ووضع رأسه عليه ، ورأيت عينيه قد انقلبتا وهو يحترض ، فبكيت وقلت له : يا أبة ، كيف أصنع بك وأنا وحيدة ؟ فقال : يا ابنتي لا تخافي ، فإنّي إذا متّ جاءك من أهل العراق من يكفّيك أمرّي ، وقد أخبرني بذلك حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غزوة تبوك ، فإذا أنا متّ فمديّ الكساء على وجهي ، ثم أقعدي على طريق العراق ، فإذا أقبل ركب فقومي إليهم وقولي : هذا أبو ذرٍّ صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد توفي .

قالت : فدخل إليه قوم من أهل الرَبْذَةِ فقالوا : يا أبا ذرٍّ ، ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي ، قالوا : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي ، قالوا : هل لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني .

قالت : فلما عاين سمعته يقول : مرحباً بحبيب أتى على فاقة ، لا أفلح من ندم ، اللهم خنقني خناقك ، فوحقك إنك لتعلم أنّي أحب لقاءك ، وأنّي لم أك قطّ للموت كارهاً .

قالت ابنته : فلما مات مددت الكساء على وجهه ، ثمّ قعدت على طريق العراق ، فجاء نفر فقلت لهم : يا معشر المسلمين ، هذا أبو ذرٍّ صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد توفي ؛ فنزلوا ومشوا يبيكون ، فجاءوا فغسلوه وكفنوه ، وصلّوا عليه ودفنوه ، وكان فيهم الأشر .

ويروى أنّ مالكا قال : كَفَنَتْهُ فِي حَلَّةٍ كَانَتْ مَعِيَ قِيمَتُهَا أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ .

يقول ابن عبد البرّ : كانت وفاة أبي ذرٍّ في السنة الحادية والثلاثين أو الثانية والثلاثين من الهجرة ، وصلى عليه عبد الله بن مسعود .

الثالث : أبو معبد ، المقداد بن الأسود

هو المقداد بن عمرو البهرازيّ ، وكان الأسود بن عبد يغوث قد تبنّاه فنسب المقداد إليه .

كان هذا الرجل الكبير قديم الإسلام ، وكان من الفضلاء الأخيار من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وواحداً من الأركان الأربعة ؛ كان عظيم القدر شريف المنزلة . وتديّته وشجاعته ممّا أجمع السنّة والشيعّة على التنويه بها وعلى ذكر فضله وجلاله .

ويروى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال :

« إن الله تعالى أمرني بحب أربعة من أصحابي وأخبرني أنه يحبهم ، فقيل : يا رسول الله من هم ؟ قال : عليّ (عليه السلام) والمقداد وسلمان وأبو ذر » . رضوان الله عليهم أجمعين .

كانت زوجته ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، بنت عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) شهد جميع غزواته (صلى الله عليه وآله) ، وهو أحد الأربعة الذين تشاقق الجنة لهم ، والأخبار في فضله أكثر مما يستوعبها المقام ، ونكتفي منها بهذا الحديث الذي رواه الكشي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال :

« ارتدّ الناس إلا ثلاثة نفر : سلمان وأبو ذر والمقداد » قال الراوي : فقلت : عمار ؟ قال : « حاص حصّة ثم رجع » ثم قال :

« إن أردت الذي لم يشك ولم يدخله شيء فالمقداد » .

وفي الخبر أن قلبه كان مثل زبر الحديد .

وعن كتاب الاختصاص ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال :

« إنّما منزلة المقداد بن الأسود في هذه الأمة كمنزلة ألف في القرآن لا يلزق بها شيء » .

توفي المقداد سنة ثلاث وثلثين للهجرة في الجرف ، وهو موضع على فرسخ من المدينة ، فحمل جثثانه ودفن في البقيع ، والقبر الذي ينسب إليه في شهبان ولا واقع له . نعم ، يحتمل أن يكون قبر الفاضل المقداد السيوري ، أو قبر أحد مشايخ العرب .

ومن الغرائب أن ابنه معبد - مع جلاله شأن أبيه - كان من أهل الخلاف ، وشهد الجمل مع جيش عائشة ، وقتل ، ولما استعرض أمير المؤمنين (عليه السلام) القتل مرّ بمعبد المذكور فقال : رحم الله أباه ، فلو كان حيّاً لكان رأي خيراً من رأيي ؛ فقال عمار بن ياسر ، وكان في صحبته : الحمد لله الذي جزى معبداً القتل ، فوالله لم أخش في قتل رجل عدل عن الحق خشيتي من قتل ابن هذا أبوه ، فقال (عليه السلام) : رحمك الله وجزاك خيراً .

الرابع : بلال بن رباح

مؤدّن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أمّه جمانة ، وكنيته أبو عبد الله وأبو عمرو ، وهو من السابقين في الإسلام ، وقد شهد بدرًا وأحد والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ويروى أنه بلفظ الشين سيناً ، وفي الرواية : إنّ سين بلال شين عند الله تعالى .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : رحم الله بلالاً ، فهو يحبنا أهل البيت ،

وكان عبداً صالحاً ، وكان يقول : لن أرفع الأذان لأحد بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ومنذ ذلك اليوم ترك قول «حيّ على خير العمل» ، ويقول شيخنا في (نفس الرحمن) : إن بلالاً حين قدم من الحبشة أنشد في مدح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) باللسان الحبشي :

أره برى كنكره كرى كرا مندره
فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حسان بن ثابت بشرح معنى هذا الشعر بالعربية فقال :

إذا المكارم في آفاقنا ذكرت فإتقنا بك فينا يضرب المثل
توفي بلال بالطاعون في الشام سنة ثمان عشرة أو سنة عشرين للهجرة ، ودفن في الباب الصغير هناك .

أقول : إن قبره مزار مشهور ، وقد قدمته زائراً .

الخامس : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري

صحابي جليل القدر من أصحاب بدر ، وردت في مدحه روايات كثيرة ، وهو من أبلغ سلام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ، وكان أول من زار الإمام الحسين (صلّى الله عليه وآله) في يوم الأربعين ، وهو من قرأ الصحيفة السجدة التي تحمل النص من الله عز وجل على أئمة الهدى عليهم السلام ، وذلك عند فاطمة (صلوات الله عليها) ، وأخذ نسخة عن تلك الصحيفة .

وعن (كشف الغمّة) أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) وابنه الإمام محمد الباقر (عليه السلام) لقياً جابراً ، وكان الباقر (عليه السلام) طفلاً ، فقال له أبوه : قبل رأس عمك ؛ فاقترّب الباقر (عليه السلام) من جابر فقبل رأسه ، وكان جابر قد كُفّ بصره ، فقال : من هذا ؟ قال الإمام السّجّاد (عليه السلام) : إنه ابني محمد ، فاحتضنه جابر إليه وقال : يا محمد ، محمد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بقرئك السلام .

وعن (الاختصاص) يروي أن جابراً سأل الباقر (عليه السلام) أن يضمن له الشفاعة يوم القيامة ، فقبل (عليه السلام) .

وقد شهد جابر هذا كثيراً من غزوات الرسول (صلّى الله عليه وآله) ، كما شهد صفين مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ولم يترك الاعتصام بحبل الله المتين وموالاة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان يدعو الناس باستمرار إلى محبة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان يعبر أزقة المدينة ويحضر مجالس الناس وهو يقول : «عليّ خير البشر ، فمن أبى فقد كفر» .

ويقول أيضاً : معاشر الأصحاب ، أدبوا أولادكم على حب علي (عليه السلام) ، فمن أبى محبته فانظروا أمه ماذا فعلت .

توفي جابر في السنة الثامنة والسبعين للهجرة ، بعد أن غدا كفيف البصر وقد جاوز التسعين ، وكان آخر صحابي يتوفى في المدينة ، وكان أبوه عبد الله الأنصاري من النقباء الذين شهدوا بدرًا وأحداً ، وقتل في وقعة أحد ، ودفن مع زوج أخته عمرو بن الجموح في قبر واحد ، وقصة هدم قبور شهداء أحد أيام معاوية لإجراء الماء معروفة .

السادس : حذيفة بن اليمان العنسي

من كبار أصحاب سيد المرسلين ، ومن خواص أمير المؤمنين (عليهما وآلهما السلام) ، وهو أحد السبعة الذين صلوا على فاطمة (عليها السلام) ، وقد شهد مع أبيه وأخيه صفوان وقعة أحد في ركب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وفي ذلك اليوم ، لما اشتد أوار القتال ، قتل أحد المسلمين أباه ، ظناً منه أنه من المشركين .

هذا وبناء على سرّ كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد استودعه إياه فقد أضحي حذيفة على معرفة بالمناقض من الصحابة ، ونتيجة لهذه المعرفة فإن الخليفة الثاني كان يباي حضور الصلاة على ميت ما لم يكن حذيفة حاضراً لتلك الصلاة .

وقد كان حذيفة عاملاً لعمر بن الخطاب على المدائن ، ثم عزله في وقت لاحق وعين سلمان (رضي الله عنه) ، محله ، إلى أن توفي سلمان ، وعاد حذيفة والياً على المدائن من جديد واستقر في عمله حتى حلّ دور صاحب الولاية علي (عليه السلام) ، فأرسل كتاباً إلى أهل المدائن يطلعهم فيه على مبايعته بالخلافة مع أمره المبارك بإقرار حذيفة في عمله ، لكن حذيفة - بعد تحرك أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى البصرة لقمع شرّ أصحاب الجمل ، وقبل نزول موكبته المبارك في الكوفة - توفي ودفن في المدائن .

ويروى عن أبي حمزة الثمالي أن حذيفة - لما قاربت الوفاة - دعا ابنه وأوصاه بالعمل بنصائح عددها له فقال :

ولدي العزيز ، أظهر بأسك ممّا في أيدي الناس ، ففي بأسك هذا الغنى والقوة ؛ ولا تسأل الناس حاجاتك فذاك هو الفقر عينه ، وليكن يومك الذي أنت فيه خيراً من أمسك الذي مضى ؛ ولكنك صلاتك إذا صليت كأنما هي صلاة الوداع ، وكأنما هي صلاتك الأخيرة ؛ ولا تعمل عملاً يجوجك إلى الاعتذار عنه .

وعن (رجال) ابن داود وغيره أنه قال : حذيفة بن اليمان أحد الأركان الأربعة .

وبعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) سكن حذيفة الكوفة ، وتوفي في المدائن بعد بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) بأربعين يوماً ، وفي مرض موته أوصى ابنه صفوان وسعيداً ببيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وعملاً بوصيته ، وشهدا حرب صفين واستشهدا .

السابع : أبو أيوب الأنصاري

هو خالد بن زيد ، من كبار الصحابة ، حضر بدرًا وسائر المشاهد ، وهو الذي نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بيته عند هجرته من مكة إلى المدينة ، وخدماته ، وخدمات أمه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) طيلة وجوده في بيته معروفة ، وفي ليلة زفاف رسول الله إلى صفية لبس أبو أيوب سلاحه ووقف يحرس خيمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولما رآه (صلى الله عليه وآله) دعا له وقال : « اللهم احفظ أبا أيوب كما حفظ نبيك » .

وقال الشهيد القاضي السيد نور الله في (المجالس) في ترجمته :

أبو أيوب بن زيد الأنصاري ، اسمه خالد ، غير أن كنيته غلبت على اسمه ، حضر غزاة بدر وغيرها من غزوات الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وقد انتقل (صلى الله عليه وآله) عليه وآله) من بيت أبي أيوب ، وفي حرب الجمل وصفين والخوارج كان يلزم أمير المؤمنين (عليه السلام) في جهاده .

وجاء في ترجمة (الفتوح) لابن الأعمش الكوفي أن أبا أيوب خرج من صفوف جيش الإمام (عليه السلام) في بعض أيام صفين ودعا للمبارزة ، فلم يستجب لندائه أحد من جيش الشام ، رغم تكراره النداء ، ذلك أن أحداً لم يرغب بقتاله فما كان منه إلا أن نزل بسوطه على فرسه وحمل على جيش الشام ، ففترق القوم عنه وتجنبوا مواجهته حتى بلغ خيمة معاوية ، وكان معاوية يقف عند باب الخيمة فما أن رأى أبا أيوب حتى انهزم مندفعاً إلى داخل الخيمة ، وخرج من جانبها الآخر .

وقف أبو أيوب على باب الخيمة يدعو للمبارزة ، فتوجه نحوه جماعة من أهل الشام فحمل عليهم وأصاب بعض المعروفين منهم بجراح بليغة ، ثم رجع سالماً إلى مكانه . رجع معاوية إلى خيمته مصفراً اللون مكفهر الوجه ، وراح يلوم رجاله ويعنف بهم قائلاً : كيف يقتحم صفوفكم فارس من جنود علي ، ويصل إلى خيمي ، إلا أن يكون قد أسركم وغلّ أيديكم حتى أن أحداً منكم لم يستطع أن يتناول حفنة من تراب فيرمي بها .

قال رجل من أهل الشام اسمه المترفع بن منصور : يا معاوية ، لتكن خالي الفؤاد ، فنحن أيضاً من نوع هذا الفارس الذي وصل بحملته إلى خيمتك ، وسنحمل حتى نبلغ خيمة علي بن أبي طالب ، ولو رأيت علياً وأمكتني منه الفرصة لجرحتة وأثلجت فؤادك .

ثم حثّ جواده مندفعاً به نحو جيش الإمام (عليه السلام) ، مغيراً على خيمته ، فلما رآه أبو أيوب اندفع إليه ، وعاجله بضربة من سيفه على عنقه فقتله ، وخرج السيف من الجانب الآخر ، ومن تأثير الضربة الصافية المحكمة ، ولمضاء السيف فقد بقي الرأس مكانه على عنقه ، ولما وقف الجواد على قائمته الخلفيتين سقط الرأس على جانب وتهاوى الجسد على الجانب الآخر ، وبلغ العجب من الحضور منتهاه من ضربة أبي أيوب ، وراحوا يشنون عليه .

وفي زمن معاوية خرج أبو أيوب لغزو الروم ، ولما بلغ تلك الديار وقع مريضاً وأوصى أن يدفن بعد مئاته في الموضع الذي يلقي فيه المسلمون جيش العدو ، وبناء على ذلك فقد دفن في ظاهر مدينة استنبول قرب سور المدينة ، وغدا مرقده النور محلاً لاستشفاء المسلمين والنصارى .

وأورد صاحب (الاستيعاب) في باب الكنى أن الروم بعد أن فرغوا من الحرب قصدوا القبر لنشبهه ، لكن محاولتهم اقترنت بنزول أمطار غزيرة ذكرتهم بقهر الخالق عز وجل فتنبهوا وأقلعوا عن عزمهم .

أقول : أخبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن مدفن أبي أيوب حيث قال : يدفن عند القسطنطينية رجل صالح من أصحابي .

الثامن : خالد بن سعيد بن العاص

هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي ، نجيب بني أمية ، كان من السابقين الأولين المتمسكين بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وسبب إسلامه هو أنه رأى في منامه أن ناراً شبت ، وأن أباه يريد أن يلقي به فيها ، ورأى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يبادر إليه ويخلصه من النار ؛ فلما أفاق من نومه أسلم ، وكان رفيق جمعقر بن أبي طالب في هجرته إلى الحبشة وعودته منها ، وشهد غزوة الطائف وفتح مكة وغزوة حنين ، وتولى صدقات اليمن بتكليف من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وهو من عقد لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) على أم حبيبة بنت أبي سفيان مع النجاشي ملك الحبشة .

وبعد وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) امتنع خالد عن بيعه أبي بكر ، ولم يبايع إلا بعد أن أكرهوا أمير المؤمنين (عليه السلام) على البيعة ، وقد أفصح عن كرهه للبيعة ، وكان أحد اثني عشر رجلاً أنكروا على أبي بكر ما فعل ، وحاجّوه في ذلك في يوم الجمعة وهو واقف على المنبر .

وهذه المحاجة موجودة في كتابي (الاحتجاج) و(الحصال)، كما ورد في (مجالس المؤمنين) أن أخوين لخالد وهما أبان وعمر، امتنعا أيضاً عن بيعة أبي بكر، وتابعا أهل البيت (عليهم السلام)، وكانوا يقولون لهم:

إِنكُمْ لَطَوَالُ الشَّجَرِ، طَيِّبُو الشَّعْرَ، وَنَحْنُ تَبَعٌ لَكُمْ.

التاسع: خزيمة بن ثابت الأنصاري

ويُلقَّب بذِي الشَّهَادَتَيْنِ، ذلك أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) اعتبر شهادته بمثابة وشهادتين، شهد بداراً وما بعدها من غزوات، ويُعدُّ من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام).

ينقل البهائي في (الكامل) أن خزيمة بن ثابت وأبا الهيثم الأنصاريان كانا جذتين في نصرة أمير المؤمنين (عليه السلام) في يوم صفين، وأنه (عليه السلام) قال: مع أنهما خذلاني في أول أمرهما، غير أنهما تابا أخيراً وعرفا سوء ما فعلا.

وأورد صاحب (الاستيعاب) أن خزيمة كان في صفين ملازماً لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وأنه لما استشهد عمار بن ياسر شهيد سيفه واشتبك في قتال مع العدو حتى ذاق شربة الشهادة، رضوان الله تعالى عليه.

ويروى أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) خطب في الأسبوع الأخير من عمره خطبة كانت الأخيرة له (عليه السلام)، وقال فيها:

«أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار، وأين ابن التيهان، وأين ذو الشهادتين، وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرء برؤوسهم إلى الفجرة».

ثم ضرب (عليه السلام) بيده إلى لحيته الشريفة فأطال البكاء، ثم قال:

«أؤرِّه على إخواني الذين تلو القرآن فأحكموه...».

العاشر: زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي

وهو الذي أُسر في الجاهلية، فاشتراه حكيم بن حزام من أجل خديجة، في سوق عكاظ من نواحي مكة، فوهبته خديجة (رضي الله عنها) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولما علم أبوه حارثة بذلك قدم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ملتمساً إطلاق ابنه لقاء فدية، فطلب إليه (صلى الله عليه وآله) أن يخيّر ولده بين الذهاب مع أبيه أو البقاء، فقال زيد: لا

اختار على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحداً ، قال أبوه : أي بني ، أنتختار العبودية على الحرية ، وتهجر أباك ؟ قال : لقد رأيت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما لا أختار مع غيره أحداً .

لما سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله صحبه إلى الكعبة ، وقال لمن فيها : إني أشهدكم على أن زيداً ابني ، يرثني وأرثه ؛ فلما رأى حارثة ذلك زال غمّه على ابنه وقفل راجعاً ، ومذ ذاك أضحى زيد معروفًا بزيد بن محمد (صلى الله عليه وآله) ، وكان ذلك حتى أمر الله عز وجل بالجهر بالإسلام ونزلت الآية المباركة : ﴿ وما جعل أدياءكم أبناءكم . . ﴾ الآية ؛ ولما نزل الحكم في قوله تعالى : ﴿ ادعهم لأبائهم ﴾ صاروا يدعونه زيد بن حارثة ، وكفوا عن تسميته بزيد بن محمد (صلى الله عليه وآله) ، كما أن الآية الشريفة : ﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ﴾ إشارة أيضاً لهذا الأمر ، لا أن المراد بها أنه (صلى الله عليه وآله) ليس أباً للحسن والحسين ، وذلك أنها ابناء بحكم القول : ﴿ أبناءنا ﴾ في آية المباهلة وغيرها .

وزيد يكنى بأبي أسامة ، باسم ولده أسامة ، وقد استشهد في مؤنة حيث استشهد أيضاً جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) .

الحادي عشر : سعد بن عباد

هو سعد بن عباد بن دُلَيْم بن حارثة الخزرجي الأنصاري ، سيد الانصار وجواد عصره ، ونقيب الرسول المختار (صلى الله عليه وآله) ، حضر العقبة ويدرأ ، وكانت معه راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكة ، كان رجلاً عظيماً ، بلغ في الجود الغاية ، وكان ابنه قيس وأبوه وجده أيضاً من الأجواد ، كانوا لا يملكون من قرى الأضياف والوافدين ، وفي أيام جدّه دُلَيْم كان مناديه ينادي كل يوم أمام دار ضيافته : « من أراد الشحم واللحم فليأت دار دُلَيْم » ، وبعد دُلَيْم سار ابنه عباد في طريق أبيه ، وكان سعد بعده على النهج نفسه ، وفاق قيس بن سعد أباه في ذلك .

كان دليم وعبادة يقدمان كل سنة عشرة من الإبل تقريباً من الصنم « مناة » يرسلانها إلى مكة ، ولما وصل الدور إلى سعد وقيس - وكانا قد أسلما - كانا يرسلان هذه الإبل إلى الكعبة كل سنة ؛ وقد روي أنه لما كان ثابت بن قيس مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : يا رسول الله ، كان بنو معد في الجاهلية قدوتنا في الكرم ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« الناس معادن كعمادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ، إذا فقهوا » .

كان سعد صاحب غيرة شديدة، حتى أنه لم يتزوج إلا بكرةً، كما لم يجزؤ أحد على الزواج من مطلقة له .

وإجمالاً فسعد هذا هو الذي أحضر يوم السقيفة وكان مريضاً عموماً ، وأراد بنو الخزرج أن يبايعوه ، كما كان الناس يقولون ببيعته ، لكن البيعة تمت لابي بكر ، ولما تزاخم الناس علىبيعة أبي بكر من كل جانب كادوا يطأون سعداً ، فقال ناس من أصحاب سعد : اتقوا سعداً لا تطأوه ، فقال عمر : اقتلوا سعداً قتله الله ، فقام قيس بن سعد وكان ذا شدة فأخذ بلحية عمر فقال : يا بن الصهاك الحشية ، فرأر في الميدان ، وأسد هصور في الأمن والأمان ، والله لو حصصت^(١) من سعد شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة .

وقال سعد بن عبادة : يا بن الصهاك ، أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيراً يحجرك وأصحابك ، أما والله لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع .

ثم قال : يا آل خزرج ، احملوني من مكان الفتنة ، فحملوه إلى داره .

ثم بعث إليه أن أقبل فبايع ، فقد بايع الناس وبايع قومك ، فقال : أما والله حتى أرميك بما في كنانتي من نبل ، وأخضب سنان رجمي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي ، فلا أفعل وإيم الله ، لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي .

ولم يبايع قط ، حتى كان في أيام عمر ، فخرج من المدينة إلى الشام ، وكانت له حوفا عشيرة كبيرة ، فراح ينتقل من قرية إلى قرية يقيم فيها أسبوعاً وينتقل إلى غيرها ، حتى إذا كان يوماً يعبر بستاناً فيها كان يتخذ طريقاً أصابه سهم فقتله ، ونسبوا قتله إلى الجن ، وقالوا على لسان الجن :

قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة
فرميناه بسهم من فلم نخط فزاده

الثاني عشر : أبو دجانة

واسمه سهاك بن خراشة بن لؤذان ، من كبار الصحابة وشجعانهم المعروفين ، وكان صاحب حرز معروف ، وقد حضر حرب اليمامة ، ولما ألجأ المسلمون قوم مسيلمة الكذاب إلى

(١) حصص : حلق .

الحديفة ، وهي حديفة الرحمن ، وقد دعيت بحديفة الموت لشدة القتال الذي وقع فيها ، ودخل قوم مسيلمة الحديفة وأحكموا إغلاقها ، طلب أبو دجانة من المسلمين أن يجعلوه فوق ترس يرفعونه بأسنة الرماح حتى يبلغ سور الحديفة ، وكان لأبي دجانة قلب كقلب الأسد ، ففعل المسلمون ما طلبه منهم ، وقفز إلى الحديفة وانبرى يجالد القوم كالأسد المصور ، فيقتل ويحندل ، وقفز البراء بن مالك من المسلمين إلى الحديفة وفتح بابها ، فاندفع المسلمون إلى الداخل ، وكان أبو دجانة والبراء قد قتلا فيها ، وعلى قول آخر فإن أبا دجانة بقي حياً ، وقتل في ركاب أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين .

يقول الشيخ المفيد في (الإرشاد) : روى المفضل بن عمر عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : يخرج مع القائم (عليه السلام) من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً حتى قال : وسلمان ، وأبوذر ، وأبو دجانة الأنصاري ، والمقداد ، ومالك الأشتر ، ثم يكونون عنده (عليه السلام) من الأنصار والحكماء .

الثالث عشر : عبد الله بن مسعود الهذلي

حليف بني زهرة ، ومن السابقين في الإسلام ، يعرف بين الصحابة بعلم قراءة القرآن . ويقول علماءنا : إنه كان يختلط بالمخالفين ويميل إليهم ، ويجلّه علماء السنة كثيراً ويقولون إنه أعلم الصحابة بكتاب الله تعالى ، ويقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : خذوا القرآن من أربعة ، وأبدأ بأبي أم عبد وهو عبد الله بن مسعود ، والثلاثة الآخرون هم : معاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وسالم مولى أبي حذيفة .

وقالوا : قال (صلى الله عليه وآله) : « من أحب أن يسمع القرآن غصاً فليسمعه من ابن أم عبد » .

وابن مسعود هو من فصل رأس أبي جهل يوم بدر عن جسده ، وهو من حضر جنازة أبي ذر (رضي الله عنه) ، وكان من القوم الذين أنكسروا على أبي بكر جلوسه في مجلس الخلافة ، إلى غير ذلك ؛ وكان له من الأتباع والأصحاب جماعة منهم الربيع بن خيثم المعروف بالخواجة ربيع ، والمدفون في المشهد المقدس .

الرابع عشر : عمار بن ياسر العنسي

حليف بني مخزوم ، ويكنى بأبي اليقظان ، من كبار أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ومن المصدين في الله ، ومن مهاجري الحبشة ، ومن المصلين إلى القبلتين ، حضر بدرأً وسائر المشاهد ، وقد أسلم مع أبيه ياسر وأمه سمية وأخيه عبد الله في بداية الدعوة ، وأنزلت بهم قريش أشد العذاب وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمر بهم وهم

يعذبون فيسألهم ويدعوهم إلى الصبر ويقول : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة » ، وكان يقول : اللهم اغفر لآل ياسر .

ويروي ابن عبد البر أن كفار قريش أخذوا ياسراً وسمّية وابنيهما عماراً وعبد الله مع بلال والخبّاب وصهيب ، فالبسوهم دروعاً من حديد ، وصاروا بهم إلى صحراء مكّة في الشمس المحرقة ، وراحوا ينظرون إليهم حتى أحرقت الشمس والحديد أجسادهم ، وغلت أدمغتهم ، ونفدت طاقتهم ، فقالوا لهم : إن أردتم الراحة فاكفروا بحمّد وسُبوّه ، فتظاهروا تقيةً ، وأن قومهم ومعهم أبسطه من جلد مبلّلة بالماء ، فالتقوهم عليها ، ثم حملوهم وذهبوا بهم .

أقول : الظاهر أن قوم ياسر وعمار هم بنو مخزوم ، إذ إن ياسراً قحطانيّ ومن عس بن مذحج ، وقد قدم من اليمن إلى المدينة مع أخويه مالك والحارث بحثاً عن أخٍ آخر لهم ، فبقي ياسر في مكّة ورجع أخواه إلى اليمن ؛ وصار ياسر حليفاً لآب حذيفة بن المغيرة المخزوميّ ، وكانت سمّية جارية له فزوّجه منها فولدت له عماراً ، فأعتقه أبو حذيفة ، فلا بد أن يكون ولاء عمار لبني مخزوم ، وبسبب هذا الحلف والولاء ، ولما ضرب عثمان عماراً حتى ظهر له فتق وكسرت ضلعه . فقد اجتمع بنو مخزوم وقالوا : والله لو مات عمار فلن نقل في أحدنا غير عثمان .

وإجمالاً فإن كفار قريش قتلوا ياسراً وسمّية ، فكانا كلاهما شهيدين ، وتلك فضيلة لعمار وأبويه أنهم استشهدوا في سبيل الإسلام ، وكانت سمّية أمّ عمار من النساء الخيّرات الفاضلات ، وقد لقيت أشدّ العذاب في سبيل الإسلام ، وانتهى الأمر بها إلى الشهادة بعد أن أشبعها أبو جهل سباً وشتماً ، ثم طعنها بحرية شتّت أحشاءها ، وكانت أوّل شهيدة في الإسلام .

وفي الخبر أن عماراً قال للنبيّ (صلى الله عليه وآله) :

يا رسول الله ، بلغ العذاب من أمي كلّ مبلغ ، فقال : صبراً يا أبا اليقظان ، اللهم لا تعذب أحداً من آل ياسر بالنار .

وأما عمار فيروي أن مشركي قريش رموه في النار ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار ، كما كنت برداً وسلاماً على إبراهيم » ، فلم تضره النار .

هذا وإن قصّة ما حمله عمار من الأحجار عند بناء المسجد النبوي وكونه ضعف ما حمله الآخرون ، ورجزه وأقواله لعثمان ، وأقوال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في جلال شأنه ، أمور مشهورة .

وقد ورد في صحيح البخاري أن عَمَّاراً جمل ضعف ما حمله الآخرون من أحجار ، ليكون الواحد عنه والآخر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فكان النبي (صلى الله عليه وآله) يمسح على رأسه ووجهه ويقول :

« ويح عَمَّار تقتله الفئة الباغية ، يدعوه إلى الجنة ويدعونه إلى النار » .

كما يروى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال في حقّه :

« عَمَّار مع الحقّ والحقّ مع عَمَّار حيث كان ، عَمَّار جلدة بين عيني وأنفي ، تقتله الفئة الباغية » .

وقال (صلى الله عليه وآله) أيضاً : عَمَّار ملء إيماناً من رأسه إلى قدميه .

استشهد عَمَّار في صفين ؛ في التاسع من صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة ، (رضوان الله عليه) ؛ وجاء في (مجالس المؤمنين) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) صلى عليه بنفسه ودقته بيده المباركة ، وكان عمره إحدى وتسعين سنة .

ويروي بعض المؤرخين أن عَمَّار بن ياسر (رضي الله عنه) ، وفي اليوم الذي استشهد فيه ، رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم لو أعلم أنه أرضى لك أن ألقى بنفسي في ماء الفرات فأغرق لفعلت ، وقال في مرة أخرى : اللهم لو أعلم أنه أرضى لك أن أقحم هذا السيف في بطني حتى يخرج من ظهري لفعلت ، وقال في مرة ثالثة : اللهم إني لا أعلم عملاً أقرب إلى رضاك من قتال هؤلاء القوم .

وما أن فرغ من دعائه ومناجاته حتى قال لأصحابه :

لقد كنّا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) نقاتل المخالفين والمشرّكين تحت هذه الرايات التي يرفعها جيش معاوية ، وعلينا في هذه الأيام أن نقاتل أصحاب هذه الرايات ، ولا يخفى عليكم أي اليوم مقتول ، وأني متوجّه بعملٍ من هذا العالم الغاني إلى دار الخلد ، فاعلموا أن أمير المؤمنين (عليه السلام) مقتداي ، وسيحكم الله عز وجل بين الخيار والأشرار من عباده .

ولما فرغ من أقواله ساط فرسه واندفع نحو القوم ، وراح يحمل عليهم الحملة إثر الأخرى وهو يرتجز ويقول :

اليوم ألقى الأحبة ، محمداً وحزبه .

وخرج إليه جماعة من الشام ، عميت قلوبهم ، وضربه أحدهم - ويكنى بأبي العادية -

ضربة على خاصرته أفقدته القدرة ، فرجع إلى صفوف المسلمين يطلب ماءً ، فأتاه غلام له واسمه رشد بقدر من لبن ، فلما نظر إلى القدر قال : صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولما سأله عما يعني بهذا القول ، قال : أخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن آخر زادي من الدنيا صاع من لبن ، ثم رفع القدر فشربه ، وفاضت روحه الزكية تنهادر نحو عالم البقاء ؛ وأتاه أمير المؤمنين (عليه السلام) فوقف على جسده ، ووضع رأسه على ركبته المباركة وقال :

إليها الموت الذي هو قاصدي أرحني فقد أفنيت كل خليل
أراك بصيراً بالذين أحبهم كأنك تنحونحوهم بدليل

ثم قال (عليه السلام) : إنا لله وإننا إليه راجعون ، من لا يأسي على موت عمار فليس من المسلمين في شيء ، اللهم ارحم عماراً في تلك الساعة التي يسأله فيها الملكان ، ما شهدت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثلاثة إلا عمار رابعهم ، وأربعة إلا عمار خامسهم ، لم تحق الجنة لعمار مرة بل استحقها مرات ، فجنات عدن له معدة ، وهنئاً له القتل ، فقد كان مع الحق ، وكان الحق معه ، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يدور مع عمار حيث دار .

ثم قال (عليه السلام) : اللهم عذب قاتل عمار ولاعه وسأله سلاحه بالنار . ثم تقدم فصل على ، وواراه الثرى بيديه الطاهرتين ، رحمة الله ورضوانه عليه ، وطوبى له وحسن مآب .

الخامس عشر : قيس بن عاصم المقرئ

قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في السنة التاسعة للهجرة في وفد من بني تميم فأسلم ، وقال (صلى الله عليه وآله) : هذا سيد أهل الوبر ، وكان رجلاً عاقلاً حليماً ، وقد أخذ الأحنف بن قيس - وهو المعروف بكثرة الحلم - أخذ حلمه عن قيس ، ويذكر التاريخ أن الأحنف بن قيس سئل : هل يوجد من هو أكثر حليماً منك ؟ قال : أجل ، فقد تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المقرئ ، فقد قدمت إليه يوماً وكان عنده رجل يحدثه ، فإذا بجماعة من الرجال يقودون أخاه ويده مغلولتان وقالوا : لقد قتل ابنك الآن فأتينا به إليك مقيداً .

سمع قيس مقالهم فلم يقطع حديثه ، وعندما أتم حديثه دعا ابنه الآخر فقال له : قم يا بني إلى عمك فاطلقه ، وإلى أخيك فادفنه .

ثم قال : أدوا لأم المقتول مئة من الإبل ، على هذا يخفف من حزننا ، ثم انقلب من جانبه الأيمن فأنكأ على جانبه الأيسر وقال :

إِنِّي أَمْرٌ لَا يَمْتَرِي خُلُقِي ذَنْسٌ يَفْنَدُهُ وَلَا أَفْسٌ

وعندما قدم قيس هذا إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في وفد من بني نعيم ، التمس منه (صلّى الله عليه وآله) موعظة نافعة ، فوعظهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بكلمات منها :

أي قيس ، لا بدّ لك من قرين يُدفن معك ، وهو يدفن حياً وتدفن أنت ميتاً ، فإن كان كريماً أكرمك ، وإن كان لثيماً لم يعنك وتخلّ عنك ، ولن تُحشر إلاّ معه ، ولن تبعث إلاّ معه ، ولن تُسال إلاّ معه ، فلا يقرّ لك قرار إلاّ بالعمل الصالح ، ذلك أنّه إن كان صالحاً فستال به الأنس ، وإن كان فاسداً فلن تنالك الوحشة إلاّ منه ، ألا وإنّه عمّلك .

قال قيس : يا رسول الله ، أحببت أن تكون هذه الموعظة نظماً ، فنفخر نحن بها على من جاورنا من الأعراب ، كما أننا نتخذها ذخراً لنا ، فدعا (صلّى الله عليه وآله) حسان بن ثابت لينظمها ، وكان الصلصال بن ذُفَيْس حاضراً ، فقام ينظمها قبل حضور حسان ، وقال :

تَحْيَرُ خَلِيطاً مِنْ فِعَالِكَ إِنَّمَا	قرين القنى في القبر ما كان يفعل
وَلَا بَدَّ قَبِيلَ الْمَوْتِ مِنْ أَنْ تُعَدَّهُ	ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
فَبِأَنْ كُنْتَ مَشْغُولاً بِشَيْءٍ فَلَا تَكُنْ	بغير الذي يرضى به الله تشغل
فَلَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ	ومن قبله إلا الذي كان يعمل
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ ضَيْفٌ لِأَهْلِهِ	يقيم قليلاً بينهم ثم يرحل

السادس عشر : مالك بن نويرة الحنفي البربوعي

كان من أشباه الملوك ومن شجعان عصره ، فصيح ، حلو البيان ، من صحابة السيّد المختار ، ومن خلصاء صاحب ذي الفقار .

وقد أورد القاضي نور الله في (المجالس) طرفاً من أحواله وحصوله على الشهادة بسبب محبته لأهل البيت (عليهم السلام) بيد خالد بن الوليد ؛ كما روي في شأنه قول عن البراء بن عازب إذ يقول :

بينما كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جالساً مع أصحابه دخل عليه كبار بني نعيم ، وكان أحدهم مالك بن نويرة ، وبعد السلام قال :

يا رسول الله ، علّمني الإيمان ، فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « الإيمان أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله ، وتصلّي الخمس ، وتصوم شهر رمضان ، وتؤتي

الزكاة ، ونجى البيت ، وتوالم وصي هذا ، وأشار إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

كما أوصاه (صلّى الله عليه وآله) بأن لا يهرق دماً دون حق ، وأن يتقي السرقة والخيانة ، وأن يمتنع شرب الخمر وأكل مال اليتيم ، وأن يؤمن بأحكام الشريعة فيحلّ الحلال ويحرّم الحرام ، وأن يعدل بين الضعيف والقوي والصغير والكبير .

وعدّد له سائر أحكام الشريعة حتى تعلّمها ، إذ ذاك وقف مالك نشطاً متبجّراً وهو يقول في نفسه : تعلّمت الإيمان وربّ الكعبة ، ولما غاب عن نظر الرسول (صلّى الله عليه وآله) قال :

« من أحبّ أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فليُنظر إلى هذا الرجل » .

فانطلق وراءه رجلان من الحاضرين يشرّانه بعد أن استأذنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وقالوا له : لقد عدّك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من أهل الجنة ، وتلتمس منك طلب المغفرة لنا ، فقال مالك لها : لا غفر الله لكما ، تركنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو صاحب الشفاعة وتلتمسنا مني ؟

رجع الرجلان مغموين ، فنظر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في وجهيهما فقال : إنّ في الحقّ مبغضة .

ولما توفي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قدم مالك إلى المدينة ينشد معرفة من يقوم مقامه (صلّى الله عليه وآله) ، وذات يوم ، وكان يوم جمعة رأى أبا بكر يعتلي المنبر ويخطب بالناس فذهل ، ولم يتمالك أن قال مخاطباً أبا بكر : أأنت أخا بني تميم ؟ قال : بلى ، قال مالك : فإذا جرى لوصي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الذي أمرنا بولايته ؟ قال الناس : أيها الأعرابي ، كثيراً ما يقع حادث إثر حادث ، قال مالك : والله لم يحدث شيء ، بل أنتم تخرّأتم على خيانة أمر الله وأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

ثم توجه نحو أبي بكر وقال : من تكون حتى تعتلي المنبر ووصي النبي (صلّى الله عليه وآله) جالس ؟ فقال أبو بكر : أخرجوا هذا الأعرابي البوّال على عقبيه من مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فقام قنفذ وخالد بن الوليد وراحا يركلان مالكاً حتى أخرجاه من المسجد ، فركب بعيره وهو يرسل الصلوات على الرسول (صلّى الله عليه وآله) ثم أنشد :

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيما قوم ما شأني وشأن أبي بكر
إذا مات بكر قام بكر مقامه فتلك وبسبب الله قاصمة الظهر

يقول المؤلف : لقد نقل الشيعة والسنة أن خالد بن الوليد قتل مالكا دون ذنب أو جريرة ، وجعل من رأسه أنفية^(١) للقدر ، وعدا على زوجته في ليلة مقتله ، كما قتل سائر رجال القبيلة وأسر نساءها ، وأخذهن معه إلى المدينة ، وسَمَّوهم أهل الرِّدة .



(١) الأنفية : الحجر نوضع عليه القدر مع حجرتين آخرين .



الباب الثاني

في تلويح فاطمة الزهراء، (سلام الله عليها)



الفصل الأول

فجد بيان الولادة السعيدة لفاطمة الزهراء (عليها السلام)

يقول الشيخ الطوسي في (المصباح) ويتفق معه أكثر العلماء : إن ولادة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت في العشرين من شهر جمادي الآخرة ، وكان يوم جمعة من السنة الثانية من البعثة ، ويقول البعض : من السنة الخامسة للبعثة ، ويقول العلامة المجلسي (ره) في (حياة القلوب) :

يروي صاحب (العدد) أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) ولدت من خديجة في السنة الخامسة بعد البعثة .

كيفية ولادتها : بينا النبي (صلى الله عليه وآله) جالساً بأبطح ومعه عمار بن ياسر والمنذر بن الضحضاح ، وأبو بكر ، وعمر ، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ، والعباس بن عبد المطلب ، وحزرة بن عبد المطلب إذ هبط عليه جبرئيل (عليه السلام) في صورته العظمى ، قد نشر أجنحته حتى أخذت من المشرق إلى المغرب ، فناداه : يا محمد ، عليّ الأعلى اقرأ عليك السلام ، وهو يأمر أن تعتزل عن خديجة أربعين صباحاً ، فشق ذلك على النبي (صلى الله عليه وآله) وكان محباً لها ، وبها وامقاً ، قال : فأقام النبي (صلى الله عليه وآله) أربعين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل ، فجعلت خديجة تحزن في كل يوم مراراً لفقد رسول الله ، فبعث بعمار بن ياسر وقال : قل لها يا خديجة لا تظني أن انقطاعي عنك هجرة ولا قتل^(١) ، ولكن ربي عز وجل أمري بذلك لينفذ أمره ، فلا تظني يا خديجة إلا خيراً ، فإن الله عز وجل ليأهي بك كرام ملائكته كل يوم مراراً ، فإذا جنك^(٢) الليل فأجيفي^(٣) الباب ،

(١) القل : البغض .

(٢) جنّ : ستر وأخفى ، والمراد : أظلم .

(٣) أجيفي الباب : رديه .

وخذي مضجعك من فراشك ، فإنِّي في منزل فاطمة بنت أسد (رضي الله عنها) .

فلَمَّا كان في كمال الأربعين هبط جبرئيل (عليه السلام) فقال : يا مُحَمَّد ، العليُّ الأعلى بقرئك السلام ، وهو يأمرك أن تتأقَّب لتحيَّته وتحفته ، قال النبيُّ (صَلَّى الله عليه وآله) : يا جبرئيل ، وما تحفة ربِّ العالمين ؟ قال : لا علم لي ، قال : فبينما النبيُّ (صَلَّى الله عليه وآله) كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل من سندس ، فوضعه بين يدي النبيِّ (صَلَّى الله عليه وآله) ، وقال : يا مُحَمَّد ، يأمرك ربُّكَ أن تجعل الليلةَ إفطارك على هذا الطعام .

قال عليُّ بن أبي طالب (عليه السلام) : كان النبيُّ (صَلَّى الله عليه وآله) إذا أراد أن يفطر امرئاً أن افتح الباب لمن يرد إلى الإفطار ، فلَمَّا كان في تلك الليلة أقعدني النبيُّ (صَلَّى الله عليه وآله) على باب المنزل وقال : يا بن أبي طالب ، إنَّه طعام محرمٌ إلَّا عليٌّ ؛ قال عليُّ (عليه السلام) : فجلست على الباب ، وخلا النبيُّ (صَلَّى الله عليه وآله) بالطعام ، وكشف الطبق فإذا عذق من رطب وعنقود من عنب (وإبريق ماء) فأكل النبيُّ (صَلَّى الله عليه وآله) منه شبعاً ، وشرب من الماء ريثاً ، ومدَّ يده للغسل ، فأفاض الماء عليه جبرئيل ، وغسل يده ميكائيل ، وغندله^(١) إسرائيل (عليهم السلام) ، فارتفع فاضل الطعام مع الإناء إلى السماء . ثم قام النبيُّ (صَلَّى الله عليه وآله) ليصلي ، فأقبل عليه جبرئيل (عليه السلام) فقال : الصلاة محرمة^(٢) عليك في وقتك ، حتَّى تأتي إلى منزل خديجة فتواقعها ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ آلى على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذرِّيَّة طيِّبة .

فوثب النبيُّ (صَلَّى الله عليه وآله) إلى منزل خديجة ، قالت خديجة (رضوان الله عليها) : وكنت قد ألقت الوحدة ، فكان إذا جئني الليل غطيت رأسي ، وأسجفت سترى ، وغلقت بابي ، وصليت وردي ، وأطافات مصباحي ، وأويت إلى فراشي ؛ فلَمَّا كان في تلك الليلة لم أكن بالنائمة ولا بالمتنبهة ، إذ جاء النبيُّ (صَلَّى الله عليه وآله) فقرع الباب ، فنادت : من هذا الذي يقرع حلقة لا يقرعها إلَّا مُحَمَّد (صَلَّى الله عليه وآله) ؟ قالت خديجة : فتدأى النبيُّ (صَلَّى الله عليه وآله) بعذوبة صوته وحلاوة منطقه : افتحي يا خديجة فإنِّي مُحَمَّد ، قالت خديجة : فقممت فرحة مستبشرة بالنبيِّ (صَلَّى الله عليه وآله) وفتحت الباب ، ودخل النبيُّ (صَلَّى الله عليه وآله) المنزل .

وكان إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهَّر للصلاة ، ثم يقوم فيصلي ركعتين يوجز فيهما ،

(١) تمندله : أعطاه المنديل .

(٢) الظاهر أنَّها الصلاة النافلة دون الفريضة ، فقد كان دأب النبيِّ والإمام تقديمها على الإفطار .

ثمَّ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ ؛ فَلَمَّا كَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يَدْعُ بِالْإِنَاءِ ، وَلَمْ يَتَأَهَّبْ لِلصَّلَاةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَخَذَ بَعْضُ دِي وَاقَعْدِي عَلَى فِرَاشِهِ ، وَدَاعِيَنِي وَمَازَحَنِي ، وَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا يَكُونُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبِعَظْمِهَا ، فَلَا وَالَّذِي سَمَكْتُ^(١) السَّمَاءَ وَأَنْبَعِ الْمَاءِ مَا تَبَاعَدَ عَنِّي النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حَتَّى حَسِسْتُ بِثَقَلِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فِي بَطْنِي .

أَمَّا كَيْفَ كَانَتْ وَلادَتِهَا السَّعِيدَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فَقَدْ رَوَى الشَّيْخُ الصَّدُوقُ (رِه) بِسَنَدٍ مُعْتَبَرٍ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : كَيْفَ كَانَتْ وَلَادَةُ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فَقَالَ :

« نَعَمْ ، إِنَّ خَدِيجَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) لَمَّا تَزَوَّجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هَجَرَتْهَا نِسْوَانُ مَكَّةَ فَلَمْ يَدْخُلْنَ عَلَيْهَا ، وَلَا يَسْلَمْنَ عَلَيْهَا ، وَلَا يَتَرَكْنَ امْرَأَةً تَدْخُلُ عَلَيْهَا ؛ فَاسْتَوْحِشَتْ خَدِيجَةُ لِذَلِكَ ، وَكَانَ جَزَعُهَا وَغَمُّهَا حَذَرًا عَلَيْهِ^(٢) (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، فَلَمَّا حَمَلَتْ بِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) كَانَتْ فَاطِمَةُ تَحْدُثُهَا مِنْ بَطْنِهَا وَتَصْبِرُهَا ، وَكَانَتْ تَكْتُمُ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَوْمًا فَسَمِعَ خَدِيجَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) تَحْدُثُ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) ، فَقَالَ لَهَا : لِمَنْ تَحْدُثِينَ ؟ قَالَتْ : الْجَنِينَ الَّذِي فِي بَطْنِي يُحَدِّثُنِي وَيُؤَنِّسُنِي ، قَالَ : يَا خَدِيجَةُ ، هَذَا جَبْرِئِيلُ يُخْبِرُنِي أَنَّهَا أَنْثَى ، وَأَنَّهَا النَّسْلَةُ الطَّاهِرَةُ الْمَيْمُونَةُ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيَجْعَلُ نَسْلِي مِنْهَا ، وَسَيَجْعَلُ مِنْ نَسْلِهَا الْأَتْمَةَ ، وَيَجْعَلُهُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ بَعْدَ انْقِضَاءِ وَحْيِهِ .

فَلَمْ تَزَلْ خَدِيجَةُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ حَضَرَتْ وَلادَتِهَا ، فَوَجَّهَتْ إِلَى نِسَاءِ قُرَيْشٍ وَبَنِي هَاشِمٍ أَنْ تَعَالَيْنَ لَتَلِينَ مِنِّي مَا تَلِي النِّسَاءُ مِنَ النِّسَاءِ^(٣) ، فَأَرْسَلْنَ إِلَيْهَا : أَنْتِ عَصِيْبَتُنَا وَلَمْ تَقْبَلِي قَوْلَنَا ، وَتَزَوَّجْتَ مُحَمَّدًا بَيْتِمَ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَبِيرًا لَا مَالَ لَهُ ؛ فَلَسْنَا نَجِيءَ وَلَا نَلِي مِنْ أَمْرِكَ شَيْئًا .

فَاغْتَمَتْ خَدِيجَةُ لِذَلِكَ ، فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهَا أَرْبَعُ نِسْوَةٍ سَمَرِ طَوَالٍ ، كَأَنَّهُنَّ مِنْ نِسَاءِ بَنِي هَاشِمٍ ، فَفَزَعَتْ مِنْهُنَّ لَمَّا رَأَتْهُنَّ ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : لَا تُحْزَنِي يَا خَدِيجَةُ فَإِنَّا رَسُلُ رَبِّكَ إِلَيْكَ ، وَنَحْنُ أَخَوَاتُكَ ، أَنَا سَارَةُ ، وَهَذِهِ آسِيَةُ بِنْتُ مِزَاحِمَ وَهِيَ رَفِيقَتُكَ فِي الْجَنَّةِ ، وَهَذِهِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَهَذِهِ كُلْثَمُ أُخْتُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، بَعَثَنَا اللَّهُ إِلَيْكَ لِنَلِي مِنْكَ مَا يَلِي النِّسَاءَ ، فَجَلَسْتُ وَاحِدَةً عَنْ يَمِينِهَا ، وَآخَرَى عَنْ يَسَارِهَا ، وَالثَّلَاثَةُ بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَالرَّابِعَةُ مِنْ خَلْفِهَا ؛ فَوَضَعَتْ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) طَاهِرَةً مَطْهُرَةً ، فَلَمَّا سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ أَشْرَقَ مِنْهَا

(١) سَمَكْتُ : رَفَعُ .

(٢) لَمَّا تَزَوَّجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هَجَرَتْهَا نِسْوَانُ مَكَّةَ فَلَمْ يَدْخُلْنَ عَلَيْهَا وَدَاعِيَنِي وَمَازَحَنِي (عِدَاوَتُهُنَّ الشَّدِيدَةُ الشَّقَاءُ وَالْأَلَمُ) .

(٣) أَي : أَقْبَلْنَ لِتَتَوَلَّيْنَ شَأْنَ وَلَادَتِي .

النور حتَّى دخل بيوتات مكَّة ، ولم يبق في شرق الأرض وغربها موضع إلَّا أشرق فيه ذلك النور .

ودخل عشر من الحور العين ، كلَّ واحدة منهنَّ معها طست من الجنَّة وإبريق من الجنَّة ، وفي الإبريق ماء من الكوثر .

(ثم تناولت المرأة التي بين يدي خديجة فاطمة (عليها السلام) ، وغسلتها بماء الكوثر) وأخرجت خرقتين بيضاوين أشدَّ بياضاً من اللبن ، وأطيب ريحاً من المسك والعنبر ، فلفَّتْها بواحدة ، وقنَّعتها بالثانية ، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة (عليها السلام) بالشهادتين وقالت : « اشهد أن لا إله إلَّا الله ، وأنَّ أبي رسول الله ، سيِّد الأنبياء ، وأنَّ بعلي سيِّد الأوصياء ، وولدي سادة الأسباط » .

ثم سلَّمت عليهنَّ وسَمَّت كلَّ واحدة منهنَّ باسمها ، وأقبلن يضحكن إليها ؛ وتباشرت الحور العين ، وبشَّر أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة (عليها السلام) ، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك .

وقالت النسوة : خذينا يا خديجة طاهرة مطهَّرة زكيَّة ميمونة ، بورك فيها وفي نسلها .

فتناولتها فرحة مستبشرة ، وألقمتها ثديها فدرَّ عليها فكانت فاطمة (عليها السلام) تنمو في اليوم كما ينمو الصبي في الشهر ، وتنمو في الشهر كما ينمو الصبي في السنة .



الفصل الثاني

فجد بيان أسماء فاطمة (عليها السلام)

وألقابها وبعض فضائلها

يروى ابن بابويه بسند معتبر عن يونس بن ظبيان قال :

قال أبو عبد الله (عليه السلام) : لفاطمة (عليها السلام) تسعة أسماء عند الله عز وجل : فاطمة ، والصدّيقة ، والمباركة ، والطاهرة ، والزكيّة ، والراضية ، والمرضية ، والمحدّثة ، والزهراء .

ثم قال (عليه السلام) : أتدري أي شيء تفسّر فاطمة ؟ قلت : أخبرني يا سيدي ، قال : فطمت من الشر ، ثم قال : لولا أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) تزوّجها لما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض ، آدم فمن دونه .

يقول العلامة المجلسي (ره) في ذيل هذا الحديث :

الصدّيقة بمعنى المعصومة ، والمباركة : ذات البركة في العلم والفضل والكمالات والمعجزات والأولاد الكرام ، والطاهرة : المطهّرة من صفات النقص ، والزكيّة : النامية في الكمالات والخيرات ، والراضية : من رضيت بقضاء الله عز وجل ، والمرضية : المرضي عنها من الله وأحبّاء الله ، والمحدّثة : من محدّثها الملوك ، والزهراء : المشرقة بنور الصلاة والمعنى .

ويمكن أن يستدل به (الحديث) على كون أمير المؤمنين (عليه السلام) أفضل من جميع الأنبياء وأوصيائهم سوى النبي الخاتم (صلّى الله عليه وآله) ، بل إن البعض يستدلّ به على أفضليّة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عنهم . انتهى .

وفي أحاديث متواترة عن الخاصة والعامة جاء أنّها (عليها السلام) سمّيت فاطمة لأن الله عز وجل فطمها وفطم شيعتها من النار .

ويروى أن النبي (صلّى الله عليه وآله) سئل : ما البتول ؟ فقال : « البتول : التي لم تر

حرّة قطّ ، أي : لم تحض ، فإن الحيض مكروه في بنات الأنبياء .

ويروي الشيخ الصدوق بسند معتبر أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة (عليها السلام) فدخل عليها فأطال عندها المكث (ثم يدخل بعدها إلى بيوت أزواجه) .

فخرج مرّة في سفر ، فصنعت فاطمة (عليها السلام) مسكتين من ورق^(١) ، وقلادة وقرطين ، وسترأ لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها ، فلما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخل عليها ، فوقف أصحابه على الباب لا يدرون يقفون أو ينصرفون ، لطول مكثه عندها ؛ فخرج عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد عرف الغضب في وجهه ، حتى جلس عند المنبر .

فظنّت فاطمة (عليها السلام) أنه إنما فعل ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر ، فنزعت قلاذتها وقرطبيها ومسكتيها ، ونزعت الستر فبعثت به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقالت للرسول : قل له : تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول : اجعل هذا في سبيل الله .

فلما أتاه : قال : « فعلت » ، فداها أبوها ثلاث مرات .

« ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما أسقى فيها كافراً شربة ماء » . ثم قام فدخل عليها .

منقب الزهراء (عليها السلام)

يروى الشيخ المفيد والشيخ الطوسي عن طريق العامة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : « فاطمة بضعة مني ، من سرّها فقد سرّي ، ومن ساءها فقد ساءني ، فاطمة أعزّ الناس عليّ » .

ويروي الشيخ الطوسي عن عائشة قالت :

ما رأيت من الناس أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله (صلى الله عليه وآله) من فاطمة ، كانت إذا دخلت عليه رحّب بها ، وقبّل يديها ، وأجلسها في مجلسه ؛ فإذا دخل عليها قامت إليه فرحّبت به ، وقبّلت يديه .

ويروي القطب الراوندي مرسلأ أن أمّ أيمن لما توفيت فاطمة (عليها السلام) حلفت أن

(١) المسكة : السوار والخلخال ، الورق : الفضة .

لا تكون بالمدينة إذ لا تطيق أن تنظر إلى مواضع كانت بها ، فخرجت إلى مكة ، فلما كانت في بعض الطريق عطشت عطشاً شديداً ، فرفعت يديها وقالت : يا رب ، أنا خادمة فاطمة (عليها السلام) تقتلني عطشاً ؟ فأنزل الله عليها دلواً من السماء فشربت ، فلم تحتج إلى الطعام والشراب سبع سنين ، وكان الناس يبعثونها في اليوم الشديد الحرّ فما يصيبها عطش .

ويسروي ابن شهر آشوب والقطب الراوندي أنّ علياً (عليه السلام) استقرض من يهودي (واسمه زيد) شعيراً ، فاسترهنه شيئاً ، فدفع إليه ملاء فاطمة (عليها السلام) رهناً ، وكانت من الصوف ، فأدخلها اليهودي إلى داره ووضعها في بيت ، فلما كانت الليلة ، دخلت زوجته البيت الذي فيه الملاء بشغل ، فرات نوراً ساطعاً في البيت أضاء به كله ، فانصرفت إلى زوجها فأخبرته بأنّها رأت في ذلك البيت ضوءاً عظيماً ، فتعجّب اليهودي زوجها ، وقد نسي أنّ في بيته ملاء فاطمة (عليها السلام) ، فنهض مسرعاً ودخل البيت ، فإذا ضياء الملاء ينشر شعاعها كأنه يشتعل من بدر منير يلمع من قريب ، فتعجّب من ذلك ، فأمن النظر في موضع الملاء فعلم أن ذلك النور من ملاء فاطمة (عليها السلام) .

فخرج اليهودي يعدو إلى أقربائه ، وزوجته تعدو إلى أقربائها ، فاجتمع ثمانون من اليهود فأروا ذلك ، فأسلموا كلهم .

وفي (قرب الأسناد) بسند معتبر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : إنّ فاطمة (عليها السلام) ضمنت لعلّي (عليه السلام) عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت ، وضمن لها علي (عليه السلام) ما كان خلف الباب : نقل الخطب ، وأن يجيء بالطعام .

ويسروي ابن بابويه بسند معتبر عن الإمام الحسن (عليه السلام) قال :

« رأيت أُمّي فاطمة (عليها السلام) قامت في محرابها ليلة جمعتها ، فلم تنزل راحة ساجدة حتى أتضح عمود الصبح ، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ، ولا تدعو لنفسها بشيء ، فقلت لها : يا أمّاه ، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك ؟ فقالت : يا بني ، الجارثم الدار . »

ويسروي الثعلبي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) رأى فاطمة (عليها السلام) وعليها كساء من أجلة الإبل ، وهي تطحن بيديها وترضع ولدها ، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : يا بنتاه ، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة ، فقالت : يا رسول الله ، الحمد لله على نعمائه ، والشكر لله على آلائه ، فأنزل الله : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ .

وينقل عن الحسن البصري أنه يقول : ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة ، كانت

تقوم حتى تتورم قدماهما ، ولما قال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أي شيء خير للنساء ؟ قالت (عليها السلام) : أن لا يرين الرجال ، وأن لا يراهن الرجال ، فضمتها (صلى الله عليه وآله) إليه وقال : ذرية بعضها من بعض .

وعن (الحلية) لأبي نعيم : لقد طاحت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى مجلت^(١) يداها وظهرت فيها خشونة وصلابة من أثر الطحن) .

ويروي الشيخ الكليني عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال :

ليس على وجه الأرض بقلة أشرف ولا أنفع من الفرفرخ ، وهو بقلة فاطمة (عليها السلام) ثم قال : لعن الله بني أمية ، هم سموها بقلة الحمقاء بغضاً لنا وعداوة لفاطمة (عليها السلام) .

يروي السيد فضل الله الراوندي في (النوادر) عن علي (عليه السلام) قال : استأذن أعمى على فاطمة (عليها السلام) فحجته ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لها : لم حجته وهو لا يراك ؟ فقالت (عليها السلام) : إن لم يكن يراني فإني أراه ، وهو يشم الريح ؛ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أشهد أنك بضعة مني .

وبهذا الإسناد قال : سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه عن المرأة ما هي ؟ قالوا : عورة ؛ قال فعني تكون أدنى من ربها ؟ فلم يدروا ؛ فلما سمعت فاطمة (عليها السلام) ذلك قالت : أدنى ما تكون من ربها أن تلزم قعر بيتها ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : فاطمة بضعة مني .

أقول : إن فضائل ومنائب هذه المخدرة أكثر مما يتسع له المقام هنا ، وبما أننا نشهد الإيجاز فنحن نكتفي بهذا القدر ، والبركات ، التي وصلتنا من هذه العقيلة ومنها تسيح الزهراء المعروف ، والأحاديث في فضله كثيرة ، ويكفي أن من يواظب عليه لا يعرف الشقاء وسوء العاقبة ، وأن من يواظب على التسيح به بعد كل صلاة أفضل عند الصادق (عليه السلام) من ألف ركعة في اليوم ، وكيفيته على الأشهر : أربع وثلاثون مرة : الله أكبر ، وثلاث وثلاثون مرة : الحمد لله ، وثلاث وثلاثون مرة : سبحان الله ، فيكون المجموع مئة .

ومنها دعاء النور الذي علمته (عليها السلام) لسلیمان (رضي الله عنه) وقالت : إن شئت أن لا تصاب بالحمى في الدنيا أبداً فواظب عليه ، والدعاء هو :

(١) مجلت يده : قرحت ، أو تجتمع ماء فيها بين الجلد واللحم بسبب العمل .

بسم الله الرحمن الرحيم

« باسم الله النور ، باسم الله نور النور ، باسم الله نور على نور ، باسم الذي هو مدبر الأمور ، باسم الله الذي خلق النور من النور ، الحمد لله الذي خلق النور من النور ، وأنزل النور على الطور ، في كتاب مسطور ، في رُق منشور ، بقدر مقدور ، على نبي محبور ، الحمد لله الذي هو بالعرز مذكور ، وبالفخر مشهور ، وعلى السراء والضراء مشكور ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين » .

قال سلمان : فتعلمتهن ، فوالله لقد علمتهن أكثر من ألف نفس من أهل المدينة ومكة ، ممن بهم الحمى ، فكل برىء من مرضه بإذن الله تعالى .

ومنها صلاة الاستغاثة بهذه المخدرة (صلوات الله عليها) ، وجاء في الرواية : إذا مسك يوماً حاجة وضاق صدرك فتوجه إلى الله تعالى وصل ركعتين ، فإذا سلّمت فكبر ثلاث تكبيرات ، وسبح تسبيح الزهراء (عليها السلام) ، ثم اهبط إلى السجود وقل مئة مرة : يا مولاي يا فاطمة أغثيني ، ثم ضع الجانب الأيمن من وجهك على الأرض ، وكرر ما قلته في سجودك مئة مرة ثانية ، ثم عد إلى السجود وأعد القول مئة مرة ثالثة ، ثم ضع الجانب الأيسر من وجهك على الأرض وأعد القول مئة مرة رابعة ، ثم عد إلى السجود وأعد القول مئة مرة خامسة ، ثم اذكر حاجتك فإنها ستقضى إن شاء الله تعالى .

ومنها ما نقله المحدث الفيص في (خلاصة الأذكار) عن الزهراء (عليها السلام) أنها قالت : ورد عليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد بسطت فراشي للنوم ، فقال : يا فاطمة لا تذهبي إلى النوم إلّا بعد أربعة أعمال تؤدّينها : أن تحتمي القرآن ، وأن تعجلي الأنبياء شفعاء لك ، وأن ترضي المؤمنين عنك ، وأن تؤدّي الحجّ والعمرة .

قال هذا وانصرف إلى الصلاة ، فمكثت ريشاً أتمّ صلاته وقلت : يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) امرتني بأربعة أمور لا أقدر على إتيانها من فوري ، فتبسم (صلى الله عليه وآله) وقال :

إذا ما قرأت : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ثلاث مرّات فكأنك ختمت القرآن ، وإذا ما صليت عليّ وعلى الأنبياء قبل فيسكون شفعاءك يوم القيامة ، وإذا ما استغفرت للمؤمنين رضوا عنك جميعهم ، وإذا ما قلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلّا الله ، والله أكبر فكأنما أدبت حجاً وعمرة .

أقول : يقول شيخنا في (المستدرک) : نقل بعض معاصرينا من أهل السنّة في كتاب (خلاصة الكلام) في أمراء البلد الحرام هذا الدعاء عن بعض العرفاء :

اللهم رب الكعبة وبانيها ، وفاطمة وأبيها وعلها وبنيها نور بصري وبصيرتي ، وسري وسريتي .

وبالتحقيق المتصل بالتجربة فإنّ هذا الدعاء مفيد في إنارة البصر ، فمن قرأه عند الاكتحال نور الله تعالى بصره .



الفصل الثالث

فجدة وفاة الزهراء (عليها السلام)

اعلم أن هناك اختلافاً كبيراً في يوم وفاة فاطمة (عليها السلام) ، والأظهر عند الأحقر أنّ وفاتها (عليها السلام) كانت في اليوم الثالث من جمادي الآخرة ، كما اختار جماعة من كبار العلماء ، وعندني على هذا المطلب شواهد لا محلّ لذكرها ؛ وبقيت بعد أبيها خمسة وتسعين يوماً ، ومع أنّه ورد في رواية معتبرة أنّ مدّة مكثها في الدنيا بعد أبيها كانت خمسة وسبعين يوماً ، فبالإمكان ذكر وجه في ذلك بيان ليس ههنا مقام ذكره ، ويستحسن العمل بالطريقين في إقامة مجالس العزاء بهذا المصاب كما هو جارٍ فعلاً .

وعلى أيّ حال فإنّ بقاءها في الدنيا بعد أبيها لم يطل ، فضته في حزن وبكاء متواصلين ، وكابدت في هذه المدّة القصيرة من الألم والأذى ما لا يعلمه إلّا الله عزّ وجلّ ، وإذا تأمل متأمّل في تلك الكلمات التي خاطب بها أمير المؤمنين (عليه السلام) رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عند قبره بعد دفن فاطمة (عليها السلام) عرف مقدار ما كابدت تلك المظلومة ، ومن تلك الكلمات :

« ستنبئك ابتك بتظاهر أمتك عليّ ، وعلى هضمها حقّها ؛ فأحفظها السؤال واستخبرها الحال ، فكم من غليلٍ معتلج يصدرها لم تجد إلى بئس سبيلاً ، وستقول : ويحكم الله وهو خير الحاكمين » .

يروى ابن بابويه بسند معتبر أن البكائين خمسة : آدم ، ويعقوب ، ويوسف وفاطمة بنت محمّد (صلّى الله عليه وآله) ، وعليّ بن الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) .

فأمّا آدم فبكى على الجنة حتى صار في خذيّه أمثال الأودية .

وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره ، وحتى قيل له :

﴿ نالھ تفتا تذکر یوسف حتی تھوں حرضاً او تھوں من المالکین ﴾ .

وَأَمَّا يَوْسُفُ فَبَكَى عَلَى يَعْقُوبَ حَتَّى تَأْذَى بِهِ أَهْلُ السِّجْنِ ، فَقَالُوا لَهُ : إِمَّا أَنْ تَبْكِيَ بِاللَّيْلِ وَتَسْكُتَ بِالنَّهَارِ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْكِيَ بِالنَّهَارِ وَتَسْكُتَ بِاللَّيْلِ ، فَصَالِحُهُمْ عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا .

وَأَمَّا فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فَبَكَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حَتَّى تَأْذَى بِهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا لَهَا : قَدْ آذَيْنَا بِكَثْرَةِ بَكَائِكَ ، فَكَانَتْ تَخْرُجُ إِلَى مَقَابِرِ الشَّهَدَاءِ ، فَتَبْكِي حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا ، ثُمَّ تَنْصَرِفُ .

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فَبَكَى عَلَى الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَشْرِينَ سَنَةً ، وَبِرَوَايَةٍ : أَرْبَعِينَ سَنَةً ، مَا وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامَ إِلَّا بَكَى ، وَمَا شَرِبَ مَاءَ إِلَّا بَكَى ، حَتَّى قَالَ لَهُ مَوْلَاهُ : جَعَلْتَ فِدَاكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَالِكِينَ ؛ قَالَ : إِنَّمَا أَشْكُرُ بَنِي وَحْزَنِ إِلَى اللَّهِ ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، إِنِّي لَمْ أَذْكَرْ مَصْرِعَ بَنِي فَاطِمَةَ إِلَّا خَنَفْتَنِي لِذَلِكَ عِبْرَةً .

ويروي الشيخ الطوسي بسند معتبر عن ابن عباس أنه قال :

لَمَّا حَضَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الْوَفَاةَ بَكَى حَتَّى بَلَّتْ دُمُوعُهُ لَحِيَّتَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يَبْكِيكَ ؟ فَقَالَ : أَبْكِي لِدَرْجَتِي وَمَا تَصْنَعُ بِهِمْ شَرَّاءَ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ، كَأَنِّي بِفَاطِمَةَ بِنْتِي وَقَدْ ظَلَمْتُ بَعْدِي وَهِيَ تَنَادِي : يَا أَبْنَاءَ ! فَلَا يَعْينُهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي .

فَسَمِعْتُ ذَلِكَ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فَبَكَتْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : لَا تَبْكِي يَا بِنْتَهُ ، فَقَالَتْ : لَسْتُ أَبْكِي لِمَا يَصْنَعُ بِي مِنْ بَعْدِكَ ، وَلَكِنِّي أَبْكِي لِفِرَاقِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهَا : أَبْشِرِي يَا بِنْتَ مُحَمَّدٍ بِسُرْعَةِ اللَّحَاقِ بِي ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَلْحَقُ بِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي .

وعن (روضة الواعظين) وغيره : مرضت فاطمة (سلام الله عليها) مرضاً شديداً ، ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفيت ، فلما نُعيت إليها نفسها دعت أمّ آيين ، وأسساء بنت عميس ، ووجهت خلف عليّ (عليه السلام) فأحضرتها ، فقالت :

يَا بِنَ عَمٍّ ، إِنَّهُ قَدْ نُعِيَْتَ إِلَيَّ نَفْسِي ، وَإِنِّي لَا أَرَى مَا بِي إِلَّا أَنِّي لَأَحْقَ بِأَبِي سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ ، وَأَنَا أَوْصِيكَ بِأَشْيَاءَ فِي قَلْبِي .

قَالَ لَهَا عَلِيّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : أَوْصِينِي بِمَا أَحْبَبْتَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا وَأَخْرَجَ مِنْ كَانِ فِي الْبَيْتِ ، ثُمَّ قَالَتْ :

يَا بِنَ عَمٍّ ، مَا عَهْدَنِي كَاذِبَةً وَلَا خَائِنَةً ، وَلَا خَالَفْتَنِي مِنْذُ عَاشِرَتْنِي ؛ فَقَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ،

أنت أعلم بالله ، وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أوتخك بخالفتي ، قد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك ، إلّا أنّه أمر لا بدّ منه ، والله جدّدت عليّ مصيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقد عظمت وفاتك وفقدك ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون ، من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها ، هذه والله مصيبة لا عزاء لها ، ورزية لا خلف لها .

ثمّ بكيا ساعة ، وأخذ عليّ (عليه السلام) رأسها وضَمَّها إلى صدره ، ثمّ قال : أوصيني بما شئت ، فإنّك تجديني أمضي فيها كما أمرتني به ، واختار أملك على أمري ؛ ثمّ قالت :

جزاك الله عني خير الجزاء يا بن عمّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أوصيك أولاً أن تتزوَّج بعدي بابة أختي أمانة ، فإنّها تكون لولدي مثلي ، فإن الرجال لا بد لهم من النساء .

ثمّ قالت : أوصيك يا بن عمّ أن تتخذ لي نعشاً ، فقد رأيت الملائكة صَوَّروا صورته ، فقال لها : صفيه لي ، فوصفته فاتَّخذها لها ، فأول نعش عمل على وجه الأرض ذلك ، وما رأى أحد قبله ، ولا عمل أحد .

ثمّ قالت : أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقّي ، فإنهم عدوّي وعدو رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولا ترك أن يصليّ عليّ أحد منهم ، ولا من أتباعهم ، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار .

ويروى في (كشف الغمّة) وغيره أنّه لما قريت وفاة فاطمة (عليها السلام) قالت لأسماء بنت عميس : أحضري لي ماء وضوئي ، فتوضّأت ، وبرواية : اغتسلت أحسن ما يكون من الغسل ، ونظّيت بطيبتها ، ثم لبست أثوابها الجدد ؛ ثمّ قالت :

أي أسماء ، إن جبرئيل عند وفاة أبي أناه بأربعين درهماً من كافور الجنة ، فجعله (صلى الله عليه وآله) ثلاثة أقسام : قسماً لنفسه ، وآخر لي ، وثالثاً لعليّ (عليه السلام) ، فأنني به ، فلما أتت به قالت : ضعيه عند رأسي ، ثمّ تسجّت بثوبها مستقبل القبلة ، وقالت : انتظريني هنيهة وادعيني ، فإن أجبتك وإلّا فاعلمي أنّي قد قدمت على أبي (صلى الله عليه وآله) .

فانتظرتها هنيهة ، ثمّ نادتها فلم تجبها ، فنادت : يا بنت محمد المصطفى ، يا بنت أكرم من حملته النساء ، يا بنت خير من وطئ الحصا ، يا بنت من كان من ربّه قاب قوسين أو أدنى ؛ فلم تجبها ، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الدنيا ، فوقعت عليها قبلها ، وهي تقول : إذا قدمت على أبيك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاقرّيه عن أسماء بنت عميس السلام .

فبينما هي كذلك إذ دخل الحسن والحسين^(١) فقالا : يا أسماء ، ما بُنِيتُمنا في هذه الساعة ؟ قالت : يا ابني رسول الله ، ليست أمكما نائمة ، قد فارقت الدنيا .

فوقع عليها الحسن بقبْلِها مرّة ويقول : يا أمّاه كلّمني قبل أن تفارق روحي بدني ، وأقبل الحسين بقبْلِ رجلها ويقول : يا أمّاه ، أنا ابنك الحسين ، كلّمني قبل أن يتصدّع قلبي فأموت .

قالت لها أسماء : يا ابني رسول الله ، انطلقا إلى أبيكما عليّ (عليه السلام) فأخبراه بموت أمكما ، فخرجا حتى إذا كانا قرب المسجد رفعوا أصواتهما بالبكاء ، فابتدرهما الصحابة فقالوا : ما يبكيكما يا ابني رسول الله ؟ لا أبكي الله أعينكما ، لعلكما نظرنا إلى موقف جدكما فبكيتهما شوقاً إليه ؟

فقالا : أو ليس قد ماتت أمّنا فاطمة (صلوات الله عليها) : قال : فوقع عليّ (عليه السلام) على وجهه فغشي عليه حتى رشّ عليه الماء ، ثم أفاق ، وكان (عليه السلام) يقول : بمن العزاء يا بنت محمد ، كنت بك أتعزّي فقيم العزاء من بعدك ؟ ثم قال :

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل^(٢)
وإن افتقادي واحداً بعد واحد^(٣) دليل على أن لا يدوم خليل
وعن (روضة الواعظين) أيضاً ، وبعد أن انتشر خبر موتها (صلوات الله عليها) :

فصاحت أهل المدينة صيحة واحدة ، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها ، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة أن تزعزع من صراخهنّ ، وهنّ يقلن : يا سيّدته ، يا بنت رسول الله .

وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى عليّ (عليه السلام) وهو جالس والحسن والحسين (عليهما السلام) بين يديه يبكيان ، فبكى الناس لبكائهما .

وخرجت أمّ كلثوم وعليها برقعة ، وتجرّ ذيلها متجلّلة برداء ، غلبها نشيجها وهي تقول : يا أبتاه يا رسول الله ، والآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً .

(١) في رواية أخرى أن أسماء شقّت جيبها وخرجت فتلقاهما الحسن والحسين (عليهما السلام) فقالا : أين أمّنا ؟ فسكنت ، فدخل البيت فإذا هي عمدة ، فحركها الحسين (عليه السلام) فإذا هي ميتة ، فقال : يا أخاه ، أجزك الله في الوالدة فوقع الحسن (عليه السلام) بقبْلِها مرّة ويقول : يا أمّاه . الخ .

(٢) المات قليل - خ .

(٣) فاطمة بعد أحمد - خ .

كيفية دفنها سلام الله عليها

واجتمع الناس فجلسوا وهم يضحجون ، ويتنظرون أن تخرج الجنازة فيصلون عليها ، وخرج أبو ذر^(١) وقال : انصرفوا فإن ابنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أخر إخراجها في هذه العشيّة ، فقام الناس وانصرفوا .

فلما أن هدأت العيون ، ومضى شطر من الليل أخرجها علي والحسن والحسين (عليهم السلام) ، وعمّار والمقداد وعقيل والزبير ، وأبو سلمان وبريدة ، ونفر من بني هاشم وبخاوصه ، صلّوا عليها ودفنوها في جوف الليل ، وسوّى علي (عليه السلام) حواليتها قبوراً مزوّرة مقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها ، وبرواية أخرى : أربعين قبراً رشّت بالماء حتى لا يبين قبرها من غيره من القبور ؛ وبرواية ثالثة أن قبرها سوّى مع الأرض مستوياً ، فمسح مسحاً سواء مع الأرض حتى لا يعرف موضعه .

كلّ هذا كان حتى لا يعرف الآخرون موضع القبر بعينه ، فلا يصلّوا على القبر ، ولا بمنّ لهم أن ينشوه ، ولهذا فقد وقع اختلاف في موضع قبرها ، فمن قائل : إنه في البقيع إلى جوار قبور الأئمة (عليهم السلام) ، ومن قائل : إنه في الروضة ما بين قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومنبره ، ذلك أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : « إن بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة »^(٢) وه منبري على ترعة^(٣) من ترع الجنّة ، ويقول البعض : إنّها مدفونة في دارها ، هذا أصحّ الأقوال ، ويؤيده رواية صحيحة تدلّ عليه .

يروى ابن شهر آشوب وآخرون أنه لما أرادوا أن يوسّدوها القبر امتدت منه يدان أشبه بيدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتناولتا جثمانها (عليها السلام) .

ويروي الشيخ الطوسي والكليني بأسناد معتبرة عن علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين (عليها السلام) قال :

لما مرضت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصّت إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن يكتم أمرها ويخفي خبرها ؛ ولا يؤذن أحداً بمرضها ، ففعل ذلك .

وكان يمرضها بنفسه ، وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس (رحمها الله) ، على استئراجه بذلك كما وصّت به ، فلما حضرته الوفاة وصّت أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يتولّى أمرها ، ويدفنها ليلاً ويعفي قبرها ، فتولّى ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) ودفنها ، وعفى موضع قبرها .

أحزان أمير المؤمنين (عليه السلام)

فلما نفّض يده من تراب القبر هاج به الحزن ، فأرسل دموعه على خديّه ، وحول وجهه إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال :

« السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك من ابتستك وحببتك وقسرة عينك وذاثرتك ، والبائسة في الثرى ببقيعك ، المختار لها سرعة اللحاق بك ؛ قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ، وضعف عن سيّدة النساء تحلدي ، إلّا أنّ في الناسي لي بسنتك ، والحزن الذي حلّ بي لفراقك موضع التعزّي ، ولقد وسدتك في ملحود قبرك ، بعد أن فاضت نفسك بين نحري وصدري ، وعمّضتكم بيدي ، وتولّيت أمرك بنفسي .

نعم ، وفي كتاب الله أنعم القبول ، إنّ الله وإنا إليه راجعون ، قد استرجعت السوديعة ، وأخذت الرهينة ، واختلست الزهراء ، فما أفتح الحضراء والغبراء يا رسول الله .

أما حزني فسرمد ، وأما ليلي فمسهد ، لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم ، كمذّ مقبّح ، وهم مهتج ، سرعان ما فُرق بيننا ، وإلى الله أشكو ، وستنبك ابتك بتظاهر أمّتك عليّ ، وعلى هضمها حقّها ؛ فأحفظها السؤال ، واستخبرها الحال ، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّ سبيلاً ، وستقول : وبحكم الله وهو خير الحاكمين .

سلام عليك يا رسول الله سلام مودّع لا ستم ولا قال ، فإنّ انصرف فلا عن ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظنيّ بما وعد الله الصابرين ، والصبر أئمن وأجل ، ولولا غلبة المسئولين علينا لجعلت المقام عند جفرك لزاماً ، والتلّيت عنده معكوفاً ، ولأعولت إعوال النكل على جليل الرزية ، فبعين الله تدفن بتك سرّاً ، ويهضم حقّها قهراً ، ويمنع إرثها جهراً ، ولم يطل العهد ، ولم يخلق منك الذكر ، فإلى الله يا رسول الله المشتكى ، وفيك أجل العزاء ، فصلوات الله عليها وعليك ، ورحمة الله وبركاته .

نقل العلامة المجلسي عن (مصباح الأنوار) عن أبي عبد الله الصادق ، عن آبائه (عليهم السلام) أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لما وسّد فاطمة (عليها السلام) القبر قال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، باسم الله وبالله ، وعلى ملة رسول الله محمّد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) ، سلّمك آيتها الصديقة إلى من هو أولى بك مني ، ورضيت لك بما رضي الله تعالى لك .

ثم تلا : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارةً أخرى ﴾ .

فلما أهال عليه التراب أمر أن يرش بالماء ، ثم جلس عند القبر يعين بأكية وقلب أحرقة

الحزن ، فأخذ عمه العباس بيده وسار به عن القبر .

يقول الشهيد (ره) في المزار : تستحب زيارة فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وزوجة أمير المؤمنين ، وأم الحسن والحسين (عليهما السلام) .

ويروى أنها (عليها السلام) قالت : أخبرني أبي أنّ من سلم عليه وعلى ثلاثة آيات أوجب الله له الجنة ، فقليل لها ؛ في حياته وحياتك ؟ قالت : نعم وبعد موتنا .

فإذا أراد الزائر زيارتها فليزرها في ثلاثة مواضع : في بيتها ، وفي الروضة ، وفي البقيع .

وكانت ولادتها (عليها السلام) في السنة الخامسة بعد البعثة ، وانتقلت إلى رحمة ربها بعد أبيها بما يقرب من مئة يوم . انتهى .

يقول العلامة المجلسي : يروي السيد ابن طاووس عليه الرحمة :

يقول الزائر عند زيارته للزهراء (عليها السلام) :

« السلام عليك يا سيدة نساء العالمين ، السلام عليك يا والدة الحجج على الناس أجمعين ، السلام عليك أيتها المظلومة الممنوعة حقها » .

ثم يقول : « اللهم صلّ على أمتك وابنة نبيك ، وزوجة وصي نبيك صلاة تزلفها فوق زلفى عبادك المكرمين من أهل السماوات وأهل الأرضين » .

ثم يطلب المغفرة من الله ، فيغفر الله عز وجلّ ذنوبه ، ويدخله الجنة ، وهذه الزيارة المختصرة معتبرة ، ويمكن أداؤها في كل وقت .

يقول المؤلف : تحدثنا في كتاب (المفاتيح) و(هدية الزائرين) عن ثواب الزيارة ، وعن الاختلاف في موضع قبرها ، وكيفية زيارة تلك المظلومة ، ونكتفي بهذا القدر في هذا الموجز .

واعلم أنّه كان لها (عليها السلام) أربعة أبناء : الإمام الحسن ، والإمام الحسين ، وزينب الكبرى ، وزينب الصغرى ، المكناة بأمّ كلثوم (سلام الله عليهم أجمعين) ؛ وابن كانت حاملاً به ، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) قد سباه محسناً ، وقد أسقط هذا الطفل بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

يقول الشيخ الصدوق في معنى الحديث النبوي الشريف الذي خاطب به أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله : « إنّ لك كنزاً في الجنة ، وأنت ذو قرنيها » :

سمعت بعض مشايخي يقول : هذا الكنز الذي أخبر (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه له في الجنة إنما هو محسن هذا ، الذي أسقط في بيته بالقوة .

أقول : أوردت بعض المصائب التي نزلت بالزهراء (عليها السلام) في كتاب خصّصته لذلك وأسميته (بيت الأحزان في مصائب سيّدة النسوان) ، فمن طلبه فليرجع إليه ، والله تعالى الموفّق ، وهو المستعان .



الباب الثالث
في تلخيص سِيّد الأوصياء
عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

الفصل الأول

فجد الوأدة السعيدة أمير المؤمنين (عليه السلام)

ولد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) - على المشهور - بمكة في البيت الحرام في يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة .

أبوه أبو طالب بن عبد المطلب ، وكان أخاً شقيقاً لعبد الله أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وكان هو وإخوته أول الهاشميين ، الذين ولدوا لأب وأم هاشميين .

وفي كيفية ولادته وردت روايات كثيرة ، وما ورد منها بأسانيد كثيرة هو أن العباس بن عبد المطلب كان ويزيد بن قنعب جالسين ما بين فريق بني هاشم إلى فريق عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم أمير المؤمنين (عليه السلام) وكانت حاملاً به لتسعة أشهر ، وكان يوم التمام ، فوقفت بإزاء البيت الحرام وقد أخذها الطلق ، فرمت بطرفها نحو السماء ، وقالت : أي رب ، إني مؤمنة بك وبما جاء به من عندك الرسل ، ويكلّ نبي من أنبيائك ، ويكلّ كتاب أنزلته ، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل ، وإنه بني بيتك العتيق ، فأسألك بحق هذا البيت ومن بناه ، وبهذا المولود الذي في أحشائي ، الذي يكلّمني ويؤنسني بحديثه ، وأنا موقنة أنه إحدى آياتك ودلائلك لما يسّر عليّ ولادتي .

قال العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قنعب :

لما تكلمت فاطمة بنت أسد ، ودعت بهذا الدعاء رأينا البيت قد انفتح من ظهره ، ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا ، ثم عادت الفتحة والترقت بإذن الله ، فرمنا أن نفتح الباب ليصل إليها بعض نساءنا فلم يفتح الباب ، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله تعالى ، وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام ، وأهل مكة يتحدثون بذلك في أفواه السكك ، وتحدثت

المخدرات في حدودهنّ ، فلما كان بعد ثلاثة أيام انفتح البيت من الموضع الذي كانت دخلت منه ، فخرجت فاطمة وعليّ (عليه السلام) على يديها ، وقالت :

معاشر الناس ، إنّ الله عزّ وجلّ اختارني من خلقه ، وفَضَّلني على المختارات ممّن كنّ قبلي ، وقد اختار آسية بنت مزاحم ، فإنّها عبدت الله سرّاً في موضع لا يجب أن يعبد الله فيه إلّا اضطراراً ، وإنّ مريم بنت عمران اختارها الله حيث يسّر عليها ولادة عيسى (عليه السلام) فهزّت الجذع اليابس من النخلة في فلاة من الأرض حتى تساقط عليها رطباً جلياً ؛ وإنّ الله تعالى اختارني وفَضَّلني عليها وعلى كلّ من نساء العالمين ، لاني ولدت في بيته العتيق ، وبقيت فيه ثلاثة أيّام أكل من ثمار الجنة وأرزاقها ؛ فلما أردت أن أخرج وولدي على يدي هتف بي هاتف وقال :

يا فاطمة ، سميه عليّاً فانا العليّ الأعلى ، وإني خلقتك من قدرتي وعزّي وجلالي ، وقسط عدلي ، واشتقت اسمه من اسمي ، وأدبته بأدي ... ووقفتك على غامض علمي ، وولد في بيتي ، وهو أوّل من يؤدّن فوق بيتي ، ويكرّر الأصنام ويرميها على وجهها ، ويعظمني ويمجّدي ويهلّلي ، وهو الإمام بعد حبيبي ونبيّ وخبرتي من خلقي محمد رسولي ، ووصيّته ، فطوبى لمن أحبه ونصره ، والويل لمن عصاه وخذله وجحد حقّه .

وفي بعض الروايات أنه لما ولد أمير المؤمنين (عليه السلام) ضمّه أبو طالب إلى صدره ، وأخذ بيد فاطمة ، وخرج إلى الأبطح ، ونادى :

يا ربّ يا ذا العُسقِ الدُّجِّيِّ والقمر المبتلج المضيّ
بينّ لنا من حكمك المقضيّ ما ذا ترى في اسم هذا الصبيّ

فجاء شيء يدبّ على الأرض كالسحاب ، حتى حصل في صدر أبي طالب ، فضمّه مع عليّ إلى صدره ؛ فلما أصبح إذا بلوح أخضر مكتوب فيه :

خُصِّصَتْهَا بِالْوَلَدِ الزَّكِيِّ وَالطَّاهِرِ الْمُنْتَجِبِ الزَّكِيِّ
فاسمه من شامخ عليّ عليّ اشتقّ من العليّ

فأساءه أبو طالب عليّاً ، وعلّقوا اللوح في الزاوية اليمنى من الكعبة ، وما زال هناك حتى أخذه هشام بن عبد الملك ، فلم ير بعدها .

والأخبار في ولادته (عليه السلام) وكيفيّتها كثيرة ، غير أن المقام لا يتسع لأكثر من ذلك .

وقد اختصّ (عليه السلام) بهذا الكرامة ، ذلك أنّ أشرف البقاع الحرم ، وأشرف

مواضع الحرم المسجد ، وأشرف بقاع المسجد الكعبة ، ولم يولد فيه مولود سواه ، وليس المولود في سيد الأيتام - يوم الجمعة - في الشهر الحرام ، في البيت الحرام سوى أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وفي الحقيقة :

هذه من عُلاه إحدى المعالي وعلى هذه فقيس ما سواها
ولنعم ما قال الجعيري :

ولذنه في حرم الإله وأمنه
بمضاء طاهرة الثياب كريمة
في ليلة غابت نحوس نجومها
مألف في خرق القوايل مثله
والبيت حيث فناؤه والمسجد
طابت وطاب وليدها والمولد
وبدت مع القمر المنير الأسعد
إلا ابن أمنة النبي محمد



الفصل الثاني

في بيان فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)

لا يخفى على أهل العلم والبصيرة أن فضائل أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) يقصر البيان واللسان - بالغين ما بلغا - أن يقيّهاها ، ويضيق أيّ بحث أو كتاب عن احتوائها والإحاطة بها ، بل إنّ ملائكة السماء يمجّزها بلوغ درجاته ، وفي الحقيقة فما أحصى من فضائله (عليه السلام) لا يبلغ عُرفه من بحر ، وفي الأحاديث الواردة عن كلام الحقّ تعالى في فضائله ما لا يحصى تعداده ، وكتاب فضله لا يكفيه لو كان ماء البحر مداده .

فكيف - والحال هذه - أجد الجراءة على الإمساك بالقلم ، لأكتب شيئاً في هذا المقام ؟ غير أنه (صلوات الله عليه) معدن الكرم والفتوة ، وأرجو رجاء الوائق أن يصفح عن جرأتي ، ويتقبّل مني هذا النزر من الكلام ، وما توفيقى إلّا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

اعلم أن الفضائل تكون إمّا نفسية أو بدنية ، وأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أكمل وأفضل الخلق بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في هذين النوعين من الفضائل بوجوه عديدة ، ونكتفي هنا بذكر أربعة عشر وجهاً منها ، راجين التبرّك بهذا الرقم الشريف .

الوجه الأول : أن جهاده (عليه السلام) في سبيل الله وبسلامه في غزوات النبي (صلّى الله عليه وآله) فاق ما قام به الناس كافّة في تلك الغزوات ، ولم يبلغ أحد مبلغه في الجهاد والغداة .

ففي موقعة بدر أرسل بالوليد وشيبة والعاص وحنظلة وطعمة ونوفل إلى الدرك الأسفل مع غيرهم من صناديد المشركين ، وواصل القتال حتى كان مقتل نصف المشركين على يديه ، وقتل سائر المسلمين يعصدهم ثلاثة آلاف من الملائكة والمسومين النصف الآخر .

وفي موقعة أحد ، حيث فرّ الناس ، ثبت (عليه السلام) كالطود بين يدي رسول الله

(صلى الله عليه وآله) يدفع عنه المشركين ، ويعمل القتل فيهم حتى ملأت جسده المقدس الجراحات البالغة ، فلم يفرغه الهول ، وراح يجتدل أبطال الرجال حتى نزل جبرئيل بنداء السماء :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

وفي موقعة الأحزاب قتل عَمْرُ بن عبد ود ، وجاء الفتح على يديه ، حتى قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (في حقّه : « ضربة علي أفضل من عبادة الجن والإنس » .

وفي موقعة خيبر كان مقتل مرحب بطل اليهود على يديه ، واقتلع باب الحصن - على عظمتها - بيد الإعجاز ، ورمى به إلى بعد أربعين قدماً ، في حين عجز أربعون من الأصحاب عن تحريكه .

وفي موقعة حنين ، حين خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعشرة آلاف من المسلمين للحرب ، حتى استكثر أبو بكر عددهم فقال : لن نهزم اليوم من قلّة ، لكن الجميع انهزموا ، ولم يبق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا بضعة رجال كان عليّ (عليه السلام) على رأسهم ، حتى إذا قتل صناديدهم أبا جرول فكرر بقتله قلوب المشركين ، وارتعدت منهم الفرائص ، فلاذوا بالفرار ، ورجع الفرّارون من المسلمين .

إلى غيرها وغيرها من المواقع التي أتى أرباب السير والتواريخ على ذكرها ، ويتّضح منها للمتتبع مبلغ جهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) ومبلغ شجاعته وعظم بلائه .

الوجه الثاني : أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان أعلم الناس وأكثرهم معرفة ، وتظهر أعلميته في جوانب عديدة :

الأول : أنه بلغ (عليه السلام) من الفطنة وقوّة الحدس وشدة الذكاء الغاية ، وكان يلزم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ملازمة متواصلة ، فاستفاد من تلك الملازمة ، واقتبس من نور مشكاة النبوة ، وهذا أوضح برهان على أعلميته (عليه السلام) بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ، وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) علمه - قبل ارتحاله إلى الرفيق الأعلى - ألف باب من العلم ، كلّ باب منها يفتح على ألف باب .

كما يستفاد من الأخبار المعتبرة المستفيضة ، بل المتواترة ، والتي رواها الشيعة والسنة معاً ، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال فيه : « أنا مدينة العلم وعليّ بابها » .

والثاني : اتفق مرّات كثيرة أن الصحابة كانت تشبه عليهم الأحكام الشرعية ، فبقي بعضهم خطأ ، فيرجعون إليه فيصوّبها لهم ، ولم ينقل قطّ بأنه رجع إليهم مرّة واحدة ، وهذا

يشهد بأعلميته ، وحكايات أخطاء الصحابة ورجوعهم فيها إليه لا تغفى على الماهر الخبير .

الثالث : مفاد الحديث النبوي : « أفضاكم علي » ، يستلزم الأعلمية ، ذلك أنّ القضاء يستلزم العلم .

الرابع : حقيقة استناد الفضلاء والعلماء من أهل كلّ فنّ عليه ، وينقل عن ابن أبي الحديد قوله :

قد عرفت أنّ أشرف العلوم هو العلم الإلهي ، وأرباب هذا الفنّ هم من تلامذته ، فأما من الشيعة والإمامية ، فرجوعهم إليه ظاهر ، وأما من العامة فأسناد هذا الفنّ من الأشاعرة أبو الحسن الأشعري ، وهو تلميذ أبي عليّ الجبائي ، وأبو عليّ أحد مشايخ المعتزلة ، وكبير المعتزلة وأصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن هاشم بن محمد بن الحنفية ، وأبو هاشم تلميذ أبيه ، وأبو محمد تلميذ أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) .

ومن العلوم علم تفسير القرآن ، وعنه أخذ ومنه فرّع ، وابن عباس واحد من كبار المفسّرين ومشايخهم ، وهو تلميذ أمير المؤمنين (عليه السلام) .

ومن العلوم علم النحو والعربية ، وقد علم الناس كافّة أنّه هو الذي ابتدعه وأنشأه ، وأمل على أبي الأسود الدؤلي - أستاذ هذا العلم - جوامعه وأصوله .

ومن العلوم علم الفقه ، وكلّ فقيه في الإسلام إمّا هو عيال عليه ، ومستفيد من فقهه .

ومن العلوم علم الطريقة ، وإن أرباب هذا الفنّ في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون ، وعنده يقفون ؛ كما أن أصحاب نفس الأولياء والخرقة التي هي شعارهم يسندونها - بإعتقادهم - بإسناد متصل إليه (عليه السلام) .

الخامس : أنه ما أكثر ما أخبر عن وفير علمه بنفسه في مواقف متعدّدة ، كما في قوله :

« سلوني قبل أن تفقدوني ، فإنّي بطرق السهوات أخبر منكم بطرق الأرض » .

وكان الناس يواصلون سؤاله عن أمور مشكّلة وعلوم غامضة ويسمعون منه الأجوبة عنها ، ومن غرائب هذه الكلمات أن كلّ من أدعاهما بعده بآء بالمدّة والافتصاح ، وهذا ما جرى لابن الجوزي^(١) ، ولقاتل بن سليمان^(٢) ، والواعظ

(١) حكاية ابن الجوزي في هذا المقام بلغت حدّاً من الانتشار لا حاجة معه لذكرها .

(٢) أمّا حكاية مقاتل بن سليمان وكان من أجلة أهل السّنة وأعيانهم وجاء في تاريخ ابن خلّكان عن إبراهيم الحرّبي عن مقاتل أنّه قال يوماً : سلوني عمّا دون العرش ، فقال له رجل : لما حجّ آدم فمن خلق له ؟ =

البغدادي^(١) في عهد الناصر العباسي، ومما جرى من افتضاحهم بعد التفوه بهذه الكلمات

= (سيرد الجواب عن هذا السؤال في المجلد الثاني عند الحديث عن فضائل الإمام علي النقي (عليه السلام)) .

قال مقاتل : هذا السؤال ليس منك ، لكن الله شاء أن يتلني بالعجز والنلة بسبب العُجب الذي حصل عندي .

(١) أما حكاية الواعظ البغدادي فقد كان في عهد الناصر لدين الله العباسي واعظ مشهور يعلم الحديث والرجال ، وكان إذا نزل عن المنبر جمع حوله خلقاً كثيراً من العرفاء والعوام ، وكان عدواً للحكام المناهين وطلبة العلوم العقلية وأهل الكلام ، وكان يتناول رجال الشيعة بكلام قبيح أكثر من هؤلاء كلهم ، فاتفق كبار الشيعة على تعيين واحد منهم يقوم - إذا تناولهم الواعظ بكلامه البذيء - بتوجيه أسئلة له عن معضلات المسائل والأمور المشككة ، فيخجله ويفضحه بين الناس ، واختاروا من بينهم رجلاً اسمه أحمد بن عبد العزيز ، وكان رجلاً شيعياً لديه من علم الكلام والأدب وأمور المعتزلة نصيب وافٍ ، وذات يوم أعلل الواعظ المنبر ، واجتمع من الناس خلق كثير ، وبدأ الواعظ الحديث عن صفات القادر ذي المنن ، وأثناء حديثه وقف أحمد بن عبد العزيز وسأله عن مسائل عقلية ذات صلة بطريقة التكلمين من المعتزلة ، فلما لم يستطيع الواعظ الإجابة لجأ إلى أسلوب المحاجة والمجدل بكلمات خطائية وألفاظ مسجّمة مفقاة صقلها ولقّنها ، وقال في آخر حديثه : أعين المعتزلة حول ، وأصواتي في مسامعهم طبول ، وكلامي في أفئدتهم يصول ، يا من بالاعتزال - وبحك - كم تحوم ونجول ، حول من لا تدركه العقول ، كم أقول وكم أقول ، خلّوا هذا الفضول .

ولما سمع الناس من الواعظ هذه الأقوال المسجّمة والكلمات المعسولة جازت عليهم الخدعة وصرخوا في أحمد أن اصمت ، فسّر الواعظ وطرب ، وراح يشطح في أقواله ككرة بعد ككرة : ويقول : سلوني قبل أن تفقدوني .

فوقف أحد ثانية وقال : أيها الشيخ ، ما هذا القول الذي تقول ؟ هذا الكلام لم ينطق به إلا علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، والخبر معلوم بتناهم ، وتنمة الخبر أنه (عليه السلام) قال : لا يقولها بعدي إلا مدّع كذاب .

كان الواعظ لا يزال تحت تأثير سروره وطربه ، وأراد أن يغتنم من جواب أحمد فرصة يظهر فيها معرفت بعلم الرجال فقال : أي علي بن أبي طالب؟ هل هو علي بن أبي طالب بن الميارك النيشابوري من قصد ، أم علي بن أبي طالب بن إسحاق المروزي ، أم ابن عثمان القيرواني ، أم ابن سليمان الرازي ؟ حتى عدد سبعة أو ثمانية من رواة الحديث ويحملون اسم علي بن أبي طالب .

وإذ ذاك وقف أحمد بن عبد العزيز ومعه رجلا عن يمينه ويساره لحمايته وقفوا وأرواحهم على أكفهم وقال أحمد :

اهدأ أيها الشيخ ، فأنزل هذا الكلام هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وزوج فاطمة سيدة نساء العالمين (عليها السلام) ، فإن كنت لم تعرفه بعد أزيدك إيضاحاً : صاحب هذا القول هو ذلك الذي لما آخى محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) بين أصحابه اتخذه أخاً له ، ونداه : يا أخي ، وقال : علي مني ، إن لم تكن بعد قد سمعت بمكانته ومنزلته ، وإن لم تكن قد عرفت مقامه الرفيع وعمله النسيم ! ولما أراد الواعظ أن يرّد على أحمد صرخ الرجل عن يمينه :

مسطورة في كتب السير التواريخ ، وهذا أيضاً برهان على مقصودنا ، ذلك أنه (عليه السلام) قال : « لا يقولها بعدي إلا مدع كذاب » ، كما أنه مرة وضع يده المباركة على صدره وقال : « إن ههنا لعلماً جاء » ، وقال في مقام آخر :

« والله لو كُسرَت (نُتيت) لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بنورائهم » .

وإجمالاً فلم يؤثر عن أحد ما أثر عنه (عليه السلام) من أصول العلم والحكمة ، وقضايا كثيرة ، وها نحن نرى اليوم حكماء كابن سينا ، ونصير الدين المحقق الطوسي ، وابن ميثم وأمثالهم ، وكذلك علماء أعلام وفقهاء كرام كالعلامة والمحقق والشهيد وآخرين رضوان الله عليهم ، نراهم يستمدون من بعضهم بعضاً تفسير كلماته (عليه السلام) وتأويلها ، ويستفيدون علوماً كثيرة من كلماته وقضاياه .

الوجه الثالث : من الوجوه التي تدلّ على فضله وأفضليته ما يُستفاد من آية التطهير المباركة ، وآية المباهلة وآية الهداية ، بيان شرح في محله ، ولا يتسع هذا المختصر لبسطه ، نعم ، يؤثر عن الفخر الرازي كلام في ذيل آية المباهلة نرى من المناسب إبراده هنا .

يقول الفخر بن الخطيب : يستدلّ الشيعة من هذه الآية أنّ عليّاً (عليه السلام) أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد (صلى الله عليه وآله) ، وأفضل من سائر الصحابة ، والذي يدلّ عليه قوله تعالى : ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾ وليس المراد بقوله : « وأنفسنا » نفس محمد

= اصمت أيها الشيخ ، إن بين الأسماء كثيرين ممن يسمون : محمد بن عبد الله ، لكن ذلك الذي قال الله عز وجل في شأنه : ﴿ ما ضلّ صاحبكم وما غوى ﴾ وما ينطق عن الهوى ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ، وإنما هو رجل آخر .

كذلك فعلى بن أبي طالب كثير في الأسماء ، لكن ذلك الذي قال صاحب الشريعة في شأنه : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » ، وإنما هو رجل آخر ؛ وأعلم أيها الشيخ أن الأسماء كثيرة والكنى وقيرة ، وإنما يعرف الرجل بمكانه .

الثقت الواعظ إليه ليبيح ، إذ بالآخر الذي على يسار أحمد يصرخ : أيها الشيخ ، دعك من اللغو والباطل ، وإنما أنت رجل جاهل ، فإن كنت لا تعرف عليّ بن أبي طالب فانت مغرور ! وأنشد :

وإذا خفيت على الغبي فعاذر أن لا تراني مقلّة عبياء

وهنا عمّ الاضطراب المجلس ، وعمّت الناس الفوضى ، وتوالت اللكمات والصفعات على الوجوه والروؤس ، فمن أثواب ممزقة ، إلى رؤوس عارية ؛ أما الواعظ فأصابه الرعب ، ونزل عن المنبر ، فأحاط به أصحابه وأخذوه إلى بيته ، وبلغ قصر الخليفة ما جرى ، فبعث برجالهم ففرّقوا بين المتقاتلين ، وأمّ الناصر لدين الله الناس في صلاة أخرى حتى تمكّنوا من الإمساك بأحد ورفيقه ، ولما هدأت الفتنة أطلقوها .

(صلى الله عليه وآله) لأن الإنسان لا يدع نفسه ، بل المراد به غيره ، واجمعوا على أن ذلك الغيـر كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فدلّت الآية على أن نفس علي هي نفس محمد ، ولا يمكن أن يكون المراد أن هذه النفس هي عين تلك النفس ، فالمراد أن هذه النفس مثل تلك النفس ، وذلك يقتضي الإستواء في جميع الوجوه ، ترك العمل بهذا العموم في حق النبوة ، وفي حق الفضل ، لقيام الدلائل على أن محمداً (صلى الله عليه وآله) كان نبياً ، وما كان علي كذلك ؛ ثم الإجماع دلّ على أن محمداً (صلى الله عليه وآله) كان أفضل من سائر الأنبياء والصحابة ، فعلى كذلك أفضل من سائر الأنبياء والصحابة . انتهى موضع الحاجة من كلام الفخر الرازي .

ولنعم ما قال ابن حمّاد (ره) :

وسمّاه ربّ العرش في الذكر نفسه فحبسك هذا القول إن كنت ذا خبر
وقال لهم هذا وصيّ ووارثي ومن شدّ ربّ العالمين به أزري
عليّ كزري في قميصي إشارة بأن ليس يستغني القميص عن الزرّ

أشار ابن حمّاد في كلّ بيت من هذه الأبيات إلى فضيلة من فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ففي البيت الأول إشارة إلى آية المباهلة ، وفي الثاني إشارة إلى حديث الغدير ، وتعيين النبي (صلى الله عليه وآله) له (عليه السلام) وصياً ؛ وفي الثالث إشارة إلى الحديث الشريف الذي قاله في أمير المؤمنين (عليه السلام) ، كما يقول ابن شهر آشوب بأن القول : أنت زري من قميصي ، يعني ما بيني وبينك إنما هو كما بين الزرّ والقميص ، فابن حمّاد يشير في شعره إلى هذا التشبيه ، وأنه كما يحتاج القميص إلى الزرّ ولا يستغني عنه ، فالنبي (صلى الله عليه وآله) يرى علياً لازماً له ، ولا يستغني عنه .

الوجه الرابع : كثرة جوده وسخائه (عليه السلام) ، وهذا الأمر أشهر من أن ينوّه به ، فقد كان (عليه السلام) يصوم أياماً ، ويقضي ليالي طوايماً ليعطي قوته لغيره ؛ وسورة « هل أتى » نزلت في صدد إثارة (عليه السلام) ، كما أن الآية الشريفة : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار ، سرّاً وعلانية ﴾ إنما نزلت فيه ؛ كان يعمل أجيراً ثم يتصدّق بأجرته ، وكان يشدّ حجراً على بطنه من الجوع .

ويكفي في هذا المقام شهادة معاوية ، وهو ألدّ عدوّ له ، بسخائه (عليه السلام) ، ذلك أنّ الفضل ما شهدت به الأعداء ، قال معاوية في حقه : إنّه ، أي عليّ (عليه السلام) ، لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تين لأنفد تبره قبل تينه .

ولمّا ارتحل (عليه السلام) عن هذه الدنيا لم يترك سوى دراهم لشراء خادم لاهله ،

وخطابه للأموال الدنيوية بقوله : يا بيضاء ويا صفراء غري غيري ، وكنسه لبيت المال بعد تصدقه بالأموال ، ثم صلاته فيه ، كل هذه أمور مسطورة في كتب السنة والشيعة على السواء .
 يروي الشيخ المفيد (رحمه الله) عن سعيد بن كلثوم أنه قال :

كنت عند الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) ، فذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإطاره ومدحه بما هو أهله ، ثم قال : والله ما أكل علي بن أبي طالب (عليه السلام) من الدنيا حراماً قط حتى مضى لسيله ، وما عرض له أمران قط هما الله رضى إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه ، وما نزلت برسول الله (صلى الله عليه وآله) نازلة قط إلا دعاه ثقة به ، وما أطاق عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من هذه الأمة غيره ، وإن كان ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنة والنار : يرجو ثواب هذه ، ويخاف عقاب هذه ، ولقد اعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار مما كذب يديه ورشح منه جبينه ، وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة ، وما كان لباسه إلا الكرايس^(١) ، إذا فضل شيء عن يده من كمه دعا بالجلم^(٢) فقضه .

ولم يشبهه أحد من أهل بيته في ملبسه وفقهه كما أشبهه علي بن الحسين (عليه السلام) .

الوجه الخامس : كثرة زهد أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ولا شك أنه كان أزهد الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والزهاد كآفتهم يستمدون الإخلاص منه ، فهو سيد الزهاد ، ما شيع من طعام قط ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً ، يأكل فتات خبز الشعير اليابس ، وكان يربط جراب الخبز ويختم عليه خوفاً من أن يلتته ابنه بالزيت أو الدهن بداعي العطف أو الإشفاق ، وقليل ما كان يضم الإدام إلى الخبز ، وإن فعل فالملح أو الخل .

وجاء في كيفية استشهاده (عليه السلام) أن أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) قالت :

ولما كانت ليلة تسع عشرة في شهر رمضان قدمت إليه عند إفطاره طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش ، فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره ، فلما نظر إليه وتامله حرك رأسه وبكى بكاء شديداً عالياً وقال : يا بنية . . . أنتقدمين إلى أبيك إدامين في طبق واحد ؟ أنا أريد أن أتبع أخي وابن عمي رسول الله (صلى الله عليه وآله) . . إلى أن قال : يا بنية والله لا أكل شيئاً حتى ترفعي أحد الإدامين ، فلما رفعت تقدمت إلى الطعام فأكل

(١) الكرايس : الثياب الحشنة القاسية (فارسية) .

(٢) الجلم : آلة كالمقص .

قرصاً واحداً بالملح الجريش ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قام إلى صلاته .

وجاء في كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة :

« .. ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطبرية^(١) ، ومن طعمه بقرصيه » ، وقال :
« .. ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا
القرص^(٢) ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني طمعي إلى تحخير الأطعمة - ولعل بالحجاز أو
البيامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشبع .. أو أبيت مبطاناً وحوالي بطون غرني^(٣)
وأكباد حرى^(٤) .. أقتنع من نفسي بأن يقال : هذا أمير المؤمنين ، ولا أشاركهم في مكاره
الدهر .. فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات ، كالبهيمة المربوطة ، منها علفها » .

وإجمالاً فمن يتأمل بإمعان في خطبه وكلامه (عليه السلام) يعلم علم اليقين ما بلغه في
زهده وعدم اكترائه بالدنيا .

يروى الشيخ المفيد أنه في سفره (عليه السلام) إلى البصرة لدفع أصحاب الجمل ،
نزل في الرتبة ، ونزل حجاج مكة هناك واجتمعوا قرب خيمته علّهم يسمعون منه كلاماً ، أو
يستفيدون منه فائدة ، بينما كان هو في خيمته .

وجاء ابن عباس بنجره خبر اجتماع القوم ، ليخرج إليهم من الخيمة ، قال :

ذهبت إليه وكان يرقع نعله ، فقلت له : إنما نحن أحوج إليك لإصلاح أمورنا من
إصلاحك لهذا النعل ، فلم يجبني حتى فرغ من إصلاح النعل ، ثم وضعه بجانب أخيه وقال :
ضع نعلنا لهذا الزوج من النعال ، قلت : لا قيمة له ، وأعني أنه من قدمه وما أصابه من البلى
لا يساوي شيئاً ؛ فقال : مع كل هذا ؛ ما قيمته ؟ قلت : درهم أو بعض درهم ، قال : أما
والله إن هذين التعلين أفضل عندي وأحب إلي من أمركم هذا ، إلا أن أقيم حداً أو أدفع
باطلاً .

ومن كلامه (عليه السلام) في كتاب بعث به إلى ابن عباس ، ما هو جدير بأن يكتب
بماء الذهب ، قال :

« أما بعد ، فإن المرء قد يسهّر درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوّه فوت ما لم يكن ليذكره ؛
فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها ؛ وما نلت من دنياك فلا

(١) الطمر بالكسر : الثوب الخلق البالي .

(٢) بطون غرني : جاعة .

(٣) أكباد حرى - مؤنث حران - أي عطشان .

تكثر به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزءاً ، وليكن همك في ما بعد الموت .

وبعد أن قرأ ابن عباس هذا الكتاب قال : ما جئني نفعاً - بعد كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) - كما جئته من هذه الكلمات .

وإجمالاً فإن مطالعة هذه الكلمات من أجل الزهد في الدنيا كافية وإفية لكل عاقل .

الوجه السادس : أنه كان (عليه السلام) أعبد الناس ، وسيد العابدين ، ومصباح المهتدين ، فصلاته من جميعهم أكثر ، وصيامه أوفر ، أخذ عنه العباد صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة ، ومن مشعلته أضاءوا شمع اليقين في طريق الدين ، وكانت جبهته كثفة البعير لطول سجوده ، وبلغ من حرصه على أداء ورده ما روي من أنه ليلة الحرير في صفين ومُد له نفع ما بين الصفتين صلى عليه ، والسهام تتناوشه من يمين ويسار وتقع على الأرض ، فلا يرتاع ولا يقوم حتى يفرغ ، ولما أصيبت قدمه بسهم أرادوا إخراجه بطريقة لا تؤلمه ، فصبروا حتى انصرف إلى صلاته فأخرجوه ، ذلك أنه إذ ذاك كان يتوجه بكلية إلى الله عز وجل ، فلا يلتفت إلى ما سواه قط ، ومما صح نقله أنه كان يصلي في كل يوم ليلة ألف ركعة ، وكثيراً ما كان يغشى عليه خوفاً ورهبة من الله عز وجل ، وكان علي بن الحسين (عليهما السلام) مع ما عرف عنه من كثرة العبادة حتى سمي بزين العابدين وذو الثغتان وكان يقول : « ومن يقدر على عبادة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ؟ »

الوجه السابع : أنه كان (عليه السلام) أحلم الناس وأكثرهم عفواً عمن أساء إليه ؛ وتعرف صحة هذا الأمر مما فعله (عليه السلام) مع أعدائه كمروان بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وقد ملك أمرهم في حرب الجمل ، إذ أضحووا أسراه ، فأطلقهم جميعاً ولم يتعرض لهم أو يقتص منهم ؛ ولما ظفر بصاحبة اليهودج عاملها بغاية اللطف والإشفاق ؛ وشهر أهل البصرة سيوفهم عليه ، وعلى أولاده ، كما شهروا السيوف ، فلما ظفر بهم جردهم من سيوفهم ، وأعطاهم الأمان ، وحال دون التعرض لأموالهم وأبنائهم .

كما يتبدى هذا الأمر بوضوح في ما فعله مع معاوية في موقعة صفين ، فقد استولى أصحاب معاوية على الماء في البداية ، ومنعوا أصحاب علي (عليه السلام) منه ، فلما قاتلوههم وملكوا عليهم الماء ، وصار أصحاب معاوية في القلعة ولا ماء لهم ، قال له أصحابه : امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ، ولا تسقهم منه قطرة ، واقتلهم بسيوف العطش ، وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب ، فقال : لا والله لا أكافيهم بمثل فعلهم ، أفسحوا لهم عن بعض الشريعة ففي حد السيف ما يغني عن ذلك .

ويروي كثير من علماء السنة في كتبهم أن أحد ثقاتهم قال :

رأيت علي بن أبي طالب (عليه السلام) في منامي ذات ليلة فقلت له : يا أمير المؤمنين ، لما تمّ لكم فتح مكة جعلتم دار أبي سفيان مأمناً ، وقتلتم : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، وهذا ابنه ينزل بابنك الحسين (عليه السلام) أعظم الفواجع في كربلاء !! فقال (عليه السلام) : لعلك لم تسمع بأشعار ابن الصفيّ ؟ قلت : لا ، قال : فاسمعي إذا .

يقول الراوي : لما صحوت من نومي بادرت إلى دار ابن الصفي ، المعروف بـ « حصص بصر » وقصصت عليه رؤيائي ، فصاح صيحة وبكى ثم قال : أما والله لقد قلت الليلة أشعاراً لم أسمعها أحداً ولم أكتبها ، ثم أنشد :

ملكنّا فكان العفروننا سجيّة فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحلّلتنم قتل الأسارى وطالما غدنونا على الأمرى فتغفرو ونصفح
وحسبكُم هذا التفاوت بيننا وكلّ إناء بالذي فيه ينضح

الوجه الثامن : حسن خلقه وبشر وجهه وتبسّمه وطلاقة عيّاه (عليه السلام) أمور معروفة عنه حتى عابه بها أعداؤه ، فهذا عمرو بن العاص يقول : إنّه ذو دعابة شديدة ، وعمرو بن العاص إنّما أخذها عن عمر لقوله لما عزم على استخلافه : لله أبوك ، لولا دعابة فيك !!

وقال صعصعة بن صوحان وغيره في وصفه : كان فينا كأحدنا ، لين جانب وشدة تواضع وسهولة قياد ، وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه .

وقال معاوية لقيس بن سعد : رحم الله أبا حسن ، فقد كان هشاً بشاً ذا فكاهة ؛ قال قيس : نعم ، كان رسول الله يمزح ويسم إلى أصحابه ، وأراك تسرّ حسواً في ارتغاء^(١) رفعه ، وتعييه بذلك ؛ أما والله ، لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسّه الطوى ، تلك هبة التقوى ، ليس كما يهابك طغام^(٢) أهل الشام .

الوجه التاسع : أنه كان (عليه السلام) أسبق الناس إلى الإيمان بالله ورسوله باعتراف الخاصّة والعامة ، وهي فضيلة لا ينكرها أعداؤه ، وليس الإنكار بمقدورهم ، كما أنّه نفسه نوه بهذه النقبة من فوق المنابر فما جحدتها أحد .

يروى عن سلمان (رضي الله عنه) أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال :

« أولكم وروداً عليّ الحوض وأولكم إسلاماً عليّ بن أبي طالب » .

(١) الارتغاء : الحطّ والإذلال .

(٢) الطغام : أوغاد الناس .

وقال (صلى الله عليه وآله) لفاطمة (عليها السلام) : « زوّجتك أقدمهم إسلاماً ، وأكثرهم علماً » .

وقال أنس : بعث الله عزّ وجلّ محمداً (صلى الله عليه وآله) يوم الاثنين ، وأسلم عليّ (عليه السلام) يوم الثلاثاء .

ومن قول خزيمة بن ثابت الأنصاري في هذا الصدد :

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفاً عن هاشمٍ ثمّ منها عن أبي حسن
اليس أوّل من صلّى بقبيلتهم وأعرف الناس بالآثار والسنن
وأخّر الناس عهداً بالنبيّ ومن جبريل عون له في الغسل والكفن
ويروي الشيخ المفيد عن يحيى بن عفيف قال : قال أبي :

كنت يوماً جالساً مع العباس بن عبد المطلب في مكّة إذ دخل شاب المسجد الحرام ،
ورفع رأسه إلى السماء ، وحلّ الزوال فتوجه إلى الكعبة ووقف للصلاة ، وإذ ذاك رأيت طفلاً
يأتي ويقف إلى يمينه ، ثم أتت بعدها امرأة ووقفت خلفها ، فلما ركع الشاب ركع الطفل
والمرأة بعده ، ثم رفع الشاب رأسه من الركوع وهبط إلى السجود ، وتابعه رفيقه .
عجبت لأمرهم وقلت للعباس : إن أمر هؤلاء الثلاثة لعظيم ! قال أتعلم من هم ؟
الشاب هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ابن أخي ؛ أمّا الطفل فهو عليّ بن أبي طالب ،
ابن أخي الآخر ، وتلك المرأة هي خديجة بنت خويلد ، وأعلم أنّ ابن أخي محمداً بن عبد الله
يزعم أنّ إله ربّ السماوات والأرض ، وقد أمره أن يسير على هذا الدين ، فوالله ليس على
وجه الأرض على دينه سوى هؤلاء الثلاثة .

الوجه العاشر : فصاحته (عليه السلام) ، فهو إمام الفصحاء وسيدّ البلغاء ، حتى قال
عنه معاوية : والله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره ؛ وقال البلغاء في كلامه : دون كلام الخالق
وفوق كلام المخلوقين ؛ وكتاب (نهج البلاغة) أفضل شاهد على ذلك ، والله ورسوله أعلم
بمقدار فصاحته ، ودقائق الحكمة في كلامه ممّا لا يباريه فيه أحد .

ولست أعلم أحداً جرؤ على تلفيق ما يماثل خطبه أو كلماته ؛ وإن كان بعض علماء السنة
والجماعة لا يعدّون الخطبة الشقيّة من بين خطبه ، ويزعمون نسبتها إلى السيّد الرضيّ جامع
نهج البلاغة ، فهم قد ركّبوا مركباً صعباً ودقيقاً ، ذلك أنّه لا يخفى على أهل الأدب والحرّة
سخافة هذا الزعم ، فقد ذكر رواة الأخبار أنّهم عثروا على هذه الخطبة في كتب السلف قبل
ولادة السيّد الرضيّ ؛ والشيخ المفيد الذي كانت ولادته قبل السيّد الرضيّ بإحدى وعشرين
سنة يذكر في كتاب (الإرشاد) أنّ جماعة من أهل النفل يروون بطرق مختلفة عن ابن عباس أنّ

أمير المؤمنين (عليه السلام) خطب هذه الخطبة في الرحبة ، وذلك في حضوره هو ؛ ويتفق ابن أبي الحديد مع كثير من أهل الأدب وفصحاء العرب على أنّ السيّد الرضي (ره) أو غيره لم يتفوه قطّ بأمثال هذا الكلام .

الوجه الحادي عشر : معجزاته الباهرة عليه السلام .

اعلم أن المعجزة أمر يظهر على أيدي البشر ممّا يخرج عن حدود طاقتهم في العادة ، ويعجزون عن الإتيان بمثله ، ولكنه لا يوجب أن ترافق المعجزات صاحبها على الدوام ، فإذا رئي صاحب المعجزة رثيت معجزته أيضاً ، بل إن صاحب المعجزة إذا لقي تحدياً ، أو استلزم مدّعاء معجزة استجاب للتحدي فأتى بأمر خارق للعادة .

بيد أنّ كثيراً من معجزات أمير المؤمنين كانت تلازمه باستمرار ويراها الصديق والعدو ، ولا قدرة لأحد على إنكارها ، وهي تزيد كثيراً على ما ذكر منها ، ومن جملتها شجاعته وقوّته ، فهو باتفاق العدو والصديق الكرار لا الفرار ، وهو غالب كلّ غالب ، وهذا واضح وظاهر لكلّ من نظر إلى غزواته كما في بدر وأحد ، وموقعي الجمل وصقّين ، وغيرها من المعارك ، وفي ليلة الهرير كانت له خمسمئة تكبيرة أو تسعمئة على قول ، وأسقط بكلّ تكبيرة عدوّاً ، ومعروف أنّ سيفه كان يخترق دروع الحديد والفولاذ ، وكانت شفرته تفري الحديد وتفري رقاب الرجال ، فمن يقدر على ذلك ، أو من يبلغ هذا الشاؤ ولو بالتمني ؟ لم يكن (عليه السلام) يريد في هذه المواقع أن يظهر معجزة أو يأتي بما هو خارق للعادة ، إنّما هي شجاعته وقوّته الملازمتان دوماً لقلابه البشري .

ويورد ابن شهر آشوب أموراً كثيرة في صدد قوّته (عليه السلام) كتتمزيقه قباظه^(١) وهو طفل ، وقتله حبّة بالضغط عليها بيده وهو صغير في المهد ، وقد أسمته أمّه حيدرة ، وإنّ أثر إصبعه على أسطوانة في الكوفة ، وأثر كفّه في تكريت والموصل ، وأثر سيفه في صخرة في جبل ثور في مكة ، وأثر رمح في جبل من جبال البادية ، وفي صخرة عند قلعة خيبر ، كلّها أمور معروفة ؛ وقصّة قطب الرحى^(٢) وتطويق عتق خالد بن الوليد ، وقصّة ضغطه عليه بإصبعيه

(١) وردت قصة تمزيقه قباظه في رواية لجاعة عن أمّه فاطمة قالت :

لما ولد علي (عليه السلام) شدته وقمّطته بقباط فنثر القباط ، ثم جعلته قباطين فنثرها ، ثم جعلته ثلاثة وأربعة وخمسة وستة ، منها أديم وحرير فجعل ينثرها ، ثم قال : يا أمّاه لا تشدّي يديّ فإني احتاج أن أبصص (أشير) لربي بإصبعي .

(٢) أمّا قصّة قطب الرحى : فهي أن خالد بن الوليد قال : أتى الأصلح - يعني عليّاً (عليه السلام) - عند منصري من قتال أهل الرّدة في عسكري ، وهو في أرض له ؛ يقول عليّ (عليه السلام) : إنّهُ لما رأى تكاثف جنوده وكثرة جموعه أراد أن يضع منّي في موضعي ، فوضعت منه عند من خطر بياله ، ومّت به

السبابة والوسطى حتى قارب خالد الهلاك فصرخ مثلاً ، وأحدث في ثيابه ، كلها أيضاً أمور معروفة للجميع ، وكذلك اقتلاع الصخرة العظيمة عن عين ماء في طريقه إلى صفين ، وإلقاؤها إلى بُعد أذرع كثيرة ، بعد أن عجز جماعة كثيرون عن قلعها^(١) ، كما أن حكاية قلع باب خيبر وقتل مرحب أشهر من أن تعرف ، وقد أشرنا إليها عند الحديث عن أحوال الرسول (صلى الله عليه وآله) .

يقول ابن شهر آشوب ما حاصله : إن من عجائب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ومعجزاته أنه جاهد إلى جانب رسول الله (صلى الله عليه وآله) السنين الطوال ، وحارب أيام خلافته الناكثين والمارقين والقاسطين فلم يتهزم في موقعة قط ، وهو على كثرة ممارسته للحرب لم يصب بجرح منكر ولم ينل شيئاً ، ولم يلق مبارزاً قط إلا نظفر عليه ، ولم يفلت منه قرن في حرب ، ولا نجا من ضربته أحد ، وما قدمت راية قوتل تحتها أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا نكسها الله تبارك وتعالى ، وغلب أصحابها وانقلبوا صاغرين ، وهو لم ييب جيشاً قط مهما كان عظيماً ، بل كان دأبه أن يحمل عليهم مهرولاً فيفرق جموعهم ، ويروي أنه يوم الخندق قفز في حملته على عمرو بن عبد الواد أربعين ذراعاً ، وهذا خارج المألوف ، ثم قطعهُ ساقه عمرو مع ما عليه من ثياب وسلاح ، وكذلك ضربته لمرحب التي جعلته نصفين من فرقه حتى قلمه مع ما أحاط بجسمه من حديد وفولاذ . الخ .

وكذلك فإن فصاحته وبلاغته كانتا مما اتفق الفصحاء والبلاء على كون كلامه فوق كلام

= نفسه ، يقول خالد : فتكسي والله عن فرسي ، فجعل يسوقني إلى رحى للحارث بن كعدة ، ثم عمد إلى قطب الرحى (الحديد الغليظ الذي عليه مدار الرحى) فعدّه بكلتي يديه ولوّاه في عنقي ، وأصحابي كأنهم نظروا إلى ملك الموت ، فأقسمت عليه بحق الله ورسوله ، فاستحى وخلّ سبيلي . قالوا : فدعا أبو بكر جماعة الحدادين فقالوا : إن فتح هذا القطب لا يمكننا إلا أن نحمله بالنار ، ففي ذلك أيتام والناس يضحكون منه ؛ حتى عاد أمير المؤمنين (عليه السلام) من سفره ، فذهبوا إليه وشغفوا لخالد وأقسموا عليه ، فقبض على الحديد وجعل يقتل منه شيراً فشيراً فيرمي به ، كأنه يفت الدقيق المخمر . أما قصة إسكاه لخالد بإصبعيه : السبابة والوسطى فمعروفة ، فقد أمر خالد بقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فألق المسجد بسيفه ، وكان (عليه السلام) منصرفاً إلى صلاته ، وانتظر خالد حتى يسلم أبو بكر فيقتله ، لكن أبا بكر كان في تشهده بعيد التفكير في الأمر ، فراح يكرر التشهد ويعيده حتى قرب طلوع الشمس ، فمئذ ذاك قال قبل التسليم : يا خالد لا تفعل ! ثم سلم ؛ التفت عليّ (عليه السلام) إلى خالد وسأله عني أمر به ، قال : أمرت بضرب عنقك ، قال : ويحك أكنت فاعلاً ؟ قال : أجل والله لولا أنني نيت ؛ إذ ذاك رمى به (عليه السلام) إلى الأرض ، وفي روايات أخرى أنه (عليه السلام) أمسك به (عليه السلام) بإصبعيه وراح يضغط حتى أحدث خالد في ثيابه ودنا من الهلاك ، فأطلقه (عليه السلام) بعد أن شفع به عمه العباس .

(١) سيأتي تفصيل هذه المعجزة في المجلد الثاني عند الحديث عن أحوال الإمام الرضا (ع) إن شاء الله .

المخلوق وتحت كلام الخالق ، كما سبقت الإشارة .

وأما علمه وحكمته اللذان لا يعلم مقدارهما سوى الله ورسوله ، ولا يستطيع أحد شرحهما ، وقد سبقت الإشارة إلى بعضهما ، فإنّ امرأً يبلغ في معارج العلم والحكمة هذا العروج الذي لا يقدر أحد على مجرد تمّنيّه ، ومن دون معلم أو مدرّس في الظاهر ، فإعجازه بين .

وأما جوده وسخاؤه فيكفي أنّه كان (عليه السلام) يبذل كلّ ما تناله يده ، وكان يمضي ثلاثة أيام بلياليها في صيام متواصل مع فاطمة والحسين (عليهم السلام) في حين يعطون طعامهم لمسكين ويتيم وأسير ، وأنّه تصدّق بخاتمه أثناء ركوعه فانزل الله عزّ وجلّ في شأنه وشأن أهل بيته سورة « هل أنى » وآية « إنّما وليكم الله » ، وأنه أعتق ألف مملوك من كذّبه .

وأما زهده وعبادته فقد اتّفق العلماء على القول بأنّ أحدًا لا يقوى على عبادته ، وقد قنع طوال عمره بخبز الشعير ، ولم يزد إدامه على الملح أو الخلّ ، ومع هذا القوت كانت له تلك القوة والأيد ، وقد سبقت الإشارة إلى بعضها ، وهذه معجزة أيضاً فهي تفوق طاقة البشر ؛ وعلى هذا المنوال كان في مناقبه الأخرى ، في عفوه وحلمه ورحمته ، وفي شدّته ونقمته ، وفي شرفه وتواضعه ، وهذا إنّما هو جمع بين الأضداد وتأليف بين الاشتات ، وهذا أيضاً من خوارق العادات ، ومن شريف فضائله (عليه السلام) .

وإلى هذا يشير السيّد الرضويّ ، (رضي الله عنه) ، في افتتاحه لنهج البلاغة إذ يقول :

« إنّ كلامه الوارد في الزهد والمواعظ ، والتذكير والزواجر ، إذا تأمله المتأمل ، وفكر فيه المتفكّر ، وخلع من قلبه أنّه كلام (مشرع الفصاحة) مثله ممّن عظم قدره ، ونفذ أمره ، وأحاط بالرقاب ملكه ، لم يعترضه الشكّ في أنّه كلام ممّن لا حظّ له في غير الزهادة ، ولا شغل له بغير العبادة ، وقد قنع في كسر بيت ، أو انقطع إلى سفح جبل ، لا يسمع إلّا حسّه ، ولا يرى إلّا نفسه ؛ ولا يكاد يوقن بأنّه كلام من ينغمس في الحرب مصلاً سيفه ، فيقطّ الرقاب ، ويحدّل الأبطال ، ويعود به ينطف دماً ، ويقطر مهجاً ؛ وهو مع تلك الحال زاهد الزهّد ، وبدل الأبدال ؛ وهذه من فضائله العجيبة ، وخصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد ، وألّف بين الاشتات انتهى .

ولنعم ما قال الصفيّ الحليّ في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام) :

جمعت في صفاتك الأضداد فلهذا عزّت لك الأنداد
زاهد حاكم حليم شجاع فاتك ناسك فقير جواد
شيم ما جُمعن في بشر قط ولا حاز مثلهنّ العباد

خُلِقَ يُجَلُّ النِّسِيمَ مِنْ الدَّ لطف وبأسٌ يذوب منه الجِهاد وإجمالاً فقد كان (عليه السلام) في جميع صفاته أفضل من المخلوقات كافة غير ابن عمه ، فلا جرم أن وجوده الشريف بين الخلق إحاطة بالممكنات وأكبر المعجزات ، مما لا مجال لإنكاره ، بآبي أنت وأمي يا آية الله العظمى والنبأ العظيم .

أما المعجزات التي كانت تظهر على يديه بين حين وآخر فأكثر من أن نَحُدَّ أو نَعُدَّ ، ونشير إليها في هذا المختصر بصورة الإجمال لتكون فهرساً لأهل التمييز والاطلاع .

من بين معجزاته (عليه السلام) تلك المتعلقة بانقياد الحيوانات والجنّ له ، ويظهر هذا من حديث الأسد وجُورِيَّةَ بن مسهر^(١) ، وحديثه (عليه السلام) مع الثعبان على منبر الكوفة^(٢) ، وكلامه مع الطيور والذئب وسمك البحر ، وسلام أسماك الفرات عليه بإمارة المؤمنين ، وذهاب الغراب بتعلله وسقوط حيّة منه^(٣) وقصّة الرجل

(١) قصّة الحديث : قال أمير المؤمنين (ع) لجويرة بن مسهر وقد عزم على الخروج :
أما إنه سيرعرض لك في طريقك الأسد ، قال : فما الحيلة له ؟ قال : تقرئه مني السلام وتخبره أنّي أعطيتك منه الأمان ، فخرج جويرة ، فبينما هو سير على دابّة إذ أقبل نحوه أسد لا يريد غيره ، فقال له جويرة : يا أبا الحارث ، إن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) يقربك السلام ، وإنّه قد أمني منك . قال : فواللّيث عنه مطرقاً بهمهم حتّى غاب في الأجمة . فلما انصرف جويرة إلى أمير المؤمنين (ع) سلّم عليه وقال : كان من الأمر كذا وكذا ، فقال : إنّه وليّ عنك وهو يقول : اقربى وصيّ محمد مني السلام ، وعقد بيده خساً ، ويعني أنه سلّم خمس مرات ، وقد نقلت هذه القصّة عن طريق آخر ، بيد أن نقلنا هذا يوافق رواية الباقر (ع) .

(٢) قصّة الثعبان : كان أمير المؤمنين (ع) يحطّب فوق منبر الكوفة إذ بثعبان يظهر عند المنبر وتوجّه نحو أمير المؤمنين (ع) ، فخاف الناس ونهّبوا لدفعه ، فأشار إليهم (ع) أن يقفوا على حافله ، واقرب الثعبان منه فقرّب (ع) رأسه إليه ، فوضع الثعبان رأسه عند أذنه (ع) وصاح صيحة ثم ابتعد قليلاً ؛ والناس في حيرة واهون ، وحسّرك أمير المؤمنين (ع) شفّيته والثعبان يصغي ، ثم نزل وغاب عن العيون كما لو أن الأرض ابتلعت ؛ وعاد أمير المؤمنين (ع) إلى خطبته فأتمّها ، ثم نزل عن المنبر ، فتدافع الناس إليه يسألونه عن أمر الثعبان ، فقال (ع) : إنه حاكم من حكام الجنّ ، اشتبه عليه أمر فأنى يسألني ، فعلمته الحكم في هذا الأمر ، فدعا لي ثم انصرف .

(٣) قصّة الغراب : نقل صاحب الأغاني عن الدائني أنّه قال : إن السيّد الحميميّ ، وقف بالكناسة (وهي محلة مشهورة بالكوفة) وقال : من جاء بفضيلة لعلّي بن أبي طالب (ع) لم أقتل فيها شعراً فله فرسي هذا وما عليّ ، فجعلوا يحدّثونه وينشدهم فيه (أي ينشدهم ما سبق له قوله من شعره في ما يحدّثونه به من الفضائل) ، حتّى روى رجل عن أبي الزغل المراءيّ أنّه قدم أمير المؤمنين (ع) فتطهّر للصلاة ، فزع خفه ، فالتصّب فيه أقمى ، فلما دعا به ليلبسه انقضّ غراب (على الخفّ فأخذه) ثم حلّق به ، ثم القاه ، فخرجت الأقمى منه ، قال : فأعطاه السيّد ما وعده وأنشأ يقول أبياتاً من الشعر مطلعها :

الأذربيجاني^(١) وجملة العنيد، وحكاية اليهودي^(٢) الذي فقد أمواله فأرجعها الجن له بأمر من أمير المؤمنين (عليه السلام) وكيفية أخذه البيعة من الجن في وادي العقيق، إلى غير ذلك.

ومن معجزاته الأخرى ما يتعلق بالجهادات والنباتات، كردة الشمس له (عليه السلام) أيام النبي (صلى الله عليه وآله) وبعد ثمانه في أرض بابل. وقد صنف بعضهم كتاباً في جواز ردة الشمس، وقد كتب عن ردة الشمس له (عليه السلام) في مواضع عديدة؛ ومنها تكلم الشمس معه في مناسبات متعددة، ومنها حكمه بسكون الأرض عند حدوث زلزلة في أرض المدينة أيام أبي بكر، وعدم توقفها عن الحركة، فاستقرت بأمر منه، ومنها نطق الحصى وتسييحها في كفه، ومنها حضوره - بطي الأرض له - موت سلمان في المدائن، وما كان من تجهيزه ودفنه له، ومنها نقل أبي هريرة بطي الأرض له، وإبلاغه بيته بعد أن شكا إليه شدة شوقه إلى أهله وعياله.

ومنها حديث البساط حيث أشيع (عليه السلام) جماعة من أصحابه في الهواء، وأخذهم إياهم إلى كهف أصحاب الكهف، وسلامهم عليهم فلم يردوا إلا سلام أمير المؤمنين

= ألا يا قوم للمعجب العجيب لحفّ أبي الحسين وللمحباب
(والحباب بالضم: الحية)

(١) قصة الرجل الأذربيجاني: أن هذا الرجل إلى أمير المؤمنين (ع) فشكا إليه أن عنده جلاً عنيداً شمساً لا يتقاد له أبداً، وأن معاشه منه، فقال له (ع): إذا انصرفت إلى الوضع الذي هو فيه قتل: «اللهم إني أوجه إليك بنيك نبي الرحمة وأهل بيته الذين اخترتهم على علم على العالمين، اللهم ذلّل لي صعوبتها واكفني شرّها، فإنك الكافي المعافي، والغالب القاهر»، قال:

فانصرف الرجل راجعاً، ثم عاد إليه من قابل وهو يركب جملة، وقبل أن يتكلم حدثه أمير المؤمنين (ع) كيف قام بتطويع الجمل كما علمه، فأمن على كلامه.

(٢) قصة اليهودي: يروي أبو إسحاق السبيعي والحارث بن الأعور أن عجوزاً مرّت في الكوفة وهي يكي ويقول: عشت مئة عام أنجب البنين فما رأيت سوى ساعة واحدة من العدل، قيل: وكيف؟ أنا حجر الحميري، وكنت على دين اليهود، قدمت الكوفة أبتاع طعاماً، ولما وصلت القبة (وهي اسم موضع في الكوفة) فقدت مالي، فبحثت الأشر النخعي وقصصت عليه قصتي، فأخذني إلى أمير المؤمنين (ع)، فلما بصري قال: يا أبا اليهود، إن عندي علم البلاء والتأيا وما كان وما يكون، ألتخبرك أم تخبرني؟ قلت: بل قل أنت، قال: إن رجالاً من الجن سرقوا مالك في القبة، والآن ماذا تريد؟ قلت: إن تفضلت عليّ فأرجعت إليّ مالي أسلمت لله، فأخذني إلى القبة، وصلى ركعتين ودعا ثم تلا: ﴿يرسل عليكها شواظ من نار ونحاس فلا تنصران﴾ الآية، ثم قال: يا معشر الجن، يا عثموني وعاهدوني، فما هذا العمل المذموم الذي ارتكبتموه؟ وإذا بي أرى مالي يخرج في القبة، فتشهدت وأسلمت؛ وعانداً أرد الكوفة فإذا به مقول، وهذه علّة بكاكي. ويقول ابن عقدة: كان هذا الرجل من قلاع المدينة.

(عليه السلام) ، وتكلمهم معه ؛ ومنها تحويله الطين ذهباً لصاحب ذئب^(١) ، ومنها حكمه على جدار آيل للسقوط بعدم سقوطه ، كان (عليه السلام) يجلس في أصله ؛ ومنها أن حلقات درعه (عليه السلام) كانت تلين بيده فيسرها ، كما قال خالد بن الوليد : رأيت علياً يسرد حلقات درعه بيده ويصلحها ، فقلت : هذا كان لداود (عليه السلام) ، فقال : يا خالد بنا الآن الله الحديد لداود ، فكيف لنا ؟

ومنها شهادة نخل المدينة بفضلته وفضل ابن عمه (صلوات الله عليها) وقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) له : يا علي سَم نخل المدينة صحيحاً ، فقد صاحت بفضلتي وبفضلك . ومنها اخضرار شجرة إيجاص بإعجازه (عليه السلام) ، وانقلاب قوس ثعباناً مينا بأمره ؛ وتسليم الشجر والمدر عليه في أرض اليمن ، وانحسار ماء الفرات بأمره بعد طغيانه ؛ وكثير من هذا القبيل لا يحيط به الإحصاء .

ومن معجزاته ما يتعلق بالمرضى والموتى ، كما التأمت بأمره يد هشام بن عدي الهمداني المقطوعة في صَفَيْن ؛ والتام يد الرجل الأسود التي قُطعت بأمره حين ثبت عليه أنه سرق ، وكان من محبته ؛ ومنها حديثه مع الجمجمة في بابل ، وبنائه مسجداً في الموضع ، وهو قائم الآن قرب مسجد ردّ الشمس في الحلة ، وهو معروف^(٢) ، وفي (تحفة الزائر) و(الهدية إلى

(١) قصة تحويل الطين ذهباً : وجد (ع) مؤمناً لازمه منافق بالذئب ، فقال : اللهم بحق محمد وآله الطاهرين لما قضيت عن عبدك هذا الذئب ، ثم أمره بتناول حجر ومدر فانقلب له ذهباً أحر ، فقضى دينه ، وكان الذي بقي أكثر من مئة ألف درهم .

(٢) لما كان مسجد ردّ الشمس واقعاً في ناحية من نواحي الحلة ، وكان أهل الحلة غالباً من الإمامية المخلصين لأهل البيت ، فإن هذا المسجد معمور ومقصود دائماً ، بخلاف مسجد الجمجمة الواقع في طرف منه ، وهو بعيد عن أماكن عبور الشيعة ، لهذا فهو مهجور ومتروك ، حتى اسمه فقد ضاع شيئاً فشيئاً ، مع أن جماعة من كبار العلماء كابن شهر آشوب والقطب الراوندي وابن حزم الطوسي وغيرهم يذكرون هذا المسجد الشريف في باب معجزات أمير المؤمنين (ع) وفضائله ، كما أن شيخنا العلامة النوري طاب ثراه سافر إلى الحلة في أواخر عمره لاستكشاف أمر هذا المسجد الشريف ، ووصل بجهد ومشقة إلى قرية الجمجمة وهي قرب الحلة وفيه قبر لسلي الأئمة المعروف بعمران بن أمير المؤمنين (ع) ، ويقع مسجد الجمجمة في بستان في أقصى قرية إلى الشرق ، وينقل مسنوا القرية عن أسلافهم أنهم أدركوا قرية هذا المسجد ، وأن من الأمور المسلمة بينهم أنه إذا أخذ أحد شيئاً من أجر هذه القرية وهو يعلم ، وبني به بشراً أو رُم به جزءاً من منزله آل كلاًها إلى الخراب ، ولهذا لا يجرؤ أحد على أخذ شيء من أجر المسجد ، وقد بدا أساس المسجد بعد أن أزيلت الأتربة عنه ، لكنّ أحداً لم يقدم على ترميمه ، والأمل أن يتحرك الدافع الديني والمذهبي عند بعض أهل الثراء فيبادروا إلى ترميمه ، ويعمرُوا مصلّى أمير المؤمنين (ع) فيجروا بذلك ما عهده الأئمة ، ويجعلوا من معجزة أمير المؤمنين (ع) مفخرة لشيعته فلهذا إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴿ وستبنى أسماؤهم على مرّ السنين والأيام .

مسجد رَدَّ الشمس ومسجد الجمجمة) شرح ذلك . ومنها إحياءه لسام بن نوح ، وإحياءه لأصحاب الكهف كما تمت الإشارة في حديث البساط .

ويروي عن الباقر (عليه السلام) أنه قال : مرض رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) مرضة ، فدخل عليّ (عليه السلام) المسجد فإذا جماعة من الأنصار ، فقال لهم : أيسركم أن تدخلوا على رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ؟ قالوا : نعم ، فاستأذن لهم فدخلوا ، فجاء عليّ (عليه السلام) وجلس عند رأس رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، ووضع يده على صدره فإذا الحمى تنفضه نفصاً شديداً ، فقال (عليه السلام) : يا أمّ بلمدم^(١) اخرجي عن رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) وانتهرها ، فجلس رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) وليس به بأس ، فقال : يا بن أبي طالب ، لقد أعطيت من خصال الخير ، حتى أن الحمى لتفرغ منك . ولنعم ما قاله مقصورة العبدي :

مَنْ زَالَتِ الْحُمَى عَنِ الطَّهْرِبِ مَنِ رَدَّتِ الشَّمْسُ لَهُ بَعْدَ الْعِشَاءِ
مَنْ عَبَّرَ الْجَيْشَ عَلَى الْمَاءِ وَلَمْ يُحْسَ عَلَيْهِ بِلُلٍّ وَلَا نَدَى
ويروي ابن شهر آشوب (ره) عن عبد الواحد بن زيد أنه قال :

خرجت إلى مكة فيينا أنا بالطواف فإذا بجارية خاسية متعلقة بستارة الكعبة ، وهي تخاطب جارية مثلها (أختها) وتقول :

« لا وَحَىَّ الْمُتَنَجِّبَ بِالْوَصِيَّةِ ، الْحَاكِمَ بِالسُّوَّةِ ، الْعَادِلَ فِي الْقَضِيَّةِ ، الْعَالِيَّ الْبَيْتَةِ ، زَوْجَ فَاطِمَةَ الْمَرْضِيَّةِ ، مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا » . فقلت لها : يا جارية ، من صاحب هذه الصفة ؟ قالت : ذلك والله علم الأعلام ، وباب الأحكام ، وقسيم الجنة والنار ، ورباني هذه الأمة ، ورأس الأئمة ، أخو النبي ووصيه ، وخليفته في أمته ، ذلك مولاي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فقلت لها : يا جارية ، بم يستحقّ عليّ منك هذه الصفة ؟ قالت : كان أبي والله مولاة فقتل بين يديه يوم صفين ، ولقد دخل يوماً على أمي وهي في خيائها ، وقد ركبتني وأخأني من الجدري ما ذهب به أبصارنا ، فلما رأنا تأوّه ، وأنشأ يقول :

مَا إِنْ تَأَوَّهْتُ فِي شَيْءٍ رَزَّيْتُ بِهِ كَمَا تَأَوَّهْتُ لِلْأَطْفَالِ فِي الصَّغَرِ
قَدْ مَاتَ وَالدَّهْمُ مِنْ كَانَ يَكْفُلُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ وَفِي الْأَسْفَارِ وَالْحَضَرِ
ثم أدنانا إليه ، ثم أمر يده المباركة على عينيّ وعيني أخي ، ثم دعا بدعوات ، فها أنا بأبي أنت والله أنظر إلى الجمل على فرسخ .

ومن معجزاته عذاب جماعة قاموا على خصامه والعداء له ، وهلاك بعضهم ، كهلاك رجل شتمه ، فمات تحت أرجل جمل ، وإصابة أبي عبد الله المحدث بالعمى بعد أن أنكر فضله ، ومسح الخطيب الدمشقي كلباً ، ومسح آخر خنزيراً ، واسوداد وجه آخر ، وخروج نور من الشط ، ومقتل خطيب بذيء في واسط ، وضغطة (عليه السلام) عنق بذيء اللسان في النوم ، وتحول بول رجل قبيح القول إلى قطران ، وهلاك جماعة كثيرة في النوم وقد قالوا في حقّه ما يقيح كاحد بن حمدون الموصل ، وذبح جابر لمحمد بن عباد البصراوي ، وغيرهم من قوم آخرين ذاقوا قدرًا من العذاب الإلهي في الدنيا لأنهم قاموا بشتمه وسبّه ، وإصابة رجل كذّبه بفقد البصر ، وعذاب الحارث بن النعمان الفهري^(١) الذي تمرد على قبول ولايته

(١) حديث تعذيب الحارث كما رواه الثعلبي قال : مثل سفيان بن عينة عن تفسير قوله تعالى : ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ ، فيمن نزل ؟ قال : سألني عن شيء لم يسأله أحد قبلك ، أخبرني أن جعفرًا الصادق (ع) يروي عن أبيه أنه لما بلغ رسول الله (ص) غدير خم نادى : أيها الناس ، ولما اجتمع الناس أخذ بيد علي بن أبي طالب (ع) فقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ، شاع الأمر في البلاد ، فقدم الحارث بن النعمان الفهري على ناقة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فلقى في الأبطح ، فنزل عن ناقته فعلقها ، ودخل إليه ، وكان جالساً بين صحابته وقال : يا محمد (ص) ، أمرتنا عن الله أن نشهد له ولك بالرسالة ، فرضينا ، وأمرتنا بأن نصلي خمس صلوات فرضينا ، وأمرتنا بإداء الزكاة فرضينا ، وأمرتنا بحج البيت فرضينا ، فلم تكف بهذا ولم ترض حتى أخذت بضبعي ابن عمك ، فرفعت علينا وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه ، فهل هذا من عندك أم من عند الله عز وجل ؟ فقال (ص) أقسم بالذي لا إله غيره إنه من عند الله ، فتوجه الحارث إلى ناقته وهو يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، فلم يبلغ راحلته حتى أصابه حجر من السماء من مغرقه وخرج من دبره ، فأنزل الله تعالى : ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ للكافرين ليس له دافع ﴿ .

وقد أورد الكثيرون من أساطين أئمة السنة هذا الحديث في كتبهم كما أورده الجيكاكي أيضاً عن حذيفة بن اليان .

والأبطح في هذه الرواية ليس المراد به أبطح مكة ، ذلك أن الأبطح ليس محصوراً بأبطح مكة ، بل كل سيل فيه دقاق الحصى يقال له الأبطح ، ولذا يقال لأبطح مكة : البطحاء والأبطح ، ليس بمعنى اسم علم لمكان ، وقد صرح أئمة علم اللغة بهذا المعنى علاوة على إطلاقي العلماء والعرب العرباء استعمال الأبطح بهذا المعنى ، وفي الوجه السابع من وجوه فضائله (ع) ورد شعر ابن الصفي وهو شاهد على هذا المدعى ، فاعتراض ابن تيمية ليس من الواقعية في شيء ، وكذلك سائر خرافاته في قدح هذه الرواية بقوله إن سورة الماعز مكية ، والجواب أنه هنا محل على تصدّد التزول كما يذكر علماء السنة هذا الاحتمال في مواضع متعدّدة ، يقول السيوطي في الإتيان :

« النوع الحادي عشر : ما تكرر نزوله ، صرح جماعة من المتقدمين والمتأخرين بأنّ من القرآن ما تكرر نزوله ، ثم ينقل السيوطي عن ابن الحصان مواضع كثيرة فيها سور وأيات حصل فيها التكرار . وأما استدلال ابن تيمية على نفي تعذيب الحارث بالآية المباركة : ﴿ ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ . =

(عليه السلام) وأظهر لمن الكره الشديد ، وقد نقلت قصته عن الثعلبي وسائر أئمة السنة في (فيض الغدير) ، وإن عقد اعتراضات ابن تيمية الحراني على هذا الحديث الشريف مبتور ، وقد جعلت خرافاته هبة مثوراً .

ومن معجزات هذا العظيم الأخرى ما ظهر بعد شهادته عن قبره الشريف .

ومن معجزاته إخباره بأخبار الغيب التي سنشير فيها بعد إلى جملة منها إن شاء الله تعالى ، وإجمالاً فإن معجزاته بيّنة واضحة لا مجال لإنكارها .

يا أبا الحسن ، يا أمير المؤمنين ، بآبي أنت وأمي ، لانت الذي يسعى أعداؤك باستمرار في إطفاء نور فضائلك ، ويضعف أجباؤك عن ذكر مناقبك ، ويدعوهم الخوف والتقية إلى كتمان فضلك ، ومع كل هذا ظهر من معجزاتك وفضائلك على الأنام ما شمل العالم من شرقه إلى غربه ، واشتغل العدو والصديق بذكر مدائحك ومناقبك برطب اللسان وعذب البيان :

شهد الأنام بفضله حتى العدى والفضل ما شهدت به الأعداء

يروى ابن شهر آشوب أنّ أعرابية رثيت في مسجد الكوفة وهي تقول : أيها الرجل المشهور في السماوات ، والمشهور في الأرضين ، والمشهور في الدنيا ، والمشهور في الآخرة ؛ قصر سلاطين الجور وجباة الزمان مهمهم على إطفاء نورك ، وأبى الله إلا أن يزيد في إشراقه وظهوره ؛ فقبل لها : ومن تقصدين بهذه الكلمات ؟ قالت : أمير المؤمنين (عليه السلام) . قالت هذا وغابت عن الأنظار .

يروى عن الشعبي بروايات مستفيضة أنه كان يقول : إني لأسمع خطباء بني أمية يسبون أمير المؤمنين (عليه السلام) على المنابر دون انقطاع ، ويقولون عنه أقوال السوء ، ومع هذا فهو كمن أخذ أحد بضبعيه فرفعهما إلى السماء ، وأبان رفعة وسمو درجته ؛ كما أسمع التنويه بمدائح ومناقب أوائلهم وأسلانهم دون انقطاع ، فكأنهم يعرضون الأموات ويكشفون للناس الجيف ، فهم مهما كالأول من المدائح وأظهروا من حسناتهم ، فإتّما يزيدون من انتشار سوتهم

= فجوابه أنه ليس المراد نفي التعذيب على الإطلاق ، فالله تعالى يقول بعد هذه الآية : ﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله ﴾ ، الآية . ويقول الفخر الرازي في تفسيرها :

« وكان المعنى : أنه يعذبهم إذا خرج الرسول من بينهم ، ثم اختلفوا في هذا العذاب ، فقال بعضهم : لحقهم هذا العذاب التوعد به يوم بدر ، وقيل : بل يوم فتح مكة » الخ وتثقل تعذيب الحارث بتعذيب أصحاب القيل محض خداع وتوسيل . ذلك أنه لا يمكن قياس فرد واحد بجماعة ، وكذلك الأمر الذي يستدعي إخفاؤه وكتنائه بالأمر الذي تنوّر الدواعي إلى نقله . وهذا جواب مجمل من خرافات (منهاج السنة) ، أما التفصيل ففي (فيض الغدير) .

وعفوتهم ، وهذا إعجاز واضح وخرق للعادة بين ؛ وإلا فالمفروض في هذه الحال أن تحفى فضائله (عليه السلام) ، وأن تطفأ أنواره ، بل أن تطفى المشالب الملققة على مناقبه ، لا أن تمتلك فضائله ومناقبه شرق العالم وغربه ، وتقره الجمهور والناس كافة من صديق وعدو على مديحه وترديد قوله تعالى :

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ .

ومن هذا القبيل كثرة ذراريه ونسله وأولاده (عليه السلام) الذين قصر خلفاء الجور والأعداء وجبايرة الزمان همهم دوماً على استئصالهم من الجذور ، وأن لا يقوا لهم اسماً ولا أثراً ، فما أكثر من استشهد من العلويين على أيديهم ، بعد أن ساموهم أنواع العذاب ، فبعضهم قُضى بحد السيف ، والبعض قُضى جوعاً وعطشاً ، والكثير قُضى حياً بين أسطوانة وجدار أو تحت بناء ، وآخرون عانوا مرارة السجن والنكال^(١) ، والقليل نجوا من بين أيديهم هارين بأرواحهم ، ففرقوا غرباء عن أوطانهم في بلاد نائية ، وفقار بعيدة عن الناس والعمران ، كان الناس يجتنبونهم تقرباً من جبايرة الوقت ، أو خوفاً على أرواحهم ؛ ومع ذلك - والحمد لله تعالى - فلا يخلو بلد أو مدينة أو قرية أو مجلس أو مجتمع من كثير منهم وقد بلغوا ما لا يمكن حصره ، وهم أكثر وأوفر عدداً من جميع ذراري الأنبياء والأولياء والصالحين ، بل أكثر من ذرية أي من الناس ، وهذا أيضاً فيه من الإعجاز الباهر وخرق العادة ما فيه .

الوجه الثاني عشر : إخباره (عليه السلام) بالمغيبات ، وهي أخبار أكثر من أن تحصى ، لكننا نشير إلى بعضها .

فقد أخبر مرة بعد مرة أن ابن ملجم قاتله فقال : « أنتظر أشفاها أن يخضب لحيتي من دم

(١) قال السيد محمد أشرف مؤلف كتاب فضائل السادات ، وفي كتاب سيادة الأشراف ، لبعض الأعلام من الأشراف : ومما يرغب أنف الحسود ما اشتهر أنه لما قتل الحسين (ع) كان في بني أمية اثنا عشر ألف ولد مهودهم من الذهب والفضة ، ولم يكن للحسين (ع) إلا ابنه علي (ع) ، والأول قل أن يوجد بلد أو قرية ولا يوجد فيها جم غفير جمع كثير من الحسينين ، ولم يبق من بني أمية من يتفخ في النار ، بل فتوا عن بكرة أبيهم ؛ وبذلك رد الله على عمرو بن العاص بقوله جل شأنه : ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾ ، حيث عابه (ص) عمرو بن العاص بأنه أبتر منقطع النسل . انتهى .

وينقل السبط ابن الجوزي في (التذكرة) عن الواقدي قوله : إن المنصور العباسي قد حبس عشرين نفرأ من أحفاد الحسين (ع) في سرداب تحت الأرض ، مظلم دوماً ، لا يعرف فيه النهار من الليل ، ولم يكن في ذلك السرداب بثر أو ميلة لقضاء الحاجة : الأمر الذي اضطر السادة إلى أن يمدحوا في سجنهم ، فتنتشر الروائح الكريهة بينهم ، وتتورم أقدامهم ، وينتهي بهم إلى أوحش العواقب ، فإذا مات أحدهم لم يُدفن ، ويكتفى الأحياء منهم بالنظر إليه والبكاء عليه ، حتى ملكوا جميعاً .

أما برواية الطبري فيقول : هلكوا جميعهم عطشاً .

رأسي بعهد معهود أخبرني به حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وأخبر باستشهاد ابنه الحسن (عليه السلام) بالسّم ، وأخبر باستشهاد ابنه الحسين (عليه السلام) قبل وقت طويل ، وكان يعبر كربلاء مع رجاله فقال : هذا والله مناخ ركابهم ، وموضع منيهم ، وكما قال للبراء بن عازب : يا براء ، يقتل ابني الحسين (عليه السلام) وأنت حيّ لا تنصره ، كما أخبر عن حكومة الحجاج بن يوسف الثقفي ، وعن يوسف بن عمرو وما يفتكان ويريقان من دماء ، وأخبر عن خوارج النهروان وعدم عبورهم للنهر وعن مقتلهم هناك ، وعن مقتل ذي الثدية كبير الخوارج ، وأخبر عن عاقبة أمر جماعة من أصحابه وعن كيفية مقتل كلّ منهم ، كما أخبر عن قطع يد ورجل جويرية بن مسهر ورؤسيد الهجري ومقتلها صلباً ، وأخبر عن كيفية استشهاد ميثم التمار وصلبه على جذع كان نخلة وعينها له وحذد موضعها على باب دار عمرو بن حريث ، وأخبر بمقتل قنبر وكميل ، وحجر بن عدي وغيرهم ، كما أخبر عن أن خالد بن عرفطة لم يمت ، وذلك حين أبلغوه بموته ، وأنّ خالداً هذا لا يموت حتى يقود جيش ضلالة ، وأخبر عن قتاله الناكثين والقاسطين والمارقين ، وأخبر عن حقيقة ما يكنه طلحة والزبير عندما تظاهرا بالتوجه إلى مكة من أجل العمرة ، وكانا يضرمان نكت بيعته والاستعداد لحربه ، وإخباؤه أصحابه بأنهما سيلقيانه بجيش كبير ؛ كما أخبر بوفاة سلمان في المدائن ، وذلك عند سفر سلمان .

وأخبر بخلافة بني أمية وبني العباس ، وأشار إلى أشهر أوصاف وخصائص بعض خلفاء بني العباس أمثال : رأفت السفّاح (الأول) والفّاك النصور (الثاني) وكبير السلطنة رشيد (الخامس) والعالم المأمون (السابع) وكثير النصب والعناد المتوكّل (العاشر) الذي يقتله ولده ، وكثير التعب والعناء المعتمد (الخامس عشر) لانشغاله في الحروب والقتال مع صاحب الزنج ، وإحسان المعتضد (السادس عشر) إلى العلويين ، ومقتل المعتد (الثامن عشر) واستيلاء ثلاثة من أولاده على الخلافة وهم الراضي والمتقي والمطيع ؛ وغيرهم ممّا لا يخفى على أهل التاريخ والسير ، وقد ورد هذا الإخبار في هذه الخطبة التي قال فيها (عليه السلام) .

« ويل لهذه الأمة من رجالهم ، الشجرة المعلونة التي ذكرها ربكم تعالى ، أولهم خضراء وآخرهم حمراء ، ثم يلي أمر هذه الأمة رجال أولهم أرافهم ، وثانيهم أفتكهم ، وخامسهم كبشهم ، وسابعهم أعلمهم ، وعاشروهم أكفرهم ، يقتله أخصهم به ، وخامس عشرهم كثير العناء قليل الغناء ، وسادس عشرهم أقضاهم للدم وأوصلهم للرحم ، كائن أرى ثامن عشرهم تفحص رجاله في دمه بعد أن يأخذه جنده بكظمه من ولده ثلاثة رجال سيرتهم الفضائل » .

حتى آخر الخطبة حيث يشير إلى مقتل المستعصم ببغداد ، إذ قال :

« لكَأَنِّي أَرَاهُ عَلَى جِسْرِ الزَّوْرَاءِ قَتِيلًا ، ذَلِكَ بِمَا قَدِمْتَ بِدَاكُ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ » .

كما أخبر بوقوع الفتن في الكوفة ، ومقتل رؤوس الظلم أو ابتلاؤهم ببلايا شاغلة ، والذين يرفعون راية الظلم ، وقال :

« كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةُ تُحَذِّينَ مَذَّ الْأَدِيمِ الْعَكَاطِيَّ » .

إلى أن يقول :

« وَإِنِّي لَاعْلَمُ وَاللَّهِ أَنَّهُ لَا يَرِيدُ بِكَ جَبَارٌ يَسُوءُ إِلَّا رَمَاهُ اللَّهُ بِقَاتِلٍ ، أَوْ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ » .

وجرى كما أخبر به (عليه السلام) ، فأقام زياد بن أبيه ويوسف بن عمرو والحجاج الثقفي وغيرهم صروح التعدي والظلم في الكوفة فابتليت بصنوف البلاء والهلكة والموت على أسوأ حال سبق شرحها في مواضعها .

كما أخبر قومًا أن معاوية يعرض عليهم سبه (عليه السلام) ، وإخباره ابن عباس في ذي قار وهو جالس لأخذ البيعة بقوله : يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل ، لا يزيدون رجلًا ، ولا ينقصون رجلًا ، وإخباره عن دواهي أهل البصرة وصاحب الزنج في كلام له مع الأحنف بن قيس ، كما ستأتي الإشارة إليه في فصل أبناء الإمام زين العابدين (عليه السلام) إن شاء الله ، كما أخبر عن جيش هولاء كما سيثيرة من فتن .

وفي خطبته التي ألهاها في وقعة الجمل في البصرة أشار إلى قتل رجال البصرة على أيدي الزنوج ، وأخبر عن الدجال وأحداث الكون ، ثم إخباره عن غرق البصرة إذ قال :

« وَابِمِ اللَّهِ لَتُفَرَّقَنَّ بِلَدِّكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجَوْجُ طَيْرٍ فِي لَجَّةِ بَحْرٍ » .

كما أخبر عن بناء مدينة بغداد ، ثم إخباره عن مآل عبد الله بن الزبير ، وقوله فيه :

« حُبٌّ ضَبٌّ ، يَرُومُ أَمْرًا وَلَا يَدْرِكُهُ ، يَنْصَبُ حِبَالَةَ الدِّينِ لِاصْطِيَادِ الدُّنْيَا ، وَهُوَ بَعْدُ مَصْلُوبٌ قَرِيشٍ » .

وإخباره عن خروج السادة من بني هاشم كالناصر والداعي بقوله :

« إِنَّ لَالَ مُحَمَّدَ بِالطَّالِقَانِ لَكُنْتُ أَسَاطِيرُهُ اللَّهُ إِذَا شَاءَ دَعَا حَتَّى تَقُومَ بِإِذْنِ اللَّهِ فَتَدْعُو إِلَى دِينِ اللَّهِ » .

وإخباره عن مقتل النفس الزكية محمد بن عبد الله المحض عند أحجار الزيت في

المدينة ، بقوله : إنه يقتل عند أحجار الزيت .

وكذلك إخباره عن مقتل أخي محمد إبراهيم في أرض باخرا وهي موضع بين واسط والكوفة ، بقوله : « باخرا يُقتل بعد أن يظهر ، ويُقهر بعد أن يقهر » .

وقال فيه أيضاً : « يأتيه سهم غرب يكون فيه منيته ، فيا يؤس الرامي شلت يده ، ووهن عضده » .

وأخبر عن المقتولين بفتح ، وعن حكم سلاطين العلوية في المغرب ، وعن سلاطين الإسماعيلية بقوله :

« ثم يظهر صاحب القبروان » إلى قوله . « من سلالة ذي البداء المستحي بالرداء » .

وأخبر عن سلاطين آل بويه بقوله فيهم : ويخرج من ديلمان بنو الصياد » وقوله فيهم : « ثم يستشري أمرهم حتى يملكوا الزوراء ، ويخلعوا الخلفاء » .

وفي إخباره عن خلفاء بني العباس دعا علي بن عبد الله بن العباس بأبي الأملاك ، وفي موقعة صفين - حيث تبادل مع معاوية إرسال الرسل والرسائل - أخبر في كتاباته بالكثير من اخبار الغيب ، ومنها أنه ختم قوله مخاطباً معاوية : إن رسول الله أخبرني أن الحيتي ستخضب من دم رأسي ، فاستشهد وستلي أنت الأمة بعدي ، وستقتل ولدي الحسن غدراً وخديعة بالسّم النافع ، ثم من بعدك يأتي ابنك يزيد فيقتل ولدي الحسين بمعمونة من ابن الزانية وهو ابن زياد ، ثم يلي الأمة اثنا عشر نفرًا من أئمة الضلالة من أولاد أبي العاص ومروان بن الحكم ، كما عرض لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في الرؤيا ، فرأهم بصورة فرود ينزون على منبره . ويرجعون بالشرعة والأمة القهقري .

ثم قال : ثم يأتي قوم راياتهم سود أعلامهم سود ، ويريد بني العباس ، فيملكون منهم الخلافة والسلطنة ويأخذونهم بالمدّة والقتل .

ثم أخبر (عليه السلام) بمغيبات كثيرة منها أمر الدجال ، وشيء عن ظهور قائم آل محمد عليهم السلام .

وقال في آخر رسالة مرقومة : إني لأعلم أن هذه الورقة لن تجدك نفعاً ، ولن تنال حظاً إلا أن تسرّ لما أخبرتك به عن توّليك وأبناءك الحكم ، لكنّ ما بعثني على الكتابة إليك هو أني طلبت أن تؤخذ عن الكتاب نسخ لعل الشيعة وأصحابي يجتنبون منها نفعاً ، أو لعل أحداً ممن هم بطرفك يقرأها وتنبه عما هو فيه من ضلال فيسلك سبيل الهداية ، وتثبت الحقّة مني عليك .

يقول المؤلف : إن شرح غالب هذه الأخبار الغيبية في هذا الكتاب ، وستأتي تتمته إن شاء الله كلأ في موقعة .

الوجه الثالث عشر : استجابة دعواته (عليه السلام) كما ثبتت بطرق كثيرة معتبرة .

منها دعاؤه على بسر بن أرطاة باختلاط العقل ، واستجابة دعائه ؛ ومنها دعاؤه على رجل كان يتجسس عليه ويرفع أخباره إلى معاوية ، بالعمى ، فأذهب الله بصره ؛ ومنها دعاؤه على طلحة والزبير بالذلّ والمساءة والموت البشع ، واستجابة الله دعاءه ، فأما الزبير فقتله عمرو بن جرموز بالسيف وهو نائم ، ورمى جسده ، وأما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم فأصاب عرقاً في أكله^(١) فبقي مفتوحاً ينزف ، ومات في الغلاة تحت الشمس المحرقة بعد أن نزف دمه ، وكان طلحة نفسه يقول : ما ضاع دم قرشيّ كما ضاع دمي .

وقد ثبت من روايات أهل السنة أن أمير المؤمنين (عليه السلام) استشهد جماعة من الصحابة على حديث الغدير ، فشهد أكثرهم أنهم سمعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في غدير خم : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » ، إلا بضعة منهم كنتموا ذلك وراموا إخفاءه ، فدعا عليهم (عليه السلام) فأصيبوا بما دعا عليهم به ، بعضهم أصيب بالعمى ، وبعضهم بالبرص فذاقوا طعم العذاب الإلهي في الدنيا ، كأنس بن مالك وزيد بن الأرقم ، وعبد الرحمن بن مدلج ، ويزيد بن دبيعة ، كما ورد في كتاب (أسد الغابة) ، وتاريخ ابن كثير ، و(إنسان العيون) للحلي ، و(المناقب) لابن المغازلي ، و(شواهد النبوة) للجامي ، و(أنساب الأشراف) للبلاذري ، و(الحلية) لأبي نعيم الإصفهاني ، وكتب أخرى ، وقد أوردت عباراتهم في (فيض الغدير) حيث أوضحت بطلان زعم ابن روزبهان بأن هذه الروايات من موضوعات الروافض .

الوجه الرابع عشر : اختصاصه (عليه السلام) بفضيلة نصرته رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعونه ، كما قال تعالى :

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

المولى هنا : بمعنى الناصر ، والمراد بصالح المؤمنين باتّفاق المفسرين : أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكذلك اختصاصه (عليه السلام) بالأخوة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وبالتأثيل معه ، وبارتقائه على كتفه (صلى الله عليه وآله) وتحيطه للأصنام ، كما إختصاصه بفضيلة خبر الطائر ، وحديث المنزلة ، والراية ، وخبر الغدير وغيرها .

(١) الأكل : عرق في النزاع يُقصد .

وإجمالاً فهو يتميز عن غيره بالكمال النفساني والبدني والخارجي ، إذ كان يمتلك من صفات الكمال النفساني كالعلم والحلم والزهد والشجاعة والسخاء وحسن الخلق والعفة وغيرها ما لم يمتلك سواه معشاره ، وقد اعترف بذلك أعداؤه ولم يستطيعوا إنكاره ، وبلغ من سخائه وإيثاره أن رقد في فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) معرضاً نفسه لسيف كفار قريش ، وشرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنفسه ، وظهر في وقعة أحد من فتوته وإيثاره ما بعث على ارتفاع نداء من الملأ الأعلى يهتف :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

أما صفات الكمال البدني فالكل يعلم أنه لم يكن له فيها نظير ، وقد ضرب بقوته وقدرته في الآفاق ، فلم يمثله فيها أحد ، فها هو يقتلع باب خيبر من مكانه بيده بإعجاز ظاهر منه ، في حين عجزت عصابة من الرجال عن تحريكه ؛ وها هو يزيح صخرة عظيمة عن فم بشر أن عجز جيشه عن تحريكها ؛ فشجاعته قد أنست الناس شجاعة من كان قبله ، ومحت عن اللسنة ذكر من جاء بعده ؛ ومقاماته في الحروب مشهورة ، وسبق ذكرها إلى يوم القيامة ؛ وهو الشجاع الذي ما فر قط ، ولا ارتاع من كثية ، ولا بارز أحداً إلا قتله ، ما لم يؤمن ؛ ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى الثانية ؛ وهو الشجاع الذي يفخر به قوم قتلاه ، وها هي أخت عمرو بن عبد ود تقول في رثاء أخيها .

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيت أبدأ ما دمت في الأبد
لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وقالت لما رأت أخاها في سلبه لم ينزع عنه ثوب أو درع قالت : إنما قتله كفؤ كريم .

وهو الشجاع الذي إذا وقف خصم أمامه لحظة راح يفتخر بها طول المدى ، ويحدث عن جرأته وقوة جنانه ؛ وهو الذي رفع ملوك الكفر صورته في قصورهم تبعاً ، ونقش ملوك الترك وآل بويه رسمه على سيوفهم تفاؤلاً بالظفر ، وتبعاً بالنصرة على أعدائهم .

وكانت هذه القوة والقدرة منه في حال كان قوته خبز الشعير ، ولبسه الخشن من الثياب ، ودأبه الصيام والقيام ودوام العبادة .

أما صفات الكمال الخارجي ، فأحدها نسبة الشريف ، فأبوه أبو طالب سيد البطحاء ، وشيخ قريش ، ورئيس مكة المعظمة ، وكفيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من صغره حتى كبر ، وحامييه من المشركين والكفار حتى لم يحتج في وجوده إلى الهجرة والاعتراب ، فلما رحل عن دنياه خلفه دون حام أو ناصر ، فهاجر إلى المدينة .

وأمه (عليه السلام) فاطمة بنت أسد بن هاشم ، التي كفنها رسول الله (صلى الله

عليه وآله (بردائه ؛ وابن عمه (عليه السلام) سيّد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ، خاتم النبيّين (صلى الله عليه وآله) ، وأخوه جعفر الطيّار ذو الجناحين ، وعمّه حمزة سيد الشهداء ، سلام الله عليهم أجمعين .

وإجمالاً ، فأبائوه آباء رسول الله ، وأمهاته أمّهات خير خلق الله ، لحمه ودمه بلحمه ودمه مقرون ، ونور وحيه بنوره متصل ومضموم قبل خلق آدم ، حتى صلب عبد المطلب ، وانفصلاً بعد صلب عبد المطلب في صليبي عبد الله وأبي طالب ليخرجاً سيّدين للعالم أولهما المنذر والثاني الهادي .

ومن صفات كماله الأخرى مصاهرته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ زوّجه فاطمة (عليها السلام) أشرف بناته وسيّدة نساء العالمين ، التي بلغ من محبّته لها أن يتواضع لها إذا جاءته ، فيقوم من مكانه فيقبلها ويشمّها ؛ ومن المعروف أن محبّة النبيّ (صلى الله عليه وآله) لفاطمة (عليها السلام) ليست لأنّ فاطمة (عليها السلام) ابنته ، بل لما لها من كرامة ومحبّة عند الله عزّ وجلّ .

هذه المحبّة غير حبّ هتّ له في حبّ محبوب الإله الحبّ له رسول الله يقول مرّات ومرّات : فاطمة بضعة منّي ، أذيتها أذيتي ورضاها رضاي ، وغضبها غضبي .

ومن صفات كماله الخارجيّة أيضاً حكاية أبنائه (عليهم السلام) ، فلم يزل أحد ما ناله هو من شرف الأبناء فالحسن والحسين (عليهما السلام) - أبناء - إمامان وسيّدا شباب أهل الجنّة ، ومحبّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لهما بلغت مبلغاً لا يخفى على أحد ، كما أنّ العباس ومحمّد وأزيب وأم كلثوم وغيرهم من أبنائه ، بلغوا من الخلال وعلو الشأن درجات أوضح من البيان ، ولكلّ من ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) أبناء بلغوا من الشرف الغاية .

أمّا أبناء الإمام الحسن (عليه السلام) فالقاسم وعبد الله ، والحسن المثنى والمثلث ، وعبد الله المحض ، والنفس الزكيّة وإبراهيم قتيل باخرا ، وعليّ العابد ، والحسين بن عليّ بن الحسن مقتول فحّ ، وإدريس بن عبد الله ، وعبد العظيم ، والسادة البطحانيون (أو البطحاثيون) ، والشجريون (نسبه إلى قرية الشجرة) ، والأصفهانيون (المعروفون بسادات الروضة^(١)) ، وآل طاووس ، وإسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ

(عليها السلام) ، الملقب بطباطبا ، وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين ، وسنأتي أسماؤهم مع الشروح عليها في فصل أبناء الإمام الحسن (عليه السلام) إن شاء الله .

وأما أبناء الإمام الحسين (عليه السلام) فهم الأئمة العظام كالإمام عليّ زين العابدين ، والإمام محمد باقر العلوم ، والإمام جعفر الصادق ، والإمام موسى الكاظم ، والإمام عليّ الرضا ، والإمام محمد الجواد ، والإمام عليّ الهادي ، والإمام الحسن العسكري ، والإمام الحجة بن الحسن مولانا صاحب العصر والزمان صلوات الله عليهم أجمعين .

الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام .

مواهب الله عندي جازوت أملي وليس يبلغها قولي ولا عملي
لكنّ أشرفها عندي وأفضلها ولايتي لأسير المؤمنين علي^(١)

يا ربّ فاحشني في الآخرة مع النبيّ والعترة الطاهرة .

خاتمة : المرحوم المغفور له ، خالد المقام ، والعالم الكامل جليل القدر ، صاحب التصانيف الرائقة ، الأستاذ الشيخ محمد طاهر ، وقبره مع شيوخ قمّ قرب زكريّا بن آدم القميّ (ره) قال قصيدة في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام) موسومة بـ « مؤنس الأبرار » وفيها يشير إلى الكثير من فضائل هذا الرجل ، رأينا من الملائم التبرّك في هذا الكتاب بأبيات منها^(٢) نختم بها هذا الفصل .

يبدأ الشاعر قصيدته فيكتب بدمع العيون قصة أبناء هذا العصر ، فينزفها ألماً عليهم ويحذّر من الميل إلى الدنيا ويهرجها ، فالأنس الحقّ لا يكون إلا بالله ، والقرب منه ، وتلمّس عين لطفه ؛ أمّا الدنيا فغرارة خداعة ، إن لأن منها الملمس ففي أنيابها السمّ الزعاف .

ثم يدعو إلى مجابة الآفات كالخسد والغرور ، ونبيذ سموم الرياء والسمعة ، والبحث عن العلاج الناجع في محض الإيمان ، والتوجّه إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى الدار الباقية ، وعدم الاغترار بالدنيا الفانية ، والتخلّص من قيود الغفلة ، واللجوء إلى الصدق في النوايا ، والإخلاص في العمل ، والطاعة والخشوع ، والتزوّد لليوم الآخر بشمين الزاد لمبادلته بجوهر المتاع .

ثم يأخذ بالحديث عن مدار قصيدته ، فيرتقي في معارج الحب ، حبّه لأسير المؤمنين

(١) قاتل هذه الأشعار ابن شهر آشوب .

(٢) أورد المؤلف خمسة وثلاثين بيتاً من القصيدة المشار إليها « مؤنس الأبرار » وتكفي هنا بذكر مضمونها بإيجاز ، والإشارة إلى ما أشارت إليه . (المعرّب) .

(عليه السلام) ، وموقع هذا الحبّ منه ، بل موقعه هو من هذا الحبّ ، ويتلّصّ تاج محبّته فيحبّ بالشرف والفخر ، ويزجي الشكر ، فمحبّته (عليه السلام) ليست واجباً على الإنسان فحسب ، إنّها فرض على الدنيا ومن فيها .

أليس هو من دعاه خير الخلق طراً بخير البشر ؟ فقال فيه : « عليّ خير البشر ، فمن أبى فقد كفر » ؟

أليس لا يجوز القبول فرضاً من صلاة أو صوم أو حجّ إلّا بمحبّته ومحبة آله ؟

أليس هو من سقى بالدم شجرة الإسلام الغصّة فأينعت ؟

أليس هو من أراق ماء النور من علمه فمحا ظلمات الجهل ، وأراق ماء الخير من سيفه فانقلبت فيافي الأرض رياضاً ؟

أليس هو من سوّد بحدّ سيفه وجه من قال : إن خرق الفلك محال ؟

أليس هو من دكّ عرش الشرك الزنيم ، وحطّم أوثانه بأيدي من كتف أخيه النبيّ العظيم ؟

أليس هو من فيه نزلت : « هل أتى » وفاز لإيثاره بمدح الرحمن ؟

أليس هو من جاد بخاتمة راكمه فاستحقّ : « إنّما وليكم » عن جدارة ؟

أليس هو من النبيّ بمنزلة هارون من النبيّ ، غير أنه ليس بنبيّ ؟

أليس صاحب يوم الغدير ، يوم توجّ بتاج الولاية وقيل فيه : « وال من والاه » ؟

أليس من أقربّه الخاصّ والعامّ ، ثم انظروا بعد قلوب أهل النفاق الضجّار ؟

أليس نفس المصطفى في قول : « أنفسنا » إذ باهلوا الكفّار ؟

أليس فيه نزلت آية الإنذار ، وكان الوصيّ الأمين منذ يوم الدار ؟

أليس أخا النبيّ المنذر ، وهو الهادي بقول العزيز الجبار ؟

أليس ثاني الثقلين ، ومن لم يلتزمه ضلّ المسار ؟

أليس سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق وبار ؟

أليس من طهّره الحقّ تعالى ، وطهّر أهل بيته الأبرار ؟

أليس من توجّه الإيمان أميراً على المهاجرين والأنصار ؟

أليس رجل خبير ، فقتل مرحباً وفاز بثناء النبي المختار ؟

أليس هو من يحب الله ، ومحبه الله ، وهو هو الكرّار ؟

أليس كان البدر المنير في بدر ، وكان الآخرون النجوم الصغار ؟

ألم يبرأ نبي الله ممّن أشرك ، بأمر الله ، وبصوته الهذّار ؟

أليس الحقّ معه ، وهو مع الحقّ أينما دار ؟

أليس من رُدّت له الشمس فادّى فرضه بفضل الغفّار ؟

أليس من قال : « سلوني » وما قالها بعده غير كاذب فجّار ؟

أليس إمام أهل العلم ، تلميذٌ لذنبِ النبي المختار ؟

أليس باب مدينة العلم ، فلا يلتبسَ باب وجدار ؟

أليست جهنّم لمن عادى عليّاً ، ولمن أحبه النجاة من النار ؟

وبعدُ ، فينتقل الشاعر إلى حديث عن تولّيه عليّاً وأولاده (عليهم السلام) ، وعمّاً لقيه في الولاء لهم من جور الأعداء ، وفراره مضطراً من النجف بعد أن كان يرجو أن تكون تربتها تربته ، ويدعو بجاء محمّد وعليّ والال الاطهار أن يعود إليها ، فهو مها تقلّب به الأرض والأحوال فمحبّة عليّ دأبه وديدنه ، ففي محبّته الخلاص من وطأة سؤال منكر ونكير ، وبشفاعة المرتضى فلمحبّه الغفران من الرحمن الرحيم .

ثم يقول : إنّ حصر فضائل عليّ (عليه السلام) من المحال ، وليس الحديث عن فضله - مهما بلغ - سوى إقراءٍ بالعجز ، حتى ولو كانت البحار مداداً وكان الشجر أقلاماً ؛ ويختم بتحذير القارئ من أن يظنّ به الإغراق والإفراط ، فهذا ما أخبر به أحمد المختار ، عليه وعلى آله أفضل الصلوات .

الفصل الثالث

فجد استشهد أمير المؤمنين (عليه السلام)

المشهور بين علماء الشيعة أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قبض ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة ، بعد أن ضربه أشقى الأتمة عبد الرحمن بن ملجم المرادي اللعين بالسيف المسموم على رأسه في مسجد الكوفة ، في وقت التنوير^(١) ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة مضين من الشهر ، فبقي يومين ثم لقي ربّه شهيداً وله من العمر ثلاث وستون سنة .

كان له من العمر عشر سنين لما بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالنبوة ، فأمن به ، وعاش مع النبي (صلى الله عليه وآله) في مكة ثلاث عشرة سنة ، وعاش معه في المدينة بعد الهجرة عشر سنين ، ثم فجع بموته ، وعاش بعده ثلاثين سنة ، منها أيام أبي بكر ستان وأربعة أشهر ، وإحدى عشرة سنة أيام عمر ، واثنى عشرة سنة أيام عثمان ، وأما خلافته الظاهرية فقد امتدت ما يقرب من خمس سنين ، ممتحناً بجهاد المناقين ، ومورس الظلم ضده بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) مباشرة ، وتحدث عن مظلوميته ، وقد ضجر من تمرد رجاله ونفاقهم حتى طلب الموت من الله ؛ وتحدث عن مقتله بيد ابن ملجم مرأت ، وكان أحياناً يقول : « ما يمنع أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم ؟ » ويضع يده على لحيته .

وخطب أصحابه في شهر رمضان ، الشهر الذي قتل فيه ، فقال : « ألا وإنكم حاجو العام صفاً واحداً ، وآية ذلك أني لست فيكم » .

وكان في هذا الشهر يفسر ليلة في بيت الحسن ، وليلة في بيت الحسين ، وليلة في بيت زينب (عليهم السلام) ، وكانت عند عبد الله بن جعفر ، لا يزيد على ثلاث لقم ، فقيل له

(١) وقت التنوير : وقت صبرورة الليل منوراً بالشفق .

في ذلك فقال : يأتيني أمر الله وأنا خبيص ، إنما هي ليلة أوليلتان .

ويروي بعضهم أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان على المنبر يوماً ، فنظر إلى ابنه الحسن (عليه السلام) وقال : أي أبا محمد ، كم يوماً انقضى من شهر رمضان هذا ؟ قال : ثلاثة عشر يوماً ، فنظر إلى الحسين (عليه السلام) وقال : أي أبا عبد الله ، كم بقي من شهر رمضان هذا من الأيام ؟ قال : سبعة عشر يوماً ، فرفع يده إلى لحيته ، وكانت بيضاء فقال : « والله ليخضبها بدمها إذا تبعث أشقاها » ، ثم أنشد :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

أما عن كيفية مقتله (عليه السلام) فيروي جماعة من الأفاضل أن نقرأ من الخوارج - ومن بينهم عبد الرحمن بن ملجم - اجتمعوا بمكة ، فتذكروا الأمراء فعاوبهم وعابوا عليهم أعمالهم ، وذكروا أهل النهر وأن يكوا عليهم وترحموا ، وقال بعضهم من خلال الحديث : إن علياً ومعاوية سب بلاء هذه الأمة فلو أنيناها وقتلناها فأرحنا منها البلاد والعباد ؟ قال رجل من أشجع : أما والله ليس عمرو بن العاص بأقل منها ، فهو أصل الفساد والفتنة ؛ فتعاهدوا بينهم على ذلك ، فقال عبد الرحمن بن ملجم : أنا أكفيكم علياً ؛ وقال الحجاج بن عبد الله المعروف بالبرك : أنا أكفيكم معاوية ؛ وقال دادوية المعروف بعمرو بن بكر التميمي : أنا أكفيكم عمر بن العاص .

وتعاهدوا على ذلك وتوافقوا على الوفاء ، وأتعدوا شهر رمضان في ليلة تسع عشرة منه ، على أن يكون التنفيذ في ليلة واحدة ، بل في ساعة واحدة عند صلاة الصبح ، ثم تفرقوا ، فأخذ البرك طريق الشام ، وعمرو طريق مصر وابن ملجم طريق الكوفة ، بعد أن سمعوا سيوفهم ، وكنتمو أمرهم في انتظار الميعاد .

وفي صبح ليلة تسع عشرة دخل البرك بن عبد الله المسجد بسيفه المسموم واتخذ موقفاً له بين الناس خلف معاوية ، فلما رجع معاوية (أو سجد) شهر سيفه وضرب معاوية ، فوقعت ضربته في إليته ، فصرخ معاوية ووقع في المحارب ، فاجتمع الناس وأمسكوا بالبرك ، وأخذوا معاوية إلى قصره ، ثم أتوا له بطبيب حاذق ، فقال : إن السيف مسموم ، فاختر إما أن أئمني لك حديد فأنجعلها في الضربة ، وإما أن أسقيك دواء فتبرأ وينقطع نسلك ، فقال : أما النار فلا أطيقها ، وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما يقر عيني ، وحسبي بهما ؛ فسقاها الدواء فعوفي ، ولم يولد له بعد ذلك ؛ ثم أمر أن تبنى في المسجد مقصورة وعين حراساً يحرسونه .

ثم أحضر البرك ، فأمر بقطع رأسه ، فقال : إن لك عندي بشارة ، قال : وما هي ؟ فأخبره خبر صاحبه وقال : إن علياً قتل هذه الليلة فاحتسبي عندك ، فإن قتل فانت ولي ما تراه

في أمري ، وإن لم يقتل أعطيتك العهد والميثاق أن أمضي فأقتله ، ثم أعود إليك فاضع يدي في يدك حتى تحكم في بما ترى .

فحبسه عنده - على قول - فلما أتى الخبر أن علياً قتل في تلك الليلة خلى سبيله .

أما عمرو بن بكر ، فلما بلغ مصر ، صبر حتى حلت ليلة نزع عشرة من شهر رمضان ثم أتى المسجد بسيفه المسموم وجلس ينتظر عُمرًا ، وشاء القضاء أن يصاب عمرو في تلك الليلة بالقولنج ، فاستخلف قاضي مصر خارجة بن أبي حبيبة على الصلاة ، فخرج إلى الصلاة ، فشذ عليه عمرو بن بكر فضربه بالسيف فأبته ، وهو يظنه عُمر بن العاص ، وأراد الفرار ، فتكاثر عليه الناس وأخذوه إلى عمرو بن العاص ، فأمر بقتله ، فشرع اللعين بالبكاء ، فقيل له : أتبكي عند الموت ، أو لم تعلم أن جزاء فعلتك الهلاك ؟ قال : لا والله ، لست أخشي الموت ، بل إنِّي أبكي لأنني لم أظفر بعمره ، ويمزني أن البرك وابن ملجم بلغا مرادهما وقتلا علياً ومعاوية ؛ فأمر عمرو بقتله ، ودخل من غد إلى خارجة وهو يجود بنفسه فقال خارجة : أما والله يا أبا عبد الله ما أراد غيرك ، قال عمرو : ولكن الله أراد خارجة !

وأما عبد الرحمن بن ملجم فأقبل إلى الكوفة ونزل في محلة بني كندة ، قاعدة الخوارج ، فلقي بها أصحابه فكنتمهم أمره مخافة أن ينتشر منه شيء ، فهو في ذلك إذ زار رجلاً من أصحابه ، فصادف عنده قطام بنت الأخضر التيميّة ، وكانت من أجل نساء أهل زمانها ، صباحة وجه وسواد شعر كالمنسك ، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) قتل أباهما وأخاهما في النهروان ؛ فلما رآها ابن ملجم شغف بها واشتد إعجابها ، وسأل في نكاحها وخطبها ، فقالت : ما الذي تسمي لي من الصداق ؟ فقال : لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتك ، فقالت : ثلاثة آلاف درهم ، وعبدًا ، وقينة ، وقتل علي بن أبي طالب ؛ فقال : لك جميع ما سألت ، فأتا قتل علي بن أبي طالب فأبى بذلك ؟ قالت : فالتمس غرته ، فإن أنت قتلتك شغيت نفسي ، وهناك العيش معي ، وإن أنت قتلتك فما عند الله خير لك من الدنيا .

عرف ابن ملجم أن اللعينة متفقة معه فيها هو فيه ، فقال : أما والله ما جاء بي إلى هذا المصر - وقد كنت هارباً منه - إلا ما سألتني من قتل علي بن أبي طالب ، فلك ما سألت . قالت : فأننا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك ؛ ثم بعثت إلى وردان بن مجالد التيمي وسألته معونة ابن ملجم لعنه الله ، فتحمل ذلك لها .

وخرج ابن ملجم فأبى رجلاً من أشجع يقال له شيب بن بجرة الخارجي ، فقال له : هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تساعدني على قتل علي بن أبي طالب ، قال : نكلتك أمك ، لقد جئت شيئاً إداً ، وكيف تقدر على ذلك ؟ قال ابن ملجم : نكمن له في المسجد الأعظم ، فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به ، فإن نحن قتلناه شفيئنا

أنفسنا ، وأدركنا ثأرنا ، فلم يزل به حتى أجابه ، فأقبل معه حتى دخل على قطام ، وكانت معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت عليها قبة ، فقال لها : قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل ، فقالت لها : إذا أردتما ذلك فائتيا في هذا الموضع ؛ فانصرفا من عندها ، فلبثا أياماً ثم أتياها ومعهما وردان ليلة الأربعاء لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، فدعت لهم بحريز فعصبت به صدورهم ، وتقلدوا سيوفهم ، ومضوا وجلسوا مقابل السدة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الصلاة

وكانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وواطأهم على ذلك ؛ وحضر الأشعث بن قيس في تلك الليلة لمعونتهم على ما اجتمعوا عليه .

وكان حجر بن عدي في تلك الليلة باثناً في المسجد ، وهو من كبار الشيعة ، فسمع الأشعث يقول لابن ملجم : النجاء النجاء لحاجتك ، فقد فضحك الصبح ، فأحس حجر بما أراد الأشعث ، فقال له : قتلته يا أعور ! وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ليخبره الخبر ويحذره من القوم وشاء القضاء أن يخالفه أمير المؤمنين (عليه السلام) من الطريق ، فدخل المسجد ، فسبقه ابن ملجم وضربه بالسيف ، وأقبل حجر (وقد سبق القضاء) والناس يقولون : قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) .

أحوال أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلة تسع عشرة من شهر رمضان

ونأتي الآن إلى بيان حال أمير المؤمنين (عليه السلام) في تلك الليلة :

قالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) : لما كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قدمت إليه عند إفطاره طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير ، وقصعة فيها لبن وملح جريش ؛ فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره ، فلما نظر إليه وتأمله حرك رأسه وبكى بكاء شديداً عالياً وقال : . . . يا بنيتي أتقدمين إلى أهلك إدامين في طبق واحد ؟ أنا أريد أن أتبع أخي وابن عمي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا بنيتي ، ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلا طال وقوفه بين يدي الله عز وجل ، يا بنيتي ، إن الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب .

ثم ذكر شيئاً عن زهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ثم قال :

يا بنيتي ، والله لا أكل شيئاً حتى ترفعني أحد الإدامين ، فلما رفعتني تقدمت إلى الطعام فأكلت قرصاً واحداً بالملح والجريش ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قام إلى صلاته فصل ، ولم يزل راکعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرعاً إلى الله سبحانه .

ويروى أنه (عليه السلام) كان يكثر الخروج والدخول في تلك الليلة ، وهو ينظر إلى السماء وهو قلق يتأمل ، ثم قرأ سورة « يس » حتى ختمها ، ويكثر من قول : « اللهم بارك لنا في الموت » ، و « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » و « إنا لله وإنا إليه راجعون » ، ثم صلّى حتى ذهب بعض الليل ، ثم جلس للتعقيب ، ثم صلّى على النبي وآله ، واستغفر الله كثيراً .

ويروي ابن شهر آشوب وغيره أنّ عليّاً (عليه السلام) قد سهر تلك الليلة ، ولم يخرج لصلاة الليل على عادته ؛ فقالت أمّ كلثوم : ما هذا السهر ؟ قال : إني مقتول لوقد أصبحت ، فقالت : مُر جعدة فليصل بالناس (جعدة هو ابن هبيرة ، وأمه أمّ هانئ أخت أمير المؤمنين (عليه السلام)) ، قال : مروا جعدة ليصل ، ثم قال : لا مفر من الأجل ، وعزم على الخروج إلى المسجد بنفسه .

ويروى أنه (عليه السلام) سهر في تلك الليلة ، فأكثر الخروج والنظر إلى السماء وهو يقول : والله ما كذبت وما كذبت ، وإني الليلة التي وعدت ؛ ثم يعاود مضجعه ، فلما طلع الفجر أتاه ابن التباح (مؤذنه) ونادى : الصلاة ، فقام فاستقبله الإورّ فصحن في وجهه ، فجعلوا يطردوه فقال : دعوهنّ فإنهنّ صواتح تنبها نوائح .

ويرواية عن أمّ كلثوم والإمام الحسن (عليه السلام) :

قلقت له : يا أباه هكذا تنطير ؟ فقال : يا بنيّة ، ما منّا أهل البيت من يتطير ولا يُنطير به ، ولكن قول جرى على لساني .

ثم أوصى ابنته بالإورّ فقال : يا بنيّة ، بحقي عليك إلا ما أطلقتيه ، فقد حيث ما ليس له لسان ، ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش ، فاطعميه واسقيه ، وإلا خلت سبيله يأكل من حشائش الأرض ؛ فلما وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه فتعلّق الباب بمثّره ، فأنحلّ مثّره حتى سقط ، فأخذه وشده (يقول المؤرخ أمين المسمودي : كان بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) من جذع نخلة ، فعالجه ليفتحه فاستعصى ، فاقتلعه من مكانه ووضع جانباً ، ثم شدّ مثّره وجعل يشد) :

اشدد حيازيمك للموت	فإنّ الموت	لا ييك
ولا تجزع من الموت	إذا حلّ	بناديك
ولا تغترّ بالدهر	وإن كان	يوانيك
كما أضحكك الدهر	كذاك الدهر	يبكيك

ثم قال : اللهم بارك لنا في الموت ، اللهم بارك لي في لقائك .

قالت أم كلثوم : فلما سمعته يقول ذلك قلت : واغوثاه يا أبتاه ، وخرج ، فقام الحسن (عليه السلام) ولحقه ، فقال : يا أبتاه ، أريد أن أمضي معك ، فقال له : أقسمت بحقي عليك إلا ما رجعت . . فرجع الحسن (عليه السلام) فوجد أخته أم كلثوم . . وجلسا يتحدثان وهما محزونان يبكيان عما شهداه من حال أبيهما وسمعهما من أقواله .

مجيئته (عليه السلام) إلى المسجد وإيقاظه للمؤمنين

وسار أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى دخل المسجد ، والقناديل قد خمد ضوءها ، فصلّى في المسجد ورده ، وعقب ساعة ، ثم إنه قام وصلى ركعتين . ثم علا المذنة ، ووضع سبّابيه في أذنيه وتنحنح ثم أذن ، وكان (عليه السلام) إذا أذن لم يبق في بلدة الكوفة بيت إلا اخترقه صوته ؛ ثم نزل من المذنة وجعل يسبح الله ويقدّسه ويكبره ، ويكثر من الصلاة على النبي ثم أنشد :

خَلُّوا سَبِيلَ الْمُؤْمِنِ الْمَجَاهِدِ فِي اللَّهِ لَا يَعْبُدُ غَيْرَ الْوَاحِدِ
وَيَرْقُظُ النَّاسُ إِلَى الْمَسَاجِدِ

كان من كرم أخلاقه (عليه السلام) أنّه يتفقد النائم في المسجد ، ويقول للنائم : الصلاة يرحمك الله ، الصلاة .

وكان ابن ملجم اللعين لم ينم تلك الليلة وهو يفكر في ما سيقدم عليه من أمر عظيم ، ولما بلغ أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الملعون وجده نائماً على وجهه ، ومعه السيف المسموم تحت ثوبه ، فقال له : يا هذا قم من نومك هذا ، فإنّها نومة يمقتها الله وهي نومة الشيطان ، بل نم على يمينك فإنّها نومة المؤمنين ، أو على يسارك فإنّها نومة الحكماء ، أو نم على ظهرك فإنّها نومة الأنبياء .

ثم قال : لقد هممت بشيء تكاد السهوات بتفطرون منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال ، ولو شئت لأنبأتكم بما تحت ثيابك .

ضربة اللعين ابن ملجم لعلي (عليه السلام)

ثم تركه وعدل عنه إلى محرابه ، وقام قائماً يصلي .

أمّا ابن ملجم فمع أنّه كان يتردد في مسمعه أن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقتل بيد أشقى الأمتة ، وقوله لقطام : أخاف أن أكون ذلك الشقي ، ولا يتيسر لك ما تتمنّى ، وكان تلك الليلة يفكر في هذا الأمر العظيم حتى الصبح ، لكنّ سيل شقائه جرف تلك الأخيلة كما يحرف سيل الفناء التبن ونشارة الخشب ، وصمّ على قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) ،

فتقدم حتى وقف بإزاء الأسطوانة التي كانت إلى جانب المحراب ، في حين كان وردان وشبيب يكمنان في الركن .

ولما رفع أمير المؤمنين (عليه السلام) رأسه من الركعة الأولى كان شبيب بن بجرة أول من حمل عليه وهو يقول : الله الحكم يا علي ، لا لك ولا لأصحابك ، وضربه بسيفه فأخطاه ووقعت ضربته في الطاق ؛ وأعقبه ابن ملجم فأخذ سيفه وهزّه ، وحمل عليه وهو يردد الكلام نفسه ، ثم ضربه على رأسه الشريف وشاء القضاء أن تقع الضربة على موضع الجرح الذي أصابه به عمرو بن عبيد وده العامري ، ثم أخذت الضربة من مفرق رأسه إلى موضع السجود^(١) ، فقال (عليه السلام) : « باسم الله وبالله على ملة رسول الله ، فزت ورب الكعبة » . ثم صاح : قتلني ابن ملجم ، قتلني ابن اليهودية ورب الكعبة ، أيها الناس لا يغوتكم ابن ملجم .

فلما سمع الناس صيحته ثار جميع من في المسجد في طلب اللعين ، وعلت الأصوات ، واضطرب الناس وماجوا ، وأحاطوا بأمر المؤمنين (عليه السلام) وهو ملقى في محرابه يشد الضربة ، ويأخذ التراب ويضعه عليها ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ .

ثم قال : أتى أمر الله ، وصدق رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ورأى الناس الدم من رأسه يجري على وجهه ويخضب لحيته ، وهو يقول : « هذا ما وعدنا الله ورسوله » .

ولما ضرب ابن ملجم ضربته على مفرق علي (عليه السلام) ارتجت الأرض ، وماجت البحار ، وتزلزلت السماوات ، واصطفقت أبواب الجامع ، وضجت الملائكة في السماء

(١) وفقاً لرواية الشيخ الفيد والمسعودي أن ابن ملجم وشبيب ومحاشع بن وردان تقلدوا سيوفهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التي يخرج منها علي (ع) ، فلما دخل (ع) المسجد وهو يتنادي : أيها الناس الصلاة شد عليه ابن ملجم وأصحابه وهم يقولون : الحكم لله لا لك ، وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف في قربه ، وأما شبيب فوقعت ضربته بعصاة الباب ، وأما (ابن) وردان فهرب ؛ وقال علي (ع) : لا يغوتكم الرجل ؛ وشد الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصى ويتناولونه ويصيحون ، فضرب ساقه رجل من همدان برجله ، وضرب المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وجهه فصرعه ، وأقبل به إلى الحسن (ع) ، ودخل شبيب بين الناس فتجا بنفسه ، وهرب حتى أتى رحله ، فدخل عليه عبد الله بن بجرة ، وهو أحد بني أبيه ، فرأه يترزع الحرير عن صدره ، فسأله عن ذلك فخبّره خبره ، فأنصرف عبد الله إلى رحله وأقبل إليه بسيفه فضره حتى قتله ، ولكن معلوماً أن ما يستفاد من الروايات هو أن تلك الصلاة التي ضرب فيها أمير المؤمنين (ع) كانت نافلة الفجر .

بالدعاء ، وهبَّت ريح عاصف سوداء مظلمة ، ونادى جبرئيل (عليه السلام) بين السماء والأرض يسمعه كلٌ مستيقظ :

« تهذمت والله أركان الهدى ، وانطمست والله نجوم السماء وأعلام النقى ، وانفصمت والله العروة الوثقى ، قتل ابن عم المصطفى ، قتل الوصي المجتبى ، قتل علي المرتضى ، قتل والله سيد الأوصياء ، قتله أشقى الأشقياء » .

فلما سمعت أم كلثوم نعي جبرئيل لطمت على وجهها وخذها ، وشقت جيها وصاحت :
وا أبتاه ، وا علياه ، وا محمداه ، وا سيده ، ثم إن الحسين (عليها السلام) خرجا إلى المسجد فإذا الناس ينوحون وينادون : وا إماماه ، وا أمير المؤمنين ، قتل والله إمام عابد مجاهد ، لم يسجد لصنم ، كان أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فلما سمع الحسن والحسين (عليهما السلام) صرخات الناس : ناديا : وا أبتاه ، وا علياه ، ليت الموت أعلمنا الحياه .

فلما وصلا الجامع ودخلا وجدا أبا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من الناس وهم يجتهدون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلي بالناس ، فلم يطق على النهوض ، وتأخر عن الصف وتقدم الإمام الحسن (عليه السلام) فصلّى بالناس ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يصلي إيماء من جلوس ، يميل تارة ويسكن أخرى ، والحسن (عليه السلام) ينادي وا انقطاع ظهراه ، يعزّ والله عليّ أن أراك هكذا ، ففتح عينيه وقال : يا بنيّ ، لا جزع على أبيك بعد اليوم ، هذا جدك محمد المصطفى ، وجدتك خديجة الكبرى ، وأمك الزهراء ، والخور العين محذون متظرون قدوم أبيك ، فطب نفساً وقرّ عيناً وكفّ عن البكاء ، فإنّ الملائكة قد ارتفعت أصواتهم (لبكائك) إلى السماء .

ثم عصبوا رأسه بردائه ، ونقلوه من المحراب إلى صحن المسجد . ثم إن الخبر شاع في جوانب الكوفة وانحشر الناس ، حتّى المخدّرات خرجن من خدورهنّ إلى الجامع ينظرن إلى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، فدخل الناس الجامع فوجدوا الحسن ورأس أبيه في حجره ، وقد غسل الدم عنه ، وشدّ الضربة وهي ما تزال تشخب دماً ، ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة ، وهو يرمق السماء بطرفة ، ولسانه يتّيح الله ويوحّده ويقول :

« إلهي أسألك مرافقة الأنبياء والأوصياء ، وأعلى درجات جنّة المأوى » .

ثم أغشي عليه ، فبكى الحسن بكاء شديداً فسقط من دموعه قطرات على وجه أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ففتح عينيه فقال له : يا بنيّ يا حسن ما هذا البكاء ؟ يا بنيّ اتّحزّ على أبيك وغداً تقتل بعدي مسموماً مظلوماً؟ ويقتل أخوك بالسيف هكذا ، وتلحقان بجذكما

وأبيكما وأثكما ؛ فقال له الحسن (عليه السلام) : يا أبتاه ، ما تعرّفنا من قتلك ومن فعل بك هذا ؟ قال : قتلني ابن اليهودية عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، وسيطلع عليكم من هذا الباب ، وأشار بيده الشريفة إلى باب كندة ، ولم يزل السّم يسري في رأسه وبدنه ، ثم أغمي عليه ساعة ، والناس ينظرون إلى باب كندة ويبكون ، وإذا بالصيحة قد ارتفعت ، وزمرة من الناس قد جاؤوا بعدو الله ابن ملجم مكتوفاً ، وهذا يلعنه ، وهذا يضربه ، وهم ينهشون لحمه بأسنانهم ، ويقولون له : يا عدو الله ما فعلت ؟ أهلك أمّة محمّد ، وقتلت خير الناس ، وإنّه لصامت ، وبين يديه رجل يقال له حذيفة النخعي ، بيده سيف مشهور ، وهو يردّ الناس عن قتله ، حتى جاؤوا به وأوقفوه بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فلمّا نظر إليه الحسن (عليه السلام) قال له : ويلك يا لعين يا عدو الله ، أنت قاتل أمير المؤمنين ، ومثكلنا إمام المسلمين ، هذا جزاؤه منك حيث آواك ، وقربك وأدناك ، وأثرك على غيرك ؟ هل كان بش الإمام لك حتى جازيته هذا الجزاء يا شقي ؟

أطرق ابن ملجم ولم ينبس ، وضجّ الناس بالبكاء والنحيب ، ثمّ التفّ الحسن (عليه السلام) إلى الذي جاء به فقال له : كيف ظفرت بعدو الله وأين لقيته ؟ فقص عليه أمره ، فقال (عليه السلام) : الحمد لله الذي نصر وليّه وخذل عدوّه ، وبعد قليل فتح أمير المؤمنين (عليه السلام) عينيه وهو يقول : « أرفقوا بي يا ملائكة ربّي » .

حديثه (عليه السلام) مع قاتله

فقال له الحسن (عليه السلام) : هذا عدو الله وعدوك ابن ملجم قد أمكن الله منه ، وقد حضر بين يديك ؛ فنظر إليه وقال له بضعف : يا ابن ملجم ، لقد جئت أمراً عظيماً وخطباً جسيماً ، أبش الإمام كنت لك حتّى جازيتني بهذا الجزاء ؟ ألم أكن شقيقاً عليك ، وأثرتك على غيرك ، وأحسنت إليك ، وزدت في عطائك ؟ وقد كنت أعلم أنّك قاتلي لا محالة ، ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك ، وعلم أنّ ترجع عن غيرك ، فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقيّ الأشقياء ، فدمعت عينا ابن ملجم وقال : يا أمير المؤمنين ، فانت تنفذ من في النار ؟

ثمّ التفّت إلى ولده الحسن (عليه السلام) وقال له : أرفق يا ولدي بأسيرك وارحمه وأحسن إليه وأشفق عليه ، ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أمّ رأسه ، وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفزعاً ؟ فقال له الحسن (عليه السلام) : يا أباه ، قد قتلك هذا اللعين الفاجر وأفجعنا فيك ، وأنت تأمرنا بالرفق به ؟! فقال له : نعم يا بنيّ ، نحن أهل بيت لا نزداد على الذنب إلينا إلاّ كرمًا وعفواً ، والرحمة والشفقة من شيمتنا . . فإن أنا متّ فاقصص منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة ، ولا تحرقه بالنار ، ولا تمثّل بالرجل ، فإني سمعت جدك رسول الله (صلى الله

عليه وآله) يقول : يَا كَافِرُ وَالْمَثَلَةُ لَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورُ ؛ وَإِنَّا عَشْتُ قَاتَانَا أَوَّلِي بِالْعَفْوِ عَنْهُ ، وَإِنَّا أَعْلَمُ بِمَا أَفْعَلُ بِهِ ، فَإِن عَفَوْتُ فَتَحْن أَهْلَ بَيْتٍ لَا تَزْدَادُ عَلَى الْمَذْنِبِ إِلَيْنَا إِلَّا عَفْوَاً وَكِرْماً .

ولما حمل أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى بيته ، وهو ممدتف جازواً باللعين مكتوفاً إلى بيت من بيوت القصر فحبسوه فيه ، والناس في أمر عظيم باكون محزونون ، قد أشرفوا على الهلاك من شدة البكاء والنحيب ، والتفت إليه الحسن (عليه السلام) وهو يبكي ، فقال له : يَا أَبْنَاهُ ، مَنْ لَنَا بَعْدُكَ ؟ مَا كَيُومُكَ إِلَّا يَوْمَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، مَنْ أَجْلَكَ تَعَلَّمْتَ الْبُكَاءَ ، يَمُزُّ وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنَّ أَرَاكَ هَكَذَا ؛ فَنَادَاهُ (عليه السلام) وَقَالَ : اذْنِ مِنِّي ، فَدَنَا مِنْهُ وَقَدْ قَرَحَتْ أَجْفَانُ عَيْنَيْهِ مِنَ الْبُكَاءِ ، فَمَسَحَ الدَّمُوعَ عَنْ عَيْنَيْهِ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَلْبِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا بَنِيَّ ، رِبَطَ اللَّهُ قَلْبَكَ بِالصَّبْرِ ، وَأَجْزَلَ لَكَ وَلِإِخْوَتِكَ عَظِيمَ الْأَجْرِ ، فَسَكَّنَ رَوْعَتَكَ وَاهْدَأَ مِنْ بَكَائِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَجْرَكَ عَلَى عَظِيمٍ مَصَابِكٍ ، ثُمَّ أَدْخَلَ إِلَى حَجْرَتِهِ وَأَرْقَدَ فِي مَوْضِعٍ مَصْلَاحِهِ .

وأقبلت زينب وأمّ كلثوم حتى جلستا معه على فراشه ، وأقبلتا تندبانه وتقولان : يَا أَبْنَاهُ ، مَنْ لِلصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ ؟ وَمَنْ لِلْكَبِيرِ بَيْنَ الْمَلَأِ ؟ يَا أَبْنَاهُ ، حَزَنُنَا عَلَيْكَ طَوِيلٌ ، وَعَبْرَتُنَا لَا تَرَقُّ ، فَضَجَّ النَّاسُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجْرَةِ بِالْبُكَاءِ والنَّحْيِ ، وَفَاضَتْ دُمُوعُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) عِنْدَ ذَلِكَ ، وَجَعَلَ يَقْلِبُ طَرَفَهُ وَيَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَوْلَادِهِ ، ثُمَّ دَعَا الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ (عليهما السلام) وَجَعَلَ يَحْضَنُهُمَا وَيَقْبَلُهُمَا .

يروى الشيخ المفيد^(١) والشيخ الطوسي عن الأصمغ بن نباتة قال : لما ضرب ابن ملجم

(١) روى ابن شاذان في (الفضائل) عن الأصمغ بن نباتة قال : لما ضرب أمير المؤمنين (ع) الضربة التي كانت وفاته فيها اجتمع إليه الناس بسباب القصر ، وكان يراد قتل ابن ملجم ، لعنه الله ، فخرج الحسن (ع) فقال : معاشر الناس ، إِنَّ أَبِي أَوْصَانِي أَنْ أُتْرِكَ أَمْرُهُ إِلَى وَفَاتِهِ ، فَإِن كَانَ لَهُ الْوَفَاةُ ، وَالْأَنْظَرُ هُوَ فِي حَقِّهِ ، فَانْصَرَفُوا بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، فَانْصَرَفَ النَّاسُ وَلَمْ أَنْصَرَفْ ، فَخَرَجَ ثَانِيَةً وَقَالَ لِي : يَا أَصْبَغُ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلِي عَنْ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) ؟ قُلْتُ : بَلَى ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ حَالَهُ فَاحْبَبْتُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَاسْمَعُ مِنْهُ حَدِيثاً ، فَاسْتَأْذَنْ لِي رَحِمَ اللَّهُ ؛ فَدَخَلَ وَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ خَرَجَ فَقَالَ لِي : ادْخُلْ ، فَدَخَلْتُ فَبَإِذَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (ع) مُعْصَبٌ بِعَصَابَةٍ ، وَقَدْ عَلَتْ صَفْرَةُ وَجْهِهِ عَلَى تِلْكَ الْعَصَابَةِ ، وَإِذَا هُوَ يَرْفَعُ فِخْذاً وَيَضَعُ أُخْرَى مِنْ شِدَّةِ الضَّرْبَةِ وَكَثْرَةِ السَّمِّ ، فَقَالَ لِي : يَا أَصْبَغُ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْحَسَنِ عَنْ قَوْلِي ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُكَ فِي حَالَةٍ فَاحْبَبْتُ النَّظَرَ إِلَيْكَ ، وَأَنْ أَسْمَعَ مِنْكَ حَدِيثاً ؛ فَقَالَ لِي : اقْعُدْ ، فَمَا أَرَاكَ تَسْمَعُ مِنِّي حَدِيثاً بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا ، أَعْلَمُ يَا أَصْبَغُ أَنَّي أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَائِداً كَمَا جِئْتَ السَّاعَةَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، أَخْرَجَ فَنَادَى فِي النَّاسِ الصَّلَاةَ جَامِعَةً ، وَاصْعَدَ الْمَنْسَرِ ، وَنَمَّ دُونَ مَقَامِي بِمِرْقَاةٍ ، وَقَالَ لِلنَّاسِ :

«الَا مِنْ عَنِّي وَالَّذِيهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، الَا مِنْ ابْنِ مَنْ مَوَالِيهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، الَا مِنْ ظَلَمَ أَجْبَرًا أَجْرَنَهُ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، .

لعنه الله ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) غدونا عليه نفر من أصحابنا أنا والحارث الهمداني وسويد بن غفلة وجماعة معنا ، ففعدنا على الباب ، فسمعنا البكاء فبكينا ، فخرج إلينا الحسن بن علي (عليه السلام) فقال : يقول لكم أمير المؤمنين (عليه السلام) : انصرفوا إلى منازلكم ، فانصرف القوم غيري ، فاشتد البكاء من منزله فبكيت ، وخرج الحسن (عليه السلام) وقال : ألم أقل لكم انصرفوا ؟ فقلت : لا والله يا بن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لا تتابعني نفسي ولا تحملي رجلاي أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قال : فبكيت ، ودخل ، فلم يلبث أن خرج فقال لي : ادخل ، فدخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء ، قد نزع واصفر وجهه ، ما أدري وجهه أصفر أو العمامة ، فأكببت عليه فقبلته وبكيت ، فقال لي : لا

= يا أصبغ ، ففعلت ما أمرني به حبيبي رسول الله (ص) ، فقام من أقصى المسجد رجل فقال : يا أبا الحسن ، تكلمت بثلاث كلمات فأجزتهن ، فأشرحهن لنا ، فلم أرَ جواباً حتى أتيت رسول الله (ص) فقلت ما كان من الرجل .

قال الأصبغ : ثم أخذ بيدي وقال : أبسط يدك ، فبسطت يدي ، فتناول إصبعاً من أصابع يدي وقال : يا أصبغ ، كذا تناول رسول الله (ص) إصبعاً من أصابع يدي ، كما تناولت إصبعاً من أصابع يدك ثم قال : مه يا أبا الحسن ، ألا وإني وأنت أبوا هذه الأمة ، فمن عفا فلعة الله عليه ، ألا وإني وأنت موليا هذه الأمة ، فمن أبى عفا الله عليه ، ثم قال : آمين ، فقلت : آمين .

قال الأصبغ : ثم أغمى عليه ، ثم أفاق فقال لي : أقاعد أنت يا أصبغ ؟ قلت : نعم ، زادك الله من مزيدات الخير ، قال : يا أصبغ ، لقيني رسول الله (ص) في بعض طرقات المدينة وأنا مغموم قد تبين الغم في وجهي ، فقال لي : يا أبا الحسن ، أراك مغموماً ، ألا أحدثك بحديث لا تغتم بعده أبداً ؟ قلت : نعم ، قال : إذا كان يوم القيامة نصب الله منيراً يعلو منابر النبيين والشهداء ، ثم يأمرني الله أصعد فوقه ، ثم يأمر الله أن تصعد دوني بمرقاة ، ثم يأمر الله ملكين فيجلسان دونك بمرقاة ، فإذا استقلنا على المنبر لا يبقى أحد من الأولين والآخرين إلا حضر .

فينادي الملك الذي دونك بمرقاة : معاشر الناس ، ألا من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فانا أعرفه بنسي : أنا رضوان خازن الجنان ، ألا إن الله بمنه وكرمه وفضله وجلاله أمرني أن أدفع مفاتيح الجنة إلى محمد (ص) ، وإن محمداً (ص) أمرني أن أدفعها إلى علي بن أبي طالب ، فاشهدوا لي عليه .

ثم يقوم ذلك الذي تحت ذلك الملك بمرقاة منادياً يسمع أهل الموقف : معاشر الناس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فانا أعرفه بنسي : أنا مالك خازن النيران ، ألا إن الله بمنه وكرمه وفضله وجلاله قد أمرني أن أدفع مفاتيح النار إلى محمد (ص) ، وإن محمداً (ص) قد أمرني أن أدفعها إلى علي بن أبي طالب (ع) فاشهدوا لي عليه .

فأخذ مفاتيح الجنان والنيران ، ثم قال : يا علي ، فتأخذ بحجزتي ، وأهل بيتك يأخذون بحجزتك ، وشيعتك يأخذون بحجزه أهل بيتك .

قال (ع) : فصفقت بكلتا يدي : وإلى الجنة يا رسول الله ؟ قال : إي ورب الكعبة ؛ قال الأصبغ : فلم اسمع من مولاي غير هذين الحديثين ، ثم توفّي صلوات الله عليه .

نبيك يا أصبغ فإنها والله الجنة ، فقلت له : جعلت فداك ، إنّي أعلم والله أنك تصير إلى الجنة ، وإنما أبكي لفقدائي إليك .

وأجمالاً ، فقد أعظم عليه ساعة طويلة وأفاق ، وكذلك كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يغمى عليه ساعة طويلة ويفيق أخرى ، لأنه (صلى الله عليه وآله) كان مسموماً . فلما أفاق ناوله الحسن (عليه السلام) قعباً من لبن ، فشرب منه قليلاً ثم نحاها عن فيه وقال : احمלוه إلى أسيركم ، ثم أعاد وصاية الحسن (عليه السلام) بشأن مآكل اللعين ومشربه .

ويروي الشيخ المفيد وآخرون أنه لما جازوا بابن ملجم إلى الحبس قالت له أم كلثوم وهي تبكي : يا عدوّ الله قتلت أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقال لها لعنه الله : لم أقتل أمير المؤمنين وإنما قتلت أباك ، فقالت : أما أبي فإنه لا بأس عليه ، وإنّ الله مخزيك في الدنيا والآخرة ، قال ابن ملجم . لقد اشتريت سيفي هذا بألف ، وسعته بألف ، وضربته به ضربة لو قسّمت بين أهل الأرض لأهلكتهم .

قال أبو الفرج : ثمّ جمع له أطباء الكوفة ، فلم يكن منهم أعلم بجرحه من أنيرين عمرو بن هاني السلولي ، وكان متطيّباً صاحب الكرسي ، بعالج الجراحات ، فلما نظر إلى جرح أمير المؤمنين (عليه السلام) دعا برثة شاة حارّة فاستخرج منها عرفاً أدخله في شقّ الجرح ثمّ نفخه حتى بلغ أقصى الجرح ، وبعد أن تركه في الجرح قليلاً استخرجه وإذا عليه بياض الدماغ ، فقال : يا أمير المؤمنين اعهد عهدك ، فإنّ عدوّ الله قد وصلت ضربته إلى أمّ رأسك . (أي : لا يستطيع عمل شيء) .



الفصل الرابع

فاج وطايا أمير المؤمنين (عليه السلام) وكيفيته وفاته

وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام)

قال محمد بن الحنفية (رضي الله عنه) : وبتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع ابي وقد نزل السَّم إلى قدميه ، وكان يصلي تلك الليلة من جلوس ، ولم يزل يوصينا بوصاياه ، ويعزينا عن نفسه ، ويخبرنا بأمره وتبيناه إلى حين طلوع الفجر ، فلما أصبح استأذن الناس عليه ، فأذن لهم بالدخول ، فدخلوا وأقبلوا يسلمون عليه ، وهو يرّد عليهم السلام ، ثم قال : أيها الناس اسألوني قبل أن تفقدوني ، وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم ، فبكى الناس عند ذلك بكاء شديداً ، فقام إليه جبر بن عدي وقال شعراً في مصيبة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فلما سكت قال له : كيف لي بك إذا دعيت إلى البراءة مني؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً وأضرمت لي النار وألقيت فيها لأثرت ذلك على البراءة منك ، فقال : وقفت لكل خير يا جبر ، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك .

ثم قال : هل من شربة من لبن ؟ فأنوه بلبن في قعب ، فشرب منه قليلاً وقال : ألا وإنه أخرجني من الدنيا ، فبكى جميع أهل البيت .

ويروى أنّ أحدهم قال لابن ملجم : يا عدوّ الله لا تفرح فأمر المؤمنين (عليه السلام) سينجو ولا بأس عليه ، فقال اللعين : إذا فعل من تبكي أم كلثوم ، أعني تبكي أم عليّ عليّ تقيم العزاء ؟ والله لقد اشتريت سيفي هذا بألف درهم ، وسمّته بألف ، وأصلحت كل نقص فيه ، وضربت عليّاً بهذا السيف ضربة لو قُسمت على أهل المشرق والمغرب لأهلكتهم .

ولما كانت ليلة إحدى وعشرين جمع أولاده وأهل بيته وودّعهم ، ثم قال لهم : الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل ، وأوصاهم ببعضهم خيراً .

وفي تلك الليلة تزايد أثر السم في جسده الشريف ، ثم عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبى ، فنظرنا إلى شفثيه وهما تحتلجان بذكر الله تعالى ، وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه بيده ويقول : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول :

« إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه ، وصار كاللؤلؤ الرطب ، وسكن أنيه » .

ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً وجعل يودعهم ويقول : الله خليفتي عليكم ، أستودعكم الله ، وهم يكون . فقال له الحسن (ع) : يا أبا ، ما دعاك إلى هذا ؟ فقال له : يا بني ، إني رأيت جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله) في منامي قبل هذه الكائنة بليلة ، فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلل والأذى من هذه الأمة ، فقال لي : ادع عليهم ، فقلت : اللهم أبدلهم بي شراً مني ، وأبدلني بهم خيراً منهم ، فقال لي : قد استجاب الله دعائك ، سينفلك إلينا بعد ثلاث ، وقد مضت الثلاث ؛ يا أبا محمد ، أوصيك - وبأبنا عبد الله - خيراً ، فأنتم ما مني وأنا منكم ، ثم التفث إلى أولاده الذين من غير فساطمة (عليه السلام) وأوصاهم أن لا يتخالفوا الحسن والحسين (عليهما السلام) .

ثم قال : « أحسن الله لكم العزاء ، ألا وإني منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه ، ولاحق بحبيبي محمد (صلى الله عليه وآله) كما وعدني » .

ويروي الشيخ المفيد والشيخ الطوسي عن الإمام الحسن (عليه السلام) أنه قال : لما حضرت والدي الوفاة أقبل يوصي^(١) فقال :

« هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أخو محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وابن عمه وصاحبه : أول وصيتي أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله وخبرته ، اختاره بعلمه وارتضاه لخبرته ؛ وأن الله باعث من في القبور ، وسائل الناس عن أعمالهم ، عالم بما في الصدور .

ثم إني أوصيك يا حسن - وكفى بك وصياً - بما أوصاني به رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله ، فإذا كان ذلك يا بني الزم بيتك ، وابك على خطيئتك ، ولا تكن الدنيا أكبر همك ، وأوصيك يا بني بالصلاة عند وقتها ، والزكاة في أهلها عند محلها ، والصمت عند

(١) وقال المسعودي في مروج الذهب : ثم دعا الحسن والحسين (ع) فقال لهما : « أوصيكما بتقوى الله وحده ، ولا تبغيا الدنيا وإن بئسكما ، ولا تأسفا على شيء منها ، قولوا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعينا الضعيف ، وكونوا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم . ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال : هل سمعت ما قلت به أخويك ؟ قال : نعم ، قال : أوصيكما بمثل .

الشبهة ، والاقتصاد والعدل في الرضى والغضب وحسن الجوار ، وإكرام الضيف ، ورحمة المجهود ، وأصحاب البلاء وصلة الرحم ، وحب المساكين ومجالستهم ، والتواضع فإنه أفضل العبادة ، وقصر الأمل ، واذكر الموت ، وازهد في الدنيا فإنك رهين موت وغرض بلاء وطريح سقم .

وأوصيك بخشية الله في سرّ امرّك وعلانيتك ، وأنهاك عن التسرع بالقول والفعل ، وإذا عرض شيء من أمر الآخرة فأبدا به ، وإذا عرض شيء من أمر الدنيا فتأنه حتى نصيب رشدك فيه ، وإياك ومواطن التهمة ، والمجلس المظنون به السوء ، فإن قرين السوء يضرب جليسه ، وكن لله يا بنيّ عاملاً ، وعن الخفى زجوراً ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، وواخ الإخوان في الله ، وأحب الصالح لصلاحه ، ودار الفاسق عن دينك ، وأبغضه بقلبك ، وزايله بأعمالك ثلاً تكون مثله ؛ وإياك والجلوس في الطرقات ، ودع المارة ومجارة من لا عقل له ولا علم ، واقتصد يا بنيّ في معيشتك ، واقتصد في عبادتك ، وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه ، والزم الصمت تسلم ، قدّم لنفسك تغنم ، وتعلّم الخير تعلم ، وكن لله ذاكراً على كلّ حال ، وارحم من أهلك الصغير ، ووقّر منهم الكبير ؛ ولا تأكلن طعاماً حتى تصدّق منه قبل أكله ، وعليك بالصوم فإنّه زكاة البدن ، وجنة لأهله ؛ وجاهد نفسك ، واحذر جلسك ، واجتنب عدوك ، وعليك بمجالس الذكر ، وأكثر من الدعاء ، فإنّي لم ألك يا بنيّ نصحاً ؛ وهذا فراق بيني وبينك .

وأوصيك بأخيك عمّد خيراً ، فإنه شقيقك وابن أبيك وقد تعلم حيّ له ؛ وأما أخوك الحسين فهو ابن أمّك ، ولا أريد الوصاية بذلك ؛ والله خليفتي عليكم ، وإنيّ أسأل أن يصلحكم ، وأن يكفّ الطغاة البغاة عنكم ، والصبر الصبر حتى ينزل الله الأمر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

وفي الرواية السابقة أنّه لما أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) ابنه الحسن (عليه السلام) بوصيته قال :

« فإذا أنا مت يا أبا عمّد فغسلني وكفّني وحطّني ببقية حنوط جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فإنّه من كافور الجنة جاء به جبريل (عليه السلام) إليه ؛ ثمّ ضعني على سريري ، ولا يتقدّم أحد منكم مقدّم السرير ، واحملوا مؤخره واتبعوا مقدّمه ، فأنيّ موضع وضع المقدّم فضعوا المؤخر ، فحيث قام سريري فهو موضع قبري .

ثمّ تقدّم يا أبا عمّد وصلّ عليّ يا بنيّ يا حسن ، وكبر عليّ سبعاً ، واعلم أنّه لا يحلّ ذلك على أحد غيري إلا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهديّ ، من ولد أخيك

الحسين ، يقوم اعوجاج الحق ؛ فإذا أنت صليت عليّ يا حسن فتح السرير عن موضعه ، ثم اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً ولحداً مثقوباً وساجةً منقوبة ، فأضجمني فيها ، فإذا أردت الخروج من قبري فافتقدني فلأنك لا تجدني ، وإنّي لاحقٌ بجذك رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

واعلم يا بني ، ما من نبي يموت وإن كان مدفوناً بالشرق ويموت وصيه بالمغرب ، إلا ويجمع الله عز وجل بين روحيهما وجسديهما ، ثم يفرقان فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره ، وإلى موضعه الذي حط فيه ؛ ثم أهل التراب عليّ ، ثم غيب قبري ؛ ثم يا بني بعد ذلك إذا أصبح الصباح أخرجوا تابوتاً إلى ظاهر الكوفة على ناقه ، وأمر بمن يسيرها بما عليها كأنها تريد المدينة ، بحيث يخفى على العامة موضع قبري الذي تضعني فيه .

ويروى عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أمر ابنه الحسن (عليه السلام) أن يحفر له أربعة قبور في أربعة مواضع : في المسجد (الكوفة) ، وفي الرحبة ، وفي الغري (النجف) وفي دار جعدة بن هبيرة ، وإنما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره .

يقول المؤلف : كان الغرض من إخفاء القبر أن لا يعلم الملاعين من الخوارج وبني أمية موضعه ، وكانوا في غاية العداء والبغض له (عليه السلام) لئلاً يحفروه ويخرجوا جسده المطهر ؛ ولم يزل قبره مخفياً حتى أيام الإمام الصادق (عليه السلام) حيث التمس منه بعض الشيعة والأصحاب أن يدهم على قبر جدّه بقصد زيارته ، ففعل ؛ وفي أيام الرشيد أصبح موضع مضجعه المتورّ ظاهراً ومعلوماً من الجميع بتفصيل لا يتسع المقام لذكره .

قال الراوي : ثم إن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال :

« يا أبا محمد ويا أبا عبد الله ، كأنّي بكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من ها هنا وها هنا ، فاصبرا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين » .

ثم قال : « يا أبا عبد الله ، أنت شهيد هذه الأمة ، فعليك بتقوى الله والصبر على بلاءه » .

ثم أغمي عليه ساعة ، وأفاق وقال : « هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وعتي حمزة ، وأخي جعفر ، وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكلهم يقولون : عجل قدومك علينا فتناً إليك مشتاقون » .

ثم أدار عينيه في أهل بيته كلهم وقال : « استودعكم الله جميعاً ، سندكم الله جميعاً ، حفظكم الله جميعاً ، خليفتي عليكم الله وكفى بالله خليفة » .

ثم قال : « وعليكم السلام يا رسل ربى » .

ثم قال : « لمثل هذا فليعمل العاملون ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .
وعرق جبينه وهو يذكر الله كثيراً ، وما زال يذكر الله كثيراً ويتشهد الشهادتين ، ثم استقبل القبلة ، وغمض عينيه ، ومدّ رجله ويديه وقال :
« أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » .
ثم قضى نحبه صلوات الله عليه ، ولعنة الله على قاتله .

وكانت (هذه الواقعة الموهولة) ليلة الجمعة سنة أربعين من الهجرة .

فبعد ذلك صرخت زينب بنت علي (عليه السلام) وأم كلثوم وجميع نسائه ، وقد شقوا الجيوب ولطموا الحدود ، وارتفعت الصيحة في القصر ، فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد قبض ، فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجاً أفواجاً ، وصاحوا صيحة عظيمة ، فارتجت الكوفة بأهلها ، وكثر البكاء والنحيب ، وكثر الضجيج بالكوفة وقبائلها ودورها وجميع أنظارها ، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولما أظلم الليل تغير أفق السماء ، وارتجت الأرض ، وسمع نسيح الملائكة في الهواء ، وناحت قبائل الجن ، فبكته ورثته .

ببلى غسله وتكفينه

قال محمد بن الحنفية : ثم أخذنا في جهازه ليلاً ، وكان الحسن (عليه السلام) يغسله ، والحسين (عليه السلام) يصب الماء عليه ؛ وكان (عليه السلام) لا يحتاج إلى من يقلبه ، بل كان يتقلب كما يريد الغاسل ميئاً وشمالاً ، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر .

ثم نادى الحسن (عليه السلام) أخته وقال : يا أختاه هلمّي بخنوط جذّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فبادرت زينب بسرعة حتى أتته (بحصة أمير المؤمنين (عليه السلام) من الخنوط الذي بقي بعد النبي وفاطمة (عليهما السلام)) وكان من الكافور الذي أحضره جبرئيل (عليه السلام) من الجنة) ، فلما فتحت فاحت الدار وجميع الكوفة وشوارعها لشدة رائحة ذلك الطيب ؛ ثم لقوه بخمسة أبواب كما أمر (عليه السلام) ، ثم وضعوه على السرير .

كيفية تشييعه ودفنه

وتقدم الحسن والحسين (عليهما السلام) إلى السرير من مؤخره (كما أوصى

(عليه السلام) ، وإذا مقدّمه قد ارتفع ولا يرى حامله ، وكان حاصلاً من مقدّمه جبرئيل وميكائيل ، (وخرج السرير مائلاً نحو النجف الأشرف بظاهر الكوفة ، وأراد بعض الناس الخروج في تشييعه فمنعهم الحسن (عليه السلام) ، وأمرهم بالرجوع) ، والإمام الحسين (عليه السلام) يقول :

« لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا أباه ، وانقطاع ظهراه ، من أجلك تعلّمت البكاء ، إلى الله المشتكى » .

قال محمد بن الحنفية : والله لقد نظرت إلى السرير ، وإنه ليمر بالحيطان والنخل فتتحني له خشوعاً .

ووفقاً لرواية أمالي الشيخ الطوسي أنه لما مرّت الجنازة بقائم الغري وهو باب قديم كانّه الميل ، ويسمونه العلم أيضاً - انحني واعوجّ احتراماً للنعش المطهر ، كما انحني سرير أبرهة إذ دخل عليه عبد المطلب ، تعظيماً له ، واليوم يقوم مسجد في مكان هذا القائم يقال له مسجد حنّانة ، ويقع إلى الشرق من النجف على بعد ثلاثة آلاف ذراع تقريباً .

قال : فلمّا انتهينا إلى (موضع) قبره (عليه السلام) وإذا مقدّم السرير قد وضع ، فوضع الحسن (عليه السلام) مؤخره ، ثم قام (عليه السلام) وصلى عليه والجماعة خلفه ، فكبر سبعاً كما أمره به أبوه (عليه السلام) ، ثم زحزحنا السرير وكشفنا التراب وإذا نحن بقبر محفور ولحد مشقوق وساجة عليها لوح مكتوب عليه سطران بالسريانية ، ترجمتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما حفره نوح النبي لعلّي وصي النبي صلى الله عليه وآله قبل الطوفان بسبعمئة عام » .

ووفقاً لرواية أخرى أنه كتب على اللوح : « هذا ما أذخره له جدّه نوح النبي للعبد الصالح الطاهر المطهر » .

ولمّا أرادوا إنزاله سمعوا هاتفاً يقول : « أنزلوه إلى التربة الطاهرة ، فقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب » .

ويروى أنهم سمعوا ناطقاً لهم بالتعزية يقول : « أحسن الله لكم العزاء في سيّدكم وحبّة الله على خلقه » .

ويروى عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال :

« دفن أمير المؤمنين (عليه السلام) بناحية الغريّين قبل طلوع الفجر ، ودخل قبره الحسن والحسين ومحمّد بنو عليّ (عليه السلام) وعبد الله بن جعفر رضي الله عنه » .

وبعد أن أخرجوا عليه اللبن أخذوا اللبنة من عند الرأس فإذا ليس في القبر شيء ، وإذا هاتف يهتف :

« إِنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان عبداً صالحاً ، فالحق له الله عز وجل بنبئته (صلى الله عليه وآله) ، وكذلك يفعل بالأوصياء بعد الأنبياء ، حتى لو أن نبياً مات في الشرق ومات وصيه في الغرب لحق الله الوصي بالنبى » .

ويروى صاحب كتاب (مشارق الأنوار) عن الإمام الحسن (عليه السلام) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال للحسين (عليهما السلام) : « إذا وضعتاني في الضريح فصلبنا ركعتين قبل أن تنهيا علي التراب ، وانظرا ما يكون » فلما وضعاه في الضريح المقدس فعلا ما أمرا به ، ونظرا فإذا الضريح مغطى بثوب من سندس ، فكشف الحسن (عليه السلام) مما يلي وجه أمير المؤمنين (عليه السلام) فوجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وآدم وإبراهيم (عليهما السلام) يتحدثون مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكشف الحسين (عليه السلام) مما يلي رجله فوجد الزهراء وحواء ومريم وآسيا عليهن السلام ينحن على أمير المؤمنين (عليه السلام) ويندبنه .

هذا ولما أخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) وقف صمصعة بن صوحان العبدي (رضي الله عنه) على القبر ، ووضع إحدى يديه على فؤاده ، والأخرى قد أخذ بها التراب يضرب به رأسه ، ثم قال :

يا بئ أنت وأمي يا أمير المؤمنين ، هنيئاً لك يا أبا الحسن ، فلقد طاب مولدك ، وقوي صبرك ، وعظم جهادك ، وظفرت برأيك ، وربحت تجارتك ، وقدمت على خالفك فتلقاك الله ببشارته ، وحقت ملائكته ، واستقرت في جوار المصطفى وشربت بكأسه الأوفى ... إلى أمثال هذا الكلام ، وبكى بكاء شديداً وبكى كل من كان معه

وعدلوا إلى الحسن والحسين ومحمد وجعفر والعباس وبكى وعون وعبد الله (عليهم السلام) فعزّوهم في أبيهم (صلوات الله عليه) ، وانصرف الناس ، ورجع أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام) وشيعتهم إلى الكوفة .

فلما طلع الصباح ، وبزغت الشمس أخرجوا تابوتاً من دار أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وأثابوا به إلى المصلّى بظاهر الكوفة ، ثم تقدم الحسن (عليه السلام) وصلى عليه ، ورفع على ناقه وسيرها نحو المدينة .

يروى أن عبد الله بن العباس أنشد هذه الأشعار في رثاء أمير المؤمنين (عليه السلام) :

وهزّ عليّ بالعراقين لحبسته مصيبتها جلّت على كلّ مسلم

وقال سيأتيها من الله نازل
فعالجته بالسيف شلت يمينه
فياضربة من خاسر ضل سعيه
فناز أمير المؤمنين بحظه
ألا إنما الدنيا بلاء وفتنة
حلوتها شيبت بصير وعلم

ويروى أيضاً أنه لما بلغ معاوية خبر مقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : إن الأسد الذي كان يقرش ذراعيه في الحرب قد قضى نجه . وأنشد :

قل للأرانب نرعى أينما سرحنا
وللظباء بلا خوف ولا وجل

ويروي الشيخ الكليني وابن بابويه (ره) وآخرون بأسناد معتبرة أنه لما كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ارتجّ الموضع بالبكاء ، ودهش الناس كيوم قبض النبي (صلى الله عليه وآله) ، وجاء رجل بالك وهو مسرع يسترجع وهو يقول : اليوم انقطعت خلافة النبوة ، حتى وقف على باب أمير المؤمنين (عليه السلام) وراح يعدّد كثيراً من مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وسكت القوم حتى انقضى كلامه ، وبكى وأبكي الناس ، ثم طلبوه فلم يصادفوه .

يقول المؤلف : ذلك الرجل كان الخضر (عليه السلام) ، وكلماته بمثابة زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) . وقد أوردت في اليوم الموافق لاستشهاده (عليه السلام) كلامه في باب الزيارات في كتاب (الهدية) ، والمقام لا يتسع لذكره في هذا الموجز .



الفصل الخامس

فج قتل ابن ملجم اللعين بيد الإمام الحسن (عليه السلام)

بعد أن أودع الإمام الحسن (عليه السلام) جسد أبيه المبارك أرض النجف ورجع إلى الكوفة مع شيعة علي (عليه السلام) رقي المنبر ، فأراد الكلام فخنقته العبرة ، ففقد ساعة ثم قام فقرأ خطبة فصيحة بليغة ، ابتدأها بحمد الله تعالى والثناء عليه ، ومما قاله (عليه السلام) .

« . . والحمد لله الذي أحسن علينا الخلافة أهل البيت ، وعنده نحتب عزانا في خير الأبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وعند الله نحتب عزانا في أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ولقد أصيب به الشرق والغرب ، والله ما خلف ديناراً ولا درهماً إلا أربعمئة درهم أراد أن يتباع لأهله خادماً^(١) ؛ ولقد حدثني جيبى جدِّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من أهل بيته وصفوته ، وما منّا إلا مقتول أو مسموم .

ثم نزل عن منبره فدعا بابن ملجم لعنه الله ، فأتي به ، فقال له : ويلك ماذا جئت بما فعلت ؟ قتلت أمير المؤمنين (عليه السلام) وثلمت في الدين ثلماً ؟ فقال : قد عهدت الله عهداً أن أقتل أباك ، فقد وفيت ، فإن شئت فاقتل ، وإن شئت فاعف ، فإن عموت ذهب إلى معاوية فقتله وأرحتك منه ، ثم جئتك ؟ فقال : لا حتى أعجلك إلى النار .

ووفقاً لرواية (فرحة الغري) فإن ابن ملجم قال للحسن (عليه السلام) : إني أريد أن أسارك بكلمة ، فأبى الحسن (عليه السلام) وقال : إنّه يريد أن يعضّ أذني ، فقال ابن ملجم : والله لو أمكنتني منها لأخذتها من صياحه .

(١) سترد خطبته (عليه السلام) بطولها عند الحديث عن أحواله (عليه السلام) إن شاء الله ، وفيها أن أمير المؤمنين (عليه السلام) خلف سبعة عشر درهم ليشتري بها خادماً لأهله . . . الخ .

ثم إنه (عليه السلام) أعجل اللعين ابن ملجم إلى النار بضربة واحدة عملاً بوصية أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفي رواية أخرى أنه حكم عليه بضرب عنقه، وطلبت أم الهيثم بنت الأسود النخعي تسليمها جسده، فأضمرت ناراً وأحرقت الجسد النجس بها.

يقول المؤلف: الظاهر من هذه الرواية أن ابن ملجم اللعين قتل في يوم واحد وعشرين من شهر رمضان يوم قبض أمير المؤمنين (عليه السلام)، كما وردت روايات أخرى بهذا المضمون، ومنها أنه في صبيحة الليلة التي دفن فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) أقسمت أم كلثوم على أخيها الحسن (عليه السلام) أن لا يدع قاتل أبيهم حياً ساعة واحدة؛ ونتيجة لذلك فإن المعروف بين الناس من أن ابن ملجم قتل يوم سابع وعشرين من شهر رمضان لا سند له.

ويروي ابن شهر آشوب وآخرون أن العظام النجسة لابن ملجم طرحت في حفرة، وأن أهل الكوفة يسمعون صراخاً وعواء كعواء الكلب يرتفع من هذه الحفرة؛ وحكاية إخبار الراهب عن عذاب ابن ملجم في الدنيا بقي طائر لجسده مع أربع دفعات ثم إعادة ابتلاعه قطعة قطعة، وتكرر هذا العمل منه دون انقطاع على صخرة عند شاطئ البحر، هي حكاية مشهورة، وفي الكتب المعتمدة مسطورة.

يقول المؤرخ أمين المسعودي إنه لما عزموا على قتل ابن ملجم قال عبد الله بن جعفر: دعوني أشفي ما في نفسي عليه، فذفع إليه، فأمر بمسار نحمي بالنار، ثم كحله، فجعل ابن ملجم يقول: سبحان الله الذي خلق الإنسان، وإنك لتكحل عمك بملمول مض^(١)، ثم أمر بقطع يده ورجله فقطع، ثم أخذ وأحرق^(٢).

(١) المملول: المروء الذي يكحل به، والكحل المض: الحاد الموجه.

(٢) قال عمران بن حطان يمدح ابن ملجم عليه لعائن الله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا
وقال القاضي أبو العلي الطاهر بن عبد الله الشافعي يرد عليه:

إني لأبرأ مما أنت قائله عن ابن ملجم الملعون بيتانا
يا ضربة من شقي ما أراد بها إلا ليهدم للإسلام أركاننا
إني لأذكره يوماً فالعنه ديناً والعن عمراناً وحطاناً
عليه ثم عليه الدهر متصلاً لعائن الله إسراراً وإعلاناً
فأتنا من كلاب النار جاء به نص الشريعة برهاناً وتبياناً

الفصل السادس

في ذكر أبناء أمير المؤمنين (عليه السلام) وأزواجه

كان لأمير المؤمنين (عليه السلام) - على قول الشيخ المفيد - سبعة وعشرون ذكراً وأنثى : أربعة منهم : الحسن والحسين وزينب الكبرى (الملقبة بالعقيلة) وزينب الصغرى المكناة بأُم كلثوم من فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وسأيت بيان أحوال الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام إن شاء الله ، أما زينب فكانت زوجاً لعبد الله بن جعفر ، ابن عمها ، ولدت له أبناء منهم محمد وعون اللذان استشهدا في كربلاء .

ويقول أبو الفرج : إنَّ محمداً بن عبد الله شهيد كربلاء أمه خوصاء بنت حفصة وهو الأخ الشقيق لعبد الله الذي استشهد في وقعة الطف أيضاً ؛ وأما أم كلثوم فحكاية زواجها بعمر مسطورة في الكتب ، وكانت بعده نحت عون بن جعفر ، ومن بعده زوجة لمحمد بن جعفر .

الخامس : محمد المكنى بأبي القاسم ، وأمّه خولة الحنفية بنت جعفر بن قيس وفي بعض الروايات أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشر أمير المؤمنين (عليه السلام) بولادة محمد وأعطاه اسمه وكنيته ، ولد محمداً أيام حكم عمر بن الخطاب ، وتوفي في عهد عبد الملك بن مروان وله من العمر خمس وستون سنة ؛ وفي مكان وفاته اختلاف ، فمن قائل إنه توفي في أيلة ، ومن قائل آخر : في الطائف ، ومن قائل ثالث إنه توفي في المدينة ودفن في البقيع ، يقول الكيسانية بإمامته وأنه مهدي آخر الزمان ، ويعتقدون أنه اتحد من شعب رضوى - وهو جبل باليمن - مكاناً له ، وأنه حي يرزق حتى وقت خروجه ، والحمد لله أن هذه الطائفة انقرضت .

وكان محمد رجلاً عالماً شجاعاً قوياً ، ويرى أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أتى يوماً

بدروع اختار إحداهما وكانت أطول من قامته فأمر بقطع مقدار من حاشيتها ، فجمع محمد حاشية الدرع بقبضته وقطعها من حيث أشار أبوه كأنه يقص قطعة من الحرير لا من الحديد ؛ كما أن قصته وقبس بن عبادة مع الرجلين الروميين اللذين بعث بهما ملك الروم معروفة ؛ وما جرى معه في حرب الجمل وصفين خير دليل على شجاعته وشدة بأسه .

السادس والسابع : عمر ورقية الكبرى ، التوأمين المولودان من أم حبيب بنت ربيعة .

الثامن إلى الحادي عشر : العباس وجعفر وعثمان وعبد الله الأكبر ، والأربعة جميعاً كانوا من الشهداء بطف كربلاء ، وسيأتي الحديث عن كيفية استشهادهم فيها بعد إن شاء الله تعالى ؛ وأمههم أم البنين بنت حزام بن خالد الكلابية ، وىروى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) دعا أخاه عقيلاً ، وكان عالماً بأنساب العرب ، وطلب منه أن يختار له زوجاً تلد له بنين فحولاً ، فأشار عليه بالزواج من أم البنين الكلابية ، فهي تنحدر من آباء لا يدانهم في الشجاعة بين العرب أحد ، فتزوجها ورزق منها بالعباس (عليه السلام) وإخوته الثلاثة ، ومن هنا أن الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله ، وكان من بني كلاب ، أحضر لأبي الفضل العباس وإخوته كتاب الأمان ، وكان يدعوهم بأبناء الأخت كما يروى .

الثاني عشر والثالث عشر : محمد الأصغر وعبد الله ، ومحمد يكنى بأبي بكر ، وقد استشهد كلاهما في كربلاء ، وأمهها ليل بنت مسعود الدارمية .

الرابع عشر : يحيى ، وأمه أساء بنت عميس .

الخامس عشر والسادس عشر : أم الحسن ورملة ، وأمهها أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي ، ورملة هذه هي رملة الكبرى وكانت تحت أبي الهياج عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ؛ ويقال إن أم الحسن كانت زوجة جمدة بن هبيرة ابن عمنها ، وتزوجها من بعده جعفر بن عقيل .

السابع عشر حتى التاسع عشر : نفيسة وزينب الصغرى ورقية الصغرى ، ويقول ابن شهر آشوب إن أمهن هي أم سعيد بنت عروة ، وأمها رملة وأم الحسن فأقربهما أم شعيب المخزومية ؛ ويقول : إن نفيسة تكنى بأم كلثوم الصغرى ، وقد تزوج منها كثير من العباس بن عبد المطلب ، وإن زينب الصغرى تزوجها محمد بن عقيل ، ويقول البعض إن رقية الصغرى أمها أم حبيبة ، وقد عقد لها على مسلم بن عقيل .

وما تبقى من أبناء أمير المؤمنين (عليه السلام) وهم من العشرين حتى السابع والعشرين فهن إناث جميعهن ، وأدرجهن وفق الترتيب الآتي : أم هانئ ، وأم الكرام ، وجمانة المكناة بأم جعفر ، وأمامة ، وأم سلمة ، وميمونة ، وخديجة ، وفاطمة رحمة الله عليهن .

ويقول البعض : إن عدد أبناء أمير المؤمنين (عليه السلام) ستة وثلاثون ، ثمان عشرة من الذكور ومثلهم من الإناث ؛ بإضافة عبد الله وعون وأمه أسماء بنت عميس برواية هشام بن محمد المعروف بابن الكلبي ، ومحمد الأوسط وأمه أمانة بنت زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وعثمان الأصغر ، وجعفر الأصغر ، والعباس الأصغر ، وعمر الأصغر ، ورملة الصغرى ، وأم كلثوم الصغرى .

ويروي ابن شهر آشوب أن أمير المؤمنين (عليه السلام) رزق من زوجه حجة بنت امرئ القيس ابنة توفيت وهي صبية ، ويذكر الشيخ المفيد (ره) أن فاطمة الزهراء كانت حاملاً بابنٍ لأمير المؤمنين (عليه السلام) سمّاه النبي (صلى الله عليه وآله) محمداً ، وقد أسقط هذا الجنتين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

يقول المؤلف : يذكر السعدي في (مروج الذهب) ، وابن قتيبة في (المعارف) ، ونور الدين العباس الموسوي الشامي في (أزهار بستان الناظرين) أن محمداً يُعدّ في أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وقال صاحب مجدي : يروي الشيعة خبر محسن ورفسه ، وقد عثرت على ذكر محسن في بعض كتب أهل السنة ، غير أن رفسه لم يذكر من جهة أعول عليها .

وهذا وإن خمسة من أبناء أمير المؤمنين (عليه السلام) أعقبوا أبناء ، وهم : الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام) ، ومحمد بن الحنفية ، والعباس ، وعمر الأكبر ، ومن ذكر أمهات أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام) يعلم ضمناً أسماء العديد من زوجاته ، ويذكر أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يتمتع بحرّة ولا أمة في حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع خديجة ، وبعد وفاة الزهراء (عليها السلام) تزوج من أمانة بنت أختها عملاً بوصيتها ، ويروي أن زواجه (عليه السلام) من أمانة كان بعد ثلاث ليال مضت على وفاة الزهراء (عليها السلام) ، ولما قبض أمير المؤمنين (عليه السلام) خلف وراءه أربع زوجات وثمان عشرة أم ولد ، وأسماء الزوجات الأربع : أمانة ، وأسما بنت عميس ، وليلي التميمية ، وأم البنين .

تذييل : تقدّم القول : إن خمسة من أبناء أمير المؤمنين (عليه السلام) أعقبوا أولاداً : الحسنان (عليهما السلام) ، وسبرد ذكر أولادهما فيما بعد إن شاء الله ؛ والثلاثة الآخرون : محمد بن الحنفية ، والعباس ، وعمر الأطراف ، ومن المناسب هنا أن نشير إلى بعض ذرائعهم .

أبناء محمد بن الحنفية (رضي الله عنه) : أعقب محمد بن الحنفية أربعة وعشرين ولداً منهم أربعة عشر من الذكور ، وعقبه كله كان من ولديه علي وجعفر ، وجعفر هذا قتل يوم الحرة إذ استباح مسرف بن عقبة المدينة بأمر من يزيد ، وأكثر عقبه ينتهي إلى رأس المذري

عبد الله بن جعفر الثاني بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن الحنفية ، ومنهم الشريف النقيب أبو الحسن بن القاسم بن محمد العميد بن علي بن رأس المذري ، وابنه أبو محمد الحسن بن أحمد ، وابنه أبو محمد الحسن بن أحمد ، وهو سيّد جليل القدر ، كان خليفة للسيد المرتضى في التقية ببغداد ، وقد أعقب سلالة من أهل العلم والجلالة والفضل والحديث عرفوا ببني النقيب المحمّدي ، لكنهم انقرضوا .

ومنهم جعفر الثالث بن رأس المذري ، وعقبه من ابنة زيد وعليّ وموسى وعبد الله ؛ ومن بني علي بن جعفر الثالث أبو عليّ المحمّديّ (رضي الله عنه) في البصرة ، وهو الحسن بن الحسين بن العباس بن عليّ بن جعفر الثالث ، وهو صديق عمر .

وينقل عن أبي نصر البخاريّ أن نسب المحمّدية الصحيح ينتهي إلى ثلاثة : زيد الطويل بن جعفر الثالث ، وإسحاق بن عبد الله بن رأس المذري ، ومحمّد بن عليّ بن عبد الله بن رأس المذري ؛ ومن بني محمد بن عليّ بن إسحاق بن رأس المذري السيد الثقة أبو العباس عقيل بن الحسين بن محمد المذكور ، وكان فقيهاً ومحدثاً وراويّة ، وله كتاب الصلاة ، وكتاب مناسك الحجّ وكتاب الأمالي ، قرأ عليه الشيخ عبد الرحمن المفيد النيشابوري ، وله عقب بنو احيى اصفهان وفارس ؛ ومن أبناء رأس المذري القاسم بن عبد الله بن رأس المذري الفاضل المحدث ، وولده الشريف أبو محمد عبد الله بن القاسم .

وأما عليّ بن محمّد بن الحنفية فأولاده : أبو محمد الحسن بن عليّ المذكور ، وكان رجلاً عالماً فاضلاً ، ادّعى الكيسانية له الإمامة وأنه أوصى لابنه عليّ ، واتّخذ الكيسانية ، إماماً بعد أبيه ، وأما أبو هاشم عبد الله بن محمّد بن الحنفية فهو إمام الكيسانية ، وانتقلت البيعة منه إلى بني العباس ، فانقرضت ؛ ويقول أبو نصر البخاريّ إنّ المحمّدية كانوا رؤساء في قزوين ، وعلباء في قمّ ، وسادة في الريّ .

أبناء أبي الفضل العباس بن عليّ (عليها السلام) : أعقب العباس (عليه السلام) من ابنه عبيد الله ، وانتهى عقب عبيد الله بابنه الحسن بن عبيد الله ، وأعقب الحسن من خمسة أبناء : ١ - عبيد الله وكان قاضي الحرمين وأميراً على مكة والمدينة ، ٢ - العباس الخطيب الفصيح ، ٣ - حمزة الأكبر ، ٤ - إبراهيم الجردقة ، ٥ - الفضل .

أما الفضل بن الحسن بن عبيد الله فكان رجلاً فصيحاً لسنّاً شديداً في الدين عظيم الشجاعة ، وعقبه من ثلاثة أبناء : جعفر والعباس الأكبر ومحمد ، ومن أولاد محمد بن الفضل أبو العباس الفضل بن محمد الخطيب الشاعر ، ومن أشعاره في رثاء جدّه العباس (عليه السلام) قال :

إني لأذكر للعبّاس موقفه بكرسبلاء وهام القوم تحتطف
 بحمي الحسين ويحميه على ظمأ ولا يولي ولا يثني فيختلف
 ولا أرى مشهداً يوماً كمشهده مع الحسين عليه الفضل والشرف
 أكرم به مشهداً بانث فضيلته وما أضع له أفعاله خلف
 وكان للفضل ابن ، وأما إبراهيم الجردقة فكان من الفقهاء والأدباء والزهاد ، وعقبه من
 ثلاثة أبناء : حسن ومحمد وعلي .

وأما علي بن الجردقة فكان واحداً من أسخياء بني هاشم ، وكان ذا جاه ، توفي سنة أربع
 وستين بعد المتين ، وكان له تسعة عشر ولداً أحدهم عبيد الله^(١) بن إبراهيم الجردقة ، يقول
 الخطيب البغدادي : إن كنته أبو علي ، وهو من أهل بغداد ، قدم مصر وسكن فيها ، عنده
 كتب موسومة بالجعفرية فيها فقه أهل البيت يروي على المذهب الشيعي ، توفي في مصر سنة
 اثني عشرة وثلاثمئة .

وأما حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس فكان يكنى بأبي القاسم ، وكان شبيهاً بأمير
 المؤمنين (عليه السلام) ، وهو من كتب له المأمون بخط يده : « يعطى الحمزة بن الحسن ،
 شبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مئة ألف درهم » .

ومن نسله محمد بن علي بن الحمزة نزيل البصرة ، الذي كان يروي الحديث عن الإمام
 الرضا (عليه السلام) وغيره ، وكان رجلاً عالماً وشاعراً ، ويقول الخطيب البغدادي في
 تاريخه : إن أبا عبد الله محمد بن علي بن الحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن
 أبي طالب (عليه السلام) واحد من الأدباء والشعراء ، وعالم برواية الأخبار ، يروي عن أبيه
 وعن عبد الصمد بن موسى الهاشمي وغيرهما ، ويروي عن عبد الصمد بأسناده عن ابن عباس
 قال : إذا غضب الله تعالى على قوم - ولم يعجل لهم بعذاب كالريح وعذابات آخر يهلكهم بها -
 خلق تلك الأمم خلقاً لا يعرفون الله يعذبونهم .

ومن بني الحمزة أيضاً أبو محمد القاسم بن الحمزة الأكبر ، وكان في اليمن عظيم القدر
 على غاية من الجمال ، وكان صوفياً كما يقال .

ومنهم أيضاً أبو يعلى الحمزة بن القاسم بن علي بن الحمزة الأكبر ثقة جليل القدر ، كان
 من شيوخ النجاشي ، وذكره آخرون ، وقبره يقع قرب الحلة .

(١) ينقل الشيخ رضي الدين عليّ أخو العلامة (ره) عن الزبير بن بكار أن عبيد الله بن علي المذكور كان عالماً
 فاضلاً جواداً ، طاف الدنيا وجمع « الجعفرية » وفيها فقه أهل البيت (عليهم السلام) ، قدم بغداد فأنقام
 بها وحذث ، ثم سافر إلى مصر فتوفي بها سنة ٣١٢ .

ويروي شيخنا في (النجم الشاقب) في ذكر حكايتهم أنهم بلغوا - في الغيبة الكبرى - خدمة إمام العصر (عجل الله فرجه) ، وفيها حكاية تتعلق بحمزة المذكور رأينا من المناسب إيرادها هنا .

حكاية تشرف السيد مهدي القزويني بالحضور لدى إمام العصر (صلوات الله عليه) : يروي السيد السند والحر المعتمد ، زبدة العلماء وقدة الأولياء الميرزا الصالح خلف الأرشيد سيد المحققين ونور مصباح التهجد ، وحيد عصره ، السيد مهدي القزويني طاب ثراه عن والده الماجد قال :

أخبرني والدي : وكان يلزم الخروج إلى جزيرة في جنوب الحلة بين دجلة والفرات لإرشاد عشائر بني زيد وهدايتهم إلى المذهب الحق (كانوا جميعاً على مذهب أهل السنة ، وببركة إرشاد الوالد قدس سره رجعوا جميعاً إلى مذهب الإمامية ، أيدهم الله ، وهم على ذلك إلى اليوم ، ويناهزون عشرة آلاف نفس) .

قال : في الجزيرة مزار معروف بقبر الحمزة بن الكاظم (عليه السلام) يزوره الناس ويروون عنه كرامات كثيرة ؛ ويقيم حول هذه القرية مئة أسرة تقريباً .

ذهبت إلى الجزيرة وعبرت من هناك دون أن أزوره ، ذاك أنه كان قد بلغني على وجه الصحة أن الحمزة بن موسى الكاظم (عليهما السلام) مدفون في الري مع عبد العظيم الحسيني ، ثم خرجت دون توقف ، وكنت ضيفاً على أهل القرية فدعوني إلى زيارة المرقد المذكور فامتعت قائلاً بأن لا أزور مزاراً لا أعرفه ، وتضاءلت رغبة الناس في الذهاب إلى هناك بسبب إعراضهم عن زيارة المزار ؛ ثم غادرتهم وبقيت ليلتي في المزيديّة عند بعض السادة هناك ، وعند السحر قممت من أجل نافلة الليل ، والاستعداد للصلاة ، ولما فرغت من أداء النافلة وجلست مشتغلاً بالتعقيب في انتظار طلوع الفجر إذا بسيد يدخل عليّ ، وكنت أعرفه بالصلاح والتقوى ، وكان من سادة تلك القرية ، فسلمت وجلست ، ثم قال : يا مولانا كنت أمس ضيفاً على أهل قرية الحمزة ، ولم تقم بزيارته ! قلت : أجل ، قال : وله ؟ قلت : لأنّي لا أزور مزاراً لا أعرفه ، والحمزة بن الكاظم (عليه السلام) مدفون في الري ؛ فقال : « ربّ مشهور لا أصل له » ذلك ليس قبر الحمزة بن موسى الكاظم (عليه السلام) ، ولو أن هذا هو المشهور ، بل إنه قبر أبي يعلى الحمزة بن القاسم العلويّ العبّاسيّ ، أحد علماء الإجازة وأهل الحديث ، وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم وأنشأوا عليه بالعلم والورع ؛ فقلت في نفسي : هذا من عوأم السادة ، وليس من المظلمين على علم الرجال والحديث ، فلعلمه أخذ هذا الكلام عن بعض العلماء ؛ ثم نهضت أقرب طلوع الفجر ، ووقف السيد وانصرف ، وغفلت عن سؤاله عمّن أخذ هذا الكلام .

ولما طلع الفجر قمت إلى الصلاة ، وجلست بعد فراغي منها للتنقيب حتى طلع الشمس وكان معي عدد من كتب الرجال فنظرت فيها فإذا الأمر كما ذكر ؛ ثم إن أهل القرية قدموا لرؤيتي وكان بينهم ذلك السيد ، فقلت له : لقد قدمت إلي وأخبرتني أن قبر الحمزة هو قبر أبي يعلى الحمزة بن القاسم العلوي ، فعمّن قلت ذلك ، وعمّن أخذته ؟ فقال : والله لم أقدم إليك قبل هذه الساعة ، وقد قضيت ليلتي خارج القرية ، في مكان ذكر اسمه ، فسمعت بقدمك فجئت اليوم لزيارتك .

فقلت لأهل القرية : يجب علي أن أعود لزيارة الحمزة ، فليست أشك في أن الشخص الذي رأيته كان صاحب الأمر (عليه السلام) .

ثم ركب مع أهل القرية جميعهم لزيارته ، ومنذ ذلك اليوم اشتهر ذلك المزار وشاع أمره حتى أن الرجال تشد إليه من أمكنة بعيدة .

يقول المؤلف : يقول الشيخ النجاشي في (الرجال) : الحمزة بن القاسم بن علي بن الحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أبو يعلى : ثقة جليل القدر من أصحابنا ، كان يروي أحاديث كثيرة ، له كتاب في ذكر من روى عن جعفر بن محمد (عليه السلام) ، ويعلم من كلمات العلماء والأسانيد أنه من علماء الغيبة الصغرى ، وكان معاصراً لوالد الصدوق علي بن بابويه ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وأما العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس ، وكنيته أبو الفضل ، فقد كان خطيباً فصيحاً وشاعراً بليغاً ؛ وكان صاحب مكانة عند هارون الرشيد ؛ قال أبو نصر البخاري : « ما رثي هاشمي أخضب لساناً منه » ، وقال الخطيب البغدادي : أبو الفضل العباس بن الحسن ، هو أخو محمد وعبيد الله والفضل والحمزة ، وهو من أهل مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قدم بغداد أيام هارون الرشيد وأقام بها بصحبة هارون ، وصحب المأمون بعده ، وكان رجلاً عالماً وشاعراً فصيحاً ، يزعم أكثر العلويين أنه كان أشعر بني طالب ، ثم روى الخطيب بسنده عن الفضل بن محمد بن الفضل أنه قال : قال عمي العباس :

لا قيمة لأريك في كل أمر ما لم تعدّه للأمور المهمة ومالك لا يغني كل الناس ما لم تخصّص لأهل الحق فيه ، وكرامتك لا تكفي الجميع ما لم تقصد بها أهل الفضل .

والعباس بن الحسن المذكور أعقب من أربعة أبناء هم : أحمد ، وعبيد الله ، وعلي وعبد الله ؛ ويقول أبو نصر البخاري : إن عقبه من عبد الله بن عباس لا غيره ، وعبد الله بن عباس كان شاعراً فصيحاً ذا حظوة عند المأمون يدعوه الشيخ ابن الشيخ ، ولما توفي وبلغ خبر وفاته المأمون قال : « استوى الناس بعدك يا بن عباس » ، وشارك في تشييعه .

وكان لعبد الله بن عباس ولد اسمه الحمزة ، قدم أولاده إلى طبرية الشام ومنهم : أبو الطيب محمد بن الحمزة وكان صاحب مروءة وسباحة وصلة رحم ، وكثرة معروف ، وفضل كثير ، وجاه واسع ، وكان في طبرية ذا أسلاك ومياه وأموال ، حتى حسده ظفر بن خضر الفراعني فجهز جيشاً أرسله لاغتياله ، وتم له ما أراد : واستشهد عبد الله في بستانه بطبرية في شهر صفر من السنة الحادية والتسعين بعد المئتين ، وورثه الشعراء ، ولسلته بقيت في طبرية ويدعون ببني الشهيد .

وأما عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس فكان قاضي قضاة الحرمين ، أعقبه أولاده بنو هارون بن داود بن الحسين بن علي بن عبيد الله المذكور ، وبنو هارون المذكور قدموا إلى دمياط ، ومن أولاده أيضاً القاسم بن عبد الله بن الحسن بن عبيد الله المذكور صاحب أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) ، والقاسم هذا كان ذا شأن ومزلة في المدينة ، وسمى في الصلح بين بني علي وبني جعفر ، وكان أحد أصحاب الرأي واللسان .

عمر الأطراف بن أمير المؤمنين (عليه السلام) وأبناؤه : وكنيته أبو القاسم ، ويقال له الأطراف لكون نسبه الشريف يتصل بطرف واحد ، أما عمر بن علي بن الحسين فيقال له عمر الأشرف لأن اتصال نسبه الشريف من طرفين ؛ وأمه صهباء الثعلبية وهي أم حبيب بنت عباد بن ربيعة بن يحيى من سبي اليمامة ، وعلى قول : من سبي خالد بن الوليد من عين التمر اشتراها أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان عمر وأخته رقية توأمين ، وهو آخر أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان صاحب لسان ، فصيحاً جواداً عفيفاً .

قال صاحب العمدة : « ولا تصح رواية من روى أن عمر حضر كربلاء وكان أول من بايع عبد الله بن الزبير ، ثم بايع بعده الحجاج » .

أقول : سيأتي عند الحديث عن أبناء الإمام الحسن (عليه السلام) أن الحجاج أراد أن يشرك عمر مع الحسن بن الحسن في صدقات أمير المؤمنين (عليه السلام) فلم يفلح ، وكانت وفاة عمر في ينع في سن السابعة والسبعين أو الخامسة والسبعين ، وشكل أولاده جماعة كبيرة في مدن متعددة ، وينتهون جميعهم إلى ابنه محمد بن عمر من أبناء أربعة : عبد الله ، وعبيد الله ، وعمر وأم الثلاثة خديجة بنت الإمام زين العابدين (عليه السلام) ورابعهم جعفر وأمّه أم ولد .

يقول الشيخ أبو نصر البخاري : إن أكثر العلماء من عقب جعفر قد انقضوا وأما عمر بن محمد بن عمر الأطراف فأعقبه من ولدين : أبي الحمد إسماعيل ، وأبي الحسن إبراهيم ؛ وأما عبيد الله بن محمد بن الأطراف صاحب العمدة فيقال إنه صاحب قبر النذور ببغداد ، وقد دفنوه حياً .

أقول : إنَّ صاحب قبر النذور هو عبيد الله بن محمد بن عمر الأشرف ، كما يقول الخطيب في تاريخ بغداد ، والحموي في المعجم ، ورواية الخطيب بسنده عن محمد بن موسى بن حماد البربري أنه قال : قلت لسليمان بن أبي الشيخ : يقولون إنَّ صاحب قبر النذور هو عبيد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب ، قال : ليس كذلك ، بل قبره في أرضه ومملكه في ناحية الكوفة والمعروف بـ لبيّا ، وصاحب قبر النذور هو عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ، كما أنَّ الخطيب يروي عن أبي بكر الدوري عن أبي محمد الحسن بن محمد ابن أخي الطاهر العلوي أنَّ قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في أرض ناحية الكوفة تسمّى بـ لبي .

وعلي أي حال فسيرد ذكره عند الحديث عن أبناء الإمام زين العابدين (عليه السلام) إن شاء الله ، وعقبة من علي بن الطيب بن عبد الله المذكور ، ويقال لهم بنو الطيب ، ومنهم أبو أحمد محمد بن أحمد بن الطيب ، وكان سيّداً جليلاً ، وشيخ آل أبي طالب في مصر . يرجعون إليه في المشورة والرأي .

وأما عبد الله بن محمد بن الأطراف فأعقابه من أربعة : أحمد ، ومحمد وعيسى المبارك ، ويحيى الصالح ؛ فأحمد بن عبد الله والد أبي يعلى الحمزة السّماكي النسّابة ، ووالد عبد الرحمن بن أحمد الذي ظهر باليمن .

ومحمد بن عبد الله هو والد القاسم بن محمد الذي أوجد السلطنة في طبرستان ، وعُرف بالملك الجليل ، كذلك هو والد أبي عبد الله جعفر بن محمد ملك ملتاني الذي أوجد السلطنة في ملتان ، وأنجب الكثير من الأبناء ، ونما عددهم ، وكان الكثير منهم ملوكاً وأمراء وعلماء ونسّابين ، كما كان الكثير منهم على رأي الإسماعيلية ويتكلّمون الهندية ، ومن أولاد جعفر ملك ملتاني أبو يعقوب إسحاق بن جعفر أحد العلماء والفضلاء ، وابنه أحمد بن إسحاق صاحب الجلالة في مملكة فارس ، وابنه أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق النسّابة ، وهو من ولّاه عضد الدولة نقابة الطالبيين بعد عزل أبي أحمد الموسوي ، وأبو الحسن المذكور كان نقيباً للطلالبيين ببغداد أربع سنوات ، وسنّ السنن الفاضلة .

وأما عيسى المبارك بن عبد الله بن محمد الأطراف فكان سيّداً شريفاً راوية للحديث ، ومن أولاده أبو الطاهر أحمد الفقيه النسّابة المحدث ، شيخ أهل بيته في العلم والزهد ؛ وهو جدّ السيّد الشريف النقيب أبي الحسن علي بن يحيى بن محمد بن عيسى بن أحمد المذكور الذي روى الشيخ أبو الحسن العمري في كتاب (المجدي) عن علي بن سهل التّمار عن خاله محمد بن دهيان عنه وهو عن علّان الكلّابي الذي قال : صحبت أبا جعفر محمد ابن الإمام علي النقيّ بن محمد بن علي الرضا (عليهم السلام) وكان حديث السنّ ، فما رأيت أوفر ولا أزكى

ولا أجلّ منه ؛ وكان أبوه الإمام عليّ النقي قد تركه في الحجاز وهو لم يزل طفلاً ، ولمّا شبّ وقوي قدم السامرة ، وكان مع أخيه الإمام أبي محمّد (عليه السلام) لا يفارقه ، وكان أبو محمّد (عليه السلام) يأنس به وينقبض من أخيه جعفر .

أمّا يحيى الصالح بن عبد الله بن محمد الأطراف ، ويكنّى بأبي الحسين ، فقد سجنه الرشيد ثم قتلّه بعد ذلك ، وكان عقبه من اثنين أحدهما : أبو عليّ محمد الصوفي ، والآخر : أبو عليّ صاحب حبس المأمون ، وقد أعقبنا كثيراً من الأبناء ، ومن أولاد الحسن بنو مرّاقد ومنهم من سكن النبل والحلّة ، وكانوا من النقباء ؛ ومن أولاد محمّد الصوفي الشيخ أبو الحسن عليّ بن أبي الغنائم محمّد بن عليّ بن محمّد بن محمّد الملقطة بن عليّ الضرير بن محمّد الصوفي الذي ينتهي إليه علم الأنساب في زمانه ، وكان قوله حجّة ، يلقاه الشيوخ من الكبار الأجلاء ، كما صنف كتب : (المبسوط) و (المجدي) و (الشافي) و (المشجر) ، وكان من سكان البصرة ، ثمّ انتقل فيها بعد إلى الموصل سنة ثلاث وعشرين وأربعمئة ، وفيها اتّخذ زوجة وأنجب أبناء ، كان أبوه أبو الغنائم نسابة أيضاً ، ويروي السيّد النسابة الجليل فخار بن معدّ الموسويّ عن السيّد جلال الدين عبد الحميد بن تقيّ الحسيني ، عن ابن كلثون عباس النسابة ، عن جعفر بن أبي هاشم بن عليّ ، عن جدّه أبي الحسن العمري المذكور ؛ ويروي أيضاً السيّد جلال الدين عبد الحميد بن التقيّ ، عن الشريف أبي تمام محمّد بن هبة الله بن عبد السميع الهاشمي ، عن أبي عبد الله جعفر بن أبي هاشم ؛ عن جدّه أبي الحسن العمري المذكور .



الفصل السابع

في الحديث عن كوكبة من أكابر أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)

الأول : الأصمغ بن نباتة المجاشعي

رجل جليل القدر ، من فرسان العراق ، ومن خواص أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان رحمه الله شيخاً ناسكاً عابداً ، وكان من ذخائر أمير المؤمنين (عليه السلام) . ورد في كتاب الكشي عن أبي الجارود أنه قال : قلت للأصمغ بن نباتة : ما كان منزلة هذا الرجل فيكم (يريد علياً) (عليه السلام) ؟ قال : « ما أدري ما تقول ، إلا أن سيوفنا كانت على عواتقنا ، فمن أوما إلينا ضربناه بها . »

ويروى أيضاً أن الأصمغ سئل : كيف سمّاك أمير المؤمنين (عليه السلام) وأشباهك بشرطة الخميس ؟ فقال : « إنّنا ضمّنا له الذبح ، وضمن لنا الفتح ، أي : شرطنا له القتال معه حتى النصر أو الشهادة ، وشرط لنا الجنة وضمنها . »

ولا يخفى أن الجيش سمّي خميساً لأنه مقسوم إلى خمسة أقسام : المقدمة ، والساقة ، والميمنة ، والميسرة ، والقلب .

فإن قيل : فلان صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) من شرطة الخميس كان المعنى أنه من رجال جيشه الذين عقد بينه وبينهم شرطاً .

ويروى أن من عقدوا معه (عليه السلام) شرطاً كانوا ستة آلاف رجل .

كما يروى أنه (عليه السلام) قال لعبد الله بن يحيى الحضرمي يوم الجمل : « أبشر ابن يحيى ، فإنّك وأبوك من شرطة الخميس حقاً ؛ لقد أخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) باسمك واسم أبيك في شرطة الخميس ، والله سمّاكم شرطة الخميس على لسان نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) . »

وورد في كتاب الميزان للذهبي أنَّ علماء الرجال من أهل السنة يعتبرون الأصمغ بن نباتة من الشيعة ، ويعتبرون حديثه - بناء على ذلك - متروكاً ؛ ونقل عن ابن حبان أن الأصمغ رجل كان مفتوناً بحجة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وأنَّ الطَّامة ضربت رأسه ، لذا فقد أعرض عن حديثه . انتهى .

وإجمالاً فقد روى الأصمغ حديث عهد الأشر ، ووصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لابنه محمد ، وقد سبقت الإشارة إلى حديثه معه (عليه السلام) بعد ضربة ابن ملجم اللعين له ، وذلك عند الحديث عن استشاده (عليه السلام) .

الثاني : أويس القرني

سهيل اليمن وشمس القرن ، من خيار التابعين ، ومن حوارتي أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وأحد الزَّهاد الثمانية^(١) ، بل أفضلهم ، وآخر المئة الذين بايعوا أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين على بذل المهج في ركابه ، وقاتل معه حتى استشهد .

ويروى أن رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) قال يوماً لأصحابه : « أبشروا برجل من أمّي يقال له أويس القرني ، فإنّه يشفع بمثل ربيعة ومضر » . كما شهد له (صَلَّى الله عليه وآله) في حديث آخر بالشهادة ودخول الجنة ؛ وقال في حديث ثالث : « تقوح روائح الجنة من قبل القرن ، واشوقاه إليك يا أويس القرني ، ألا من لقيه فليقرئه مني السلام » .

واعلم أن الموحدّين العرفاء كانوا يمتدحون أويساً كثيراً ويدعونه بسيد التابعين ، ويقال إن رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) كان يدعو روح الرحمن ، وخير التابعين ، ويقول (صَلَّى الله عليه وآله) : « إني لأنشق روح الرحمن من طرف اليمن » .

ويقال إن أويساً القرني كان يمتنح رعي الإبل ، ويتفق من أجره على أمّه ، فطلب منها الإذن يوماً بالقدوم إلى المدينة وزيارة رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، فأذنت له شريطة ألا يتوقّف هناك أكثر من نصف يوم ، فتوجّه إلى المدينة ، ولما بلغ بيت رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) شاء القدر أن يكون الرسول (صَلَّى الله عليه وآله) خارج البيت ، فاضطرّ أويس إلى الرجوع إلى اليمن دون أن يقوِّض برؤية الرسول (صَلَّى الله عليه وآله) ، بعد أن جلس ساعة أو ساعتين في انتظاره ؛ فلما رجع رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) قال : ما هذا النور

(١) الزَّهاد ثمانية : الربيع بن حشيم ، والمهرم بن حبان ، وأويس القرني ، وعابد بن عبد قيس ، وأبو مسلم الخولاني ، ومسروق بن الأجدع ، والحسن بن أبي الحسن ، والأسود بن يزيد ؛ والأربعة الأول من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وكانوا من الزَّهاد الاتقياء ، والأربعة الآخر ليسوا كذلك .

الذي أراه ؟ قيل : إنه جمال يقال له أويس ، قدم وذهب ؛ فقال : لقد ترك لنا هذا النور هدية ومضى .

وعن كتاب (تذكرة الأولياء) أنه كان يضع (خرقة) رسول الله (صلى الله عليه وآله) حسب تعليمات أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وفي أيام عمر جعل عمر يطلبه فأتوا به إلى أويس فإذا به يراه عارياً إلا من ثوب من الوبر يستره ، فجعل عمر يمتدحه ويظهر زهده ويقول : من لهذه الخلقة يشتريها مني برغيف ؟ قال أويس : وهل يرضى بهذه التجارة ذو عقل ؟ إن قلت صدقاً فدعها عنك لمن أرادها وامض ، قال عمر : فادع لي ، قال : فانا في كل صلاة أدعو للمؤمنين والمؤمنات ، فإن كنت مؤمناً نالك دعائي ، وإلا فلن أصيحه .

يقال إن أويساً القرني كان في بعض الليالي يقول : الليلة ليلة الركوع ، ويركع حتى يوافيه الصبح بركعة واحدة ، وكان يقول في أخرى : الليلة ليلة السجود ، ويسجد حتى يوافيه الصبح في سجدة ؛ فقيل له : ما هذه المشقة التي تحملها نفسك ؟ قال : ليت ما بين الأبد والأزل ليلة واحدة فأقضها في سجدة واحدة .

الثالث : الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني^(١)

من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن محبيه ، بقول القاضي نور الله : ورد في تاريخ الياقني أن الحارث كان من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وصحب عبد الله بن مسعود ، كان فقيهاً ، وذكر حديثه في كتب السنن الأربعة ، وعن ميزان الذهبية أنه من كبار علماء التابعين ، وينقل عن ابن حبان أنه كان مغالياً بالتشيع ، وعن أبي بكر بن أبي داود - وهو من علماء أهل السنة - أنه قال : الحارث الأعور كان أفقه الناس ، وأفرض الناس ، وأحسب الناس ، أخذ علم الفرائض عن الأمير (عليه السلام) ؛ والنسائي - مع تشدده في

(١) ليعلم أنه إذا ذكر الهمداني بين أصحاب أمير المؤمنين (ع) حتى أصحاب الصادق (ع) جاء اسمه بكون الميم ، منسباً إلى همدان ، وهي قبيلة كبيرة في اليمن ، وهم من شعبة أمير المؤمنين (ع) ومحبيه ، وقد قال فيهم (ع) :

ولو كنت بواباً على باب الجنة لقلت همدان ادخلوا بسلام

وأما بعد الإمام الصادق (ع) فإذا رثي اسم (همداني) احتمل أن يكون بفتح الميم نسبة إلى همدان ، وهي مدينة بناها همدان بن فلوخ بن سام بن نوح (ع) ، وفي أقصى تلك المدينة جبل الوند الذي يروى عن الصادق (ع) أن فيه ينبوعاً من ينابيع الجنة .

وقد نقل صاحب (عجائب المخلوقات) ذلك الحديث عن الصادق (ع) ، وقال إذ ذاك : أهل همدان يقولون : هذا ينبوع هو نفسه الماء الموجود في قمة ذلك الجبل ، وهو ماء شديد البرودة خفيف سائغ ، لا يحس شربه بثقله ، وهو يشفي المرضى ، ويفد إليه الناس من الأطراف دون انقطاع .

رجال الحديث - ذكر حديثه في السنن الأربعة ، واحتج به ، وقواه .

وقد ورد في كتاب الشيخ أبي عمرو الكشي أن الحارث قدم ذات ليلة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فسأله : ما الذي جاء بك إلينا ؟ قال ؛ والله إنها عجتك التي أقدمتنا عليك ، فقال (عليه السلام) : لتعلم يا حارث أنه ما مات محب لنا إلا ورأنا عند موته راجياً رحمة الله ، وما مات عدو لنا إلا رأنا عند موته وقد غرق باليأس والحجل .

وهذه الرواية تضمنتها بعض أشعار ديوانه المعجز (عليه السلام) :

يا حارِ همدان من يميت يرني من مؤمن ومنافق قُبُلا
أقول : اعلم أن نسب شيخنا البهائي زيد بهاؤه ينتهي إلى الحارث ، ولهذا فالشيخ البهائي يدعو نفسه أحياناً بالـحارثي .

والحارث موضوع حديثنا هو من رأى أمير المؤمنين (عليه السلام) مع الخضر في النخيلة ، حيث نزل عليهما طبق من الرطب من السماء يأكلان منه ؛ أما الخضر (عليه السلام) فكان يرمي بالنوى ، لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يجمعها في كفه . يقول الحارث : قلت له (عليه السلام) هبني تلك النوى ، ففعل ؛ ففرستها فثمرت رطباً لم تقع عيني على مثله .

ويروى أن حارثاً الأعور أقر أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : يا أمير المؤمنين ، أحب أن تكرمني بأن تأكل عندي ، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : على أن لا تتكلف لي شيئاً ، ودخل فأتاه الحارث بكسرة ، فجعل أمير المؤمنين (عليه السلام) يأكل ، فقال له الحارث : إن معي دراهم - وأظهرها فإذا هي في كفه - فإن أذنت لي اشتريت لك ، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : هذه مما في بيتك .

يعني : لا بأس ، ولا تكلف فيه .

الرابع : حُجْر بن عدي الكندي الكوفي

من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهو من الأبدال .

عن (الكامل) للبهائي أن زهد حجر وكثرة عبادته مشهوران بين العرب ، ويقال إنه كان يصلي في اليوم ألف ركعة ؛ ويقول صاحب الاستيعاب في (المجالس) : كان حجر من أفاضل الصحابة مع صغر سنه بين كبارهم ، وكان مستجاب الدعوة ، وكانت له إمارة بني كندة في حرب صفين إلى جانب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكانت أمير جيشه (عليه السلام) يوم النهروان .

يقول العلامة الحلي قدس سره : إن حجراً كان من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ومن الأبدال . ويذكر الحسن بن داود أن حجراً كان من عطاء الصحابة وأصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وقد طلب إليه أحد أمراء معاوية أن يلعن أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : إن أمير الوفد أمرني أن ألعن علياً ، فalcنوه لعنه الله .

وقد تذوق حجر (رحمه الله) الشهادة بسعاية من زياد بن أبيه وحكم من معاوية بن أبي سفيان وذلك سنة إحدى وخمسين مع بعض أصحابه .

أقول : إن أصحاب حجر الذين قتلوا معه هم : شريك بن شداد الحضرمي ، وصفي بن شبل الشيباني ، وقبيصة بن ضبيعة العبسي ، وعمر بن شهاب المنقري ، وكديام بن حيان العنزي ، وعبد الرحمن بن حسان العنزي ، وقبورهم مع القبر الشريف لحجر تقع في بلدة عذراء على بعد فرسخين من دمشق .

وقد كبر على قلوب المسلمين قتل حجر وأصحابه ، وقد أكثروا من ملامة معاوية وتوبيخه على فعلته تلك .

ويروى أن معاوية قدم على عائشة ، فقالت له : ما الذي أكرهك على قتل أهل عذراء حجر وأصحابه ؟ قال : يا أم المؤمنين ، رأيت في قتلهم صلاح الأمة ، وفي بقائهم فساد الأمة ، فلا جرم أتيت قتلهم !!

قالت عائشة : سمعت رسول الله (عليه السلام) يقول : سيقتل من بعدي قوم في عذراء يغضب الله تعالى لقتلهم وأهل الساء .

ويروى أن الربيع بن زياد الحارثي عامل معاوية على خراسان ، لما سمع بقتل حجر دعا الله وقال : اللهم إن كان لربيع عندك قرب ومنزلة إلا ما عجلت بقبض روحه ؛ فلم يتم كلامه حتى وقع ميتاً .

الخامس : رشيد الهجري

من المتمسكين بحبل الله المتين ، وكان من خاصة أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وفي جلاء ذلك يقول العلامة المجلسي (ره) :

يروي الشيخ الكشي بسند معتبر أن ميثم التمار - وهو من كبار أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وأمينه على أسراره - مر يوماً بمجلس لبني أسد فاستقبله حبيب بن مظاهر ، وهو أحد شهداء كربلاء ، ووفقاً يتحدثان حديثاً طويلاً ، قال حبيب : « لكأنني بشيخ أصلع ، ضخم البطن ، يبيع البطيخ عند دار الرزق قد صلب في حب أهل بيت نبي ، تقربطه على الخشبة » ، يريد به ميثم .

فقال ميثم : « وكاني برجل أحمر له ضفيرتان ، يخرج لنصرة ابن بنت نبيّه ، فيقتل ويحال برأسه بالكوفة » ، يريد بذلك حبيباً ؛ واقتربا .

فلما سمع أهل المجلس حديثهما قالوا : ما رأينا أحداً أكذب من هذين ؛ وكان أهل المجلس ما يزالون في مجلسهم إذ أقبل عليهم رشيد الهجري ، وهو من أمناء أسرار أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فطلب صاحبيه الكبيرين ميثماً وحبيباً ، فقيل له : إنها افتربا بعد أن تحذث ساعة ، وأعادوا عليه حديثهما فقال : « رحم الله ميثماً ، إنه نسي أن يقول : ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مئة درهم » ، ثم مضى ، فقال بعضهم : هذا والله أكذبهم

فما مضى وقت طويل حتى راوا ميثماً مصلوباً عند باب عمرو بن حريث ، وقتل حبيب بن مظاهر مع الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء ، وطافوا برأسه في شوارع الكوفة .

ويروي الشيخ الكشي أيضاً أن أمير المؤمنين (عليه السلام) خرج يوماً مع أصحابه إلى بستان نخيل ، فجلس تحت نخلة وأمر بجمع رطب منها ، فتناولها مع أصحابه ، فقال رشيد الهجري : ما أطيب هذا الرطب يا أمير المؤمنين ، فقال (عليه السلام) : يا رشيد ، أما إنك ستصلب على جذعها .

فكان رشيد يختلف إليها باستمرار يسقيها ، فجاءها يوماً وإذا قد قطع سفعها فقال : اقترب أجلي ! فبما مضت أيام حتى أرسل ابن زياد في طلبه ، فأتاه ، وفي الطريق إليه رأى الشجرة وقد جعلوها نصفين ، فقال : هذا من أجلي ؛ ثم دعوه إلى الأمير ثانية ، فلما جاءه قال له ابن زياد : هات من كذب صاحبك ، فقال : والله ما أنا بكذاب ولا هو ، ولقد أخبرني أنك تقطع يدي ورجلي ولساني ؛ قال ابن زياد :

إذاً والله نكذبك ، اقطعوا يديه ورجليه وأخرجوه ؛ فلما حل إلى أهله أقبل يحدث الناس بالعظام ، فعلم ابن زياد بذلك ، فأمر بقطع لسانه . ويقال إنه أمر بصلبه على رواية .

ويروي الشيخ الطوسي بسند معتبر عن أبي حسان العجلي قال : لقيت أمة الله ابنة رشيد الهجري فقلت لها : أخبريني ما سمعت من أبيك ، قالت : سمعت أبي يقول : سألتني حبيبي أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : يا رشيد ، كيف صبرك متى أرسل إليك دعني بني أمة فاقطع يديك ورجليك ولسانك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، آخر ذلك إلى الجنة ؟ فقال : أجل ، وأنت معي في الدنيا والآخرة . ثم قالت : فوالله ما ذهبت الأيام حتى أرسل إليّ ابن زياد الدعوي فدعا إلى البراءة من أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فأبى أن يبرأ منه ، فقال له الدعوي : فبأي مئة قال لك تموت ؟ فقال له : أخبرني خليلي أنك تدعوني إلى البراءة منه فلا أبرأ ، فتقدمني فتقطع يدي ورجلي ولساني ، فقال : والله لأكذبن قوله ، ثم

قال : اقطعوا يديه ورجليه واتركوا لسانه ، ففعلوا . فحُمِلت أطراف يديه ورجليه ، فدنوت منه فقلت : يا أبه ، هل نجد ألباً لما أصابك ؟ فقال : لا يا بني إلا كالزحام بين الناس .

ولما اجتمع الناس والجيران حوله يعودونه ويألمون لما أصابه ، ويكفون ، فقال لهم أبي : دعوا البكاء وآتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم ما يكون إلى يوم الساعة ، وتحدث وكتبوا ، فلما بلغ الدعوى ذلك ، وأنّ رشيداً يكاد يقتل الناس : فقال : مولاه لا يكذب ، اذهبوا فاقطعوا لسانه ، ففعلوا ، ومات من ليلته .

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يدعو برشيد البلياء ، وكثيراً ما كان رشيد يلقي الرجل فيقول له : أنت تموت بميتة كذا ، وأنت يجري عليك كذا ، فيكون كما يقول .

وورد في كتاب بحار الأنوار نقلاً عن كتاب الاختصاص أنّه لما طلب زياد أبو عبيد الله رشيد الهجري اختفى رشيد ، فجاء ذات يوم إلى أبي أراكة وهو جالس على بابهِ في جماعة من أصحابه (وكان أبو أراكة أحد كبار رجال الشيعة) فدخل (رشيد) منزل أبي أراكة ، ففزع لذلك أبو أراكة وخاف ، فقام فدخل في أثره ، فقال : ويحك قتلتي وأيمت ولدي وأهلكتهم ، قال : وما ذاك ؟ قال : أنت مطلوب وجئت حتى دخلت داري ، وقد أراك من كان عندي ؟ فقال : ما رأي أحد منهم ، قال : وتسخر بي أيضاً ؟ فأخذه وشده كثافاً ، ثم أدخله بيتاً وأغلق عليه بابهُ .

ثم خرج إلى أصحابه فقال لهم : إنّهُ خَبِلَ إليّ أنّ رجلاً شيخاً قد دخل داري آنفاً ، قالوا : ما رأينا أحداً ! فكرر ذلك عليهم كلّ ذلك يقولون : ما رأينا أحداً ، فسكت عنهم .

ثم إنّهُ تخوّف أن يكون قد رآه غيرهم ، فذهب إلى مجلس زياد ليتجسس ، هل يذكرونهُ ؟ فإن هم أحسّوا بذلك أخبرهم أنّه عنده ، ودفعه إليهم ؛ فسلم على زياد وقعد عنده ، وكان الذي بينهما لطيف .

قال : فبينما هو كذلك إذ أقبل الرشيد على بغلة أبي أراكة ، مقبلاً نحو مجلس زياد ، فلما نظر إليه أبو أراكة تغيّر وجهه وأسقط في يده ، وأيقن بالهلاك .

فنزل رشيد عن البغلة ، وأقبل إلى زياد فسلم عليه ، فقام إليه زياد فاعتنقه فقبله ، ثم أخذ يسأله : كيف قدمت ؟ وكيف من خلفت ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟ وأخذ لحيته ، ثم مكث هنيهة ، ثم قام فذهب . فقال أبو أراكة لزياد : أصلح الله الأمير ، من هذا الشيخ ؟ قال : هذا أخ من إخواننا من أهل الشام ، قدم علينا زائراً !!

فانصرف أبو أراكة إلى منزله فإذا رشيد بالبيت كما تركه ! فقال له أبو أراكة : أمّا إذا كان عندك من العلم كلّ ما أرى فاصنع ما بدا لك ، وادخل علينا كيف شئت .

أقول : كان أبو أراكة المذكور من خواص أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، كالأصمغ بن نباتة ، ومالك الأشتر ، وكميل بن زياد ، وآل أبي أراكة مشهورون في رجال الشيعة ، وما فعله أبو أراكة لرشيد لم يكن بسبب استخفافه به ، بل كان خوفاً على نفسه ، ذلك أنَّ زياداً كان يلج في طلب رشيد وأمثاله من الشيعة ، وكان يعذبهم ويقتلهم ، ويفعل ذلك بكل من يساعدهم أو يجمعهم أو يضيفهم .

السادس : زيد بن صوحان العبدي

ورد في (المجالس) نقلاً عن كتاب الخلاصة أنَّ زيد بن صوحان كان من الأبدال ، وكان من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكانت شهادته في موقعة الجمل .

ويروى الشيخ أبو عمرو الكشي أنَّه لما أصيب زيد وسقط عن فرسه أتى إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) ووقف على رأسه وقال : « يا زيد رحلك الله ، كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة » فرجع زيد رأسه إليه وقال :

جزاك الله عني خيراً يا أمير المؤمنين ، أما والله ما عرفتك إلا عارفاً بالله تعالى ، أما والله إنِّي لم أكن أقاتل أعدائك معك عن جهل ، لكني لما سمعت من أم سلمة وما جاء في حديث الغدير بحقِّكَ عرفت كم هي وخيمة عاقبة من خذلك ، فكرهت خذلانك والتخلي عنك لئلاَّ يخذلني الله تعالى .

ويروى عن الفضل بن شاذان أنَّ زياداً كان من رؤوس التابعين والزهاد ، ولما قدمت عائشة البصرة كتبت إليه :

من عائشة زوجة النبي (صلَّى الله عليه وآله) إلى ابنها زيد بن صوحان الخاص ، أما بعد ، فإذا أتاك كتابي هذا فاجلس في بيتك ، واخذل الناس عن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) حتى يأتبك أمري .

فلما قرأ زيد الكتاب ، كتب في الجواب : لقد أمرتنا بشيء نحن مأمورون بغيره ، وتركت أنت أمراً أمرت به ، والسلام .

أقول : مسجد زيد أحد المساجد الشريفة في الكوفة ، ودعاؤه الذي كان يدعوه في صلاة الليل معروف ، وقد ذكرناه في (المفاتيح) .

ويروى أنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) قال له : إنَّ عضواً منك يسبقك إلى الجنة ، وقد برزت يده في موقعة النهاوند .

السابع : سليمان بن صُرَد الخزاعي

كان اسمه في الجاهلية يساراً ، وسماه رسول الله (صلى الله عليه وآله) سليمان ، كان رجلاً جليلاً فاضلاً ، اختار الكوفة مكاناً لإقامته ، وبني في خراعة داراً ، وكان سيّد قومه ، شهد صفين مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهو من اجتمع الشيعة في بيته بعد موت معاوية ، وكتبوا إلى الحسين (عليه السلام) كتاباً يطلبون فيه قدومه (عليه السلام) إلى الكوفة ، لكنه لم يشهد الواقعة مع سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وحرّم من قبض الشهادة معه ، وتدم على ذلك أشدّ الندم ، ثمّ ناب وأناب ، وحزم أمره على الاشتراك في الشار لمقتله (عليه السلام) ، وفي سنة خمس وستين قام مع المسيّب بن نجبة الفزاريّ ، وعبد الله بن سعد بن نفيّل العنصديّ ، وعبد الله بن والٍ التميميّ ، ورفاعة بن شدّاد البجليّ ، وجاعة آخرين من شيعة الكوفة يقال لهم التّوابون ، قاموا للنّار لدم الإمام الحسين (عليه السلام) من قتلته من بني أميّة وتوجّهوا بجمعهم نحو الشام .

وفي عين وردة ، وهي مدينة من بلاد الجزيرة ، التقوا بجيش الشام وقوامه ثلاثون ألفاً ، وكان بقيادة ابن زياد ، والحصين بن نمير ، وشراحيل بن ذي الكلاع الحميريّ : وكان الجيش مقيلاً من الشام لقتال الشيعة ، وجرت بين الفريقين معركة كبيرة ، واستشهد سليمان بسهم سدّده إليه الحصين بن نمير ، وقتل بعده المسيّب ، ولما رأى الشيعة ذلك شهبوا سيوفهم دفعة واحدة ، بعد أن حطّموا أغصان سيوفهم وقد عزموا وصمّموا على الموت ، وفي تلك الحال وصلهم مدد من شيعة البصرة قوامه خمسمئة مقاتل ، وثبّتوا في القتال ثباتاً مشهوداً يقولون : « أَقْلَنَا رَبَّنَا تَفْرِيطُنَا فَقَدْ تَبْنَا » ، حتى قتل عبد الله بن سعد مع لفيّف من وجوه الشيعة ، ولما رأى الباقيون أن لا جدوى من المقاومة لاذوا بالفرار إلى بلادهم .

وقد شرح الشيخ ابن نما كيفيّة مقتل سليمان من خلال تفصيله لمعركة الشار ، ختمه بقوله :

« فلقد بذل في أهل النّار مهجته ، وأخلص لله توبته ؛ وقد قلت هذين البيتين حيث مات مبرأً من العيب والشين :

فضى سليمان نحبه فغداً إلى جنان ورحمة الباري
مضى حميداً ببذل مهجته وأخذه للحسين بالشار

وفي حديث المفضّل استفادة في مدحه رحمه الله .

الثامن : سهل بن حنيف الأنصاري

أخو عثمان بن حنيف ، وسيأتي ذكره مع أجلاء الصحابة والأحبة المخلصين لأمير المؤمنين (عليه السلام) إن شاء الله .

شهد بداراً واحداً ، وأظهر شجاعة وبطولة في أحد ، ولازم أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين ، وتوفي بعد العودة من صفين .

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : « لو أحييت جيل لتهافت » ، ذلك لما يلقاه محب أهل البيت (عليهم السلام) من بلاء وامتحان .

وبعد وفاته رحمه الله كُتِبَ برده من الخبر الأحمر ، وكُتِبَ في الصلاة عليه خمساً وعشرين تكبيرة ، وقال : لو كُتِبَ عليه سبعين مرة لكان أهلاً لذلك .

وقد أورد صاحب (الاستيعاب) في (المجالس) أنه شهد جميع غزوات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وفي وقعة أحد ، حيث فر أكثر الصحابة ، ثبت مختاراً يرمي أعداء الرسول (صلى الله عليه وآله) بسهامه ، ويذود عن حرمة ؛ وانتظم بعد أحد في سلك أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فاستخلفه على المدينة عند خروجه لحرب الجمل ، وشهد صفين مجاهداً ، وولي حكومة فارس فترة ثم عزل عنها بسبب خلاف مع أهلها ، حيث ولها زياد بعده .

التاسع : صعصعة بن صوحان العبدي

ذكر في كتاب الخلاصة في (المجالس) أنه كان من كبار أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ويروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله إنه لم يكن بين أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) من يعرف حق إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا صعصعة وأصحابه ، وعليه يقول ابن داود : يكفيه هذا من علو القدر والشرف .

ورود في كتاب (الاستيعاب) أن صعصعة بن صوحان العبدي أسلم في عهد رسول الله لكُتِبَ - لما نزع ما - لم يره ، وكان من كبار قومه بني عبد القيس ، وكان خطيباً فصيحاً لساناً ، متديناً فاضلاً بليغاً ، وكان هو وأخوه زيد بن صوحان في زمرة أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) .

ويروى أن أبا موسى الأشعري - وكان عاملاً لعمر - أرسل ألف ألف درهم إلى عمر ، فقام عمر بقسمة المال على المسلمين ، وفضلت منه بقية ، فقام عمر وخطب في القوم فقال : اعلموا أنه فضل من هذا المال - بعد أداء حقوق الناس - فضلة ، فإذا ترون فيها ، فوقف

صعصعة - وكان لا يزال فتي أمرد - وقال : يا أمير المؤمنين ، إن الشورى لا تصح في شيء يجب عمله ونزل القرآن في بيان حكمه ، وما بين لك القرآن موضعه فضعه في موضعه ؛ فقال عمر : نطق حقاً ، فانت مني وأنا منك ؛ ثم قسم تلك البقية بين المسلمين . وروي الشيخ أبو عمر والكشي أن صعصعة لما مرض أثاره أمير المؤمنين (عليه السلام) يعود في مرضه ، فاحس منه افتخاراً بذلك فقال له : يا صعصعة ، لا تذهبن نفسك إلى الفخر ، وتذلل لله عز وجل ، فقال صعصعة : بلى والله ، أعلم أن الله عز وجل قد أكرمني بك بفضلته ومنه .

ويروى أنه لما قدم معاوية الكوفة أمر أن يحضر إليه في مجلسه ففرعن كان الإمام الحسن (عليه السلام) قد أخذ لهم الأمان منه ، وكان صعصعة بينهم ، فلما دخل المجلس قال له معاوية : أما والله يا صعصعة لم أكن أريدك في أمان ، فقال له : أما والله لم أكن أريد خطابك باسم الخلافة ، ثم سلم عليه باسم الخلافة ، وجلس .

قال معاوية : لو كنت صادقاً في قولك فاصعد المنبر والعلن علياً فتوجه صعصعة إلى المسجد ، وصعد على المنبر ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال :

أيها الناس ، قدمت من عند رجل تقدم شره وأبطأ خيره ، وقد أمرني بلعن علي بن أبي طالب ، فالعنوه لعنة الله ، فقال أهل المسجد : آمين .

ثم عاد إلى معاوية وأبلغه بما فعله على المنبر ، فقال معاوية : أما والله ما قصدت بلعنك سواي ، عد إلى المسجد والعلن علياً بصراحة ، فعاد صعصعة وصعد المنبر وقال : أمرني معاوية أن ألعن علي بن أبي طالب ، فأنا ألعن من لعن علي بن أبي طالب ، فقال الحاضرون : آمين .

ولما بلغ معاوية ما جرى عرف أنه لن يلعن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فأمر بإخراجه من الكوفة .

العاشر : ظالم بن ظالم أبو الأسود النولّي البصري

من شعراء الإسلام ، ومن شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، شهد صفين ، وهو من وضع علم النحو بعد أن أخذ أصوله عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهو من وضع النقاظ لحروف القرآن الكريم أيام زياد بن أبيه .

بعث له معاوية هدية منها بعض الحلوى يغريه بها للانحراف عن ولائه لأمر المؤمنين (عليه السلام) ، وكانت له ابنة في الخامسة أو السادسة ، فتناولت بعضاً من الحلوى ، فقال لها أبوها : أي بنت ، إن معاوية بعث لنا بهذه الحلوى يغرينا بها كي نتخلى عن ولائنا لأمر

المؤمنين (عليه السلام) ، فقالت : قبحه الله ، يخذعنا عن السيّد المظهر بالشهد المزعر ، نبأ لمسله وأكله ، ثم عاجلت نفسها كي تقيء ما أكلته ، وأنشدت :

أبالشهد المزعر فربا بن هند نبيع عليك أحساباً وديننا
معاذ الله ! كيف يكون هذا ومولانا أمير المؤمنين

توفي أبو الأسود بالطاعون سنة تسع وستين عن خمسة وثلاثين عاماً في البصرة ، وقد ذكر ابن شهر آشوب وجماعة غيره أشعاراً له في رثاء أمير المؤمنين (عليه السلام) مطلعها :

ألا يا عين جودي فاسعدينا إلا فايكي أمير المؤمنين

وكان أبو الأسود شاعراً طليق اللسان ، وكان سريع الجواب ، وقد روى الزمخشري أن زياد بن أبيه سأل أبا الأسود : كيف أنت في محبتك لعلّي ؟ قال : كما أنت في محبتك لمعاوية ، غير أنّي أريد ثواب الآخرة وتريد حطام الدنيا ، ومثلي ومثلك كمن وصفها عمرو بن معدى كرب :

خليلان مختلف شأننا أريد العلأ ويهوى السمن
أحبّ دماء بني مالك وراق المعلّى بياض اللبن

كما يروي الزمخشري عنه هذين البيتين :

امفندي في حبّ آل محمّد حجرٌ بفيك فدع ملامك أوزر
من لم يكن بحبالهم متمكناً فليعترف بولادة لم ترشد

الحادي عشر : عبد الله بن أبي طلحة

من أفاضل أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهو من دعا له رسول الله وهو بعد جنين ، أمّه هي أمّ أنس بن مالك ، وكانت أفضل نساء الأنصار ، ولما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) المدينة راح الجميع يقدّمون له الهدايا ، فأخذت أمّ أنس بيد ابنتها أنس وقدمت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقالت : إني لا أملك شيئاً يا رسول الله ، فهذا ابني أقبله هدية مني يكن خادماً لك ، فقبل الرسول (صلى الله عليه وآله) هديتها ، وأضحى مالك مذ ذاك في خدمته .

وبعد مالك أبي أنس أصبحت أمّه زوجاً أبي طلحة ، وكان من خيار الأنصار قواماً بالليل صوماً بالنهار ، وكان له ملك يعمل فيه ، وأعطاه الله ولداً من أمّ أنس ، وكان معتلاً ، وكان أبو طلحة إذا قدم داره ليلاً سأل عنه ، وتفقدّه ، وذات يوم توفي الولد ، ولما قدم والده وسأل

عنه جري عادته قالت أمه : الولد الليلة في راحة وسكون ! سرّ أبو طلحة ، وواقع زوجه في تلك الليلة .

وفي الصباح قالت أم الطفل لزوجها : ما فؤلك يقوم أخذوا شيئاً عارية من جيرانهم ، واستخدموا عاريتهم ، فلما استعادها أصحابها راحوا يبيكون ؟ قال : هم والله مجانين ، قالت : احذر إذاً أن تكون منهم ، فؤلك قد توفي ، وكان عارية استوفأها الله ، فاصبر وسلّم أمرك إليه ، وقم إلى دفن الولد .

قصّ أبو طلحة هذه الواقعة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأعجب بتلك المرأة ودعا لها ولزوجها بقوله : « اللهم بارك لهما في ليلتهما » ، وحملت الأم من تلك الليلة بعدد الله ؛ ولما ولد عبد الله لفته أمه بخرقه وطلبت إلى أنس أن يأخذه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذ الرسول (صلى الله عليه وآله) بوجهه ودعاه ، فلا جرم أنه غدا من أفضل أبناء الأنصار .

الثاني عشر : عبد الله بن بُذَيْل بن ورقاء الخزاعي

يقول القاضي نور الله نقلاً عن كتاب (الاستيعاب) : إنّ عبد الله وأباه أسلما قبل فتح مكة ، وقد شبّ في خزاعة ، وكانت خزاعة غيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، شهد وقعة حنين والطائف وتبوك ، وكان على درجة رفيعة من القدر والعظمة ؛ استشهد في حرب صفين مع أخيه عبد الرحمن ، وكان عبد الله إذ ذاك أميراً على مشاة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ومن أكابر أصحابه ؛ وعن الشعبي أن عبد الله بن بذيّل كان يقاتل في صفين وعليه درعان ، وبرز يحمل سيفين وهو ينشد :

لم يبق غير الصبر والتوكل والترس والرمح وسيف مصقل
ثمّ التمشي في الرعيل الأول مشي الجبال في حياض المنهل
وحمل ابن بذيّل يضرب بسيفه ويشق الصفوف إلى معاوية حتى بلغه وقد تفرقت الجموع
عنه ، فصاح بهم : ويلكم ، الصخر والحجارة إذا عجزتم عن السلاح ، فرضخه الناس بالصخر والحجارة حتى أثخنوه فسقط ، فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوه .

وجاء معاوية معه عبد الله بن عامر ، فوقف عليه ، وكشف ابن عامر عن وجهه . وترحم عليه ، وأراد معاوية أن يمثّل به ، فأقسم ابن عامر أنّ هذا لن يكون طالما روحه بين جنبيه ، فقال معاوية : اكشفوا عنه فإننا لا نغتل به ، قد وهبناه لعبد الله بن عامر ، فلما نظر إلى وجهه قال : هذا كيش القوم وربّ الكعبة ! اللهم أظفري بالأشتر والأشعث بن قيس ، فليس مثل هذا بين القوم غيرهما ، ثم قال :

إِنَّ نساء خِزاعة لو قدرت على أن تقاتلني ، فضلاً عن رجالها ، لفعلت .

أقول : ينتهي إلى عبد الله بن بديل نسب الشيخ الإمام سعيد قدوة المفسرين ، ترجمان كلام الله المجيد الحسين بن علي بن محمد بن أحمد الخزاعي المشهور بالشيخ أبي الفتح الرازي ، صاحب (روض الجنان في تفسير القرآن) ، وجده محمد بن أحمد ، وجده أحمد ، وعم أبيه عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين الخزاعي النيسابوري نزيل الري ، المشهور بالمفيد النيسابوري ، وابنه أبو الفتح محمد بن الحسين ، وابن اخته أحمد بن محمد ، كانوا جميعاً من العلماء الأفاضل .

وهو رحمه الله معدن العلم ومحتده .

شرف تتابع كائراً عن كائراً كالرمح أنبوساً على أنبوب
وهذا الرجل الكبير من مشايخ ابن شهر آشوب ، ويقع قبره الشريف إلى جوار عبد العظيم في الري ، في صحن ابن الإمام حمزة .

الثالث عشر : عبد الله بن جعفر الطيار

ورد في (المجالس) أنه أول مولود من أهل الإسلام يولد في الحبشة ، وقدم المدينة مع أبيه بعد هجرة النبي (صَلَّى الله عليه وآله) ، وفاز بملزمة صاحب الرسالة ، ويذكر عن عبد الله قوله : أنا أحفظ حين دخل رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) على أمي فنعى لها أبي ، فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهرقان الدموع حتى تقطرت لحيتي ، ثم قال :

« اللهم إِنَّ جعفرأ قد قدم إليك ، أحسن الثواب ، فاخلفه في ذرّيته بأحسن ما خلّفت أحداً من عبادك في ذرّيته » .

ويعد ثلاثة أيام أتاناً (صَلَّى الله عليه وآله) في بيتنا فعزّانا وواساناً ودعا لنا ، وقال لأمي أسماء بنت عميس : لا تمنّني فانا وليهم في الدنيا والآخرة .

ونشأ عبد الله كريماً جواداً حليماً عفيفاً ، بلغ من سخائه أنه كان يقال له : « بحر الجود » ، ويروى أنّ بعضهم عابه على كثرة سخائه فقال : سخوت حتى اعتاد الناس على العطاء ، وأخشي إن قطعت عنهم عطائي أن يقطع الله عني عطاءه .

ويروي ابن شهر آشوب أنّ رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) مرّ يوماً بعبد الله بن جعفر وهو طفل يلعب ، ويصنع بيتاً من الطين ، فسأله : لماذا تصنع هذا ؟ قال : أبيع ، قال : وما تصنع بشئ ؟ قال : أشتري الرطب وأكلها ، فقال له (صَلَّى الله عليه وآله) : « اللهم بارك له في صفقته » .

قال عبد الله : فما بعث شيئاً ولا اشتريت شيئاً إلا بورك لي فيه .

وقد أعطاهم الله من المال ما بلغوا معه مضرب المثل في الجود والعطاء ، وكان أهل المدينة إذا اقترضوا شيئاً يمدون المقرض بالقول : سنؤدي لك قرضك عند عطاء عبد الله بن جعفر ؛ ويروى أن الناس كانوا يلومونه على كثرة جوده وعطائه ، فكان يقول :

لست أخشى قلّة العدم ما اتّقيت الله في كرمي
كلّ ما انفقته يخلفه لي ربّ واسع النعم

أقول : الحكايات التي تروى عن جوده وسخائه كثيرة ، ومنها ما قرأته في (مروج الذهب) أنه لما نفدت أموال عبد الله ، أتى المسجد يوم الجمعة وطلب من الله الموت ، وقال : إلهي قد عودتني على الجود ، وعودتني أنا الناس على عطايائي ، فإن شئت أن تقطع عني مال الدنيا فلا تبقي فيها ، فما انقضى أسبوع حتى توفي .

وجاء في (عمدة الطالب) أن عبد الله بن جعفر توفي سنة ثمانين للهجرة بالمدينة ، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان ، ودفن في البقيع .

وعلى قول آخر : توفي في الأبواء سنة تسعين ، وصلى عليه سليمان بن عبد الملك بن مروان ، ودفن هناك .

وأعقب عبد الله عشرين من الأبناء ، أو أربعة وعشرين على قول ، ومنهم معاوية بن عبد الله بن جعفر ، وكان وصي أبيه ، وسماه بذلك بالتهاس من معاوية ، وهو أبو عبد الله بن معاوية الذي خرج أيام مروان الحمار سنة خمس وعشرين ومئة ، وبايعه الناس وملك على الجبل حتى سنة تسع وعشرين ومئة حين خدعه أبو مسلم المروزي فأخذه وحبسه في هراة ، وبقي في حبسه حتى توفي سنة ثلاث وثمانين ومئة ، وقبره في هراة يزار ، ويقول صاحب (العمدة) إنه رأى قبره سنة ست وسبعين وسبعمئة .

ومن أبناء عبد الله بن جعفر إسحاق العريضي ، وهو أبو القاسم أمير اليمن ، وكان القاسم رجلاً جليلاً ، أمه أم حكيم بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، فالقاسم بن إسحاق إذا ابن خالة الإمام الصادق (عليه السلام) ، وهو والد أبي هاشم الجعفري .

ومن أبناء عبد الله بن جعفر عليّ الزينبي ، وأمّه زينب بنت أمير المؤمنين (عليهما السلام) . وأعقب ولدين من لبابة بنت عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، أحدهما محمد الرئيس ، والآخر إسحاق الأشرف ؛ ومحمد الرئيس والد أبي الكرام عبد الله وإبراهيم الأعرابي ، وهو من أجلاء بني هاشم ، وإليه ينتهي نسب أبي يعلى الجعفري خليفة الشيخ المفيد الذي توفي سنة ثلاث وستين وأربعمئة .

ومن أبناء عبد الله بن جعفر كذلك محمد وعون اللذان استشهدا في كربلاء ، وسيأتي ذكر شهادتهما عند الحديث عن أحوال سيّد الشهداء (عليه السلام) ، كما سيأتي في الفصل الخامس إن شاء الله الكلام الذي دار بين عبد الله وعلامة في باب مقتل ولديه وجوابه لعلامة .

الرابع عشر : عبد الله بن الحنّاب بن الأرت

من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان أبوه من المعذبين في الله ، وأما هو ، فلنّاساء خوارج النهران وعبروا موضعاً فيه نخل وماء رأوا عبد الله وقد وضع مصحفاً على عنقه يركب حماراً ومعه عياله وزوجه ، وكانت حاملاً ، فقالوا له : ماذا تقول في عليّ بعد التحكيم ؟ قال : إنّ عليّاً أعلم بالله ، وأشدّ توقّياً على دينه ، وأنفذ بصيرة .

قالوا : إنّ هذا القرآن الذي تحمله حول عنقك يأمرنا بقتلك !! ثم أخذوه فدنوا به من النهر وألقوه على حافته وذبحوه كما تذبح النعجة حتى سال دمه مع الماء ، ثم عمدوا إلى زوجه فبقروا بطنها ، وقتلوا بعض النسوة ممن كنّ معها .

واتفق أن تمراً سقط من النخل على الأرض ، فالتقط أحدهم حبة وضعها في فمه ، فصرخوا فيه : ماذا فعلت ؟ فسارع إلى رميها من فمه !

ورأوا خنزيراً فراح أحدهم يضربه ، وسارع آخر إلى قتله ، فقالوا له : هذا فساد في الأرض ، وأنكروا عليه عمله !!

الخامس عشر : عبد الله بن عباس

من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتلميذ أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن محبيه .

يقول العلامة في (الخلاصة) : إن حال عبد الله في الجلالة والإخلاص لأمير المؤمنين (عليه السلام) أشهر من أن يخفى ، وقد ساق الشيخ الكشي أحاديث في القدرح فيه هو أجل منها ، وقد أوردنا تلك الأحاديث والردّ عليها في كتاب كبير .

يقول القاضي نور الله في (المجالس) : إنّ حاصل القوادح التي تُفهم من روايات الكشي يرجع إلى بعض أعمال ابن عباس ، واعتقاد مؤلف الكتاب وإيمانه ، أمّا الأجوبة التي ذكر أنّ العلامة أوردتها في كتاب كبير فلم تقع تحت نظرنا القاصر ، بيد أنّه سُمع من بعض الثقات أنّ الكتاب المذكور قد فقد مع بعض متاع العلامة وكتبه ، وذلك في الفترة بعد وفاة السلطان المغفور له محمد خدا بنده الماضي ، حتّى أنّ نسخة واحدة منه لم تقع تحت أنظاره لئلي من أفاضل العصر ، ولم يعثروا لها على أثر . انتهى .

ويمتاز ابن عباس امتيازاً تاماً في علم الفقه والتفسير والتأويل ، بل في الأنساب والشعر ، بسبب أنه تتلمذ على أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ويسبب دعاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) له ، ذلك أنه أحضر الماء لاغتساله (صلى الله عليه وآله) في بيت خالته ميمونة زوجة (صلى الله عليه وآله) ، فدعا له وقال : « اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل » .

وكان رجلاً عالماً فصيح اللسان ذا فهم وإدراك ، وقد بعث به أمير المؤمنين (عليه السلام) ليحسّج الخوارج ، وفي حادثة التحكيم واختيار أبي موسى قال (عليه السلام) : أنا لا أرضى بأبي موسى لهذا العمل ، عليكم بابن عباس ، كذلك ففي حرب البصرة ، ولما تغلب (عليه السلام) على أصحاب الجمل أرسل ابن عباس إلى الحميراء يأمرها بتعجيل الرجوع إلى المدينة ، وعدم الإقامة بالبصرة ، وكانت الحميراء إذ ذاك في قصر بني خلف في جانب البصرة ، فذهب إليها ابن عباس وطلب الإذن بالدخول فلم تأذن له ، فدخل دون إذنها فرأى البيت خالياً من الأثاث ، وقد استترت هي خلف ستارتين ، ونظر حوله فرأى وسادة فتناولها وجلس عليها ، فقالت له من خلف الستار : « أخطأت السنة » ، ودخلت بيتنا ، وجلست على متاعنا بغير إذنتنا » .

قال ابن عباس : نحن أكثر منك معرفة بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ونحن بها أولى ، فنحن علمناك الآداب والسنن ، وهذا ليس بمثلك ، فمزلتك هناك حيث أسكنك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخرجت منه ظليماً لنفسك وعصياناً لله ورسوله ، فإذا كنت في بيتك فلن ندخل عليك دون إذن ، ولن نجلس على متاعك .

ثم قال : إن أمير المؤمنين (عليه السلام) يأمرك بالرجوع إلى المدينة ، والقرار في بيتك .

قالت : رحم الله أمير المؤمنين . وهو عمر بن الخطاب .

قال : بل والله لأمر المؤمنين علي (عليه السلام) . . . الخ .

هذا وقد عمي ابن عباس في أواخر عمره من كثرة البكاء على أمير المؤمنين وعلى الحسين (عليهما السلام) كما يقال ، وقال في ذلك :

إن يأخذ الله من عينيَّ نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي زكي وعقلي غير ذي دخل وفي لساني ما كالسيف مائور

أما قصة حمله المال من بيت مال البصرة وذهابه إلى مكة ، وكتابة أمير المؤمنين (عليه السلام) إليه بهذا الخصوص ، وجوابه له ، وبهذا العبارات الجسورة قامر حير

المحققين ؛ فالقطب الراوندي يقول : إنه عبيد الله بن عباس وليس عبد الله ، وقال آخرون : هذا لا تستقيم صحته ، ذلك أن عبيد الله كان عامله على اليمن ، فما شأن البصرة ؟ علاوة عن أن أحداً لم ينقل عنه هذا الأمر .

وقال ابن أبي الحديد : لقد غدا هذا الأمر مشكلاً لدي ، فإن نقلت التكذيب خالفت الرواة وأكثر الكتب ، وذلك لانفاقهم على نقله ، وإن أقل إنه عبد الله بن عباس فلا أظن ذلك الأمر فيه مع تلك الملازمة والطاعة والإخلاص لعلي (عليه السلام) في حياته وبعد وفاته ، وإذا رفعت هذا الأمر عن ابن عباس فمن أطوقه به ؟ وهنا فأنا متوقف في هذا المقام .

وابن ميثم يقول : هذا مجرد استبعاد ، فابن عباس لم يكن معصوماً ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) لا يجنح في الحق لومة لائم حتى في أعز أولاده عليه ، بل الواجب في هذه الأمور المزيد من الغلظة على الأقرباء ، ومنهم ابن عباس . انتهى .

وابن عباس توجه من مكة إلى الطائف خوفاً من ابن الزبير ، وتوفي سنة ثمان وستين أو تسع وستين في الطائف ، وصلى عليه محمد بن الحنفية ، وقال : « اليوم مات ربائي هذه الأمة » .

يقال إنه حين سجي على سريريه شوهد طيران أبيضان يدخلان كفته ، فقال الناس : هذا فقهما .

السادس عشر : عثمان بن حنيف

أخو سهل بن حنيف ، الذي سبق الحديث في أنه من السابقين في الرجوع إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان عامله على البصرة ؛ ويروى أنه دعي إلى وليمة أقامها أحد فنية البصرة ، وقد دعي إليها الأغنياء ، وحجب عنها الفقراء ، ولما بلغ هذا أمير المؤمنين (عليه السلام) كتب إليه :

« أما بعد يا بن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فنية أهل البصرة دعاك إلى مائدة فأسرعت إليها ، تستطاب لك الألوان ، وتُنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تحبب إلى طعام قوم عائلهم مجفو ، وغنيهم مدعو . . » الخ .

وعثمان هذا هو من أتاه طلحة والزبير حين قدما البصرة ، فقتلا الكثير من جنده ، وأخذاه فضرباه ، ونفقا لحية ، وأخرجاه من البصرة .

وبعد حرب الجمل عين أمير المؤمنين (عليه السلام) عبد الله بن عباس والياً على البصرة ، وسكن عثمان الكوفة وبقي حتى أيام معاوية بن أبي سفيان .

السابع عشر : عدي بن حاتم الطائي

من محبي أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان إلى جانبه في حروبه ، وضرب بسيفه بين يديه ، سارع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في السنة العاشرة للهجرة وأسلم .

وكان سبب ذلك أن جيش المسلمين أغار على جبل طيء ونحروا معبدهم وحطموا صنم بيتهم وكانوا يدعونوه فلساً ، كما أسروا أهله ، وفرَّ عديّ نحو الشام ، وكان رأس قبيلته ، فأسروا اخته ، وقدموا بها المدينة مع الأسرى ، فلما رآها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانت معروفة بصباحتها وفصاحتها قالت له : « يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن عليّ من الله بك » .

فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يجيبها يومين ، كما ورد في سيرة ابن هشام ، وفي اليوم الثالث ، مرَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالأسرى ، فأشار أمير المؤمنين (عليه السلام) إليها بأن تعرض حاجتها ، فأعادت قولها السابق ، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) : قد وهبناك ، فإذا مرّت قافلة تأمنين بها فأخبريني أرجعك معها إلى بلادك ؛ قالت : أريد الذهاب إلى أخي في الشام .

ثم اتفق أن قافلة لبني قضاعة قدمت المدينة ، فأنت النبيّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقالت : ها هنا قافلة من قومي ، وهم أهل ثقة ، فأذن لي ؛ فزودها بثياب وزاد وراحلة وأرسلها مع القافلة .

فلما قدمت الشام ولقيت أخاها قصّت عليه قصّتها وقالت : اعلم أنه لا أمان في هذه الدنيا وتلك سوى مع محمد (صلى الله عليه وآله) ، والأفضل لك أن تسارع إليه دون تأخير .

أعدّ عديّ لسفره ، وسارع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقدم عليه في مجلسه ، وعرفه بنفسه ، فقام النبيّ (صلى الله عليه وآله) ومشى إلى ناحية من المجلس وعديّ في أثره ، وإذا بامرأة عجوز تتقدم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتعرض حاجتها له ، فتوقف رسول الله (صلى الله عليه وآله) ريثما قضى لها حاجتها ، فقال عديّ في نفسه : ليس من عادة الملوك أن يدعوا شؤونهم معطّلة من أجل امرأة عجوز ، بل هي من شيم الأنبياء ، ولما عادوا إلى مجلسهم أظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعديّ ما يستحقه من إكرام ، فهو سيّد كريم في قومه ، فأتى إلى وسادة من ليف فبسطها له وأمره بالجلوس عليها ، لكن عديّاً تنحى جانباً ، فأبى عليه إلا الجلوس عليها وجلس هو على الأرض .

تلك كانت سيرته الشريفة (صلى الله عليه وآله) مع الكفّار ، ومن يرجع ، إلى كتب السنة والشيعه في هذا الصدد يلق الكثير من أمثال تلك الواقعة .

وإجمالاً فقد أسلم عديّ على يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وجرياً على القول : « وبأبيه اقتدى عديّ في الكرم » فإن عديّاً كان جواداً سخياً ، ويقال إن شاعراً قدم عليه وقال : يا أبا طريف ، قد قلت شعراً في مدحك ، قال : تريث ريشاً أعزّك ما لديّ من مال ، فتمدحني على قدر عطائي ، إنه ألف ألف درهم ، وألف شاة ، وثلاثة غلمان وفرس ، والآن قل ، وإذ ذلك أنشده .

وسكن عديّ الكوفة ، وشهد مع أمير المؤمنين (عليه السلام) الجمل وصفين والنهروان ، وأصبحت عينه في موقعة الجمل فعميت ، وتوفي في الكوفة سنة ثمان وستين .

وفي أيام معاوية ، وكان الناس يقدون عليه ، قال معاوية لعديّ : ما صنعت يا عديّ بأبائك فلست أراهم معك ؟ قال : قتلوا بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قال : ما أنصفك عليّ ، قتل أولادك وأبقى أولاده ، فقال عديّ : ما أنصفتُ عليّاً إذ قُتل وبقيتُ ؛ قال معاوية : اعلم أنه لا تزال قطرة من دم عثمان باقية ، ولن يمحوها إلا دم شريف من أشرف اليمن ، قال عديّ : أقسم برّب تلك القلوب التي ملكت غضباً منك ، ألا إنها لا تزال في صدورنا باقية ، وتلك السيوف التي قاتلناك بها ، فهي لا تزال على عواتقنا ، فإذا تقدّمت إلينا من باب الخديعة شبراً ، دوننا منك في طريق الشرّ شبراً ، اعلم أنه لقطع الخلقوم وسكرات الموت أهون عندنا من قول سوء نسّمعه في عليّ (عليه السلام) ، وإن سُلّ سيف يا معاوية شهر سيف به .

ورأى معاوية أن المصلحة تقضي بمجانبة الغضب ، فأنهى الحديث ، وطلب إلى رجاله أن يكتبوا كلام عديّ ، فهو مليء بحكمة وعظة .

الثامن عشر : عقيل بن أبي طالب

أخو أمير المؤمنين (عليه السلام) وكنيته أبو يزيد ، ويقال إنه يصغر أخاه طالباً بعشر سنوات ، وجعفر يصغر عقيلاً بعشر سنوات ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يصغر جعفرأ بعشر سنوات ، وكان أبو طالب يحبّ عقيلاً أكثر من حبّه سائر بنيّه ، لهذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حقّه : « إني لأحبه حين : حبّاً له ، وحبّاً لحبّ أبي طالب له » .

يقال إنه ليس بين العرب مثيل لعقيل في علم الأنساب ، وكانت تبط له طنفسة في المسجد فيصليّ عليها ، ثم يحيط الناس به يستفيدون من علمه بالأنساب وأيام العرب ، وكان إذ ذاك مكفوف البصر ، وكان عقيل مبغضاً من الناس لأنه كان مطلعاً على حسناتهم وسيئاتهم ، وكان معروفاً بسرعة الإجابة وشدة العارضة .

ولما قدم عقيل إلى معاوية نصب له كراسيه ، وأجلس جلساءه حوله . فلما ورد عليه سألته : أخبرني يا أبا يزيد عن عسكري وعسكر أخيك ، فقد مررت عليهما ، قال :

أخبرك ، مررت والله بعسكر أخي فإذا ليل ليل رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، ونهار كنهار رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) إلا أن رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ليس في القوم ، ما رأيت إلا مصلياً ، ولا سمعت إلا قارئاً ؛ ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر ناقة رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ليلة العقبة .

ثم قال : من هذا عن يمينك يا معاوية ؟ قال : هذا عمرو بن العاص ، قال : هذا الذي اختصم فيه ستة نفر فغلب عليه جزار قريش ، (ويعني جزار إبل قريش العاص بن وائل الذي غلب الخمسة الآخرين فاتخذوه ابناً)

ثم قال : فمن الآخر ؟ قال : الضحّاك بن قيس الفهري ، قال : أما والله لقد كان أبوه جيّد الأخذ لعسب^(١) التيوس .

ثم قال : فمن الآخر ؟ قال : أبو موسى الأشعري ؛ قال : هذا ابن السراقّة .

فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه علم أنه إن استخبره عن نفسه قال فيه سوءاً ، فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من سوء فيذهب بذلك غضب جلسائه ، قال : يا أبا يزيد ، فما تقول في ؟ قال : دعني من هذا ، قال : لتقولن ، قال : أتعرف حمامة ؟ قال : ومن حمامة يا أبا يزيد ؟ قال : قد أخبرتك ، ثم قام فمضى .

فأرسل معاوية إلى النسابة فدعاه ، قال : من حمامة ؟ قال : ولي الأمان ؟ قال : نعم ، قال : حمامة جذتكم أم أبي سفيان ، كانت بغياً في الجاهلية صاحبة راية .

قال معاوية لجلسائه : قد ساويتكم وزدت عليكم فلا تغضبوا .

وقال معاوية يوماً وعنده عمرو بن العاص وقد أقبل عقيل : لأضحكنك من عقيل ، فلما سلم قال معاوية : مرحباً برجل عمّه أبو لهب ، فقال عقيل : وأهلاً برجل عمته حمالة الخطب ، في جيدها جبل من مسد ؛ قال معاوية : ما ظنك بعنك أبي لهب ؟ قال : إذا دخلت النار فخذ على يسارك تجد مفترساً عمّتك حمالة الخطب ، أفناكح في النار خير أم منكوح ؟ قال : كلاهما شرّ والله .

وقد توفي عقيل في سنة خمسين عن ستة وتسعين عاماً .

التاسع عشر : عمرو بن الحمق الخزاعي

عبد صالح إلهي ، من حوارتي باب علم صاحب الرسالة ، بلغ بملازمته أمير المؤمنين (عليه السلام) مقاماً عالياً ، شهد جميع وقائعه من الجمل والنهروان إلى صفين ، سكن الكوفة بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) كان جلّ اهتمامه - مع حجر بن عدي - ينصبّ على منع بني أمية من سب الإمام (عليه السلام) ، ولما تولى زياد بن أبيه السلطة ، وأمسك بحجر بن عدي فرّ عمرو إلى الموصل واختبأ في غار هناك فلدغته أفعى في الغار فتوفّي .

ولما خرج جماعة من طرف زياد بطلبه وجدوه ميتاً ، فقطع زياد رأسه وبعث به إلى معاوية ، فرفعه على سنان الرمح ، وكان أول رأس يرفع على الرمح في الإسلام ، وكان سبق لأمر المؤمنين (عليه السلام) أن أخبره بما سيتهي إليه أمره ، وفي كتاب بعث به الإمام الحسين (عليه السلام) ردّاً على كتاب لمعاوية ، تحدث عن غدر معاوية ومكره وظلمه ونقضه للعهد ، قال (عليه السلام) :

« أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) العبد الصالح الذي أبْلَته العبادة فتحل جسمه واصفرّ لونه ، بعدما آمنت وأعطيت من عهد الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل ، ثم قتلته جراً على ربك واستخفافاً بذلك العهد ؟ » .

أقول : سيأتي خلال الحديث عن القتل من أصحاب الحسين (عليه السلام) ذكر زاهر الذي كان مع عمرو بن الحمق ، وتولى دفنه .

ويروي الراوندي وابن شهر آشوب أن عَمَرَ بن الحمق لما قدّم ماء لرسول الله (صلى الله عليه وآله) دعا له بأن يجعل له من الشياح حظاً ، فعاش ثمانين عاماً دون أن تظهر شعرة بيضاء واحدة في رأسه .

العشرون : قنبر مولى أمير المؤمنين (عليه السلام)

كان غلامه الخاص ، ورد ذكره في الأخبار بكثرة ، وقال فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) :

إني إذا رايت شيئاً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً ومدح قنبر له (عليه السلام) حين سئل : مولى من أنت ؟ مشهوراً^(١) ، وقد ورد

(١) قال قنبر : مولاي من ضرب بسيفين ، وطعن برمحين ، وصل القبلتين .. إلى آخر مدحجه المشهور (العرب) .

مسطوراً في (رجال الكشي) ، وقد قتل على يد الحجاج الثقفي .

ويروي أنه لما أتى به إلى الحجاج سأله : ما الذي كنت تلبه من علي بن أبي طالب ؟ قال : كنت أوصيه ، قال : فما كان يقول إذا فرغ من وضوئه ؟ قال : كان يتلو الآية المباركة :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ فُتِّعَ دابر القوم الذي ظلموا ، والحمد لله رب العالمين ﴿ .

قال الحجاج : أظن أنه أرادنا بتأويل هذه الآية ، قال قنبر : نعم ، قال : ما أنت صانع إن أمرنا بقطع رأسك ؟ قال : في تلك الحال أكون سعيداً وتكون شقيماً ! فأمر بضرب عنقه .

الحادي والعشرون : كميل بن زياد النخعي السائي

من خواص أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن أعاضهم ، يعدّه العرفاء أمين سر أمير المؤمنين (عليه السلام) . وإليه تنتهي سلسلة جماعة من العرفاء ، والدعاء الشهير الذي يدعى به ليلة النصف من شعبان ، وكل ليلة جمعة ينسب إليه ، وكذلك الحديث المشهور حين أخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) بيده - إذ كانا في القلاة - وقال :

« يا كميل ، إن هذه القلوب أوعية ، فخبرها أوعاها ، فاحفظ عني ما أقول : الناس ثلاثة . . . » إلى آخر الحديث .

وهذا الحديث موجود في الكثير من كتب الحديث ، والشيخ البهائي يعدّه أحد الأربعين حديثاً ، ومن كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل وصيته التي يقول فيها :

« يا كميل ، مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم ، ويُدجلوا في حاجة من هوائهم ، فوالذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا وخلق الله تعالى له من ذلك السرور لطفاً ، فإذا نزلت نازلة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل . . . » .

كان كميل عاملاً لأمير المؤمنين فترة ، ثم انتهى الأمر به إلى الحجاج الثقفي فقتله ، ويروي أنه لما ولي الحجاج العراق أراد الإمساك بكميل كي يقتله ، ففر هارباً منه ، فلما فشل في الإمساك به قرر قطع العطاء من بيت المال عن قومه ، ولما بلغ ذلك كميلاً قال : لم يبق من العمر إلا القليل ، مما لا ينبغي معه قطع رزق القوم ، ثم قام وقدم إلى الحجاج ، قال الحجاج : لقد بحثت عنك لأجزيك ! قال : اعمل ما بدا لك فلم يبق من العمر إلا القليل ، وعمّا قريب سأرجع وإياك إلى الله عز وجل وقد أخبرني مولاي أنك قاتلي ! قال الحجاج : لانت من قتلة عثمان ، ثم أمر به فضربت عنقه .

كان ذلك سنة ثلاث وثلاثين للهجرة ، وتوفي عن تسعين عاماً ، وقبره معروف في الثوبة ما بين النجف والكوفة .

الثاني والعشرون : مالك بن الحارث الأشتر النخعي

سيف الله المسلول على أعدائه ، قدس الله روحه ، جليل القدر عظيم المنزلة ، وخصوصيته من أمير المؤمنين (عليه السلام) أظهر من أن تذكر ، ويكفي في هذا المقام قول علي (عليه السلام) فيه :

« رحم الله مالكا ، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) » .

في سنة ثمان وثلاثين للهجرة ولأه أمير المؤمنين (عليه السلام) على مصر ، وقبل أن يبعث به إلى مصر كتب إلى أهلها كتاباً ، ومما جاء فيه :

« أما بعد ، فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينال آثام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروح ، أشد على الفجار من حريق النار ، وهو مالك بن الحارث أخو مدحج ، فاسمعوا قوله وأطيعوا أمره فيها طابق الحق ، فإنه سيف من سيوف الله . . . »

وعهد له عهداً هو أطول عهوده (عليه السلام) ، يشمل من اللطائف والمحاسن الكثير ، مملوءاً بالعظائم والحكم مما لا يحصى ، يصلح دستوراً لكل وال وسلطان وحاكم ، ويشتمل على أصول جباية الخراج وجمع الزكاة ، وتجنب ظلم عباد الله والجور عليهم إلى غير ذلك ؛ وهذا العهد معروف ومشهور ، له ترجعات عديدة ، وبعد أن عهد به إليه أمره أن يتجهز للسفر ، وخرج الأشتر في جماعة من أصحابه متوجهاً إلى مصر .

يروى أن خبر تولية الأشتر لما طرق مسامع معاوية أرسل إلى أحد دعاة العريش بغريه على دس السم للأشتر مقابل إعطائه عشرين سنة من ضريبة الخراج ، فلما قدم الأشتر العريش قدم له الدهقان هدية من العسل بعد أن مزجه بالسم ، بعد أن عرف أن العسل هو الأكلة المفضلة عند الأشتر ، ولما أكل منه مات من فوره .

ويروي البعض أن موته كان في القلزم ، وأن نافعاً غلام عثمان هو من سممه ، ولما بلغ الخبر معاوية سرّاً عظيماً لم يتسع له جلده ، وضاعت عليه الدنيا الواسعة من فرط الفرح ، وقال : « إن لله جنوداً من عسل » .

ولما بلغ الخبر أمير المؤمنين (عليه السلام) تألم أشد الألم وأسف بالغ الأسف فصعد المنبر فقال :

« إِنَّا لله وَإِنَّا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، اللهم إِنِّي أحتسب عندك ، فَإِن مَوْتَهُ مِنْ مَصَائِبِ الدَّهْرِ » .

ثم قال : « رحم الله مالكاً فلقد أوفى بعهده ، وقضى نحبه ولقي ربه ، ومع أَنَا وَطْنَا أَنْفُسْنَا عَلَى أَنْ نَصِيرَ عَلَى كُلِّ مَصِيبَةٍ بَعْدَ مَصَابِنَا بِرَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَإِنِّي أَنَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ » .

ثم نزل عن المنبر ، ورجع إلى بيته ، وتوافد إليه مشايخ نخع فوجدوه يتأسف ويتلُف على موت الأشر ، ثم قال :

« اللهُ دَرَّ مَالِكِ ، وَمَا مَالِكُ ! لَوْ كَانَ مِنْ جَبَلٍ لَكَانَ فَنَدًا^(١) ، وَلَوْ كَانَ مِنْ حَجَرٍ لَكَانَ صُلْدًا ، أَمَا وَاللهَ لِيَهْدَنَ مَوْتَكَ عَلَامًا ، وَلِيَفْرَحَنَ عَلَامًا ، عَلَى مِثْلِ مَالِكٍ فَلَتَبِكَ الْبَوَاكِي ، وَهَلْ مَرَجُوْا كِمَالِكَ ؟ وَهَلْ مَوْجُودُ كِمَالِكَ ؟ وَهَلْ قَامَتِ النِّسَاءُ عَنْ مِثْلِ مَالِكٍ ! »

يقول القاضي نور الله في (المجالس) : إِنَّ صَاحِبَ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ أَوْرَدَ فِي ذِيْلِ أَحْوَالِ بَعْلِيكَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بَعَثَ رَجُلًا لِلْقَاءِ الْأَشْثَرِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مِصْرَ ، فَلَقِيَهُ حَوَالِي الْقَلْزَمِ ، وَقَدَّمَ لَهُ عَسَلًا مَزْجُوجًا بِالسَّمِّ ، فَهَاتَمَهُ هُنَاكَ ، وَنَقَلَ جِثَّتَانِهِ إِلَى مَدِينَةِ الطَّبِيَةِ ، وَقَبِرَهُ النُّوْرَ مَعْرُوفَ هُنَاكَ وَمَشْهُورَ ؛ وَلَمَّا بَلَغَ مَعَاوِيَةَ خَبَرَ مَوْتَهُ جَهْرًا بِسُرُورِهِ وَقَالَ : « إِنَّ اللهَ جَنُودًا مِنْ عَسَلٍ » .

وقال صاحب المعجم أيضاً : لَا يَخْفَى أَنَّ الْأَشْثَرَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) مَعَ كَوْنِهِ يَتَحَلَّى بِحَلِيَةِ الْعَقْلِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْعِظَمَةِ وَالْفَضْلِ ، فَكَانَ يَتَزَيَّنُ كَذَلِكَ بِزِينَةِ الْعِلْمِ وَالزَّهْدِ وَالْفَقْرِ وَالتَّعَبُّدِ .

ورد في مجموعة وَرَامَ بْنِ أَبِي فَرَّاسٍ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ مَالِكاً الْأَشْثَرَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) كَانَ مَجْتَازاً بِسُوقٍ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ خَامٌ وَعِمَامَةٌ مِنْهُ ، فَرَأَاهُ بَعْضُ السُّوقَةِ فَأَزْرَى بِزِيَرِهِ فَرَمَاهُ بِبِنْدَقَةٍ تَهَاوَنًا بِهِ ، فَمَضَى وَلَمْ يَلْتَفِتْ ؛ فَقِيلَ لَهُ : وَبَلِّغْ أَتُدْرِي بِمَنْ رَمَيْتَ ؟ فَقَالَ : لَا ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا مَالِكُ صَاحِبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، فَارْتَعَدَ الرَّجُلُ وَمَضَى إِلَيْهِ لِيَعْتَذَرَ مِنْهُ ، وَقَدْ دَخَلَ مَسْجِدًا وَهُوَ يَصِلِي .

فَلَمَّا انْقَضَى انْكَبَّ الرَّجُلُ عَلَى قَدَمَيْهِ يَقْبَلُهَا ، فَقَالَ : مَا هَذَا الْأَمْرُ ؟ فَقَالَ : أَعْتَذَرُ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتُ ؛ فَقَالَ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ، فَوَاللهَ مَا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ إِلَّا لِأَسْتَغْفِرَ لَكَ !! انْتَهَى .

يقول المؤلف : لَاحِظْ كَيْفَ اكْتَسَبَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَخْلَاقِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، مَعَ كَوْنِهِ مِنْ أَمْرَاءِ جَيْشِهِ ، شَجَاعَةً شَدِيدَ الشُّوْكَةِ ، وَبَلَغَتْ شَجَاعَتُهُ دَرَجَةَ جَعَلَتْ ابْنَ أَبِي حَدِيدٍ يَقُولُ :

(١) الفند بالفتح والكسر : الجبل العظيم .

لو أقسم أحد أنه ليس بين العرب والعجم من هو أكثر شجاعة من الأشتر - خلا أستاذة أمير المؤمنين (عليه السلام) - فاطن أن قسمه صحيح ، فما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام ، وهزم مئاته أهل العراق ؟ ويقول فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) : « رحم الله مالكا ، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) » ، وقال : ليت لي فيها بينكم رجلا مثله ، بل ليت لي رجلاً واحداً .

ومن التأمل في هذه الأشعار تعرف شدة شوكته على الأعداء ، قال :

أبقيت وفري وانحرفت عن العلى ولقيت أضيافي بوجه عبوس
إن لم أشن على ابن هند غارة لم تحل يوماً من نهاب نفوس
خيلاً كأمثال السعال شرباً^(١) تغدو بيض في الكرية شوس^(٢)
حي الحديد عليهم فكانه ومضان برق أو شعاع شمس

وإجمالاً ، فهو في هذا المقام من الجلال والشجاعة وشدة الشوكة كان على درجة من حسن الخلق بلغت أن رجلاً من السوق - بينه ويستهيء به فلا تغير إهائته له من حاله ، لا بل يضي إلى المسجد ليدعو ويستغفر له !! ويتبدى للمتأمل كيف أن شجاعته هذه ، وغلبته على نفسه وهواه إنما هي أسمى من شجاعته البدنية .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « أشجع الناس من غلب هواه » .

الثالث والعشرون : محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة

رجل جليل القدر ، عظيم المنزلة ، من خواص أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن حواريه ، بل هو بمنزلة ابن له ، أمه أسياه بنت عميس كانت زوجاً لجعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، ثم تزوجها أبو بكر من بعده فولدت له محمداً في رحلة حجة الوداع ، وبعد أبي بكر تزوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فلا جرم أن يترقى محمد في حجره ، ولا يعرف أباً غيره ، حتى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : « محمد ابني من صلب أبي بكر » .

شهد محمد وقعتي الجمل وصفين وبعد صفين عتبه أمير المؤمنين (عليه السلام) والياً على مصر ، وفي سنة ثمان وثلاثين بعث معاوية بعمرو بن العاص ، ومعاوية بن خديج ، وأبي الأعور السلمي في جيش كبير إلى مصر ، وكانوا جميعاً من أنصار عثمان ، وهناك جمعوا جموعهم وانبروا لقتال محمد بن أبي بكر وأخذوه أسيراً ، ثم ضرب معاوية بن خديج عنقه وهو ظامئ ،

(١) شرب : ضامرة .

(٢) الشوس : الطوال .

وقطع رأسه وأدخل جسده - يساعده ابن العاص - في جوف حمار وأحرقوه بالنار ، وكان عند موته ابن ثمان وعشرين .

يقال : لما بلغ أمه أسياه نبأ مقتل ولدها كظمت غضبها وغصتها حتى شخب الدم من نديها ، وروعت عائشة أخته وجزعت عليه ، وكانت في دهر كل صلاة تدعو على معاوية وابن العاص وابن خديج ، ثم حلفت أن لا تأكل شواء أبداً بعد قتل محمد .

أما أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو لما بلغه النبأ حزن على محمد حزناً عميقاً ، وكتب إلى ابن عباس في البصرة ينعيه إليه بقوله :

« أما بعد ، فإن مصر قد افتتحت ، ومحمد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد ، فعند الله نحسبه ولداً ناصحاً ، وعاملاً كادحاً ، وسيفاً قادحاً ، وركناً دافعاً .

وقد كنت حشيت الناس على لحاقه ، وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة ، ودعوتهم سراً وجهراً ، وعوداً وبدءاً ، فممنهم الآتي كارهاً ، وممنهم المعتل كاذباً ، وممنهم القاعد خاذلاً ؛ أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً ، فوالله لولا طمعي عند لقاء عدوي في الشهادة ، وتوطيئي نفسي على المنيّة لأحببت أن لا أبقي مع هؤلاء يوماً واحداً ، ولا ألقي بهم أبداً » .

ولما تلقى ابن عباس النبأ قدم الكوفة لتعزية أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وقدم أحد عيون أمير المؤمنين (عليه السلام) من الشام ، وقال : يا أمير المؤمنين ، بلغ معاوية خبر مقتل محمد بن أبي بكر فصعد المنبر وأذن بقتله ، وسرّ سروراً عظيماً ، وما رأيت قط سروراً رأيت بالشام حين قتل محمد بن أبي بكر . فقال (عليه السلام) :

« إن حزننا على قتله على قدر سرورهم به ، لا بل يزيد أضعافاً » .

وقال : « كان لي ربيباً ، وكنت أعدّه ولداً ، وكان بي برّاً ، فعلى مثل هذا نحزن ، وعند الله نحسبه » .

ومحمد (رضي الله عنه) أخ من الأم لمحمد وعون ابني جعفر ، وأخ ليحيى بن علي (عليه السلام) ، وابن خالة ابن عباس ، وأب للقاسم فقيه المدينة ، وهو جدّ لأم الإمام الصادق (عليه السلام) .

الرابع والعشرون : محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن عيد شمس

مع كونه ابن خال معاوية بن أبي سفيان فقد كان من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن أنصاره وشيعته ، سجن ردحاً طويلاً في سجون معاوية ، ثم أخرجته من

السجن يوماً وقال له : يا محمد ، ألم يُتَيْنْ لك أن تبصّر وتترك مواليتك لعلّي ؟ ألا تعلم أن عثمان قتل مظلوماً ، وأن عائشة وطلحة والزبير قد خرجوا يطلبون بدمه ، وأن عليّاً بعث إلى عثمان من يقتله ؟ ونحن اليوم نطالب بدمه ؟

قال محمد : إنك لتعلم أنّي أمسّ القوم بك رحماً ، وأعرفهم بك . قال : أجل ، قال : إنك تطالب بدم عثمان ، فوالذي لا إله غيره ما أعلم أحداً شرك في دم عثمان وألب الناس عليه غيرك لما استعملك على الشام ، فسأله المهاجرون والأنصار أن يعزلك ، فأبى ، ففعلوا به ما بلغك ، أما والله لم يشرك بدمه ابتداء إلا طلحة والزبير وعائشة ، فهم من حرّضوا على قتله ، وشركهم بذلك عبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، وعمار والأنصار جميعاً ، ثم قال :

« والله إنّني لأشهد أنّك مذ عرفتكَ في الجاهليّة والإسلام لعلّ خلق واحد ، ما زاد فيك الإسلام لا قليلاً ولا كثيراً ، وإنّ علامة ذلك ليبيّنة ، تلوموني على حبّي عليّاً ، خرج مع عليّ (عليه السلام) كلّ صومٍ وقوامٍ مهاجريّ وأنصاريّ ، وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعنقاء ، خدعتهم عن دينهم ، وخدعوك عن دنياك .

والله يا معاوية ما خفي عليك ما صنعت ، وما خفي عليهم ما صنعوا إذا خلوا إلى أنفسهم سخط الله في طاعتك ، والله لا أزال أحبّ عليّاً لله ورسوله ، وأبغضك في الله وفي رسول الله أبداً ما بقيت » .

فأمر به معاوية فأعيد إلى سجنه ، وبقي فيه حتّى مات .

يقول ابن أبي الحديد: قبض عمرو بن العاص على محمد بن أبي حذيفة في مصر ، وبعث به أسيراً إلى معاوية فسجنه ، ثم فرّ من سجنه ، فراح في أثره رجل من خثعم يقال له عبد الله بن عمرو بن ظلام ، وكان عشائياً الهوى ، فادركه مخبئاً في غار وقتله . وكان والده أبا حذيفة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وشهد معه بدرأ حيث قتل أخوه ، واستشهد يوم اليمامة في القتال مع ميلمة الكذاب .

الخامس والعشرون : ميشم بن يحيى النخعي

من خواص أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن أصفيائه وحواريّيه ، وقد علّمه (عليه السلام) من العلوم بالقدر الذي يناسب قابليّته واستعداده ، كان مطلقاً على أسرار خفيّة وأخبار غيبية كانت ترشح عنه في بعض الأحيان ، يكفي في هذا الصدد أنّ ابن عباس ، وهو تلميذ أمير المؤمنين (عليه السلام) وتلقّى عنه علم تفسير القرآن ، وما كان له من باع طويل في علم الفقه والتفسير ، والذي كان محمد بن الحنفية يدعو ربّانيّ الأمة ، ومع كونه ابن عمّ رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) ، ابن عباس هذا يخاطبه ميشم فيقول :

يا بن عباس ، سألني ما شئت في تفسير القرآن فإني قرأت تنزيله على أمير المؤمنين (عليه السلام) وعلمني تأويله ، فقال : يا جارية الدواة والقرطاس ، فأقبل يكتب .

وكان رحمه الله من الزهاد ، ومَن يبست جلودهم من العبادة والزهادة .

ويروى عن أبي خالد التمار قال : كنت مع ميثم التمار بالفرات يوم الجمعة ، فهبت ريح ونحن في سفينة من سفن الرمان ، قال : فخرج فنظر إلى الريح فقال : شدوا برأس سفينتكم ، وإن هذا ريح عاصف^(١) ، مات معاوية الساعة ، قال : فلما كانت الجمعة المقبلة قدم بريد من الشام فلقيته فاستخبرته فقال : توفي أمير المؤمنين ، وباع الناس يزيد ، قلت : أي يوم توفي ؟ قال : يوم الجمعة .

وقد تقدم الحديث عن إخباره لحبيب بن مظاهر عند ذكر أحوال رشيد المهجري أنه سيقفل في نصرة ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنه يطاف برأسه في الكوفة .

يروي الشيخ الشهيد محمد بن مكي عن ميثم أنه قال : صبحني أمير المؤمنين (عليه السلام) معه ذات ليلة إلى خارج الكوفة ، حتى بلغنا مسجد الجعفي ، وهناك أتجه إلى القبلة وصلى أربع ركعات ، وبعد السلام والتسبيح قال : أبسط كفك ، ثم قال :

« إلهي كيف أدعوك وقد عصيتك ، وكيف لا أدعوك وقد عرفتك ، وحبك في قلبي مكين ، مددت إليك يداً بالذنوب مملوءة ، وعيناً بالرجاء ممدودة ، إلهي أنت مالك العطايا وأنا أسير الخطايا . . . »

وهكذا حتى أتم الدعاء ، ثم هبط إلى السجود ووضع وجهه على التراب وقال مئة مرة : العفو العفو ، ثم وقف وخرج من المسجد وأنا معه ، وسرنا حتى إذا كنا في الفلاة خطت على الأرض خطاً وقال لي : لا تتجاوز هذا الخط ، وتركني وذهب وكانت تلك الليلة شديدة الظلام ، فقلت في نفسي : يا مولاي ، تركت نفسك في هذه الفلاة وحيداً ، مع كثرة أعدائك ، فما يكون عذري عند الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) ؟ فوالله لقد هممت باللاحاق به فأكون على بيئة من أمره ولو خالفت أمره ، فانطلقت أبحث عنه حتى أدركته وقد دلى رأسه حتى نصف جسده في بئر هناك وهو يتحدث مخاطباً البشر ، فأحس بي فقال : من أنت ؟ قلت : ميثم ، قال : أولم أمرك أن لا تتجاوز الخط الذي خططته لك ؟ قلت : خشيت

(١) أقول : نظير هذا ما رواه الراوندي عن الصادق (ع) من أنه في غزوة بني المصطلق هبت ريح عاصف ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لقد مات منافق في المدينة ، ولما رجع الناس إلى المدينة كان رفاعة بن زيد - وهو من كبار المنافقين - قد مات .

يا مولاي عليك الأعداء فلم يطلق قلبي البقاء ، قال : هل سمعت شيئاً مما كنت أقوله ؟ قلت : لا يا مولاي ، قال :

« وفي الصدر لبانات إذا ضاق لها صدري نكتُ الأرض بالكف وأبديت لها سرّي ، فمهما تنبت الأرض فذاك الثبت من بذري » .

يقول العلامة المجلسي في (جلاء العيون) عن الشيخين الكشي والمفيد وغيرهما إن ميثاً التّيار كان عبداً لامرأة من بني أسد ، فاشتراه أمير المؤمنين (عليه السلام) منها فأعتقه ، فقال : ما اسمك ؟ فقال : سالم ، فقال : أخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن اسمك الذي سمّاك به أبوك في العجم ميثم ، قال : صدق رسول الله وصدقت يا أمير المؤمنين ، والله إنه لاسمي ، قال : فارجع إلى اسمك الذي سمّاك به (ذكره) رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودع سالماً ، فرجع إلى ميثم ، واكتفى بأبي سالم .

وقال له (عليه السلام) ذات يوم : إنك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربة ، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك وفمك دماً فتخضب لحيتك ، فانتظر ذلك الخضب ؛ فتصلب على باب دار عمرو بن حريث عاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة ، وأقربهم من المطهرة ، وامض حتى أريك النخلة التي تصلب على جذعها ، فأراه إياها .

وفي رواية أخرى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال له : كيف أنت يا ميثم إذا دعاك دعي بني أمية عبيد الله بن زياد إلى البراءة مني ؟ فقال ميثم : يا أمير المؤمنين ، أنا والله لا أبرأ منك ، قال : إذن والله يقتلك ويصلبك ، فقال ميثم : أصبر ، فذاك في الله قليل ؛ فقال : يا ميثم إذا تكون معي في درجتي .

وكان ميثم - بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) - يأتي تلك النخلة ويصلي عندها ويقول : بوركت من نخلة ، لك خلقتُ ولي غديتُ ؛ وكان يلقي عُمر بن حريث فيقول : إني مجاورك فأحسن جوارِي ، فيقول له عمرو : أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أو دار ابن حكيم ؟ وهو لا يعلم ما يريد .

وفي السنة التي توجّه فيها الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى مكّة ، ومنها إلى كربلاء ، توجّه ميثم إلى مكّة ، ودخل على أم سلمة (زوج النبي (صلى الله عليه وآله)) (رضي الله عنها) ، فقالت : من أنت ؟ قال : أنا ميثم ، قالت : والله لربّما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يذكرك ويوصي بك عليّاً في جوف الليل ، فسألها عن الحسين (عليه السلام) فقالت : هو في حائط له (بستان) قال : أخبره أنّي قد أحبت السلام عليه ، ونحن ملتقون عند ربّ العالمين إن شاء الله ؛ قالت : كثيراً ما رأيت الحسين بن عليّ ابن فاطمة

بذكرك ، فقال : أنا والله أكثر ذكره فأقرئيه السلام ، فإنني مبادر ، ولنا أمر مقدّر سيكون ، ثم قالت : يا جارية اخرجي فادهنيه ، فدهنت لحيته فقال : أما والله لئن دهمتها لتخضبني فيكم بالدماء .

ولما خرج إذا بـابن عباس جالس ، فقال : يا بن العباس ، سلني ما شئت من تفسير القرآن فإنني قرأت تنزيله على أمير المؤمنين (عليه السلام) وعلمني تأويله ، فقال : يا جارية الدواة والقرطاس ، فأقبل يكتب .

حتى قال ميثم : يا بن عباس ، كيف بك إذا رأيتني مصلوباً عاشر عشرة ؟ فقال : وتكهن أيضاً ؟ قال ميثم : مه ، احتفظ بما سمعت مني ، فإن يكن ما أقول لك حقاً أمسكته ، وإن يك باطلاً خرقتك ؛ قال : هو ذلك .

ولما فرغ ميثم من حجه فقل عائداً إلى الكوفة ؛ وكان قبل ذهابه إلى الحج لقي عريف قومه (نقيبهم) ، فقال له : كائني بك وقد دعاك دعوتي بني أمية فيطلبني منك أياماً ، فإذا قدمت عليك ذهبت بي إليه حتى يقتلني على باب دار عمرو بن حريث ، ثم خرج ميثم إلى مكة ، فأرسل الطاغية عدو الله ابن زياد إلى عريف ميثم فطلبه منه ، فأخبره أنه بمكة ، فقال له : لئن لم تأتني به لأقتلنك ، فأجله أجلاً .

وخرج العريف إلى القادسية يتنظر ميثماً ، فلما قدم ذهب به إلى الطاغية ، فقال ابن زياد : أنت ميثم ؟ ، قال : نعم أنا ميثم ، قال الحاضرون في المجلس : إنه من المقرين إلى أبي تراب ، قال ابن زياد : وبمحكم ، أهذا المعجمي ؟ قالوا : نعم ، فالتفت ابن زياد إلى ميثم فقال : أين ربك ؟ قال : هو بالمرصاد لكل ظالم ، وأنت أحد الظلمة ، قال : إنك على عجمتك لجريء ، تبرأ من أبي تراب ، فقال : لا أعرف أبا تراب ، قال : تبرأ من علي بن أبي طالب ، فقال له : فإن أنا لم أفعل ؟ قال : إذا والله لأقتلنك ، قال : أما لقد كان مولاي يقول لي إنك ستقتلني وتصلبني عاشر عشرة على باب دار عمرو بن حريث ، قال : لنخالفه ، قال : كيف تخالفه ، فوالله ما أخبرني إلا عن النبي (صلى الله عليه وآله) عن جبريل عن الله تعالى ، فكيف تخالف هؤلاء ؟ ولقد عرفت الموضع الذي أصلب فيه ، وأين هو من الكوفة ، وأنا أول خلق الله ألجم في الإسلام .

فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيدة ، قال له ميثم : إنك تفلت وتخرج نائراً بدم الحسين (عليه السلام) فتقتل هذا الذي يقتلنا .

فلما دعا عبيد الله بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله يأمره بتخليه سبيله ، فخلّاه ، وأمر بميثم أن يصلب ، فأخرج فرفع على الخشبة عند باب عمرو بن

حريث ، قال عمرو : قد كان والله يقول : إني مجاورك ؛ فلما صلب أمر جاريته بكنس تحت خشبته ورثته وتجميره ، فجعل ميشم يحدث بفضائل بني هاشم (ويلعن بني أمية ، ويحدث عما سيكون من انقراض دولتهم) ، فقبل لابن زياد : قد فضحك هذا العبد ، فقال : الجصوه ، ففعلوا ، فلما كان اليوم الثالث من صلبه أتاه أحد رجال ابن زياد والحرية في يده وقال : أما والله إني لأطعنك وأنا أعلم أنك صوّام بالنهار قوّام بالليل ، ثم طعنه في خاصرته فنفذت الحربة من أحشائه ، ثم انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دمأ ، وصعدت روحه إلى الملا الأعلى ، وكان هذا قبل قدوم الحسين (عليه السلام) العراق بعشرة أيام .

ويروى أيضاً أنه لما انتقل هذا العظيم إلى رحمة ربّه قدم سبعة من التّيارين إليه ليلاً والحراس يحرسونه وقد أوقدوا النار ، فحالت النار بينهم ، فاحتملوه حتّى انتهوا به إلى فيض من ماء قدنفوه هناك ، وغمروه بالماء ، ولما طلبه الحراس لم يعثروا له على أثر .

السادس والعشرون : هاشم بن عُتبة بن أبي وقاص

ولقبه المرقال ، يقول القاضي نور الله في (الإصابة) :

المذكور هو هاشم الشجاع المشهور الملقّب بالمرقال ، واشتهر بهذا اللقب لأن الإرقال ضرب من الجري السريع ، فقد كان في النزال يجري مسارعاً إلى خصمه .

وينقل عن الكلبي وابن حبان أنّ هاشماً فاز بشرف صحبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأسلم يوم فتح مكّة ، ورافق عمّه في حربه مع الفرس في القادسيّة ، وأظهر هناك شجاعة وبطولة فائقتين ، وكان في موقعة صفين يقاتل بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وأحسن الجهاد .

وورد في (الفتوح) للأعمش الكوفي ، وفي كتاب الإصابة أنّه لما قتل عثمان وبايع الناس أمير المؤمنين (عليه السلام) بلغ النّبا الكوفة ، وكان واليها أبو موسى الأشعري من قبل عثمان ، فتقاطر الكوفيّون إلى أبي موسى يأخذون عليه إحجامه عن البيعة ، فراح الأشعري يراوغ ويحتجّ بأنّه ينتظر جلاء الأمور والمواقف ، غير أنّ هاشماً وقف أمام الأشعري وقال له : وماذا تنتظر ؟ هل تخشى أن يعود عثمان إلى الحياة فيلومك ؟ بايع يا أبا موسى لخبر هذه الأمّة ، ثم مَدَّ يده اليسرى واضعاً عليها يده اليمنى وقال : هذه لعليّ وهذه لي ، وقد بايعت عليّاً ، ثم أنشد كما عن (الإصابة) :

أبايع غير مكثرت عليّاً ولا أخشى اميراً أشعريّاً
أبايعه وأعلم أن سأرضي بذلك الله حقّاً والنبيّاً

فاز هاشم بالشهادة في صفين ، فرفع ابنه عتبة راية أبيه وحمل على أهل الشام يجاهدكم كما جاهدكم أبوه ، حتى اقتفى أثره شهيداً كريماً .

أقول : يعلم من هنا أن هاشماً استشهد في موقعة صفين ، وعليه ، فإن ما هو مسطور في بعض الكتب - من أن هاشماً قدم كربلاء لعون الحسين (عليه السلام) ، وأنه وقف بين الصفوف يقول : أيها الناس من لم يعرفني عرفته بنفسي ، فأنا هاشم بن عتبة ابن عم عمر بن سعد . . . الخ . لا نصيب له من الواقع ، والله هو العالم .



الباب الرابع
في تلخيص العلم الحسن المجتبي (عليه السلام)

الفصل الأول

فجد الولادة السعيدة للإمام الحسن (عليه السلام)

المشهور أن ولادة الإمام الحسن (عليه السلام) كانت ليلة الثلاثاء منتصف شهر رمضان المبارك سنة ثلاث للهجرة ، أو سنة اثنتين على قول .

اسمه الشريف : الحسن ، وهو تورية عن شبر ، وتعني في العبرية : الحسن وكان اسم كبير أبناء هارون (عليه السلام) شبر ؛ وكنيته (عليه السلام) : أبو محمد ، وألقابه : السيد ، والسيط ، والأمين ، والحجة ، والبر ، والنقي ، والزكي ، والمجتبى ، والزاهد .

ويروي ابن بابويه بأسناد معتبرة عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قال :

« لما ولدت فاطمة الحسن (عليهما السلام) قالت لعليّ (عليه السلام) : سمّه ، فقال : ما كنت لأسبق باسمه رسول الله ؟ فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخرج إليه في خرقة صفراء ، فقال : ألم أنحكم أن تلقوه في خرقة صفراء ؟ ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه بها .

وفي رواية أخرى أنه (صلى الله عليه وآله) أدخل لسانه في فيه فجعل الحسن (عليه السلام) يمصّه ، ثم قال لعليّ (عليه السلام) : ما سمّيته ؟ قال : ما كنت لأسبقك باسمه ، فقال (صلى الله عليه وآله) : ما كنت لأسبق ربّي باسمه ، فأوحى الله عزّ ذكره إلى جبرئيل (عليه السلام) أنه قد ولد لمحمد ابن ، فاهبط إليه فأقرّقه السلام وهنّته مني ومنك ، وقل له : إنّ عليّاً منك بمنزلة هارون من موسى فسّمه باسم ابن هارون .

فهبط جبرئيل على النبيّ وهنّاه من الله عزّ وجلّ ومنه ، ثم قال له : إنّ الله عزّ وجلّ يأمرك أن تسمّيه باسم ابن هارون ، وقال : وما كان اسمه ؟ قال : شبر ، قال : لساني عربيّ ، قال : سمّه الحسن ، فسّماه الحسن .

فلما ولد الحسين (عليه السلام) أوحى الله إلى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن ، فاهبط إليه فهنته وقل له : إِنَّ عَلِيًّا مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، فَسَمِّهِ بِاسْمِ ابْنِ هَارُونَ الْآخِرِ ؛ فنزل جبرئيل (عليه السلام) ، وبعد أن أبلغ خير الأنام نبأ الله الملك العلّام ، قال (صلى الله عليه وآله) : وما كان اسمه ؟ قال : شَبِير ، قال (صلى الله عليه وآله) : لساني عربي . قال : فسّمه الحسين ، فسّماه الحسين .

ويروي الشيخ الجليل علي بن عيسى الإربلي (ره) في (كشف الغمة) أن الإمام الحسن (عليه السلام) كان أبيض مشرباً حمرة ، أدعج العينين ، سهل الخدين ، دقيق المسرة كثر اللحية ذا وفرة ، كأن عنقه إبريق فضة ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، ربعة ليس بالطويل ولا القصير ، مليحاً من أحسن الناس وجهاً ، وكان يخضب بالسواد ، وكان جمع الشعر ، حسن البدن .

ويروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : كان الحسن بن علي أشبه برسول الله (صلى الله عليه وآله) ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه فيها كان أسفل ذلك .

ويروي ثقة الإسلام الكليني (ره) بسند معتبر عن الحسين بن خالد أنه قال : سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن التهتة بالولد مني ؟ فقال : « أما إنه لما ولد الحسن بن علي هبط جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله) بالتهتة في اليوم السابع ، وأمره أن يسميه ويكنيه ، ويعلق رأسه ، ويعق^(١) عنه ، ويثقب أذنه ، وكذلك كان حين ولد الحسين (عليه السلام) أتاه في اليوم السابع فأمره بمثل ذلك » .

وقال : « وكان لهما ذؤابتان في القرن الأيسر ، وكان الثقب في الجهة اليمنى في شحمة الأذن ، وفي اليسرى في أعلى الأذن » .

وفي رواية أخرى أن النبي (صلى الله عليه وآله) ترك لهما ذؤابتين في وسط الرأس ، وهو الأصح .

(١) العقيقة : الشاة التي تذبح عن المولود يوم أسبوعه عند خلق شعره .

الفصل الثاني

فاج مناقب الإمام الحسن (عليه السلام)

يروى صاحب (كشف الغمّة) عن كتاب حلية الأولياء أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وضع الحسن (عليه السلام) يوماً على عاتقه وقال : من أحبني فليحبّه .

وعن أبي هريرة قال : ما رأيت الحسن قطّ إلّا فاضت عيني دموعاً ، وذلك أنّه أتى يوماً يشتدّ حتّى قعد في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يفتح فمه ، ثم يدخل فمه في فمه ويقول : اللهمّ إنّني أحبه ، وأحبّ من يحبه ؛ يقوها ثلاث مرات .

ويقول ابن شهر آشوب : جاء في أكثر التفاسير أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان يعوذ الحسين (عليهما السلام) بسورتي ﴿ قل أعوذ بربّ الناس ﴾ و﴿ قل أعوذ بربّ الفلق ﴾ ولهذا سمّيتا بالعوذتين .

وعن أبي هريرة قال : رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) يخصّ لعاب الحسن والحسين كما يخصّ الرجل التمرة .

ويروى أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يصلّي فجاء الحسن والحسين فارتدّاه ، فلمّا رفع رأسه أخذهما أخذاً رفيقاً ، فلمّا عاد عاداً ، فلمّا انصرف اجلس هذا على فخذه الأيمن ، وهذا على فخذه الأيسر : ثم قال : من أحبني فليحبّ هذين .

كما يروى عنه (صلى الله عليه وآله) أنّه قال : « إنّ الحسن والحسين شفتا^(١) العرش وإنّ الجنة قالت : يا رب اسكنني الضعفاء والمساكين ، فقال لها الله تعالى : ألا ترضين أنّي

(١) الشف : الحلية (القرط) .

زَيْت أركانك بالحسن والحسين ؟ قال : فهاست كما تيس العروس فرحاً .

ويروى عن أبي هريرة أَنَّ رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) سمع بكاء الحسن والحسين وهو على المنبر ، فقام فرعاً ، ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ ، مَا الْوَلَدُ إِلَّا فَنَنَّةٌ ، لَقَدْ نَمَتَ إِلَيْهِمَا وَمَا مَعِيَ عَقْلِي .

والأحاديث عن محبة رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) للحسين (عليهما السلام) ، وركوبهما على عاتقه ، وأمره بمحبتتهما ، وقوله إِنَّهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَنَّهَا رِيحَانَتَاهُ ، وهذه الأحاديث وردت في كتب الشيعة والسنة بشكل مستفيض ، وسيرد بعضها عند الحديث عن أحوال الإمام الحسين (عليه السلام) إن شاء الله تعالى .

ونقل عن (حلية) أبي نعيم أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى الله عليه وآله) كَانَ يَصَلِّي ، فَإِذَا سَجَدَ يُحِيَّ الْحَسْنَ (عليه السلام) وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ حَتَّى يَصِيرَ عَلَى ظَهْرِهِ أَوْ رَقَبَتِهِ ، فَيَرْفَعُهُ رَفْعاً رَفِيقاً ، فَلَمَّا صَلَّى صَلَاتَهُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ تَصْنَعُ بِهَذَا الصَّبِيِّ شَيْئاً لَمْ تَصْنَعْ بِأَحَدٍ ، فَقَالَ : إِنَّ هَذَا رِيحَانَتِي ، وَإِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَعَسَى أَنْ يَصْلَحَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

ويروي الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ :

« قَالَ أَبِي عَنْ أَبِيهِ : كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) أَعْبَدَ النَّاسَ فِي زَمَانِهِ ، وَأَزْهَدَهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ ، وَكَانَ إِذَا حَجَّ ، حَجَّ مَاشِئاً ، وَرَبَّيْماً مَشْيَ حَافِئاً ، وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ بَكَى ، وَإِذَا ذَكَرَ الْقَبْرَ بَكَى ، وَإِذَا ذَكَرَ الْبَعْثَ وَالنَّشُورَ بَكَى ، وَإِذَا ذَكَرَ الْمَمَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ بَكَى ، وَإِذَا ذَكَرَ الْعَرَضَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ شَهَقَ شَهَقَةً يَغْشَى عَلَيْهِ مِنْهَا .

وَكَانَ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ تَرْتَعَدُ فَرَائِضُهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ اضْطَرَبَ اضْطِرَابَ السَّلِيمِ (لِدَغَتِهِ حَيَّةٌ أَوْ عَقْرَبٌ) ، وَسَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ، وَتَعَوَّذَ بِهِ مِنَ النَّارِ .

وَكَانَ (عليه السلام) لَا يَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » إِلَّا قَالَ : لَيْسَ لَكَ اللَّهُمَّ لَيْكٌ ، وَلَمْ يُرَفَّ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِ إِلَّا ذَاكراً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَكَانَ أَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً ، وَأَفْصَحَهُمْ مَنطَقاً . . . الخ .

ويروى في مناقب ابن شهر آشوب وروضة الواعظين أَنَّهُ (عليه السلام) كَانَ إِذَا تَوَضَّأَ ارْتَعَدَتْ مَفَاصِلُهُ وَأَصْفَرَّ لَوْنُهُ ؛ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : « حَقٌّ عَلَى كُلِّ مَنْ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعَرْشِ أَنْ يَصْفَرَّ لَوْنُهُ وَتَرْتَعَدَ فَرَائِضُهُ » .

وَكَانَ إِذَا بَلَغَ بَابَ الْمَسْجِدِ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ :

« إلهي ضيفك ببابك ، يا محسن قد أتاك المنيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم » .

كما روى ابن شهر اشوب عن الصادق (عليه السلام) أن الإمام الحسن (عليه السلام) حجّ خمساً وعشرين مرة ماشياً ، وأن التجائب لتقاد معه ؛ وقاسم الله تعالى ماله مرتين ، وروي ثلاث مرّات (أي كان يستبقي النصف لنفسه ، ويوزع النصف الآخر على الفقراء) .

ومن حلمه ما روى المسرّد وغيره أنّ شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه ، والحسن (عليه السلام) لا يردّ ، فلمّا فرغ أقبل الحسن (عليه السلام) فسلم عليه وضحك ، فقال : أيّها الشيخ أظنك غريباً ، ولعلّك شبّهت ، فلو استعيتنا أعيتناك^(١) ، ولو سألنا أعطيناك ، ولو استرشدتنا أرشدناك ، ولو استحملتنا أحملناك ، وإن كنت جائعاً أشبعناك ، وإن كنت عرياناً كسوناك ، وإن كنت محتاجاً أغنيّاك ، وإن كنت طريداً أويّاك ، وإن كان لك حاجة قضيناها لك .

فلو حرّكت رجلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك ، لأنّ لنا موضعاً رحباً ، وجاهاً عريضاً ، ومالاً كثيراً .

فلمّا سمع الرجل كلامه بكى ، ثم قال : أشهد أنّك خليفة الله في أرضه ، والله أعلم حيث يضع رسالته ، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلّى .

وحول رحله إليه ، وكان ضيفه إلى أن ارتحل ، وصار معتقداً لمحبتهم .

يروى الشيخ رضيّ الدين عليّ بن يوسف بن المطهر الحليّ أنّ رجلاً وقف على الحسن بن عليّ (عليه السلام) فقال : يا بن أمير المؤمنين بالذي أنعم عليك بهذه النعمة التي ما نليها منه بشفيح منك إليه ، بل إنعاماً منه عليك إلّا ما أنصفتني من خصمي فإنّه غشوم ظلوم ، لا يوقر الشيخ الكبير ، ولا يرحم الطفل الصغير ؛ وكان متكئاً فاستوى جالساً ، وقال له : من خصمك حتّى انتصف لك منه ؟ فقال له : الفقر .

فأطرق (عليه السلام) ساعة ، ثمّ رفع رأسه إلى خادمه وقال له : أحضر ما عندك من موجود ، فأحضر خمسة آلاف درهم فقال : ادفعها إليه ، ثمّ قال له : بحقّ هذه الأقسام التي أقسمت بها عليّ متى أتاك خصمك جائراً إلّا ما أتيتني منه متظلماً .

(١) أعيتناك : أزلنا عنك العتّة ، والعتّة : المكروه والشدة .
أو يمكن أن يكون المعنى : لو استرشدتنا أرشدناك (المغرب) .

كما يروى أيضاً أن رجلاً أتاه يشكو الفقر والفاقة ، وأنشد :

لم يبق لي شيء يباع بدرهم يكفيك منظر حالتي عن غمري
إلا بقايا ماء وجو صنته ألا يباع وقد وجدتكَ مشغري

فدعا الرجل خادمه وقال له : ما مقدار ما عندك ؟ قال : اثنا عشر ألف درهم ، قال :
ادفعها إلى هذا الرجل ، وأنا منه خجل ، قال : لم يتبق للنفقة شيء ، قال : ادفعها إليه
وأحسن ظنك بالله تعالى ، ثم دعا الرجل ودفع إليه المال واعتذر قائلاً : لم نعطك حقك ، بل
أعطيناك بقدر الموجود ، ثم أنشد :

عاجلتنا فأتاك وإبل برنا طلاً ولو أمهلتنا لم نعط
فخذ القليل وكن كأنك لم تبع ما صنته وكأنتنا لم نشتر

نقل العلامة المجلسي (ره) عن بعض كتب المناقب المعتمدة عن رجل اسمه نجيج قال :
رأيت الحسن بن علي (عليه السلام) يأكل وبين يديه كلب ، كلنا أكل لقمة طرح للكلب
مثلها ، فقلت له : يا ابن رسول الله ، ألا أرجم هذا الكلب عن طعامك ؟ قال : دعه ، إنني
لأستحي من الله عز وجل أن يكون ذوروح ينظر في وجهي وأنا أكل ثم لا أطعمه .

وروي أن غلاماً له (عليه السلام) جنى جنابة توجب العقاب فأمر به أن يضرب ،
فقال : يا مولاي ، « والكاذمين الغيظ » ، قال : كظمت غيظي ، قال : « والعافين عن
الناس » ، قال : عفوت عنك ، قال : « والله يحب المحسنين » قال : أنت حر لوجه الله ،
ولك ضعف ما كنت أعطيك .

ويروي ابن شهر اشوب عن كتاب محمد بن إسحاق أنه قال : ما بلغ أحد من الشرف
بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما بلغ الحسن ، كان يسقط له على باب داره ، فإذا خرج
وجلس انقطع الطريق ، فما مر أحد من خلق الله إجلالاً له ، فإذا علم قام ودخل بيته ، فمر
الناس .

ولقد رأيته في طريق مكة ماشياً ، فها من خلق الله أحد رآه إلا أنزل ومشى ، حتى رأيت
سعد بن أبي وقاص يمشي .

وأورد ابن شهر اشوب في (المناقب) عنه (عليه السلام) أشعاراً منها :

قل للمقيم بغير دار إقامة حان الرحيل فودع الأحباب
إن الذين لقيتهم وصحبتهم صاروا جميعاً في القبور ترابا

يقول العلامة المجلسي (ره) في (الجلاء) عن الشيخ الطوسي ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال :

كتب إلى الحسن بن علي (عليهما السلام) قوم من أصحابه يعزّونه عن ابنة له ، فكتب إليهم :

« أما بعد ، فقد بلغني كتابكم تعزّوني بفلانة ، فعند الله أحسبها تليماً لقضائه ، وصبراً على بلائه ؛ فقد أوجعتنا المصائب وفجعتنا النوائب بالأحبة التي كانت بنا حفيّة ، والإخوان المحيّن الذين كان يسرّ بهم الناظرون ، وتقرّ بهم العيون .

أضحوا قد اخترمتهم الأيام ، ونزل بهم الحماح ، فخلّفوا الخلوف ، وأودت بهم الحنوف ، فهم صرعى في عساكر الموت ، متجاورون في غير محلة التجاور ، ولا صلات بينهم ولا تزاور ، ولا يتلاقون عن قرب جوارهم ، أجسامهم نائية من أهلها ، خالية من أربابها ، قد أجمعها إخوانها ، فلم أر مثل دارها داراً ، ولا مثل قرارها قراراً ، في بيوت موحشة ، وحلول مضجعة ، قد صارت في تلك الديار الموحشة ، وخرجت عن الدار المؤنسة ، ففارقتها من غير قلى ، فاستودعتها للبلل ، وكانت أمة مملوكة ، سلكت سبيلاً مسلوكة صار إليها الأولون ، وسيصير إليها الآخرون ، والسلام . »



الفصل الثالث

فأب طرف من أحوال الإمام الحسن (عليه السلام) وطلحه مع مغاوية

ما جرى بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام)
وعلة صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع مغاوية

اعلم أنه بعد ثبوت عصمة أئمة الهدى وجلالتهم (عليهم السلام) ، فعلى المؤمنين أن
يسلموا بما يصدر عنهم (عليهم السلام) ويتقادوا له ، وأن لا يقعوا في مواقع الشبهة
والاعتراض ، ذلك إن ما يفعلونه إنما هو عن رب العالمين ، والاعتراض عليهم اعتراض على
الله ، وقد جاء برواية معتبرة أن الله عز وجل أنزل على النبي (صلى الله عليه وآله) صحيفة من
السماء فيها اثنا عشر ختمًا ، لكل إمام ختمه ، ومكتوب تحت الختم ما يعمل به ؛ فكيف يميز امرؤ
لنفسه أن يعترض بعقله الناقص على رهط هم حجج الله في أرضه ، قولهم من قول الله وفعلهم
من فعله ؟

يروى الشيخان الصدوق والمفيد وآخرون أن الإمام الحسن (عليه السلام) خطب بعد
استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبة بليغة تشتمل على المعارف الربانية والحقائق
السبحانية ، فقال :

« نحن حزب الله الغالبون ، وعرة رسوله الأقربون ، وأهل بيته الطيبون الطاهرون ،
وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمته » فقال : « إني تارك
فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي » ، فالتالي كتاب الله ، والمعول علينا في تفسيره ، لا تنظني
تأويله بل نتيقن حقائقه ، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله عز وجل ورسوله
مقرونة ، قال الله عز وجل .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ .

ثم قال (عليه السلام) : « لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ، ولم يدركه الآخرون بعمل ، لقد كان يجاهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقيه بنفسه ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوجهه برايته ، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله ، ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه . »

ولقد توفي في الليلة التي عرج فيها بعيسى ابن مريم ، والتي قبض فيها يوشع بن نون وصي موسى ، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعة درهم فضلت عن عطائه ، أراد أن يتاع بها خادماً لأهله .

ثم خففته العبرة فبكى ، وبكى الناس من حوله معه ، ثم قال :

« أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه ، أنا السراج المنير ، أنا من أهل بيت فرض الله مودتهم في كتابه ، فقال تعالى :

﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ، ومن يقترف حسنةً نزد له فيها حسناً ﴾ ، فالحسنة مودتنا أهل البيت » ثم جلس .

فقام عبد الله بن العباس رحمه الله بين يديه فقال :

« معاشر الناس ، هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه » ، فاستجاب له الناس فقالوا : ما أحبه إلينا وأوجب حقّه علينا ، وبادروا إلى البيعة له بالخلافة ، على حرب من حارب ، وسلم من سالم ؛ وكان ذلك يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة أربعين من الهجرة ، وكان عمره الشريف سبعمائة وثلاثين سنة .

ثم نزل عن المنبر فرتب العمال ، وأمر الأمراء ، وأنفذ عبد الله بن العباس إلى البصرة ، ونظر في الأمور .

ووفقاً لرواية الشيخ المفيد وغيره من المحدثين العظام فإنه لما بلغ معاوية خبر استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) وبيعة الناس للحسن (عليه السلام) أرسل عينين له أحدهما من بني القين إلى البصرة والآخر من بني حمير إلى الكوفة يتجسسان ويكتبان إليه بما يجري ، كما يقومان بإفساد أمور الخلافة على الإمام الحسن (عليه السلام) ، غير أن الإمام (عليه السلام) عرف بأمرهما فاستدعى الحميري فضرب عنقه ، كما بعث إلى البصرة بأمرهم بالعشور على الجاسوس الآخر وضرب عنقه ، وكان كما أمر .

وكتب إلى معاوية : « أما بعد ، فإنك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال ، وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء ، وما أشك في ذلك ، فتوقّعه إلى شاء الله » .

ولما بلغ الكتاب معاوية كتب جواباً فظاً أرسله إلى الإمام الحسن (عليه السلام) ، واستمرّ التراسل بينهما في هذا الصدد دون انقطاع ، حتى هيا معاوية جيشاً كبيراً توجه به نحو العراق ، كما راح يرسل بعيونه إلى نفر من المنافقين والخوارج في الكوفة ممن كانوا في صفوف جيش الإمام (عليه السلام) ، والذين انضموا إليه مكرهين خوفاً من سيفه ، كعمرو بن حريث ، والأشعث بن قيس ، وشيث بن ربعي وأمثالهم من المنافقين ، وكتب إلى كل منهم على حدة يعده بمئتي ألف درهم ، وبنت من بناته ، وإمارة على جيش من جيوش الشام ، إن هو استطاع قتل الحسن (عليه السلام) ؛ واستمال إلى جانبته بهذه الحيلة أكثر المنافقين ، وضمن انحرافهم عنه (عليه السلام) ، حتى أنه (عليه السلام) صار يلبس درعاً تحت ثيابه عند الصلاة ليأمن غدرهم وقد رماه أحد الخوارج يوماً بسهم في الصلاة ، لكنه لم يترك أثراً بفضل الدرع التي كان يلبسها .

وجعل أولئك المنافقون يبعثون بكتبهم إلى معاوية سراً يبدون له موافقتهم على ما عرضه عليهم .

بلغت أخبار خروج معاوية إلى العراق مسامع الإمام (عليه السلام) ، فصعد المنبر وبعد أن حمد الله وأثنى عليه جعل يدعو الناس إلى القتال ، فلم يجبه أحد منهم بحرف ، وما تكلم أحد منهم .

فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قام فقال : سبحان الله ما أقيح هذا المقام ، ألا تحييون إمامكم وابن بنت نبيكم ؟ أين خطباء مصر الذين السنتهم كالمخاريق في الدعة ، فإذا جدّ الجدّ فرواغون كالثعالب ؟ أما تخافون مقت الله ولاعتها وعارها .

ثم قام آخرون فقالوا : نحن السامعون المطيعون لك ، فمرنا بأمرك ؛ فقال (عليه السلام) : كذبتُم ، والله ما وفيتُم لمن كان خيراً مِنِّي ، فكيف تفون لي ؟ إن كنتم صادقين فموعد ما بيني وبينكم معسكر النخيلة ، فوافوا إلى هناك .

فركب وركب معه من أراد الخروج ، وتخلّف عنه كثير ، فها وفوا بما قالوه ، وبما وعده ، فقام بهم خطيباً وقال : غررتموني كما غررتم من كان قبلي ، مع أيّ إمام تقتاتلون بعدي ؟ مع الكافر الظالم الذي لم يؤمن بالله ولا برسوله قط ، ولا أظهر الإسلام هو وبني أمية إلا فرقاً من السيف ؟

ثم وجه قائداً من كندة يقال له الحكم في أربعة آلاف ، وأمره أن يمسكر بالأنبار ولا يحدث شيئاً حتى يأتيه أمره ، فلما توجه إلى الأنبار ونزل بها ، وعلم معاوية بذلك ، بعث إليه رسلاً ، وكتب إليه معهم أنك إن أقبلت إلّي أولئك بعض نواحي الشام والجزيرة ، وأرسل إليه

بخمسمئة ألف درهم ، فقبض الكنديّ عدوّ الله المال ، وانقلب على الحسن (عليه السلام) ، وصار إلى معاوية في مئتي رجل من خاصته وأهل بيته .

فبلغ ذلك الحسن (عليه السلام) فقام خطيباً وقال : هذا الكنديّ توجّه إلى معاوية ، وغدر بي وبكم ، وقد أخبرتكم مرّة بعد مرّة أنّه لا وفاء لكم ، أنتم عبيد الدنيا ؛ وأنا موجه رجلاً آخر مكانه ، وإنّي أعلم أنّه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه ؛ فبعث إليه رجلاً من مراد في أربعة آلاف ، وتقذّم إليه بمشهد من الناس وتوكّد عليه ، وأخبره أنّه سيغدر كما غدر الكنديّ ، فحلف له بالآيمان التي لا تقوم لها الجبال أنّه لا يفعل ؛ فلما توجّه في سبيله قال الحسن (عليه السلام) : إنّ سيغدر .

فلما توجّه إلى الأنبار أرسل معاوية إليه رسلاً ، وكتب إليه بمثل ما كتب إلى صاحبه ، وبعث إليه بخمسة آلاف درهم ، ومنّاه أيّ ولاية أحب من ولايات الشام ، فانقلب على الحسن (عليه السلام) وأخذ طريقه إلى معاوية ، وبلغ الحسن (عليه السلام) ما فعل المراديّ ، فقام خطيباً فقال : قد أخبرتكم مرّة بعد أخرى أنّكم لا تفرون لله بعهد ، وهذا صاحبكم المراديّ غدر بي وبكم ، وصار إلى معاوية .

وإجمالاً ، فإنّ الإمام الحسن (عليه السلام) عزم على الخروج إلى قتال معاوية ، فاستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث ، وأمره بحثّ الناس على اللحق به ؛ ثمّ سار في عسكره حتى نزل دير عبد الرحمن ، فأقام به ثلاثاً حتّى اجتمع الناس ، ثمّ عرض جيشه فإذا هو أربعون ألفاً بين فارس وراجل .

ثمّ دعا عبيد الله بن العباس فقال له : يا بن عمّ ، إني باعت معك اثني عشر ألفاً من الفرسان ، فامض بهم حتى تستقبل معاوية ، وشاور هذين :

يعني قيس بن سعد ، وسعيد بن قيس ، فانت أمير الجيش ، فإن أصبت فقيس بن سعد على الناس ، فإن أصيب فسعيد بن قيس على الناس .

وسار الإمام (عليه السلام) حتى وافق ساباط المدائن فنزل بها وبات هناك ، فلما أصبح أراد (عليه السلام) أن يمتحن أصحابه ، ويستبرئ أحوالهم له في الطاعة ، ليميّز بذلك أوليائه من أعدائه ، ويكون على بصيرة من لقاء معاوية وأهل الشام ، فأمر أن ينادى في الناس بالصلاة جامعة ، وصعد المنبر فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أمّا بعد ، فإنّي والله لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ، ومنّ وأنا أنصح خلق الله لخالقه ، وما أصبحت محتماً على مسلم ضغينة ، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة ، ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبون في الفرقة ، ألا وإنّي ناظركم خيراً من نظركم لأنفسكم ،

فلا تخالفوا أمري ، ولا تردّوا عليّ رأيي ، غفر الله لي ولكم ، وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضى .

فنظر الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا : ما ترونه يريد بما قال ؟ وكان بينهم كثير من المنافقين ، ومن كانوا باطناً على مذهب الخوارج ، فقالوا : نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ، ويسلم الأمر إليه ، كفر والله الرجل !

ثم شدّوا على فسطاطه وانتهبوه ، حتّى أخذوا مصلاً من تحته ، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي ، فمزق مطرفه عن عاتقه ، فبقي (عليه السلام) جالساً متقلداً بالسيف بغير رداء ، ثم دعا بفرسه وركبه ، وأحدق به طوائف من خاصّته وشيعته ومنعوا منه من أراده .

ثم أخذ طريقه نحو المدائن ، فلما مرّ في مظلم ساباط بدر إليه رجل من بني أسد يقال له الجراح بن سنان ، وأخذ بلبجام بغلته وقال : الله أكبر ، وأشرت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل ! وكان بيده ميّقول^(١) فطعنه في فخذه فشقه حتّى بلغ العظم ، ويقال إنّه كان خنجراً مسموماً ، فأمسك به (عليه السلام) في عنقه وخراً جميعاً إلى الأرض ، فوثب إليه جماعة من شيعة (عليه السلام) فقتلوه ، وحمل الحسن (عليه السلام) على سرير إلى المدائن ، فأنزل به على سعد بن مسعود الثقفي ، وكان عامل أمير المؤمنين (عليه السلام) بها ، وهو عم المختار بن عبيد الثقفي ، فأشار المختار على عمّه بتسليم الحسن (عليه السلام) إلى معاوية ، فيعطيه ولاية العراق ، فقال له : قبح الله رأيك ، أنا عامل أبيه وقد اتعنتي وشرفتني ، أنسى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا أحفظه في ابن ابنته وحبيته !؟

لما سمع شيعة الإمام (عليه السلام) ما قاله المختار أرادوا قتله ، لكنهم عفاوا عنه بشقاعة عمّه ، ثم إن سعداً أتاه بطبيب وقام عليه حتّى برى .

وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة له في السرّ ، واستحثّوه على السير نحوهم ، وضمنوا له تسليم الحسن (عليه السلام) إليه عند دنوّهم من عسكره ، أو الفتح به ، وبلغ الإمام الحسن (عليه السلام) ذلك ، وورد عليه كتاب قيس بن سعد ، وكان قد أنفذه مع عبيد الله بن العباس عند مسيره من الكوفة ، وجاء فيه : أنهم قابلوا جيش معاوية بقرية يقال لها الحبونية بِلِزَاءِ مَسْكِين^(٢) ، وأن معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العباس

(١) الميّقول : فصل طويل ، أوسط في جوفه سيف دقيق يُغتال به .

(٢) مَسْكِين : موضع على نهر دجيل قريب من دير الجاثليق كما يذكر الخطيب في تاريخه ، وفي هذا المكان قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير ، وفيه قبر مصعب وإبراهيم بن الأشتر النخعي .

يرغبه في المصير إليه ، وضمن له ألف ألف درهم يعجل له منها النصف ، ويعطيه النصف الآخر عند دخوله إلى الكوفة ، فانسَلَّ عبيد الله في الليل إلى معسكر معاوية ، وأصبح الناس قد فقدوا أميرهم ، فصلَّ بهم قيس بن سعد ، ونظر في أمورهم .

فازدادت بصيرة الحسن (عليه السلام) بخذلان القوم له ، وعدم وفائهم ، ومسيرهم في طريق النفاق ، ولم يجد معه من يأمن غوائله إلا خاصة من شيعة أبيه وشيعته ، وهم لا يقومون لأجناد الشام .

ومن ناحية أخرى فقد كتب إليه معاوية في الهدنة والصلح ، وأنفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه ، ومأ كتبه إليه قوله : فإن الناس قد غدروا بك وبأبيك من قبلك ، وعرض عليه الصلح بشروط أخذها معاوية على نفسه .

ولما رأى الإمام (عليه السلام) كتب أصحابه أيقن أنه لا مفر من الصلح مع معاوية ، مع إيقانه بغدر معاوية وكذبه وعدم وفائه ، غير أنه لا حيلة لديه في ذلك لما كان عليه أصحابه من ضعف البصيرة في حقه ، وما انطوى عليه كثير منهم في استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه ، وما كان من خذلان ابن عمه له ومصيره إلى عدوه ، وميل الجمهور منهم إلى العاجلة ، وزهدهم في الأجلة ، إلا قليلاً منهم سيكونون أول وقود للحرب إن هو ذهب إليها .

يقول العلامة المجلسي (ره) في (جلاء العيون) : لما وصل كتاب معاوية إلى الإمام (عليه السلام) وقرأه وقرأ ما معه من رسائل أصحابه ، وأطلع على هروب عبيد الله ونفاق رجاله قال ثانية إتماماً للحجة عليهم : إني لأعلم أنكم غادرون ما بيني وبينكم ، والله لا تفرون لي بعهدي ، ولتقتضن الميثاق بيني وبينكم .

ثم إنه (عليه السلام) عسكر عشرة أيام فلم يحضره إلا أربعة آلاف ، فانصرف إلى الكوفة ، فصعد المنبر وقال :

« يا عجباً من قوم لا حياء لهم ولا دين ، لو سلّمت له الأمر فأيم الله لا ترون فرحاً أبداً مع بني أمية ، والله ليسومونكم سوء العذاب ، ولو وجدت أعواناً ما سلّمت له الأمر ، لأنه محرم على بني أمية ، فأف وترحاً يا عبيد الدنيا . »

الصلح مع معاوية

لما بش (عليه السلام) من أصحابه كتب إلى معاوية : أما إني أريد أن أحيي الحق وأميت الباطل ، وأجري كتاب الله وسنة نبيه (صلّى الله عليه وآله) ، لكن الناس لم يوافقني ،

والآن فإنا أصالحك على شروط أعرف أنك لن تنفي بها ، فلا يترك أن الملك ميسر لك ،
فسرعان ما ستندم كما ندم من غضبوا الخلافة ، لكن ندمهم لم يعقب لهم نفعاً .
ثم أرسل ابن عمه عبد الله بن الحارث^(١) إلى معاوية لياخذ عليه العهود والمواثيق ،
ويكتب كتاب الصلح ، وكان الكتاب كالآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) معاوية بن أبي سفيان ،
صالحه على أن لا يتعرض له ، على أن يعمل في الناس بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله
عليه وآله) ، وسيرة الخلفاء الصالحين ، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده
عهداً ، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله : في شامهم وعراقهم وحجازهم
ومعهم ، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وعلى
معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وعلى أن لا ينبغي للحسن بن علي ولا لأخيه
الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) غائلة ، سرّاً ولا جهراً ، ولا
يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق ، وأن يترك سب علي (عليه السلام) والقنوت عليه
بالصلاة ، وأن لا يذكر علياً (عليه السلام) وشيعته إلا بخير .

ولما كتب الصلح شهد عليه بذلك - وكفى بالله شهيداً - عبد الله بن الحارث ،
وعمر بن أبي سلمة ، وعبد الله بن عامر ، وعبد الرحمن بن سمرة^(٢) ، وآخرون .
ولما تم عقد الصلح توجه معاوية إلى الكوفة ، ولما بلغ النخيلة نزل فيها ، وكان يوم
جمعة ، فصلى بالناس وخطب خطبة قال في آخرها :

« إني والله ما قاتلتكم لتصلحوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا ، إنما قاتلتكم لأنتم
عليكم ، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون ؛ ألا وإني كنت منيت الحسن (عليه السلام)
وأعطيته أشياء ، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها » .

ودخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة ، وبعد أيام قضاها في الكوفة أتى

(١) هو عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب .

(٢) هو عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، ويكنى أبا سعيد ، أسلم يوم
الفتح ، وسكن البصرة ، واستعمله عبد الله بن عامر لما كان أميراً على البصرة ، وتوفي بالبصرة سنة
خسين ، وقيل سنة إحدى وخمسين ، وكان متواضعاً .

المسجد ، والتمس من الحسن (عليه السلام) أن يتكلم فوق منبر ويقول للناس إنه قد بايع معاوية بالخلافة ، فصعد (عليه السلام) المنبر ، وحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه وأهل بيته ، ثم قال :

أيها الناس ، إن أكيس الكيس التقى ، وأحق الحق الفجور ، وأنكم لو طلبتم بين جابلق وجابريس رجلاً جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما وجدتموه غيري وغير أخيه الحسين ، وقد علمتم أن الله هداكم بجدي محمد فتتكرمتم لأهل بيته ، وإن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه ، فتظنرت لصالح الأمة وحقن الدماء ، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالت ، وتحاربوا من حاربت ، فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه ، ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها ، ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم ، وأن يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنى هذا الأمر ، «إن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين» .

فوقف معاوية فخطب الناس ، وذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) ونال منه ، ونال من الحسن (عليه السلام) ما نال ، فقام الحسين (عليه السلام) ليرد عليه ، فأخذ بيده الحسن (عليه السلام) فأجلسه ثم قام فقال :

« أيها الذاكِر عليّ ، أنا الحسن وأبي عليّ ، وأنت معاوية وأبوك صخر ؛ وأمي فاطمة وأمك هند ، وجدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجدك حرب ، وجدتي خديجة ، وجدتك فتيلة ؛ فلمن الله أخلصنا ذكراً ، والأماناً حسباً ، وشرّاً قدماً ، وأقدمنا كفرأ ونفاقاً ، فقالت طوائف من أهل المجلس : آمين ، آمين .^(١) »

ويروي أنه لما أبرم الصلح بين معاوية والإمام الحسن (عليه السلام) طلب معاوية البيعة من الحسين (عليه السلام) ، فقال الحسن (عليه السلام) :

يا معاوية لا تكرهه ، فإنه لا يبايع أبداً أو يقتل ، ولن يقتل حتى يقتل أهل بيته ، ولن يقتل أهل بيته حتى يقتل أهل الشام .

ثم طلب معاوية قيس بن سعد يدعوه إلى البيعة ، فجاء وكان رجلاً طوالاً يركب الفرس المشرف ، ورجلاه يحيطان في الأرض ، فلما أرادوا إدخاله إليه قال : حلفت ألا ألقاه إلا وبيني وبينه الرمح والسيف ، فأمر معاوية برمح وسيف فوضعا بينه وبينه ليبرأ منه .

وقد روي أنه اعتزل في أربعة آلاف وأبى أن يبايع ، فلما صالح الحسن (عليه السلام) معاوية أدخل قيس ليبايع ، فأقبل على الحسين (عليه السلام) فقال : هل أبايع ؟ فأشار إلى

(١) يقول مؤلف الكتاب : وأنا أقول آمين ثم آمين ثم آمين ، ويرحم الله عبداً قال آميناً (ع س) .

الحسن (عليه السلام) وقال : هو الإمام ، فوضع يده على فخذه ولم يمدّها إلى معاوية ، فجثا معاوية على سريره وأكبّ على قيس حتى مسح يده على يده ، وفي رواية أخرى أنه بايع بعد أن أمره الإمام الحسن (عليه السلام) بالبيعة .

ويروي الشيخ الطبرسي في (الاحتجاج) أنّه لما صالح الحسن بن عليّ بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته ، فقال (عليه السلام) :

« ويحكم ما تدرون ما عملت ، والله للذي عملت لشيعة خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت ، ألا تعلمون أنّي إمامكم ومفترض الطاعة عليكم ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنصّ من رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّ ؟ » .

قالوا : بلى ، قال :

« أما علمتم أنّ الحضر لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران (عليه السلام) إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك ، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكماً وصواباً ؟ أما علمتم أنّه ما منّا أحد إلّا يقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلّا القائم (عج) ، الذي يصليّ خلفه روح الله عيسى ابن مريم (عليه السلام) ؟ »



الفصل الرابع

فجد استشهد الأمام الهجند (عليه السلام)

وخبو جنادة

اعلم أنّ هناك اختلافاً في يوم وفاة ذلك الإمام المظلوم ، فالبعض يقول : توفي في السابع من صفر سنة حسين للهجرة ، وقيل : في الثامن والعشرين منه ؛ كما أنّ هناك اختلافاً في مبلغ عمره الشريف ، والمشهور أن عمره سبع وأربعون سنة كما يروي صاحب (كشف الغمة) عن ابن الحشّاب عن الإمام الباقر عن الإمام الصادق (عليهما السلام) قالا :

« مضى أبو محمّد الحسن بن عليّ (عليهما السلام) وهو ابن سبع وأربعين سنة ، وكان بينه وبين أخيه الحسين مدّة الحمل ، وكان حمل أبي عبد الله سنة أشهر ، فأقام أبو محمّد مع جدّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سبع سنين ، وأقام مع أبيه بعد وفاة جدّه ثلاثين سنة ، وأقام بعد وفاة أمير المؤمنين (عليه السلام) عشر سنين » .

استشهاده (عليه السلام) مسموماً

يروي القطب الراوندي (ره) عن الصادق (عليه السلام) أنّ الحسن (عليه السلام) قال لأهل بيته : إنّني أموت بالسّم كما مات رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، قالوا : ومن يفعل ذلك ؟ قال : امرأتي جعدة بنت الأشعث بن قيس ، فإنّ معاوية يدسّ إليها ويأمرها بذلك ، قالوا : أخرجها من منزلك وباعدها من نفسك ، قال : كيف أخرجها ولم تفعل بعد شيئاً ؟ ولو أخرجتها ما قتلني غيرها ، وكان لها عذر عند الناس .

فما ذهبت الأيام حتّى بعث إليها معاوية مالا جسيماً ، وجعل يمنيها بأن يعطيها مئة ألف درهم أيضاً ، ويزوّجها من يزيد ، وحمل إليها شربة من سمّ لتسقيها الحسن (عليه السلام) . وذات يوم انصرف الحسن (عليه السلام) إلى منزله وهو صائم ، وكان يوماً حارّاً ، فأخرجت وقت الإفطار شربة لبن وقد ألقت فيها ذلك السمّ ، فشربها ، فلما أحسّ السم

استرجع وحمد الله تعالى على التحول من هذه الدنيا الفانية إلى الجنان الباقية ، للقاء جدّه وأبيه وأمه وعمّيه حمزة وجعفر ، ثم التفت إلى جمعة وقال لها : أي عدوة الله ! قتلتنني قتلك الله ، والله لا تصيبين مني خلقاً ولقد غرّك وسخر منك ، والله يخرّيك ويخرّيه .

فمكث (عليه السلام) يومين ثم مضى . أما معاوية فغدر باللعينة ، ولم يف لها بما وعد . وفي رواية أنّه أذى إليها ما وعدّها به من مال ، لكنه لم يزوّجها من يزيد ، وقال : من لم تف مع الحسن فلا وفاء لها مع يزيد .

ويروي الشيخ المفيد رضوان الله عليه أنّه لما استقرّ الصلح بين الحسن (عليه السلام) ومعاوية خرج الحسن (عليه السلام) إلى المدينة ، فأقام بها كاظماً غيظه ، لازماً منزله ، منتظراً لأمر ربه عزّ وجلّ ، إلى أن تمّ معاوية عشر سنين من إمارته ، وعزم على البيعة لابنه يزيد ، وإذا إن هذا يخالف شروط الصلح الذي أبرمه مع الإمام الحسن (عليه السلام) ، ثم بسبب ما كان الحسن (عليه السلام) يلقاه من إجلال وتوقير وإقبال من الناس ، فلم يكن عليه شيء أثقل من أمره (عليه السلام) فصمّم على قتله .

ثم إنّّه أحضر سبّاً من عند ملك الروم دسّه إلى جمعة بنت الأشعث بن قيس مع مئة ألف درهم ، وضمّن لها تزويجها من يزيد إن قامت بتسميم الحسن (عليه السلام) ، فسقته جمعة السّم ، فبقي أربعين يوماً مريضاً ، والسّم يفعل فيه فعله ، ثم مضى لسبيله في شهر صفر سنة خمسين من الهجرة ، وله يومئذ ثمانية وأربعون عاماً ، وكانت خلافته عشر سنين ، وتولّى أخوه ووصيه الحسين (عليه السلام) غسله وتكفينه ودفنه عند جدّته فاطمة بنت أسد (رضي الله عنها) بالبقيع .

وجاء في (الاحتجاج) عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد قال : حدّثني رجلٌ منّا قال : أتيت الحسن بن علي (عليه السلام) فقلت : يا بن رسول الله أذلت رقابنا وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً ، ما بقي معك رجل ، فقال : وممّ ذاك ؟ قال : قلت : بتسليمك الأمر لهذا الطاغية ، قال : والله ما سلّمت الأمر إليه إلّا أنّي لم أجد أنصاراً ، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتّى يحكم الله بيني وبينه ، ولكنّي عرفت أهل الكوفة وبلوتهم ، ولا يصلح لي منهم ما كان فاسداً ، إنهم لا وفاء لهم ولا دّمة في قول ولا فعل ، إنهم لمخلفون ، ويقولون لنا : إن قلوبهم معنا ، وإن سيفوفهم مشهورة علينا .

قال : وهو يكلمني إذ تنخّع الدم ، فدعا بطست ، فحمل من بين يديه ملآن ممّا خرج من جوفه من الدم ، فقلت له : ما هذا يا بن رسول الله ؟ إنّني لأراك وجعاً ، قال : أجل ، دسّ إليّ هذا الطاغية من سقاني سبّاً ، فقد وقع على كبدي فهو يخرج قطعاً كما تری ؛ قلت له :

أفلا تتداوى؟ قال: قد سقاني مرتين وهذه الثالثة لا أجد لها دواء.

وصاياه (ع)

روى صاحب (كفاية الأثر) بسند معتبر عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلت على الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في مرضه الذي توفي فيه وبين يديه طست يقذف عليه الدم، ويخرج كبده قطعة قطعة من السم الذي أسقاه معاوية، فقلت: يا مولاي، مالك لا تعالج نفسك؟ فقال: يا عبد الله بماذا أعالج الموت؟ قلت: إن الله وإنما إليه راجعون.

ثم التفت إلي فقال: والله لقد عهد إلينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد علي وفاطمة، ما منّا إلا مسموم أو مقتول، ثم رفعت الطست، وبكى صلوات الله عليه.

قال: فقلت له: عظمي يا بن رسول الله، قال:

«نعم، استعدّ لسفرك، وحصل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه، واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك، واعلم أن في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر، فأخذت كما أخذت من الميتة (ما تحلله الضرورة)، وإن كان العتاب فإن العتاب يسير.

واعمل لذنيك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنما تموت غداً، وإذا أردت عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّ وجلّ، وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك، إذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، إن قلت صدق قولك، وإن صلت شدّ صولك، وإن مددت يديك بفضل مدّها، وإن بدت عنك ثلثة سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألك أعطاك، وإن سكّت عنه ابتدأك، إن نزلت إحدى الملائكة به ساءك، من لا يأتيك منه البوائق، ولا يختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق. وإن تنازعتهما منقسماً أثرك...»

قال: ثم انقطع نفسه، واصفرّ لونه، حتى خشيت عليه؛ ودخل الحسين (عليه السلام) والأسود بن أبي الأسود، فانكبّ عليه حتى قبل رأسه وبين عينيه، ثم قعد

عنده فتساراً جميعاً ، فقال أبو الأسود : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إن الحسن (عليه السلام) قد نعت إليه نفسه .

وقد أوصى إلى الحسين (عليه السلام) وسلم إليه أسرار الإمامة وودائع الخلافة ، وصعدت روحه إلى رياض القدس يوم الخميس في آخر صفر سنة خمسين من الهجرة ، وله سبع وأربعون سنة ، ودفن بالقيع . انتهى .

ووفقاً لرواية الشيخ الطوسي وغيره أن الحسين بن علي (عليه السلام) دخل على أخيه الحسن بن علي (عليه السلام) في مرضه الذي توفي فيه فقال له : كيف تحب بك يا أخي ؟ قال : أجدي في أول يوم من أيام الآخرة ، وآخر يوم من أيام الدنيا ، واعلم أنني لا أسبق أجلي ، وإنني وارد على أبي وجدّي على كره مني لفراقك وفراق إخوتك وفراق الأحبة ، وأستغفر الله من مقاتلي هذه وأتوب إليه ، بل على محبة مني للقاء رسول الله وأمير المؤمنين وأمي فاطمة وحمزة وجعفر صلوات الله عليهم ، وفي الله عز وجل خلف من كل هالك ، وعزاء من كل مصيبة ، ودرك من كل ما فات .

رأيت يا أخي كبدي في الطشت ، ولقد عرفت من دها بي ومن أين أتيت ، فما أنت صانع به يا أخي ؟ فقال الحسين (عليه السلام) : أقتله والله ، قال : فلا أخبرك به أبداً حتى نلقى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكن أكتب يا أخي :

« هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين بن علي : أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنه يعبد الله حق عباده ، لا شريك له في الملك ، ولا ولي له من الدنّ ، وأنه خلق كل شيء فقدره تقديراً ، وأنه أولى من عبد ، وأحق من حمد ، من أطاعه رشد ، ومن عصاه غوى ، ومن تاب إليه اعتدى .

فإنّي أوصيك يا حسين بمن خلّفت من أهلي وولدي وأهل بيتك أن تصفع عن مسيئهم ، وتقبل من محسنهم ، وتكون له خلفاً ووالداً ، وأن تدفني مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنّي أحتق به وبيته من أدخل بيته بغير إذنه ، ولا كتاب جاءهم من بعده ، قال الله فيها أنزله على نبيّه في كتابه :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ﴾ .

فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه ، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته ، ونحن مأذون لنا في التصرف في ما ورثناه من بعده .

فإن أبت عليك الامراة فأنشدك الله بالقراية التي قرّب الله عز وجل منك ، والرحم

المائة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن تهريق في محجمة من دم ، حتى تلقى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنختصم إليه ، ونخبره بما كان من الناس إلينا بعده .

ووفقاً لرواية الكافي وغيره أنه قال : ثم احملي إلى البقيع حتى تدفني مع أمي فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، ولما فرغ من وصاياه قبض (عليه السلام) .

تشيعه ودفنه (عليه السلام)

قال ابن عباس : لما قبض الحسن (عليه السلام) ، دعاني الحسين بن علي (عليه السلام) وعبد الله بن جعفر وعلياً ابني ، فغسلناه وحنطناه وألبسناه أكفانه ، ثم خرجنا به حتى صلينا عليه في المسجد ، وإن الحسين أمر أن يفتح البيت فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ، ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفان وقالوا : يدفن أمير المؤمنين الشهيد القليل ظلماً بالبقيع بشرّ مكان ، ويدفن الحسن مع رسول الله ؟ لا يكون ذلك أبداً حتى تكسر السيوف بيننا ، وتنقص الرماح وينفذ النبل .

فقال الحسين (عليه السلام) : أما والله الذي حرّم مكّة للحسن بن علي وابن فاطمة أحقّ برسول الله (صلى الله عليه وآله) وبيته ممن أدخل بيته بغير إذنه ، وهو والله أحقّ به من حمال الخطايا مسير أبي ذر (رحمه الله) ، الفاعل بعمار ما فعل ، ويعبد الله بن مسعود ما صنع ، الحامي الحمى ، المؤوي لطريد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

ووفقاً لمضامين روايات أخرى فإن مروان ركب بغلته وأتى عائشة فقال لها : يا أم المؤمنين ، إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والله إن دفن معه ليهيئ فخراً أبك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة ، قالت : فإأصنع يا مروان ؟ قال : الحقّي به وامنعيه من أن يدفن معه ، قالت : وكيف الحقّه ؟ قال : اركبي بغلتي هذه ، فنزل عن بغلته وركبتها ، وكانت تؤذّ الناس وبني أميّة على الحسين (عليه السلام) ، وتحرضهم على منعه ممّا هم به .

قال ابن عباس : بينا نحن في ذلك إذ سمعت اللفظ وخفت أن يجعل الحسين على من قد أقبل ، ورأيت شخصاً علمت الشرف فيه ، فأقبلت مبادراً فإذا أنا بعائشة في أربعين راكباً على بغل مرّحل تقدمهم وتأمّروهم بالقتال .

فلما رأته قالت : إليّ إليّ يا بن عباس ، لقد اجترأتم عليّ في الدنيا ، تؤذوني مرّة بعد أخرى تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحبّ ؛ فقلت : واسوءتاه ! يوم على بغل ،

ويوم على جل^(١) ، تريدن أن تطفئي نور الله ، وتقاتلي أولياء الله ، وتحولي بين رسول الله وبين حبيبه أن يدفن معه !

فمرت بنفسها عن البغلة وقالت : والله لا يدفن الحسن هنا أبداً أو تحجز هذه ، وأومات بيدها إلى شعرها .

وبرواية أخرى أنهم رموا بالنبال جنازته حتى سلّ منها سبعون نبلاً ، فأراد بنو هاشم المجادلة ، فقال الحسين (عليه السلام) : الله الله لا تضيّعوا وصية أخي ، ولا تهرقوا دماً ، والله لولا عهد الحسن إليّ بحتن الدماء وأن لا أهريق في أمره محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها .

ومضوا بالحسن (عليه السلام) فدفنوه بالقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد (رضي الله عنها) .

ويروي أبو الفرج أنّه لما مات الحسن (عليه السلام) أخرجوا جنازته ، فحمل مروان بن الحكم سريره ، فقال له الحسين (عليه السلام) : تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تحجزه الغيظ ؟ قال مروان : نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال .

ويروي ابن شهر آشوب أنّه لما وضع الحسن (عليه السلام) في لحده ، قال الحسين (عليه السلام) فيه أشعاراً منها :

أدهن رأسي أم تطيب محاسني ورأسك معفور وأنت سليل
بكائي طويل والدموع غزيرة وأنت بعيد والمزار قريب

وفي فضل البكاء عليه وزيارته يروي عن ابن عباس أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) قال : إذا قتل ابني الحسن بالسهم « تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته ، ويبكي كل شيء حتى الطير في جو السماء ، والحيتان في جوف الماء ، فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون ، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب ، ومن زاره في بقيقه ثبتت قدمه على الصراط يوم تزلّ الأقدام » .

(١) ولعمري ما قال الصقريّ الصريّ :

ويوم الحسن الهادي على بخلك أسرع
وفي بيت رسول الله بالظلم تحكمت
تجملت تبغلت وإن عشت تفتلت
لك التسم من الثمن وبالكلّ تصرّفت

في طغيان معاوية واضطهاد الشيعة عليّ (عليه السلام)

لا يخفى أنّه طالما كان الإمام الحسن (عليه السلام) حيّاً لم يتسرّ أبداً لمعاوية - وهو الطاغية المعروف - أن يظهر اضطهاده لشيعة عليّ (عليه السلام) كما كان يتمنى ويرجو ، ذلك أن قلوب الناس - محبّهم وعدوّهم - كانت حافلة بالاحترام والهيبة من الإمام الحسن (عليه السلام) ، ونفوس المسلمين طافحة بالشغف والإشفاق من ذلك الصلح الذي أبرمه مع معاوية ، كما جعلوه (عليه السلام) باستمرار غرضاً لسهام الملامة ، يحثّونه على قتال معاوية طلباً لحقّه المسلوب .

كان معاوية متخوّفاً ، فكان لذلك يعامل أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) بالرفق والمداواة كلّما اتفق لأحدهم السفر إلى الشام والتنديد بمعاوية ، وحتى شتمه والتعريض به ، ثم يتركه ليعود سالماً غائماً محمّلاً بمعطايه الوفيرة من بيت المال ، ولم يكن هذا من معاوية حلماً وسخاءً بقدر ما كان مكرّاً ومهارة منه تقتضيها موجبات المصلحة والتدبير ، واستمرّ هذا منه حتى سنة خمسين للهجرة ، السنة التي استشهد فيها الإمام الحسن (عليه السلام) .

قدم معاوية المدينة حاجّاً ، فاستقبله أهل المدينة ، فإذا الذين استقبلوه ما منهم إلّا قرشيّ ، فلما نزل قال : ما فعلت الأنصار ، وما لهم لم يستقبلوني ؟ فقيل له : إنهم محتاجون ليس لهم دوابّ ، فقال معاوية : وأين نواضحهم ؟

ولا يخفى أنّه إنّما أراد بقوله هذا تحقيرهم والخطّ من شأنهم ، ذلك أنه يقال : الإبل النواضح للياه كناية عن أن أصحابها من الأجراء الفقراء ، فالسقاء لا يمكن أن يكون في عداد الأكابر والأعيان .

(١) لا يخفى أنه في هذا الكتاب المبارك يتمّ النقل عن ناسخ التواريخ بكثرة ، ومن قبيل ذلك هذا الفصل .

كان لهذا السؤال وقع شديد على قيس بن سعد بن عباد ، وكان سيد الانصار وابن سيدها ، فقال : أفنوها يوم بدر واحد ، وما بعدهما من مشاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، حين ضربوك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمر الإسلام وأنتم كارهون ، فكنت معاوية .

أردف قيس يقول : أما إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهد إلينا أنا سنلقى بعده أثره ، قال معاوية : فما أمركم به ؟ فقال : أمرنا أن نصبر حتى نلقاه ، قال : فاصبروا حتى تلقوه !!

ولا يخفى ما في إجابته هذه من التعريض بهم وبمعتقدهم باليوم الآخر ، فكأنما يقول لهم : يا لبساطنكم إذ تظنون أنكم ملاقور رسول الله في عالم آخر !!

ثم قال قيس : أي معاوية ، أبناضحنا تعرض ؟ أما والله لقد كنتم في بدر تقاتلون على النواضح ، تريدون أن تطفثوا نور الله وتثبثوا سيرة الشيطان ، لكنك وأباك وقومك قبلتم الإسلام بالسيف وأنتم كارهون .

ثم راح يعدّد مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى قال : لما أجمع الانصار على بيعه أبي قامت قريش نخاصنا وتحتج علينا بقرابتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وبعد ذلك أنزلت ظلمها وجورها بالانصار وآل محمد (عليهم السلام) معاً ، أما والذي نفسي بيده لا حق بالخلافة لأحد من الانصار ومن قريش ، ولا لأحد من العرب والعجم سوى لعلي المرتضى وأولاده .

أغضبت كلماته هذه معاوية فقال : يا ابن سعد ، ممن تعلّمت هذا الكلام ؟ هل أخبرك به أبوك وعنه أخذته ؟ قال قيس : سمعته ممن هو أفضل من أبي ، وممن حقّه أكبر من حق أبي ، قال : ومن يكون ؟ قال : هو علي بن أبي طالب عالم هذه الأمة ، وصديق هذه الأمة ، ومن أنزل الله تعالى بحقه قوله :

﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب ﴾

ثم تلا آيات كثيرة نزلت بشأن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قال معاوية : صدّيق الأمة أبو بكر ، وفاروق الأمة عمر ، ومن عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام ؛ قال قيس : لا ، ليس الأمر كذلك ، بل الأحقّ والأولى بهذه الأسماء من نزلت هذه الآية فيه :

﴿ آمنن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه ﴾ .

والأحقّ والأولى هو من نصبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غدير خمّ وقال :

« من كنت مولاه وأولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه » .

ومن قال له في غزوة تبوك :

« أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » .

ولما وصل قيس بكلامه إلى هذا المدى أمر معاوية فنادى مناديه : أن برئت الذمه ممن روى حديثاً في مناقب عليّ وفضل أهل بيته .

ثم إن معاوية مرّ بحلقه من قریش ، فلما رأوه قاموا من غير عبد الله بن عباس ، فقال : يا بن عباس ، ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلا لموجدة أني قاتلتكم بصفين ؟ فلا تجد من ذلك يابن عباس ، فإن عثمان قتل مظلوماً .

قال ابن عباس : فعمري الخطاب قد قتل مظلوماً ، قال : عمر قتله كافر ، قال ابن عباس : فمن قتل عثمان ؟ قال : قتله المسلمون ، قال : فذاك أدهى لحجتك .

قال معاوية : إنا قد كتبنا في الأفاق نهي عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته ، فكفّ لسانك ؟ فقال : يا معاوية ، أتهاننا عن قراءة القرآن ؟ قال : لا ، قال : أتهاننا عن تأويله ؟ قال : نعم ! قال : فنقرأه ولا نسأل عما عني الله به ؟

ثم قال : فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به ؟ قال : العمل به ، قال : كيف تعمل به ولا تعلم ما عني الله ؟ قال : سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك ، قال : إنما أنزل القرآن على أهل بيتي ، أنسال عنه آل أبي سفيان (وآل أبي معيط ، واليهود والنصارى والمجوس) ؟ قال معاوية : أو تقرني مع هذه الطوائف ؟ قال : نعم ، لأنك تنهى الناس عن العلم بالقرآن ، أتهاننا يا معاوية أن نعبد الله بالقرآن ، بما فيه من حلال وحرام ، فإن لم تسأل الأمة عن ذلك حتى تعلم تهلك وتختلف .

قال معاوية : اقرأوا القرآن وتأولوه ، ولا تروا شيئاً مما أنزل الله فيكم ، وارووا ما سوى ذلك ، قال : فإن الله يقول في القرآن :

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ .

قال معاوية : يا بن عباس ، اربع على نفسك ، وكفّ لسانك ، وإن كنت لا بدّ فاعلاً فليكن ذلك سرّاً لا يسمعه أحد علانية .

ثم رجع إلى بيته فبعث إليه بمئة ألف درهم ، أو خمسين ألفاً على رواية .

منع معاوية ذكر فضائل علي (عليه السلام)

ثم نادى منادي معاوية : أن برئت الذمة من روى حديثاً في مناقب علي وأهل بيته ، وأعلن أن كل من صعد منبراً خطيباً عليه أن يسب علياً وأن يبرأ منه ، وأن يلعن أهل بيته .

ثم عرج معاوية إلى مكة ، وبعد أن فرغ من الحج قفل راجعاً إلى الشام ، وشرع في تشييد قواعد ملكه ، وإفساد شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فكتب إلى جميع عماله في الأمصار يأمرهم بتشديد الرقابة على كل من تثبت محبته لعلي وأهل بيته ، وأن يحموا اسمه من ديوان العطاء ، ولم يكتف بذلك فكتب ثانية بأن يأخذوا أنصار علي (عليه السلام) على التهمة والظن ، فيقتلوه ، ولما شاع أمر معاوية هذا جعل عماله يتبعون الشيعة في كل مكان بالإخافة وقطع الأيدي والأرجل ، وتخريب بيوتهم حتى اشتد الأمر على شيعة علي (عليه السلام) ، فإذا أراد أحدهم الحديث مع صاحب له يثق به ، قدم بيته فسارته مسارة خفية عن خدمه بعد أن يأخذ عليه العهد والمواثيق والأيمان المغلظة على ألا يذيع ما يقوله له ، فإذا حدثه بعد كل ذلك حدثه وهو خائف فرع .

وكثر وضع الأحاديث الكاذبة الملققة التي جعلت أمير المؤمنين وأهل بيته (عليهم السلام) غرضاً للتجريح والبهتان ، ويعلمونها لصبيانهم ، وكان أشد الناس في ذلك القراء المراءون المتصنعون للخشوع والورع ، فكذبوا واتحلوا الأحاديث ولأدوها ، فيحظون بذلك عند الولاة والقضاة ، ويدنون منهم مجالسهم ، ويصيبون بذلك الأموال والقطائع والبيوت ، حتى صارت أحاديثهم ورواياتهم عندهم حقاً وصدقاً ، فرووها وقبلوها ، ثم صارت في يد المتدينين منهم الذين لا يستحلون الافتعال لمثلها ، فقبلوها وهم يرون أنها حق ، ولو علموا بطلانها لأعرضوا عن روايتها ، وهكذا صار الحق عندهم في ذلك الزمان باطلاً ، والباطل حقاً ، والكذب صدقاً ، والصدق كذباً .

فلما مات الإمام الحسن (عليه السلام) ازداد البلاء والفتنة ، فلم يبق لله ولي إلا خائف على نفسه ، أو مقتول أو طريد أو شريد ؛ فإذا اتهم أحدهم بأنه يهودي أو نصراني كان أهون عليه من أن يقال له شيعي .

ويروى أن شخصاً يقال إنه جد الأصمعي^(١) قدم على الحجاج أيام عبد الملك بن مروان وشكا إليه أن أمه وأباه قد عفاه وأسمياه علياً ، وقال : أنا فقير محتاج ، ولا غنى لي عن عطاء الأمير ، فضحك الحجاج وأرضاه .

(١) اسم الأصمعي ونسبه عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن الأصم ، والشخص المذكور هو علي بن الأصم كما يذكر ابن خلكان .

اضطهاد شيعة علي (عليه السلام)

ونتيجة لتدابير معاوية فقد بلغ الأمر حداً كبيراً، حتى صار الخطيب إذا صعد المنبر افتتح خطبته بسبب علي (عليه السلام) والبراءة منه، وعم ذلك كل قطر وناحية، وكان أشد الناس بليّة أهل الكوفة، لكثرة من بها من الشيعة، وكان عامل معاوية عليها زياد بن أبيه، فضم إليها ولاية البصرة، وجعل يتبع الشيعة وهو بهم عارف، يقتلهم تحت كل حجر ومدر، يخفهم ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويسمل عيونهم، ويصلبهم في جذوع النخل، حتى نفوا عن العراق، فلم يبق بها أحد معروف، فهم بين مقتول أو مصلوب أو محبوس أو طريد أو شريد.

كما كتب معاوية إلى عمّاله: أن لا تحيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وانظروا من قبلكم من شيعة عثمان وعبيده وعبيّيه وأهل بيته، والذين يروون فضله ومناقبه، فادنوا مجالسهم، وقربوهم وأكرمهم واكتبوا بمن يروي من مناقبه باسمه واسم أبيه وقبيلته، ففعلوا حتى كثرت الرواية في عثمان وافتعلوها لما كان يبعث إليهم من الصلوات والخلع والقطائع، من العرب والموالي، فكثرت ذلك في كل مصر، وتنافسوا في الأموال والدنيا، فليس أحد يجيء من مصر من الأمصار فيروي في عثمان منقبة أو فضيلة إلا كتب اسمه، وقرب وأجيز.

فلبوا بذلك ما شاء الله، حتى كتب معاوية إلى عمّاله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر، فادعوا الناس إلى الرواية في معاوية وفضله وسوابقه، فإن ذلك أحب إلينا وأقرّ لأعيننا، وأدحض لحجة أهل البيت وأشدّ عليهم.

فقرأ كل أمير وقاض كتابه على الناس، فأخذ الناس في الروايات في فضائل معاوية على المنبر، في كل كورة وكل مسجد زوراً، وألقوا ذلك إلى معلّمي الكتاتيب فعلّموا ذلك صبيانهم كما يعلّمونهم القرآن، حتى علّموه بناتهم ونساءهم وحشمتهم، حتى استقرت حجة معاوية وأهل بيته في القلوب.

واستمر الأمر على هذا المنوال حتى سنة سبع وخمسين من الهجرة، أو قبل موت معاوية بسنة واحدة، حين عزم الإمام الحسين (عليه السلام) على الحج، فتوجّه إلى مكة وبصحبه عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس، وقد جمع الحسين (عليه السلام) بني هاشم ورجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم حتى اجتمع إليهم مئى أكثر من ألف رجل، كما اجتمع إليهم أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) والتابعون والأنصار المعروفون بالصلاح والنسك، ومن أمكن الوصول إليهم من أبنائهم، وقام الحسين (عليه السلام) بهم خطيباً في سرادقة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

« أمّا بعد ، فإنّ هذا الطاغية قد صنع بنا وشيعتنا ما قد علمتم ، ورأيتم ، وشهدتم ، وبلغكم ؛ وإنّي أريد أن أسألكم عن أشياء ، فإن صدقتُ فصدقوني ، وإن كذبتُ فكذبوني ، اسمعوا مقالتي واكمموا قولي ، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم ، من أمتهم ووثقتهم به فادعهم إلى ما تعلمون ، فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحقّ ويذهب ، والله مُتَمِّمٌ نوره ولو كره الكافرون . »

وبعد أن أنهى هذه الرصيّة انتقل إلى التذكير بفضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) واحدة واحدة ، فيها ترك شيئاً أنزل القرآن فيهم إلّا قاله وفسّره ، ولا شيئاً قاله الرسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أبيه وأمه وأهل بيته إلّا رواه ، كلّ ذلك والحاضرون يؤمنون على أقواله .

ثم قال : أما سمعتم أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : من كان يظنّ أنه يحبّني ويعادي عليّاً (عليه السلام) فقد كذب ، فعذّبوا عليّ لا يمكن أن يكون لي محبّاً؟ فقال رجل : وكيف ذاك ؟ وأي ضرر في أن يحبّك رجل ويكره عليّاً ؟ قال (صلّى الله عليه وآله) : ذاك لأنّي وعليّاً جسد واحد ، فعليّ منّي وأنا من عليّ ، فكيف يحبّ جسد واحد ويكره في أن ؟ لا غرو أنّ من أحبّ عليّاً فقد أحبّني ، ومن عادى عليّاً فقد عاداني^(١) ، فأتمنّ الحاضرون . والصحابة يقولون : اللهمّ نعم قد سمعناه وشهدناه ، ويقول التابعون : اللهمّ قد حدّثناه من نصّدقه ونأتمنه .

وهكذا لم يترك شيئاً إلّا قاله ، ثم قال :

أنشدكم بالله إلّا رجعتم وحدّثتم به من تثقون به ، ثمّ سكّت ، ونفترّق الناس على ذلك .



(١) لا يخفى أن هذا الحديث جاء مضموناً لا نصّاً ، كالعديد من أمثاله (المرّب) .

الفصل السادس

في بيان أبناء الإمام الحسن (عليه السلام) وطرف من أحوالهم

أبناء الإمام الحسن (عليه السلام)

اعلم أن أرباب التاريخ والسير وعلماء فن الخبر أوردوا أقوالاً كثيرة ، واختلفوا اختلافاً بيناً في تعداد أبناء السبط الأكبر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) الإمام الحسن (عليه السلام) .

فقد جاء عن الواقدي والكلبي أن أبناءه (عليه السلام) كانوا خمسة عشر ولداً وثمانين بنتاً ، أما الجوزي فقد عدّ منهم ستة عشر ولداً وأربع بنات ، بينما يقول ابن شهر آشوب إنهم كانوا خمسة عشر ولداً وست بنات ، وأورد الشيخ المفيد رحمه الله أنهم كانوا ثمانية أولاد وسبع بنات ؛ ونحن نختار تقديم قوله مع إيرادنا لأقوال الكتب الأخرى .

يقول الشيخ الأجلّ في (الإرشاد) : أولاد الحسن بن علي (عليهما السلام) خمسة عشر ولداً ، ذكرأ وأنثى :

الأول والثاني والثالث : زيد بن الحسن وأخته أم الحسن وأم الحسين ، وأمّ الثلاثة أم بشير بنت أبي مسعود عقبة الخزرجي .

الرابع : الحسن بن الحسن ، ويقال له : الحسن المثني ، وأمّه خولة بنت منظور الفزارية .

الخامس والسادس والسابع : عمر بن الحسن وأخوه الشقيقان القاسم وعبد الله ، وأمهم أم ولد .

الثامن : عبد الرحمن ، وأمّه أم ولد أيضاً .

التاسع والعاشر والحادي عشر : الحسن الأثرم وطلحة وفاطمة ، وأمهم أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي .

والباقيون : أربع بنات أسماؤهن : أم عبد الله ، وفاطمة ، وأم سلمة ، ورقية ، وكل منهن لأم .

أما ما جاء في الكتب الأخرى ففيه أن أولاد الإمام الحسن (عليه السلام) المذكور ، فعشرون ، والإنثاء إحدى عشرة ، وذلك بزيادة علي الأكبر ، وعلي الأصغر ، وجعفر ، وعبد الله الأكبر ، وأحمد ، وإسماعيل ، ويعقوب ، وعقيل ، ومحمد الأكبر ، ومحمد الأصغر ، والحزمة ، وأبي بكر ، وسكينة ، وأم الخير ، وأم عبد الرحمن ، ورملة .

ومنهم أبو الحسن زيد بن الحسن (عليه السلام) أول أبناء الإمام الحسن (عليه السلام) ويقول الشيخ المفيد إنه كان يلي صدقات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهو أسن أبناء الحسن (عليه السلام) ، وكان جليل القدر ، كريم الطبع ، ظريف النفس ، كثير البر ، مدحه الشعراء ، وقصده الناس من الأفاق لطلب فضله ، وذكر أصحاب السير أنه لما ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة :

« أما بعد ، فلذا جاءك كتابي هذا فاعزل زيدا عن صدقات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وادفعها إلى فلان ابن فلان (رجل من قومه) ، وأعنه على ما استعانك عليه ، والسلام » .

فعمل والي المدينة بما أمره به سليمان وعزل زيدا عن تولي الصدقات وتولى الآخر مكانه ، فلما استخلف عمر بن عبد العزيز إذا كتاب جاء منه :

« أما بعد ، فلان زيد بن الحسن شريف بني هاشم وذو ستم ، فلذا جاءك كتابي هذا فنارده عليه صدقات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأعنه على ما استعانك عليه ، والسلام » .

وهكذا ردت تولي الصدقات إلى زيد ، ومات زيد وله تسعون سنة ، فترثه جماعة من الشعراء ، وذكروا مآثره وتلوا فضله ؛ وممن رثاه قدامة بن موسى الحجيمي ، قال في رثائه قصيدة مطلعها :

فإن يك زيد غالت الأرض شخصه فقد بان معروف هناك وجود
وظاهر للعيان أن زيد بن الحسن (رحمة الله عليه) خرج من الدنيا ولم يدع الإمامة ، ولا ادعاه له مدع من الشيعة ولا غيرهم ، وذلك أن الشيعة فريقان : إمامي وزيدي .

فالإمامي يعتمد في الإمامة على النصوص ؛ وهي معدومة في ولد الحسن (عليه السلام) باتفاق العلماء ، ولم يدَّع ذلك أحد منهم لنفسه .

أما الزيدي فبراعي في الإمامة بعد عليّ والحسن والحسين (عليهم السلام) الدعوة والجهاد ، وزيد بن الحسن (رحمة الله عليه) كان مسالماً لبني أمية ، ومتقلداً الأفعال من قبلهم ، وكان رأيه التقية لأعدائه ، والتألف لهم والمداراة ، وهذا يضادُّ عند الزيدية علامات الإمامة .

وأما الحشوية فإنها تدين بإمامة بني أمية ، ولا ترى لولد الرسول (صلى الله عليه وآله) إمامة على حال .

والمعتزلة لا ترى الإمامة إلا فيمن كان على رأيها في الاعتزال ومن تولّوا العقد بالشورى والاختيار .

والخوارج لا ترى إمامة من تولّى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وزيد كان متولياً أباه وجده بلا خلاف .

فلا غرو أن زيداً - باتفاق هذه الطوائف الشهيرة - خارج عن موضوع الإمامة .

ومن المعلوم أن زيداً لم يصحب عمه في سفره إلى العراق ، وبعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ، ولما ادَّعى عبد الله بن الزبير الخلافة بايعه وقدم إليه ، بداعي أن أخته أم الحسن غدت زوجاً له ، فلما قتل عبد الله أخذ أخته وقدم بها المدينة من مكة .

ويروي أبو الفرج الأصبهاني أن زيداً لازم عمه ، وأنه أسر فيمن أسر من أهل البيت ، وبعث به إلى يزيد ، ومن ثم عاد إلى المدينة مع سائر أهل البيت . انتهى .

وسأني الحديث عن أحوال أبناء زيد إن شاء الله ، ويقول صاحب (عمدة الطالب) إن زيداً عاش مئة سنة ، أو خمساً وتسعين على قول ، أو تسعين على قول آخر ، وتوفي في موضع بين مكة والمدينة يقال له : حاجز .

أما الحسن بن الحسن (عليه السلام) ، ويقال له الحسن الثني فكان جليلاً رئيساً فاضلاً ورعاً ، وكان يلي صدقات جده أمير المؤمنين (عليه السلام) في وقته ، ولما ولي الحجاج بن يوسف المدينة من قبل عبد الملك بن مروان أراد إدخال عمر بن عليّ (عليه السلام) في صدقات أبيه مع الحسن الثني ، لكن الحسن لم يقبل وقال : لا أغير شرط عليّ (عليه السلام) ، فأجابته الحجاج : سأشركك معه سواء رضيت أم أبيت .

اضطر الحسن إلى السكوت ، ولم يلبث في غفلة من الحجاج أن قدم إلى عبد الملك في

الشام ، فلما دخل عليه رَحِبَ به وأحسن مساءته ، فأخبره بأمر الحجاج ، فقال عبد الملك : ليس ذلك له ، أكتب كتاباً إليه لا يجاوز ، فكتب إليه ، ووصله وأحسن صلته ، وغادره مكرماً .

وكان الحسن المثنى حضر مع عمِّه الحسين (عليه السلام) يوم الطفّ ، فلما قتل الحسين (عليه السلام) وأسر الباقر من أهله ، ومعهم الحسن ، جاءه أسماه بن خازجة الفزارى ، وكان أخاً لأمِّه خولة ، فانتزعه من بين الأسارى وقال : والله لا يصل الأذى إلى ابن خولة أبداً ، فأمر عمر بن سعد بأن يترك لأبي حسان ابن أخته ، وقيل إن سبب ذلك هو أنّ خولة أمّ الحسن المثنى كانت من قبيلة فزارة ، كما أنّ أبا حسان أسماه بن حارثة كان فزارياً من قبيلة خولة .

ووفقاً لبعض الأقوال فإنّ الحسن أسر وكانت به جراحات بليغة ، فصحبه أسماه معه إلى الكوفة وعالج جراحه حتى شفي ، وذهب من هناك إلى المدينة ؛ وكان الحسن صهراً لعمِّه سيّد الشهداء (عليه السلام) إذ زوّجه بابنته فاطمة ، ويروى أنّه لما خطب إلى عمِّه الحسين (عليه السلام) إحدى ابنتيه قال له الحسين (عليه السلام) : اختربا بنّي أحبهما إليك ، فاستحى الحسن ولم يجر جواباً ، فقال له الحسين (عليه السلام) : فإنّي اخترت لك ابنتي فاطمة ، فهي أكثرهما شبيهاً بفاطمة أمي بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) : فمهرها الحسن وتزوَّج بها ، ورزق منها بعدة أبناء سيأتي الحديث عنهم إن شاء الله ، وقد أحب الحسن فاطمة حبّاً جمّاً ، كما كانت فاطمة محبةً له عطوفاً به ، وعاشت معه خمس سنين ، ثم قبض في المدينة وله من العمر خمس وثلاثون سنة ، رحمه الله ، ووصي إلى أخيه من أمِّه إبراهيم بن محمّد بن طلحة ، ودفن في البقيع .

ولما مات الحسن بن الحسن ضربت زوجته فاطمة على قبره فسقاطاً ، وكانت تقوم الليل وتصوم النهار ، فلما كان رأس السنة قالت لمواليها : إذا أظلم الليل فقفّوا هذا السقاط ، فلما أظلم الليل سمعت - كما يقال - صوتاً يقول : هل وجدوا ما فقدوا ؟ فأجابه آخر يقول : بل يشروا فانقلبوا .

ويروي البعض أن لبيداً الشاعر تمثّل بهذا في قوله :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر
وسيأتي بيان أحوال فاطمة ضمن الحديث عن أبناء الإمام الحسين (عليه السلام) إن شاء الله .

ومضى الحسن المثنى ولم يدع الإمامة ، ولا ادّعاها له مدّع ، كما وصفنا من حال أخيه زيد (رحمه الله) .

وأما عمر والقاسم وعبد الله فإنهم استشهدوا بين يدي عَثمهم الحسين (عليه السلام) بالطف ، كما يقول الشيخ المفيد ، غير أن ما يظهر من كتب المقاتل والتواريخ فإن القاسم وعبد الله هما من استشهد منهم ، أما عمر بن الحسن فلم يقتل ، بل أسر فيمن أسر ، وكانت له قصة في مجلس يزيد سيأتي الحديث عنها في موضع آخر إن شاء الله .

اعلم أنه غير أولئك الثلاثة والحسن المثنى كان من أبناء الإمام الحسن (عليه السلام) ممن شهدوا كربلاء واستشهد منهم في من استشهد ثلاثة آخرون هم : أبو بكر بن الحسن ، وسيأتي الحديث عن استشهاده إن شاء الله ، وعبد الله الأصغر ، وسيأتي الحديث عن استشهاده كذلك ، وأحمد بن الحسن الذي ورد ذكر استشهاده يوم عاشوراء في بعض كتب المقاتل ، وقد ذكر أبو الفرج في غضون الحديث عن زيد بن الحسن أنه كان أيضاً ممن شهد كربلاء ، فمجموع من كان بين يدي الحسين (عليه السلام) من أبناء أخيه الحسن (عليه السلام) في كربلاء ثمانية .

وأما عبد الرحمن بن الحسن (عليه السلام) فقد خرج مع عمه الحسين (عليه السلام) إلى الحج فتوفي بالأبواء ، وهو عمر ، (رحمة الله عليه) .

وأما الحسين بن الحسن (عليه السلام) فكان له فضل ، ولم يكن له ذكر في ذلك ، وكان يلقب بالأثرم ، والأثرم يقال لمن سقطت ثناباه ، أو لمن فقد أربعاً من أسنانه .

وأما طلحة بن الحسن (عليه السلام) فكان رجلاً جليلاً معروفاً بالجد والسخاء ، وكان يقال له : طلحة الجود ، وهو أحد ستة^(١) حملوا اسم طلحة وعرفوا بالسخاء والجود ، وكان لكل منهم لقبه .

وأما من بنات الإمام الحسن (عليه السلام) فقد تزوج بعضهن ، واشتهرن ، وهن : الأولى : أم الحسن ، وكانت مع زيد من أم واحدة ، تزوجها عبد الله بن الزبير بن العوام ، وبعد مقتل عبد الله أخذها زيد معه إلى المدينة .

(١) اعلم أن (الطلحات) الذين عرفوا بالجود كانوا ستة :

الأول : طلحة بن عبيد الله التيمي ، ولقبه : طلحة الفياض .

الثاني : طلحة بن عمر بن عبد الله بن المعمر التيمي ، ولقبه : طلحة الندى .

الثالث : طلحة بن عبد الله بن خلف ، ولقبه : طلحة الطلحات .

الرابع : طلحة بن عوف ، ولقبه : طلحة الخير .

الخامس : طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو المعروف بطلحة الدراهم .

السادس : طلحة بن الحسن ، ولقبه : طلحة الجود .

الثانية : أمّ عبد الله ، التي امتازت بين بنات الإمام الحسن (عليه السلام) بالجلالة وعظمة الشأن ، وكانت زوج الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، ورزق منها بأربعة أبناء هم : الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ، والحسن ، والحسين ، وعبد الله الباهر ؛ وسنشير إلى جلالة قدرها في غضون الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) .

الثالثة : أمّ سلمة ، التي تزوّجها عمر بن زين العابدين (عليه السلام) على قول بعض النسابة .

الرابعة : رقية ، وكانت زوجاً لعمر بن الزبير بن العوّام ؛ ولم يتزوّج من بنات الإمام الحسن (عليه السلام) غير تينك الأربعة ، وإن فعلن فلم يصلنا خبر عنهنّ ، والله هو العالم .

أحفاد الإمام الحسن (عليه السلام)

لا يخفى أنه لم يعقب من أبناء الإمام الحسن (عليه السلام) سوى الحسين الأثرم ، وعمر ، وزيد ، والحسن المثنى .

فأمّا الحسين وعمر فلم يعقبا ذكوراً ، وانقطع نسلهما ، وبقي من نسل الإمام الحسن (عليه السلام) أحفاده من زيد والحسن المثنى ، فلا غرو أن السادة الحسنيين يتصلون بالإمام الحسن (عليه السلام) بواسطة زيد والحسن المثنى ، وأشير الآن إلى أبناء زيد بن الحسن ، وطرف من سيرتهم ، ثم أعقب بالإشارة إلى أبناء الحسن المثنى ، إن شاء الله تعالى .

ذكر بني أبي الحسن زيد بن الحسن بن علي (عليه السلام)

زوجة زيد هي لبابة بنت عبد الله بن عباس ، وكانت قبله تحت أبي الفضل العباس بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فلمّا استشهد تزوّجها زيد ، ورزق منها بولدين الحسن ونفيسة ، التي تزوّجها الوليد بن عبد الملك فولدت له ابناً ، ومن هنا ترحيب الوليد بزيد لما جاءه وإفساحه مكاناً له إلى جانبه ، وإعطاؤه ثلاثين ألف دينار دفعة واحدة .

ذكر الحسن بن زيد وأولاده : ويكنّى بأبي محمّد ، وقد ولّاه المنصور الدوانيقي على ورساتيق ، وهو أول من اتخذ طريقة بني العباس من العلويين في لبس السواد ، وعاش ثمانين عاماً ، وأدرك المنصور والمهدي والرشيدي ، وكان بينه وبين بني عمه عبد الله المحض وولديه محمد وإبراهيم فرقة وتباعد ، ولمّا قتل إبراهيم وأتوا برأسه في طست إلى المنصور ، وكان الحسن بن زيد عنده ، سأله المنصور : أتعرف صاحب هذا الرأس ؟ فقال الحسن نعم أعرفه ، وأنشد :

فنى كان يحميه من الضميم سيفه وينجيه من دار الهوان اجتنابها

قال هذا ويكي ، فقال المنصور : أما إني ما أحببت أن يقتل ، لكنه أراد أخذ رأسي عن جسدي فآخذت رأسه .

بقول الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) : كان الحسن بن زيد واحداً من الأسخياء ، ولي المدينة من قبل المنصور خمس سنوات ، فغضب عليه بعدها وعزله ، وصادر أمواله وحسبه في بغداد ، وبقي في سجنه حتى هلك المنصور وخلفه المهدي ، فأخرجته من محبسه ، وأرجع له أمواله التي صودرت منه ، وبقي معه حتى توفي في الحاجر ، وهو موضع على طريق الحج ، وكان في طريقه إليه .

ويروي الخطيب أن إسماعيل بن الحسن بن زيد قال : كان أبي يصلي الصبح في أول وقته ، وذات يوم صلى الصبح كعادته ، وأراد الخروج إلى أملاك له ، فإذا بمصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وابنه عبد الله بن مصعب يجيئان إليه ، قال مصعب : لقد قلت شعراً أحب أن تسمعه ، قال : ليست الساعة ساعة قراءة الشعر ، قال مصعب : أقسم عليك بقرابتك من رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا ما سمعته ، وأنشد :

يا ابن بنت النبي وابن علي أنت أنت المجير من ذا الزمان
وكان مراده أن يؤذي الحسن عنه ذنباً ، فأذاه عنه .

وأعقب الحسن بن زيد أربعة أبناء ذكور ، أولهم وأكبرهم أبو محمد القاسم ، وأمه أم سلمة بنت الحسين الأثرم ، وكان رجلاً تقياً ورعاً ، وكانت له خصومة مع محمد بن عبد الله ، النفس الزكية ، بالتوافق مع بني العباس ، وكان له أربعة أولاد وبنات^(١) ، وهم :

الأول : عبد الرحمن بن الشجري ، نسبة إلى الشجرة ، وهي قرية من قرى المدينة ، وهو أبو قبائل وذو عشيرة وأبناء ، ومن أحفاده الداعي الصغير وهو القاسم بن الحسن بن علي بن عبد الرحمن الشجري ، وابنه محمد نقيب بغداد في أيام معز الدولة الديلمي ، كان صاحب قضايا كثيرة ذكرت في (عمدة الطالب) ، وأما الداعي الكبير فممن بني أعيامه ، وينتهي نسله إلى إسماعيل بن الحسن بن زيد ، كما سيرد في الحديث عنه .

الثاني : محمد البطحاني ، أو البطحاني ، على وزن سبحاني ، على قول ، وهو اسم محلة في المدينة ، وينسب البعض إلى البطحاء وزادوا في النسبة نوناً كما يقال لأهل صنعاء : صنعاني ، ويقال لمحمد بن القاسم : البطحاني لطول إقامته بالبطحاء ، أو لأنه كان من سكان

(١) وكان للحسن بن زيد بنت اسمها نفسة هي زوجة إسحاق بن جعفر الصادق (ع) ، وكانت معروفة بجلالة الشأن .

وستحدث عنها في المجلد الثاني في غضون الحديث عن أبناء الإمام الصادق (ع) .

بطحان ، وكان فقيهاً وأباً لقبائل وذا عشيرة وأولاد ، ومن أحفاده أبو الحسن علي بن الحسين أخي المسمعي صهر الصاحب بن عباد ، وكان من أهل العلم والفضل والأدب ، وكان رئيساً في همدان ، ولما ولد له عباد من بنت الصاحب بن عباد ، سرّ الصاحب كثيراً وقال أشعراً بالمناسبة ، منها :

الحمد لله حمداً دائماً أبداً قد صار سبط رسول الله لي ولداً
كما أنّ نسب سادة اصفهان المعروفين بسادة (گلستانه)^(١) ينتهي إلى محمد البطحاني ، وقد جاء نسب جدّ سادة (گلستانه) التي هي إحدى حفيدات الصاحب بن عباد كالآتي :

هو شرف شاه بن عباد بن أبي الفتح محمد بن أبي الفضل الحسين بن علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم بن البطحاني ، ومن أولاده السيد العالم الفاضل المصنّف الجليل محمد الدين عباد بن أحمد بن إسماعيل بن علي بن الحسن بن شرف شاه ، وكان المذكور صاحب قضاء اصفهان في عهد السلطان أوجاي تو محمد بن أرغون .

يقول صاحب (عمدة الطالب) : « ومن الأشخاص الذين وجدتهم يتتبعون إلى البطحاني : ناصر الدين علي بن المهدي بن محمد بن الحسين بن زيد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن محمد البطحاني ، وهو مدفون بشق^(٢) قم في المدرسة الواقعة بحلّة سوزانيك .

ومن أولاد البطحاني أبو الحسن الناصر بن المهدي بن حمزة ، وزير رازي المنشأ ، مازندرانّي المولد ، قدم بغداد بعد مقتل السيّد النقيب عز الدين يحيى بن محمد نقيب الريّ وقمّ وأمل ، وكان معه محمد بن يحيى النقيب المذكور ، فقوّضت النقابة إليه ، وبعدها قوّضت إليه نيابة الوزارة ، فترك النقابة لمحمد بن يحيى ، ثم اكتمل له أمر الوزارة ؛ وكان أحد الوزراء الأربعة الذين اكتملت لهم أمور الوزارة في زمان الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، وكان دوماً ذا شأن وسلطة ونفاذ أمر حتى عزل ، وتوفي في بغداد سنة سبع عشرة وستّمئة .

الثالث : حمزة ، والرابع الحسن ، وبعضهم لا يذكر اسم الحسن بين أولاد القاسم ، بل يقولون إنه أعقب ثلاثة أبناء ؛ وأما البتتان فأولاهما خديجة ، وهي زوجة ابن عمّها عبد العظيم الحسيني ، المدفون بالريّ ، والثانية عبيدة زوجة ابن عمّها الطاهر بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن .

(١) گلستانه : فارسيّة ، تعني الروضة .

(٢) شقّ : ناحية .

الثاني من أبناء الحسن بن زيد بن الحسن (عليه السلام) : هو أبو الحسن عليّ ، وأمه أم ولد ، ولقبه الشديد ، وقد توفي في حبس المنصور ، وكان له ابنة باسم فاطمة ، كما كانت له جارية اسمها هيفاء ، حملت منه ، وكان لما تضع حملها حين توفي عليّ الشديد ، ولما أتت مدة حملها وضعت ذكراً ، واسمها الحسن عبد الله ، وكان يحبه كثيراً ، وجاء نسله جميعه منه ، إذ لما بلغ سن الرشد وتزوج رزقه الله تسعة ذكور هم : أحمد ، والقاسم ، والحسن ، وعبد العظيم ، ومحمد ، وإبراهيم ، وعليّ الأكبر ، وعليّ الأصغر ، وزيد .

عبد العظيم ، وكنيته أبو القاسم ، وقبره في الريّ معروف ومشهور ، كما اشتهر بعلو المقام والجلالة ، وكان من أكابر المحدثين وأعظم العلماء ، ومن العبّاد والزهاد ، ومن أصحاب الامامين الجواد والهادي (عليهما السلام) ، ويقول المحقق الداماد في (الرواشح) إنّ أحاديث كثيرة رويت في فضيلة زيارة عبد العظيم ، وورد أنّ من زار قبره وجبت له الجنة .

وسروى ابن بابويه وابن قولويه أنّ رجلاً من أهل الريّ قدم إلى الإمام عليّ النقيّ (عليه السلام) فسأله : من أين قدمت ؟ فقال : كنت في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ، فقال : لو أنّك تزور قبر عبد العظيم وهو عندك ، تكن كمن زار الإمام الحسين (عليه السلام) .

وإجمالاً ، فالأحاديث في فضله كثيرة ، وقد أشرنا في (تحية الزائر) و(هدية الزائر) إلى بعضها ، وكتب الصاحب بن عبّاد رسالة مختصرة عنه ، ونقلها الشيخ المرحوم المحدث المتبحر النوري (نور الله مرقدّه) في خاتمة (المستدرك) ، وقد أوردت مضمونها في (الفتايج) ؛ وكان لعبد العظيم ولد اسمه محمد ، وكان بدوره رجلاً عظيم القدر ، عرف بالزهد وكثرة العبادة .

ومما يجدر ذكره أنّي في أيام مجاورتي في أرض الغريّ المقدّسة في وقت استفادتي من الشيخ الجليل علامة عصره وفريد دهره الميرزا فتح الله ، المشهور بالشريعة الإصفهاني ، دام ظلّه العالي ، سمعت أنّه قال : إنّ أحد العلماء النسابة ألف كتاباً اسمه بـ (المتنّلة) ، شرح فيه أحوال كلّ من السادة الذين عُرفوا بالتنّقل من مكان إلى آخر ، ومما ورد فيه أنّ محمّد بن عبد العظيم انتقل إلى السامرة وتوفي في أراضي بلد دُجيل ، ولما كان نصّ أقواله لا يحضرنني فإني أورد مضمونها ، وإجمالاً فهو يستظهر من نقل هذه القصّة في (المتنّلة) أنّ القبر المعروف بسليل الأئمة السيّد محمّد المنزل الواقع قرب السامرة ، والمشهور بجلالة الشان وظهور الكرامات هو قبر محمّد بن عبد العظيم الحسيني كما هو معروف ، لكنّ المشهور هو أنّه قبر محمد بن عليّ الهادي (عليه السلام) الذي يمتاز بجلالة شأنه ، وهو الذي مرّق الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ثوبه بسبب موته ، وهذا نفس ما يعتقدّه الشيخ المرحوم العلامة

النوري طاب ثراه ، والعلماء عامة ، بل علماء العصر السابق كما يقول الحموي في (معجم البلدان) ؛ وقال عبد الكريم بن طاووس : إنه قبر أبي جعفر محمد بن علي الهادي (عليه السلام) بالاتفاق .

الثالث من أبناء الحسن بن زيد بن الحسن (عليه السلام) : أبو الطاهر زيد ، وكان لزيد ثلاثة أبناء : الأول : الطاهر ، وأمه أسماء بنت إبراهيم المخزومية ، وللطاهر ولدان هما محمد ، وعليّ ، وكان لمحمد ثلاث بنات : خديجة ، ونفيسة ، وحسنا ، ولم يعقب ذكوراً ؛ وأم البنات الثلاث كانت من أهل صنعاء ، وكانوا من سكانها .

الثاني : عليّ بن زيد ، والثالث : أمّ عبد الله .

الرابع من أبناء الحسن بن زيد بن الحسن (عليه السلام) : اسحاق ، المعروف بالكوكبي ، وأعقب ثلاثة أبناء هم : الحسن ، والحسين ، وهارون ، وأعقب هارون ابناً باسم جعفر ، وجعفر أعقب محمداً ، وهو الذي استشهد على يد رافع بن ليث في مدينة أمل في مازندران ، ويقال إن قبره مزار .

الخامس من أولاد الحسن بن زيد بن الحسن (عليه السلام) : إبراهيم ، وقد اتحد زوجاً له من السادة الحسينيين فأنجبت له ابناً سماه إبراهيم باسمه ، ورزق ابناً آخر باسم عليّ من أمة الحميد وكانت أم ولد ، وينتهي نسبها إلى عمر ، ويقال إنه رزق ابناً اسمه زيد ؛ وأعقب إبراهيم بن إبراهيم ولدين : محمداً ، وحسناً ، وأعقب محمد ثلاثة أبناء من سلمة بنت عبد العظيم المدفون بالريّ ، وأسماؤهم : الحسن ، وعبد الله ، وأحمد .

السادس من أولاد الحسن بن زيد بن الحسن (عليه السلام) : عبد الله ، وأعقب خمسة أبناء هم عليّ التوالي ، ومحمد ، والحسن ، وزيد ، وإسحاق .

يقول أبو نصر البخاريّ إنّ أحداً منهم لم يعقب سوى زيد ، وأمّ زيد أم ولد ، وكان أشجع أهل زمانه ، وكان خارج الكوفة مع أبي السرايا ، ولما اشتد الأمر عليه فرّ إلى الأهواز ، لكنه أخذ هناك وقتل صبراً .

وأعقب زيد أربعة أبناء ذكور هم : محمد ، وعليّ ، والحسين ، وعبد الله ؛ وأمهم كانت من السادة العلويين ، وأعقب محمد بن زيد ثلاثة ذكور هم : الحسن ، وعليّ ، وعبد الله ، وقد سكنوا الحجاز .

السابع من أولاد الحسن بن زيد بن الحسن (عليه السلام) : أبو محمد إسماعيل ، وهو الأخير من أبناء الحسن بن زيد ، وكان يقال له : جالب الحجارة ، وأعقب ثلاثة ذكور هم : الحسن ، وعليّ ، وهو أحدث أبنائه ، وقد رزق بستة أبناء هم : الحسين ، والحسن ،

وإسماعيل ، ومحمد ، والقاسم ، وأحمد ، الثالث من أبناء إسماعيل هو محمد ، وأمه من السادة الحسينيين ، وأعقب أربعة أبناء ، أولهم : أحمد ، وقد سافر إلى بخارى ، وأنجب هناك ابناً ، وقتل هناك أيضاً ، والثاني : علي ، ولم يعقب ، والثالث : إسماعيل ، وأمه خديجة بنت عبد الله بن إسحاق بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وكان يلقب بأبيض البطن ، ولم يعقب أيضاً ؛ ورابعهم : زيد بن محمد ، وحسب رواية العمري فأمه من أولاد عبد الرحمن الشجري ، وأعقب ولدين أحدهما : الأمير الحسن الملقب بالداعي الكبير ، والآخر : محمد ، وقد لقب بعد أخيه بالداعي أيضاً .

ذكر أحوال الداعي الكبير الأمير الحسن بن زيد بن محمد ابن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) : الحسن بن زيد ويقال له : الداعي الكبير والداعي الأول ، وأمه بنت عبد الله بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ؛ خرج في طبرستان سنة خمسين ومئتين للهجرة ، وتوفي سنة سبعين ومئتين وكانت مدة سلطته عشرين سنة ؛ ويقول صاحب (ناسخ التواريخ) : إن الداعي الكبير حمل على سليمان بن الظاهر سنة اثنتين وخمسين ومئتين من الهجرة وأخرجه من طبرستان ، واستولى على تلك الممالك ، ولم يَلْ من قتل العباد وهدم البلاد .

وقد تعرّض الكثيرون من وجوه الناس وأشراف السادة في أيام حكمه للهلاك والدمار ، ومُن قتلهم اثنان من السادة الحسينيين أحدهما : الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله الباهر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ، والآخر : عبيد الله بن علي بن الحسين بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ، وقد وليا حكومتي قزوین وزنجان من قبل الداعي ، فلما عزم موسى بن بقا على استخلاص زنجان وقزوین جهّز جيشاً كبيراً وحمل عليها ، فلما لم يكن بمقدورها صدّه هربا إلى طبرستان ، فأحضرهما الداعي وقاضاهما بجرم الهزيمة ، ثم أغرقهما في بركة من الماء حتى أسلما الروح ، فرمى بجثثيهما في سرداب ، وكان ذلك سنة ثمان وخمسين ومئتين من الهجرة ، فلما قدم يعقوب بن ليث إلى طبرستان ، وفرّ الداعي إلى الديلم ، استخرج الجثتين ودفنها .

ومن ضحايا الداعي الكبير : السيّد العقيقي ، وهو ابن خالة الداعي واسمه الحسن بن محمد بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) ، وقد ولي حكومة ساري من قبل الداعي ، وأثناء غياب الداعي لبس السواد ، وهو شعار العبّاسيين ، ودعا باسم سلاطين خراسان في خطبة ؛ فلما رجع الداعي

وكان قد استعاد قوته أحضر السيد العقيقي وقد قيّدت يده إلى عنقه، فصرّب عنه .

كما اطلع الداعي أن جماعة من أهل طبرستان يكيّدون له ويضربون العدا ، فعزم على الخلاص منهم جميعاً ، فلجأ إلى التاراض ، وبعد أيام علا صوت الناعي يعلن موته ، ثم سعى نفسه في تابوت ، وحمله رجاله إلى المسجد للصلاة عليه ، ولما اجتمع الناس في المسجد أسرع ليف من رجاله الذين أحكم خطته معهم فأغلقوا أبواب المسجد ، ثم شهبوا سيوفهم ؛ كما قفز الداعي من التابوت شاك السلاح ، وأعمل مع رجاله سيوفهم في القوم حتى قتل منهم خلقاً كثيراً .

هذا ورغم أن الداعي كان سفاكاً للدم مغموراً بالغضب والنزاع ففي درجات الفضائل كان في محلّ منيع ، وكان محطّ رجال العلماء والشعراء ، وهو - باتفاق علماء الأنساب - لم يعقب أبناء إلا بنتاً اسمها كريمة ، رزق بها من جارية له ، وقد توفيت ابنته أيضاً دون أن تتزوج .

ذكر أحوال أخي الداعي محمد بن زيد الحسيني : محمد بن زيد لقّب بالداعي أيضاً بعد أخيه ، وبعد وفاة الداعي الكبير تسلّم لواء السلطنة زوج أخته أبو الحسين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عليّ بن عبد الرحمن الشجريّ الحسيني ، واستولى على ملك طبرستان ، لكنّ محمد بن زيد خرج في جيش من جرجان واشتبك مع أبي الحسين في قتال انتهى بمقتله ، واستعاد طبرستان ، سنة إحدى وسبعين ومثني من الهجرة ، واستقرّت تحت حكمه سبعة عشر عاماً وسبعة شهور ، وقد أحكم سيطرته وسلطته ، حتى أن رافع بن هرثمة في نيشابور كان يدعو باسمه في خطبه ، وكان أبو مسلم الإصفهاني وزيراً وكتائباً له ، وانتهى الأمر به إلى القتل في جرجان على يد محمد بن هارون السرخسيّ صاحب إسماعيل بن أحمد السامانيّ ، وقطع رأسه وبعث به إلى مرو مع ابنه الأسير ، ونقل من هناك إلى بخارى ، أما جسده فتمّ دفنه في جرجان إلى جانب قبر محمد بن الإمام الصادق (عليه السلام) ، الملقّب بالديباج .

ومحمد بن زيد من الفحول في العلم والفضل ، كان كبيراً في سياحته وفي شجاعته ، عرف العلماء والشعراء عنده الملجأ والملاذ الكريمين ، وكان من عادته أن ينظر في بيت المال في آخر كلّ عام ، فما فضل فيه عن النفقات أخذه فقسّمه على القرشيين والأنصار والفقهاء والقراء وغيرهم ، حتى لا يترك فيه فقيراً .

اتفق له في نهاية عام من الأعوام أنه لما شرع بتوزيع عطاياه على بني عبد مناف بعد أن فرغ من عطاياء بني هاشم ، نادى في جماعة من بني عبد مناف أن يتقدّموا لاستلام عطاياهم ، فتقدم إليه رجل يريد عطاه ، فسأله : فمن الرجل ؟ قال : من بني عبد مناف ، قال : فمن أيّ من أفخاذهم ؟ قال : من بني أميّة ، قال : فمن أيّ بيت ؟ فسكت الرجل ؛ فقال محمد : كأنك من بيت معاوية ؟ قال : نعم ، قال : فمن أيّ الأبناء ؟ فسكت ؛ قال محمد : فكأنك

من أبناء يزيد : قال : نعم ، قال : الوليل لك من رجل أحق ! تطمع في عطاء بني طالب وهم يطلبون دمك ! إن كنت لا تعلم ما صنع جدك فانت جاهل غافل ، وإن كنت تعلم ما صنع فقد مشيت إلى الهلاك بظلفك !

ولما سمع السادة العلويون أقواله التمتع بريق الشر في أعينهم ، وهموا بقتله ، فصرخ محمد بن يزيد بهم وقال : إياكم وأفكار الشر في حق هذا الرجل ، فمن ناله منكم بسوء فسيلقى مني جزاءه ، إن كنتم تظنون أنكم تأخذونه بدم الحسين (عليه السلام) فالله عز وجل لم يأمر بعقاب أحد بذنب غيره ، والآن اسمعوني أحدثكم حديثاً فيه الغناء لكم .

أخبرني أبي زيد أن الخليفة المنصور قصد مكة المعظمة ، وأثناء توقفه فيها جازوه برجل لبيعه جوهرة ثمينة ، ولما تأمل المنصور الجوهرة عرف أنها تخص هشام بن عبد الملك ، وأن الرجل الذي جاء يبيعها هو ابن هشام ، وقد ورثها عن أبيه ، فنظر إلى الرجل نظرة عرف منها أن سره قد انكشف فخاف على نفسه وانطلق هارباً بين الناس ، فأمر المنصور حاجبه الربيع بإغلاق أبواب المسجد ، وأن يترك واحداً منها مفتوحاً ، فيقف عنده ، ثم يخرج الناس فرداً فرداً ، بعد أن يتعرف على كل منهم قبل خروجه ، حتى إذا عثر على محمد بن هشام جاء به إليه .

ولما فعل الربيع ما أمره به المنصور عرف محمد أنه مقبوض عليه لا محالة ، فأسقط في يده ، واتفق في ذلك الوقت أن شاهده محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ، ورأى ما هو فيه من خوف واضطراب ، فقال له : هوّن عليك يا رجل ، أراك في حيرة وخوف شديد ، فمن أنت ؟ قال : أو تؤمنني ؟ قال : لك الأمان ، ونجاتك في فمّي ، قال : أنا محمد بن هشام بن عبد الملك ، فمن تكون أنت ؟ فعرفه بنفسه وقال : لا عليك فانت لست قاتل زيد ، ولن أدرك بك دمه ، والآن دعني أدبر لك النجاة ، فافعل ما أمرك به .

ثم ألقى رداءه على رأسه ووجهه ، وراح يجرّه إلى الربيع وهو ينزل عليه باللطمة إثر اللطمة ، حتى بلغ الربيع فقال له : يا أبا الفضل هذا الرجل جمال من الكوفة ، وقد اكرت منه جلّاً في ذهابي وأويتي ، لكنّه فرّ مني ولم يف بآفاقنا فأعطى الجمل لرجل آخر ، فأسألك أن تعطيني حارسين يميناني عليه كي أحضر أمام القاضي لينصفني منه .

أعطاه الربيع رجلين ، وخرجوا جميعاً من المسجد ، ولما خلاهم الطريق التفت محمد إلى ابن هشام وقال له : أيها الأحق ، لو أدبت إليّ حقّي لأغنيك عن متاعب الحراس والقاضي ، فإذا تقول ؟

قال محمد بن هشام : لك ما أردت يا بني رسول الله ؛ وعند ذلك التفت محمد بن زيد إلى الحارسين وقال : الآن وقد أذى الرجل لي حقّي فلا داعي لتكبّدكما المزيد من المشقة ، ويمكنكما الرجوع .

فلما ابتعدا راح محمد بن هشام يقبل رأس محمد بن زيد ووجهه وهو يقول : فذاك أبي وأمي ، والله أعلم حيث يضع رسالته ، ثم أخرج الجوهرة ورجاه قبولها ، فقال له :

يا بن عمّ ، إنا أهل بيت لا نأخذ على معروف بذلناه أجراً ، وقد أغضضت طرفي عن طلب دم زيد منك ، فاستبق لك جوهرتك ، وعليك بالاختفاء ، فالتصور جادّ في طلبك .^(١) ولما بلغ الداعي في حديثه هذا المبلغ ، أمر للرجل بعتاء يوازي عطاء الواحد من بني عبد مناف ، كما أمر نفرًا من رجاله أن يوصلوه سالماً إلى الريّ ، فوقف الأمويّ فقيل رأسه ، ومضى .

وهذا الداعي المسمّى محمد بن زيد أعقب ولدين أولهما زيد الملقّب بالرضي ، وقد أعقب بدوره ابناً باسم محمد ، وثانيهما الحسن .

والآن ، وبعد أن فرغنا من الحديث عن بني زيد بن الحسن نشرع بالحديث عن أبناء الحسن الثنّي .

ذكر أبناء الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

أبو محمد الحسن بن الحسن ، ويقال له : الحسن الثنّي ، أعقب عشرة أبناء بين ذكور وإناث ، وهم :

من الأول إلى الخامس : عبد الله ، وإبراهيم ، والحسن المثلث ، وزينب ، وأمّ كلثوم ، وأمهم فاطمة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) .

السادس والسابع : داود ، وجعفر ، وأمهم أمّ ولد ، واسمها حبيبة من أهل الروم .

الثامن : محمد ، وأمّه رملة .

التاسع والعاشر : رقيّة ، وفاطمة .

يقول أبو الحسن العمري : كان للحسن بنت أخرى اسمها قسيمة ، ولا يعرف عن

(١) أورد السيّد الأجلّ السيّد عليّ خان رضوان الله عليه هذه القصة عن محمد بن زيد الشهيد ، وقال : إنّ محمداً هذا هو جدي ، وإليه ينتهي نسي ، ثم ذكر نسيه ، ثم قال : أولئك آبائي فجنّني بمنّهم إذا جمعنا يا جريير المجامع

أحوال رقية وفاطمة شيء ، وأما زينب فعقد عليها عبد الملك بن مروان ، وكانت فاطمة زوجاً لمعاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار ، وأنجبت له أربعة ذكور وأنثى واحدة ، وقد أنت أسماؤهم بهذا الترتيب : يزيد ، وصالح ، وحماد ، والحسين ، وزينب .

وأما أبناء الحسن المثنى فجميعهم أعقبوا أبناء سوى محمد ، ومنشع الآن بالحديث عن أبنائهم ، وسنذكر كتمة لهذا الحديث مقاتل المعروفين منهم إن شاء الله تعالى .

أبناء عبد الله بن الحسن بن الحسن المجتبي (عليه السلام) : أبو محمد عبد الله بن الحسن ويسمى عبد الله المحض ، ذلك أن أبناء الحسن بن الحسن (عليه السلام) ، وأمه فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) ، وكان شبيهاً برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكان شيخ بني هاشم ومن أجل الناس وأكرمهم وأسماهم ، وكان شجاعاً قوياً النفس ، قتله المنصور وستحدث عن مقتله في آخر هذا الباب إن شاء الله .

أعقب عبد الله المحض ستة أبناء :

الأول : محمد بن عبد الله ، الملقب بالنفس الزكية المقتول عند أحجار الزيت في المدينة سنة خمس وأربعين ومئة من الهجرة ، وسيأتي الحديث عن استشهاده في آخر الباب إن شاء الله ؛ وقد أعقب أحد عشر ابناً ، ستة ذكور وخمس إناث ، وأسماؤهم : عبد الله ، وعلي ، والطاهر ، وإبراهيم ، والحسن ، ويحيى ، وفاطمة ، وزينب ، وأم كلثوم ، وأم سلمة ، وأم سلمة أيضاً .

عبد الله كان يلقب بالأشتر ، وقد استشهد بالهند وبعث برأسه إلى المنصور ، كما توفي علي بن محمد بن عبد الله المحض في مجلس المنصور ، أما الطاهر فهناك خلاف في أنه أعقب أم لا .

وكان لإبراهيم ابن اسمه محمد ، مع بضع إناث ، أمهم امرأة من نسل الإمام الحسين (عليه السلام) ، وأعقب محمد بضعة أبناء ثم انقرضوا .

أما الحسن فقد حضر وقعة فُخَّ مع الحسين بن علي وأصيب بضربة رمح ، وأعطاه العباسيون الأمان ، فلما تخلى عن الحرب ضربوا عنقه ، كما سيأتي الحديث عنه فيما بعد ولم يعقب ، كما أن يحيى لم يعقب أيضاً ، وسكن المدينة حتى وفاته .

احتلت فاطمة مكانة منيرة ، وتزوجت من ابن عمها الحسن بن إبراهيم وتزوجت زينب من محمد بن السفاح في الليلة التي استشهد فيها أبوها ، ثم تزوجها من بعده عيسى بن علي العباسي ، وعقد عليها من إبراهيم بن الحسن بن زيد بن الحسن المجتبي (عليه السلام)

وتزوَّجها ، كما جاء في (تذكرة) السبط ، وإجمالاً فقد كان عقب النفس الزكية ونسله من عبد الله الأشتر .

الثاني : من أبناء عبد الله المحض : إبراهيم ، ويقال له قتيل باخرا ، وسبأني الحديث عن مقتله في آخر هذا الباب إن شاء الله ، وأعقب عشرة أبناء ذكور هم : محمد الأكبر ، والطاهر ، وعليّ وجعفر ، ومحمد الأصغر ، وأحمد الأكبر ، وأحمد الأصغر ، وعبد الله ، والحسن ، وأبو عبد الله .

وأما محمد الأكبر المعروف بالقشاش فكان بلا عقب ، وكذلك كان الطاهر وعليّ وأبو عبد الله ، وأحمد الأصغر ، وتوفيّ عبد الله في مصر ، وأعقب ولداً هو محمد الشاعر وانقرض ، وأعقب أحمد الأكبر ولدين وانقرض ، وأعقب جعفر ولداً باسم محمد ، وانقرض .

أما محمد الأصغر فأمه رقية بنت إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى ، وأعقب سبعة أبناء هم : إبراهيم ، وعبد الله ، وأم عليّ ، وزينب ، وفاطمة ، ورقية ، وصفية ؛ وأنجب إبراهيم ابناً لكنه انقرض .

وإجمالاً فمن أحفاد إبراهيم قتيل باخرا لم يبق أحد سوى من الحسن الذي كان رجلاً عظيماً وجيهاً ، والحديث عن أبنائه وأحفاده يخرج بنا عن موضوع الكتاب ، وعمل من يرغب الرجوع إلى كتب مشجرات وأنساب الطالبيين .

الثالث : من أبناء عبد الله المحض : أبو الحسن موسى ، ويلقب بالجنون ، وقد أخذ هذا اللقب عن أمه ، وكانت قد ولدت سوداء الوجه ، كان موسى أديباً وشاعراً ولماً حبس المنصور أباه عبد الله أمر بإحضاره وجلده ألف سوط ، ثم قال له : وكيف يكشف لي محمد وإبراهيم عن نفسيهما وعيونك تلازمني ؟ فكتب المنصور إلى والي الحجاز كتاباً يأمره بعدم التعرض لموسى ، ثم توجه إلى الحجاز ، وهرب إلى مكة ، وبقي فيها حتى قُتل أخواه محمد وإبراهيم ، وانتهى الحكم في بغداد إلى المهدي ، وفي تلك السنة قام المهديّ بزيارة مكة ، وبينما كان منشغلاً بالطواف إذا بموسى يصرخ : أيها الأمير ، أنا موسى بن عبد الله ، أعطني الأمان حتى أظهر لك ، فقال المهديّ : لك الأمان على هذا الشرط .

ثم تقدّم منه وقال : أنا موسى بن عبد الله المحض ، قال المهديّ : فمن يعرفك ويشهد بصدقك ؟ قال : هذا الحسن بن زيد وموسى بن جعفر (عليهما السلام) والحسن بن عبيد الله بن العباس بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) شهودي ، فشهدوا جميعاً أنه موسى الجنون ابن عبد الله ، فأعطاه المهديّ كتاب الأمان .

وبقي كذلك حتى أيام الرشيد بهجدهم إليه يوماً وألقي بنفسه على بساطه ، فضحك

الرشيد ، فقال موسى : هذا من ضعف الصيام وليس من ضعف الشيخوخة ؛ ثم قصّ على الرشيد حكايته مع عبد الله بن مصعب الزبيري في سعيته به عند الرشيد ، وأقسم له ؛ وقد أورد المسعودي في (مروج الذهب) قصة موت عبد الله بن مصعب بسبب هذا القسم ، وتوفي موسى في سوق المدينة ، وكان أبناؤه وأحفاده من ذوي الشأن .

ومن سلالته : موسى بن عبد الله بن جون ، ويقال له : موسى الثاني ، وأمه أمامة بنت طلحة الفزاري ، ويكنى بأبي عمر ، كان راوية للحديث مات مقتولاً سنة ست وخمسين وميتين من الهجرة .

يقول المسعودي : إن سعيداً الحاجب حمل موسى من المدينة أيام المعتز بالله ، وكان موسى من الزهّاد ، وكان معه ابنه إدريس بن موسى ، ولما وصلوا إلى ناحية ذبالة من أراضي العراق اجتمع رهط بني فزارة وغيرهم لتخليص موسى من سعيد الحاجب ، لكنّ سعيداً دسّ له السم فتوفي هناك ، فخلّصوا ابنه إدريس من يدي سعيد .

أبناؤه كانوا كثيرين ، وكانت فيهم إمارة الحجاز ، ومن سلالة موسى الجون : صالح بن عبد الله بن الجون ، وكانت لصالح ابنة اسمها دلفاء ، وأربعة أبناء ، بقي ثلاثة منهم دون عقب ، أما الرابع واسمه أبو عبد الله محمد ، والمعروف بالشهيد فكان صاحب ولد ، وقبره في بغداد مزار للمسلمين .

يقول ابن معية الحسني النسابة : هو محمد بن صالح الذي يقال له : محمد الفضل ، وقبره في بغداد مزار للمسلمين ، وما يعرفه البعض من أنه قبر محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (عليه السلام) لا صحة له ، ويقول صاحب (عمدة الطالب) : إن محمد بن صالح كان رجلاً شجاعاً جريئاً ، يقول شعراً حسناً ، ومع كون الناس يرون بيعة غاصبي حقوق أهل البيت ويتبعونهم فلم يكن هدفاً لغاراتهم حتى زمن المتوكل العباسي حيث أخذ أسيراً إلى المتوكل الذي أمر بحبسه في سّر من رأى ، بعد أن أغار على القوافل التي كانت تحتاز الطريق إلى مكة ، وطال به الحبس ، وقال في سجنه شعراً كثيراً ، كما مدح المتوكل بعدة قصائد ، وكان سبب خلاصه أن إبراهيم بن المدبر وكان أحد وزراء المتوكل أخذ أبياتاً من أشعار محمد بن صالح فعلمها لأحد مغني المتوكل وأمره بغنائها عنده ، وهذا نصّها :

طرب الفؤاد وعاده أحزانه	وتشتت شعباته أشجانه
وبدأ له من بعد ما اندمل الهوى	برق تألق موهناً لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه	صعب الذرى متمتع أركانه
فدنا لينظر كيف لاح فلم يطق	نظراً إليه وردّه سجانّه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه	والماء ما سمحت به أجفانه

ولما سمع المتوكل الأبيات قال : من قاتل هذا الشعر ؟ فقال إبراهيم : محمد بن صالح بن موسى الجون هو قاتلها ، وأخذ على نفسه عهداً أن محمداً لن يخرج على المتوكل بعد الآن ، فأطلقه المتوكل ، لكنه لم يفر بالعودة إلى الحجاز ، فمات في سر من رأى .

أما السبب في شفاعته إبراهيم لمحمد فهو أنه نُقل عن محمد بن صالح أنه قال : لما أغرت على القوافل المجتازة إلى الحجاز وقهرتهم صعدت تلاً أنظر إلى أصحابي وهم يجمعون الغنائم ، فإذا بامرأة تخرج من القافلة وتدنو مني ، فتسألني : من هو قائد هذه الجماعة ؟ قلت : وماذا تريد مني ؟ قالت : سمعت أن رجلاً من سلالة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقود هذه الجماعة ، وأنا بحاجة إليه ، قال : أنا هو ، فما حاجتك ؟ قالت : أيها الشريف أنا ابنة إبراهيم بن المدبر ، ولي مال كثير في هذه القافلة من إبل وحريز وأشياء أخرى ، كما أن معي في هذا الهودج كثيراً من جواهر شاه وار ، فأقسم عليك بجدك رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمك فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلا ما أخذت هذه الأموال مني بالطريق الحلال فلا تدع أحداً يدنو من الهودج ، وعلاوة على ذلك فإن ما تطلبه من أموال التجار فأنا كفيّلة بجمعه منهم وتسليمه إليك .

فلما سمعت قولها صرخت بأصحابي أن ارفعوا أيديكم عن السلب ، وأحضروا إلي كل ما سبقت إليه ، فلما فعلوا قلت لها : إنني أهبك كل هذا ، كما سأصرف النظر عن كل الآخرين ، ثم مضيت دون أن أخذ قليلاً أو كثيراً .

ولما كنت محبوساً في سر من رأى أتاني السجان ذات ليلة وقال : إن عدداً من النساء يطلبن الإذن لزيارتك ، فأذنت لهن معتقداً أنهن من أهلي ، فدخلن وهن يحملن الكثير من مأكول وغيره ، وأظهرن من العطف عليّ والحفاوة بي الكثير ، كما قدّمن بعض العطايا للسجان كي يعاملني برفق ومداواة ، وكانت بينهن واحدة تبدو عليها سيئات الاحتشام أكثر من الأخريات ، فسألته : من تكون ؟ قالت : أولاً تعرفني ؟ قلت : لا ، قالت : إنني ابنة إبراهيم بن المدبر ، وأنا لم أنس ما قمت به من أجلي ، وإن شكرك على إحسانك فرض عليّ ، ثم ودّعني ومضت .

وطيلة بقائي في السجن لم تتوان عن رعايتي ومساعدتي ، كما طلبت من أبيها العمل على إطلاقي من السجن .

وتم الأمر بأن زوج إبراهيم بن المدبر ابنته من محمد بن صالح^(١) .

(١) لا يخفى أن أبا الفرج الإصفهاني ينسب حكاية ابنة إبراهيم بن المدبر إلى حدودية بنت عيسى بن موسى الخالدي ، لكننا أخذناها عن (عمدة الطالب) أوردناها بما يتفق مع ما ذكر هناك .

مناقب محمد بن صالح كثيرة ، ومن أبنائه عبد الله بن محمد أبو الحسن الشهيد ، وفي الحجاز كثير من أعقابهم ، ويقال لهم : الصالحيون ، ومن هذه السلالة أيضاً آل أبي الضحّاك ، وآل هزيم ، وهم بنو عبد الله بن محمد بن صالح .

الرابع : من أبناء عبد الله المحض : يحيى صاحب الديلم ، وكان له من الجلال والفضائل ما لا يحصى ، روى كثيراً عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، وعن أبان بن تغلب وغيرهما ، كما روى عنه جماعة أيضاً ، وكان في وقعة فُخ مع الحسين بن عليّ ، وبعد مقتل الحسين خرج إلى الصحراء وبقي مدة في خوف على حياته حتى فرّ إلى الديلم هرباً من هارون الرشيد ، ودعا الناس هناك إلى نفسه ، فبايعه جمع كبير ، وعلا شأنه ، الأمر الذي سبّب للرشيد هولاً وفزعاً عظيماً ، فكتب إلى الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي أن يحيى بن عبد الله أصحى كالشوكة في عيني فسلّيني النوم ، فأكفني أمره ، وحزّرتي من التكبر فيه .

فجهّز الفضل جيشاً كبيراً تحرّك به نحو الديلم ، لكنّه سلك معه طريق الرق و المدايرة فتواترت كتبه إلى يحيى حاملة إليه التهيب تارة والترغيب أخرى ، ولم يكن يحيى على قدر من القوة يملكه من قتال الفضل وهزيمته ، فاستجاب له وطلب الأمان منه ، فبعث إليه الفضل بكتاب أمان من الرشيد ، وحلف له الأمان المغلظة والمواثيق المحكمة ، فصحبه إلى الرشيد في الرابع من صفر سنة سبعين ومئة من الهجرة .

فرحب الرشيد به ، وأكرم وفادته ، وأنعم عليه بمئتي ألف دينار وبغيرها من العطايا ، فبادر يحيى إلى وفاء ديون الحسين بن عليّ شهيد فُخ بهذه الأموال ، وكانت تلك الديون مئتي ألف دينار .

وإجمالاً ، فقد لجأ الرشيد إلى السكون فترة بعد قدوم يحيى إليه ، لكنّ نار الحقد لم تكن لتستطفئ في قلبه ، وذات يوم دعا يحيى إليه وراح يعاتبه فأخرج يحيى كتاب الأمان وقال للرشيد : ما كان باعثك على التذرع بهذا الكتاب ، ولماذا تنقض عهده ؟! أخذ الرشيد الكتاب وأعطاه لمحمد بن الحسن صاحب أبي يوسف القاضي ليقرأه ، فقرأه وقال : هذا الكتاب في أمان يحيى بين جليّ ، ولا تشوبه شائبة من خديعة ، فبعث بالكتاب إلى أبي البختريّ وهب بن وهب ، فقرأه ثم قال : هذا الكتاب باطل لعدة أسباب ، ولا طائل تحته في الأمان ، وقضى بهدر دم يحيى وقال : دمه في عنقي !!

طلب الرشيد مولاه مسروراً وقال له : قل لأبي البختريّ : إن كان هذا الكتاب باطلاً فمزمّقه ، فاخذ أبو البختريّ الكتاب فمزمّقه إرباً إرباً بسكين كانت عنده ، وهو لا يتألم نفسه من الغضب .

سرّ الرشيد لهذه النتيجة ، وأمر لابي البخترى بألف وستمئة ألف درهم ، وأسند إليه القضاء ، ثم أمر يحيى فأودع السجن ، ثم أحضره إليه بعد أيام ، مع القضاة والشهود ، متظاهراً بأنه لم يأمر بسجنه ، وأنه لا يريد قتله ولم يأمر به .

واجه الحاضرون يحيى ، وراح كلّ منهم يدلي برأيه ، ويحى صامت لا ينس ولا يجيب ، فقيل له : لماذا لا تتكلم ؟ فأشار إلى قمه ، وهو يعني أنه لا قدرة له على الكلام ، ثم مدّ لسانه فإذا به أسود اللون .

قال الرشيد : إنك متظاهر كذباً بأنك مسموم ، ثم أمر به فأعيد إلى السجن ، وبقي فيه حتى نال الشهادة .

ويروي أبو الفرج أنّ الشهود كانوا لم يبلغوا بيوتهم بعد حين سقط يحيى على الأرض من شدة السم وقوته .

وفي استشهاد يحيى جاءت أقوال مختلفة ، فالبعض يقول : إنه مات مسموماً ، والبعض الآخر يقول : إنه مُنع من الطعام حتى مات جوعاً ، ويقول جماعة آخرون : إن الرشيد أمر به فسجّي حبساً ، ثم بنوا فوقه عموداً من الحجارة والجصّ ، حتى فارق الحياة ، وأبو فراس الحمداني يشير إلى شهادة يحيى بقصيدة يعدّد فيها مثالب بني العباس ، وفيها يقول :

يا جاحداً في مساوئها يكتّمها غدر الرشيد يحيى كيف يكتتم
ذاق الزبيري غب الحث وانكشفت عن ابن فاطمة الأقوال والشهم

ويشير الشاعر في أبياته إلى سعاية عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يحيى عند الرشيد بأنه يطلب البيعة لنفسه ، وأنه طلب البيعة من عبد الله بن مصعب نفسه ، وأقسم على ذلك ، فتورّم بدنه بعد قسمه ذلك ، ثم غشاه السواد وهلك .

أعتقد يحيى أحد عشر ابناً : أربع بنات وسبعة ذكور ، وكانت سلالة كثيرة ، وقد استشهد كثير من أحفاده ؛ ومن أبنائه : محمّد بن يحيى الذي قيّده البكّار الزبيري بالحبال والسلاسل أيام حكم الرشيد ، في المدينة ، وبقي في سجنه حتى فارق الحياة .

ومن أحفاده : محمّد بن جعفر بن يحيى ، الذي سافر إلى مصر ومنها إلى المغرب ، والتفّ حوله جماعة ائتمروا بأمره ، وعمل بينهم بالعدل والاعتدال ، وفي آخر مرة قتل مسموماً .

وإجمالاً فأعقاب يحيى كانوا من ابنه محمّد الذي بقي في حبس الرشيد حتى مات .

الخامس من أبناء عبد الله المحض : أبو محمّد سليمان ، عاش ثلاثة وخمسين عاماً ،

واستشهد مع الحسين بن عليّ في موقعة فُخّ ، أعقب ولدين هما : عبد الله ، ومحمد ، وكان عقب سليمان من محمد ، وقد حضر محمد موقعة فُخّ ، ويقول صاحب العمدة : إنه فرّ إلى المغرب بعد مقتل أبيه ، وأنجب هناك ، ومن أبنائه :

عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان الذي قدم الكوفة وروى الحديث ، وكان رجلاً جليل القدر ، راوية للحديث ، ولا متسع في هذا المختصر للحديث عن أبناء سليمان .

السادس من أبناء عبد الله المحض : أبو عبد الله إدريس ، وقد اختلفت الأقوال في استشهاده ، وأصح ما قيل في هذا الصدد هو أنّ إدريس شهد موقعة فُخّ مع الحسين بن عليّ ، وشارك في قتال العباسيّين ، وبعد مقتل الحسين ومقتل أخيه سليمان فرّ إلى فاس ووطنجة ومصر ، برفقة غلامه راشد ، وكان رجلاً ذا حصافة وعقل ورأي راجح ، ثم سافر من مصر إلى المغرب ، وهناك بايعه الناس واتّسع سلطانه ، ولما بلغ الرشيد ذلك أظلمت الدنيا في عينه ، وكان تجهيز جيش لقتاله أمراً عسيراً ، ذلك أن القتال مع إدريس ليس سهلاً لما عرف عنه من شجاعة ورجولة ، فها كان منه سوى أن أرسل إليه سليمان بن جرير متنكبراً ، وكان سليمان هذا الناطق باسم الزيدية ، فبعث به إليه مع عطر ممزوج بالسّم ، فلما قدم عليه أكرمه وقدمه في الصلاة ، ذلك أنّ سليمان كان متكلاً بليغاً يحسن التامدة ، وكان قد أعدّ طريقة هروبه على مطية سريعة ، وقبع يتحرّق الفرصة ، حتى كان يوم خلا فيه المجلس من راشد وغيره ، فأهدى العطر المسموم إلى إدريس الذي راح يشمه ويتطبّب به ، بينما كان سليمان قد امتطى فرسه ومضى .

أمّا إدريس فقد اضطرب وسقط ، ولما وصل راشد إليه ورأى ما هو فيه انطلق في أثر سليمان كالرياح حتى أدركه وأصابه بجراح في رأسه ووجهه وأصابه ، ثم رجع فكان إدريس قد قضى .

وترك إدريس وراءه امرأة هي أمّ ولد ببربرية ، وكانت حاملاً ، وبناء على الرؤية الصائبة من راشد البس أهل المغرب تاج السلطنة لرحم أمّ ولد ، حتى إذا وضعت حملها وكان ذكراً سمّوه إدريس على اسم أبيه ، وقد ولد بعد موت أبيه بأربعة شهور .

هذا وقد أشاع جماعة أن هذا الطفل إنّما هو لراشد ، وأنّه احتال بذلك ليصل إلى الملك ، لكن هذا القول غير ثابت ، ذلك أنّ داود بن القاسم الجعفريّ - وهو من كبار العلماء ، وذو معرفة تامّة بالأنساب - يقول : كنت من شهود وفاة إدريس بن عبد الله وولادة إدريس في فراش أبيه ، وكنت معه في المغرب ، فلم أر له مثيلاً في الجمال والجلد والجود والخودة ، ويروى عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال : رحم الله إدريس بن إدريس فإنّه نجيب أهل البيت وشجاعهم ، أما والله لم يبق له مثيل بيننا .

لا غرو أن صحّة نسب إدريس ليست موضع شكّ ، والحديث عن حكمه وعن أولاده سيأتي في موضعه ، وقد أقام العديد من أحفاده في مصر ، وصاروا يعرفون بالفاطميين .

يقول السيد الشهيد القاضي نور الله في (المجالس) في بيانه لاستشهاد إدريس بن عبد الله : إنّ هارون بعث برجل اسمه داود ويشتهر بالشهاج ، فالتحق بخدمة إدريس ، ودخل عن طريق المكر والتليس في سلك خاصته ، وذات يوم شكّا إدريس من ألم في أسنانه ، فأعطاه داود شيئاً على أنه دواء لأسنانه ، وعند السحر فعل به مفعوله ، وقضى بتأثيره ، وترك إدريس جارية حاملاً ، فألبس أولياء الدولة تاج السلطنة لرحم الجارية ، ولم يوسم أحد بالسلطنة - في الإسلام - وهو بعد جنين في رحم أمّه - سواء ، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشانه :

« عليكم بإدريس بن إدريس ، فإنه نجيب أهل البيت وشجاعهم » .

ذكر أحوال إبراهيم بن الحسن بن الحسن المجتبي (عليه السلام) وأحوال أبنائه

أبو الحسن إبراهيم أخ شقيق لعبد الله المحض ، وكان من كثرة الجود ومناعة المكانة وشرف المحلّ أن لقّب بالغمير ، وكان شبيهاً شبيهاً تماماً برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقيل إنه وأخاه عبد الله كانا من رواة الحديث ، وله ضريح في الكوفة يقصده القاصي والداني للزيارة ، أخذه المنصور مع أخيه والعديد من إخوانه الآخرين وسجنهم في الكوفة ، وقضوا خمس سنين في عذاب السجن ومشقته وآلامه ، وفي شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين ومئة من الهجرة انتقلت روح إبراهيم إلى دار الجنان ، وهو في السجن ، وكان أول شهيد من المحبوسين ، وقيل : إنه عاش تسعاً وستين سنة ، وكان من أصحاب الفضائل الكثيرة والمكارم الشهيرة ، وكان السّاق في أيامه يقدّمه ويتبارك به .

أعقب إبراهيم أحد عشر ابناً هم على التوالي : يعقوب ، ومحمّد الأكبر ، ومحمّد الأصغر ، وإسحاق ، وعليّ ، وإسماعيل ، ورقية ، وخديجة ، وفاطمة ، وحسنة ، وأمّ إسحاق .

أبى أحفاده من إسماعيل الديباج ، ومحمّد الأصغر أمّه أم ولد تسمّى عالية ، وكان يقال له الديباج الأصغر لكمال حسنه ، ولما أمسكوا به وأخذوه إلى المنصور الدوانيقي سأله : أنت الديباج الأصغر ؟ قال : أجل ، قال : أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلت مثلاً أحداً من أهلك ، ثم أمر به فوضع داخل أسطوانة بنوها حوله ، ثم أغلقوها حول وجهه ، وترك فيها حيّاً حتى انتقل إلى رحمة ربّه .

أما إسماعيل المكنى بأبي إبراهيم ، والملقّب بالديباج الأكبر ، فقد شهد موقعة فُخّ ،

وقضى مدة في سجن المنصور ، وكانت له ابنة تدعى أم إسحاق ، وولدان هما : الحسن وإبراهيم .

وكان الحسن بن إسماعيل من شهود موقعة فحّ ، وجبه هارون الرشيد اثنتين وعشرين سنة ، ولما وصل الأمر إلى المأمون أطلقه ، ووّدع الدنيا وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ومن أبنائه : السيّد السند النّسابة العالم الفاضل جليل القدر واسع الرواية أبو عبد الله تاج الدين عمّاد بن أبي جعفر القاسم بن الحسين الحسني الديباجيّ الحليّ ، المعروف بابن معيّة ، وكان صاحب مصنّفات كثيرة في الأنساب ومعرفة الرجال ، والفقه ، والحساب ، والعروض ، والحديث وغيرها ، أخذ عنه السيّد السند النّسابة جمال الملة والدين أحمد بن عليّ بن الحسين الحسني الداوديّ .

يقول صاحب (عمدة الطالب) إن إليه ينتهي علم النسب في زمانه ، وقد أدركت له إسنادات عالية ومسموعات شريفة في شيخوخته ، وقمت بخدمته ما يقرب من اثني عشر عاماً ، وقرأت عنده ما أمكن من الحديث ، والنسب ، والفقه ، والحساب ، والأدب ، والتاريخ ، والشعر ، إلى غير ذلك .

ثم ذكر مصنّفات مع طرف من أحواله ، ثم قال : إنّ تعداد فضائل النقيب تاج الدين عمّاد يحتاج إلى شرح لا يتسع له هذا المختصر .

أقول : ابن معيّة سيّد جليل أستاذ الشيخ الشهيد ، ويروي عنه الشهيد أيضاً ، وذكره في إحدى إجازاته وقال : «إنّه أعجوبة الزمان في جميع الفضائل والمآثر» ، وقال بشأنه في مجموعته : توفي ابن معيّة في الثامن من ربيع الآخر سنة ست وسبعين وسبعمئة في الخلّة ، وحلت جنازته إلى مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وقد أجازني السيّد هذا كما أجاز ولديّ أبا طالب عمّاد وأبا القاسم عليّاً قبل وفاته .

أقول : مُعَيّة (بضمّ الميم وفتح العين المهملة على وزن سميّة) هو اسم والدّة أبي القاسم عليّ بن الحسن بن الحسن بن إسماعيل الديباج ، وهي بنت محمد بن الحارث بن معاوية بن إسحاق ، من بني عمرو بن عوف ، كوفيّة ، وأصلها من بغداد .

وأما إبراهيم بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم النمر نامّه أم ولد ، وكان يلقّب بطباطبا .

يروي عن أبي الحسن العمريّ أن إبراهيم لما كان طفلاً أراد أبوه إسماعيل أن يخط لباساً له فسأله : إن شئت عملت لك قميصاً ، وإلّا فأخيط لك قباءً ، ولما كان لسانه بعد عاجزاً عن إظهار غارح الحروف ، وأراد أن يقول : قبا قبا فأتى اللفظ معه : طباطبا ، ولقّب بذلك ، لكنّ أهل السواد يقولون : إنّ طباطبا تعني باللغة النبطيّة : سيّد السادات .

وأجمالاً ، فقد كان إبراهيم رجلاً جليلاً راجح الرأي ، وقد عرضت آراؤه على الإمام الرضا (عليه السلام) فجاءت نقيّة من شوائب الشكّ والشبهة ، وأعقب أحد عشر ذكراً وبتين ، وقد وردت أسماؤهم كالاتي : جعفر ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وموسى ، وهارون ، وعليّ ، وعبد الله ، ومحمد ، والحسن ، وأحمد ، والقاسم ، ولبابة ، وفاطمة .

كان عبد الله وأحمد لأمّ واحدة اسمها جميلة بنت موسى بن عيسى بن عبد الرحيم ، ومن أبناء عبد الله : أحمد الذي خرج في مصر سنة سبعين ومثني من الهجرة ، وقتله أحمد بن طالون ، وانقرض ابنائهم .

وأما محمد بن إبراهيم ، ويكنّى بأبي عبد الله ، فخرج في الكوفة بعمونة أبي السرايا أيام خلافة المأمون سنة تسع وتسعين ومئة من الهجرة ، ونزلت الكوفة على البيعة له ، وارتفع شأنه ، وتوفيّ فجأة في السنة نفسها في الكوفة ، ودفن في الغري .

ويروي أبو الفرج عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال لجابر الجعفي إنّه في سنة تسع وتسعين ومئة وفي شهر جمادى الأولى يلي رجل من أهل البيت الكوفة ، ويخطب على منبرها ، يباهي الله عزّ وجلّ به ملائكته .

والقاسم بن إبراهيم طباطبائي يكنّى بأبي محمد ، ويقال له : الرستيّ ، ذلك أنه اتخذ في جبل الرّس منزلاً له ، وكان سيّداً عفيفاً زاهداً ، صاحب تصانيف ، ودعا إلى الرضا من آل محمد (عليهم السلام) ، توفيّ سنة ست وأربعين ومثني .

أعقب أولاداً كثيرين ، وكان كثير منهم رؤساء ومقدّمين ، وكانت مجموعة منهم من أئمة الزيدية ، كبنّي حمزة ، وأبي الحسن يحيى الهادي بن الحسين بن القاسم الرستيّ ، الذي ظهر في اليمن أيام المعتضد سنة ثمانين ومثني من الهجرة ، ولقب بالهادي إلى الحقّ ، وله تصنيفات كبار في الفقه القريب من مذهب أبي حنيفة ، توفيّ سنة ثمان وتسعين ومثني من الهجرة ، وكان ابنائهم من أئمة الزيدية ، ومن ملوك اليمن .

ومن أبناء القاسم الرستيّ : زيد الأسود بن إبراهيم بن محمد بن الرستيّ ، الذي طلبه عضد الدولة الديلميّ من بيت المقدس ، وزوّجه من أخته ، ولما توفيت أخته زوّجه من ابنته شاهنا ندخت ، وكانت لكثير من أبناءه ، وجاهة ورياسة في شيراز ، كما كان العديد منهم نقباء وقضاة في شيراز أيضاً .

وأجمالاً فإنّ سادة طباطبائيّ لم ينقطعوا بحمد الله حتّى زماننا هذا ، وهم كثيرون في كلّ بلد وقرية ، في شرق العالم وغربه .

ذكر أحوال أبي عليّ الحسن بن الحسن بن الحسن المجتبي (عليه السلام) وأحوال أبنائه ، وشرح موقعة فُخّ واستشهاد الحسين بن عليّ وغيره

الحسن بن الحسن المثنى يقال له الحسن المثلث ، ذلك أنّه الابن الثالث الذي يسمى الحسن بلا واسطة ، وهو الأخ الشقيق لعبد الله المحض ، وتوفيّ هو أيضاً في سجن المنصور في الكوفة في شهر ذي القعدة من سنة خمس وأربعين ومئة ، وكان عمره ثمانياً وستين سنة .

وسروى أبو الفرج أنّه لما حبس عبد الله أخو الحسن المثلث أقسم الحسن أنّه لن يمسّ الدهن بدنه ، ولن يكتحل ، ولن يلبس ثوباً ناعماً ، ولن يطعم الطيّبات ما دام عبد الله في محبسه ؛ ولهذا كان المنصور يدعو بالخاد ، أي من هجر الزينة .

كان الحسن رجلاً فاضلاً متألّها ورعاً ، وكان يميل إلى مذهب الزيدية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أعقب ستة ذكور هم : طلحة ، والعبّاس ، والحزمة ، وإبراهيم ، وعبد الله ، وعليّ .

أمّا طلحة فلم يعقب ، وأمّا العبّاس فأتمّه عائشة بنت طلحة الجود ، وكان من فتيان بني هاشم ، ولما أخذ إلى السجن صاحت أمّه : دعوني أشتمّه وأحتضنه ، فقيل لها : لن تنالي مرادك هذا ما دمت حيّة ، وتوفيّ العبّاس في محبسه في الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومئة ، وعمره خمس وثلاثون سنة ، وقد أعقب ، لكنّ أبنائه انقرضوا .

ومن أبنائه عليّ بن العبّاس الذي قدم بغداد ودعا إلى نفسه ، وأجاب دعوته جماعة من الزيدية ، وحبسه المهديّ العبّاسيّ حتى أخرجه من الحبس بشفاعة الحسين بن عليّ صاحب فُخّ ، لكنّ المهديّ سقاه سماً فبقي تأثّره فيه حتّى قدم المدينة ، ففسد لحم بدنه من أثر السمّ ، كما تأكلت أعضاؤه عن بعضها البعض ، وكان لم يمض على وجوده في المدينة سوى ثلاثة أيام حتى فارقت الحياة .

وأما الحزمة فقد توفيّ في حياة أبيه ، بينما لا يُعرف عن أحوال إبراهيم شيء .

وأما عبد الله ، وكنيته أبو جعفر ، فأتمّه ابنة عامر بن عبد الله بن بشر بن عامر ملاعب الأسنة ، وقد أخذه المنصور الدوانيقي مع أخيه عليّ وبمجموعة من السادة من بني الحسن ؛ فلما خرجوا بهم من المدينة متوجّهين إلى الكوفة ، وبلغوا قصر نفيس بالقرب من الربرة على بعد ثلاثة أميال من المدينة ، أمروا الحذّادين فقيّدوا كلّاً منهم بالأغلال ، وكانت حلقات قيد عبد الله شديدة الضيق ، فسبّبت له المأ شديداً فتأوّه ، فأقسم له أخوه عليّ على أن يبادله بقيده ، إذ كانت حلقاته أوسع ، ثم استبدل بقيده قيد أخيه ؛ وتوفيّ عبد الله في السجن وله من العمر ست وأربعون سنة ، وذلك يوم الأضحى سنة خمس وأربعين ومئة .

وأما علي بن الحسن الأخ الشقيق لعبد الله فكان يكنى بأبي الحسن ، ويلقب بعلي الخير ، وعليّ العابد ، وبلغ درجة من حضور القلب في العبادة أنه كان يصلي ذات مرة وهم في الطريق إلى مكة فتسللت أفعى إلى ثيابه ، فصرخ فيه الناس ، لكنه بقي مشغولاً بصلاته حتى خرجت الأفعى من ثيابه ، دون أن تتذ عنه حركة توحى بتبدل حاله .

ويروى أنّ أبا جعفر المنصور أودع بني الحسن في سجن بلغ من ظلمته أنّ النهار فيه لم يكن يمتاز عن الليل ، وكانوا لا يعرفون وقت الصلاة إلاّ بواسطة تسييح عليّ بن الحسن وأوراده ، ذلك أنه كان على الدوام مشغولاً بالذكر وكان بحسب توزيع الأوراد يميّز دخول أوقات الصلاة .

ذات يوم قال له عبد الله بن الحسن المثني ، وقد بلغ به الضجر من السجن ، والضيّق من نقل القيود مبلغه : ألا تسأل الله أن يخلّصنا ممّا نحن فيه من سجن وبلاء ؟ فلم يجبه عليّ من فوره ، وأخيراً قال له : يا عمّ ، إنّ لنا في الجنة درجة لن نبليها إلاّ بهذا البلاء ، أو بأشدّ منه ؛ كما أن للمنصور درجة في جهنّم لن يبلغها إلاّ بإنزاله بنا ما ترى من البلاء ، فإن شئت صبرنا على هذه الشدائد ، ثمّ ننال الراحة عاجلاً ، ذلك أنّ الموت ممّا قريب ، وإنّ شئت دعونا للخلاص ، ولن يصل المنصور إلى درجته تلك في جهنّم ؛ قال : بل نصبر .

فلم تمض سوى أيام ثلاثة حتّى أسلم الروح في سجنه ، وفاز بالراحة وكان عليّ بن الحسن في حال السجود حين قضى ، وظنّ عبد الله أنّ النوم غلبه فقال : يا بن أخي ، أفق ، فلم يجب ، فلمّا حرّكوه ولم يبق عرفوا أنّه مات ، وكانت وفاته في السادس والعشرين من المحرم سنة ست وأربعين ومئة ، وكان عمره الشريف خمساً وأربعين سنة .

يروي بعض سادة بني الحسن ممّن كانوا معه في سجنه ، قالوا : تركونا في القيود أشهراً كاملة ، وكانت حلقات قيودنا واسعة ، فكُنّا إذا دخلت الصلاة ، أو إذا أردنا النوم ، أخرجنا أقدامنا من القيود ، فإذا حضر السجّانون سارعنا فأنخّذنا وضعنا السابق خوفاً منهم ؛ أمّا علي بن الحسن فكان يبقى في قيوده باستمرار ، فقال له عمّه ذات يوم : ماذا يبعثك على إبقاء القيد حول قدميك ، فلا تفعل كما نفعل ؟ قال : والله لا أخرجهما من القيد حتى أفسق الدنيا على هذه الحال ، ويجمع الله بيني وبين المنصور في محضره القدسيّ فأسأله لماذا قيّدني .

وإجمالاً ، فعليّ بن الحسن أعقب خمسة ذكور وأربع إناث ، وقد وردت أسماؤهم كالآتي : محمّد ، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، والحسن ، والحسين ، ورقية ، وفاطمة ، وأمّ كلثوم ، وأمّ الحسن .

أمّهم زينب بنت عبد الله المحض ، وكان يقال عنها وعن زوجها عليّ بن الحسن :

الزوجان الصالحان ، لما تميّزا به من العبادة والصلاح ، ولما قتل المنصور أباهما وإخوتها وعمّها وأبناء عمّها وزوجها لبست ثياباً رثة بقيت فيها حتى فارقت الحياة ، وكانت لا تنقطع عن الندب والبكاء ، وهي لم تلعن المنصور قط ، لئلا تشفي نفسها منه ، فينقص ثوابها ، إلا أنها كانت تقول :

« يا فاطر السماوات والأرض ، يا عالم الغيب والشهادة والحاكم بين عباده ، احكم بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الحاكمين » .

محمد وعبد الله توفياً في حياة أبيهما ، وأنجب عبد الرحمن بنتاً اسمها رقية ، أما الحسن فكان معروفاً بالكفوف ، وقد أعقب ، ولم يكن أبناء الحسن المثلث إلا منه .

أما الحسين بن عليّ شهيد فخّ فكان ذا فضل وجلال عظيمين ، وقد تركت مصيبته أكبر الأثر في قلوب محبيه .

وفتح اسم موضع على بعد فرسخ من مكة ، وهناك استشهد الحسين مع أهل بيته .

وعن أبي نصر البخاري عن الإمام الجواد (عليه السلام) أنه قال :

« لم يكن لنا بعد الطغ مصرع اعظم من فخّ » .

وعن أبي الفرج بسنده عن أبي جعفر محمد بن عليّ (عليه السلام) أنه قال : مرّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بفخّ فصلّى ركعة ، فلما صلى الثانية بكى وهو في الصلاة ، فلما رأى الناس النبيّ يبكي بكوا ، فلما انصرف قال : ما يبكيكم ، ؟ قالوا : لما رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله ، قال : نزل عليّ جبرئيل لما صليت الركعة الأولى فقال لي : يا محمد ، إن رجلاً من ولدك يُقتل في هذا المكان ، وأجر الشهيد معه أجر شهيدين .

ويروي عن النصر بن فرداش (قرواش) قال : أكرت جعفر بن محمد (عليه السلام) من المدينة ، فلما رحلنا من بطن مرّ (اسم موضع) قال لي : يا نصر ، إذا انتهيت إلى فخّ فأعلمني ، قلت : أولست تعرفه ؟ قال : بلى ، ولكن أخشى أن تغلبي عيني ، فلما انتهينا إلى فخّ دنوت من المحمل فإذا هو نائم ، فتحنّحت فلم يتنبه ، فحرّكت المحمل فجلس فقلت : قد بلغت ، قال : حلّ محملي ، ثم قال : صلب القطار فوصلته ، ثم تنحّيت به عن الجادة فأنخت بعيره فقال : ناولني الإداوة^(١) والركوة ، فتوصّأ وصلى ، ثم ركب ، فقلت له : جعلت فداك ، رايتك قد صنعت شيئاً ، أفهو من مناسك الحجّ ، قال : لا ، ولكن يُقتل ههنا رجل من أهل بيتي في عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة .

(١) الإداوة : إناء صغير من جلد ، وكذلك الركوة (المنجد) .

كان الحسين بن علي رجلاً جليلاً القدر ، سخي الطبع ، وقصص جوده وسخائه معروفة .

يروى عن الحسن بن هذيل أنه قال : كان للحسين بن علي بستان باعه بأربعين ألف دينار ذهباً ، وطرح المال عند باب بيته ، وراح يعطي منها شيئاً فشيئاً حتى أذهب به إلى فقراء أهل المدينة ، حتى ورّع المال جميعه دون أن يدخل بيته حبة واحدة منه .

ويروى أيضاً أن سائلاً سأله شيئاً ، ولم يكن عنده ما يعطيه فقال له : اجلس ريثما أجد لك شيئاً ، ثم بعث إلى أهل بيته أن أخرجوا ما عندي من ثياب لغسلها ، فلما أخرجوها له جمعها وأعطاهما للسائل .

شرح موقعة فنج

أما كيفية مقتله ، وبإيجاز ، فهي أن موسى الهادي العباسي ولّى المدينة إسحاق بن عيسى بن علي ، فاستخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز بن عبد الله ، فحمل على الطالبين وأساء إليهم ، وطالبهم بالعرض كل يوم أمامه في قصره ، كما جعل كلأ منهم كفيلاً للآخر ، وضمن له الحسين بن علي ، ويحيى بن عبد الله المحض ، والحسن بن محمد بن عبد الله المحض ، ضمنوا أن يحضروا له كل من أرادهم منهم .

وكان هذا إلى أن وافى أوائل الحجاج ، وقدم منهم نحو من سبعين رجلاً من بلادهم ، ونزلوا في منزل ابن أفلح في البقيع ، وكانوا يلقون الحسين بن علي وغيره من العلويين باستمرار ، فبلغ ذلك العمري فساءه ، وكان قبل ذلك قد استدعى الحسن بن محمد بن عبد الله مع ابن جندب الهذلي الشاعر ، وغلّام لال الخطاب ، وكان قد بلغه أنهم شربوا الخمر ، فأقام عليهم حدّ الخمر ، فجلد الحسن ثمانين جلدة ، أو مئتي جلدة برواية ابن الأثير ، وجلد ابن جندب خمس عشرة جلدة ، وغلّام آل الخطاب سبع جلدات ! ثم أمر بهم فجعل في أعناقهم حبال ، وطيف بهم المدينة شهيراً .

ثم إن العمري أغلظ عليهم أمر العرض ، فولّى عليهم أبا بكر بن عيسى الحائلك ، فأحضرهم للعرض يوم الجمعة ، ولم يأذن لهم بالعودة إلى بيوتهم حتى دخل وقت الصلاة ، ثم عاد فاستدعاهم بعد الصلاة وجمعهم في مقصورته حتى صلاة العصر ، واقتد الحسن بن محمد فلم يكن بينهم ، فسأل عنه كفيليه : الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله بن الحسن ، وأغلظ لهما القول مهتداً بحبسهما ، فما كان من يحيى إلا أن شتمه وخرج من عنده ، فأخبر ابن الحائلك العمري بما جرى فاستدعاهما إليه وهذدهما ، وغلّظ عليهما بالكلام ، وبعد أخذ وردّ قال لهما : لا بد أن تأتياي بالحسن بن محمد وإلا أمرت بتخريب السويقة أو إحراقها ، كما هذد بجلد

الحسين بن عليّ ألف جلدة ، وضرب عنق الحسن بن محمد ؛ فحلف له يحيى ألا ينাম حتى يأتيه به أو يضرب عليه باب داره ؛ فلما خرجا قال له الحسين : سبحان الله ، ما دعاك إلى هذا ؟ ومن أين نجد حسناً ؟ حلفت له بشيء لا تقدر عليه ! قال : إنما حلفت لا تمت حتى أضرب عليه باب داره ، ولكن بالسيف ، فأضرب عنقه ؛ قال الحسين : نكسر بهذا ما تواعدنا عليه مع أصحابنا ، فلم يحن أو أن خرجنا .

وراح الحسين يطلب حسناً فلقبه وروى له واقع الحال ، وطلب منه الاختفاء كي لا تصل يد هذا الفاسق إليه ، فقال الحسن : لا والله ، ما كنت لأدعكما تشقيان بسببي وأبتعد أنا ، ولا بد أن أكون معكما ، فقال الحسين : لن نرضى أن ينزل العمريّ الأذية بك ، ويكون رسول الله (صلى الله عليه وآله) خصمنا يوم القيامة ، فأرواحنا لك الفداء .

ثم بعث الحسين بطلب يحيى وسليمان وإدريس بن عبد الله المحض ، وعبد الله بن الحسن بن عليّ بن الحسين المعروف بالأفطس ، وإبراهيم بن إسماعيل طبا وطبا وعمر ابن أخيه الحسن ، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم الغمر ، وعبد الله بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، والعديد من فتيانهم ومواليهم ، حتى اجتمع إليه ستة وعشرون رجلاً من أبناء عليّ (عليه السلام) وعشرة من الخاّج ، وجماعة من الموالي .

فلما أذن المؤذن الصبح صعد عبد الله الأفطس المنارة ، وجبر المؤذن على قول « حي على خير العمل » فقاها تحت تهديد السيف ، فلما سمعها العمريّ أحسّ بوقوع الشرّ ودهش ، ثم طلب بغلته ومضى هارباً على وجهه ، يسمي ويضطرّ من خوفه حتى نجا ، وصلى الحسين بالناس الصبح ، ثم أحضر الحسن بن محمّد وشهوداً ممن عيّنهم العمريّ وطلب إليهم إحضار العمريّ لعرض الحسن عليه .

وإجمالاً فقد حضر جميع العلويّين هذا الحدث عدا الحسن بن جعفر بن الحسن المثنى والإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ، فلما انصرف الحسين من الصلاة صعد المنبر وخطب في الناس يحرضهم على الجهاد ، وإذ ذاك أقبل كما البريدي (حماد البريري) وكان مسلحة للسلطان بالمدينة ومعه أصحابه حتى وافوا باب جبرئيل ، فقصده يحيى بن عبد الله وفي يده السيف ، فأراد حماد أن ينزل فبدره يحيى فضربه على جبينه وعليه البيضة والمغفر والقنسوة فقطع ذلك كلّهُ وأطار قحف رأسه ، وسقط عن دابّته ، وحمل على أصحابه ففترقوا وانهمزوا .

وحجّ في تلك السنة جماعة من العباسيّين كالعبّاس بن محمّد ، وسليمان بن أبي جعفر الدوانيقيّ ، وجعفر ومحمّد ابني سليمان ، وموسى بن عيسى ابن عمّ والدوانيقيّ في جمع مسلّح كبير وعرجوا نحو مكّة ، وقد تولّى موسى الهادي ومحمّد بن سليمان أمر العسكر ، وخرج الحسين بن عليّ قاصداً إلى مكّة ومعه من تبعه من أهله وأصحابه ومواليه ، وهم زهاء ثلاثمئة

رجل ، يريدون الحج ، فلما صار بفُخْ تلقَّتهم ، عساكر العباسيين ، فعرض العباس على الحسين الأمان والعفو والصلة فأبى ذلك أشد الإباء وطلب الناس إلى بيعته .

وهكذا فات أوان الصلح والسلم ، وحان أوان القتال ، واصطفَّ الطرفان صباح يوم التروية ، فكان محمد بن سليمان على ميمنة الجند ، وموسى على الميسرة ، وسليمان والعباس في القلب .

وكان أول من بدأهم موسى ، فحملوا عليه ، فتراجع أمامهم شيئاً ، فتعقبوه حتى انحدروا في الوادي ، وحمل عليهم محمد بن سليمان من خلفهم فطحنهم طحنة واحدة ، حتى قتل أكثر أصحاب الحسين ، وقاتل يحيى كالأسد المصور حتى قتل سليمان بن عبد الله المحض ، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم الغمر وأصابته الحسنة بن محمد نصابة في عينه فتركها وجعل يقاتل أشد القتال حتى ناداه محمد بن سليمان يقول : يا ابن الخال ، لك الأمان فلا تود بنفسك قال الحسن : والله إنك لتكذب ، لكني أقبل أمانك ، ثم كسر سيفه وقدم إليهم ؛ فقال العباس لابنه : قتلك الله إن لم تقتل حسناً ، كما حرص موسى بن عيسى على قتله ، فضرب عبد الله عنقه ، أو موسى بن عيسى على قول .

يروى شخص حضر واقعة فُخْ فيقول : رأيت الحسين بن علي أثناء القتال وقد جلس على الأرض ودفن شيئاً في التراب ، ثم عاد إلى القتال ، فظننت أنه دفن شيئاً ذا قيمة بمحوص كي لا يناله العباسيون بعد مقتله ، فترسيت حتى إذا توقف القتال جثت أتفحص ما دفنه ، فلما بلغت الموضع وكشفت عنه التراب رأيت قطعة من جانب وجهه ، كان قد قُطعت فذفنها .

ثم إن حماداً التركي ، وكان في صفوف العباسيين ، صاح في الناس ، أين الحسين بن علي ، فلما بدا له عاجله بهم فقتله ، فكافأه محمد بن سليمان بمئة ثوب ، ومئة ألف درهم ، وانهمز جيش الحسين ، وجرح بعض وأسر آخرون ، وجاء الجند برؤوس الشهداء وكانت تزيد على المئة إلى موسى ، ومعهم الأسرى ، فأمر بالأسرى فضربت أعناقهم ، ثم وضعوا أمامه رأس الحسين فقال : كأنما جثتموني برأس طاغوت من الطواغيت ، إن أقل جزاء لكم هو أن أحرمكم العطاء .

يروى أبو الفرج عن إبراهيم القطان أنه قال : سمعت الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله يقولان : ما خرجنا إلا بعد أن استشرنا مع أهل بيتنا موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، فأمرنا بالخروج .

وروي أن محمد بن سليمان لما حضرته الوفاة جعل الحاضرون يلقنونه الشهادة وهو يقول :

ألا ليت أُمِّي لم تلدني ولم أكن لقيت حسينا يوم فُخْ ولا الحسن فجعل يردّها حتى مات .

وكانت واقعة فُخْ سنة تسع وستين بعد المئة ، وقد رثى أصحاب فُخْ كثير من الشعراء ، وقد سُمع على مياه غطفان ليلة المقتل هاتف يقول :

ألا يا قوم للسواد المصْبَح ومقتل أولاد النبي ببِلَدح
ليبك حسينا كلّ كهْلٍ وأمرِدٍ من الجنّ إن لم يبك من إنسٍ نَوْحٍ
وإني لجنّي وإن معرسي لبالبقة السوداء من دون زحزح

فسمعها الناس لا يدرون ما الخبر حتى أتاهم قتل الحسين فعرفوا أنّ طائفة من الجنّ كانت ترثيه .

هذا وكان مع الحسين بن عليّ من الطالبين في وقعة فُخْ : يحيى وسليمان وإدريس بن عبد الله المحض ، وعليّ بن إبراهيم بن الحسن ، وإبراهيم بن إسماعيل طباطبا ، والحسن بن عمّاد بن عبد الله المحض ، وعبد الله وعمر ابنا إسحاق بن الحسن بن عليّ بن الحسين ، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن المثنى ، طبق ما نقله أبو الفرج عن المدائني .

ويرواية المسعودي أن أجساد شهداء فُخْ بقيت مطروحة على الأرض ثلاثة أيام لم يدفنها أحد حتى تناهبتها الطيور والوحوش المفترسة .

ذكر أحوال جعفر بن الحسن المثنى وأحوال أبنائه : أبو الحسن جعفر بن الحسن كان سيّداً ذليق اللسان طليق ، وكان يعدّ من خطباء بني هاشم ، وهو أكبر إخوته ، حبسه المنصور ثم أطلقه ليعود إلى المدينة ، وتوفّي عن سبعين عاماً ، وأعقب أربعة أبناء وست بنات هم : عبد الله ، والقاسم ، وإبراهيم ، والحسن ، وفاطمة ، ورقية ، وزينب ، وأمّ الحسن ، وأمّ الحسين ، وأمّ القاسم .

أمّا عبد الله والقاسم فبقيا بلا عقب ، وأمّا إبراهيم فأمه أمّ ولد من رومية ، ومن أحفاده عبد الله بن جعفر بن إبراهيم ، وأمه أمنة بنت عبيد الله بن الحسين الأصغر بن عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ، وقد سافر عبد الله هذا إلى فارس أيام خلافة المأمون ، وبينما كان نائماً في ظلّ شجرة عدا عليه جماعة من الخوارج فقتلوه ، ولم يخلف سوى بنت عقد عليها محمد بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين الأصغر ، وتوفّي في بيته ، وانقرض نسل إبراهيم بن جعفر .

أمّا الحسن بن جعفر فهو الذي تخلف عن واقعة فُخْ ، وأنجب بضع إناث وخمسة ذكور هم : سليمان ، وإبراهيم ، ومحمد ، وعبد الله ، وجعفر ؛ ومن بناته فاطمة الكبرى المعروفة

بأَمِّ جعفر ، وقد تزوج منها عمر بن عبد الله بن محمد بن عمران بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وقد توفي سليمان وإبراهيم في حياة أبيهما ، ومحمد كان معروفاً بالسيلق وأمه مليكة بنت الحسن بن داود بن الحسن الثني ، وأعقب ابنة وذكرين هم :

عائشة ومحمد وعلي ، وعلي كان يعرف بابن المحدث ، وأنجب سبعة أبناء ، وتفرق أحفاده في البلاد ، بعضهم في راوند ، وآخرون في همدان ، وسكنت مجموعة في قزوين ومراغة ، ومنهم في راوند كاشان العالم الفاضل الكامل الأديب المحدث المصنف ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن علي بن الحسين بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن محمد السيلق ، صاحب (ضوء الشهاب) ، تلميذ أبي علي بن شيخ الطائفة .

أما عبد الله بن الحسن بن جعفر فأعقب أربعة أبناء هم : محمد ، وجعفر ، والحسن ، وعبد الله ، وكانت أمهم امرأة علوية ، وأعقب محمد ابناً اسمه علي ، ولقب بالباغر ، ذلك أنه تصارع مع باغر - مولى المتوكل العباسي ، وكان رجلاً قوياً شهر السيف على المتوكل وقتله - فتغلب عليه ، فتعجب الناس ولقبوا السيد بالباغر ، وكان أبناؤه كثيرين ؛ وأما أخو محمد عبد الله فكان أميراً جليلاً ، ولآه المأمون الكوفة .

يقول أبو نصر البخاري ، كان في كاشان ونيشابور عدد كثير من أبناء عبد الله (١) ، أما جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن الثني فأعقب سبعة أبناء وثلاث بنات وحمل كل من الذكور اسم محمد ، ولكل منهم كنية كالآتي : أبو الفضل محمد ، وأبو الحسن محمد ، وأبو أحمد محمد ، وأبو جعفر محمد ، وأبو علي محمد ، وأبو الحسين محمد ، وأبو العباس محمد ؛ أما أسماء الإناث : ففاطمة ، وزينب ، وأم محمد .

خرج أبو الفضل محمد أيام المستعين بالكوفة ، وخدعه ابن الطاهر بتوليته الكوفة حتى أخذه ، ثم قصد إلى سر من رأى فحبسه حتى مات في محبسه ، وكان أبناؤه كثيراً ، وتولوا الإمامة في بغداد .

وأما أبو الحسن محمد فيقال له أبو قيراط ، وأبناؤه أيضاً كانوا كثيراً ، ومن أحفاده أبو

(١) اعلم أن من أحفاد عبد الله الأمير : السيد أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن الحزمة بن محمد بن عبد الله بن أبي الحسن عبد الله الأمير بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ، المعروف بابن الشجري النحوي ، صاحب تصنيفات في النحو وغيره كـ (شرح اللمع) و (الأمالي) و (الحاشية) توفي سنة اثنتين وأربعين ومئتين ، ودفن في بيته في الكرخ ببغداد ، وضوان الله عليه .

الحسن محمد بن جعفر نقيب الطالبين في بغداد ، ولقب بأبي قيراط .

وأما أبو أحمد وأبو جعفر وأبو العباس فكانوا بلا عقب ، بينها أعقب أبو علي وأبو الحسين .

ذكر أحوال داود بن الحسن المثنى وأحوال أبنائه : داود بن الحسن كنيته أبو سليمان ، وقد ولي صدقات أمير المؤمنين (عليه السلام) من قبل أخيه عبد الله المحض . وقد سجنه المنصور أيضاً ، جاءت أمه إلى الإمام الصادق (عليه السلام) وشكت ، فعلمها (عليه السلام) دعاء الاستفتاح المعروف بدعاء أم داود ، وكانت أم داود ، نسيّة فنسيت ما علمها إياه ، ثم تذكرته في منتصف رجب فكان سبب خلاص ولدها ، وصار داود إلى المدينة وتوفي فيها ، وكان في الستين من عمره .

أعقب داود ولدين ويتثن هم : عبد الله ، وسليمان ، ومليكة ، وحماة ، وأمهم أم كلثوم بنت الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، تزوجت مليكة من ابن عمها الحسن بن جعفر بن الحسن المثنى .

أما عبد الله فأنجب ولدين أحدهما : محمد الأزرق ، وهو رجل فاضل زاهد ، أنجب وانقرض أبنائه ، والآخر : علي ويقال له ، ابن الحمديّة ، توفي في سجن الخليفة المهديّ ، وأنجب أبناء منهم : سليمان ، وكان رجلاً مجيداً عظيماً .

وأما سليمان بن داود فأنجب ابناً اسمه محمد ، وقد خرج في المدينة في أيام أبي السرايا ، ويقال إنه قُتل ، وقد أعقب ثمانية أبناء ذكوراً وإناثاً هم : سليمان وموسى ، وداود ، وإسحاق ، والحسن ، وفاطمة ، ومليكة ، وكلثم ، وأنجبوا ذرية كثيرة ، والحسن هو جد طائوس أبو قبيلة آل طائوس ، ويجدر بنا هنا أن نتحدث عن آل طائوس .

ذكر نسب طائوس وآله ، ونبذة عن أحوالهم : الطائوس هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) ، ولقب بالطائوس لحسن وجهه ولطف شملته ، وقد عاش أبنائه جميعاً في العراق ، ومنهم : السيّد العالم الزاهد المصنّف جليل القدر جمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد الطائوس صاحب كتاب (البشرى) و (الملاد) وغيرهما ، وأخوه هو السيّد الزاهد العالم صاحب الكرامات نقيب النقباء رضيّ الدين علي بن موسى ، وأمه هي ابنة الشيخ الزاهد الأمير ورّام^(١) ابن أبي فراس ، ومن هنا جاء قول الشاعر :

(١) وكان الأمير ورّام ينتهي نسبه الشريف إلى مالك الأشتر النخعي صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وله كتاب (تنبيه الخاطر وتنزيه الناظر) ، قرأ على سديد الدين عمود الحمصي بالخلة .

وَرَامَ جَدَّهُمْ لِأَتَمِّهِمْ وَعَمَّدَ لِأَبِيهِمْ جَدُّ

وإجمالاً ، فبنو طاوس هم بين العلماء مجموعة ، ومن أفاضل آل طاوس وأشهرهم السيّد الأجلّ رضيّ الدين عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد ، وهو المراد باسم ابن طاوس الذي يطلقونه في كتب الأدعية والزيارات والفضائل .

والثاني : أخوه العالم الجليل جمال الدين أحمد الذي يعدّ في علمي الفقه والرجال وحيد عصره وهو المراد باسم ابن طاوس الذي يطلقونه في كتب الفقه والرجال .

والثالث : هو ابن جمال الدين أحمد ، السيّد النبيل عبد الكريم صاحب كتاب (فرحة الغرّي) والذي هو من أجلة العلماء ووحيد زمانه في الحفظ وجودة الفهم .

والرابع : ابن عبد الكريم رضيّ الدين أبو القاسم عليّ بن عبد الكريم .

الخامس : السيّد رضيّ الدين عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد ، صاحب كتاب (زوائد الفوائد) الذي شارك أباه الأجدد بالاسم والكنية ، كما يطلقون أحياناً (ابن طاوس) أيضاً على أخيه السيّد جلال الدين محمّد الذي صنّف له أبوه الأجدد كتاب (كشف المحجّة) .

يقول صاحب كتاب (ناسخ التواريخ) في ذيل أحوال آل طاوس : إنهم بلغوا الكمال في جلالة القدر ، أراد الخليفة الناصر تفويض نقابة الطالبين إلى رضيّ الدين لكنّه طلب إعفاءه بسبب اشتغاله بالعبادة والعلم ، وعندما تمت الغلبة له ولاكو على بغداد وقتل المستعصم هبطت نقابة الطالبين على السيّد رضيّ الدين ، فأراد التماس الاستعفاء ، لكنّ الخواجة نصير الدين منعه ، فخشي رضيّ الدين إن هو أعرض عنها أن تغدو بيد هولاءكو نافهة لا قيمة لها ، فقبلها مكرهاً .

له مصنّفات مفيدة مثل كتاب (مهج الدعوات) و(تنبّهات مصباح المتجهد) و(مهجّات صلاح المتعبّد) و(اللهوف على قتل الطفوف) .

وكان مستجاب الدعوة ، ووردت أخبار كثيرة على صدق ذلك ، ويقال إنّه كان يعرف الاسم الأعظم ، وقال لأبنائه : ما أكثر ما استخرتُ على أن أعلمكم فلم يؤذن لي ، ذلك أنه مكتوب عليكم في كتبي أن تبلغوا الإدراك بالمطالعة .

أمّا السيّد جمال الدين أحمد فقد أنجب ولداً اسمه عبد الكريم غياث الدين ، والسيّد العالم جليل القدر ، كانت له مكانة مرموقة عند الخاصّ والعامّ ، ومن مصنّفات كتاب (الشمل المنظوم في أسناء مصنّفي العلوم) ، وعدا هذا الكتاب كانت مكتبته تضمّ عشرة آلاف مجلّد من الكتب النفيسة .

أما النقيب رضي الله عليّ بن موسى فقد انجب ولدين أحدهما : عمّد الملقّب بصفيّ الدين ، والمعروف بالمصطفى ، والآخر ؛ عليّ الملقّب برضيّ الدين ، والمعروف بالمرتضى ، وكان صفيّ الدين رجلاً قديراً ، لكنّه توفيّ بلا عقب وانقرض .

ولي رضيّ الدين عليّ منصب نقيب النقباء بعد أبيه ، أنجب ابنة تزوّجت من الشيخ بدر الدين المعروف بشيخ المشايخ ، وأنجبت له ابناً اسمه قوام الدين ، وكان لا يزال طفلاً عندما فارق أبوه الحياة ، وطلبه السلطان سعيد أوجايغو ، وكان يجلسه على فخذه ويحضنه بسعادة ، وفي طفولته تلك صار نقيب النقباء مكان أبيه .

أما رضيّ الدين عليّ بن عليّ بن موسى فقد رزق ابنة تزوّجت من فخر الدين محمد بن كتيلة الحسيني ، وأنجبت ولداً سمّوه عليّاً الهادي ، توفيّ بلا عقب في حياة أبيه وأمه .

وأعقب قوام الدين ولدين أحدهما عبد الله المكنّى بابي بكر والملقّب بنجم الدين ، والآخر عمر ؛ أما نجم الدين فولد نقابة بغداد والحلّة وسراً من رأى ، وصار يُعرف بعد أبيه بنقيب النقباء ، لكنّه كان رجلاً ضعيفاً ، فبعض أموال أسرته بدّدها قوام الدين هدرًا ، وما بقي منها أتلفه نجم الدين ، وتوفيّ سنة خمس وسبعين وسبعمئة من الهجرة ، وولي أخوه النقابة مكانه .

ومن بني طاوس العراق السيّد مجد الدين ، صاحب كتاب (البشارة) وفيه ذكر أخبار وآثار كغلبة المغول على البلاد ، والتذكير بانقراض دولة بغداد ؛ ولما اقترّب هولاكو من بغداد خرج مجد الدين مع مجموعة من سادة الحلّة وعلمائها لاستقباله ، وأطلعوه على ذلك الكتاب ، واعتبره هولاكو عظيم العظمة ، وكتب كتاب أمان للحلّة والمشهدين وتلك النواحي ، ولما بلغ بغداد أمر بأن ينادي المناادي أنّ كلّ من هو من أهل الحلّة وأعمالها يمكنه الخروج بسلام ، وأخذت تلك الجماعة طريق عودتها دون مشقّة .

غير أنّ الشيخ الحليل الحسن بن سليمان الحلّي تلميذ الشهيد الأول ينسب - في كتاب (منتخب البصائر) - كتاب (البشارة) إلى السيّد عليّ بن طاوس ، والله تعالى هو العالم .

خاتمة في ذكر مقتل عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ومقتل ولديه عمّد وإبراهيم ، وفاء بما وعدناه عند تعداد أبناء الإمام الحسن (عليه السلام) : لا يخفى أنّه لما قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأنجّه حكم بني أميّة نحو الضعف والزوال ، اجتمع رهط من بني العبّاس وبني هاشم في الأبواء ، وفيهم : أبو جعفر المنصور ، وأخوه السفّاح ، وإبراهيم بن محمّد ، وعمّه صالح بن عليّ ، وعبد الله

المحض^(١) ، وولده محمد وإبراهيم ، وأخوه محمد الديباج ، وغيرهم ؛ اجتمعوا في الأبواء ، وتوافقوا على مبايعة ابني عبد الله المحض ، وإسناد الخلافة لأحدهما ، واختاروا من بينهما محمد بن عبد الله على أنه المهدي كما زعموا ، وأنه من أهل بيت الرسالة ، بعد أن بلغ اسمهم أن مهدي آل محمد اسمه اسم النبي (صلى الله عليه وآله) وأنه يملك الأرض ويملا العالم شرقه وغربه قسماً وعدلاً بعد أن يلى ظلماً وجوراً ، فلا غرو أنهم مذوا أيديهم إلى محمد وبايعوه ، ثم بعثوا يستدعون عبد الله بن محمد بن عمر بن علي (عليه السلام) ، والإمام الصادق (عليه السلام) ؛ لكن عبد الله المحض قال : إن طلبكم للإمام الصادق (عليه السلام) لا فائدة له ، ذلك أنه لا يرى الصواب فيما ترون ، فلما قدم (عليه السلام) إليهم أوسع له عبد الله مكاناً إلى جانبه وأطلعته على واقع الحال ، فقال (عليه السلام) : « لا تفعلوا ، فإن هذا الأمر لم يأت بعد ، إن كنت ترى أن ابنك هذا هو المهدي فليس به ، ولا هذا أوانه ، وإن كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن النكر ، فإننا والله لا ندعك وأنت شيخنا ونبايك ابنك في هذا الأمر » .

فغضب عبد الله بن الحسن وقال : لقد علمت خلاف ما تقول ، والله ما أطلعك على غيبه ، ولكن يملكك على هذا الحسد لابني ، فقال : « ما والله ذاك يمحلي ، ولكن هذا وإخوته ، وأبناؤه دونكم » ، وضرب بيده على ظهر أبي العباس (السفاح) ثم ضرب على كتف عبد الله بن الحسن وقال : « إنما والله ما هي إليك ولا إلى ابنك ، ولكنها لهم ، وإن ابنك لمقتولان » .

ثم نهض فتوكل على يد عبد العزيز بن عمران الزهري وخرج ، ثم قال لعبد العزيز : أنرى صاحب الرداء الأصفر ؟ (يعني أبا جعفر) فقال له : نعم ، قال : إنا والله نجده يقتله . (يعني أن أبا جعفر المنصور سيقتل عبد الله) . قال عبد العزيز : وهل سيقتل محمد أيضاً ؟ قال : نعم .

قال : فقلت في نفسي : حسده ورب الكعبة ثم قال : والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيته قتلها .

قال : فلما قال جعفر (عليه السلام) ذلك ، ونهض القوم وافترقوا ، تبعه عبد الصمد وأبو جعفر فقالا : يا أبا عبد الله ، أتقول هذا ؟ قال : « نعم أقوله والله ، وأعلمه » .

عرف بنو العباس صحة كلامه وثبوته ، وعقدوا النية من يومهم ذاك على الفوز بالحكم ،

(١) عبد الله المحض هو ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليها السلام) وأنه فاطمة بنت سيد الشهداء (عليه السلام) كما تقدم .

وراحوا يعدّون لذلك عدّتهم حتى أدركوه .

روى شيخنا المفيد عن عتبة بن بجاد العابد قال : كان جعفر بن محمد (عليه السلام) إذا رأى محمداً بن عبد الله بن الحسن تغرغرت عيناه ، ثم يقول : « بنفسي هو ، إنّ الناس ليقولون فيه ، وإنّه لمقتول ، ليس هو في كتاب عليّ من خلفاء هذه الأئمة » .

يقول المؤلف : رغم أنّه يظهر من تحسّاط عبد الله المحض مع الإمام الصادق (عليه السلام) سوء رأي عبد الله ، لكنّه وردت أخبار كثيرة في مدحهم ، كما يجب القول : إنّ الإمام الصادق (عليه السلام) بكى كثيراً عليهم لما خرجوا بهم أسارى من المدينة إلى الكوفة ، ولعن الأنصار ، ثم دخل بيته فحمّ عشرين ليلة لم يزل يبكي فيها الليل والنهار .

ثم كتابته (عليه السلام) معزياً عبد الله وأهل بيته ، والتي عبّر فيها عن عبد الله بن الحسن بالعبد الصالح ، والدعاء له وبني عمّه بالسعادة ، هذه التعزية التي أوردها السيّد ابن طائوس في (الإقبال) وقال : هذا يدلّ على أن الجماعة كانوا عند الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) معذّورين ومظلومين ومدوحين ، وبحقّه عارفين .

وقال أيضاً : وقد يوجد في الكتب أنّهم كانوا للصادق (عليه السلام) مفارقين ، وذلك محمول على التقيّة لثلاث ينسب خروجهم - للنهي عن المنكر - إلى الأئمة الطاهرين .

ومما يدلّ عليه ما رواه خلّاد بن عمير الكندي قال : دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال : هل لكم علم بأل الحسن الذين أخرجهم المنصور من المدينة ؟ قال : وكان اتّصل بنا عنهم أنّهم استشهدوا فلم نحبّ أن نبدها بخبرهم ، فقلنا : نرجو أن يعافيه الله ، فقال : وأين هم من العافية ؟ ثمّ بكى (عليه السلام) حتى علا صوته وبكىنا .

ثم قال : حدّثني أبي عن فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) قالت : سمعت أبي صلوات الله عليه يقول : يقتل منك (أي من ولدك) أو يصاب منك نعر بشطّ الفرات ما سبقهم الأوّلون ، ولا يدرّكهم الآخرون .

ثم قال الصادق (عليه السلام) : « إنّّه لم يبق من ولدها غيرهم » . وهذا مصداق الحديث ، فلا غرو أنّهم المقتولون بشطّ الفرات .

ثم أورد السيّد ابن طائوس طرفاً من أخبارهم وعن جلالة قدرهم ، ميّناً أنّهم لم يكونوا يعتقدون أنّ مهديّهم هو المهديّ الموعود (عليه السلام) .

ومن شاء المزيد فليرجع إلى أعمال شهر المحرمّ في (إقبال الأعمال) .

وإجمالاً ، فإنّ محمداً وإبراهيم ابني عبد الله عاشا في هوى الخلافة والإعداد لها ، فلمّا آل

أمر الخلافة إلى أبي العباس السفاح فرأى وتوارى عن الناس ، وكان السفاح يُجِلُّ عبد الله المحض ويكرمه .

يقول السبط بن الجوزي : قال عبد الله لابن العباس يوماً : لم يتفق لي قط أن رأيت ألف درهم مجتمعة عندي ، فقال له : الآن سترها ، ثم أمر له بألف ألف درهم .

ويروي أبو الفرج أنه لما نسّم السفاح سدة الخلافة وقد عليه عبد الله وأخوه الحسن المثلث ، فأكرمها وأجزل لها العطاء ، ورعاها ، وزاد في إكرام عبد الله ؛ غير أنه كان يسأل عبد الله عن ولديه محمد وإبراهيم ، وأين يكونان ؟ ولماذا لا يقدمان عليه ؟ فيقول عبد الله : لا يبعثها على الاستتار أمر فيه كره للخليفة ؛ وكان أبو العباس لا يفتأ يعيد تسأله ويكرره ، الأمر الذي نفّص على عبد الله عيشه ، حتى كان يوم قال أبو العباس لعبد الله : لقد أخفيت ولديك يا عبد الله ، ولا بد أن يكون القتل مصيرهما .

رجع عبد الله إلى بيته كئيباً حزيناً ، فلما رأى الحسن المثلث (جاء اسم إبراهيم الغمر مكان الحسن في عمدة الطالب) أثار الحزن على أخيه قال : ما يحزنك يا أخي ؟ فروى له مطالبة السفاح بولديه ، فقال : إن سألك عنها هذه المرة قتل : الخبر عنهما عند عمهما ، وأنا كفيل بإسكانه .

فلما عاود العباس الحديث عنها ذات يوم أخبره أن الخبر اليقين عنها إنما هو عند عمهما ؛ فترى أبو العباس ، حتى إذا كان عبد الله يوماً خارج بيته أرسل وراء الحسن المثلث وسأله عنها ، فقال :

أيها الأمير ، أأحدثك حديث الرعية مع السلطان ، أم حديث رجل مع ابن عمه ؟ قال : بل حديث رجل مع ابن عمه ، قال الحسن : أيها الأمير ، لو شاء الله أنت تكون الخلافة من نصيب محمد وإبراهيم ، أيتكون في مقدورك ومقدور المخلوقات في السماء والأرض دفعهما عن ذلك ؟ قال : لا والله ؛ قال الحسن : فلو لم يشأ الله ، هل في مقدور أهل السماء والأرض مجتمعين ضمان الأمر لهما ؟ قال : لا والله ؛ قال : فلماذا إذاً تطالب هذا الشيخ المسن بهما ، وتنقص عليه ما تنعم به عليه ؟ قال أبو العباس : لن أذكر اسميهما بعد اليوم قط .

ولم يأت على ذكرهما طيلة حياته ، ثم إنّه أمر عبد الله بالرجوع إلى المدينة ، وسار الأمر على ذلك حتى موت السفاح ، وانتقال الخلافة إلى المنصور ؛ الذي عزم - لحب طيبته ودناءة فطرته - على قتل محمد وإبراهيم ، وفي سنة أربعين ومئة قصد الحج ، وجعل رجوعه عن طريق المدينة ، فلما بلغها طلب عبد الله وسأله عن ولديه ، فقال : لا أعلم لي بمكانها ، فشمته وأغلظ له القول ، وأمر به فسجن في بيت مروان ، وكان سجّانه رياح بن عثمان ، وبعد عبد الله

أمسكوا بجماعة من آل أبي طالب واحداً إثر الآخر ، وأودعهم السجن ، وفيهم الحسن وإبراهيم وأبو بكر ، إخوة عبد الله ، والحسن بن جعفر بن الحسن المثنى ، وسليمان وعبد الله وعليّ والعبّاس أبناء داود بن الحسن المثنى ، ومحمد وإسحاق ابنا إبراهيم بن الحسن المثنى ، والعبّاس وعليّ العابد ابنا الحسن المثلث ، وعليّ بن محمد النفس الزكية ، وغيرهم ممن تقدّم الحديث عنهم عند ذكر بني الإمام الحسن (عليه السلام) .

وأجلاً فقد وضعهم رباح بن عثمان في الأغلال والقيود ، وراح يشتدّ ويقصر عليهم ، وكان بين وقت وآخر يبعث إلى عبد الله بمن ينصحه ويستشفّ منه ما قد يكون بلغه عن مكان ولديه ، فكانوا إذا حدّثوا عبد الله بذلك ، وأنحوا عليه باللائمة لكتانته أمرهما أجابهم بقوله :

الا إن بلّيتي أكبر من بلية خليل الرحمن ، ذلك أنّه أمر بذبح ولده ، وكان هذا الذبح في طاعة الله ، غير أنّي أؤمر بتقديم ولديّ للذبح ، وذبحهما في معصية الله

ومضت عليهم في سجنهم ثلاث سنوات ، حتّى إذا حلّت سنة أربع وأربعين ومئة حجّ المنصور ثانية ، لكنه لم يجعل عودته عن طريق المدينة بل أخذ طريقه إلى الرّيدة ، فوافاه رباح بن عثمان إلى هناك لرؤيته ، فأمره بالعودة إلى المدينة ، وأن يعود إليه مع مسجونيه من بني الحسن ، فتوجّه رباح إلى المدينة يرافقه أبو الأزهر سبّان المنصور ، وكان رجلاً خبيثاً سئياً الطوية والخلق ، وهناك وضع بني الحسن بالقيود والأغلال والسلاسل ، وخرجوا بهم ومعهم محمد الديباج أخو عبد الله المحض لأمه ، مغلولاً كذلك ، ولما توجهوا بهم نحو الرّيدة وقف الصادق (عليه السلام) ينظر إليهم من وراء ستر وقد هملت عيناه ، حتّى جرت دموعه على خفيه ، وهو يقول : لعنكم الله يا معشر الأنصار ، ما على هذا عاهدتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا بايعتموه ، فقد بايعتموه على أن تمنعوه وذريّته فما تمنعون منه أنفسكم وذرائعكم ، وعلى رواية أنّه (عليه السلام) دخل بيته فحتم عشرين ليلة لم يزل يبكي فيها الليل والنهار ، حتّى خيف عليه .

قدم الحرس ببني الحسن الرّيدة ، وتركوهم هناك تحت أشعة الشمس ، ثم حضر رجل من قبل المنصور يقول : من هو محمد بن عبد الله بن عثمان ، فلما أظهر محمد الديباج نفسه أخذه الرجل إلى المنصور .

يقول الراوي : لم نلبث طويلاً حتّى سمعنا أصوات السياط ، ولما أعادوا محمدًا عرفنا مبلغ ما أنزلوه به ، كان وجهه ولونه الذي يشبه سبيكة الفضة قد غدا أشبه بلون زنجي ، وكانت إحدى عينيه قد خرجت من مجمرها ، ثم طرحوه إلى جانب أخيه عبد الله ، وكان عبد الله يحب أخاه أشدّ الحب ، وكان العطش قد بلغ من محمد مبلغه ، فطلب شربة ماء ،

وكان الناس يجذرون الرحمة بهم خشيةً من المنصور ، فصاح عبد الله : من يسقي ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) شربة ماء ؟ فسقا رجل خراساني شربة ماء كما روي ، وقيل إن ثياب محمد قد التصقت بجسده من تأثير السياط والدماء التي سالت عليها ، حتى ليصعب نزاعها عنه ، ولما نزعوها بعد أن مرَّغوه بالزيت كانت قطع من جلده ملتصقة بها

ويروي السبط بن الجوزي أنه لما أدخل محمد على المنصور سأله : أين الكاذبان الفاسقان محمد وإبراهيم ؟ وكانت رقية أخت الديباج زوجة لإبراهيم ، قال محمد : والله لا أعلم مكانها ، فأمر المنصور بجلده أربعمئة جلدة ، ثم أمر بإلباسه ثوباً خشناً ثم نزعه عنه بشدة حتى ينسلخ جلده معه ، وكان محمد من أحسن الناس صورة وشامئلاً ، وهذا سبب تلقيبه بالديباج ؛ وقد اقتلع السوط إحدى عينيه ، ثم قيدوه وجاؤوا به إلى أخيه عبد الله ، وكان محمد إذ ذاك يشكو من العطش الشديد ، فلم يجرؤ أحد على تقديم الماء له ، فصاح أخوه : يا معشر المسلمين ، أمت مسلم من أبناء النبي من العطش وأنتم تمنعون الماء ؟

ثم تحرك المنصور من الرتبة في هودج يرافقه حاجبه الربيع ، أما بنو الحسن فقد أركبهم إبلاً عارية وهم عطاش جوعى عراة الرؤوس والأجساد ، تغلهم القيود والسلاسل ، وسار الركب متجهاً إلى الكوفة ، ولما عبر المنصور على هودجه المغطى بالحرير والديباج بجانبهم رآه عبد الله فقال : يا أبا جعفر ، أهذا ما صنعناه بأسراكم في بدر ؟ إشارة منه إلى أسر العباس جد المنصور يوم بدر ، ورحمة جذهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) به وهو يشكو ثقل القيود ، وقوله إن شكوى العباس لن تدع للنوم إليه من سبيل ، وأمره (صلى الله عليه وآله) بإطلاقه .

يروي أبو الفرج أن المنصور أراد أن يزيد في شقاء عبد الله ، فأمر بتسيير بعير محمد أمام بعير عبد الله ، فكان عبد الله ينظر باستمرار إلى ظهر أخيه ويرى آثار السياط فيزداد جزعه وشقاؤه ، واستمروا في سوء الحال هذا حتى بلغوا الكوفة ، وهناك طرحوهم في سجن الهاشمية ، في أقبية لا يعرف الليل فيها من النهار ، وكان عددهم في كل محبس عشرين رجلاً وفقاً لرواية ابن الجوزي .

ويروي السمعودي أن المنصور أطلق سليمان وعبد الله ابني داود بن الحسن المثنى مع موسى بن عبد الله المحض والحسن بن جعفر ، واستبقى الآخرين حتى يموتوا في سجنهم ، وكان يحبسهم على شاطئ الفرات قرب قطرة الكوفة ؛ وإن مواضعهم في الكوفة في أيامنا هذه - ونحن في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة - معروفة ، وهي محل زيارة ، وجميعهم في ذلك الموضع ، وقبورهم هي السجن نفسه الذي هدموا سقفه فوقهم ؛ ولما كانوا في سجنهم كانوا لا يغادرونه لقضاء الحاجة ، فلا بد لهم من من قضاء حاجتهم حيث هم ، الأمر الذي جعل الروائح الكريهة تنتشر وتسبب لهم أشد الشقاء ، وكان بعض مواليهم يأتونهم بالطيب ليدفروا

به تلك الروائح ؛ وإجمالاً ؛ فسبب تلك الروائح وبسبب كونهم في السجن وشدة القيود ظهرت الأورام في أرجلهم ، وسرت منها حتى بلغت قلوبهم فأهلكتهم ، وكانوا لا يعرفون دخول أوقات الصلاة لظلام السجن ، فلا غرو أنهم لجأوا إلى طريقة تساعدهم ، فقد قسموا القرآن الكريم إلى خمسة أقسام ، وكانوا يتناوبون على تلاوته ، فيختمون تلاوة الخمس الواحد بصلاة من الصلوات الخمس ، وهكذا كانوا يختمون القرآن مرة في اليوم

أما إذا مات أحدهم فكان جسده يبقى على حاله في أغلاله حتى تفوح رائحته ويهترى ، وكان الأحياء منهم يرون كل ذلك ويقاسون منه ما يقاسون .

وأورد ابن الجوزي شرحاً لمحبسهم دون أن يتطرق إلى موضوع إحصار الطيب لهم ، وقد سبق لنا أن أشرنا إلى هذا الحبس عند حديثنا عن الحسن المثلث وتعداد أبنائه ، وكان منهم علي بن الحسن المثلث المعروف بعلي العابد ، وكان يمتاز بالعبادة والذكر والصبر على الشدائد .

وفي رواية أن بني الحسن كانوا لا يعرفون أوقات الصلاة إلا بتسبيح علي بن الحسن وقرائه لأوراده ، حيث كان يشغل يومه بالذكر وقراءة الأوراد المخصصة لكل وقت من أوقات اليوم ، فيعرف عن طريقها أوقات الصلاة .

ويروي أبو الفرج عن إسحاق بن عيسى قال : بعث عبد الله المحض من سجنه يوماً يدعو أبي إليه ، فطلب أبي الإذن من المنصور فأذن له ، وقدم إليه ، فقال له : لقد دعوتك لتأنيب بالماء فقد غلبني العطش ، بعث له أبي بإبريق ماء ، فلما رفعه إلى فمه ليشرب وصل أبو الأزهري السجن وراه فغضب وركل الأبريق بقدمه فأصاب ثيابا عبد الله فهشمتها .

وإجمالاً ، فحالمهم في السجن كانت على هذا المنوال ، فبعضهم يموت وبعضهم يُقتل ، وبقي عبد الله مع آخرين من أهل بيته أحياء حتى خرج ابنه محمد وإبراهيم وقتلاً ، وأرسل رأسهما إلى المنصور ، فبعث المنصور برأس إبراهيم إلى عبد الله ، ثم لحق بهم ما لحق بالآخرين من موت أو قتل .

ويروي السبط بن الجوزي وغيره أنه قبل خروج محمد بن عبد الله ومقتله بعث عامل المنصور على خراسان أبو عون بن بحر الخليفة أن أهل خراسان يرتدّون عن بيعتهم لي بسبب خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله ؛ فأمر المنصور بضرب عنق محمد الدياج وبعث برأسه إلى خراسان كي يمدحوا أهلها بعد أن يقسموا لهم بأن الرأس يعود إلى محمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، كي يرجعوا عن أوامهم فيقطعوا الأمل بخروج محمد بن عبد الله .

• ونشر الآن بالحديث عن مقتل محمد بن عبد الله المحض .

ذكر مقتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) الملقب بالنفس الزكية : كنيته : أبو عبد الله ، ولقبه : صريح قرشي ، ذلك أنه لم تكن أي من أمهاته أو جداته أم ولد ، فأمه هي هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زعدة بن الأسود بن المطلب ؛ ولقب بالنفس الزكية لكثرة زهده وعبادته ، وقد دعاه أهله بالمهدي استظهاراً منهم للحديث النبوي : « إن المهدي من ولدي ، اسمه اسمي » ، وقيل إنه المقتول عند أحجار الزيت ، وكانوا يمتدحونه بالفقه والعلم والشجاعة والسخاء وكثرة الفضائل ، وكان له بين كتفيه خال بحجم البيضة ، وهكذا اعتقدوا أنه المهدي الموعود من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ؛ ولهذا فقد بايعوه ، وكانوا يرصدون ظهوره وينتظرون خروجه .

وقد بايعه أبو جعفر المنصور مرتين ، إحداهما في المسجد الحرام حيث سار بين يديه لدى خروجه من المسجد حتى جلس ، مراعيًا المزيد من الاحترام والإجلال له ، حتى أن رجلاً سأل المنصور : من هذا الذي تبدي له كل هذا الإجلال ؟ فقال المنصور : ويحك ! ألا تعلم أن هذا الرجل هو محمد بن عبد الله المحض ، وأنه مهدينا أهل البيت ؟ وبايعه ثانية في الأبواء وفقاً لما هو مرقوم في بيان أحوال عبد الله .

وقد أورد أبو الفرج والسيد ابن طاوس أخباراً كثيرة تفيد أن عبد الله المحض وسائر أهل بيته كانوا ينكرون أن محمدًا النفس الزكية هو المهدي الموعود ، ويقولون إن المهدي الموعود إنما هو غيره .

وإجمالاً ، فلما استقرت الخلافة في بني العباس ، عاش محمد وإبراهيم مختفين ، وفي أيام المنصور قدما كلاهما إلى أبيهما في سجنه مختفين بصورة أعرابيين من عرب البادية ، وسألاه أن يأذن لهما بالظهور قائلين ؛ لأن نظرهم ونقتل خير من أن يقتل رهط من أهل النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقال عبد الله :

« إن منعكم أبو جعفر أن تعيشا كريمين ، فلا يمنعكما أن تموتا كريمين » .

ومراده أن الصواب هو في أن تنصرفا للإعداد لخروجكما على المنصور ، فإن لقيتما النصرة فذاك خير ، وإن قُتلتما فلستما ملومين .

وفي فترة اختفائهما لم يكن للمنصور من هم سوى العثور عليهما ، وقد رصد لذلك العيون والجواسيس في كل الأنحاء لعله يعرف مكانهما .

وسروى أبو الفرج عن محمد بن عبد الله أنه قال : لما كنت مختفياً في شعاب الجبال

اتَّخَذَتْ يوماً لي موضعاً في جبل رضوى مع أمّ ولدي ، وقد رُزقت منها بطفل ، وكان طفلي رضيعاً حين اكتشفت يوماً أنّ غلاماً جاء في طلبي من المدينة ، فركنت إلى الفرار ، كما أنّ أمّ ولدي احتضنت ابناً وهربت ، وفي غمرة هروبا أفلت الطفل منها وهوى من الجبل فقتل ، وقد ورد في الخبر أنّ طفلاً لمحمّد يهوي ويموت ، وقد قال محمّد في ذلك أبياتاً من الشعر :

مُنْخَرَقُ الْخَفَيْنِ يَشْكُو الرَّجَى^(١) تَنْكِبُهُ أَطْرَافُ مَرٍ حِدَادِ
شَرْدَهُ الْخُوفُ فَأُزْرَى بِهِ كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الْجِلَادِ
قَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ وَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ

وإجمالاً ، فقد خرج محمّد سنة خمس وأربعين ومئة ، ودخل المدينة في شهر رجب على رأس مئتين وخمسين وهم يكبرون ، فتوجّهوا إلى سجن المنصور فحطّموا بابَه وأطلقوا السجناء ، وأمسكوا رياح بن عثمان سجّان المنصور فالقوه في السجن ، ثم صعد منبر المسجد وخطب خطبة بين فيها مثالب المنصور وخبث سيرته ، ودعا الناس إلى بيعته .

استفتى الناس مالكا بن أنس في ذلك ، وفي أن يبيعة المنصور قد سبقت وهي في أعناقهم ، فأفتاهم بالإيجاب ، ذلك أنبيعة المنصور كانت عن كراهة منهم ، فسارع الناس إلىبيعة محمّد ، واستولى محمّد على المدينة ومكة واليمن .

فلما علم المنصور بذلك كتب إلى محمّد يعرض عليه الصلح والمسالمة ، ويعطيه الأمان ، فردّ عليه محمّد ردّاً شافياً ختمه بقوله :

أيّ أمان هذا الذي تعرضه عليّ ؟ أهو الأمان الذي أعطيته لابن هبيرة ؟ أم هو الأمان الذي أعطيته لعَمَلِكَ عبد الله بن عليّ ؟ أم هو الأمان الذي أرضيت به أبا مسلم ؟

ومراده : كيف يمكن الركون إلى أمانك ، وأنت قد أمتت أولئك الثلاثة ولم تعمل بمقتضى أمانك لهم ؟

ثم كتب إليه أبو جعفر ثانية يؤمّنه عن طريق الحسب والنسب والقراية ، (والمقام هنا لا يتسع لذكر مراسلاتهما ، وعلى من يرغب الرجوع إلى (تذكرة السبط وغيرها) ولما ينس المنصور من احتواء محمّد عن طريق السلم والمودعة أمر عيسى بن موسى - وكان ابن أخيه ووليّ عهده ، بالتجهّز لحربه ، وكان المنصور يظن في نفسه أن لا فرق في من يقتل من ، ذلك أنّه لم يكن يريد لعيسى العيش ، إذ كان السّفاح عهد إليه أن يوليّ عيسى الخلافة بعده ، وكان كارهأ لذلك .

(١) الرجى : مصدر وجي أي : حفي أوردت قدمه .

ثم إن عيسى خرج لقتال محمد في أربعة آلاف فارس والف في راجل ، وكان المنصور قد أوصاه بأن يعرض عليه الأمان أولاً ، لعله يعود إلى طاعته دون قتال ، وسار عيسى حتى بلغ فيد ، وهو موضع في الطريق إلى مكة ، وبعث بكتاب إلى جماعة من أصحاب محمد فخذلهم عن نصرته ، فلما بلغ محمداً ذلك انصرف إلى الإعداد للحرب ، وحفر خندقاً حول المدينة ؛ وفي شهر رمضان وصل عيسى مع جيشه ، وحاصر المدينة .

بروي السبط بن الجوزي أنه لما حاصر جيش المنصور المدينة لم يكن لمحمد من هم سوى أن يحرق جدول أسماء الناس الذين بايعوه وكتابه ، وبعد أن أحرقها قال : طاب الموت الآن ، ولو أنه لم يفصل ذلك إذاً لكان الناس في بلاء عظيم ، إذ لو وقعت هذه الأسماء بين أيدي العباسيين لقتلوه .

وأخيراً قدم عيسى ووقف على سلع ، وهو اسم جبل في المدينة ، وصاح قائلاً : يا محمد ، لك الأمان ، قال محمد : أمانكم لا وفاء له ، وللموت بعزة خير من الحياة بذلة ، وكان جيشه إذ ذاك قد تفرق مبتعداً عنه ، ولم يبق معه من مئة ألف بايعوه سوى ستة عشر وثلاثمائة^(١) رجل ، بعدد أهل بدر .

ثم إن محمداً وأصحابه اغتسلوا ونثروا الخنوط ، ثم حثوا مطاياهم وحملوا على عيسى وأصحابه ، وأجلوهم ثلاث مرات ، ثم جمع عيسى صفوفه وأعدّها وحمل بها جميعاً حملة واحدة أنجزوا بها عملهم وأوردوهم مصارعهم ، واستشهد محمد على يدي حيد بن قحطبة الذي احتز رأسه وذهب به إلى عيسى ، أما جسده فرفقته أخته زينب وابنته فاطمة ودفنتاه في البقيع ، ثم حُمل رأسه إلى المنصور فأمر بتصبه في الكوفة ، وأن يطاف به في البلاد .

وكان مقتل محمد في أواسط شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومئة من الهجرة ، وكانت المدة من ظهوره إلى مقتله شهران وسبعة عشر يوماً ، وبلغ من العمر خمسة وأربعين عاماً ، وكان مقتله عند أحجار الزيت مصداقاً لقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في جملة أخباره الغيبية : « وإنه يُقتل عند أحجار الزيت » .

بروي أبو الفرج أنه بعد مقتل محمد وهزيمة جيشه انطلق ابن خضير - وكان أحد أصحابه - إلى السجن ، فقتل رياح بن عثمان سجان المنصور ، ثم أحرق ديوان محمد الذي يشتمل على أسماء أصحابه ورجاله ، ثم عاد إلى قتال العباسيين ، فقاتل حتى قُتل .

(١) لعل في العدد خطأ مطبعياً ، ذلك أن تعداد أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أهل بدر كان ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كما هو معروف ، (المغرب) .

كما يروي أيضاً أنه عند مقتله تلقى على رأسه ضربات وجراحات كثيرة شلت حركته ، وصار أشبه بكتلة لحم مطبوخة حمرة ، فأبى موضع وقعت عليه اليد من جسده يتلاشى .

ذكر مقتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) المعروف بقتيل باخرأ : ورد في (مروج الذهب) للمسعودي أنه لما أراد محمد بن عبد الله المحض الخروج بعث بإخوته وأبنائه إلى الأمصار والبلدان ، يدعون الناس إلى بيعته ، ومنهم ابنه علي ، الذي بعث به إلى مصر فقتل هناك ، ووفقاً لتذكرة السبط فقد مات في السجن ، كما بعث بابنه الآخر عبد الله إلى خراسان ، ولاحقه جيش المنصور فهرب إلى السند ، فقتل هناك ؛ وأما ابنه الثالث الحسن فقد بعث به إلى اليمن ، فأخذوه هناك وسجنوه ، ومات في سجنه .

أقول : كان هذا كلام المسعودي ، لكن ما ورد في كتب أخرى فهو أن الحسن بن محمد شهد وقعة فخ مع الحسين بن علي وقتل على يدي عيسى بن موسى العبّاسي ، كما تقدّم في غصون الحديث عن أبناء الإمام الحسن (عليه السلام) ، وأن موسى أخا محمد صار إلى الجزيرة ، وأن أخاه الآخر يحيى صار إلى الري وطبرستان ، ووقع أخيراً بيد الرشيد فقتله كما تقدّم ، أما أخوه الثالث إدريس فقد سافر إلى المغرب وبايعته جماعة هناك ، واستطاع الرشيد في آخر الأمر أن يقتله غيلة ، وبعده حلّ ابنه إدريس بن إدريس محله ، وسُمّي بلدهما باسمه فقيل : بلد إدريس بن إدريس ، وقد تقدّم الحديث عن مقتله .

أما أخوه الرابع إبراهيم فقد توجه إلى البصرة وخرج هناك بعد أن اجتمع له خلق كثير من أهل فارس والأهواز وغيرهما ، إلى جانب كثيرين من الزيدية والمعتزلة البغداديين وغيرهم ، وكان معه من الطالبين عيسى بن زيد بن علي بن الحسين (عليها السلام) .

أرسل المنصور يعيسى بن موسى وسعيد بن مسلم على رأس جيش كبير لحربه ، فاستشهد إبراهيم في أرض باخرأ من أراضي الطفت ، وتقع على بعد ستة فراسخ من الكوفة ، وقتل من أصحابه من الزيدية أربعمئة ، أو خمسمئة رجل على قول .

أما كيفية مقتل إبراهيم فقد ورد في (تذكرة) السبط ما يأتي :

خرج إبراهيم في غرة شهر شوال أو شهر رمضان على قول ، سنة خمس وأربعين ومئة في البصرة ، وبايعه خلق لا يحصى ، وفي تلك السنة شرع المنصور ببناء مدينة بغداد ، وفي غمرة انشغاله بالبناء بلغه نبأ خروج إبراهيم بالبصرة ، وغلبته على الأهواز وفارس ، والتفاف خلق كثير حوله ، ومبايعة الناس له طوعاً وعن رغبة ، وأنه لا همّ له سوى الثار لأخيه محمد بقتل المنصور نفسه .

فلما سمع المنصور بكل هذا أظلمت الدنيا في عينيه ، فأوقف أعمال البناء ، وهجر

اللذات والنساء ، وقال : - شَفَعَ قوله بالقسم - إنه لن يقرب النساء ، ولن تشغله لذّة العيش حتى يأتوه برأس إبراهيم ، أو يحملوا رأسه هو إلى إبراهيم .

وتبدّى الهول للمنصور ، كيف لا ومئة ألف رجل يسرون في ركاب إبراهيم بينما لم يكن جاهزاً لديه سوى ألفي فارس ، وعساكره وجيوشه موزعة بين الشام وخراسان وإفريقية ؛ لكنه بعث يعيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن العباس لقتال إبراهيم ؛ ومن ناحيته فإن إبراهيم خرج من البصرة متوجّهاً إلى الكوفة ، وقد وقع ضحية خداع أهل الكوفة ذلك أن وقدأ منهم كان قد قدم إليه في البصرة يعرض عليه أن مئة ألف مقاتل يترقبون مقدمه الشريف إليهم في الكوفة ليضعوا أرواحهم في نصرته .

حاول أهل البصرة منعه من الخروج إلى الكوفة ، لكن كلامهم لم يلق استجابة منه ، وتوجّه إلى الكوفة ، وعلى بعد ستة عشر^(١) فرسخاً منها ، وفي أرض الطفّ المعروفة بباهرا تلاقى الجيشان واصطفّا للقتال ، وانتهت المعركة بهزيمة جيش المنصور .

وبرواية أبي الفرج : فإن هزيمة شنيعة نزلت بهم ، وركنوا إلى الفرار ، حتى أن طلائعهم بلغت الكوفة في فرارها .

أما برواية (التذكرة) : فإن عيسى بن موسى قائد جيش المنصور ثبت مع مئة رجل من أهل بيته وخاصّته ، حين كان إبراهيم قريباً من الظفر عليهم ، وكاد يرمي بهم في بيداء العدم ، وفي غمرة القتال ، إذا بسهم لم يعرف من رماه ، كما لم يعرف من أين أتى ، يصيب إبراهيم ، ويطيح به أرضاً وهو يقول :

« وكان أمر الله قدراً ، أردنا أمراً وأراد الله غيره » .

يقول أبو الفرج : إن مقتل إبراهيم جاء في وقت كان فيه عيسى بن موسى بدأ يدير ظهره للمعركة ، ويركن إلى الفرار ، وكان إبراهيم قد أحس بالتعب والسخونة من حرارة المعركة ، فشرع يخفّ عنه من ثيابه ، فنزع قباؤه ، وكشف الشوب عن صدره ، لعلّه يكسر سورة الحرارة ، حتى إذا أتاه سهم من رام مجهول غاص عميقاً في عنقه ، ممّا اضطرّه إلى التثبّت بعنق فرسه ، وأحاط به الزيدّيون من كل جانب .

وفي رواية أخرى أنّ بشيراً الرّحال ضمّه إلى صدره .

والحاصل أن هذا السهم هو الذي وضع خاتمة لعمل إبراهيم ، فتوفّي ، وعاد عيسى عن

(١) تقدّم أن باهرا تبعد عن الكوفة ستة فراسخ ، فلاحظ (المرّب) .

فراره ، واشتد أوار العركة حتى جاءت نجدة وفدت جيش المنصور ، وتفرق جيش إبراهيم بين مهزوم ومقتول ، كما قتل بشير الرحال أيضاً .

جزّ العساكر رأس إبراهيم وجاءوا به إلى عيسى ، الذي هوى يسجد سجدة الشكر ، وبعث بالرأس إلى المنصور .

وكان مقتل إبراهيم عند ارتفاع النهار من يوم الاثنين من ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومئة ، وبرواية أبي نصر البخاري والسبط بن الجوزي أنه كان في الخامس والعشرين من ذي القعدة يوم دحوا الأرض ، وكان عمره ثمانية وأربعين عاماً .

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) أخبر في غضون أحاديثه الغيبية عن مآل إبراهيم فقال : « بياخراً يُقتل بعد أن يظهر ، ويُقهر بعد أن يقهر » .

وقال : « يأتيه سهم غربٌ يكون فيه منيته ، فيا يؤس الرامي شلت يده ، ووهن عضده » .

وروي أنه لما هُزم جيش المنصور ، ونُقل ذلك إليه ، أظلمت الدنيا في عينيه وقال : « أين قول صادقهم ؟ أين لعب الغلمان والصبيان ؟ » وفيه إشارة إلى قول الصادق (عليه السلام) : سيلعب صبيان بني العباس بالخلافة ، كما فيه إشارة إلى أخباره (عليه السلام) بصدد خلافة بني العباس ، واستشهاد ابني عبد الله محمد وإبراهيم .

وقد عرفت فيما تقدّم عن اجتماع بني هاشم وبني العباس في الأبواء ، وعن بيعتهم لمحمد بن عبد الله ، وأنّ الصادق (عليه السلام) لم يستصوب رأيهم ، وإخباره أن الخلافة ستكون للسفاح والمنصور ، وأنه لن يكون لعبد الله وإبراهيم نصيب فيها ، وكيف أراد المنصور قتلها .

وكان المنصور من يومه ذاك قد أضمر الخلاف حتى يدرك مراده ، وكان يعلم أن الصادق (عليه السلام) لا يقول إلا صدقاً ، لذلك فلما انكشفت له هزيمة جيشه قال : أين قول صادقهم ؟ وجزع جزعاً شديداً ، فلم يلبث أن أتاه خبر استشهاد إبراهيم ، كما أتى برأسه إليه ، فلما رآه بكى حتى جرى الدمع على أطراف وجهه وقال : أما والله ، ما كنت أحب أن ينتهي الأمر بك إلى هذا !

ويروي عن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) أنه قال : كنت عند المنصور حين أتى برأس إبراهيم وقد وضع على ترس ، وأحضر إليه ، فلما وقع نظري على الرأس أخذتني غصة وجاش البكاء في حلفي حتى كاد صوتي يعلو بالبكاء ، لكنني صبرت

فدم أذع البكاء يغلب عليّ حذراً من المنصور ، وإذا به يلتفت إليّ ويقول : أليس هذا رأس إبراهيم يا أبا محمد ؟ قلت : بلى يا أمير المؤمنين ، لكم وددت لو أطاعك فلا ينتهي الأمر به إلى هذا ، قال المنصور : أما والله ، لوددت أيضاً لو كان ذلك في طاعتي ولم ألق يوماً كهذا ، لكنه أثر الخلاف وأراد أن يأخذ رأسي ، فجاءوني برأسه .

ثم أمر بالرأس فرفع في الكوفة ليراه الناس ، ثم أمر الربيع بحمله إلى سجن أبيه ، فأخذ الربيع الرأس إلى السجن ، وكان عبد الله في ذلك الوقت منشغلاً بالصلاة متوجّهاً إلى الله ، فقيل له : عجل في صلاتك يا عبد الله فإنّ أمراً ينتظرك ؛ فلما انصرف من صلاته نظر فإذا رأس ابنه إبراهيم أمامه ، فأخذ الرأس وضّمه إلى صدره وقال :

« رحل الله يا أبا القاسم ، وأهلاً بك وسهلاً ، لقد وفيت بعهد الله وميثاقه » ، مشيراً إلى الآية الكريمة : ﴿ الَّذِينَ يُوْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ ﴾ .

قال الربيع : وكيف كان إبراهيم ؟ قال عبد الله : كان كما قال الشاعر :

فَتَى كَانَ تَحْمِيهِ مِنَ الذَّلِّ نَفْسَهُ وَيَكْفِيهِ سَوَاءَ الذُّنُوبِ اجْتِنَابُهَا

ثم قال للربيع : أنبئ المنصور عني أنّ أيام محنتي وشدّتي أذنت بانتهاء ، وأنّ أيام نعمتك كذلك ، ولن ندوم ، وسيكون لقاءنا يوم القيامة ، وسبحكم الله الحكيم فيما بيننا .

يقول الربيع : لما نقلت كلام عبد الله إلى المنصور رأيت عليه من الانكسار ما لم أراه من قبل .

« لذا وتد رثي محمد وإبراهيم على السنة كثير من الشعراء ، وقال دعبل الخزازي من تعبلة نائلة : رثي بها رطاً من آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ونشبر إليها ،

فسبور بسكوفانٍ وأخرى بطيبةٍ وأخرى بفتح نالها صلواتي وأخرى بأرض الجصورجانٍ محلّها وقبر بباخرا لدى القربات

كان إبراهيم قويّ اليد والساعد ، صاحب مقام معروف في فنون العلم ، وكان في البصرة متخفياً في بيت الفضل الضبيّ ، فطلب منه أن يأتيه بكتب يأنس بها ، فأناه الفضل بدواوين لشعراء عرب اختار منها سبعين قصيدة فحفظها ، وبعد مقتله جمع الفضل تلك القصائد وأسماها : الفضليات واختيار الشعراء .

وكان الفضل بين يدي إبراهيم يوم مقتله ، وروى عنه ضرورياً من الشجاعة ، وأشعاراً قالها لا يتسع المقام لذكرها ، وكان عند خروجه وبیعة الناس له يعاملهم بالعدل وحسن

السيرة ، ويقال إنه كان في واقعة باخرا يطوف ذات ليلة بين رجاله فسمع صوت موسيقى وغناء ، فقرأهم ألهم والغم وقال : لست أحب أن ينال الظفر جيش هذا شأنه .

وكان ممن بايع إبراهيم كثير من أهل العلم ونقله الآثار ، وكانوا يحثون الناس على نصرته أمثال عيسى بن زيد بن علي بن الحسن (عليهما السلام) ، وبشير الرضال ، وسلام بن أبي واصل ، وهارون بن سعيد الفقيه ، مع جماعة من الوجوه والأعيان والأصحاب والتابعين ، وفيهم عباد بن منصور قاضي البصرة ، والمفضل بن محمد ، ومسر بن كدام وغيرهم .

ويروى أن الأعمش بن مهران كان يحث الناس على نصرته إبراهيم ، وكان يقول : لو لم أكن أعمى لخرجت في ركابه .

الفصيدة الغراء في مدح الإمام الحسن (عليه السلام) وورثته

وأرى أنساب القنا لا تشرع
لا يستحيل بها الروى والمرتع^(١)
بالصبر لا بالسابغات تذرعو
قلبا تقيه أدرع أو أذرع
خطى في رهج العجاج مززع
هامات تجدد للمنون وتركم
كرما عروقي أصولهم فتفرعو
فرقا بها شمل الضلال مجمع
أضحى على سفه يسوع ويذرع
لا يستقيم وعائر لا يقلع
والبدر عادته يغيب ويطلع
خفوا لداعية النفاق واسرعوا
ظلماً وما حفظوا بهم ما استودعوا
أن لا يصابن فما رعوه وضيعوا
منهم له قلب وأصفي مسمع
في بيته كُبرت لفاطم أضلع
أحقاد حين تألبوا وتجمعو
هاموا بغاشية العمى وتولعو

أترى يسوع على الظلم لي مشرع
ما أن أن تفتادها عربية
تعلو عليها فتية من هاشم
فلقد رمتنا النائبات فلم تدع
فإلام لا المهندي منصلت ولا الد
ومنى نرى لك نهضة من دونها الد
يا بن الألى وشجت بربابية العلى
جحدث وجودك عصبة فتتابع
جهلتك فانبعثت ورائد جهلها
تاهت عن النهج القويم فضائع
فأنر بطلعتك الوجود فقد دجا
متطلباً أوتاركم من أمة
خانوا بعثرة أحمد من بعده
فكأنما أوصى النبي بشقله
جحدا ولاء المرتضى ولكم وعى
وبما جرى من حقدهم ونفاقهم
وعذوا على الحسن الزكي بسالف الد
وتنكبوا سنن الطريق وأما

(١) اللوى والمربع .

نَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ
عَجِباً لِحِلْمِ اللَّهِ كَيْفَ تَأْمُرُوا
وَتَحْكُمُوا فِي الْمُسْلِمِينَ وَطَالَمَا
أُضْحَى يُوَلِّبُ لَابْنَ هَنْدٍ حَزْبَهُ
غَدَرُوا بِهِ بَعْدَ الْعَهْدِ فغَوَدَتْ
اللَّهُ أَيُّ فِتْنَى يَكَابِدُ مَحَنَةَ
وَرَزِيَّةَ حَزَّتْ بِقَلْبِ مُحَمَّدٍ
كَيْفَ ابْنِ وَحْيِ اللَّهِ وَهُوَ بِهِ الْمُهْدَى
أُضْحَى يَسَالِمُ عَصْبَةَ أُمُورَةٍ
سَامُوهُ قَهراً أَنْ يَضَامَ وَمَا لَوْ
أَمْسَى مَضَاماً تَسْتَبَاحُ حَرِيمِهِ
وَيَرَى بَنِي حَرْبٍ عَلَى أَعْوَادِهَا
مَا زَالَ مُضْطَهَداً يَقَامِي مِنْهُمْ
حَتَّى إِذَا نَفَذَ الْقَضَاءَ مَحْتَباً
وَعِيداً بِرَغَمِ الدِّينِ وَهُوَ مَكَابِدُ
وَتَفَتَّتَتْ بِالسَّمِّ مِنْ أَحْشَائِهِ
وَقَضَى بِعَيْنِ اللَّهِ يَقْذِفُ قَلْبَهُ
وَسَرَى بِهِ نَعَشٌ تَوَدُّ بَنَاتِهِ
نَعَشٌ لَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ مَشِيعُ
نَعَشٍ أَعَزَّ اللَّهُ جَانِبَ قَدْسِهِ
نَعَشٌ بِهِ قَلْبُ الْبِتُولِ وَمَهْجَةُ الدِّ
تَسْلُو لَهُ حَقْدَ الصَّدُورِ فَمَا يَرَى
وَرَمَوْا جَنَازَتَهُ فَعَادَ وَجْسَهُ
شَكْوَهُ^(٣) حَتَّى أَصْبَحَتْ مِنْ نَعَشِهِ
لَمْ تَرَمْ نَعَشَكَ إِذْ رَمَسْتَكَ عَصَابَةً

وَسَمِعُوا الدَّاعِيَةَ الشَّقَاقَ مَا دُعُوا
جَنْفَاً وَأَبْنَاءَ النَّبَوَةِ تَحْلَعُ
مَرْقُوا عَنْ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَأَبْدَعُوا
بَغِيّاً وَسَرَبَ ابْنِ النَّبِيِّ مَذْعُوعٌ^(١)
أَثْقَالَهُ بَيْنَ الثَّلَامِ نَوْرُوعُ
بِشْجَى لَهَا الصَّخْرُ الْأَصَمُّ وَبِجَزَعُ
حِزْنًا تَكَادَ لَهَا السَّمَاءُ تَنْزَعُ
أَرَسَى فَقَامَ لَهُ الْعِمَادُ الْأَرْفَعُ
مِنْ دُونِهَا كَفَرَأَ تَسْمُودُ وَتُبْنَعُ
- لَوْلَا الْقَضَاءُ - بِهِ عَنَّانُ طَبِيعُ
هَتِكاً وَجَانِبَهُ الْأَعَزُّ الْأَمْنَعُ
جَهراً تَنَالُ مِنَ الْوَصِيِّ ، وَيَسْمَعُ
غَصَصاً بِهَا كَأَنَّ الرَّدَى يَنْجَرِعُ
أُضْحَى يُدَسُّ إِلَيْهِ سَمٌّ مُنْفَعٌ^(٢)
بِالصَّبْرِ عِلَّةٌ مُكْسِمِدٌ لَا تَنْقَعُ
كَيْدُ لَهَا حَتَّى الصَّفَا يَتَصَدَّعُ
قَطْعاً غَدَتِ نَمَّا بِهِ تَنْقَطَعُ
لَوْ يَرْتَقِي لِلْفِرْقَدَيْنِ وَسَرْفَعُ
وَلَهُ الْكِتَابُ الْمُسْتَبِينُ مَوْدُعُ
نَغْدَتِ لَهُ زَمَرُ الْمَلَائِكِ تَخَضُّعُ
يَهَادِي الرُّسُولَ وَثَقْلَهُ الْمُسْتَوْدَعُ
مِنْهَا الْقُوسُ بِالْكَفَّاتَةِ مَسْنُوعُ
غَرَضُ لِسَامِيَةِ السَّهَامِ وَمَوْفَعُ
تُسْتَلُّ غَاشِيَةِ النَّبَالِ وَتُنَزَّعُ
نَهَضَتْ بِهَا أَضْغَانُهَا تَنْزَعُ

(١) مَذْعُوعُ : مَبْدُودٌ مَفْرُوقٌ .

(٢) مُنْفَعُ : أَيُّ سَمٍّ نَاقِعُ : شَدِيدُ السُّمِّ .

(٣) شَكْوُهُ : خَرْقُهُ ، وَبِهِ يَشِيرُ الشَّاعِرُ إِلَى مَا فِي الزِّيَارَةِ الْمَعْرُوفَةِ : « شَهِيدٌ فَوْقَ الْجَنَازَةِ قَدْ شَكَّتْ بِالسَّهَامِ أَكْفَانَهُ » ، وَفَرَّتْ : شَبَكَتْ ، وَهُوَ تَصْخِيفٌ .

زَهْرَاءَ فابْتَدَرْتُ لِحَرِيكَ تَهْرَعُ
 حَتَّى تَبِيَّتَ وَقَلْبُهَا مَتَوَجِّعُ
 بِضَمِيرِهِ سَرَّ النُّبُوَّةَ مَوْدِعُ
 وَأَتْنَه تَمْرَحُ بِالضَّلَالِ وَتَنْتَلِعُ^(١)
 وَهُوَ ابْنُهُ ، فَلَايَ أَمْرٍ يَنْعُ ؟
 بِالْبَعْدِ بَيْنَهُمَا الْعَلَّاقُ تَقْطَعُ
 بِالْقُرْبِ مِنْ حَرَمِ النُّبُوَّةِ مَضْجَعُ
 أَرْكَانَ شَاغِغَةِ الْهَدَى تَنْضَعُضَعُ
 ذُوبَ الْحَمِشَا عَمِيرَاتِهِ نَتَدَفِّعُ
 رَاوٍ وَمَقْلَتُهُ تَفِيضُ وَتَنْدَمَعُ
 مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ بِالْكَرَى لَا يَهْجَعُ
 رَغْدٌ وَلَا يَصْفُو لَوْرْدِي مَشْرَعُ
 عَضِدٌ أَرْدَ بِهِ الْخَطُوبُ وَأَدْفَعُ
 نَفْسًا تَصْغَدُ الدَّمُوعَ الْهَمْعُ^(٢)
 يَجْدِي الْبُكَاءَ لِنَظَامِيءٍ أَوْ يَنْفَعُ

لَكِنَّهَا عَلِمْتَ بِأَنَّكَ مَهْجَةُ الدِّ
 وَرَمَتْكَ كَيْ تَصْمِي حَشَاشَةَ فَاطِمِ
 مَا أَنْتَ إِلَّا هَيْكَلُ الْقُدُسِ الَّذِي
 جَلَبَتْ عَلَيْهِ بَنُو الدَّعْيِ حَقُودَهَا
 مَنَعْنَهُ عَنْ حَرَمِ النَّبِيِّ ضَلَالَةً
 وَكَأَنَّهُ رُوحُ النَّبِيِّ وَقَدْ رَأَتْ
 فَلِذَا قَضَتْ أَنْ لَا يُحْطَ لِحَسَمِهِ
 اللَّهُ أَيَّ رَزِيَّةٍ كَادَتْ لَهَا
 رِزْءٌ بِكَتْ عَيْنِ الْحُسَيْنِ لَهُ وَمَنْ
 يَوْمَ انْشَى يَدْعُو وَلَكِنْ قَلْبُهُ
 أَتَرَى يَطْيِفُ بِالسَّلْوِ وَنَاطِرِي
 أَأَحْيَى لَا عَيْثِي يَجْمُوسُ خِلَالَهُ
 خَلَفْتَنِي مَرْمَى النُّوَابِ لَيْسَ لِي
 وَتَرَكْتَنِي أَسْفَا أَرْدَدَ بِالشَّجَا
 أَبْكِيكَ يَا رَيَّ الْقُلُوبَ لَوَانَهُ



(١) تَلَعُ الْعَنَقُ : تَتَطَاوَلُ زَهْوًا وَتَكْتَبِرُ .

(٢) هَمَعَتْ عَيْنُهُ : سَالَتْ بِالْذَمْعِ ، وَسَحَابَ فَمْعٌ : مَاطَرٌ ، وَدَمُوعُ هَوَامِعُ : مَيَّالَةٌ .

الباب الخامس
في تلخيص العلم الصين (عليه السلام)

المقصد الأول
في ولادة الإمام الحسين (عليه السلام)
ونذكر طرف من فضائله

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

فجد الولادة السعيدة للإمام الحسين (عليه السلام)

المشهور أنَّ ولادة الإمام الحسين (عليه السلام) كانت في المدينة لثلاث خلون من شعبان ، ويروي الشيخ الطوسي^(١) (ره) خروج التوقيع الشريف إلى القاسم بن علاء الهمداني وكيل الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وفيه : ولد مولانا الإمام الحسين (عليه السلام) يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان ، فعليك بصيام هذا اليوم والدعاء بهذا الدعاء :

« اللهم إني أسألك بحق المولود في هذا اليوم . . . » الخ .

ويذكر ابن شهر آشوب (ره) أنَّ ولادته (عليه السلام) كانت بعد عشرة أشهر وعشرين يوماً من ولادة أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) ، يوم الثلاثاء أو الخميس الخامس من شعبان من السنة الرابعة من الهجرة ؛ وقال : روي أنَّه لم يكن بين الحسن والحسين إلا مدة الحمل ، وكانت ستة أشهر .

ويقول السيد ابن طاوس ، والشيخ المفيد في (الإرشاد) أيضاً : إنَّ ولادته (عليه السلام) كانت في الخامس من شعبان .

وذكر الشيخ المفيد في (المقنعة) والشيخ^(٢) في (التهذيب) والشهيد^(٣) في (الدروس) أنها كانت آخر شهر ربيع الأول ، ويوافق هذا القول رواية الكافي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) إذ قال :

(١) أي شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله .

(٢) كلما ذكر الشهيد مطلقاً - أو بقيد : الأول - فهو الشهيد الأول أبو عبد الله محمد بن المكي العاملي المتوفى سنة

٧٨٦هـ . راجع ترجمته في (الكافي والألقاب) .

« كان بين الحسن والحسين (عليهما السلام) طهر ، وكان بينها في الميلاد ستة أشهر وعشراً » .

وإجمالاً ، فقد وقع اختلاف كبير في يوم ولادته (عليه السلام) ، والله هو العالم .

أمّا كيفية ولادته (عليه السلام) : فيروي الشيخ الطوسي (ره) وآخرون بسند معتبر عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال :

لما ولد الإمام الحسين (عليه السلام) قال النبي (صلى الله عليه وآله) لأسماء بنت عميس : يا أسماء ، هلمّي ابني ، فدفعته إليه في خرفة بيضاء فأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، ووضعته في حجره فبكى ، فقالت أسماء : قلت : فذاك أبي وأمي ، ممّ بكائك ؟ قال : على ابني هذا ، قلت : أنه ولد الساعة يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال : تقتله الفئة الباغية من بعدي ، لا أنا لهم الله شفاعي .

ثم قال : يا أسماء ، لا تخبري فاطمة بهذا فإنها قريبة عهد بولادته .

فلما كان يوم سابعه دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بابنه ، فلما أتوه به عنى عنه (صلى الله عليه وآله) كبشاً أملح ، وأعطى القابلة وركاً ، ثم حلق رأسه ، وتصدّق بوزن الشعر ورقاً^(١) ، وخلق رأسه بالخلوق^(٢) ، ثم احتضنه وقال : يعزّ عليّ قتلك يا أبا عبد الله ، ثم بكى ، فقالت أسماء :

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد صنعت هذا في اليوم الأول وفي هذا اليوم ، فما هو ؟ قال : « أبكي على ابني هذا ، تقتله فئة باغية كافرة من بني أمية لعنهم الله ، لا أنا لهم الله شفاعي يوم القيامة ، يقتله رجل يثلم الدين ويكفر بالله العظيم » ، ثم قال :

« اللهم إني أسألك فيها ما سألك إبراهيم في ذريته ، اللهم أحبهما وأحب من يحبهما ، والعن من يبغضهما ملء السماء والأرض » .

يروي الشيخ الصدوق وابن قولويه وآخرون عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه لما ولد الحسين (عليه السلام) أمر الله تعالى جبرئيل أن يهبط في ملا من الملائكة فيهنّ محمداً (صلى الله عليه وآله) ، فهبط فمرّ بجزيرة فيها ملك يقال له : فطرس ، (وكان من حملة العرش) بعثه الله في شيء فأباط ، فكسر جناحه ، فألقاه في تلك الجزيرة ، فعبد الله سبعمة عام ، (حتى ولد الحسين (عليه السلام)) .

(١) الورق : الفضة .

(٢) الخلق : ضرب من الطيب .

وبرواية أخرى أَنَّ الله تعالى خيَّره بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختار عذاب الدنيا ، فعَلَّقَهُ بأهداب عينيه في تلك الجزيرة ، في مكان لم يعبر منه حيوان قط ، وكان يخرج منه ريح تنن باستمرار ؛ فلَمَّا رَأَى جبرئيل هابطاً مع الملائكة قال لجبرئيل : إلى أين ؟ فقال : إلى مُحَمَّدٍ (صَلَّى الله عليه وآله) (اهتبه بما أنعم الله به عليه) ، قال : احلني معك لعلَّه يدعو لي .

فلَمَّا دخل جبرئيل وأخبر مُحَمَّداً (صَلَّى الله عليه وآله) بحال فطرس قال له النبي (صَلَّى الله عليه وآله) : قل له يتمسح بهذا المولود ، فتمسح فطرس بمهد الحسين (عليه السلام) فأعاد الله عليه في الحال جناحه ، ثم ارتفع مع جبرئيل إلى السماء بعد أن قال :

يا رسول الله ، ما أسرع ما تقتل أمتك هذا المولود ، وله عليّ بما أنعم الله عليّ ببركته أَنَّ من زاره فسأوصل إليه زيارته ، وَأَنْ من سَلَّمَ عليه فسأوصل إليه سلامه ، وَأَنْ من صَلَّى عليه فسأوصل إلى صلاته .

ووفقاً للرواية أخرى أَنَّ فطرس لما ارتفع إلى السماء كان يقول : من هو مثلي وقد نلت حُرْبِي بفضل الحسين بن عليّ وفاطمة ومُحَمَّد (عليهم السلام) ؟

ويروي ابن شهر آشوب أَنَّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) اعتَلَّت بعد أن ولدت الحسين (عليه السلام) وجفَّت لبنها ، فطلب له رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) من ترضعه فلم يجد له مرضعة ، فكان يأتيه فيلقمه إبهامه فيمصّها وفي رواية أخرى أَنَّهُ كان يلقمه لسانه فيزقه كما تزق الدجاجة فرخها ، فكان غذاؤه منه أربعين يوماً حتّى نبت لحمه من لحم رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، والمرويات بهذا المضمون كثيرة .

وروي في (علل الشرايع) أَنَّ حال الإمام الحسين (عليه السلام) في الرضاع بقيت كذلك حتّى نبت له لحم من لحم رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، وَأَنَّهُ (عليه السلام) لم يرضع من ثدي أمّه ولا من غيرها .

ويروي الشيخ الكليني في (الكافي) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أَنَّهُ قال :

« لم يرضع جَدِّي الحسين من ثدي فاطمة ولا من أنثى غيرها ، بل كان يؤق به النبي فيضع إبهامه في فيه فيمتصّ منها ما يكفيهِ اليومين والثلاثة » .

فلحم الحسين ودمه إِذَا من لحم رسول الله ودمه ، ولم يولد لستّة أشهر سوى عيسى ابن مريم (عليها السلام) والحسين بن عليّ (عليها السلام) ، وبعض الروايات تذكر اسم يحيى مكان عيسى .

يقول السيد بحر العلوم :

لله مُرْتَضِعٌ لم يرتضع أبداً من ثدي أنثى ، ومن طه مرضعه



الفصل الثاني

في فضائل الإمام الحسين (عليه السلام) ومناقبه ومكارم أخلاقه

جاء عن (الأربعين) للمؤذن وعن (التاريخ) للخطيب وعن غيرهما عن جابر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ صُلْبِهِ خَاصَّةً ، وَجَعَلَ ذُرِّيَّتِي مِنْ صُلْبِي وَصَلَبَ عَلَيَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ؛ إِنَّ كُلَّ بَنِي بَنْتٍ يَنْسِبُونَ إِلَى أَبِيهِمْ إِلَّا أَوْلَادَ فَاطِمَةَ فَإِنِّي أَنَا أَبُوهُمْ » .

محبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) للحسين (عليهما السلام)

يقول المؤلف : أحاديث كثيرة من هذا القبيل تدلّ على أَنَّ الحسين (عليهما السلام) إنما هما ابنا النبي (صلى الله عليه وآله) ؛ وأمير المؤمنين سلام الله عليه يقول في بعض آيām صفين حين رأى ابنه الحسن (عليه السلام) يتسرّع إلى الحرب :

املكوا عنيّ هذا الغلام لا يهذي ، فإنّي أنفس بهذين - يعني الحسن والحسين - عن الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

يقول ابن أبي الحديد : إذا قيل إنّ الحسن والحسين ابنا النبي أقول : إنّها لكذلك ، فالله عزّ وجلّ في قوله في آية المباشرة : ﴿ أَبْنَاءُنَا ﴾ إنما أراد الحسن والحسين ؛ وقد عدّ الله تعالى عيسى من ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ ؛ ولا خلاف بين أهل اللغة في أَنَّ أَبْنَاءَ الْبَنْتِ هُمْ مِنْ نَسْلِ أَبِيهَا ؛ فإن قيل إنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ فأقول : إنّ مُحَمَّدًا أَبُو إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَارِيَةَ عَرَفَتْ أُمُّ لَمْ تَعْرِفْ ، ومهما كان القول فجوابي في حقّ الحسن والحسين هو ذلك .

لقد نزلت هذه الآية المباركة بشأن زيد بن حارثة إذ عدّ ابناً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) على سنّة الجاهليّة ، فنزلت تنقض هذا الاعتقاد وتقول إنّ مُحَمَّدًا ليس أباً أَحَدٍ مِنْ

رجالكم ، لا أنها تقول إن محمداً ليس أباً لابنيه الحسن والحسين .

وروي في العديد من كتب العامة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخذ بيد الحسن فقال :

« من أحبني وأحب هذين وأبائهما وأمهما كان معي في درجتي في الجنة يوم القيامة » . وقد نظم بعضهم هذا الحديث فقال :

أخذ النبي يد الحسين وصنوه يوماً وقال وصحبه في مجمع
من ودني يا قوم أو هذين أو أبويهما فالخلد مسكنه معي

وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حمل الحسن والحسين على ظهره : الحسن على أضلاعه ، اليمنى ، والحسين على أضلاعه اليسرى ، ثم مشى وقال : « نعم المطي مطبكما ، ونعم الراكبان انتما ، وأبوكما خير منكما » .

ويروي ابن شهر اشوب أن رجلاً أذنب ذنباً في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتغيب حتى وجد الحسن والحسين (عليهما السلام) في طريق خالٍ فأخذهما فاحتملها على عاتقيه وأتى بهما النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله ، إني مستجير بالله وبهما ، فضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى ردَّ يده إلى فمه ؛ ثم قال للرجل : اذهب فانت طليق ؛ وقال للحسن والحسين : قد شفعتكما فيه أي فتيان ، فأنزل الله تعالى :

﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ (النساء / ٦٤) .

ويروي ابن شهر اشوب أيضاً عن سلمان الفارسي أن الحسين (عليه السلام) كان على فخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان يقبله ويقول :

« أنت السيد ابن السيد أبو السادة ، أنت الإمام ابن الإمام أبو الأئمة ، أنت الحجة ابن الحجة أبو الحجج تسعة من صلبك ، وتاسعهم قائمهم » .

ويروي الشيخ الطوسي بسند صحيح أن الحسين (عليه السلام) تأخر في الكلام ، فصحبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً إلى المسجد فأوقفه إلى جانبه ثم كبر للصلاة فلم يردَّ الحسين (عليه السلام) التكبير ، ولم يزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يكبر والحسين يعالج التكبير فلم يفلح حتى أكمل سبع تكبيرات ، فردَّ الحسين التكبير في السابعة ، وهكذا صار التكبير للصلاة سبع مرات سنة .

ويروي ابن شهر اشوب أن جبرئيل نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً

بصورة دحية الكلبي ، وبينما هو عنده إذا بالحسن والحسين (عليهما السلام) يدخلان ، فتقدمتا من جبرئيل - وهما يظنان دحية الكلبي - وطلبا منه هدية ، فرجع جبرئيل يده إلى السماء وأعادها وفيها تفاعحة وسفرجلة ورمانة فقدمها لهما ، ففرحا بها وقدماهما إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذها وشتمها ثم ردها إليهما ، وقال : امضيا بها إلى أمكما ، ولو ذهبتا بها إلى أبيكما أولاً فهو خير .

فعملوا بقوله (صلى الله عليه وآله) ، وبقيتا عند أبيهما حتى وافاهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، واكلوا منها جميعاً ، وكانت كلما أكلوا منها عادت كما كانت في حالها الأولى ، لم تنقص ، حتى إذا ارتحل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الملكوت الأعلى كانت الفاكهة عند أهل البيت لم يطراً عليها طارئ ، فلما توفيت فاطمة (عليها السلام) اختفت الرمانة ولما استشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) اختفت السفرجلة وبقيت التفاحة عند الإمام الحسن (عليه السلام) حتى استشهد مسموماً دون أن تصاب بسوء ، وانتقلت بعده إلى الإمام الحسين (عليه السلام) .

يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) : لما حوَصر أبي بأهل الجور والخفاء في بيضاء كربلاء كانت تلك التفاحة معه ، وكان كلما غلبه العطش أخرجها فشمها لكي تحفّف عطشه ، فلما اشتد عليه العطش وأيقن أنه مَيّت عطشاً ، ولما استشهد (عليه السلام) لم يُعثر لها على أثر .

ثم قال : «... فبقي ريحها بعد الحسين (عليه السلام) ، ولقد زرت قبره فوجدت ريحها يفوح من قبره ، فمن أراد ذلك من شيعتنا الزائرين للقبر فليتمسك ذلك في أوقات السحر فإنه يجده إذا كان غلصاً » .

ويروي عن أمالي المفيد النيشابوري عن الرضا (عليه السلام) أنه قال :

«عري الحسن والحسين صلوات الله عليهما وأدركهما العيد ، فقالا لأُمهما : قد زَيْنَا صبيان المدينة إلّا نحن ، فما لك لا تزِينينا ؟ فقالت : إنّ ثيابكما عند الحَيّاط ، فلماذا أتاني زَيْنَتكما .

فلما كانت ليلة العيد أعادوا القول على أمهما فبكت ورحمتها ، فقالت لهما ما قالت في الأولى .

فلما أخذ الظلام قرع الباب قارع ، فقالت فاطمة : من هذا ؟ قال : يا بنت رسول الله أنا الحَيّاط جئت بالثياب ؟ ففتحت الباب فإذا رجل ومعه من لباس العيد ، قالت فاطمة : والله لم أر رجلاً أهيب سيمة منه ، فناولها منديلاً مشدوداً ثم انصرف .

فدخلت فاطمة ففتحت فلذا فيه قميصان ودرّعتان ، وسروالان ، ورداءان ، وعمامتان ، وخفّان أسودان معقّبان بحمرة ؛ فأيقظتها وألبستها ، فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهما مزيتان فحملهما وقبلهما ثم قال : رأيت الحياط ؟ قالت : نعم يا رسول الله ، والذي أنفذته من الثياب ، قال : يا بنية ، ما هو حياط ، إنّما هو رضوان خازن الجنة ؛ قالت : فمن أخبرك يا رسول الله ؟ قال : ما عرج حتى جاءني وأخبرني بذلك .

ويقرب من هذا الحديث ما ورد في الأثر عن (المتخب) من أنّ الحسن والحسين (عليهما السلام) حضرا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم عيد ، وكانا يريدان لباساً جديداً ، فأحضر لهما جبرئيل ثوبين مخيطين أبيضين ، فالتصمّا لباساً ملوّناً ، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بطست فأحضر وصبّ جبرئيل فيه الماء ، فاختر الحسن (عليه السلام) اللون الأخضر ، بينما اختار سيّد الشهداء (عليه السلام) اللون الأحمر ، فبكى جبرئيل وأخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) باستشهاد سبطيه ، وأنّ الحسن (عليه السلام) يموت بالسمّ فيخضر لونه عند موته ، وإنّ الحسين (عليه السلام) يقتل فيختضب بالدم .

يروى العياشي وغيره أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) مرّ يوماً بمساكين قد بسطوا كساء لهم وألقوا عليه كسراً ، فقالوا : هلّم يا بن رسول الله ، فثنى ورده فأكل معهم ، ثم قال : إنّ الله لا يحبّ المستكبرين ، ثم قال : قد أجتكم فاجيبوني ، قالوا : نعم يا بن رسول الله ، فقاموا معه حتى أتوا منزله ، فقال للجارية : أخرجي ما كنت تدخرين . (ثم ضيّقهم وأنعم عليهم ولاطفهم) .

سخاء الإمام الحسين (عليه السلام) وجوده

مما يروى عن جوده وسخائه (عليه السلام) أنّ أعرابياً وفد المدينة فسأل عن أكرم الناس بها ، فدلّ على الحسين (عليه السلام) ، فدخل المسجد فوجده مصلياً ، فوقف بإزائه وأنشأ :
لم ينجب الآن من رجاك ومن حرّك من دونك بابك الحلقة
أنت جواد وأنت معتمد أبوك قد كان قاتل الفسقة
لولا الذي كان من أوائلكم كانت علينا الجحيم منطبقة
قال : فسلمّ الحسين وقال : يا قنبر ، هل بقي من مال الحجاز شيء ؟ قال : نعم أربعة آلاف دينار ، فقال هيّئها فقد جاء من هو أحقّ بها منّا .

ثمّ إنّّه ذهب إلى بيته فتزع برده ولقّ الدنانير به ، وأخرج يده من شقّ الباب حياة من الأعرابي ، وأنشأ :

خَذَهَا فَلِإِنِّي إِلَيْكَ مُعْتَذِرٌ وَاعْلَمْ بِأَنِّي عَلَيْكَ ذُو شَفِيقَةٍ
لَوْ كُنَّا فِي سِيرِنَا الْغَدَاةَ عَصَا^(١) أَمْسَتْ سَهَابًا عَلَيْكَ مُنْدَفِقَةٌ
لَكُنَّ رِيبَ الزَّمَانِ ذُو غَيْرٍ وَالْكَفَّ مِنِّي قَلِيلَةُ النِّفْقَةِ
قال : فَأَخَذَهَا الْأَعْرَابِيُّ وَبَكَى ، فَقَالَ لَهُ : لَعَلَّكَ اسْتَقَلَلْتَ مَا أَعْطَيْنَاكَ ، قَالَ : لَا ،
وَلَكِنْ كَيْفَ يَأْكُلُ التُّرَابُ جُودَكَ .

وروي شبيه هذه الحكاية عن الإمام الحسن (عليه السلام) .

يقول المؤلف : كثيراً ما تروى المناقب عن الإمام الحسن (عليه السلام) حيناً ، وعن
الإمام الحسين حيناً آخر ، وعلة ذلك التقارب بين اسميهما ، الأمر الذي يدعوا إلى
التصحيح ، ما لم يُحَرَّصَ على تحري الضبط والدقة .

ويروي في بعض الكتب عن عصام بن المصطلق أنه قال :

وفدت المدينة فلقيت الحسين بن عليٍّ فأعجبني حسن وجهه وجمال مظهره ، فدفعني
الحسد إلى إظهار البغض والعداوة اللتين أكنّهما في صدري لأبيه ، فدنوت منه وقلت : أأنت
ابن أبي تراب ؟

(يقول المؤلف : يدعو أهل الشام أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذه الكنية ظناً منهم
أنهم إنما ينتقصون منه ، في حين أنهم إنما يلبسونه الحلي والخلل إذ يدعونه بها) .

وعلى العموم : فقد سأله عصام : أأنت ابن أبي تراب ؟ قال : بلى .

قال : فبالغت في شتمه وشتم أبيه ، فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف ، ثم قال : أعوذ بالله
من الشيطان الرجيم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ﴿ ...
الآيات إلى قوله : ﴿ ثُمَّ لَا يَعْصِرُونَ ﴾ (الأعراف / ١٩٩ / ٢٠٢) .

(في هذه الآيات إشارة إلى مكارم الأخلاق التي أذب الله تعالى بها نبيه الكريم ، ومنها
أن يكتفي باليسور من سلوك الناس ، وأن لا يتوقع المزيد ؛ وأن لا يقابل السيئة بالسيئة ، وأن
يعرض عن الجاهلين ، وأن يعوذ بالله عند وسوسة الشيطان) .

ثم قال (عليه السلام) : خَفِّضْ عَلَيْكَ ، اسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكَ ؛ فَإِنْ سَأَلْتَ الْعَوْنَ
أَعَاكَ ، وَإِنْ رَجَوْتَ عَطَاةَ أَعْطَيْنَاكَ ، وَإِنْ اسْتَرْشَدْتَنَا أَرْشَدْنَاكَ .

(١) العصا هنا كناية عن القوة والإمارة والحكم .

قال عصام : فحجّلت من قوله ومن تقصيري ، ولما رأى خجلي قال :

﴿ لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين ﴾ .

(وهذه الآية الشريفة جرت على لسان النبي يوسف (عليه السلام) لإخوته ، قالها في معرض العفو عنهم ، وأنه لا يلومهم ولا يعتب عليهم ، وأن الله يغفر لهم ، فهو أرحم الراحمين) .

ثم قال (عليه السلام) : أنت شاميّ ؟ قال : أجل ، قال : شنيئة أعرفها من أخزم .

(وهذا مثل تمثّل به (عليه السلام) ، ومفاده أن هذه عادة ألفناها من أهل الشام بعد أن استنّها معاوية لهم) .

ثم قال : حيّانا الله وإياك ، إن كانت لك عندنا حاجة فقلها دون حرج ، ولا تظننّ بنا إلّا خيراً إن شاء الله تعالى .

قال عصام : مع هذه الأخلاق الحسنة - وما قابلتها به من جرأة وعداء - ضاقت بي الأرض ، وتمنيت لو أنها تنشقّ وتبتلعي ؛ ثم خرجت من عنده متمهلاً أداري نفسي بالناس حذراً من أن يراني ، ولم يكن عندي - بعد هذا المجلس - من هو أحبّ إليّ منه ومن أبيه .

ويروى عن (مقتل آل الرسول) للخوارزمي وعن (جامع الأخبار) أن أعرابياً جاء إلى الحسين بن عليّ (عليهما السلام) فقال :

يا بن رسول الله ، قد ضمنت دبة كاملة وعجزت عن أدائها ، فقلت في نفسي : أسأل أكرم الناس ، وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) . فقال الحسين (عليه السلام) : يا أخا العرب ، أسألك عن ثلاث مسائل ، فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال ، وإن أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال ، وإن أجبت عن الكلّ أعطيتك الكلّ . . . فقال الأعرابيّ : يا بن رسول الله ، أمثلك يسألك مثلي وأنت من أهل العلم والشرف ؟ فقال الحسين (عليه السلام) : بلى ، سمعت جدّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول : المعروف بقدر المعرفة ؛ فقال الأعرابيّ : سل عنيّ بدا لك ، فإن أجبت وإلّا تعلّمت منك ، ولا قوة إلّا بالله .

فقال الحسين (عليه السلام) : أيّ الأعمال أفضل ؟ فقال الأعرابيّ : الإيمان بالله .

فقال الحسين (عليه السلام) : فما النجاة من المهلكة ؟ فقال الأعرابيّ الثقة بالله .

فقال الحسين : فما يزيّن الرجل ؟ فقال الأعرابيّ : علم معه عمل .

فقال : فإن أخطأ ذلك ؟ فقال مال معه مروءة .

فقال : فإن أخطأ ذلك ؟ فقال : فقر معه صبر .

فقال : فإن أخطأ ذلك ؟ فقال : فصاعة تنزل من السماء وتحرقه ، فإنه أهل لذلك .

فضحك الحسين (عليه السلام) ورمى بصرّة إليه فيها ألف دينار ، وأعطاه خاتمه وفيه فصّ قيمته مئتا درهم ، وقال : يا أعرابي ، أعط الذهب إلى غرماثك ، واصرف الخاتم في نفقتك .

فأخذها الأعرابي وقال : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ .

طرف من زهده ومناقبه (عليه السلام)

يروى ابن شهر آشوب أنه شوهد على ظهر الإمام الحسين (عليه السلام) بعد استشهاده ندوب خشنة ، ولما سئل الإمام زين العابدين (عليه السلام) عنها قال : إنها آثار ما كان يعمل من طعام وغيره ليوصله إلى بيوت الأباة من النساء ، واليتامى من أطفال الفقراء والمساكين .

ويروى أنه (عليه السلام) حجّ خمساً وعشرين حجة ماشياً والتجائب تقاد خلفه .

ومن زهده (عليه السلام) أنه قيل له : ما أعظم خوفك من ربك ! قال : « لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا » .

وذكر ابن عبد ربّه في (العقد الفريد) أنه قيل لعليّ بن الحسين (عليهما السلام) : ما أقلّ ولد أبيك ! فقال : « العجب كيف ولدت ، كان يصليّ في اليوم واللييلة ألف ركعة » .

ويروى السيّد الشريف الزاهد عبد الله محمّد بن الحسن بن عبد الرحمن العلويّ الحسيني في كتاب (التفاضل) عن أبي حازم الأعرج أنه قال : كان الإمام الحسن (عليه السلام) يعظّم الإمام الحسين (عليه السلام) كما لو أنه كان أكبر منه .

وينقل عن ابن عباس أنه قال : سألت الإمام الحسن (عليه السلام) عن السبب فقال إنه يحسّ من الإمام الحسين (عليه السلام) هيبة أشبه بهيبة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وقال ابن عباس : كنّا جلوساً مع الإمام الحسن في مجلس ، فحضر الإمام الحسين (عليه السلام) فتغيّرت حال الإمام الحسن (عليه السلام) احتراماً لأخيه (عليهما السلام) .

وكان الحسين بن عليّ (عليهما السلام) زاهداً حقّاً في الدنيا منذ طفولته وصغر سنّه وابتداء أمره ومقتبل شبابه ، كان يأكل مع أمير المؤمنين (عليه السلام) من قوته ، وكان يشاركه الضيق والشدة والصبر ، وكانت صلاته تقرب من صلاته ، والله تعالى قضى بأن يكون

الحسنان (عليهما السلام) قدوة للامة ، لكنه جعل الفرق بين إرادتيهما من أجل هذا الاقتداء ، إذ لو كانا على نحو واحد وطريقة واحدة لوقع الناس في الضيق .

ويروى عن مسروق أنه قال : وردت يوم عرفة على الحسين بن علي (عليهما السلام) قد وضعت أقذاح السوق أمامه وأمام أصحابه ، والمصاحف إلى جانبهم (يريد أنهم كانوا صائمين منشغلين بقراءة القرآن ينتظرون موعد الإفطار ليفطروا بذلك السوق) ، قال : سألت عن مسائل فأجابني عنها ، وانصرفت .

ثم وردت على الإمام الحسن (عليه السلام) فرأيت الناس يتوافدون إليه ، وقد مدت الموائد وعليها ألوان من الطعام ، وكان الناس يأكلون ويحلمون معهم منها ؛ فلما رأيت ذلك تغيرت حالي ، فرأى الإمام الحسن (عليه السلام) ما بي ، فقال : أي مسروق لم لا تأكل ؟ قلت : إني صائم يا مولاي وقد ذكرت أمراً ، قال : وما ذاك ؟ قلت : أستعين بالله فما أرى (أي ما يراه من اختلاف بينهما) ، دخلت على الحسين (عليه السلام) فإذا به صائم يرقب الإفطار ، ولما أتيتك رأيتك على هذه الحال !

قال : فلما سمع (عليه السلام) قولي ضممني إلى صدره وقال : يا بن الأشرس ، أما تعلم أن الله قضى بأن نكون كليناً قدوة للامة ، فجعلني قدوة لمفطركم ، وجعل أخي قدوة لصائميكم كي تكونوا في سعة ؟

ويروى أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان أشبه في الصورة والسيرة برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأنه كان يقعد في المكان المظلم فيهتدى إليه بياض جبينه ونحوه . ومن مناقب ابن شهر آشوب وكتب أخرى روي أن فاطمة (عليها السلام) أتت بابنيها الحسن والحسين إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقالت : انحل ابني هذين - وفي رواية : هذان ابناك فوزئها شيئاً - فقال : « أما الحسن فله هيبتي وسؤدي ، وأما الحسين فله جرأتي وجودي » ، فقالت : رضيت يا رسول الله .

وفي رواية أنه قال : « أما الحسن فأنحله الهبة والحلم (والعلم) ، وأما الحسين فأنحله الجود والرحمة » .

ويروي ابن طائوس عن حذيفة أنه قال :

سمعت الحسين بن علي (عليهما السلام) يقول : « والله ليجتمعن على قتل طغاة بني أمية ، ويقدمهم عمر بن سعد » ، وذلك في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقلت له : أنباك هذا رسول الله ؟ فقال : لا ، فأنبت النبي فأخبرته فقال : « علمي علمه وعلمه علمي » .

ويروي ابن شهر آشوب عن عليّ بن الحسين (عليهما السلام) أنه قال :

« خرجنا مع الحسين فما نزل منزلاً ولا ارمحل عنه إلا وذكر يحيى بن زكريّا ، وقال يوماً :
من هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى أهدي إلى بني من بغايا بني إسرائيل » .

وجاء في أحاديث معتبرة عن طريق الخاصة والعامة أنّ جبرئيل (عليه السلام) نزل يوماً
فوجد الزهراء (عليها السلام) نائمة ، والحسين في مهده يبكي ، فجعل يناغيه ويسلّيه حتى
استيقظت ، فسمعت صوت من يناغيه ، فالتفت فلم تر أحداً ، فأخبرها النبيّ (صلّى الله
عليه وآله) أنّه كان جبرئيل (عليه السلام) .



الفصل الثالث

فصل ثواب البكاء على الحسين (عليه السلام) ورواياته وأقايمة مجالس الغزاء

يروى الشيخ الجليل الكامل جعفر بن قولويه في (كامل الزيارات) عن ابن خازجة أنه قال : كُنَّا عند الإمام الصادق (عليه السلام) فذكرنا الحسين بن عليّ (عليهما السلام) فبكى أبو عبد الله (عليه السلام) وبكىنا ، ثُمَّ رفع رأسه فقال :

« قال الحسين بن عليّ (عليه السلام) : أنا قتيل العبرة ، لا يذكرني مؤمن إلا بكى » .

ويروي أيضاً أنه ما ذكر الحسين بن علي عند أبي عبد الله في يوم قطّ فرثي أبو عبد الله (عليه السلام) متبسّماً في ذلك اليوم إلى الليل ، وكان أبو عبد الله (عليه السلام) يقول : « الحسين عبرة كلّ مؤمن » .

ويروي الشيخ الطوسي والشيخ المفيد عن أبيان بن تغلب عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : نفّس المهوم لظلمنا تسبيح ، وهمّة لنا عبادة ، وكنهان سرّنا جهاد في سبيل الله » .

ثمّ قال (عليه السلام) : « يجب أن يكتب هذا الحديث بالذهب » .

ويروى بأسناد معتبرة عن أبي حمزة المنشد (أي قارئ الشعر) أنه قال :

قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : يا أبا حمزة أنشدني في الحسين بن عليّ (عليهما السلام) ، فأنشدته فبكى ، ثمّ أنشدته فبكى ، فوالله ما زلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار .

ويرواية أخرى أنه (عليه السلام) قال :

أنشدني كما تشدون وتنوحون ، فلما أنشدته بكى ، وارتفع صوت بكاء نسائه من وراء

الستر ، فلمّا فرغت قال (عليه السلام) :

« من أنشد في الحسين بن علي (عليهما السلام) شعراً فأبكى خمسين فله الجنة ، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة ، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرين فله الجنة ، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنة ، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى واحداً فله الجنة ، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى فله الجنة ، ومن أنشد في الحسين شعراً فتابكى فله الجنة » .

ويروي الشيخ الكشي عن زيد الشحام أنّه قال :

كنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) ونحن جماعة من الكوفيين ، فدخل جعفر بن عفان على أبي عبد الله (عليه السلام) ، فقربه وأدناه ، ثم قال : يا جعفر ، قال : لبيك ، جعلني الله فداك ، قال : بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين وتحميد ، فقال له : نعم جعلني الله فداك ، قال : قل ، فأنشده صلى الله عليه فبكى ومن حوله حتّى صارت الدموع على وجهه ولحيته . ثم قال :

« يا جعفر ، والله لقد شهدت ثلاثاً الله المقربون ههنا يسمعون قولك في الحسين (عليه السلام) ، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر ، ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعتك الجنة بأسرها ، وغفر الله لك » .

ثم قال : « يا جعفر ، ألا أزيذك ؟ » قال : نعم يا سيدي ، قال :

« ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة ، وغفر له » .

يروي حامي حوزة الإسلام السيد الأجل ميرحامد حسين طاب ثراه ، في العقبات عن : « نهج التنقيص » أن محمّد بن سهل صاحب الكميّات قال :

دخلت أنا والكميت على أبي عبد الله (عليه السلام) أيام التشريق ، فقال الكميّ : جعلت فداك ، أتأذن لي أن أقول شعراً في محضرك ؟ فقال : هذه أيام عظيمة مباركة (ومراده أنّه لا يليق قول الشعر في هذه الأيام الشريفة) ، قال الكميّ : هذا الشعر فيكم ، قال : فقل ، ثم بعث وراء بعض أهله ليستمعوا .

ثم إنّ الكميّ راح ينشد والحضور يبكون ، حتّى بلغ قوله :

يصيب به الرامسون عن قوس غيرهم فيا آخراً أسدى له الغي أوله
فرفع (عليه السلام) يديه وقال : « اللهم اغفر للكميت ما قدّم وأخر ، وما أسرّ وأعلن ، وأعطه حتّى يرضى » .

ويروي الشيخ الصدوق في (الأمالي) عن إبراهيم بن أبي عمود أنه قال : قال الرضا (عليه السلام) :

« إِنَّ المحَرَّم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال ، فاستحلَّت فيه دماؤنا ، وهتك حرمتنا ، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا ، وأضرمت النيران في مضاربنا ، وانهب ما فيها من ثقلنا ، ولم ترع لرسول الله حرمة في أمرنا .

إِنَّ يوم الحسين أقرح جفوننا ، وأسبل دموعنا ، وأذلَّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء أورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء ، فعلى مثل الحسين فليكن الباكون ، فإنَّ البكاء عليه يحطُّ الذنوب العظام .

ثمَّ قال (عليه السلام) : « كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى صاحكاً ، وكانت الكآبة تغلب عليه حتَّى يمضي منه عشرة أيَّام ، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ، ويقول : هو اليوم الذي قتل فيه الحسين صلَّى الله عليه .

كما روى الشيخ الصدوق عنه (عليه السلام) أنه قال :

« من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة ، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة يوم فرحه وسروءه ، وقَرَّت بنا في الجنان عينه ؛ ومن سَمَّى يوم عاشوراء يوم بركة ، وأدَّخر فيه لمنزله شيئاً لم يبارك له في ما أدَّخر ، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد لعنهم الله إلى أسفل درك من النار .

ويروي أيضاً بسند معتبر عن الريَّان بن شبیب (وهو خال المعتصم الخليفة العبَّاسي) أنه قال :

دخلت على الرضا (عليه السلام) في أوَّل يوم من المحرم ، فقال لي : « يا بن شبیب ، أصائم أنت ؟ » فقلت : لا ، فقال : « إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريَّا ربَّه عزَّ وجلَّ فقال : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ، فاستجاب الله له ، وأمر الملائكة فنادت زكريَّا وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى ، فمن صام هذا اليوم ثمَّ دعا الله عزَّ وجلَّ استجاب الله له كما استجاب لزكريَّا (عليه السلام) .

ثمَّ قال : « يا بن شبیب ، إِنَّ المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته ، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيِّها ، لقد قتلوا في هذا الشهر ذرَّيته ، وسبوا نساءه ، وانهبوا ثقله ، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً .

يا بن شبيب ، إن كنت باكياً بشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) فإنه ذبح كما يذبح الكيش ، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ، ما لهم في الأرض شبيهون ، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله ، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قتل ، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم فيكونون من أنصاره وشعارهم : « يا لثارات الحسين » .

يا بن شبيب ، لقد حدثني أبي عن أبيه ، عن جده أنه لما قتل جدي الحسين أمطرت السماء دماً وتراًباً أحمر ، يا بن شبيب ، إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً قليلاً كان أو كثيراً .

يا بن شبيب ، إن سرك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزِر الحسين (عليه السلام) ، يا بن شبيب ، إن سرك أن تسكن الغرف المبتنية في الجنة مع النبي (صل الله عليه وآله) فالعن قتلة الحسين (عليه السلام) .

يا بن شبيب ، إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين فقل متى ما ذكرته : « يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً » .

يا بن شبيب ، إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا ، وافرح لفرحنا ، وعليك بولابتنا ، فلو أن رجلاً تولى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة .

ويروي ابن قولويه بسند معتبر عن أبي هارون المكفوف أنه قال :

دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال لي : أنشدني ، فأنشدته فقال : لا ، كما نشدون ، وكما ترثيه عند قبره ، فأنشدته :

امرر على جدت الحسين من فقل لأعظمه الزكية
(ستأتي تنمة هذا الشعر في آخر الباب ، عند ذكر المراثي إن شاء الله) .

قال : فبكي (عليه السلام) فأمسكت أنا ، فقال : مرُّ (أي تابع) فمررت فأنشدت .

يا مريم قمومي فأندي مولاك وعلى الحسين فاسعدي ببكاك
فبكي وتهايج النساء ، فلما أن سكتن قال لي :

« يا أبا هارون ، من أنشد في الحسين فأبكي عشرة فله الجنة » .

ثم جعل يتفحص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد فقال :

« من أنشد في الحسين فأبكي واحداً فله الجنة » .

ثم قال : « من ذكره فبكى فله الجنة » .

ويروى بسند معتبر كذلك عن عبد الله بن بكر أنه قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) فقلت : يا بن رسول الله ، لو بُش قبر الحسين بن عليّ (عليهما السلام) هل كان يصاب في قبره شيء ؟ (أي هل يُعثر في قبره على شيء) فقال :

« يا بن بكر ، ما أعظم مسائلك ! إن الحسين بن عليّ (عليهما السلام) مع أبيه وأمه وأخيه في منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ومعه يرزقون ويحبرون ، وإنه لمن يمين العرش متعلق به ويقول : يا رب ، أنجز لي ما وعدتني ، وإنه لينظر إلى زواره فهو أعرف بهم ، وبأسائهم وأسما آبائهم وما في رحالهم ، من أحدهم بولده ؛ وإنه لينظر إلى من يكيه فيستغفر له ، ويسأل أباه الاستغفار له ، ويقول : أيها الباكي ، لو علمت ما أعد الله لك لفرحت أكثر مما حزنت ، وإنه ليستغفر له من كل ذنب وخطيئة » .

ويروى بسند معتبر كذلك عن مسمع كردين أنه قال :

قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : « يا مسمع ، أنت من أهل العراق ، أما تأتي قبر الحسين ؟ قلت : لا ، أنا رجل مشهور من أهل البصرة ، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة ، وأعداؤنا كثيرة من أهل القبائل من النصاب وغيرهم ، ولست أمنهم أن يرفعوا عليّ عند ولد سليمان (الروالي) فيميلون عليّ » .

قال لي : أفأ تذكر ما صنع به ؟ قلت : بلى ، قال : فتجزع ؟ قلت : إي والله ، واستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك عليّ ، فامتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي .

قال : « رحم الله دمعتك ، أما إنك من الذين يُعدّون من أهل الجزع لنا ، والذين يفرحون لفرحنا ، ويحزنون لحزننا ، ويخافون لحقونا ، ويأمنون إذا أمنا ؛ أما إنك سترى عند موتك - وحضور آبائي لك ، ووصيتهم ملك الموت بك ، وما يلقونك به من البشارة - ما نفر به عينك قبل الموت ، فملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشقيقة على ولدها » .

ثم استعبر واستعبرت معه . . . إلى آخر الحديث الذي ينير البصر والبصيرة .

ويروى بسند معتبر كذلك عن زارة أنه قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) :

« يا زارة ، إن الساء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم (بالحمرة) ، وإن الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد ، وإن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة ، وإن الجبال تقطعت وانتثرت ، وإن البحار تفجّرت ، وإن الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين ، وما اختضبت من امرأة ، ولا أذهنت ولا اكتحلّت ولا رجّلت (شعرها) حتى أتانا

رأس عبد الله بن زياد لعنه الله ، وما زلنا في غيرة بعده .

وكان جدّي إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته ، وحتى يبكي رحمة له من رآه ، وإن الملائكة الذين عند قبره ليكون فيبكي لبكائهم كل من في الهواء والسماء من الملائكة . . .

ويروي ابن قولويه بسند معتبر كذلك عن داود الرقيّ أنّه قال : كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ استسقى الماء ، فلما شربه رأيته قد استعبر ، واغرورت عيناه بدموعه ، ثم قال لي :

« يا داود ، لعن الله قاتل الحسين (عليه السلام) ، فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين ولعن قاتله إلا كتب الله له مئة ألف حسنة ، وحطّ عنه مئة ألف سيئة ، ورفع له مئة ألف درجة ، وكأنا أعتق مئة ألف نسمة ، وحشره الله يوم القيامة ثلج الفؤاد » .

ويروي الشيخ الطوسي (قده) بسند معتبر عن معاوية بن وهب أنّه قال : كنت جالسا عند جعفر بن محمد (عليه السلام) إذ جاءه شيخ قد انحنى من الكبر فقال : السلام عليك ورحمة الله ، فقال : وعليك السلام ورحمة الله يا شيخ ، اذن مني ، فدنا منه وقبل يده وبكى ، فقال له : وما يبكيك يا شيخ ؟ قال له : يا ابن رسول الله ، أنا مقيم على رجاء منكم منذ نحو من مئة سنة أقول : هذه السنة ، وهذا الشهر ، وهذا اليوم ، ولا أراه فيكم (يريد أنه لا يرى رجاء وهو خروجهم على أعدائهم) ، فتلومني أن ابكي ؟

فبكى أبو عبد الله (عليه السلام) ثم قال : يا شيخ ، إن أخرت مني كنت معنا ، وإن عجلت كنت يوم القيامة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال الشيخ : ما أبالي ما فاتني بعد هذا يا ابن رسول الله ، فقال له أبو عبد الله (عليه السلام) : يا شيخ ، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال :

« إني تارك فيكم الثقلين ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا : كتاب الله المنزل ، وعترتي أهل بيتي » . تحيى وأنت معنا يوم القيامة .

ثم قال : يا شيخ ، ما أحسبك من أهل الكوفة ، قال : لا ، قال : فمن أين ؟ قال : من سوادها جعلت فداك ، قال : أين أنت من قبر جدّي المظلوم الحسين ؟ قال : إني لقريب منه ، قال : كيف إتيانك له ؟ قال : إني لأتيه وأكثر ، قال :

« يا شيخ ، ذاك دم يطلب الله تعالى به ، ما أصيب ولد فاطمة ولا يصابون بمثل الحسين ، ولقد قتل (عليه السلام) في سبعة عشر من أهل بيته ، نصحبوا الله وصبروا في جنب الله ، فجزاهم الله أحسن جزاء الصابرين .

إنه إذا كان يوم القيامة أقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه الحسين (عليه السلام) ويده على رأسه يقطر دماً ، فيقول : يا رب سل أمتي فيم قتلوا ابني » .
 وقال (عليه السلام) : « كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين » . صلوات الله وسلامه عليه .



الفصل الرابع

في الأخبار بشهادة الإمام الحسين (عليه السلام)

يروى الشيخ جعفر بن قولويه عن سلمان أنه قال :

لم يبق في الساسات ملك لم ينزل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعزّيه في ولده الحسين (عليه السلام) ويخبره بثواب الله إياه ، ويحمل إليه تربته مصروعاً عليها ، مذبوحاً مقتولاً ، طريحاً مخذولاً ، فيقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« اللهم اخذل من خذله ، واقتل من قتله ، واذبح من ذبحه ، ولا تمتعه بما طلبه » .

قال الراوي : فوالله لقد عوجل الملعون يزيد ولم يتمتع بعد قتله ، ولقد أخذ مغافصة^(١) ، بات سكران وأصبح ميتاً متغيّراً كأنه مطليّ بالقار ؛ وما بقي أحد ممن تابعه على قتله أو كان في محاربه إلا أصابه جنون أو جذم أو برص ، وصار ذلك وراثته في نسلهم .

ويروي كذلك عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال :

« كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا دخل الحسين (عليه السلام) (في طفولته) اجتذبه إليه ، ثم يقول لأمير المؤمنين (عليه السلام) : أمسكه ، ثم يقع عليه فيقبله ويبكي ، فيقول : يا أبا لم تبكي ؟ فيقول : يا بني ، أقبل موضع السيوف منك وأبكي ، قال : يا أبا وأقتل ؟ قال : إي والله ، وأبوك وأخوك وأنت ، قال : يا أبا فمصارعنا شتى ؟ قال : نعم يا بني ، قال : فمن يزورنا من أمتك ؟ قال : لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلا الصديقون من أمتي » .

ويروي كذلك عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال :

(١) أخذ مغافصةً : أخذ فجأة على غرة .

« كان الحسين بن علي (عليهما السلام) ذات يوم في حجر النبي (صلى الله عليه وآله) يلعبه ويضاحكه ، فقالت عائشة : يا رسول الله ، ما أشدّ إعجابك بهذا الصبي ! فقال لها : ويحك ، وكيف لا أحبه ولا أعجب به وهو نعمة فؤادي وقرّة عيني ؟ أما إنّ أمّي ستقتله ، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حجّجي .

قالت : يا رسول الله ، حجة من حجّجك ؟! قال : نعم ، وحجّتين من حجّجي ، قالت : يا رسول الله ، حجّتين من حجّجك ؟! قال : نعم ، وأربعة .

قال : فلم تزل تزاده ويزيد ويضعف حتى بلغ تسعين حجة من حجج رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأعمارها^(١) .

يروى الشيخ المفيد والطبرسي وابن قولويه رضوان الله عليهم بأسناد معتبرة عن الأصمغ بن نباتة وغيره أنّه قال : بينا أمير المؤمنين (عليه السلام) يخطب الناس وهو يقول :

« سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء يكون إلّا نبأتكم به » .

فقام إليه سعد^(٢) بن أبي وقاص^(٣) فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة ؟ فقال له :

« أما والله لقد سألتني عن مسألة حدّثني خليلي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّك ستسألني عنها ، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلّا وفي أصلها شيطان يستفزّك ، وإن في بيتك لسخلًا يقتل الحسين ابني ، ولولا أنّ الذي سألت يعسر برهانه لأخبرتكَ به ، وآية ذلك مصداق ما خبرتكَ به » . وكان عمر بن سعد يومئذ يحبو ويدرج بين يديه .

(١) أي : مع كل حجة عمرة .

(٢) يظهر أن هذه الحادثة وقعت في الكوفة أيام الخلافة الظاهرية لأمير المؤمنين (ع) ، وبناء على ذلك فعمر بن سعد كان في كربلاء في الخامسة والعشرين من عمره تقريباً ، فكان قد انقضى من عمره المشؤم ست سنوات ، وإنّ ما ورد في الكتب غير المعتمدة من أنّ ابن سعد كان على أيام رسول الله (ص) لا أصل له ، وإن كان بعض علماء العامة قد ذكروا أنّ ولادته كانت يوم مقتل عمر ، فلعلّ الأمر اشتبه على الناقل ، والمراد هو يوم مقتل عثمان ، وهذا ما يتناسب مع عبارة : « يحبو ويدرج » الواردة في هذه الرواية المعتمدة .

وعلى فرض صحّتها فقد كان عمر بن سعد في كربلاء في السابعة والثلاثين من عمره تقريباً ، وعلى أيّ حال فما هو مشهور على السنة العامة من تعبيرهم عن عمر بن سعد بـ (شيخ فلاة كربلاء) لا يأخذ عليه ، والله هو العالم .

(٣) براجع المقصد الثالث : في وقائع يوم عاشوراء .

(وفي رواية الإرشاد والاحتجاج لم يرد اسم سعد ، إنما ورد : « فقام إليه رجل » وسأل السؤال ، وأجابه (عليه السلام) بما أجاب به في الرواية المتقدمه) .

ويروي الحميري في (قرب الأسناد) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال :
مرّ عليّ (عليه السلام) بكريلاء في اثنين من أصحابه ، فلما مرّ بها ترقفت عيناه للبكاء
ثم قال :

« هذا مناخ ركايبهم ، وهذا ملقى رحالهم ، وها هنا تهراق دماؤهم ؛ طوبى لك من تربية
عليك تهراق دماء الأحيّة » .

ويروي الشيخ المفيد أنّ عمر بن سعد قال للحسين (عليه السلام) : يا أبا عبد الله ،
إنّ قَيْلَنَا ناساً سفهاء يزعمون أنّي أقتلك ، فقال له الحسين (عليه السلام) :
إنّهم ليسوا سفهاء ولكنهم حلماء ، أما إنّهم يقرّ عيني أن لا تأكل برّ العراق بعدي إلّا
قليلاً » .

ويروي الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّ الحسين بن عليّ
(عليهما السلام) دخل يوماً إلى الحسن (عليه السلام) ، فلما نظر إليه بكى ، فقال له : ما
يبكيك يا أبا عبد الله ؟ قال : أبكي لما يصنع بك ، فقال له الحسن (عليه السلام) :

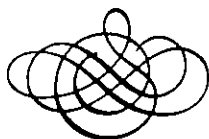
« إنّ الذي يؤقّ إليّ سمّ يدسّ إليّ فأقتل به ، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله ،
يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنّهم من أمة جدّنا محمّد (صلّى الله عليه وآله) ،
ويتحلّون دين الإسلام ، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك ، وانتهاك حرمتك ، وسي
ذرائك ونسائك ، وانتهاج ثقلك ؛ فعندها تحلّ ببني أمية اللعنة ، وتطرّ الساء رماداً ودماً ،
ويبكي عليك كلّ شيء ، حتّى الوحوش في الفلوات ، والحيثان في البحار » .

يقول المؤلف : الحقّ أنّه لو تأمل المتأمل البصير لما رأى مصيبة أعظم من هذه المصيبة ،
من بدء العالم وحتّى الآن ؛ فبعد الرجوع إلى التواريخ والسير لم نجد واقعة بهذا الهول : أن
يقتلوا ابن النبيّ مع أصحابه وأهل بيته في يوم واحد ، ويستهبوا رحلهم ومتاعهم ، ويحرقوا
خيامهم ، ويحملوا رأسه ورؤوس أصحابه ، وأولاده مع العيال والأطفال من مدينة إلى مدينة ،
وأن يركلوا بأقدامهم دفعة واحدة الملة والدين الذي يتظاهرون بالانساب إليه ، ويستمدّون
سلطنتهم وقوّتهم من هذا الدين نفسه لا من دين آخر وملة أخرى !!

ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأوجعها
وأناكها لقلوب المحيّين .

ولله در مهيار حيث قال :

يَمْظُمُونَ لَهُ أَعْوَادَ مَنْبَرِهِ وَتَحْتَ أَرْجُلِهِمْ أَوْلَادُهُ وَضَعُوا
بِأَيِّ حَكَمٍ بَنُوهُ يَتَبِعُونَكُمْ وَفَخَرَكُمُ أَنْكُمْ صَحْبُ لَهُ تَبِعَ





المقصد الثاني

في بيان ما جرى على الإمام الحسين (عليه السلام)
منذ تحرّكه من المدينة حتى نزوله في كربلاء.

وفيه سبعة فصول



الفصل الأول

فجد توجه الإمام الحسين (عليه السلام) الدكة

إن بيان الأمور التي جرت على سيد الشهداء وأصحابه منذ تحرّكه من المدينة المنورة وحتى نزوله في كربلاء ، إلى استشهاد مسلم بن عقيل واستشهاد طفليه ، هذا البيان لتلك الواقعة الهائلة قد ورد بأشكال مختلفة في كتب الفريقين ، وفي هذه الرسالة سنكتفي بإيجاز ما ورد عن أكابر العلماء في الكتب المعتمدة ، كما أننا - وبقدر الإمكان - لن نتجاوز عن روايات الشيخ المفيد والسيد ابن طاووس وابن نما والطبري ، وسنختار رواياتهم إلى روايات سائر الآخرين ، وسنشير في صدر المطالب - على الغالب - إلى الناقل ومحل الاختلاف ، فنقول :

اعلم أنه بعد ارتحال الإمام الحسن (عليه السلام) إلى رياض القدس تحرّك شيعة العراق فبعثوا بكتاب إلى الإمام الحسين (عليه السلام) عرضوا فيه عزمهم على خلع معاوية وبيعة الإمام الحسين (عليه السلام) ، فرأى أنّ المصلحة تقتضي التريث ، وأمرهم بأن يترثوا في هذا حتى تنقضي خلافة معاوية .

وفي ليلة النصف من رجب سنة ستين من الهجرة هلك معاوية ، وتولى الأمر بعده ابنه يزيد ، فانصرف إلى إعداد شؤون ملكه ، فكتب كتاباً إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وكان عامل معاوية على المدينة ، يأمره فيه بأخذ البيعة له من أبي عبد الله الحسين ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير^(١) ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، كما يأمره فيه بأن يشتد عليهم ، وأن لا يقبل أعذارهم ، وأن يضرب عنق كلّ من يأبى البيعة منهم ، ويبعث برأسه إليه .

ولما ورد الكتاب على الوليد أحضر مروان واستشاره في الأمر ، فقال مروان : أرى أن

(١) ذكر أولئك الثلاثة حتى آخر كلامهم بعد وصول رسول الوليد يوافق رواية ابن شهر آشوب وغيره ، إنما لا ينفى أنّ ما بينه التاريخ هو أن موت عبد الرحمن بن أبي بكر كان في عهد معاوية .

تعبّل في إحضارهم وأخذ البيعة منهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ، فمن يابى عليك منهم فاضرب عنقه .

فأرسل الوليد في تلك الليلة يطلبهم إليه ، وكانوا إذ ذاك مجتمعين في روضة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فلما ورد رسول الوليد عليهم قال الحسين (عليه السلام) بأنّه سيحبب دعوة الوليد إذا ما رجع إلى داره ، ورجع رسول الوليد ، وكان عمر بن عثمان .

قال عبد الله بن الزبير : يا أبا عبد الله ، إن دعوة الوليد لنا في هذا الوقت تعني شيئاً ، وإنّه يضرر لنا السوء ، فماذا تقول ؟

قال (عليه السلام) : أظنّ أن معاوية الطاغية قد هلك ، والوليد يدعونا لأخذ البيعة ليزيد .

فلما تبين لهم ما يكنّه الوليد قال عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر : ندخل دورنا ونغلق أبوابنا ، فقال ابن الزبير : والله ما أباع يزيد أبداً ، وقال الحسين (عليه السلام) : أنا لا بدّ لي من الدخول على الوليد .

ثم صار (عليه السلام) إلى بيته ، فدعا ثلاثين نفرًا من أهل بيته ومواليه ، وأمرهم بحمل السلاح ، وأوصاهم أن يكونوا معه ، فإذا دخل إلى الوليد فعليهم أن يجلسوا على الباب ، فإن سمعوا صوته فعليهم أن يدخلوا ليمنعوه .

ثم صار (عليه السلام) إلى الوليد فوجد مروان بن الحكم عنده ، فعنى إليه الوليد معاوية فاسترجع الحسين (عليه السلام) ، ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة له منه ، فقال الحسين (عليه السلام) .

« إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً حتى أباعه جهراً فيعرف ذلك الناس ، فقال له الوليد : أجل ، قال (عليه السلام) : فتصبح وترى رأيك في ذلك » ، فقال له الوليد : انصرف على اسم الله تعالى حتى تأتينا مع جماعة من الناس .

فقال له مروان : والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يباع لا قدرت منه على مثله أبداً ، حتى تكثر القتل بينكم وبينه ، أحبس الرجل ، ولا يخرج من عندك حتى يباع ، أو تضرب عنقه .

فوثب الحسين (عليه السلام) عند ذلك وقال : « أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أم هو ؟ كذبت والله وأثمت » ، ثم أقبل على الوليد فقال :

« أيها الأمير ، إنا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وبنا فتح الله ،

وبنا ختم الله ، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر ، قاتل النفس المحرّمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ، ولكن نصبح وتصبحون ، وننظر وتظرون .

قال هذا ثم خرج ، وصار إلى بيته مع مواليه .

وقد جرت هذه الواقعة ليلة السبت لثلاث بقين من شهر رجب ، ولما خرج الحسين (عليه السلام) قال مروان الوليد : عصيتي ؟ لا والله لا يَمَكِّنُكَ مثلها من نفسه أبداً ؛ فقال الوليد :

ويح لك يا مروان ، اخترت لي التي فيها هلاك ديني ودنياي ، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكتها وأني قتلْتُ حسيناً ، سبحان الله ، أقتل حسيناً أن قال لا أبايع ؟! والله إنّي لأظن أن امرأً يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة .

فقال له مروان (متظاهراً) : فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت في ما صنعت ، يقول هذا وهو غير حامد له على رأيه .

واشتغل الوليد بن عتبة بمراسلة ابن الزبير في البيعة ليزيد ، وامتناعه عليهم ؛ وخرج ابن الزبير من ليلته عن المدينة متوجّهاً إلى مكة ، فلما أصبح الوليد سرّح في أثره ثمانين راكباً من موالي بني أمية ، فطلبوه فلم يدركوه ، فرجعوا .

فلما أصبح الحسين (عليه السلام) خرج من منزله ، فلقه مروان بن الحكم ، فقال له : يا أبا عبد الله ، إنّي لك ناصح ، فأطعني ترشد ؛ فقال الحسين (عليه السلام) : وما ذاك ؟ قل حتّى أسمع ، فقال مروان : إنّي أمرُك ببيعة يزيد ، فإنّه خير لك في دينك ودنياك ؛ فقال الحسين (عليه السلام) :

« إِنَّا لله وَإِنَّا إليه راجعون ، وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمة براع مثل يزيد ، ولقد سمعت جذّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان . »

وطال الحديث بينه وبين مروان حتّى انصرف مروان وهو غضبان .

فلما كان آخر نهار السبت بعث الوليد إلى الحسين (عليه السلام) برجال ليحضر فيبايع ، فقال لهم (عليه السلام) : أصبحوا ثم ترون ونرى ، وفي ليلته وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب خرج متوجّهاً نحو مكة .

كيفية خروجه (عليه السلام) من المدينة

وحين عزم على الخروج من المدينة راح إلى قبر جدّه رسول الله وأمه فاطمة وأخيه الحسن صلوات الله عليهم فودّعهم ، ثم خرج ومعه بنوه وبنو أخيه وإخوته وجلّ أهل بيته إلاّ محمد ابن الحنفية رحمه الله ، فإنه لما علم عزمه على الخروج عن المدينة جاءه فقال :

« يا أخي ، أنت أحبّ الخلق إليّ وأعزّهم عليّ ، ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق ، وليس أحد أحقّ بها منك لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري ، وكبير أهل بيتي ، ومن وجب طاعته في عتقي لأنّ الله قد شرّفك عليّ وجعلك من سادات أهل الجنة .

يا أخي ، تنحّ بيعتك عن يزيد بن معاوية ، وعن الأمصار ما استطعت ، والحق بالبادية ، ثم ابعث رسلك إلى الناس ، ثم ادعهم إلى نفسك ، فإن بايعك الناس وبايعوا لك حمدت الله على ذلك ، وإن اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ، ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك ، إنّي أخاف عليك أن تدخل مصراً من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم ، فمنهم طائفة معك وأخرى عيك ، فيقتتلون ، فتكون إذا لاوّل الأسنة غرضاً ، فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً أباً وأماً أضيّعها دماً ، وأذلّها أهلاً » .

فقال له الحسين (عليه السلام) : فإين أنزل يا أخي ؟ قال :

« نخرج إلى مكة ، فإن اطمانت بك الدار فذاك ، وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن ، فإنهم أنصار جدّك وأبيك ، وهم أرفأ الناس وأرقهم قلوباً ، وأوسع الناس بلاداً ، فإن اطمانت بك الدار ، وإلّا لحقت بالرمال وشعوب الجبال ، وجزت من بلد إلى بلد ، حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس » .

فقال (عليه السلام) : « يا أخي ، قد نصحت وأشفقت ، وأرجو أن يكون رأيك سديداً موثقاً » .

ووفقاً لبعض الروايات : فقطع محمد ابن الحنفية الكلام ويكى ، فبكى الحسين (عليه السلام) معه ساعة ، ثم قال :

« يا أخي جزاك الله خيراً ، فقد نصحت وأشرت بالصواب ، وأنا عازم على الخروج إلى مكة ، وقد تبيّنت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي ، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي ، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً لا تخفي عني شيئاً من أمورهم » .

ثم دعا الحسين (عليه السلام) بدواة وياض وكتب وصيته لأخيه محمد ، ثم مهرها بخاتمه ودفعها إلى أخيه محمد ، ثم ودّعه وخرج في جوف الليل .

ووفقاً لرواية الشيخ المفيد فإنَّ الحسين (عليه السلام) سار إلى مكَّة وهو يقرأ قول موسى عند خروجه إلى مدين خوفاً من فرعون :

﴿ فخرج منها خائفاً يترقب ، قال ربَّ نجنيَّ من القوم الظالمين ﴾ .

ولزم الطريق الأعظم ، فقال له أهل بيته : لو تنكبت عن الطريق كما فعل ابن الزبير كيلا يلحقك الطلب ، فقال : « لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض » .

ويروى عن سكينه (عليها السلام) انها قالت : لما خرجنا من المدينة لم يكن أهل بيت فطأ أشدَّ منا - نحن بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) - خوفاً وفزعاً .

يروي عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنه لما عزم الإمام الحسين (عليه السلام) على الخروج من المدينة علم نساء بني عبد المطلب بما عزم عليه فأسرعن إليه تعلقوا أصواتهنَّ بالعويل والنواح ، فوقف بينهنَّ وأقسم عليهنَّ بالسكوت والامتناع عن البكاء ، فقلن له : إنها لمحنة تفطر الأكباد ، إنما نبكي يوماً سيمر علينا هو والله أشبه باليوم الذي مضى فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأشبه باليوم الذي مضى فيه أمير المؤمنين وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم بنات رسول الله ، جعل الله أرواحنا لك الفداء يا حبيب قلوب المؤمنين ، ويا ذكرى العظماء .

ثم تقدَّمت منه إحدى عيانه تنوح وتقول : أشهد يا نور عيني إني سمعت الجن الآن ينوحون ويقولون :

وإن قنيل الطفت من آل هاشم أذلُّ رقباً من قریش فذلت

وفقاً لرواية القطب الراوندي وآخرين أنَّ أم سلمة زوج الرسول الطاهرة أتت الحسين (عليه السلام) لما عزم على الخروج فقالت : يا بني ، لا تحزني بخروجك إلى العراق ، فإني سمعت جدك يقول :

« يقتل ولدي الحسين بأرض العراق ، في أرض يقال لها كربلاء » فقال لها :

« يا أمَّاه ، وأنا والله أعلم ذلك ، وإني مقتول لا محالة ، وليس لي من هذا بد ، وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه ، وأعرف من يقتلني ، وأعرف البقعة التي أدفن فيها ، وإني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرايبي وشيعتي ، وإن أردت يا أمَّاه أريك حفرتي ومضجعي » .

ثم أشار (عليه السلام) إلى جهة كربلاء فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه ، وموضع عسكره ، وموقفه ومشهده ؛ فعند ذلك بكَّت أم سلمة بكاء شديداً ، فقال لها :

« يا أمّاه ، قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولاً مذبحاً ظلماً وعدواناً ، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشرّدين ، وأطفالي مذبحين مظلومين ، مأسورين مقيدين ، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً » .

ثمّ قال : « يا أمّاه ، والله إنّ مقتول كذلك ، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلونني أيضاً » .
عند ذلك قالت أمّ سلمة عندي تربة دفعها إليّ جدّك في قارورة ، فمدّ الحسين (عليه السلام) يده ، ثم أخذ كفّاً من تربة كربلاء فجعلها في قارورة وأعطاه إياها ، وقال : « اجعلها مع قارورة جدّي ، فإذا فاضنا فاعلمي أنّي قد قتلت » .

كلامه (عليه السلام) مع الملائكة والجن

يقول العلامة المجلسي في (الجلاء) برواية الشيخ المفيد وآخرين بسند معتبر عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال :

« لما سار أبو عبد الله من المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسوّمة ، في أيديهم الخراب ، على نُجُب من نجب الجنّة ، فسلموا عليه وقالوا : يا حجة الله على خلقه بعد جدّه وأبيه وأخيه ، إنّ الله سبحانه أمّد جدّك بنا في مواطن كثيرة ، وإنّ الله أمّدك بنا ؛ فقال لهم : الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها ، وهي كربلاء ، فإذا وردتها فأتوني ؛ فقالوا : يا حجة الله ، مرنا نسمع ونطع ، فهل نخشى من عدوّ يلقاك فنكون معك ؟ فقال : لا سبيل لهم عليّ ، ولا يلقوني بكربة أو أصل إلى بقعتي .

وأنته أفواج مسلمي الجنّ فقالوا : يا سيّدنا ، نحن شيعتك وأنصارك ، فمرنا بأمرك وما تشاء ، فلو أمرتنا بقتل كلّ عدوّ لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك ، فجزاهم الحسين (عليه السلام) خيراً وقال لهم : أو ما قرأتم كتاب الله المنزل على جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة ﴾

وقال سبحانه :

﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ .

وإذا أقمت بمكاني فيماذا يتل هذا الخلق المتعوس ؟ وبماذا يختبرون ؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكربلاء ؟ وقد اختارها الله يوم دحا الأرض وجعلها معقلاً لشيعتنا ، وتكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة ؛ ولكن تحضرون يوم عاشوراء الذي في آخره أقتل ، ولا يبقى بعدي مطلوب من أهل بيتي ، ويُسار براسي إلى يزيد لعنه الله .

فقلت الجن : نحن والله يا حبيب الله وابن حبيبه ، لولا أن أمرك طاعة ، وأنه لا يجوز لنا مخالفتك ، قتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك ؛ فقال صلوات الله عليه : نحن والله أقدر عليهم منكم ، ولكن ليهلك من هلك عن بينة ، وبخبا من حي عن بينة . انتهى .

وقد قال الشيخ الحاج ميرزا محمد القمي صاحب (الأربعين) في هذا المقام أبياتاً من الشعر ضَمَّنْها مفاد الحديث الشريف المتقدم ، وأوضح أن المراد هو الابتلاء والقاء الحجّة ، إلى ما يمتحن به المحبّون الزائرون ، وما ينالون من أجر وثواب ، وما يفوزون به من شفاعة .



الفصل الثاني

في قدوم الإمام الحسين (عليه السلام) إلى مكة وورود كتب أهل الكوفة إليه

تقدّم القول بأن خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة كان ليلة الأحد ليومين
بقيا من شهر رجب .

وكان قدومه إلى مكة المكرمة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شهر شعبان ، ولما دخل
(عليه السلام) مكة تمثّل بقول موسى (عليه السلام) في الآية الكريمة :
﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدِينٌ قَالَ : عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ ﴾ .

لما علم الوليد بن عتبة والي المدينة بخروج الإمام الحسين (عليه السلام) إلى مكة بعث
بدعو عبد الله بن عمر ليحضر فيبايع ، فأجابه عبد الله بأنه حين يبايع الآخرون فسيتمهم
بدوره ويبايع ، ورأى الوليد أنّ في الأناة نفعاً ، وليس فيها من ضرر ، فتركه لحاله ، فبادر
عبد الله متوجّهاً إلى مكة أيضاً .

نزل الحسين (عليه السلام) مكة ، فأقبل أهلها يختلفون إليه ، مع من كان بها من
المعتزمين وأهل الآفاق ، وكان عبد الله بن الزبير قد ألقي عصا ترحاله في مكة ، وقد لزم
جانب الكعبة يصلّي عندها ويطوف أمام الناس ، وراح يأتي الحسين (عليه السلام) فيمن
يأتيه ، فيأتيه اليومين المتواليين ، ويأتيه بين كلّ يومين مرة ، وهو (عليه السلام) أثقل خلق
الله على ابن الزبير لأنّه عرف أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين في البلد .

وبلغ أهل الكوفة هلاك معاوية ، فأرجفوا بيزيد^(١) ، وعرفوا خبر الحسين
(عليه السلام) وامتناعه من بيعته ؛ وما كان من أمر ابن الزبير في ذلك ، وخروجها إلى

(١) أرجفوا بيزيد : خاضوا في سوء سيرته .

مكة ، فاجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صُرْد الخزاعي ، فذكروا هلاك معاوية والبيعة ليزيد ، ثم قام سليمان بهم خطيباً فقال :

إنكم قد علمتم بموت معاوية واستيلاء ولده يزيد على الملك ، وقد خالفه الحسين (عليه السلام) وخرج إلى مكة ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه ، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصرته ومجاهدو عدوه فاكثروا إليه ، وإن خفتهم الوهن والفشل فلا تغرؤوا الرجل في نفسه .

فقالوا : لا ، بل نقاتل عدوه ، ونقتل أنفسنا دونه ؛ ثم كتبوا إليه كتاباً باسم سليمان بن صرد ، والمسبب بن نجبة ، ورفاعة بن شداد البجلي ، وحبيب بن مظاهر (ره) وشيعته المؤمنين من أهل الكوفة ، ومما جاء فيه بعد الحمد والثناء :

« سلامٌ عليك ، أما بعد ، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد . . إنه ليس علينا إمام ؛ فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة ولسنا نجتمع معه في جمعة ولا جماعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله » .

ثم سرحوا بالكتاب مع عبد الله بن يسع الممداني ، وعبد الله بن آل ، وأمرهما بالتعجيل . فخرجا مسرعين حتى قدما على الحسين بمكة لعشر مضي من شهر رمضان .

ثم لبث أهل الكوفة يومين بعد تسريحهم بالكتاب ، وأنفذوا قيس بن مسهر الصيدائي ، وعبد الله بن شداد ، وعُمارة بن عبد الله السلوي إلى الحسين (عليه السلام) ومعهم نحو مئة وخمسين صحيفة من الرجل والائنين والأربعة ، ثم لبثوا يومين وسرحوا إليه هانيء بن هانيء السبيعي ، وسعيد بن عبد الله الحنفي وكتبوا إليه .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى الحسين بن علي (عليه السلام) من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد ، فحيّ هلا فإن الناس ينتظرونك لا أرى لهم غيرك ، فالعجل العجل ، ثم العجل العجل والسلام » .

ثم كتب شبث بن ربعي ، وحجّار بن أبجر ، ويزيد بن الحارث بن رويم ، وعروة بن قيس ، وعمر بن الحجاج الزبيدي ، ومحمد بن عمرو التيمي ، يقولون :

« أما بعد ، لقد اخضرّ الجنب ، وأبنت الثمار ؛ فإذا شئت فأقبل على جند لك مجندة ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده في يوم واحد ستمئة كتاب من عديبي الوفاء أولئك ، وهو مع ذلك يتأبى ولا يجيبهم ، حتى اجتمع عنده اثنا عشر ألف كتاب .

الفصل الثالث

في إيفاد الإمام الحسين (عليه السلام) مسلم بن عقيل إلى الكوفة

لما جاوزت رسل ورسائل أهل الكوفة عديمي الوفاء الحذ ، حتى اجتمع عند سيد الشهداء (عليه السلام) منها اثنا عشر ألف كتاب ، لا جرم أنه (عليه السلام) بعث إليهم كتاباً جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلى الملا من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة .

وأما بعد ، فإن هانئاً وسعيداً قدما علي بكتيكم ، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم ، وقد نهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم ، ومقالة جلّكم أنه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى .

وأنا باعث إليكم اخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل ، فإن كتب إلي بأنه قد اجتمع رأي ملىكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم ، وقرأت في كتبكم فإنّي أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله ، فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب ، القائم بالقسط ، الدائن بدين الحق ، الحابس نفسه على ذلك الله ، والسلام . » .

ودعا الحسين (عليه السلام) مسلم بن عقيل ، وكان من ذوي الرأي والخبرة والشجاعة ، فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيدأوي ، وعسارة بن عبد الله السلوي ، وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي ؛ وأمره بالتقوى وكتهان أمره واللفظ ، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك .

ثم إن مسلماً ودّعه وانصرف خارجاً من مكة .

قال السيد ابن طائوس والشيخ ابن نما وآخرون : كان الإمام الحسين (عليه السلام) قد

كتب كتاباً إلى وجوه أهل البصرة منهم : الأحف بن قيس ، والمنذر بن الجارود ، ويزيد بن مسعود النهشلي ، وقيس بن الهيثم ، جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي ، أما بعد ، فإن الله تبارك وتعالى اختار محمداً المصطفى (صلى الله عليه وآله) للنبوّة والرسالة ، فنصح للناس وبلغهم رسالة ربه ، ثم قبضه إليه تكملاً ، وكان أهل بيته بعده الأحقّ بمقامه والأولى ، لكن جماعة عدوا علينا وسلبونا حقنا ، فسكتنا حتى لا تورى الفتنة أو تسفك الدماء .

إنّي أدعوكم إلى الله ونبّيه ، فإنّ السنّة قد أميتت ؛ فإنّ تحييسوا دعوتي وتطيعوا أمري أهدكم سبل الرشاد ، والسلام .

ثم سرح الكتاب مع مولى له اسمه سليمان ، ويكنّى أبا رزين ، فلما وصلت رسالة الحسين (عليه السلام) جمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد ، فلما حضروا قال :

«يا بني تميم ، كيف ترون موضعي فيكم وحسي منكم؟ فقالوا: بخ بخ ! أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر ، حللت في الشرف وسطاً ، وتقدّمت فيه فرطاً ؛ قال : فإنّي قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه ؛ وأستمع بكم عليه ؛ فقالوا : إنّما والله نمنحك النصيحة ، ونحمد لك الرأي ، فقل نسمع .

فقال : إنّ معاوية مات ، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً ، ألا وإنّه قد انكسر باب الجور والإثم ، وتضعضت أركان الظلم ؛ وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظنّ أنّ قد أحكمه ، هيئات والذي أراد ، اجتهد والله ففشل ، وشاور فخذل ، وقد قام يزيد شارب الخمر ، ورأس الفجور ، يدّعي الخلافة على المسلمين ، ويتأمر عليهم ، مع قصر حلم وقلة علم ، لا يعرف من الحقّ موطنه قدمه .

فأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاذه على الدين أفضل من جهاد المشركين ، وهذا الحسين بن عليّ بن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذو الشرف الأصيل ، والرأي الأثيل ، له فضل لا يوصف ، وعلم لا ينزف ، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنّه وقدمته وقرباته ، يعطف على الصغير ، ويحنو على الكبير ، فأكرم به راعي رعيتي ، وإمام قوم وجبت لله به الحجّة ، وبلغت به الموعظة .

أيها الناس ، لا تعشوا عن نور الحقّ ، ولا تسكّموا في وهدة الباطل ، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل ، فأغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ونصرته ، والله لا يقصر أحد عن نصرته إلّا أورثه الله الذلّ في ولده ، والقلة في عشيرته ، وها أنا قد لبست للحرب

لامتها ، وأدرعت لها بدرعها ؛ من لم يقتل يموت ، ومن يهرب لم يفت ، فأحسنوا - رحمكم الله -
ردّ الجواب .

فتكلمت بنو حنظلة فقالوا : « أبا خالد ، نحن نبيل كنانتك ، وفرسان عشيرتك ، إن
رمت بنا أصبت ، وإن غزوت بنا فتحت ، لا نخوض والله غمرة إلّا خضناها ، ولا تلقى والله
شدّة إلّا لقيناها ، ننصرك بأسيفنا ، ونفيك بأبداننا إذا شئت .

وتكلمت بنو سعد بن زيد فقالوا : « أبا خالد ، إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك
والخروج من رأيك ؛ وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال فحمدنا أمرنا ، وبقي عزّنا
فينا ؛ فأمهلنا نراجع المشورة ، وبأتيك رأينا .

وتكلمت بنو عامر بن تميم فقالوا : « يا أبا خالد ، نحن بنو أبيك وحلفاؤك ، لا نرضى
إن غضبت ، ولا نقطن إن ظعنت ، والأمر إليك ؛ فادعنا نجيبك ، ومرنا نطعمك ، والأمر لك
إذا شئت .

فقال : « والله يا بني سعد ، لئن فعلتموها لا رفع الله السيوف منكم أبداً ، ولا زال
سيفكم فيكم .

هذا ، وبعد أن أطلع أبو خالد على مكنون خواطر القوم كتب إلى الإمام الحسين
(عليه السلام) كتاباً جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد ، فقد وصل إليّ كتابك ، وفهمت ما ندبتني إليه
ودعوتني له من الأخذ بحظّي من طاعتك ، والفوز بنصبي من نصرتك ؛ وإنّ الله لم يخل
الأرض قطّ من عامل عليها بخير ، أو دليل على سبيل نجاة ، وأنتم حجّة الله على خلقه ،
ووديعته في أرضه ، نفرّعت من زيتونة أحمديّة ، هو أصلها وأنتم فرعها ، فأقدم سعدت بأسعد
طائر ، فقد ذللت لك أعناق بني تميم ، وتركتمهم أشدّ تابعاً في طاعتك من الإبل الظياء لورود
الماء يوم خسها^(١) ؛ وقد ذللت لك رقاب بني سعد ، وغسلت درن صدورهم بماء سحابة مزّن
حين استحلّ برقها فلمع .

فلما قرأ الحسين الكتاب قال : « ما لك آمنك الله يوم الخوف ، وأعزّك وأرواك يوم
العطش .

وأما الأحنف بن قيس فكتب إليه (عليه السلام) يقول :

(١) هو أن ترعى الإبل ثلاثة أيام ، وترد الرابع .

أما بعد ، ﴿ فاصبر إنَّ وعد الله حق ، ولا يستخفُّكَ الذين لا يوقنون ﴾ .
ومراده الإشارة إلى غدر أهل الكوفة وعدم وفائهم .

وأما المنذر بن جارود فلأنه جاء بالكتاب والرسول إلى عبيد الله بن زياد ، لأنه خاف أن يكون الكتاب دسيسة من ابن زياد نفسه ، كما أراد معرفة كنه تفكير القوم ، وأن يضع كلاً أمام عمله ؛ وقد كانت بحريّة بنت المنذر بن جارود تحت عبيد الله بن زياد ، فأخذ عبيد الله الرسول فضرب عنقه ، وبرواية أخرى : صلبه ؛ وهذا الرسول هو أبو رزيق سليمان مولى الإمام الحسين (عليه السلام) ، وكان جليل الشأن ، وإن شيخنا قد وضعه قبل هانيء بن عروة بمراتب عديدة في كتاب (اللؤلؤة والمرجان) ، وبعد أن فرغ ابن زياد من قتله صعد المنبر فخطب وتوعد أهل البصرة على الخلاف وإثارة الأراجيف ، ثم استتاب عليهم أخاه عثمان بن زياد ، وأسرع هو إلى الكوفة .

والخلاصة : فحين تجهّز أهل البصرة للخروج لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء بلغهم مقتلهم قبل مسيرهم ، فجزعوا لانقطاعهم عنه .



الفصل الرابع

فجد قديم مسلم بن عقيل الد الكوفة وأمر البيعة

تقدّم الكلام في الفصل السابق عن ردّ الإمام الحسين (عليه السلام) على كتب أهل الكوفة ، وأنه أوفد مسلم بن عقيل حاملاً ردّه هذا إلى أهل الكوفة ، بعد أن ودّعه .

تحرك مسلم من مكّة نحو المدينة (كان خروجه من مكّة في منتصف شهر رمضان ، ووصله إلى الكوفة في الخامس من شوال ، وفقاً لبعض كلمات مسلم) .

ولما أتى المدينة صلّى في مسجد الرسول (صلّى الله عليه وآله) ، وودّع من أحبّ من أهله ، واستأجر دليلين من قيس ، فأقبلا به يتنكبان الطريق فضلاً ، ونفد الماء الذي كان معهم ، فغلبها العطش وماتا عطشاً .

فبعث مسلم مسهر بن قيس بكتاب إلى الحسين (عليه السلام) جاء فيه :

« أنا بعد ، فلماي أقبلت من المدينة مع دليلين لي ، فجارا عن الطريق فضلاً ، واشتدّ علينا العطش فلم يلبثا أن ماتا ، وأقبلنا حتّى انتهينا إلى الماء ، فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا ، وذلك الماء بمكان يدعى المضيق ، وقد تطيّرت من توجّهي هذا ، فإن رأيت أعفيتني وبعثت غيري ، والسلام » .

بيعة أهل الكوفة لمسلم واكتشاف أمره لابن زياد

لكن لحسين (عليه السلام) رفض إعفائه ، وأمره بالمضيّ لوجهه الذي وجّهه فيه ، ولما استلم مسلم الأمر سارع بالسبر إلى الكوفة حتّى بلغها ، ونزل في دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، وكانت تعرف بدار مسلم بن المسيّب ، ويروي الطبريّ أنّه نزل في دار مسلم بن عوسجة ، فلما سمع أهل الكوفة بقدوم مسلم أقبلوا يجتلفون إليه ، ويظهرون سرورهم بمقدمه فيبايعونه .

وجاء في تاريخ الطبري أنه كان ممن اختلف إلى مسلم عابس بن شبيب الشاكري ، فبعد أن قرأ عليهم مسلم كتاب الحسين (عليه السلام) أخذوا يبيكون ، فقام عابس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فإنّي لا أخبرك عن الناس ، ولا أعلم ما في أنفسهم ، وما أغرّك منهم ، والله أحذّرك عني أنا موطن نفسي عليه ، والله لأجيبنكم إذا دعوتكم ، ولأقاتلنّ معكم عدوكم ، ولأضربنّ بسيفي دونكم حتّى ألقى الله ، لا أريد بذلك إلّا ما عند الله » .

فقام حبيب بن مظاهر فقال :

« رحمك الله ، فقد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك » ثم قال : « وأنا والله الذي لا إله إلّا هو على مثل ما هذا عليه » .

ثم وقف الحنفى فقال مثل ذلك (يظهر أن مراده سعيد بن عبد الله الحنفى) .

يقول الشيخ المفيد وآخرون :

وبايعه الناس حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً ، فكتب مسلم إلى الحسين (عليه السلام) يخبره ببينة ثمانية عشرة ألفاً ، ويأمره بالقدوم .

فبلغ النعمان بن بشير ذلك ، وكان والياً على الكوفة من قبل معاوية ، فأقرّه يزيد عليها ، فراح يهذّ الناس ويتوعدهم بأن ينفضوا أيديهم من أمر مسلم والاختلاف إليه ، غير أن كلامه لم يترك وقعاً لديهم .

وخرج عبد الله بن مسلم حليف بني أميّة بعدما رآه من ضعف النعمان فكتب إلى يزيد بن معاوية كتاباً يبلغه فيه خبر قدوم مسلم إلى الكوفة ومبايعة أهلها له ، ويسعى لديه في أمر النعمان ويحثّه على أن يستبدل به رجلاً مقتدرًا قويًّا ؛ كما كتب إليه ابن سعد وآخرون في ذلك .

فلما وصلت الكتب إلى يزيد اللعين استشار سرجون مولى معاوية في الأمر ، وكان ذا حظوة وتقدير عند معاوية وابنه ، فأشار عليه سرجون بضم إمارة الكوفة إلى عبيد الله بن زياد علاوة على إمارة البصرة ، فقال له يزيد : أفعل ، ثم كتب إلى عبيد الله يأمره بالمسير من فوره إلى الكوفة ، وأن يطلب ابن عقيل حتّى يضع عليه يده بأي وسيلة ممكنة ، فيوثقه أو يقتله أو ينفيه من الكوفة .

ولما استلم عبيد الله اللعين كتاب يزيد استخلف أخاه عثمان على البصرة ، وتعيّناً للمسير

من الغد إلى الكوفة يصحبه مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك بن الأعور الحارثي، مع حشمه وأهل بيته.

فلما أشرف على الكوفة نزل حتى أمسى ليلاً، ثم دخلها وعليه عمة سوداء وهو متلثم، والناس قد بلغهم إقبال الحسين (عليه السلام) إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظنوا حين رأوا عبيد الله أنه الحسين (عليه السلام)، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا بن رسول الله، قدمت خير مقدم، فرأى من تباشرهم بالحسين ما ساء، فقال مسلم بن عمرو لما أكثروا: تأخروا، هذا الأمير عبيد الله بن زياد.

وتفرق الناس، وبلغ ابن زياد القصر فدخله، لكنه لم ينم ليلته، فلما أصبح أمر بجمع الناس، ثم صعد المنبر وراح يهذد الناس ويتوعددهم بالليل والثبور إن هم عصوا أميرهم يزيد، كما راح يعددهم بالعطاء والإحسان إن هم سمعوا وأطاعوا.

ثم نزل عن المنبر ودعا إليه العرفاء وطلب أن تكتب له أسماء كل من يخالف يزيد، ومن يرتاب فيه بذلك، وأمر أن يعرضوا عليه، وتوعددهم بهدر دمائهم وأموالهم إن بدا منهم ضعف أو تقاعس في هذا الأمر.

وبرواية الطبري وأبي الفرج أن مسلماً لما سمع بمجيء عبيد الله إلى الكوفة خرج من دار المختار - وقد علم به - حتى انتهى إلى دار هانيء بن عروة، فدخل بابه وأرسل إليه أن اخرج، فخرج إليه هانيء فكره مكانه حين رآه، فقال له مسلم: أتيتك لتجبرني وتضيقي، فقال: رحك الله، لقد كلفتي شططاً، ولولا دخولك داري وثقتك لأحببت ولسألتك أن تخرج عني، غير أنه يأخذني من ذلك ذمام، وليس مردود مثلي على مثلك عن جهل، ادخل.

وبرواية سابقة أن الشيعة أخذت تختلف إليه في دار هانيء على تسر واستخفاء فتبايعه، وكان يأخذ على كل من بايعه القسم بالكتيان، وسار الأمر على هذا المنوال حتى بلغ من بايعه خمسة وعشرين ألف رجل، وابن زياد يجهل موضعه، فدعا موثقاً له يقال له معقل وطلب منه أن يلتزم مسلماً وأصحابه، واستطاع معقل بالكر والحيلة أن يعرف أن مسلماً في دار هانيء، وكان معقل يتردد يومياً على دار هانيء بوصفه واحداً من شيعتهم، ثم يخبر ابن زياد بأخبارهم.

وخاف هانيء عبيد الله على نفسه، فتسارع وانقطع عن حضور مجلسه، فدعا ابن زياد يوماً محمد بن الأشعث، وأسماء بن خارجة، وعمرأ بن الحجاج أبو زوجة هانيء فقال لهم: ما يمنع هانيء بن عروة من إتياننا؟ فقالوا: ما ندري، وقد قيل إنه يشتكي، قال: قد بلغني أنه قد برى، وهو يجلس على باب داره، ولو أعلم بمرضه لعذته، فالقوه ومُروه أن لا يدع ما

عليه من حقنا ، فإني لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشرف العرب .

فأتوه وجعلوه بشى الوسائل يرضى بأن يرافقهم إلى قصر ابن زياد ، وفي الطريق قال هانىء لأسماء بن خارجة : يا ابن الأخ ، إني والله لهذا الرجل لخائف ، فماذا ترى ؟ فقال : والله ما أخوف عليك شيئاً ، ولم تجعل على نفسك سيلاً ؟ ولم يزل به يسليهم ويطمئنه حتى وصلوا به إلى ابن زياد ، فما أن بصر به ابن زياد حتى قال : « أنتك بحائن^(١) رجلاه » .

ثم راح يعتب عليه بداية حتى قال : ما هذه الأمور التي تربص في دارك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين ؟ جئت بمسلم بن عقيل فادخلته دارك ، وجمعت له الجموع والسلاح والرجال ، وظننت أن هذا يخفى عليّ ؟ قال : ما فعلت ذلك ، وما مسلم عندي ؛ قال : بلى قد فعلت ، ثم دعا ابن زياد معقلاً فجاء حتى وقف بين يديه ، وقال : أتعرف هذا ؟ قال : نعم .

وعلم هانىء عند ذلك أنه كان عيناً عليهم ، وأنه قد أناه بأخبارهم ، فأسقط في يده ؛ ثم راجعته نفسه فقال : اسمع مني وصدق مقالتي ، فوالله ما كذبت ، والله ما دعوته إلى منزلي ولا علمت بشيء من أمره حتى جاءني يسألني النزول ، فاستحييت من رده ، وداخلني من ذلك ذمام فضيئته وآوئته ، وقد كان من أمره ما بلغك ، فإن شئت أن أعطيك الآن موثقاً مغلظاً أن لا أبغيك سوءاً ولا غائلة ، ولا تبتك حتى أضع يدي في يدك ؛ وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى آبتك ، وأنطلق إليه فأمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض ، فأخرج من ذمامه وجواره .

فقال له ابن زياد : والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به ، قال : لا والله لا أجيئك به أبداً ، أجيئك بضيقي تقتله ! قال : والله لتأتيني به ، قال : والله لا آتيك به .

فلما كثر الكلام بينها قام مسلم بن عمرو الباهلي فقال : أصلح الله الأمير ، خلني وإياه حتى أكلهم ؛ فقام فخلاً به ناحية من ابن زياد ، وهما منه بحيث يراها ويسمع ما يقولان .

فقال له مسلم بن عمرو : يا هانىء أئشذك الله أن تقتل نفسك ، وإن تدخل البلاء في عشيرتك ، إن هذا (أي مسلم بن عقيل) ابن عم القوم ، وليسوا قاتليه ولا ضائريه ، فادفعه إليهم فإنه ليس عليك بذلك عزة ولا منقصة :

فقال هانىء : والله إن عليّ في ذلك الحزني والعار ، أن أدفع جاري وضيقي (رسول ابن

(١) الحائن من الحين وهو الهلاك ، ومراده أنه أتى إلى هلاكه برجليه ، وقوله هذا مثل قدبم مثل به .

رسول الله) وأنا حيّ صحيح أسمع وأرى ، شديد الساعد كثير الاعوان ، والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه .

فسمع ابن زياد ذلك فقال : أدنوه منّي ، فادنوه منه فقال : والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك ، فقال هانئ : وهل لك القدرة على ضرب عنقي ؟ إذاً والله تكثر البارقة^(١) حول دارك ؛ وهانئ يظن أن عشيرته سيمنعونه .

قال ابن زياد : والهفاء عليك ، أبا البارقة تخوفني ؟ أدنوه منّي .

فأدني منه ، فاستعرض وجهه بالقضيب ، فلم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخذه حتى كسر أنفه ، وسالت الدماء على وجهه ولحيته ، ونثر لحم جبينه وخذه على لحيته ، حتى كسر القضيب ، وضرب هانئ يده على قائم سيف شرطيّ ، فجاذبه الرجل ومنعه .

فصاح ابن زياد برجاله ، وأمرهم أن يجرّوه فيحبسوه ، فجرّوه فالتقوه في بيت من بيوت الدار ، وأغلقوا عليه بابه .

وبرواية الشيخ المفيد فإنّ حسان بن أسماء بن خازجة قام إلى ابن زياد فقال : أمرتنا أن نجيشك بالرجل ، حتى إذا أتيناك به هشمت أنفه ووجهه ، وسيلت دماءه على لحيته ، وزعمت أنك تقتله ؟ فقال له عبيد الله :

وإنك لها هنا ؟ فأمر به فلُهِز وتُتَع وأجلس ناحية ؛ فقال محمد بن الأشعث : قد رضينا بما رأى الأمير ، لنا كان أم علينا ، إنما الأمير مؤدّب .

وبلغ عمرأ بن الحجاج أن هانئاً قد قتل ، فأقبل في مذبح حتى أحاط بالقصر ، فأوجس عبيد الله فدعا شريحاً القاضي فأمره أن يدخل على هانئ فينظر إليه ، ثم يعود ليخبر القوم أنّه حيّ لم يقتل ؛ فدخل شريح عليه فإذا بالدماء تسيل على لحيته ويقول : يا لله ! أين أهل الدين ! أين مذبح وشيعتي من المسلمين ؟ إنه إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني .

ثم إن شريحاً خرج إليهم فقال : لقد أتيت هانئاً فنظرت إليه ، وأعرفكم أنّه حيّ ، وإن الذي بلغكم من قتله باطل ؛ فقالوا : أمّا إذا لم يقتل فالحمد لله ، ثم انصرفوا .

ولما بلغ مسلماً خبر هانئ أمر أصحابه بالنداء للاجتماع ، فتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا عليه ، ففقد الرايات لرؤوسهم ، ولم يمس إلا القليل حتى امتلأ المسجد والسوق بالناس ، وضاق بعبيد الله أمره ، إذ لم يكن معه أكثر من خمسين نفرأ ، وبعض أنصاره الذين كانوا

خارجاً لم يجدوا طريقاً للوصول إليه ، وأحاط أصحاب مسلم بالقصر ، وراحوا يرمون من يشرف عليهم بالحجارة ويشتمونهم ، ويفترون على عبيد الله وعلى أمه .

فدعا ابن زياد كثيرين شهاب وأمره أن يخرج في من أطاعه من مذبح ، فيسير في الكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ، ويخونهم الحرب ، ويحذرهم عقوبة يزيد ، وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج في من أطاعه من كندة وحضر موت ، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس ؛ وقال مثل ذلك للقمعاع الذهلي ، وشيث بن ربعي ، وحجّار بن أبجر ، والشمر بن ذي الجوشن ، وأخرجهم لتحذيل أولئك الغدرة وخداعهم .

ثم إن محمد بن الأشعث نصب راية فالتفت جماعة حولها ، وراحوا بوساوس شيطانية يردّون الناس عن اللحق بمسلم ، ويفرّقون جموعهم ، حتى اجتمع إليهم عدد كثير من قومهم وغيرهم ، والتحقوا بابن زياد من باب خلفي للقصر .

ولما رأى ابن زياد كثرة من التحق به عقد لشيث بن ربعي لواء وأخرجه مع مجموعة من المنافقين ومن أشراف الكوفة ورؤوس القبائل ، فجعلوا يخونون أتباع مسلم ، ويمنون أهل الطاعة الزيادة والكرامة ، ويخونون أهل المعصية الحرمان والعقوبة ، وأعلموهم وصول الجند من الشام إليهم ، وأنهم لا قبل لهم بمواجهتهم ، وقد أعطى الأمير عهداً لئن لم ينصرفوا وأصروا على حربه أن يجرم ذريتهم العطاء ، وأن يأخذ البريء منهم بالسقيم ، والشاهد بالغائب .

وتكلم ابن شهاب والأشراف بمثل ذلك ، فلما سمع الناس مقاتلتهم أخذوا يتفرّقون ، ويدفع كلّ منهم الآخر عن يلوذ به إلى الانصراف .

غدر أهل الكوفة بمسلم بن عقيل

يروى أبو مخنف عن يونس بن إسحاق ، وهو عن عباس الجدي أنه قال :

كنا مع مسلم بن عقيل أربعة آلاف رجل حين خرجنا لدفع ابن زياد ، وكنا لم نبلغ القصر حين صرنا ثلاثمائة ، وهكذا كان الناس يتفرّقون عن مسلم ، وكانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتقول : انصرف ، الناس يكفونك ، ويحيي الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول : غداً يأتيك أهل الشام ، فما تصنع بالحرب والشر ؟ انصرف ، فيذهب به فينصرف ؛ فما زالوا يتفرّقون حتى أمسى ابن عقيل ، وصلى المغرب وما معه إلا ثلاثون نفساً في المسجد .

فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النفر خرج متوجّهاً إلى أبواب كندة ، فلم يبلغ الأبواب إلا ومعه منهم عشرة ، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان يدله ، فالتفت

فإذا هو لا يحسُّ أحدًا يَدُّه على الطريق إلى منزله ، ولا يواسيه بنفسه إن عرص له عدو .

مضى مسلم على وجهه في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب ، حتى خرج إلى دور بني بجيلة من كنده ، فمضى حتى أتى إلى باب امرأة يقال لها طوعة ، أم ولد كانت للأشعث بن قيس وأعتقها وتزوجها أسيد الحضرمي ، فولدت له بلالاً ، وكان قد خرج مع الناس وأمه فائمة تنتظره .

فسلم عليها ابن عقيل فردت عليه السلام ، فقال لها : يا أمة الله اسقيني ماء ، فسقته ودخلت ، ثم خرجت فقالت : يا عبد الله ألم تشرب ؟ قال : بلى ، قالت : فاذهب إلى أهلك ، فسكت ، ثم أعادت مثل ذلك ، فسكت ، ثم في الثالثة : سبحان الله يا عبد الله ، قم عافاك الله إلى أهلك فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ، ولا أحله لك ، فقام وقال : يا أمة الله ما لي في هذا المصر أهل ولا عشيرة ، فهل لك في أجر ومعروف ، ولعلي مكافيك بعد هذا اليوم ؟ قالت : يا عبد الله وما ذاك ؟ قال : أنا مسلم بن عقيل ، كذّبي هؤلاء القوم وغروني وأخرجوني ، قالت : أنت مسلم ؟ قال : نعم ، قالت : ادخل .

فدخل إلى بيت غير البيت الذي تكون فيه ، وفرشت له ، وعرضت عليه العشاء فلم يتعش ؛ ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرأها تكثر الدخول والخروج ، فقال لها : والله إنه ليربيني كثرة دخولك إلى هذا البيت وخروجك منه ، إن لك لشأناً ؟ قالت له : أقبل على شأنك ، ولا نسألني عن شيء ، فألحَّ عليها ، فأخذت عليه الأيمان أن لا يخبر أحداً ، فحلف لها ، فأخبرته فاضطجع وسكت .

وأما ابن زياد اللعين ، فلما لم يعد يسمع الغوغاء والغلواء ، ولا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً خيّل إليه أنهم قد كمنوا تحت الظلال للانقضاض عليه على حين غرة ، وخاف أن يفتح الباب إلى المسجد ، ثم أمر رجاله أن ينزعوا ألواح الخشب عن سقف المسجد ففعلوا ، فلم يروا شيئاً ، فاعلموا ابن زياد بتفرق القوم .

ففتح باب السدة التي في المسجد ، ودخل مع أصحابه ، ثم أمر مناديه فنادى : ألا برئت الذمة من رجل - من الشرط أو العرفاء أو المناكب أو المقائلة - صلى العتمة إلا في المسجد . فلم يكن إلا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس ، ثم أمر مناديه فأقام الصلاة ، وأقام الحرس خلفه وأمرهم بحراسته ، وصلى بالناس ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن ابن عقيل السفية الجاهل قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق ، وقد قرأ الآن ، فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره ، ومن جاء به فله دينه ، ثم هدد وتوعد .

ثم التفت إلى الحصين بن تميم وقال له : ثكلتك أمك إن ضاع باب سكة من سكك

الكوفة وخرج هذا الرجل ولم تأتني به ، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة ، فابعت مراصد عليهم ، وأصبح غداً واستبرىء الدور وجئت خلها حتى تأتيني بهذا الرجل ؛ ثم دخل القصر .

فلما أصبح جلس مجلسه ، وأذن للناس فدخلوا عليه ، فبشّ لمحمد بن الأشعث وأقعدته إلى جنبه ، وأصبح ابن تلك العجوز ، فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أمته ، فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه فآزره بالخبر وهو إلى جنب ابن زياد ، فعرف ابن زياد الأمر وقال لمحمد : قم فأتني به الساعة .

ثم بعث معه عبيد الله بن عباس السلمي في سبعين رجلاً من قيس حتى أتوا دار طوعة ، فلما سمع مسلم وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال علم أنه قد أتى ، فخرج إليهم بسيفه ، واقتحموا عليه الدار دون حياة ، فشذ عليهم بضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار ، ثم عادوا إليه فشذ عليهم كذلك حتى خرج من البيت في أثرهم .

وجاء في (كامل البهائي) أنه لما سمع مسلم صهيل الجياد كان يقرأ دعاء ، فعجل بدعائه حتى أمته ، ثم لبس سلاحه وقال : لقد بررت يا طوعة وأحسنت ، أنالك الله شفاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، لقد رأيت في المنام تلك الليلة عمي أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال لي : غداً ستكون معي .

وقال المسعودي وأبو الفرج : لما خرج مسلم من الدار ورأى القوم قد أشرفوا عليه من فوق البيت ، وأخذوا يرمونه بالحجارة ، ويلهبون النار في رزم القصب فيرمونها عليه ، قال : « أكل ما أرى من الأجلاب لقتل ابن عقيل ؟ يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص » .

ثم شهر سيفه فشذ على القوم وهو يرتجز ويقول :

أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
كل امرئ يوماً ملاقٍ شرّاً أو يخلط البارد سخناً مرّاً
رد شعاع النفس فاستقرّاً أخاف أن أكذب أو أغرّاً

قتل مسلم مع أهل الكوفة ووقوعه في الأسر

يقول العلامة المجلسي (ره) في (جلاء العيون) : لما سمع مسلم صوت حوافر الخيل عرف أنهم جاؤوا في طلبه ، وقال : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ، ثم تناول سيفه وخرج من البيت ، فلما بصر بهم شهر سيفه واشتد عليهم ، وجندل العديد منهم صرعى ، وكان ابنها

توجه إليهم فرأوا امامه ، حتى قتل منهم خمسة وأربعين رجلاً ، كان مسلم في الشجاعة كالأسد ، وكان من قوته أنه يأخذ الرجل بيده ، فيرمي به فوق البيت .

ثم إن بكر بن حران بادره بضربه على وجهه فقطع شفته العليا ، وأسرع السيف في السفلى ففصلت شتياء ، لكنه مع ذلك اشتد عليهم فكانوا يهزمون بين يديه ، فلما أعياهم أمره أشرفوا عليه من فوق البيت وأخذوا يرمونه بالحجارة ، ويلهبون النار في القصب ثم يرمونه عليه من فوق البيت ، فقال له محمد بن الأشعث : لك الأمان يا مسلم ، لا تقتل نفسك ، فإنا أوثنتك وأذهب بك إلى ابن زياد فهو ليس بقاتلك ! قال مسلم : أنتم أهل الكوفة لا أمان لكم ، ولا يتوقع الوفاء من منافقين لا دين لهم .

لكن مسلماً كان قد اتخن بالجراح ، فأسند ظهره إلى جدار الدار ، وأحس بالضعف ، فأعاد ابن الأشعث عليه القول : لك الأمان يا مسلم ، وإذا كنت استجاب مسلم للأمان فقال له : آمن أنا ؟ قال : نعم ، فقال للقوم الذين معه : ألي الأمان ؟ قالوا : نعم ، فعندها نفص من القتال بيده .

وبرواية السيد ابن طاروس : فإن مسلماً رفض عروضهم بالأمان ، بل أخذ في قتال القوم حتى أشخته الجراح ، ثم طعنه جباناً منهم بالرمح في ظهره فوقع على وجهه ، فتكاثروا عليه وأمسكوا به . انتهى .

ثم أتى ببغلة فحمل عليها ، واجتمعوا حوله ونزعوا سيفه ، عند ذلك يش من نفسه ، فدمعت عيناه ثم قال : هذا أول الغدر ، فقال له محمد بن الأشعث : أرجو أن لا يكون عليك بأس ، قال : ما هو إلا الرجاء ، أين أمانكم ؟ وبكى^(١) وقال : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ؛ فقال له عبيد الله بن عباس السلمي : يا مسلم ، إن من يطلب مثل الذي طلبت إذا ينزل به مثل ما نزل بك لم يبك ، قال : والله إنني ما لنفسي بكيت ، ولكني أبكي لأهل القبيلين ، إنني أبكي للحسين وآل الحسين (عليه السلام) .

ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال : إنني أراك والله ستعجز عن أمان ، فهل عندك خير ؟ تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني أن يبلغ حسيناً ويقول له :

« إن ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في يد القوم ، لا يرى أنه يمسي حتى يقتل ، وهو

فبدت له مما يمن علام
وله على الوججات دمع ساجم
لكنه أبكاه ركب قادم
من غدرهم فتباح منه محارم

(١) قد أثنى ولا أمان لغدرهم
أسرته ملتهب الفؤاد من الظما
لم يبك من خوف على نفس له
يبكي حسناً أن يلاتي مالف

يقول لك : ارجع فذاك أبي وأمي بأهل بيتك ، ولا بغرك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، إن أهل الكوفة كذبوك ، وليس لكذب رأي .

ثم قال لابن الأشعث : لا أرى الحسين إلا وقد خرج اليوم ، أو هو خارج غداً وأهل بيته ، فهل ستفعل ؟

فقال ابن الأشعث : والله لأفعلن ، ولأعلمن ابن زياد أنني قد أمتكت .

ثم أقبل ابن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر ، واستأذن فأذن له ، فدخل على ابن زياد فأخبره خبر ابن عقيل ، وما كان من أمانته له ؛ فقال له ابن زياد : وما أنت والأمان ؟ كأننا أرسلناك لتؤمته ، إنما أرسلناك لتأيننا به ، فسكت ابن الأشعث .

أما مسلم فقد انتهوا به إلى باب القصر ، وقد اشتد به العطش ، وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الإذن ، وإذا قلة باردة موضوعة على الباب ، فقال مسلم : اسقوني من هذا الماء ، فقال له مسلم بن عمرو : أتراها ما أبردها ؟ والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم ، فقال له ابن عقيل : ويحك ، من أنت ؟ فقال : أنا الذي عرف الحق إذ أنكرته ، ونصح لإمامه (يزيد) إذ غششته ، وأطاعه إذ خالفته ، أنا مسلم بن عمرو الباهلي .

فقال له ابن عقيل : « لأمك الشكل ، ما أجفاك وأقطعك وأقسي قلبك ، أنت يابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني » .

ثم جلس فتساند إلى حائط ، وبعث عمرو بن حريث غلاماً له فأتاه بقلة وقدح فصب فيه ماء فقال له : اشرب ، فأخذه وأراد أن يشرب فامتلا القدح دماً من فمه ؛ ولم يقدر أن يشرب ، ففعل ذلك مرتين ، وفي الثالثة سقطت ثنابيه في القدح ، فقال : « الحمد لله ، لو كان لي من الرزق المقسوم لشربته » .

وخرج رسول ابن زياد فأمر بإدخاله إليه ، فلما دخل لم يسلم عليه بالإمرة ، فقال له الحرسى : ألا تسلم على الأمير ؟ فقال : صه ويحك ، فوالله ليس لي بأمر ؛ وبرواية أخرى أنه قال : إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه ؟ وإن كان لا يريد قتلي فليكثر سلامي عليه ؟ فقال له ابن زياد : لعمرى لتقتلن ، سواء سلمت أم لم تسلم ، قال : كذلك ؟ قال : نعم ، قال : فدعني أوصي إلى بعض قومي ، قال : افعل .

فنظر مسلم إلى جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد ، فقال : يا عمر ، إن بني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة ، وقد يجب عليك نصح حاجتي ، فامتنع عمر أن يسمع منه إرضاء لابن زياد ، فقال له عبيد الله : لم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك ؟ فقام معه فجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد ، فقال له مسلم :

« إِنَّ عَلِيَّ بِالْكُوفَةِ دِينًا اسْتَدْنَتْهُ مِنْهُ قَدَمَتِ الْكُوفَةُ ، سَبْعُمِئَةِ دِرْهَمٍ ، فَبِيعَ سِيفِي وَدِرْعِي فَاقْضَها عَنِّي ؛ وَإِذَا قُتِلْتُ فَاسْتَثَوِّبْ جَنَّتِي مِنْ ابْنِ زِيَادٍ فَوَارِها ، وَابْعَثْ إِلَى الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مِنْ يَرْدِهِ ، فَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَعْلَمُهُ أَنَّ النَّاسَ مَعَهُ ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا مُقْبِلًا . »

فقال عمر لابن زياد : أتدري أيها الأمير ما قال لي ؟ إنه ذكر كذا وكذا ، فقال ابن زياد : إنه لا يجوز لك الأمين ، ولكن قد يؤمن الخائن ؛ أما ماله فهو له ، ولنا نمنعك أن تصنع به ما أحب ؛ وأما جثته فإننا لا نبالي إذا قتلناه ما صنع بها .

وبرواية أبي الفرج فإن ابن زياد قال : أما جثته فإننا لا نقبل شفاعتك بشأنها ، ذلك أنه لا يستحق أن يوارى لأنه طغى وسعى في هلاكه .

وأما الحسين فإنه إن لم يردنا لم نرده ، ثم التفت إلى مسلم وأسمعه كلاماً جريئاً ، فردّ عليه مسلم برباطة جأش ، واختلفا كلاماً كثيراً حتى عي ابن زياد فراح يتناول أمير المؤمنين والحسين (عليهما السلام) وعقيلاً بالشم ، ثم دعا بكر بن حمران^(١) ، وكان مسلم قد ضرب رأسه بالسيف ، فأمره أن يصعد به فوق القصر فيضرب عنقه ، فقال مسلم : « والله لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتي » .

ومراده من هذا القول التعريض بابن زياد بأنه وأباه زياد بن أبيه سلاله زى ، وليس بينهما وبين قريش أي قرابة أو نسب .

استشهاد مسلم وهانيء رحمهما الله

فصعد به اللعين بكر بن حمران ومسلم يكبر ويستغفر الله ، ويصلي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويقول : « اللَّهُمَّ احْكَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِ غَرَوْنَا وَكَذَبُونَا وَخَذَلُونَا » .

ثم إن بكراً لعنه الله أشرف به من فوق القصر على سوق الحذاثين ، فضرب عنقه ، ورمى برأسه ، ثم أتبع رأسه جثته ، ونزل مذعوراً ، فقال له ابن زياد : ما شأنك ؟ فقال : أيها الأمير ، رأيت ساعة قتله رجلاً أسود سيء الوجه حذاثي ، عاصياً على أصبعه ، ففرغت فزعاً لم أفزعه قط ! فقال ابن زياد : لعلك دهشت ، أي صور لك الخيال ما أفزعك .

ثم إن ابن زياد أمر بإحضار هانيء لقتله ، ورغم مناشدة محمد بن الأشعث وآخرين له ، وشفاعتهم فيه ، فإن ذلك لم يؤد إلى نتيجة ؛ ثم أمر به فأخذ إلى مكان من السوق كان يباع فيه الغنم وهو مكتوف ، ويقول : وامذحجاء ولا مذحج لي اليوم ، يا مذحجاء وأين مذحج .

(١) دعوة اللعين بكر بن حمران لا تتفق مع رواية ابن شهر آشوب ، إذ نقل أن مسلماً قتل بكراً أثناء القتال .

وينقل عن (حبيب السير) أنَّ هاني بن عروة^(١) يعدّ من أشراف الكوفة وأعيان الشيعة ، ويرى أنه تشرف بصحبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكان له يوم استشهادة تسعة وثمانون عاماً ؛ وفي (مروج الذهب) للمسعودي جاء أنه بلغ من قدر هاني وسُمُو مكانه في قومه أنَّ أربعة آلاف دارع كانوا يركبون معه ، وأن ثمانية آلاف راجل يمثلون أمره ، وأنه إن دعا أحلافه من كندة وغيرها أجاب دعوته ثلاثون ألف دارع ؛ أمّا الآن وهم يأخذونه إلى السوق ليقتلوه فإنه مهمل صاحب ونادي ، ومهما ناشد رؤوس العشائر بأسمائهم ، ومهما قال : وامدحجاه ، فإن أحداً لم يجبه ، فلا غرو أنه قوي على نزع يده من القيد وقال : أما من عصا أو سكين أو حجارة أو عظم يحاجز به رجل عن نفسه ؟

ولمّا رأى أعوان ابن زياد منه ذلك وثبوا إليه فشدّوه وثاقاً ، ثم قيل له : امدد عنقك ، فقال : ما أنا بها بسخي ، وما أنا بمعينكم على ضربي ، فضربه مولى لعبيد الله بن زياد ، تركي يقال له رشيد ، بالسيف فلم يصنع شيئاً ، فقال هاني : « إلى الله المعاد ، اللهم إلى رحمتك ورضوانك » ، ثم ضربه أخرى فقتله .

وفي ما يوافق بعض مقاتل المعترضة أنَّ ابن زياد أمر أن يطاف بجثتي مسلم وهاني في الأزقة والسوق ، ثم يصلبان حيث يباع الغنم .

ويقول السبط بن الجوزي إنَّ جثة مسلم صليت عند باب الكناسة ، وبالرواية المتقدمة أن قبيلة مذحج لما رأوا ذلك تقدّموا فأنزلوا الجثتين عن الخشبة (المشنقة) وصلّوا عليهما وواروهما .

ثم إنَّ ابن زياد بعث برأسيهما إلى يزيد وكتب إليه بما كان من أمر مسلم وهاني ، ولما بلغ

(١) في رؤيا صادقة للميرزا يحيى الأبهري أنه رأى الإمام الحسين (عليه السلام) في الحرم المطهر واقفاً بين الضريح والباب الأوسط ، ونور جلاله يحول دون رؤية جماله ، وأن شيخاً بلحية بيضاء كان يقف أمامه بكل أدب وظهره إلى الحائط ، فلما أراد دخول الحرم منعه ذلك الشيخ ، فلحظ أن فاطمة وخديجة الكبرى ورسول الله وأمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام كانوا في الحرم ؛ وقال : عرفت أن أجداده الأنبياء والأئمة كانوا داخل الحرم ، يقول : فرجعت الفقهري خارجاً من الحرم حتى باب الرواق ، فوقفت هناك ، ثم تحدّثت عن التماس شفائه منه (عليه السلام) حتّى قال : رأيت بجانب شيخاً جليلاً أبيض اللحية فقلت له : يا شيخنا ، هذا الشيخ ذو اللحية البيضاء ، والذي خرج من الحرم أهو المتوفّي ؟ قال : ألم تعرفه مع أنّك تولّيت به أكثر من ساعة ؟ قلت : لم أعرفه حتّى هذا الإمام ، فقال : إنّه حبيب بن مظاهر ، قلت وكيف عرفت أنّي تولّيت بحبيب بن مظاهر لأكثر من ساعة ؟ قال : كنت أراك لكفي خجلت أن أسأل عن اسمه ، ولما راح عني ، سألت عن اسمه شخصاً آخر فقال : إنّه هاني بن عروة ، فأسفت على أنّي لم أعرفه حتّى اتّمسك بأذياله .

الكتاب والراسان إلى يزيد سرّ كثيراً ، وأمر أن يعلّقاً على باب دمشق ؛ وكتب إلى عبيد الله يمتدح فعلته ويكثر من ملاحظته ، ويقول له : بلغني أنّ حسيّاً قد توجه نحو العراق ، فضع المناظر والمسالح ، واحترس واحبس على الغنّة ، واقتل على التهمة ، واكتب إليّ في كلّ يوم ما يحدث والسلام .

وكان خروج مسلم يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة سنة ستين ، وكان قتله - رحمه الله - يوم الأربعاء لتسع خلون منه يوم عرفة .

يقول أبو الفرج : كانت أمّ مسلم أمّ ولد ، واسمها عليّة ، وكان عقيل قد ابتاعها في الشام .

يقول المؤلّف : لم أعرّ على عدد لأبناء مسلم ، لكنّ ما ظفرت به كان خمسة : الأول : عبد الله بن مسلم ، أول شهيد من بني أبي طالب في وقعة الطفّ ، بعد عليّ الأكبر ، وأمّه رقيّة بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) .

الثاني : محمّد ، وأمّه أمّ ولد ، وقد استشهد في كربلاء بعد عبد الله . ثمّ هناك اثنان من أبناء مسلم برواية المناقب القديمة : محمّد وإبراهيم ، وأمّهما من أبناء جعفر الطيّار ، وسيرد الحديث عن حبسهما واستشادهما إن شاء الله .

الخامس من أبناء مسلم ابنة ذات ثلاثة عشر عاماً برواية الأعمش الكوفيّ ، وكانت في صحبة بنات الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء .

كان مسلم بن عقيل رجلاً ذا فضل وجلال أكثر من أن يتسع هذا الموجز للحديث عنها ، ويكفي في هذا المقام ملاحظة الحديث الذي تقدّم في آخر الفصل الخامس من الباب الأوّل ، ومطالعة الكتاب الذي بعث به الإمام الحسين (عليه السلام) إلى أهل الكوفة ردّاً على كتبهم ؛ ويقع قبره الشريف إلى جانب مسجد الكوفة ، وهو مزار للحاضر والبادي ، والقاصي والداني .

وقد أورد السيد ابن طاوس زيارتين له ، وقد نقلنا كليهما في كتابنا (هديّة الزائر) ؛ ويقع قبره هانٍ - رحمه الله - مقابلاً لقبر مسلم .

وقد رثى عبد الله بن الزبير الأسدي مسلماً وهاناً بأبيات مطلعها :

فإن كنت لا تدري ما الموت فانظري إلى هانٍ في السوق وابن عقيل

وإني لأمستحسن قول بعض السادة في رثاء مسلم بن عقيل :

سفتك دماً يابن عمّ الحسين مدامع شيعتك السافحة

ولا برحمتِ هاطلات الدمو
لأنك لم ترو من شربة
رموك من القصر إذ أوثقو
عُجْرُ بأسواقهم بالحبا
أنقضي ولم تبكك الباكيا
لكن تقض نحباً فكم في زرو
ع تحييك غادية رائحة
ثناياك فيها غدت طائحة^(١)
ك فهل سلمت فيك من جراحة ؟
ل ألت أميرهم البارحة ؟
ت أمالك في المصر من نائحة ؟
د^(٢) عليك العشيّة من صائحة



(١) كساقطة لفظاً ومعنى .

(٢) زروود : اسم المنزل الذي ورد فيه الخبر عن استشهاد مسلم ، كما سيرد في الفصل السادس إن شاء الله .

الفصل الخامس

فج كيفية أسر طفل مسلم واستشهادهما

تقدّم الحديث في الفصل السابق عن استشهاد مسلم بن عقيل رحمه الله ، لذا رأينا من المناسب أن نتحدّث عن استشهاد طفليه ، مع أن استشهادهما وقع بعد سنة مضت على استشهاد أبيهما .

يروى الشيخ الصدوق بسنده عن شيخ من أهل الكوفة أنّه قال :

لما قتل الحسين بن علي (عليهما السلام) أسر من عسكره غلامان صغيران ، فأق بهما عبيد الله بن زياد ، فدعا سجاناً له فقال : خذ هذين الغلامين إليك ، فمن طيّب الطعام فلا تطعمهما ، ومن البارد فلا تسقهما ، وضيق عليهما سجنهما !!

وكان الغلامان يصومان النهار ، فإذا جنّهما الليل أتيا بقرصين من شعير وكوز من ماء ، فلما طال بالغلامين المكث حتى صارا في السنة قال أحدهما لصاحبه : يا أخي ، قد طال بنا مكثنا ، وبوشك أن تفتي أعمارنا ، وتبلى أبداننا ، فإذا جاء الشيخ فأعلمه مكاننا ، وتقرب إليه بمحمد (صلى الله عليه وآله) لعلّه يوسع علينا في طعامنا ، ويزيد من شرابنا .

فلما جنّهما الليل أقبل إليهما الشيخ بقرصين من شعير وكوز من ماء جري عاداته ، فقال له الغلام الصغير : يا شيخ ، أتعرف حقاً محمد ؟ قال : وكيف لا أعرف محمداً وهو نبيي ؟ قال : أتعرف جعفر بن أبي طالب ؟ قال : وكيف لا أعرف جعفرأ وقد أنبت الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة كيف يشاء ؟ قال : أتعرف علي بن أبي طالب (عليه السلام) ؟ قال : وكيف لا أعرف علياً وهو ابن عمّ نبيّ وأخوه ؟ قال له : يا شيخ ، نحن من عترة نبيك محمد (صلى الله عليه وآله) . ونحن من ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب . بيدك أسارى ، نسألك من طيّب الطعام فلا تطعمنا ، ومن بارد الشراب فلا تسقنا ، وقد ضيّقت علينا سجننا ؟

فانكبَّ الشيخ على أقدامها يقبلها ويقول : نفسي لنفسيكما الفداء ، ووجهي لوجهيكما الوقاء ، يا عترة نبي الله المصطفى ، هذا باب السجن بين أيديكما مفتوح ، فخذ أي طريق شئتما ، فلما جنبها الليل أتاها بقرصي الشعر وكوز الماء ، ووقفها على الطريق ، وقال لها : سيرا يا حبيبي الليل ، واكمننا النهار حتى يجعل الله عز وجل لكما من أمركما فرجاً ومخرجاً .

ففعل الغلامان ذلك ، فلما جنبها الليل انتهيا إلى عجوز على باب ، فقالا لها : يا عجوز ، إنا غلامان صغيران غريبان حدثان غير خبيرين بالطريق ، وهذا الليل قد جنبنا ، أضيفنا سواد ليلتنا هذه ، فإذا أصبحنا لزمننا الطريق ، فقالت لها : فمن أنتم يا حبيبي ؟ فقد شممت الروائح كلها فما شممت رائحة أطيب من رائحتكما ، فقالا لها : يا عجوز ، نحن من عترة نبيك محمد (صلى الله عليه وآله) ، هربنا من سجن عبيد الله بن زياد من القتل ، قالت : يا حبيبي ، إن لي ختناً فاسقاً شهد واقعة كربلاء مع عبيد الله بن زياد ، أخوف أن يصيبكما هيهنا فيقتلكما ، قالا : هي ليلة نقضيها ، ونرجو أن لا يحضر هذا الرجل الليلة ، فإذا أصبحنا لزمننا الطريق ، فقالت : سأتيكما بطعام ، ثم أنتهما بطعام فأكلنا وشربنا ، ثم ولجنا الفراش ليناما .

ووفقاً لرواية أخرى فإنها قالا : لا حاجة بنا للطعام ، بل أعدّي لنا مكاناً للصلاة لنقضي ما فاتنا من صلوات ، ثم صلياً بعضاً منها وأويا إلى فراشهما .

قال الصغير للكبير : يا أخي ، إننا نرجو أن نكون قد أمنا ليلتنا هذه ، فتعال حتى أعانقك وتعانقني ، وأشم رائحتك ، وتشم رائحتي قبل أن يفرق الموت بيننا ، ففعل الغلامان ذلك ، واعتنقا وناما .

فلما كان في بعض الليل أقبل ختن المعجوز الفاسق ، فقرع الباب قرعاً خفيفاً ، فقالت المعجوز : من هذا ؟ قال : أنا فلان ، قالت : ما الذي أطرقتك هذه الساعة ، وليس هذا لك بوقت ؟ قال : ويحك ، افتحي الباب قبل أن يطير عقلي وتشتق مرارتي في جوفي ، فجهد البلاء قد نزل بي ؛ قالت : ويحك ، ما الذي انزل بك ؟ قال : هرب غلامان صغيران من عسكر عبيد الله بن زياد ، فنادى الأمير في معسكره : من جاء برأس واحد منهما فله ألف درهم ، ومن جاء برأسيهما فله ألفا درهم ، وقد أنعت وتعت ولم يصل في يدي شيء ، فقالت المعجوز : يا ختني ، احذر أن يكون محمد خصمك في القيامة ، قال : ويحك ، إن الدنيا تمرص عليها ! فقالت : وما تصنع بالدنيا وليس معها آخرة ؟ قال : إني لأراك تحامين عنها كأن عندك من طلب الأمير شيء ، فقومي فإن الأمير يدعوك ، قالت : ما يصنع الأمير بي ، وإنما أنا عجوز في هذه البرية ؟ قال : إنما لي الطلب ، افتحي حتى أريح وأستريح .

ففتحت له الباب ، وأتته بطعام وشراب ، فأكل وشرب ، فلما كان في بعض الليل سمع

غطيط الغلامين في جوف الليل ، فأقبل يهيج كما يهيج البعير ، ونحور كما بنحور الشور ، ويلمس بكفّه جدار البيت حتى وقعت يده على جنب الغلام الصغير ، فقال الغلام : من هذا ؟ قال : أما أنا فصاحب البيت ، فمن أنتم ؟

فأقبل الصغير يحرك الكبير ويقول : قم يا حبيبي فقد والله وقعتنا في ما كنّا نحاذره .

ثم قال لهما : من أنتم ؟ قالوا : يا شيخ ، إن نحن صدقناك فلنا الأمان ؟ قال : نعم ، قالوا : أمان الله وأمان رسوله ، وذمة الله وذمة رسوله ؟ قال : نعم ، قالوا : ومحمد بن عبد الله على ذلك من الشاهدين ؟ قال : نعم ، قالوا : والله على ما نقول وكيل وشهيد ؟ قال : نعم ، قالوا : فنحن من عترة نبيك محمد (صلى الله عليه وآله) ، هربنا من سجن عبيد الله بن زياد من القتل ، فقال لهما : من الموت هربتما وإلى الموت وقعتما ! الحمد لله الذي أظفري بكما .

ثم قام إلى الغلامين فشدّ أكتافهما ، فبات الغلامان ليلتهما مكثفين ، فلما انفجر عمود الصبح دعا غلاماً له أسود يقال له : فليح ، فقال : خذ هذين الغلامين فانطلق بهما إلى شاطئ الفرات ، فاضرب عنقيهما واتني برأسيهما .

فمضى العبد بهما كما أمره مولاه ، ولما وصلوا الشاطئ أطلعاه على حقيقة أمرهما ، فلما عرف أنهما من عترة النبي (صلى الله عليه وآله) امتنع عن قتلها ، ثم طرح نفسه في الفرات وعبر إلى الجانب الآخر .

فما كان من الرجل إلّا أن كلّف ابنه بقتلها ، لكنه امتنع عن قتلها ، وسلك سبيل العبد ، فقال الشيخ : لا يلي قتلكما أحد غيري ، وسلّ سيفه من جفنه ، فلما نظر الغلامان إلى السيف مسلولا اغرورقت أعينهما ، وقالوا له : يا شيخ ، انطلق بنا إلى السوق فبينا واستمتع بآثائنا ، ولا نجعل محمداً خصمك في القيامة غداً ، فقال : لا ، ولكن أقتلكما وأذهب برأسيكما إلى ابن زياد وأخذ جائزة الألفين ، فقالوا له : يا شيخ ، أما تحفظ قرابتنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ فقال : ما بكما من رسول الله قرابة ، قالوا : فانت بنا إلى عبيد الله بن زياد حتى يحكم فينا بأمره ، قال : ما لي إلى ذلك سبيل إلّا التقرب إليه بدمكما ، قالوا : يا شيخ ، ألا ترحم صغر سنّنا قال : ما جعل الله لكما في قلبي من الرحمة شيئاً ، قالوا : إن كان ولا بدّ من قتلنا فدعنا نصلّ ركعت ، قال : فصلّيا ما شئتما إن نفعكما الصلاة .

فصلّى الغلامان أربع ركعات ، ثم رفعاً طرفيهما إلى السماء فتناديا :

« يا حيّ يا حكيم ، يا أحكم الحاكمين ، احكم بيننا وبينه بالحق » .

فقام إلى الأكبر فضرب عنقه ، وأخذ رأسه ووضع في المخلاة .

وأقبل الغلام الصغير يتمرغ في دم أخيه وهو يقول : حتّى ألقى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا مختضب بدم أخي ، فقال له الرجل : لا عليك ، سوف الحقك بأخيك ، ثم قام إليه فضرب عنقه ، وأخذ رأسه ووضعوه في الخلّة ، ورمى بيديهما في الماء وهما يقطران دماً .

ثم مرّ حتّى أتى عبيد الله بن زياد وهو قاعد على كرسيّ ويده قضيب خيزران ، فوضع الرأسين بين يديه ، فلمّا نظر إليهما قام ثمّ قعد ثلاثاً ، ثمّ قال : الويل لك ، أين ظفرت بهما ؟ قال : أضافتهما عجوز لنا ، قال : فما عرفت حقّ الضيافة ؟! قال : لا ، قال : فأني شيء قال لك ؟ فقصّ عليه اللعين خبرهما إلى أن قال : طلبا أن يصلّيا ركعات ، فصلّيا أربع ركعات ، ثمّ رفعنا طرفيهما إلى السماء ، وقالا :

« يا حيّ يا حكيم ، يا أحكم الحاكمين ، احكم بيننا وبينه بالحقّ » .

قال ابن زياد : فلان أحكم الحاكمين قد حكم ، فمن لهذا الفاسق يجري عليه حكم الله ؟ فانتدب له رجل من أهل الشام فقال : أنا له ، قال : فانطلق به إلى الموضع الذي قتل فيه الغلامين فاضرب عنقه ، ولا تترك أن يختلط دمه بدمهما ، وعجل برأسه .

ففعل الرجل ذلك ، وجاء برأسه فنصبه على قناة ، فجعل الصبيان يرمونه بالنبل والحجارة وهم يقولون : هذا قاتل ذرّيّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

ويقول المؤلّف : إن استشهاد هذين الطفلين بهذه الكيفيّة مستبعد عندي ، لكن بما أن الشيخ الصدوق هو ناقله ، وهو كبير محدّثي الشيعة ومروّج أخبار الأئمّة عليهم السلام وعلومهم ، وفي سنده جملة من أصحابنا العلماء الأجلاء ، فلا غرو أن تنبع خطاه ونورد هذه القصّة ، والله تعالى هو العالم .

الفصل السادس

فِي تَوَجُّهِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) إِلَى كَرْبَلَاءَ

تَوَجَّهَ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ (عَلَيْهِ السَّلَام) إِلَى مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ لثَلَاثَ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ سِتِّينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، خَوْفًا مِنْ إِذَاءِ الْمُخَالَفِينَ لَهُ ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ بِقِيَّةِ شَعْبَانَ وَشَهْرِ رَمَضَانَ وَشَوَّالًا وَذَا الْقَعْدَةِ وَثَمَانِي لَيَالٍ خَلُونَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَكَانَ قَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَدَّةَ مَقَامِهِ بِمَكَّةَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَنَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، ضَمَّهُمْ إِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَوَالِيهِ .

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ لثَمَانٍ خَلُونَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ قَدَّمَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ مَعَ جَمَاعَةٍ إِلَى مَكَّةَ بِذَرِيعَةِ الْحَجِّ ، وَقَدْ أَمَرَهُمْ يَزِيدُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَإِنْفَاذِهِ إِلَيْهِ ، أَوْ قَتْلِهِ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى حَقِيقَةِ مَا يَرْمُونَ إِلَيْهِ جَعَلَ حَجَّهَ عَمْرَةً فَطَافَ الْبَيْتَ ، وَسَمِعَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَاحِلَ مِنْ إِحْرَامِهِ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ مِنْ يَوْمِهِ نَحْوَ الْعِرَاقِ .

وَيُرَوَّى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَام) قَبْلَ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ وَقَدْ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَتْ يَدُ جَبْرِئِيلَ فِي يَدِهِ ، وَجَبْرِئِيلُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى بَيْعَتِهِ وَيَقُولُ : « هَلُمُّوْا إِلَى بَيْعَةِ اللَّهِ » .

خُطْبَتُهُ (عَلَيْهِ السَّلَام) فِي مَكَّةَ وَحَدِيثُهُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْظَلَةِ

يُرَوَّى السَّيِّدُ ابْنُ طَاوُسٍ أَنَّ الْحُسَيْنَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - لَمَّا عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْعِرَاقِ قَامَ خُطْبِيًّا فَقَالَ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَسَلَّم .

خُطِّ الْمَوْتُ عَلَى وَلَدِ آدَمَ خَطَّ الْقَلَادَةَ عَلَى جِيدِ الْفَنَاءِ ، وَمَا أَوْلَهْنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقُ

يعقوب إلى يوسف ، وخير لي مصرع أنا لاقبه ، كَأَنِّي بأوصالي بَتَقَطَّعُهَا عَسِلَانِ الفلوات^(١) بين النواويس وكربلاء ، فيملأن مِنِّي أجوافاً وأجرية سغباً ؛ لا يحص عن يوم خَطَّ بالقلم .

رضى الله رضانا أهل البيت ، نصبر على بلائه ، ويوفينا أجور الصابرين .

لن تشذَّ عن رسول الله لحمته ، وهي مجموعة له في حظيرة القدس ، تقر بهم عينه ، وتنجز لهم وعده .

من كان فينا باذلاً مهجته ، موطناً على لقاء الله نفسه ، فليرحل معنا ، فإنَّ راحل مصباحاً إن شاء الله .

وروي أيضاً بسند معتبر عن الإمام الصادق (عليه السلام) أَنَّهُ قال :

« جاء محمد بن الحنفية إلى الحسين (عليه السلام) في الليلة التي أراد الحسين الخروج في صبيحتها عن مكة فقال له : يا أخي ، إنَّ أهل الكوفة قد عرفتُ غدرهم بأبيك وأخيك ، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى ، فإن رأيت أن تقيم فانت أعز من بالحرم وأمنه ؛ فقال : يا أخي قد خفت أن يقتالني يزيد بن معاوية بالحرم ، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت . فقال له ابن الحنفية : فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر ، فإنَّك أمتع الناس به ، ولا يقدر عليك أحد ، فقال : أنظر في ما قلت .

فلما كان السحر ارتحل الحسين (عليه السلام) ، فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ بزمام ناقته - وقد ركبها - فقال : يا أخي ، ألم تعدني النظر في ما سألتك ؟ قال : بلى ، قال : فما حداك على الخروج عاجلاً ؟ قال : أتاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعدما فارقتك فقال : يا حسين أخرج ، فإنَّ الله شاء أن يراك قتيلاً ، فقال محمد بن الحنفية : ﴿ إِنَّا لله وَإِنَّا إليه راجعون ﴾ ، فما معنى حُكِّمَ هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال ؟ قال : إنَّ الله قد شاء أن يراهن سبايا ، فسلم عليه ومضى .

ومما يتفق مع مرويات معتبرة أنَّ كلاً من العبادلة^(٢) قد جاءه (عليه السلام) بمنعه من التوجه إلى العراق ، وبلغ عليه في ترك هذا السفر ، فردَّ (عليه السلام) على كلِّ منهم ، فودَّعه ومضى .

ويروي أبو الفرج الإصبهاني وغيره أنَّ عبد الله بن عباس لما رأى تصميم الحسين (عليه السلام) على السير إلى العراق ألحَّ عليه أن يبقى في مكة ويتخلى عن الخروج إلى

(١) عسلان الفلوات : ذئاب الغياي ، إشارة إلى جيش الكوفة .

(٢) المراد بالعبادلة : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر .

العراق ، لأن أهل الكوفة أهل غدر ، فهم قتلوا أباه وجرحوا أخاه ، ويطعن أنهم سيمكرون به ويخذلونه ويدعون وحيداً .

فاجابه الحسين (عليه السلام) بأن كتبهم ما هي عنده ، وأن مسلماً كتب إليه اجتماعهم على بيعته .

فقال ابن عباس : فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك ، فوالله إنني خائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه .

لكنه (عليه السلام) أعرض عن نصيحة ابن عباس وسار بأهله وعياله إلى كربلاء .

ويروى عن بعض من شهدوا واقعة كربلاء أنّ الحسين (عليه السلام) نظريوم استشاده إلى النساء وقد خرجن من الخيام جزعات يندبن قتلاهن ، وينظرن إلى ما هو فيه فيكيّن ، فذكر إذ ذاك كلام ابن عباس وقال : « لله درّ ابن عباس في ما أشار عليّ به » .

وإجمالاً فلما أيقن ابن عباس أنّ الحسين (عليه السلام) يجمع على السير ولن يثنيه عن عزمه شيء خفض بصره إلى الأرض ويكى ، ثم ودّعه وانصرف .

ولقي من منصرفه عبد الله بن الزبير فقال : قوّت عينك يا بن الزبير ، ثم قال :

يا لك قنبرة بمعمّر
خلالك الجوف بيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري
هذا الحسين خارج فاستبشري

وكان الحسين (عليه السلام) لما خرج من مكّة اعترضه يحيى بن سعيد بن العاص ، ومعه جماعة أرسلهم إليه أخوه عمرو بن سعيد ليمنعوه من السير ، فأبى عليهم وتذافع الفريقان ، ثم مضى إلى سبيله .

بلوغه (عليه السلام) منزل التنعيم

وتسلّمه كتاب عبد الله بن جعفر

وسار الحسين (عليه السلام) حتّى أن التنعيم ، فرأى عيراً قد أقبلت من اليمن تحمل الورس والحلل هديّة بعث بها إلى يزيد عامله على اليمن ، فأخذها الحسين (عليه السلام) ، ذلك أنّ حكم أمور المسلمين يعود إلى إمام زمانهم ، وهو أحقّ بالتصرّف بها ؛ وقال لأصحاب الإبل : من أحبّ أن ينطلق معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنّا صحبته ، ومن أحبّ أن يفارقنا أعطينا من الكراء على قدر ما قطع من الطريق ، ولن نكرهه ؛ فمضى معه قوم وامتنع آخرون .

يقول الشيخ المفيد : لما سار الحسين (عليه السلام) من مكة كتب إليه ابن عمه عبد الله بن جعفر كتاباً بعثه مع ابنه عون ومحمد ، جاء فيه :

« أما بعد ، فإنّي أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي هذا ، فإنّي مشفق عليك من هذا التوجّه الذي توجّهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ، فإنّك إن هلكت خفت أن يطفأ نور الله في الأرض ، فإنّك علم المهتدين ، ورجاء المؤمنين ، فلا تعجل بالسير فإنّي في أثر كتابي ، والسلام . »

وصار عبد الله إلى عمرو بن سعيد وسأله أن يكتب إلى الحسين (عليه السلام) أماناً ويمنّيه ليرجع عن وجهه ، فكتب إليه عمرو بن سعيد كتاباً يمنّيه فيه الصلّة ، ويؤمّنه على نفسه ، وأنفذه مع يحيى بن سعيد أخيه ؛ فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر بعد نفوذ ابنه ، ودفعاً إليه الكتاب وجهداً به في الرجوع ، فقال :

« إنّي رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في المنام وأمرني بما أنا ماضٍ له . »

قالا : وما تلك الرؤيا ؟ فقال :

« ما حدّثت أحداً بها ، ولا أنا محدّث بها أحداً حتى ألقى ربّي عزّ وجلّ . »

فلما يش منه عبد الله بن جعفر أمر ابنه عوناً ومحمداً بلزومه والمسير معه ، والجهاد دونه ، ورجع مع يحيى بن سعيد إلى مكة ، وتوجّه الحسين (عليه السلام) إلى العراق مغدّاً لا يلوي على شيء ، حتّى نزل ذات عرق .

ووفقاً لرواية السيّد فقد لقي الحسين (عليه السلام) هناك بشر بن غالب قادماً من العراق ، فسأله عن أهلها فقال : خلّفت القلوب معك ، والسيوف مع بني أميّة ، فقال : « صدق أخو بني أسد ، إنّ الله يفعل ما يشاء ، وبحكم ما يريد . »

مقتل قيس بن مسهر الصيداوي

رسول الحسين (عليه السلام)

ويروي الشيخ المفيد أنّه لما بلغ عبيد الله بن زياد إقبال الحسين (عليه السلام) من مكة إلى الكوفة بعث الحصين^(١) بن نعيم على رأس جيش كبير حتّى نزل القادسيّة ، ونظّم الخيل ما

(١) حصين بضمّ الحاء المهملة وفتح الصاد ، ابن نعيم ، وبعضهم يقول : ابن غير ، ولعلّ هذا خطأ .

يقول ابن أبي الحديد : نعيم بن أسامة بن الزبير بن وريد التميمي هو الرجل الذي سأل - لما قال (عليه السلام) : « سلوني قبل أن تفقدوني » - عن عدد الشعر في رأسه ، فأجابته (عليه السلام) : أما =

بين القادسية إلى خفان ، وما بين القادسية إلى القُطْعُطَانَة ، وقال للناس : هذا الحسين يريد العراق ، ولما بلغ الحسين الحاجر من بطن الرُثْمَة بعث قيس بن مسهر الصيداوي - وبرواية عبد الله بن يقطر - إلى أهل الكوفة ، ولم يكن (عليه السلام) علم بخبر مسلم رحمه الله ، وكتب إليهم^(١) :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلى إخوانه المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد ، فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم ، واجتماع مثلكم على نصرنا والطلب بحقنا ؛ فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع ، وأن يبيحكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضي من ذي الحجة يوم التروية ، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدّوا ، فإني قادم عليكم في أيامي هذه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وسبب كتابته لهذا الكتاب هو أنّ مسلماً كتب إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة ، وكتب إليه أهل الكوفة : إنّ لك ما هاتمة ألف سيف ، فلا تتأخر .

فلما بلغ رسوله (عليه السلام) القادسية أسلك به الحصين بن نمير ، وبرواية السيد أنّ الحصين أراد أن يقتله ، فأخرج الكتاب ومزقه ، فحمله الحصين إلى ابن زياد ، فلما مثل بين يديه قال له : من أنت ؟ قال : أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابنه عليهما السلام ، قال : فلم خرت الكتاب ؟ قال : لئلا تعلم ما فيه ، قال : ومَن الكتاب ، وإلى من ؟ قال : من الحسين بن علي إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم ؛ فغضب

= والله إنّّي لأعلم ذلك ، ولكن أين البرهان ؟ ومراده (عليه السلام) : من أين أجعلك تعلم أن عددها هو ما هو ؟ وقد حدّث بشأنك وبما ستألي عنه ، وأخبرت أن في أصل كلّ شعرة ملك يلعنك وشيطان يستغزك ، وآية ذلك مصداق ما خبرتك به من أنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله (ص) أو يجرّص على قتله ، وهكذا كان كما قاله (ع) من أنّه ابن نمير ؛ والحصين هو ذلك الطفل الذي كان يوم ذاك يجير ، وعاش حتى أصبح قائداً عند ابن زياد ، وبعث به ابن زياد إلى ابن سعد بمنعه عن التسامح بشأن الحسين (ع) ويحمله على قتاله ، ويخاف ابن سعد من التأخر في قتل الحسين (ع) ، فلا غرو أنه في صبيحة اليوم الذي أتاه فيه الحصين بن نمير بهذا الكتاب ثم قتل الحسين (ع) . انتهى .

أقول : إن السبط بن الجوزي نقل في (التذكرة) أنّه قيل : إن الحصين كان أحد قتلة الإمام الحسين (ع) وقد رماه بسهم ، ثم أتاه ففصل رأسه عن جسده .

وعلق رأسه في عتق ليتقرّب به إلى ابن زياد عليه لعائن الله » .

(١) وبرواية السيد أنّه (ع) كتب إلى سليمان بن صرد ، والمسيّب بن نجبة ، ورفاعة ، ومجموعة ، من الشيعة .

ابن زياد فقال : والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم ، أو تصعد المنبر وتعلن الحسين بن علي وأباه وأخاه وإلا قطعتك إرباً إرباً .

فقال : أما القوم فلا أخبرك بأسمائهم ، وأما الأمر الآخر فأفعل ، فصعد المنبر وحمد الله ، وصلى على النبي ، وأكثر من الترحم على علي وولده صلوات الله عليهم ، ثم لمن عبيد الله بن زياد وأباه ، ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم ، ثم قال أنا رسول الحسين إليكم ، وقد خلقتكم بموضع كذا فأجيبوه .

فلما بلغ ابن زياد مقالته أمر به أن يرمى من فوق القصر ، فرمي به وتقطع .

وروي أنه وقع إلى الأرض مكتوفاً ، فتكسرت عظامه ، وبقي به رمن ، فأتاه رجل يقال له : عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه .

يقول المؤلف : قيس بن مسهر الصيداوي الأسدي رجل شريف شجاع ، وذو قدم راسخة في حبة أهل البيت (عليهم السلام) ، وسيرد فيما بعد أنه لما بلغ الحسين (عليه السلام) خبر مقتله اغرورقت عيناه وقال :

﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً ﴾ .

والله أشار الكميث بن زيد الأسدي ، ولقبه في شعره بشيخ بني الصيداء بقوله :
« وشيخ بني الصيداء قد فاظ بينهم .. » (فاظ : مات) .

دعوته (عليه السلام) زهير بن القين لنصرته ومعرفته بمقتل مسلم

يقول الشيخ المفيد (ره) : ثم أقبل الحسين من الحاجر يسير نحو الكوفة ، فأتته إلى ماء من مياه العرب ، فإذا عليه عبد الله بن مطيع العدوي وهو نازل به ، فلما رأى الحسين قام إليه فقال : بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ، ما أقدمك ؟ فقال له الحسين (عليه السلام) :
كان من موت معاوية ما قد بلغك ، وكتب إلي أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم .

فقال له عبد الله بن مطيع : أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك ، أنشدك الله في حرمة قريش ، أنشدك الله في حرمة العرب ، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقولنك ، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً ، فلا تفعل ولا تأت الكوفة ، ولا تعرض نفسك لبني أمية .

فأبى الحسين (عليه السلام) إلا أن يمضي لما أمره الله به ، فمضى عنه وهو يقول : ﴿ لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ .

وكان عبيد الله بن زياد أمر فأخذ (سُدَّ) ما بين واقصة إلى طريق الشام ، وإلى طريق البصرة ، فلا يَدْعُونَ أحداً يُلج ولا أحداً يخرج ، فأقبل الحسين (عليه السلام) لا يشعر بشيء (في الظاهر) حتى لقي الأعراب فسألهم فقالوا : لا والله ما ندري غير أننا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج .

وحدَّث جماعة من فزارة ومن بجيلة قالوا :

كُنَّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة ، وكُنَّا نساير الحسين (عليه السلام) ، فلم يكن شيء أبغض علينا من أن ننازله (ننزل معه) في منزل ، فكُنَّا إذا سار الحسين تخلف زهير ، وإذا نزل الحسين (عليه السلام) تقدَّم زهير ، حتى إذا كُنَّا في أحد المنازل نزل الحسين (عليه السلام) في جانب ، وكان لا بدَّ أن ننزل في الجانب الآخر ، ففعلنا .

وبينا نحن جلوس نتغذى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين (عليه السلام) حتى سلَّم ، ثم دخل ، فقال : يا زهير بن القين ، إنَّ أبا عبد الله الحسين بعثني إليك لتأتيه ، فطرح كلَّ منَّا ما في يده حتى كأنما على رؤوسنا الطير ؛ فقالت له زوجته واسمها دهم : سبحان الله ، أبعث إليك ابن رسول الله ثمَّ لا تأتيه ؟! لو أتيتُه سمعت كلامه .

فأتاه زهير بن القين ، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه ، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقوض ، وحمل إلى الحسين (عليه السلام) ، ثم قال لامرأته : أنت طالق ! الحقِّي بأهلك فإنِّي لا أحبُّ أن يصيبك بسبيي إلَّا خير .

ووفقاً لرواية السيّد أن زهيراً أضاف قوله : وقد عزمتم على صحبة الحسين (عليه السلام) لأفديته بروحي ، وأقيه بنفسي .

ثمَّ أعطاهما مالها ، وسلَّمهما إلى بعض بني عمِّها ليوصلها إلى أهلها ، فقامت إليه وبكت ودَّعته وقالت : خار الله لك ، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدِّ الحسين (عليه السلام) .

ثمَّ قال زهير لأصحابه : من أحب منكم أن يتبعني ، وإلَّا فهو آخر العهد ؛ ثمَّ ودَّعهم والتحق بالحسين (عليه السلام) ؛ ويقول بعض أرباب السير إن ابن عمِّه سليمان بن مضارب بن قيس وافقه ، واستشهد بعد ظهر يوم عاشوراء في كربلاء .

ويروي الشيخ المفيد (ره) عن عبد الله بن سليمان الأسديّ والمثدِّر بن المشمعل الأسديّ أنَّهما قالَا :

لما قضينا حجنا لم تكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين في الطريق لننظر ما يكون من أمره ، فأقبلنا نرقل بنا ناقاتنا مرعين حتى لحقناه بزرد ، وهو موضع قريب من الثعلبية ؛ فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين (عليه السلام) ، فوقف الحسين (عليه السلام) كأنه يريد ، ثم تركه ومضى ، ومضينا نحوه ، فقال أحدهما لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا نسأله فإن كان عنده خبر الكوفة علمناه ، فمضينا حتى انتهينا إليه فقلنا : السلام عليك ، قال : وعليكما السلام ، قلنا : ممن الرجل ؟ قال : أسدي ، فقلنا : ونحن أسديان فمن أنت ؟ ثم انتسب وانتسبنا له ، ثم قلنا : أخبرنا عن الناس وراءك ، قال : نعم ، لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاء بن عروة ؛ ورأيتهما يُجران بأرجلهما في السوق .

بلوغه (عليه السلام) منزل الثعلبية

فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين ، فسأبرناه حتى نزل الثعلبية مسمياً ، فجنّاه حين نزل فسلمنا عليه ، فردّ علينا السلام فقلنا له : يرحمك الله ، إن عندنا خيراً إن شئت حدثناك به علانية ، وإن شئت سراً ، فنظر إلينا وإلى أصحابه ثم قال : ما دون هؤلاء سرّاً ؛ فأخبرناه الخبر المؤلم الذي سمعناه من الأسدي ، فقال : ﴿ إِنَّا لله وَإِنَّا إليه راجعون ﴾ ، رحمة الله عليهما ، يردّد ذلك مراراً .

فقلنا له : نشدك الله في نفسك وفي أهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا ، وإن أهل الكوفة إن لم يكونوا عليك فلن يكونوا معك ؛ فنظر إلى بني عقيل فقال : ما ترون ؟ فقالوا : والله ما نرجع حتى نصيب ثارنا أو نذوق ما ذاق .

فأقبل علينا الحسين (عليه السلام) فقال : لا خير في العيش بعد هؤلاء ، فعلمنا أنه قد عزم رايه على السير ، فقلنا له : خار الله لك ، فقال : يرحمكم الله ؛ فقال له بعض أصحابه : إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع ، فسكت ولم يجيب ، ذلك أنه كان يعلم العاقبة .

وبرواية السيّد أنه (عليه السلام) لما بلغه خبر مقتل مسلم استعبر باكياً ثم قال : ه رحم الله مسلماً ، فلقد صار إلى روح الله وريحانه ، وتحبته ورضوانه ، أما إنه قد قضى ما عليه ، وبقي ما علينا ، ثم أنشأ يقول :

فإن تكن الدنيا تعدّ نفيسة	فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت أنشئت	فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً	فقلّة حرص المرء في الكسب أجمل

وإن نكس الأموال للترك جمعها فمما بال متروك به المرء ببخل
ورد في بعض التواريخ أنه كان لمسلم بن عقيل (عليه السلام) بنت كان لها من العمر
ثلاث عشرة سنة أو أقل ، وكانت تعيش في بيت الحسين (عليه السلام) وتدرج مع بناته لا
تفارقهن .

ولما أخبر الحسين (عليه السلام) في ذلك المكان بقتل مسلم جاء ودخل خيمة النساء
ودعا بتلك البنت وجعل يلاطفها ويعطف عليها ، فاستشعرت البنت من ذلك المصيبة ،
فقالت : يا عم ، أراك تعطف علي عطفك على الأيتام ، أفأصيب أبي مسلم ؟ فرق لها الحسين
(عليه السلام) وجرت دمعة ، وقال لها : يا بنية لا تحزني ، فلئن أصيب أبوك فأنا أبوك ،
وبناتي أخواتك ؛ فلما سمعت البنت هذا الكلام من الحسين (عليه السلام) صرخت
وأعولت ، فسمع صراخها آل عقيل ، فارتفعت أصواتهم بالبكاء ، وشاركهم أهل بيت
الحسين (عليه السلام) ، وعظم على أبي عبد الله المصائب ، واشتد به الحزن .

ويروي الشيخ الكليني (قده) أن الإمام الحسين (عليه السلام) لما بلغ الثعلبية يريد
كربلاء ، لقيه رجل فسلم عليه ، فقال له الحسين (عليه السلام) : من أي البلاد أنت ؟
قال : من أهل الكوفة ، قال : أما والله يا أخا أهل الكوفة لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبريل
(عليه السلام) من دارنا ، ونزوله بالوحي على جدّي ، يا أخا أهل الكوفة ، أفمستقى العلم
من عندنا ، فعلموا وجهلنا ؟ هذا ما لا يكون .

يروي السيد ابن طاووس أيضاً أن الحسين صلوات الله عليه سار حتى نزل الثعلبية وقت
الظهرة ، فوضع رأسه فرقد ، ثم استيقظ فقال :

« قد رأيت هاتفاً يقول : أنتم تسرعون ، والمنايا تسرع بكم إلى الجنة » .

فقال له ابنه علي (عليه السلام) : يا أبة ، أفلسنا على الحق ؟ فقال : بل يا بني والذي
إليه مرجع العباد ؛ فقال : يا أبة ، إذن لا نبالي بالموت ، فقال له الحسين (عليه السلام) :
جزاك الله يا بني خير ما جزى ولدأ عن والد .

ثم بات (عليه السلام) في الموضع ، فلما أصبح إذا برجل من أهل الكوفة يكتئب أبا هرّة
الأزدّي قد أناه فسلم عليه ثم قال : يا بن رسول الله ، ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم
جذك محمد (صلّى الله عليه وآله) ؟ فقال الحسين (عليه السلام) :

« وبحك أبا هرّة ، إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت ، وشموا عرضي فصبرت ، وطلبوا
نمي فهربت ؛ وإيم الله لتقتلني الفئة الباغية ، وليلبسهم الله ذلاً شاملاً ، وسيفاً قاطعاً ؛

وليسلطنَ عليهم من يذنبهم حتى يكونوا أدلَّ من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة منهم ، فحكمت في أموالهم ودمائهم » .

يقول الشيخ المفيد وغيره : ثم انظر حتى إذا كان السحر قال لغتياته وغلمايه : أكثروا من الماء ، فاستقوا وأكثروا ؛ ثم ارتحلوا ، فسار حتى انتهى إلى زبالة ، فأنابه خبر عبد الله بن يقطر ، فجمع أصحابه ، فأخرج للناس كتاباً قرأه عليهم ، فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإنه قد أنانا خبر فطيع : قتل مسلم بن عقيل ، وهانئ بن عروة ، وعبد الله بن يقطر ؛ وقد خذلنا شيعتنا ، فمن أحبَّ منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج ، ليس عليه ضمان » .

فنفَّرَ الناس عنه مَنْ اتَّبَعُوهُ طمعاً في مغنم وجاء ، حتى بقي في أهل بيته وأصحابه مَنْ اختاروا ملازمته عن يقين وإيمان .

فلما كان السحر سار حتى مرَّ بطن العقبة فنزل عليها ، فلقبه شيخ من بني عكرمة فقال له : أين تريد ؟ قال (عليه السلام) : الكوفة ، فقال له الشيخ : أنشدك الله لما انصرفت ، فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحذَّ السيوف ؛ فقال له : « يا عبد الله ، ليس يخفى عليّ الرأي ، ولكنَّ الله تعالى لا يُغلب على أمره » .

ثم قال : « والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي ، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذنبهم حتى يكونوا أدلَّ فرق الأمم » .

ثم سار (عليه السلام) في سبيله .



الفصل السابع

فج لقاء الإمام الحسين (عليه السلام) الحرّ بن يزيد الرياحي

سار الحسين (عليه السلام) من بطن العقبة حتّى نزل شَراف ، فلمّا كان السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء واكثروا ، ثمّ سار حتى انتصف النهار ، فبينما هو يسير إذ كبر رجل من أصحابه ، فقال له الحسين (عليه السلام) : الله أكبر ، لم كبرت ؟ فقال : رأيت النخل ، قال جماعة ممّن صحبه : والله أنّ هذا المكان ما رأينا فيه نخلة قطّ ، فقال : فما ترونه ؟ قالوا : والله نراه أسنة الرماح وأعتاق الخيل ، قال : وأنا والله أرى ذلك .

فلمّا تبين له أنّهم الجند مال إلى ذات اليسار بجانب جبل هناك يقال له ذا حُسم ، حتّى إذا احتاج إلى القتال جعله في ظهره ، واستقبل القوم من وجه واحد ، ولمّا بلغ الموضع أمر (عليه السلام) بأبيته فضربت .

وما لبث أن جاء القوم ، زهاء ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي ، حتّى وقف هو وخيله مقابل الحسين (عليه السلام) في حرّ الظهيرة ، والحسين وأصحابه معتمون متقلّدون أسيانهم .

فقال الحسين (عليه السلام) لفتيانه : اسقوا القوم واروهم من الماء ، ورشّفوا الخيل ترشيفاً ، ففعلوا ، وأقبلوا يملأون القصاع من الماء ثمّ يدنوونها من الفرس فإذا عبّ ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر ، حتّى سقوا الخيل كلّها .

يقول عليّ بن الطعان المحاربيّ ، كنت مع الحرّ يومئذ ، فجئت في آخر من جاء من أصحابه ، فلمّا رأى الحسين (عليه السلام) ما بي وفرسي من العطش قال : انخ الراوية ، والراوية عندي السقاء ، فقال : يا بن أخي انخ الجمل (مراده الجمل الذي يحمل الماء) فأنخته ، فقال : اشرب ، فجعلت كلّما شربت سال الماء من السقاء ، فقال الحسين : انخت

السقاء أي : اعطفه ، فلم أدر كيف أفعل ، فقام فخنثه ، وسقيت فرسي .

صلاة الحرّ مع الحسين (عليه السلام)

فلم يزل الحرّ موافقاً للحسين (عليه السلام) حتّى حضرت صلاة الظهر ، فأمر الحسين (عليه السلام) الحجاج بن مسروق أن يؤذّن ، فلمّا حضرت الإقامة خرج الحسين (عليه السلام) في إزار ورداء ونعلين ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أيّها الناس ، إنّي لم آتكم حتّى أنتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم أن : « أقدم علينا فليس لنا إمام ، لعلّ الله يجمعنا وإياكم على الهدى والحق » ، فإن كنتم على ذلك فقد جشتم ، فأعطوني ما أطمئن إليه من عهدكم ومواثيقكم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين ، انصرفت عنكم إلى المكان الذي جثت منه إليكم » .

فسكنوا عنه ولم يتكلّموا كلمة .

فقال للمؤذّن : أقم ، فأقام الصلاة فقال للحرّ : أتريد أن تصلّي بأصحابك ؟ فقال الحرّ : لا بل تصلّي أنت ونصلّي بصلاتك ، فصلّى بهم الحسين (عليه السلام) .

ثمّ دخل فاجتمع عليه أصحابه ، وانصرف الحرّ إلى مكانه الذي كان فيه ، وعاد الباقر إلى صفّهم ، ثمّ أخذ كلّ رجل منهم بعنان فرسه وجلس في ظلّها اتقاءً لشدة الحرّ .

فلمّا كان وقت العصر أمر الحسين (عليه السلام) أن يتهيأوا للرحيل ، ففعلوا ؛ ثمّ أمر مناديه فنادى بالعصر وأقام ، فاستقدم الحسين وقام فصلّى بالقوم ، ثمّ سلّم وانصرف إليهم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أمّا بعد ، أيّها الناس فإنّكم إن تنفّوا الله وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى الله عنكم ، ونحن أهل بيت محمد أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المذّعين ما ليس لهم ، والسايرين فيكم بالجور والعدوان ، فإن أبيتم إلّا الكراهة لنا ، والجهل بحقّنا ، وكان رأيكم الآن غير ما أنتني به كتبكم ، وقدمت عليّ به رسلكم انصرفت عنكم » .

فقال له الحرّ : أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسائل التي تذكر ، فقال الحسين (عليه السلام) لبعض أصحابه : يا عقبة بن سمعان ، أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليّ ، فأخرج عقبة خرجين مملوءين صحفاً فنشرت بين يديه ، فقال له الحرّ : لسا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أمرنا أنا إذا لقيناك لا نفارقك حتّى تقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد ، فقال الحسين (عليه السلام) : « الموت أدن إليك من ذلك » .

ثمّ قال (عليه السلام) لأصحابه : قوموا فاركبوا ، فركبوا ، وانتظر حتى ركب نساؤه

فقال لأصحابه : انصرفوا ، فلمّا ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف .

فقال الحسين (عليه السلام) للحرّ : « ثكلتك أمك ما تريد ؟ »

فقال له الحرّ : أما والله لو غيرك يقولها لي ما تركت ذكر أمّك بالكل كائناً من كان ، ولكن والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه .

فقال له الحسين (عليه السلام) : فما تريد ؟ قال : أريد أن أنطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد ، فقال : إذاً والله لا أتبعك ، فقال : إذاً والله لا أدعك ، فترادّوا القول ، فلمّا كثّر الكلام بينها قال له الحرّ : إني لم أؤمر بقتالك إنّما أمرت أن لا أفارقك حتّى أقدمك الكوفة ، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ، ولا يردّك إلى المدينة حتّى أكتب إلى الأمير عبيد الله بن زياد فلعلّ الله أن يرزقني العافية من أن أبطل بشيء من أمرك .

ثم إن الحسين (عليه السلام) تيسر عن طريق القادسيّة وعُذّيب ، وسار الحرّ في أصحابه يسيره ، فسير بأصحابه في ناحية ويسر الحسين (عليه السلام) في ناحية أخرى حتّى انتهوا إلى عذيب المجانات ، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم ، ويقودون فرساً لتافع بن هلال يقال له الكامل ، ومعهم دليلهم الطرمّاح بن عديّ (كون الطرمّاح هذا ابن عديّ بن حاتم غير معروف ، بل إنّ أباه هو عديّ آخر كما يظهر) ، والتحقوا بركب الحسين (عليه السلام) .

وأقبل إليهم الحرّ بن يزيد فقال : إنّ هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا بمنّ أقبل معك ، وأنا حاسبهم أو رادّهم ؛ فقال له الحسين (عليه السلام) : لamenعنهم ممّا أمنع منه نفسي ، إنّما هؤلاء أنصاري وأعواني ، فإن بقيت على العهد الذي بيني وبينك فيها ، وإلاّ ناجزتك ، فكفّ عنهم الحرّ .

ثم قال لهم الحسين (عليه السلام) : أخبروني خبر الناس وراءكم ، فقال له أحدهم وهو مجعّ بن عبد الله : أمّا أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم ، وملئت غرائزهم ، فهم لبّ^(١) واحد عليك ؛ وأمّا سائر الناس فإنّ أفئدتهم تهوي إليك ، وسيوفهم غداً مشهورة عليك ؛ قال : أخبرني ، فهل لكم برسولي إليكم قيس بن مسهر ؟ قالوا : نعم ، أخذه الحصين بن تميم فبعث به إلى ابن زياد ، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك ، فصلّ عليك وعلى أبيك ، ولعن ابن زياد وأباه ، ودعا الناس إلى نصرتك ، وأخبرهم بقدمك ، فأمر به ابن زياد فألقي من طهار القصر ، فترقرقت عينا الحسين (عليه السلام) ولم يملك دمعه ، ثم قال :

(١) الإلب : قوم تجمعهم عداوة واحدة .

﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ .

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا وَلَهُمُ الْجَنَّةَ نَزْلًا ، وَاجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي مَسْتَقَرِّ رَحْمَتِكَ ، وَغَائِبِ مَذْخُورِ ثَوَابِكَ » .

ثم دنا منه الطرماح فقال : والله إنِّي لأنظر فيما أرى معك أحداً ، ولرلم يقاتلك إلا هؤلاء (جنود الحر) الذين أراهم ملازميك لكان كُفي بهم ، وقد رأيت قبل خروجي إليك يوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عينا في صعيد واحد جمعاً أكثر منه ، فسألت عنهم فقليل : اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحون إلى الحسين ، فأنشدك الله إن قدرت على أن لا تقدم إليهم شيراً إلا فعلت ، فإن أردت أن تنزل بلداً يمتنعك الله به - حتى ترى رأيك ويستبين لك ما أنت صانع - فسر حتى أنزلك مناج جيلنا الذي يدعى (أجاً) ، منزل ليطن من بطون طيء ، فأقم فينا ما بدا لك ، فإن هاجك هيج فأتنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيا فهم ، والله لقد امتنعنا بهذا الجبل من ملوك غسان وحير ، ومن النعمان بن المنذر ، ومن العرب والعجم ، والله ما دخل علينا ذل قط .

فقال له الحسين (عليه السلام) : « جزاك الله وقومك خيراً إنّه كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنّا نقدر معه على الانصراف ، ولا ندري علام تصرف بنا وبهم الأمور في عاقبه » .

وكان الطرماح قد امتاز لأهله ميرة من الكوفة ، ومعه نفقة لهم ، فودّع الحسين (عليه السلام) على أن يأتي أهله بالميرة ثم يعود إليه ليكون من أنصاره ، وقد فعل ، غير أنه لما بلغ عذيب الهجانات في طريق عودته لقي سباعة بن بدر ، فعنى إليه الإمام الحسين (عليه السلام) ففعل راجعاً .

بلوغه (عليه السلام) قصر بني مقاتل والقلوه عبيد الله بن الحر الجعفي

ثم سار الحسين (عليه السلام) من عذيب الهجانات ، والحر يسايره ، حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل ، فنزل به ، فلما هوبقسطاط مضروب ، فقال : لمن هذا ؟ فقليل : لعبيد الله بن الحر الجعفي ، قال : ادعوه إليّ ، فلما أتاه الرسول قال له : هذا الحسين بن عليّ (عليهما السلام) يدعوك ، فقال : ﴿ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴾ ، والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهية أن يدخلها الحسين وأنا فيها ، والله ما أريد أن أراه أو يراي .

فأتاه الرسول فأخبره ، فقام إليه الحسين فجاءه فسلم عليه وجلس ، ثم دعاه إلى الخروج

معه ، فأعاد عليه عبيد الله تلك المقالة ، واستقاله مما دعاه إليه ، فقال له الحسين (عليه السلام) : « إلاً تنصرنا فأتق الله أن تكون ممن يقاتلنا ، فوالله لا يسمع واعيئنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك » .

فقال له : أما هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله .

ثم قام الحسين (عليه السلام) من عنده حتى دخل رحله ، ولما كان في آخر الليل أمر فتيانه بالاستقاء من الماء والرحيل .

قال عقبة بن سميان : لما ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرنا ساعة خفق الحسين (عليه السلام) وهو على ظهر فرسه خفقة ثم انتبه وهو يقول : ﴿ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْه راجعون ﴾ ، ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ ، وفعل ذلك مرتين أو ثلاثاً ، فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين (عليهما السلام) فقال : مم حدث الله واسترجعت ؟ قال :

« يا بني إني خفقت خفقة فعن لي فارس وهو يقول : القوم يسرون والمنايا تسير إليهم ، فعلمت أنها أنفسنا نعت إلينا » .

فقال له : يا أبت ، لا أراك الله سوءاً ، السنا على الحق ؟ قال : بل والله على الحق ، قال : فإننا إذا ما نبالي أن نموت محقين ، فدعاه (عليه السلام) بالخير^(١) .

فلما أصبح نزل وصلى بهم الغداة ، ثم عجل الركوب وأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرقهم ، فأتته الحرّ فبرده وأصحابه نحو الكوفة فيمتنعون عليه ، فلم يزالوا يتسايرون كذلك حتى انتهوا إلى نينوى في أرض كربلاء ، فإذا راكب على نجيب له متنكباً قوسه مقبلاً من الكوفة ، فوقفوا جميعاً ينتظرونه ، فلما انتهى إليهم سلم على الحرّ وأصحابه ولم يسلم على الحسين ، ودفع إلى الحرّ كتاباً من عبيد الله بن زياد لعنه الله ، فإذا فيه :

أما بعد ، فجمعهم بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي ، فلا تنزله إلا بالعراء في غير خضرة وعلى غير ماء ، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتي بي بإفناذك أمري ، والسلام .

قرأ الحرّ عليهم كتاب ابن زياد ، وأخذهم بالنزول في ذلك المكان ، فقال له الحسين (عليه السلام) : دعنا ويحك تنزل هذه القرية أو هذه ، يعني نينوى والغاصرية ، أو قرية أخرى حيث العمران والماء ؛ فقال الحرّ : لا والله ما أستطيع ذلك ، هذا رجل قد بُعث إلي عينا علي .

(١) ورد قريب من هذه الواقعة في أواخر الفصل السابق ، مع اختلاف طفيف في النص (المغرب) .

قال زهير بن القين : يا بن رسول الله ، إن قتال هؤلاء القوم الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم ، فلعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به .

فقال الحسين (عليه السلام) : ما كنت لأبداهم بالقتال ، ثم نزل ، وضربت الأبنية ، وكان ذلك يوم الخميس الثاني من المحرم الحرام .

ويروي السيد ابن طائوس أن كتاب ابن زياد ورسوله وصلا إلى الحرّ في عذيب الهجانات ، ولما ضيق الحرّ على الحسين (عليه السلام) امتثالاً للأمر الذي تلقاه جمع أصحابه وأهل بيته ، وقام فيهم خطيباً ، وقال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه - :

« أما بعد ، فإنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون ، وإن الدنيا قد تغيرت وتكررت ، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء ، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء ربه حقاً ، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برماً » .

فقام إليه من بين أصحابه زهير بن القين البجليّ ، فقال :

« قد سمعنا يا بن رسول الله مقالتك ، ولو كانت الدنيا لنا باقية ، وكنا فيها مخلّدين ، لأثرنا النهوض معك على الإقامة فيها » .

وقام من بعده نافع بن هلال فقال :

« والله ما كرهنا لقاء ربنا . وإنّا على نيّاتنا وبصائرنا ، نوالي من والاك ، ونعادي من عاداك » .

ثم قام برّير بن خضير فقال :

« والله يا بن رسول الله لقدمنّ الله تعالى بك علينا أن نقاتل بين يديك ، تقطع فيك أعضاؤنا ، ثم يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة » .



المقصد الثالث

في قدوم الإمام الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء

وفيه أربعة فصول



الفصل الأول

في نزول الإمام الحسين (عليه السلام) أرض كربلاء

اعلم أن هناك اختلافاً في اليوم الذي ورد فيه الإمام الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء وأصح الأقوال هو أنه قدم كربلاء في الثاني من المحرم الحرام سنة إحدى وستين من الهجرة ، ولما انتهى إليها قال : ما اسم هذه الأرض ؟ فقيل له : هي كربلاء ، فقال : اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء .

ثم قال : « هذا موضع كرب وبلاء ، انزلوا ، ها هنا محط رحالنا ، ومناخ ركابنا ، ومقتل رجالنا ، ومسفك دماتنا ، وهنا محل قبورنا ، بهذا حدثني جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) » .

ثم نزلوا ، ونزل الحر على الجانب الآخر ، فلما كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد اللعين من الكوفة في أربعة آلاف فارس ، فتزلوا في مواجهتهم .

ويروي أبو الفرج أنه قبل خروج ابن سعد إلى الحسين (عليه السلام) بكربلاء كان ابن زياد قد ولّاه ، إمارة الريّ ، فلما بلغه ما كان من قدوم الحسين (عليه السلام) دعا عمر بن سعد فقال : سر إلى الحسين ، فإذا قرعنا ممّا بيننا وبينه سرت إلى عمك ؛ فقال له عمر بن سعد : إن رأيت رحمك الله أن تعفني فافعل ، فقال له ابن زياد : نعم ، على أن تردّ لنا عهدنا .

وقع عمر بن سعد في الحيرة والتردد بين قتال الحسين (عليه السلام) وفقدانه ملك الريّ ، فلا غرو أنه قال لابن زياد : أمهلني اليوم حتّى انظر ؛ ثم أعمل فكره ، وأخيراً غلبت عليه شفقته فاختار حرب الحسين (عليه السلام) مع أمل الفوز بملك الري ، ولما كان من الغد أقبل إلى ابن زياد وقال له : إني سائر إلى الحسين .

ورواية السبط بن الجوزي قريبة من هذا المضمون ، غير أنَّ مُحَمَّد بن سيرين نقل عنه قوله : إن إعجاز أمير المؤمنين (عليه السلام) ظاهر في هذا الأمر ، ذلك أنه (عليه السلام) لقي عمر بن سعد وهو شاب فقال له : ويلك يا بن سعد ، ماذا تقول في يوم تتردّد فيه بين الجنة النار ، وتختار النار ؟

ثم إن عمر بن سعد بعث إلى الحسين (عليه السلام) عروة بن قيس الأحسيّ فقال : ائته فله ما الذي جاء به ، وماذا يريد ؟

وكان عروة ممّن كتب إلى الحسين (عليه السلام) ، فاستحيا منه أن يأتيه ، فطلب من ابن سعد أن يعفيه ويندب رجلاً آخر ، فعرض ابن سعد ذلك على رؤساء جيشه فأبوا ذلك وكرهوه ، ذلك أنهم كانوا ممّن كاتب الحسين (عليه السلام) ؛ فقام إليه كثير بن عبد الله ، وكان فارساً شجاعاً لا خوف ولا حياء عنده ، فقال : أنا أذهب إليه ، والله لئن شئت لأتكنن به ، فقال له عمر بن سعد : ما أريد أن يفتك به ، ولكن ائته فله ما الذي جاء به .

حديث أبي ثعلبة الصائدي مع كثير بن عبد الله

أقبل كثير بن عبد الله إلى الحسين (عليه السلام) ، فلما رآه أبو ثعلبة الصائديّ قال للحسين (عليه السلام) : أصلحك الله أبا عبد الله ، قد جاءك شرّ أهل الأرض ، وأجراه على دم وأنتك ، ثم قام إليه فقال له : ضع سيفك ، قال : لا والله ولا كرامة ، إنما أنا رسول ، فإن سمعتم مني أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ، وإن أبيتم انصرفت عنكم ، فقال له : فإنّي أخذ بقائم سيفك ، ثم تكلم بحاجتك ، قال : لا والله لا تمسه ، فقال له : أخبرني ما جئت به وأنا أبلغه عنك ، ولا أدعك تدنونه ، فإنك فاجر .

فتسألاً ، ثم انصرف هذا الحديث إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر ، فدعا عمر قرّة بن قيس الخنظليّ فبعث به برسالته ، فلما رآه الحسين (عليه السلام) مقبلاً قال : أتعرفون هذا ؟ فقال حبيب بن مظاهر : نعم ، هذا رجل من حنظلة ، غميّ ، وهو ابن اختنا ، ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي ، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد .

فجاء حتّى سلّم على الحسين (عليه السلام) وبلغه رسالة ابن سعد إليه ، فقال الحسين (عليه السلام) : كتب إليّ أهل مصركم هذا أن أقدم ، فأما إذا كرهوا قدومي فإنّي أنصرف عنهم .

فقال له حبيب بن مظاهر : ويحك يا قرّة بن قيس ، أنى ترجع إلى القوم الظالمين ؟ انصر هذا الرجل الذي بآياته أيّدك الله بالكرامة ، وإيانا معك ، فقال له قرّة : أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته ، وأرى رأيي .

فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر ، فقال له : إني لأرجو أن يعافيني الله في حربه وقتاله .

ثم إنه كتب إلى ابن زياد كتاباً يخبره فيه بما جرى .

يقول حسان بن فائد العبيسي : أشهد أني كنت عند ابن زياد حال وصول كتاب ابن سعد إليه ، فلما قرأه قال :

الآن إذ علققت مغالبنا به يرجو النجاة ولات حين مناص

وكتب إلى عمر بن سعد يقول : بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت ، اعرض على الحسين أن يبايع لي زيد بن معاوية هو وجميع أصحابه ، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا والسلام .

فلما أتى عمر بن سعد الكتاب ، لم يقرأه على الحسين (عليه السلام) ، ذلك أنه يعلم أن الحسين (عليه السلام) لن يرضى بالبيعة ليزيد .

ثم جاء إلى عمر بن سعد كتاب آخر من ابن زياد يقول فيه : أما بعد ، فلا تمهلن الحسين بن عليّ وتخذ بكظمه ، وحل بين الماء وبينه كما حيل بين الزكيّ النقيّ عثمان بن عفان^(١)

(١) المعلوم أن عثمان بن عفان حوَّص في المدينة من قبل المصريّين ، ومنع عنه الماء ، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين (ع) غضب وبعث له بالماء ، وهذا مسطور في كتب التاريخ . لكنّ بني أميّة اتخذوها ذريعة قديمة ، وأظهروا للناس أن عثمان قتل عطشان وينبغي الانتقام له ، وصوّروا لأخيلة الناس أن ثورة الناس على عثمان كانت في نظر أمير المؤمنين (ع) عملاً صائباً ، ومن هذا الباب تسلّل أهل الفتنة والبغي والنواصب فذبّروا المجازر للمسلمين حتّى كانت واقعة كربلاء ، فكان أوّل قرار اتخذّه ابن زياد هو منعه الماء عن عترة النبيّ (ص) وما أن اتخذ هذا القرار حتّى سارع عمر بن سعد إلى وضعه موضع التنفيذ فأوصى أصحابه وعساكره أن لا يسمّحوا لأصحاب الحسين بحمل الماء من الفرات ومع أن الفرات كان طويلاً عريضاً غير أن أصحاب الحسين (ع) كانوا محاصرين ، كما أكّد ابن زياد تكراراً وجوب منع الماء ، فبعث عمر بن سعد غفر بن الحجاج الزبيديّ على خمسة فارس وأمره بالنزول على الشريعة ، ومنع أصحاب الحسين من ورودها .

وجاء في المناقب أنهم منعوه من الماء ثلاثة أيام ، فحيناً حفروا عيناً للشرب فأعاد القوم ملأها دون حياء ، وحيناً كذلك حفروا بئراً من أجل الماء المستعمل لغیر الشرب ، وحيناً كان أبو الفضل العباس (ع) يأتهم بالماء خلال الليل ؛ ويروى في الأماليّ عن الإمام السجّاد (ع) أن عليّاً الأكبر (ع) خرج إلى الشريعة ليلة عاشوراء في خسين نفراً فاستقوا ماءً ، فقال الإمام الأكبر (ع) لأصحابه : قوموا فاشربوا من الماء يكن آخر زادكم ، وتوضّأوا واغتسلوا واغسلوا يثابكم فتكون أكفانكم ؛ ومنذ ذلك كان آخر عهد حرم رسول الله (ص) بالماء ، ومعلوم أن الجوّ كان شديد الحرارة ، وصير ساعة واحدة كان يكفي لإيقاد نار العطش ، فكيف يعمل صعب شديد ، وقد ورد في الأخبار والسير كيف أن ذراري رسول الله (ص) قتلوا =

وبين الماء يوم الدار ، فلا يُسْقَو منه قطرة ، فبعث عمر بن سعد غمراً بن الحجاج على خمسة فارس فزولوا على الشريعة وحالوا بين الحسين (عليه السلام) وأصحابه وبين الماء ، وذلك قبل قتل الحسين (عليه السلام) بثلاث ؛ ومنذ اليوم الذي وصل فيه عمر بن سعد إلى كربلاء كان ابن زياد يرفده بالمقاتلين حتى تكامل عنده في السادس من المحرم - برواية السيد - عشرين ألف فارس .

ووفقاً لبعض المرويات فقد كان العسكر يقدون باستمرار حتى اكتملوا ثلاثين ألفاً ، وكتب ابن زياد إلى عمر بن سعد : إني لم أجعل لك علة في كثرة الخيل والرجال ، فانظر أي لا أصبح ولا أمسي إلا وخبرك عندي غدوة وعشية .

ولما رأى الحسين (عليه السلام) نزول العساكر مع عمر بن سعد بنينوى ومددهم لقتاله أنفذ إلى عمر بن سعد : إني أريد أن ألقاك ، فاجتمعا ليلاً فتناجيا طويلاً ، ثم رجع عمر إلى مكانه ، وكتب إلى عبيد الله بن زياد :

« أما بعد ، فإن الله قد أطفأ النائرة ، وجمع الكلمة ، وأصلح أمر الأمة ؛ هذا الحسين قد أعطاني عهداً أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى ، أو أن يسير إلى ثغر من الثغور ، فيكون رجلاً من المسلمين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ؛ أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده ، فيرى فيما بينه وبينه رأي ؛ وفي هذا لك رضى ولأمة صلاح » .

يقول المؤلف : ينقل أهل السير والتواريخ عن عقبة بن سمعان مولى الرباب زوجة الإمام الحسين (عليه السلام) أنه قال :

= وهم عطاشي قد بيست شغاهم ، فكم يكون من المناسب إذا ذكرت قصته عليه السلام - عند شرب الماء - أن يذكر بعطش أولئك السادة المظلومين .

وينقل عن (المصباح) للكفعمي أن سكية عند مقتل أبيها جاءت إليه وأخذته في حجرها وجعلت تبكي وتنوح حتى ذهلت ، ثم أنشدت عن أبيها :

شيعتي ما إن شربتم ربي عذب فاذكروني أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبوني
ويظهر أن ما يرادف هذا الشعر من أشعار يقال في المراثي إنما هي من ملحقات الشعراء وليست من شعره (ع) ، وجاء في (كامل البهائي) أن ابن زياد جاء إلى مسجد الكوفة وأمر مناديه فنادى أن على الرجال كافة الخروج بسلاحهم لحرب الحسين بن علي ، وأن من يبقى في الكوفة سيقتل ، وجاء فيه أيضاً أنه لم يبق رجل إلا أخرجه ابن زياد طوعاً وكرهاً حتى يتم له - بالنبل والسيوف والحجر والعصا - الانتهاء من الحسين وأصحابه ، وجاء فيه أن رواة أحوالهم هم حميد بن مسلم الكندي ، وكان في جيش الطاغية ، وزينب أخت الإمام الحسين (ع) ، وعلي زين العابدين (ع) ، وكان حميد من بينهم رجلاً فاضلاً لكن ابن زياد أخرجه مكرهاً .

« صحبت الحسين من المدينة إلى مكة ، ومنها إلى العراق ، ولم أفارقه حتى قُتل ، وقد سمعت جميع كلامه مع الناس ، فما سمعت منه ما يتذاكر فيه الناس : من أن يضع يده في يد يزيد ، ولا أن يسير إلى ثغر من الثغور ، ولكنه قال : دعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه ، أو دعوني أذهب في هذه الأرض العريضة حتى تنظر ما يصير إليه أمر الناس » .

أقول : الظاهر أن هذا الكلام أضافه ابن سعد إلى الكتاب من عنده ، وافعل ما كان يرجوه إصلاح الأمر ، حيث كان كارهاً - منذ البداية - للقتال .

وإجمالاً فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال : « هذا كتاب رجل ناصح لأمره ، مشفق على قومه » ، وأراد أن يجيب ابن سعد بالقبول ، فقام إليه الشمر بن ذي الجوشن فقال : « أتقبل هذا منه ، والله لئن رحل من بلدك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة والعزة ، ولتكونن أولى بالضعف والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبت فانت ولي العقوبة ، وإن غفرت كان ذلك لك » .

فقال ابن زياد : نعم ما رأيت ، أخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد ، فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي ، فإن فعلوا فليبعث بهم إليّ سليماً ، وإن هم أبوا فليقاتلهم ؛ فإن فعل فاسمع له وأطع ، وإن أبى أن يقاتلهم فانت أمير الجيش ، فاضرب عنقه ، وابعث إليّ برأسه .

ثم كتب إلى ابن سعد كتاباً جاء فيه :

أما بعد ، فإنّي لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ، ولا لتطاوله ، ولا لتمنيه السلام والبقاء ، ولا لتعذر عنه ، ولا لتكون له عندي شفيعاً ؛ انظر ، فإن نزل الحسين وأصحابه على حكمي فابعث بهم إليّ سليماً ، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتقتل بهم ، فإنهم لذلك مستحقون .

فإن قتلت حسيناً فأطىء الخيل صدره وظهره ، فإنّه عاق شاقّ قاطع ظلوم ، ولست أرى أن يضّرّ هذا بعد الموت ، ولكن على قول قد قلته : لو قتلته لفعلتُ هذا به .

فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع ، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا ، وخلّ بين الشمر بن ذي الجوشن وبين العسكر ، فإننا قد أمرنا بذلك ، والسلام » .

الفصل الثاني

فجدة وقائع التاسع من المحرم وورود الشمر بن ذئب الجوشن

لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ التَّاسِعِ مِنَ الْمَحْرَمِ الْحَرَامِ أَقْبَلَ الشَّمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ بِكِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ، فَلَمَّا قَرَأَهُ ابْنُ سَعْدٍ قَالَ لَهُ : « مَا لَكَ وَبِكَ ، لَا قَرَّبَ اللَّهُ دَارَكَ ، وَقَبَّحَ اللَّهُ مَا قَدَّمْتَ بِهِ عَلَيَّ » ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُظَنُّكَ نَهَيْتَهُ عَمَّا كَتَبْتَ بِهِ إِلَيْهِ ، وَأَفْسَدْتَ عَلَيْنَا أَمْرًا قَدْ كُنَّا رَجَوْنَا أَنْ يَصْلَحَ ، وَاللَّهِ لَا يَسْتَسْلِمُ حَسِينٌ ، إِنَّ نَفْسَ أَبِيهِ لَيَنْ جَنِيهِ » .
فَقَالَ لَهُ الشَّمْرُ : أَخْبِرْنِي مَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟ أَتَقْضِي لِأَمْرِ أَمِيرِكَ وَتَقَاتِلُ عَدُوَّهُ ، وَالْأَفْخَلُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْجَنْدِ وَالْعَسْكَرِ .

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : لَا ، وَلَا كِرَامَةَ لَكَ ، وَلَكِنْ أَنَا أَتَوَلَّى ذَلِكَ ، فَدُونَكَ فَكُنْ أَنْتَ عَلَى الرَّجَالَةِ .

ثُمَّ خَضَعَ ابْنُ سَعْدٍ لِقِتَالِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) ، فَجَاءَ الشَّمْرُ حَتَّى وَقَفَ عَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ وَقَالَ : ابْنُ بَنُو أُخْتِنَا ؟ (ذَلِكَ لِأَنَّ لَمْ الْبَنِينَ ، أُمَّ الْعَبَّاسِ وَعِثْمَانَ وَجَعْفَرَ وَعَبْدَ اللَّهِ كَانَتْ كَلَابِيَّةً ، وَالشَّمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ كَلَابِيٌّ) ابْنُ الْعَبَّاسِ وَإِخْوَتُهُ ؟ فَأَعْرَضُوا عَنْهُ وَلَمْ يُجِيبُوهُ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَام) : أَجِيبُوهُ وَلَوْ كَانَ فَاسِقًا ، فَقَالُوا لَهُ : مَا شَأْنُكَ وَمَا تَرِيدُ ؟ قَالَ : يَا بَنِي أَخِي أَنْتُمْ أَمَنُونَ ، لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ مَعَ أَخِيكُمْ الْحُسَيْنِ ، وَالزَّمُوا طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ .

فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ : تَبَّتْ يَدَاكَ ، وَلَعْنُكَ اللَّهُ وَلَعْنُ أَمَانِكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَتُؤْمِنُنَا وَابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أَمَانَ لَهُ ؟ وَتَأْمُرُنَا أَنْ نَتْرَكَ أَخَانَنَا وَسَيِّدَنَا الْحُسَيْنَ بْنَ فَاطِمَةَ وَنَدْخُلَ فِي طَاعَةِ اللَّعْنَاءِ أَوْلَادِ اللَّعْنَاءِ ؟ فَرَجَعَ الشَّمْرُ إِلَى عَسْكَرِهِ مَغْضَبًا .

ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ نَادَى : يَا خَيْلَ اللَّهِ اارْكَبِي ، وَبِالْجَنَّةِ أَبْشِرِي ! وَزَحَفَ ابْنُ سَعْدٍ

على محيّم الحسين ، عصر اليوم التاسع من المحرم الحرام ، وكان الحسين (عليه السلام) جالساً أمام بيته محتباً بسيفه ، وقد خفق برأسه .

ويروي الشيخ الكليني عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال :

« تأسعوا يوم حوصر فيه الحسين (عليه السلام) وأصحابه بكربلاء ، واجتمع عليه خيل الشام وأناخوا عليه ، وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها ، واستضعفوا فيه الحسين (عليه السلام) وأصحابه ، وأيقنوا أنه لا يأتي الحسين ناصر ، ولا يمدّه أهل العراق » .

ثم قال (عليه السلام) : « بأبي المستضعف الغريب » .

وإجمالاً فلما زحف جيش الطفليان سمعت العقيلة زينب (عليها السلام) الصيحة ، فدنت من أخيها وقالت : يا أخي ، أما تسمع هذه الأصوات قد اقتربت منا ؟ فرجع الحسين (عليه السلام) رأسه وقال :

« إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) السَّاعَةَ فِي الْمَنَامِ ، وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّكَ صَائِرٌ إِلَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ » .

فلطمت زينب وجهها ونادت بالويل ، فقال لها : ليس لك الويل يا أُخْتِي ، اسكتي رحمك الله .

وجاءه العباس بن عليّ (عليه السلام) فقال له : يا أخي أتاك القوم ، فقال : اركب - نفسي أنت - حتى تلقاهم ، فتقول لهم : ما لكم ، وما بدا لكم ، وماذا تريدون ؟ فركب العباس (عليه السلام) في نحو من عشرين فارساً من أصحابه ، وفيهم زهير بن القين ، وحبيب بن مظاهر ، فقال العباس : ما بدا لكم ، وما تريدون ؟ قالوا : جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو نسأجركم ، فقال : لا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله ، فأعرض عليه ما ذكرتم ؛ فوقفوا ، فرجع العباس إلى أخيه بالخبر ، ووقف أصحابه يعظون القوم ويكفونهم عن قتال الحسين .

قال الحسين (عليه السلام) لأخيه : « أرجع إليهم ، فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى غد ، وتدفعهم عنا العشيّ لعلمنا نصلّ لسرّتنا الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يعلم أنّي أحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه ، وكثرة الدعاء والاستغفار » .

يقول السيّد : إن ابن سعد أراد التضييق على الحسين (عليه السلام) ، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيديّ : سبحان الله ، والله لو كانوا من الترك أو الديلم وسألونا مثل ذلك

لأحبناهم ؛ فكيف وهم آل محمد (صلى الله عليه وآله) .

وفي رواية الطبري أن قيس بن الأشعث قال : أجيهم إلى ما سألك ، فلعمري ليصبحنك بالقتال غدوة ؛ فقال ابن سعد : والله لو أعلم أنهم يفعلون ما أخرتهم العشي .

ورجع العباس ومعه رسول من قبل عمر بن سعد يقول : إنا قد أجلناكم إلى غد ، فإن استسلمتم سرحنا بكم إلى ابن زياد ، وإن أبيتم فلسنا بتارككم .

وقائع ليلة عاشوراء وخطبه (عليه السلام) في أصحابه

وهكذا دنت ليلة عاشوراء ، فجمع الحسين (عليه السلام) أصحابه ؛ يقول الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) :

جمع أبي أصحابه ليلة العاشر من المحرم ، فدنوت منه لاسمع ما يقول لهم ، وأنا إذ ذاك مريض ، فسمعت أبي يقول لأصحابه :

«أُنِّي على الله تعالى أحسن الثناء ، وأحمده على السراء والضراء ، اللهم إني أحمذك على أن أكرمتنا بالنبوّة ، وعلمتنا القرآن ، وفقهتنا في الدين ، وجعلت لنا أسعاً وأبصاراً وأفئدة ، فاجعلنا لك من الشاكرين .

أما بعد ، فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله جميعاً عني خيراً .

ألا وإنّي لأظنّ يومنا من هؤلاء غداً ، ألا وإنّي قد أذنت لكم جميعاً فانطلقوا في حلّ ليس عليكم مني حرج ولا ذمام ، وهذا الليل قد غشيكم فأنخذوه جملاً ، وذروني وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون غيري ، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري » .

فقال له إخوته وأبناءؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر : ولم نفعل ذلك ، لنبقى بعدك ؟ لا أرانا الله ذلك أبداً .

بدأهم بهذا القول العباس بن علي (عليها السلام) ، وأتبعته الجماعة فتكلّموا بهذا ونحوه .

ثمّ نظر الحسين (عليه السلام) إلى بني عقيل وقال : حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم بن عقيل ، فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم ؛ فقالوا :

« سبحان الله ، ما يقول الناس وماذا نقول لهم ؟ إنا تركنا شيخنا وسيّدنا وكبيرنا ، وبني عمومنا خير الأعمام ، ولم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برمح ، ولم نضرب معهم

بسيف ، ولا تدري ما صنعوا ؟ لا والله ما نفعل ذلك ، ولكننا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا ، ونقاتل معك حتى نرد موردك ، ففتح الله العيش بعدك .

وقام إليه مسلم بن عوسجة فقال :

« انحن نخلي عنك ، وبماذا نعتذر إلى الله في أداء حقك ؟ لا والله لا أفارقك حتى أطمع في صدورهم برمي ، وأضرب فيهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفنتهم بالحجارة ، والله لا نخليك حتى يعلم الله أننا قد حفظنا حرمة رسول الله فيك ، أما والله لو علمت أنني أقتل ثم أحيى ، ثم أحرق ثم أذرى ، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك ، وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً .

ثم قام زهير بن القين فقال :

« والله لوددت أنني قُلت ثم نُشرت ، حتى أقتل هكذا ألف مرة ، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك .

وتكلم بقیة أصحاب الحسين (عليه السلام) بكلام يشبه بعضه بعضاً ، فجزاهم الحسين خيراً ، وانصرف إلى مضربه .

ويروي العلامة المجلسي (ره) أن مواضعهم في الجنة كشفت لهم ، فرأوا قصورهم فيها والخور والنعيم ، وكثر بذلك بقيتهم ، فلم يكونوا ليحسوا للرمح أو للسيف أو للسهم ألماً ، وكانوا يسارعون للفوز بالشهادة .

يروي السيد ابن طاووس أنه قيل لمحمد بن بشير الحضرمي - في تلك الحال - : قد أسر ابنك بشعر الرمي ، فقال : عند الله أحسنه ونفسي ، ما كنت أحب أن يؤمر ، وأبقى أنا بعده حياً .

فلما سمع الحسين (عليه السلام) قوله قال له : « رحمك الله ، أنت في حل من بيعتي ، فاعمل في فكاك ابنك ؟ فقال : أكلتني السباع حياً إن فارقتك ، فقال : « فاعط ابنك هذه الاثواب والبرود يستعين بها في فكاك أخيه ، فاعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار .

ويروي الشيخ المفيد (ره) أن الحسين (عليه السلام) تحدث مع أصحابه في تلك الليلة ثم انصرف إلى مضربه ، وعن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه قال :

« إنني جالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها ، وعندي عمتي زينب غرضني إذ

اعتزل أبي في خبائه له ، وعنده جون مولى أبي ذر^(١) وهو يعالج سيفه ويصلحه ، وأبي يقول :

يا دهر أت لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وأنما الأمر إلى الجليل وكل حي سالك سبيل
فأعادهما أبي مرتين أو ثلاثاً ، فعرفت ما أراد ، فخنقنقي العبرة فرددتها ، ولزمت
السكوت ، وعلمت أن البلاء قد نزل .

وأما عمّي زينب ، فإنها لما سمعت ما سمعت - وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة
والجزع - فلم تملك نفسها دون أن وثبت تجرّ ثوبها وهي حاسرة حتى انتهت إليه ، وقالت :
واثكلاه ، ليت الموت أعدمني الحياة ، اليوم مانت أمي فاطمة ، وأبي عليّ ، وأخي الحسن ، يا
خليفة الماضين وثمال الباقيين .

فنظر إليها الحسين (عليه السلام) وقال : يا أختي ، لا يذهبن بحلمك الشيطان ،
وترقرت عيناه بالدموع ، وقال متمثلاً : « لو ترك القطا لنام » ، أي : لو ترك الصياد طير
القطا وشأنه لأمن ولا استطاع النوم .

قالت زينب (عليها السلام) : يا ويلتاه ! ذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي .

ثم لظمت وجهها وأهوت إلى جيبها فشقتّه ، ونحّرت مغشياً عليها .

فقام إليها الحسين (عليه السلام) فصبّ على وجهها الماء حتى أفادت ، فقال لها :

« يا أختي ، اتقي الله ، وتعزّي بعزاء الله ، واعلمي أن أهل الأرض يموتون ، وأن أهل
السماء لا يبقون ، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله تعالى الذي خلق الخلق بقدرته فيعودون ،
وهو فرد وحده ، أبي خير مني ، وأمي خير مني ، وأخي خير مني ، ولي ولكل مسلم برسول الله
أسوة » .

فعرّأها بهذا ونحوه ، ثم قال لها :

« يا أختاه ، إنّي أقسم عليك فأبري قسمي ، إذا أنا قتلت فلا تشقي عليّ جيئاً ، ولا
تغمشي عليّ وجهاً ، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور » .

قال زين العابدين (عليه السلام) : ثم إن أبي جاء بعمتي وأجلسها عندي .

(١) جاء في (الكامل البهائي) أن جون مولى أبي ذر كان خبيراً في صناعة السلاح .

ويروى أن الحسين (عليه السلام) أمر أصحابه أن يقربوا بيوتهم من بعضها ، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض ، وأن يحفروا حول البيوت خندقاً يملأونه بالخطب ، وأن يستقبلوا القوم من وجه واحد .

ثم إنه (عليه السلام) أرسل في تلك الليلة ولده عليّاً الأكبر مع ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم عدّة قرب إلى الماء ، فجاؤوا به بعد جهدٍ شديد ، فقال (عليه السلام) لأصحابه : « قدموا واشربوا من هذا الماء فهو آخر زادكم ، وتطهّروا واغسلوا أثوابكم فإنها ستكون أكفانكم » .

ثم قام ليلته كلّها يصليّ ويستغفر ويدعو ويتضرّع ، وقام أصحابه كذلك يصلّون ويدعون ويستغفرون ، « فباتوا ولهم دويّ كدويّ النحل ، ما بين راكم وساجد ، وقائم وراكم » .

فباتوا فممنهم ذاكر ومسبح وداع ، ومنهم ركع وسجد قالوا : وعبر في تلك الليلة اثنان وثلاثون رجلاً من عسكر عمر بن سعد إلى جهة الحسين (عليه السلام) ، فنالوا السعادة والشهادة بين يديه .

ويروى أنه لما كان السحر أمر الحسين (عليه السلام) بخباء فضرب ، وأمر بجفنة فيها مسك كثير فجعل فيها نورة ، ثم دخل ليطلّي ، وروي أن بُرير بن خضير الهمداني وعبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري وقفا على باب الخباء ليطلّيا بعده ، فجعل برير يضاحك عبد الرحمن ، فقال له عبد الرحمن : يا بُرير أتضحك ؟ ما هذه ساعة باطل ، فقال برير : لقد علم قومي أنّي ما أحبيت الباطل كهلاً ولا شاباً ، وإنما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه ، فوالله ما هو إلّا أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافتنا نعالجهم ساعة ، ثم نعانق الحور العين .



الفصل الثالث

فيلد وقائع يوم عاشوراء

اصطفاف الجيشين صباح يوم عاشوراء ، واحتجاجه (عليه السلام) على القوم
ما أن أذنت ليلة عاشوراء بالانتهاء ، وأذن صبح اليوم العاشر من المحرم بالطلوع ،
حتى كان سيّد الشهداء (عليه السلام) يعنى صفوف أصحابه بعد صلاة الفجر .

ويروى أنه قال لأصحابه : اليوم أقتل وتقتلون كلكم معي ، ولا يبقى منكم أحد إلا
ولدي عليّ زين العابدين ، ولما عبّا (عليه السلام) أصحابه كان معه اثنان وثلاثون فارساً
وأربعون راجلاً ، وفي رواية أخرى : اثنان وثلاثون راجلاً ، وروي عن الباقر (عليه السلام)
أنهم كانوا خمسة وأربعين فارساً ومئة راجل ، وقد اختار السبط بن الجوزي هذا العدد في
(التذكرة) .

وكان مع ابن سعد ستة آلاف رجل ، ووفقاً لبعض المقاتل : كانوا عشرين ألفاً أو اثنين
وعشرين ألفاً ، وفي رواية أخرى : ثلاثين ألفاً ؛ وهناك اختلاف كبير في مرويات أرباب السير
والمقاتل في عدد أصحاب الحسين (عليه السلام) وعسكر ابن سعد .

وعلى أي حال فقد عبّا (عليه السلام) أصحابه فجعل زهير بن القين على الميمنة ،
وحبيب بن مظاهر على الميسرة ، وأعطى رايتة العباس أخاه .

وفي رواية : جعل عشرين رجلاً مع زهير في الميمنة ، وعشرين مع حبيب في الميسرة ،
وهو مع سائر أصحابه في القلب ؛ وجعلوا البيوت في ظهورهم ، وأمر بحطب وقصب أن يرمى
في خندق كان قد حفر وراء البيوت ، وأن يُحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم .

وعبّا ابن سعد عسكره فجعل على ميمته عُمَرُ بن الحُجّاج ، وعلى ميسرته الشعر بن ذي

الجوشن ، وعلى الخيل عروة بن قيس ، وعلى الرجاله شيب بن ربعي ، وأعطى الراية دريداً مولاه .

وروي أن الحسين (عليه السلام) رفع يديه بالدعاء فقال :

«اللهم أنت تقني في كل كرب ، وأنت رجائي في كل شدة ، وأنت لي - في كل أمر نزل بي - ثقة وعدة ؛ كم من هم يضعف فيه الفؤاد ، وتقل فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ، ويشمت فيه العدو ، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك ففرجته عني وكشفته ، فانت ولي كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، ومتنهي كل رغبة » .

ثم أقبل القوم يحولون حول بيت الحسين ، فيرون الخندق والنار تضطرم فيه . فنادى الشمر بن ذي الجوشن بأعلى صوته : يا حسين ، اتعجلت بالنار قبل يوم القيامة ؟ فقال الحسين (عليه السلام) : من هذا ؟ كأنه الشمر ، قالوا : نعم ، قال : يا ابن راعية المعزى ، أنت أولى بها صلياً .

ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم ، فمنعه الحسين (عليه السلام) من ذلك ، فقال له : دعني حتى أرميه فإن الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبارين ، وقد أمكن الله منه ؛ فقال الحسين (عليه السلام) : لا ترمه فإنني أكره أن أبدأهم بقتال .

ثم إنه (عليه السلام) دعا بفرسه فاستوى عليه ، وتقدم نحو القوم ، ونادى بأعلى صوته :

«أيها الناس ، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم علي ، وحتى اعتذر إليكم من مقدمي عليكم ، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد ، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فاجمعوا أركم وشركاءكم ، ثم لا يكن أركم عليكم غمة ، ثم اقضوا إلي ولا تنظرون » ﴿ وإن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ .

فلما سمعت النساء هذا منه صحن ويكين ، وارتفعت أصواتهن ، فوجه إليهن أخاه العباس وابنه علي الأكبر وقال لهما : «سكتاهن ، فلعمرى ليكثر بكاؤهن» .

ولما سكتن ، حمد الله وأثنى عليه ، وذكر الله بما هو أهله ، وصلى على النبي محمد ، وعلى الملائكة والأنبياء ، فلم يسمع متكلم قط قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه ، ثم قال :

«أما بعد ، فانسبوني فانظروا من أنا ، ثم ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها ، وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمي ؟ ألسنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه ، وأول المؤمنين بالله ، والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه ؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عمي ؟ أوليس

جعفر الشهيد الطيّار في الجنة عمي ؟ أو لم يبلغكم قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) لي ولاخي : هذان سيّدا شباب أهل الجنة ؟ فإن صدقتموني في ما أقول فهو الحق ، فوالله ما تعمّدت كذباً من علمت أنّ الله يمقت عليه أهله ، وإن كذبتُموني فإنّ فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخبركم ؛ سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبا سعيد الخدري ، وسهل بن سعد الساعدي ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لي ولاخي ، أما في هذا حاجز عن سفك دمي ؟

فقال له الشمر بن ذي الجوشن : أنا أعبد الله على حرف إن كنت أدري ماتقول .

فقال حبيب بن مظاهر للشمر : والله إنك لتعبد الله على سبعين حرفاً ، وأشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول ، قد طبع الله على قلبك .

ثم قال الحسين (عليه السلام) :

« فإن كنتم في شك من هذا ، افتشكون أنّ ابن بنت نبيكم ؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري فيكم ، ولا في غيركم ؛ وبحكم ! أو تطلبوني بقتيل منكم قتلته ، أو مالٍ لكم استهلكته ، أو بقصاص من جراحة . »

فأخذوا لا يكلمونه ، فنأدى : يا شبيب بن ربعي ، ويا حجار بن أبجر ، ويا قيس بن الأشعث ، ويا يزيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إليّ أن « قد أبنت الثمار ، واخضرّ الجناب ، وإنّما تقدم على جند لك مجتد ، فأقبل ؟ »

فقال قيس بن الأشعث : ما تدري ما تقول ! ولكن أنزل على حكم بني عمك ، فإنهم لن يروك إلّا ما تحب .

فقال لهم الحسين (عليه السلام) : « لا والله ، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد . »

« ثم نادى : ﴿ إني عدت بربي وربكم أن ترجون ﴾ ، أعوذ بربي وربكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب . »

ثم إنّ أناس راحلته ، وأمر عقبة بن سلمان فعقلها .

موعظة زهير بن القين لأهل الكوفة

يروى أبو جعفر الطبري عن عليّ بن حنظلة بن أسعد الشبامي عن كثير بن عبد الله الشعبي أنه قال : لما كان يوم عاشوراء ، وكُنّا نقابل الحسين بن عليّ خرج إلينا زهير بن القين

على فرس ذنوب^(١)، شاك^(٢) السلاح فقال:

« يا أهل الكوفة ، نذار لكم من عذاب الله نذار ، إِنَّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة على دين واحد وملة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنا أمة وكنتم أمة .

إِنَّ الله ابتلانا وإيّاكم بذرية نبيّه محمد (صلى الله عليه وآله) لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إِنّا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد ، فإنكم لا تدركون منهما إلاّ السوء ، يسمّلان أعينكم ، ويقطّعان أيديكم وأرجلكم ، ويمتّلان بكم ، ويرفعانكم على جذوع النخل ، ويقتلان أمائلكم وقراءكم أمثال حجر بن عديّ وأصحابه ، وهانئ بن عروة وأشباهه .

فسبّوه وأثنوا على ابن زياد ودعوا له ، وقالوا : لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه ، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير ابن زياد سليماً .

فقال لهم : « عباد الله ، إِنَّ وُلد فاطمة أحقّ بالوَدّ والنصر من ابن سميّة ، فإن لم تنصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم ؛ فخلّوا بين هذا الرجل وبين ابن عمّه يزيد بن معاوية ، فلعمري إنه ليرضى من طاعتكم دون قتل الحسين (عليه السلام) .

فرماه الشمر اللعين بسهم وقال : اسكت ، اسكت الله نامتك ، فلقد أبرمتنا بكثرة كلامك .

فقال له زهير : « يا بن البوّال على عقبيه ، ما إياك أخاطب ، إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تُحكّم من كتاب الله آيتين ، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الاليم .

فقال له الشمر : إِنَّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة .

فقال له زهير : « أبا الموت تخوّفي ؟ فوالله للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم ؛ ثم أقبل على القوم رافعاً صوته فقال :

« عباد الله ، لا يفرّكنكم عن دينكم هذا الجلف الجاني وأشباهه ، فوالله لا تنال شفاعته محمد (صلى الله عليه وآله) قوماً أهرقوا دماء ذريّته وأهل بيته ، وقتلوا من نصرهم وذبّ عن حريمهم .

(١) الفرس الذنوب : الوافرة الذنب .

(٢) شاك السلاح : لايس سلاحه الكامل .

يقول الراوي : فناداه رجل من أصحاب الحسين وقال له : إن أبا عبد الله يقول لك : قبل ، فلعمرى لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء فلقد نصحت وأبلغت ، لو نفع النصح والإبلاغ .

خطبته (عليه السلام) أمام القوم وإتمامه الحجة عليهم

يقول السيد ابن طابوس : لما ركب أصحاب ابن سعد استعداداً لقتال الحسين (عليه السلام) بعث إليهم ببرير بن خضير يعظهم ويصّرهم ، فلما اتاهم وتحدث إليهم لم يلق حديثه عندهم أذناً صاغية ؛ فركب (عليه السلام) فرسه - وقيل ناقته - وتقدم نحو القوم فاستصحبهم ، فأنصتوا ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي محمد وعلى الملائكة والأنبياء والرسل ، وأبلغ في المقال ، ثم قال :

تَبَّأَ لَكُمْ آيَتُهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحُّأَ ، أحيان استصرختمونا والهيّن فأصرخناكم موجفين ، سلّتم علينا سيوفاً لنا في إيمانكم ، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم ، فأصبحتم إلّبا لأعدائكم على أوليائكم ، وبدأ عليهم لأعدائكم بغير عدلٍ أفشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم ، فهلاً لكم الوليات إذ كرهتمونا وتركتمونا والسيوف لم تُشهر ، والجأش طامن ، والراي لم يُستصحف ، ولكن أسرعت إلّبا كطيرة الدب ، وتداعيتم كنداعي الفرائس ، فقبحاً لكم يا عبيد الآثمة ، وشذاذ الأحزاب ، ونَبْذَةُ الكتاب ، ونفثة الشيطان ، وعصبة الأثام ، وعمرقي الكتاب ، ومطفي السّنن ؛ وأنتم ابن حرب وأشياعه تعمدون ، وعنا تتخاذلون ؛ أجل والله ، غدرُ فيكم قديم ، وشجت عليه أصولكم ، وتأزّرت عليه فروعكم ، فكنتم أخبت نمر شحي للنّاظر ، وأكلّة للغاصب .

ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين : بين السُّلَّة^(١) والذّلة ، وهيهات ممّا الذّلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حيّة ، ونفوس أبيّة من أن نوثر طاعة اللثام على مصارع الكرام .

ألا وقد أعذرت وأنذرت ، ألا وإنّي زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد ، وخذلان الناصر .

ثم عمّل بابيات لغروة بن مُسيك المرادي :

فلان نهزم فهزامون قديماً وإن نُغلب فغير مغلبيننا

(١) السُّلَّة : بمعنى اسلال السيوف .

وما إن طَبَّنَا^(١) جبن ولكن منايانا ودولة آخريتنا^(٢)
 إذا ما الموت رَفَعَ عن أناس كلاكله أناخ بآخرينا
 فافنى ذلكم سروات قومي كما افنى القمرون الأولينا
 فلو خلد الملوك إذا خلدنا ولو بقي الكرام إذا بقينا
 فقل للشامتين بنا أفيقوا سبلقى الشامتون كما لقينا

ثم قال : « أما والله ، لا تلبثون بعدها إلا كرشياً يُركب الفرس حتى تدور بكم دوران
 الرحي ، وتقلق بكم قلق المحور ، عهدٌ عهده إليّ أبي عن جدّي رسول الله (صلى الله
 عليه وآله) ، ﴿ فاجعوا أمركم وشركاءكم ، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ، ثم اقصوا إليّ
 ولا تنظرون ﴾ ، ﴿ إني توكلت على الله ربي وربكم ، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن
 ربي على صراط مستقيم ﴾ .

ثم رفع يديه إلى السماء وقال : « اللهم احبس عنهم قطر السماء ، وابعث عليهم سنين
 كسني يوسف ، وسلط عليهم غلام نقيف^(٣) يسقيهم كأساً مصبرة ، فإنهم كذبونا وخذلونا ،
 وانت ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير » .

ثم نزل عن راحلته وطلب (المرتجز) فرس رسول الله (صلى الله عليه وآله) فركبه وعبأ
 أصحابه .

ويروي الطبري عن سعد بن عبيدة أنّ شيوخ الكوفة كانوا يقفون على تلّة ويبكون على
 سيّد الشهداء (عليه السلام) ويقولون : اللهم أنزل نصرك ، فقلت : يا أعداء الله ، لماذا لا
 تنزلون وتنصرونه ؟

قال سعيد : رأيت الحسين (عليه السلام) إذ خطب القوم ووعظهم وعليه ثوب من
 بُرد ، فلما أقبل إلى أصحابه رماه رجل - من بني تميم يقال له : عمر الطهوي - بسهم وقع في
 كتفه وتعلّق بثوبه ؛ ولما بلغ أصحابه نظرت إليهم فرأيتهم نحوه من مئة نفر ، بينهم من صلب
 علي (عليه السلام) خمسة ، ومن بني هاشم ستة عشر نفرأ ورجل من بني سليم ، ورجل من
 بني كنانة حليفهم ، وابن عمير بن زياد . انتهى .

وجاء في بعض كتب المقاتل أن الحسين (عليه السلام) لما فرغ من خطبته استدعى

(١) الطّب : الإرادة والعادة .

(٢) يعني : إنّ قتلنا لم يكن عن جبن وعدم إقدام ، ولكن : منايانا ودولة آخريتنا ، ومثل هذا ليس عاراً .

(٣) في هذا إشارة إلى ظهور الحجاج بن يوسف الثقفي ، ويمكن أن يكون المراد المختار بن أبي عبيدة الثقفي ،
 كما يقول العلامة المجلسي .

عمر بن سعد ، وكان كارهاً لا يحب أن يأتيه ، فلما حضر قال له :

« انزعِمْ أَتُكْ تَقْتُلُنِي وَيُوَلِّكَ الدَّعِي ابْن الدَّعِي بِلَادِ الرِّيِّ وَجِرْجَان ؟ وَاللَّهِ لَا تَنْهَنَّا بِذَلِكَ أَبَدًا ، عَهْدٌ مَعَهُودٌ ، فَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ ، فَإِنَّكَ لَا تَفْرَحُ بَعْدِي بِدُنْيَا وَلَا آخِرَةٍ ، وَكَأَنِّي بِرَأْسِكَ عَلَى قَصْبَةٍ قَدْ نُصِبَ بِالْكُوفَةِ يَتَرَامَاهُ الصَّبِيَّانِ وَيَتَخَذُونَهُ غُرَضًا بَيْنَهُمْ » .

فغضب ابن سعد من كلامه ، وصرف وجهه عنه ، ثم نادى بأصحابه : ما تنتظرون به ؟ احمِلُوا بِأَجْمَعِكُمْ ، إِنَّمَا هِيَ أَكْلَةٌ وَاحِدَةٌ .

توبة الحر ورجوعه إلى الإمام (عليه السلام)

كان الحسين (عليه السلام) يعتلي فرس رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويسمى المرجز ، فوقف أمام الصفوف وأخذ ينادي : « أَمَا مِنْ مَغِيثٍ يَغِيثُنَا لَوَجْهِ اللَّهِ ؟ أَمَا مِنْ ذَابٍ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ ؟ »

فلما رأى الحر بن يزيد الرياحي أَنَّ الْقَوْمَ مُصْتَمِمُونَ عَلَى قِتَالِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) وسمع استغاثته ، أقبل على ابن سعد وقال له :

أَمَقَاتِلُ أَنْتَ هَذَا الرَّجُلَ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، قِتَالًا أَيْسَرُهُ أَنْ تَسْقُطَ الرُّؤُوسُ وَتَطْيَحَ الْأَيْدِي ! قَالَ : أَفَمَا لَكُمْ فِي وَاحِدَةٍ مِمَّا عَرَضَهُ عَلَيْكُمْ رَضَى ؟ قَالَ عُمَرُ : لَوْ كَانَ الْأَمْرُ إِلَيَّ لَفَعَلْتُ ، وَلَكِنْ أَمِيرُكَ قَدْ أَبَى .

فأقبل الحر حتى وقف مع الناس ، ومعه رجل من قومه يقال له : قرّة بن قيس ، فقال له : يَا قَرَّةُ ، هَلْ سَقَيْتَ فَرَسَكَ الْيَوْمَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَمَا تُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَهُ ؟

قَالَ قَرَّةُ : فَظَنَنْتُ وَاللَّهِ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَخَنَى فَلَا يَشْهَدُ الْقِتَالَ ، وَيَكْرَهُ أَنْ أَرَاهُ حِينَ يَصْنَعُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ لَهُ : لِمَ أَسْقُهُ ، وَأَنَا مُنْطَلِقٌ فَاسْقِيهِ ؟ فَاعْتَزَلْتُ ذَلِكَ الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ أَطْلَعَنِي عَلَى الَّذِي يُرِيدُ الْخُرُوجَ مَعَهُ إِلَى الْحُسَيْنِ .

وَأَخَذَ الْحَرِيدُونَ مِنَ الْحُسَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهُ : الْمُهَاجِرُ بْنُ أَوْسٍ : أَتُرِيدُ أَنْ تَحْمَلَ يَا أَبَا يَزِيدَ ؟ فَلَمْ يَجِبْهُ ، وَأَخَذَتْهُ مِثْلُ الرُّعْدَةِ ، فَقَالَ لَهُ الْمُهَاجِرُ : وَاللَّهِ إِنَّ أَمْرَكَ لَمُرِيبٌ ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ فِي مَوْقِفٍ قَطُّ مِثْلَ مَا أَرَاهُ الْآنَ ، وَلَوْ قَبِلَ لِي : مِنْ أَشْجَعِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ؟ لَمَا عَدَوْتُكَ ، فَمَا هَذَا الَّذِي أَرَى مِنْكَ ؟

فَقَالَ لَهُ الْحَرَّ : إِيَّيَّيَّ وَاللَّهِ أَخِيرَ نَفْسِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَلَا اخْتَارَ عَلَى الْجَنَّةِ شَيْئًا وَلَوْ قَطَعْتَ وَأَحْرَقْتَ .

ثمّ ضرب جواده وأقبل نحو الحسين (عليه السلام) واضعاً يديه على رأسه ، وهو يقول : « اللهم إليك أنيب قتب عليّ ، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك » .

يقول أبو جعفر الطبري : لما أقبل الحرّ نحو الحسين (عليه السلام) وأصحابه ظنّوا أنّه يريد القتال ، فلمّا قرب منهم قلب درفته ، ونكس رمح كهيئة المستامن .

يقول المؤلف : رأيت من المناسب في هذا المقام أن أنقل شعراً لعل لسان حال الحرّ يقوله مخاطباً الإمام (عليه السلام) :

لن أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي وتقبلوني على عيبي ونقصاني
فإن رضيتم فيا عزّي وما شرفي وإن أبيتم فمن أرجو لغفرائي^(١)

ثمّ إنّ الحرّ أقبل فلحق الحسين (عليه السلام) فقال :

« جعلت فداك يا بن رسول الله ، أنا صاحبك الذي جيتك عن الرجوع ، وسأيرتك في الطريق ، وجمعجت بك في هذا المكان ، وما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضته عليهم ، ولا يبلغون بك هذه المنزلة ، والله لو علمت أنّهم يتنهون بك إلى ما أرى ما ركبت مثل الذي ركبت ، وأنا نائب إلى الله ممّا صنعت ، أفترى لي من ذلك توبة ؟

قال الحسين (عليه السلام) : نعم ، يتوب الله عليك ويغفر لك ، فانزل .

قال : أنا لك فارساً خير مني راجلاً ، أقاتلهم على فرسي ساعة ، وإلى النزول ما يصير آخر أمري .

فقال له (عليه السلام) : اصنع - يرحمك الله - ما بدا لك .

فتوجّه الحرّ نحو القوم وقال :

« يا أهل الكوفة ، لأنكم المهبل والعبر^(٢) ادعوتم هذا العبد الصالح حتّى إذا أتدم اسلمتموه ، وزعمتم أنّكم قاتلوا أنفسكم دونه ، ثمّ عدوتم عليه لتقتلوه ؟ وأمستكم بنفسه ، وأخذتم بكلّكم ، وأحطتم به من كلّ جانب لتمنعوه من التوجّه إلى بلاد الله العريضة ، فصار كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعاً ، ولا يدفع عنها ضرراً ، وحلّاهم ونساءه وصبيته وأهل بيته عن ماء الفرات الجاري ، تشربه اليهود والنصارى والمجوس ، وتمرغ فيه خنازير السواد

(١) هذان البيتان نقلًا عن كتاب (مقتل الحسين) للسيد محمد تقي آل بحر العلوم ، ولعلّها يلخصان بعض أفكار تفضّلتها أبيات سبعة أوردها المؤلف بالفارسيّة (المغرب) .

(٢) أي : النكل والبكاء .

وكلاهم ، وها هم قد صرعهم العطش ، بشيا خلفتم محمدًا في ذرّيته !!
 شفاه بني الزهراء عطشى وتُنَجَّ فراتاً أحلّوا للطفلة وأترعوا^(١)
 فحملت عليه الرّجالة ترميه بالنبل ، فأقبل حتى وقف أمام الحسين (عليه السلام) .
 وتقدم عمر بن سعد ونادى : يا دريد ، أذن الراية ، فأدناها ، فوضع سهماً في كبد قوسه ثم
 رمى وقال : اشهدوا لي أنّي أوّل من رمى .

من قُتل من أصحابه (عليه السلام) في الحملة الأولى

يقول السيّد ابن طاوس : بعد أن رمى سعد رميته رمى أصحابه كلّهم ، وأقبلت السهام
 من القوم كأنّها المطر ، فقال (عليه السلام) لأصحابه : « قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا
 بدّ منه ، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم » .

فحمل أصحابه (عليه السلام) حملة واحدة ، واقتلوا ساعة من النهار حملة وحيلة ،
 حتّى قتل من أصحاب الحسين (عليه السلام) جماعة ، وفي رواية محمد بن أبي طالب : قتل في
 هذه الحملة خمسون شهيداً من أصحابه (عليه السلام) .

يقول المؤلّف : إنّ لأصحابه (عليه السلام) حقّاً علينا ، فإنّهم عليهم السلام :

السابقون إلى المكارم والعلل والحائزون غداً حياض الكوثر
 لولا صوارمهم ووقع نبأهم لم تسمع الأذان صوت مكبر
 وكعب بن جابر ، وهو من أعدائهم يقول :

فلم تر عيني مثلهم في زمانهم ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع
 أشدّ قراعاً بالسيوف لدى السوغي ألا كلّ من يحمي الذمار مُقارع
 وقد صبروا للطعن والضرب حُسراً وقد نازلوا لو أنّ ذلك نافع

ومن المناسب ذكر أولئك الأبرار الذين استشهدوا في الحملة الأولى ، وسأذكر أسماءهم
 لكرامة إذ أطلعت عليها ، وهي طبقاً للترتيب الذي اعتمده ابن شهر اشوب في (المناقب) :

نُعِيْم بن عجلان : أخو النعمان بن عجلان صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) ،
 وعامله على البحرين وعما ؛ ويقال إنّ هذين الأخوين مع أخيها الثالث : النضر كانوا من
 لشجعان وكانوا شعراء ، وقد شهدوا صفّين معه (عليه السلام) .

(١) تعريب بيت بالفرنسيّة (العرب) .

عمران بن كعب بن الحارث الأشجعيّ ، وقد ذكره الشيخ الطوسي في رجاله .
حنظلة بن عمرو الشيبانيّ .

قاسط ومقسط ابنا زهير : وقد ذكر أبوهما عبد الله في رجال الشيخ .

كنانة بن عتيق التغلبيّ : وكان يُعدّ من الأبطال ومن قرأه وعبّاد الكوفة .

عمرو بن ضُبَيْعَة بن قيس التميميّ : وكان فارساً مقداماً ، ويقال إنّهُ خرج مع ابن سعد ثم ازدلف إلى الحسين (عليه السلام) .

ضرغامه بن مالك التغلبيّ : ويقول البعض إنّهُ ممّن حضروا صلاة الظهر ، ثم خرج مبارزاً واستشهد .

عامر بن مسلم العبديّ ، ومولاه سالم : كانا من شيعة البصرة ، وقد خرجا مع يزيد بن شبيب وبنه لنصرة الحسين (عليه السلام) وكانا من شهداء الحملة الأولى ، وقد قال الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب في عامر ، وزهير بن سليم ، وعثمان بن علي (عليه السلام) ، والحرّ ، وزهير بن القين ، وعمرو الصيداويّ ، وبشر الحضرميّ ، قال فيهم رضوان الله عليهم ، يخاطب بني أميّة ويطعن في أفاعيلهم :

أرجعوا عامراً وردّوا زهيراً ثمّ عثمان فارجعوا غارميناً
وأرجعوا الحرّ وابن قين وقوماً قُتلوا حين جاوزوا صفّينا
أين عمرو وأين بشر وقتل منهم بالعراء ما يُدفنونا

سيف بن عبد الله بن مالك العبديّ : يقال إنّهُ ممّن حضروا صلاة الظهر ، ثمّ استشهد بالمبارزة .

عبد الرحمن بن عبد الله الأرحبيّ الهمدانيّ : وكان رسول أهل الكوفة مع قيس بن مسهر الصيداويّ إلى الحسين (عليه السلام) في مكّة ، بعثا بهما بجملان كتبهم إليه (عليه السلام) وكان بلوغهما مكّة في الثاني عشر من شهر رمضان .

الحباب بن عامر التميميّ : من شيعة الكوفة ، بايع مسلماً ، ولمّا خذله أهل الكوفة خرج إلى الحسين (عليه السلام) والتحق به .

عمرو الجندعيّ : ذكره ابن شهر آشوب من المقتولين في الحملة الأولى ، ويقول بعض أهل السير : إنّهُ جرح بعد أن تلقى ضربة شديدة ووقع ، فأخرجه قومه من المعركة ، وبقي مريضاً ومات متأثراً بجراحه بعد سنة ، ويؤيّد هذا ما ورد في زيارة الشهداء :

« السلام على المرتب معه عمرو بن عبد الله الجندعي » .

الحُلاص بن عمرو الأزدي الراسبي، وأخوه النعمان بن عمرو: من أهل الكوفة، ومن أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) بل كان من قادة جيشه (عليه السلام) في الكوفة .

سوار بن أبي عمير النهمي : جرح في الحملة الأولى ، وأسر وأخذ إلى ابن سعد الذي أراد قتله ، فشفع به قومه فتركه بين الأسرى ، وتوفي متأثراً بجراحه بعد ستة أشهر ، كما وقع للشَّوَّع بن ثامة الذي جرح بدوره ، ثم أخذه قومه إلى الكوفة وأخفوه ، فعرف ابن زياد أمره وأراد قتله ، ثم تركه بشفاة قومه بني أسد ، وبعث به أسيراً مكبلاً إلى زارة ، وهي موضع بعمان ، وتوفي فيها بعد سنة متأثراً بجراحه .

وإليه يشير الكميّ الأسدي بقوله : « وإنَّ أبا موسى أسير مكبَّل . . . » . أبو موسى كنيته ؛ وجاء في زيارة الشهداء : « السلام على الجريح المأسور سوار بن أبي عمير النهمي » .

عَمَّار بن أبي سلامة الدالاني الحمدي : من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وعَدَّ من المجاهدين معه ، بل إنه وفقاً لبعض الأقوال : أدرك رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

زاهر مولى عمرو بن الحنق : جدَّ محمد بن سنان الزاهري ، حجَّ سنة ستين ، وفاز بصحبة سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وبقي معه حتَّى استشهد في الحملة الأولى .

ويروى عن القاضي النعمان المصري أنه لما هرب عمرو بن الحنق من معاوية إلى الجزيرة كان بصحبته رجل من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) اسمه زاهر ، ولما لدغت حية غمراً تورم بدنه ، وقال له زاهر : إنَّ حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبرني أنه سيشتري الإنسان والجن في دمي ، ولا بدَّ أني مقتول ؛ وإذ ذاك ظهر لهما فرسان كانوا في أثره ، فقال له عمرو : اخبئي يا زاهر ، فإنَّ القوم يطلبوني ، وسيأخذوني ويقتلونني ويذهبون برأسي معهم ، فإذا كان ذلك فاخرج وادفني ؛ فقال له زاهر : سأقاتلهم ما بقي سهم في كنانتي حتى أقتل معك ، فقال له عمرو : اصنع ما أقوله لك ، فإنَّ الله يعطيك نفعاً بي فصنع زاهر ما أمره به ، وبقي حيّاً حتَّى استشهد في كربلاء رحمه الله .

جَبَلَة بن عليّ الشيباني : وكان من شجعان أهل الكوفة .

مسعود بن الحجاج التيمي ، وابنه عبد الرحمن بن مسعود : وكانا من الشجعان المعروفين ، خرجا مع ابن سعد ، والتحقا بالإمام الحسين (عليه السلام) أيام المهادنة ، وقتلا بين يديه في الحملة الأولى .

زهير بن بشر الخثعمي .

عثمان بن حسان بن شريح الطائى ؛ كان من الشيعة المخلصين ، صاحب الحسين (عليه السلام) من مكة إلى كربلاء .

وأبوه حسان ، كان من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) واستشهد بين يديه في صفين ، وذكر عثمان في (الرجال) باسم عامر ، ومن أحفاده عبد الله بن أحمد بن عامر بن سليمان بن وهب بن عامر المقتول بكربلاء ، ابن حسان ؛ وعبد الله يكنى بأبي القاسم ، وله كتب منها كتاب (قضايا أمير المؤمنين) (عليه السلام) ، يروى عن أبيه أبي الجعد أحمد بن عامر .

ويروي الشيخ النجاشي عن عبد الله بن أحمد المذكور أنه قال :

ولد أبي سنة سبع وخمسين ومئة ، ولقي شيخنا الإمام الرضا (عليه السلام) سنة أربع وتسعين ومئة ، وتوفي الرضا (عليه السلام) في طوس سنة اثنتين ومئتين يوم الثلاثاء لثمانية عشر مضين من جمادي الأولى ؛ ولقيت أبا الحسن بن أبي محمد عليهما السلام ، وكان أبي مؤدبتهما . الخ ، ويعلم من هذا أنهم كانوا من أجلاء الشيعة قدس الله أرواحهم .

مسلم بن كثير الأزدي الكوفي التابعي ؛ يقال إنه كان من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وأصيب بجرح في رجله في بعض مواقع (عليه السلام) ، والنحى بالحسين (عليه السلام) من الكوفة ، وكان من قتل الحملة الأولى يوم عاشوراء ، كما استشهد نافع مولا بعد صلاة الظهر .

زهير بن سليم الأزدي ؛ وكان من السعداء الذين عبروا من معسكر ابن سعد إلى الحسين (عليه السلام) ليلة عاشوراء .

عبد الله وعبيد الله ابنا يزيد بن ثبيط العبدي البصري .

يروي أبو جعفر الطبري أن جماعة من شيعة البصرة اجتمعوا في منزل امرأة من عبد القيس هي مارية بنت منقذ ، وكانت من الشيعة ، وكان منزلها متدي للشيعة ، وكان هذا حين صار عبيد الله بن زياد إلى الكوفة بعد أن بلغه مسير الإمام الحسين (عليه السلام) إلى العراق ، وكتابه لعامله على البصرة يأمره ببث العيون وأخذ الطرق والمسالك لئلا يلتحق أحد بالحسين (عليه السلام) .

كان يزيد بن ثبيط من عبد القيس ، وكان ممن جمعهم منزل تلك المرأة من الشيعة ، فعزم على اللحق بالحسين (عليه السلام) ، وكان له عشرة أبناء ، فعرض أن يصحبه منهم من شاء ذلك ، فاختار اثنان منهم صحبته . وأخير القوم بعزمه ، فخافوا عليه ابن زياد ، لكنه

قال : والله إنما بلغ بي بعيري أو أبلغتني قدماي أهون عليّ وأمن من أن يأتي أصحاب ابن زياد في طلبي ؛ ثم خرج من البصرة وتَنَكَّب عن الطريق إلى فلاة قفراء خالية حتى بلغ منزل الإمام (عليه السلام) في الأبطح ، فنزل وضرب خبائه ، ثم توجَّه إلى مضارب الإمام (عليه السلام) الذي بلغه خبر مقدمه فخرج ليلقاه ، فلما بلغ الإمام (عليه السلام) مضارب يزيد قيل له بأنه توجَّه نحو منزلك ، فجلس ينتظر .

أما يزيد فلما بلغ مضارب الإمام (عليه السلام) قيل له بأنه توجَّه إلى منزلك ، فسارع بالعودة ، فصر به جالساً يتلو : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ .

فسلم عليه وأخبره برغبته ، فدعاه (عليه السلام) بخير ؛ وهكذا بقي بصحبته حتى استشهد في كربلاء بين يديه ، مع ولديه عبد الله وعبيد الله .

ويروي بعض أهل السير أن يزيد لما خرج من البصرة صحبه عامر العبدي ومولاه سالم ، وسيف بن مالك ، وأدهم بن أمية ، وقد نالوا الشهادة جميعاً في كربلاء ، وقد رثى عامر بن يزيد أباه وأخويه فقال :

يا فرُّو ، قومي فاندبي خير البرية في القبور
وابكي الشهيد بعيرة من فيض دمع ذي درور
وارثي الحسين مع التفجّر مع والتأوه والزفير
قتلوا الحرام من الأئمّة في الحرام من الشهور
وابكي يزيد مجدلاً وابنيه في حرّ الهجير
مشرّملين دماؤهم تجري على لبّ النحور
يا لهف نفسي لم تفز معهم بجنّات وحوور

ومن شهداء الحملة الأولى من القتال أيضاً :

جندب بن حجر الكنديّ الخولانيّ : وكان يعدّ من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) .

جنادة بن كعب الانصاريّ : صحب الإمام (عليه السلام) من مكة مع أهله وعياله ، وابنه :

عمرو بن جنادة : وقد قاتل بتشجيع من أمّه وقتل بعد استشهاد أبيه .

سالم بن عمرو .

القاسم بن الحبيب الأزديّ .

بكر بن حيّ التيمي .

جُوَيْن بن مالك التيمي

أميّة بن سعد الطائي .

عبد الله بن بشر : وكان من مشاهير الشجعان .

بشر بن عمرو .

الحجاج بن بدر البصري : حامل كتاب مسعود بن عمرو من البصرة ، التحق بالإمام الحسين (عليه السلام) مع رفيقه :

قنّب بن عمرو النمريّ البصري .

عائذ بن مجّمع بن عبد الله العائذي ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وعشرة أنصار من موالى الإمام الحسين (عليه السلام) ، مع موليّين لأمير المؤمنين (عليه السلام) .

يقول المؤلف : إنّ أسماء بعض أولئك الموالى هي على هذا الضبط :

اسلم بن عمرو : كان كاتباً للإمام الحسين (عليه السلام) ، وأبوه تركي .

قارب بن عبد الله الدؤليّ : كانت أمّه جارية للإمام الحسين (عليه السلام) .

مُنّج بن سهم : مولى للإمام الحسن (عليه السلام) ، قدم كربلاء مع أبناء الإمام الحسن (عليه السلام) واستشهد .

سعد بن الحرث : مولى أمير المؤمنين (عليه السلام) .

نصر بن أبي نيزر : مولى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان أبوه يعمل في نخل أمير المؤمنين (عليه السلام) .

الحرث بن نيهان : مولى الحمزة بن عبد المطلب . إلى غير ذلك .

هذا ولما قتل في هذه الحملة من أنصار الحسين (عليه السلام) من قتل ، نأثر (عليه السلام) كثيراً لمقتلهم ، فضرب بيده على كرمته وقال :

« اشتدّ غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً ، واشتدّ غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة ، واشتدّ غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر ، واشتدّ غضبه على قوم

أَنفَقْتُ كَلِمَتَهُمْ عَلَى قَتْلِ ابْنِ بَنْتِ نَبِيِّهِمْ ، أَمَا وَاللَّهِ لَا أَجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مَّا يَرِيدُونَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَأَنَا غَضَبٌ بِدَمِي .

هذا ولا يخفى أن فريقاً من وجوه عسكر الكوفة لم يكن ليرضيهم أن يقاتلوا الحسين (عليه السلام) ، فراحوا يماطلون ويسوّفون من أمر القتال ، ويبعثون بالرسل والكتب ، حتى كان يوم عاشوراء ، واتّضح للناس أن ابن بنت رسول الله لن يلبس لباس الذلّ ، وأنّ عبيد الله بن زياد لن يترك الحسين وشأنه ، فلا غرو أنّهم عزموا على القتال .

مبارزات أصحاب الحسين (عليه السلام)

مع عسكر ابن سعد

كان أول من برز من عسكر ابن سعد يسار مولى زياد بن أبيه ، وسالم مولى عبيد الله بن زياد ، فطلبا المبارزة .

فبرز إليهما عبد الله بن عمر الكلبيّ ، فقال له يسار : من أنت ؟ فانتسب له ، فقالا : لسنا نعرفك ، ليخرج إلينا زهير بن القين أو حبيب بن مظاهر أو بربر ، وكان يسار قريباً منه ، فقال له عبد الله : يا بن الفاعلة ، وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس ؟ ثم شدّ عليه بسيفه فقتله ، وإنّه لمشغل به إذ شدّ عليه سالم مولى ابن زياد ، فصاح أصحابه : قد رهقك العبد ، فلم يصغ عبد الله حتى بدره سالم بضربة اتقاها ابن عمر بيده اليسرى فاطارت أصابعه ، ومال عبد الله على سالم فقتله ، ثم أقبل إلى الحسين (عليه السلام) وقد قتلهما جميعاً وهو يرتجز ويقول :

إِنْ تَنْكَرُونِي فَأَنَا ابْنُ كَلْبٍ حُسْبِي بِمِثْقَلِ حُسْبِي
إِنِّي أَمْرٌ ذُو مِرَّةٍ وَعَظْبٌ^(١) وَلَسْتُ بِالْخَوَّارِ^(٢) عِنْدَ النَّكَبِ

وحمل عمرو بن الحجاج - فيمن كان معه من أهل الكوفة - على ميمنة أصحاب الحسين (عليه السلام) ، فلما دنا منهم جثا له على الركب وأشرعوا الرماح ، فلم تقدم خيلهم ، فلما تراجعت الخيل رشقهم أصحاب الحسين بالنبل فصرعوا منهم رجالاً وجرحوا آخرين .

وجاء رجل من بني تميم يقال له عبد الله بن حوزة ، فأقدم على عسكر الحسين (عليه السلام) وقال : يا حسين ، يا حسين ، قال : وماذا تريد ؟ أبشر بالنار ! فقال : كلاً ، إِنِّي أَقْدَمُ عَلَى رَبِّ رَحِيمٍ وَشَفِيعٍ مَطَاعٍ ، ثم سأل (عليه السلام) : من هذا ؟ فقبل له : هذا

(١) المِرَّةُ والمَظْبُ : القوة والشدة .

(٢) الخَوَّار : الضعيف .

ابن حوزة التميمي ، فقال : اللهم حزه إلى النار ، فاضطرب به فرسه فوقع ، وتعلقت رجله اليسرى في الركاب وارتفعت اليمى ، فشذّ عليه مسلم بن عوسجة فضرب رجله اليمى فطارت ، وعدا به فرسه فضرب رأسه كلّ حجر وشجر حتى مات ، وعجل الله بروحه إلى النار .

مبارزة الحرّ الرياحي (ره)

وحمل الحرّ على أصحاب ابن سعد كالأسد الغاضب وهو يتمثل بقول عنزة :

ما زلت أرميهم بشجرة^(١) نحره ولبانه^(٢) حتى تسربل بالدم
ثم قال مرتجزاً :

إني أنا الحرّ وماوى الضيف أضرب في أعناقكم بالسيف
عن خير من حلّ بأرض الخيف^(٣) أضربكم ولا أرى من خيف

قال الراوي : فينما هو يقاتل رأيت فرسه وهو مضروب على أذنيه وحاجبيه والدماء تسيل منه ، إذ التفت الحصين بن تميم إلى يزيد بن سفيان - وكان يزيد هذا يتهدّد الحرّ بالقتل حين خروجه إلى معسكر الحسين (عليه السلام) - وقال له : يا يزيد ، هذا الحرّ الذي كنت تتمناه ، فهل لك به ؟ قال : نعم ، وخرج إليه يطلب المبارزة ، فما لبث الحرّ أن قتله ، وقال الحصين : أما والله لكانّ روح يزيد في يد الحرّ .

ثمّ لم يزل الحرّ يقاتل حتى أمر ابن سعد الحصين بن تميم مع خمسمئة من الرماة بإمطار أصحاب الحسين بسهامهم ، ففعلوا ، وما أسرع من أن أصيبت خيولهم ، فجعلوا يقاتلون راجلين .

بروي أبو مخنف عن أيوب بن مشرح الحيواني أنّه كان يقول : أنا والله عقرت بالحرّ بن يزيد فرسه ، أصبت بطن الفرس بهم فما لبث أن أرعد واضطرب وكبا .

يقول المؤلف : كانّ حسان بن ثابت قال في هذا المقام :

ويقول للطرف^(٤) لشبا^(٥) القنا فهدمت ركن المجد إن لم تعقر

(١) الثغرة : الثلمة .

(٢) لبان : الصدر .

(٣) الخيف : اسم موضع بمكة سمي به مسجد الخيف .

(٤) الطرف : الفرس الكريم .

(٥) الشبا : جمع شبة وهي حدّ السلاح القاطع .

وكم من المناسب أن نستشهد هنا بقول الصادق (عليه السلام) قال :

« الحرّ حرّ على جميع أحواله ، إن نأبته نائبة صبرها ، وإن تدأكت عليه المصائب لم تكسره ، وإن أسر وقهر واستبدل باليسر عسراً » .

قال الراوي : ثم إن الحرّ وثب عن فرسه كأنه ليث ، والسيف في يده وهو يقول :

إن نعنقروا بي^(١) فأننا ابن الحرّ أشجع من ذي لبّند هزبر
فما رأيت أحداً قطّ يفري فريه .

يقول أهل السير والتاريخ إن الحرّ وزهيراً برزاً معاً يحمي كلّ منهما ظهر الآخر ، فكان إذا شدّ أحدهما فاستلجم^(٢) شدّ الآخر واستنقذه ، ففعلاً كذلك ساعة ، والحرّ يرتجز ويقول :

آليت لا أقتل حتى أقتلا ولن أصاب اليوم إلا مقبلاً
أضربهم بالسيف ضرباً مفصلاً لا ناكلأ منهم ولا مهلاً
وكان السيف في يد الحرّ والموت يلوح من شبابه ، وكأنّ ابن المعتز قال فيه قوله :

ولي صارم فيه المنايا كوامن فما يُنتضي إلا لسفك دماء
ترى فوق منبته الفرند^(٣) كأنه بقيّة غيم رقّ دون سماء
ثم شدّت عليه جماعة من عسكر ابن سعد فصرعه .

ويقال إن الحسين (عليه السلام) أتاه وبه رمق ، فجعل يمسح الدم والتراب عن وجهه وهو يقول : « أنت الحرّ كما سموك ، حرّ في الدنيا وحرّ في الآخرة ، ثم أنشد (عليه السلام) :

لنعم الحرّ حرّ بني رياح ونعم الحرّ عند مختلف الرماح
ونعم الحرّ إذ نادى حيناً فجاد بنفسه عند الصياح

مبارزة بربر وهب وعمرو بن خالد

ثم برز بربر بن خضير رحمه الله ، وكان من عباد الله الصالحين زاهداً عابداً ، وكانوا يسمّونه سيّد القراء ؛ كان من أشراف أهل الكوفة من الهمدانيين ، وهو خال أبي إسحاق

(١) نعنقروا بي : تقطعوا قوائم فرسي .

(٢) استلجم : نشب في الحرب فلم يجد مخلصاً .

(٣) الفرند : اسم من أسماء السيف ، أو هو جوهر السيف ووشيه ، وسيف فرند : لا مثيل له .

عمرو بن عبد الله السبيعي الكوفي التابعي الذي قيل إنه صلى الصبح أربعين عاماً بوضوء صلاة العشاء ، وكان يختم القرآن كل ليلة ، وكان أعبد أهل زمانه ، وأوثقهم حديثاً عند الخاصة والعامة ، وكان من ثقة علي بن الحسين (عليه السلام) .

ولما برز برير خرج إليه يزيد بن معقل فقال لبرير : أشهد إنك من المضلين ، فقال له برير : هلم فلا باهلك ، ولندع الله أن يقتل المحق منا البطل ، ثم تبارزا فاختلعا ضربتين ، فضرب يزيد بن معقل بريراً ضربة لم تضرة شيئاً ، وضربه برير ضربة قذت مغفره وبلغت الدماغ ، فخر كأنما هوى من حائق .

فحمل عليه رضي بن منقذ العبدي فاعتنقا واعتكرا ساعة ، فأوقعه برير أرضاً وقعد على صدره ، فاستغاث رضي بأصحابه فأقبل إليه كعب بن جابر بالرمح حتى وضعه في ظهر برير ، فلما وجد مس الرمح عض رضياً في وجهه فقطع له طرف أنفه ، فطعنه كعب بن جابر حتى غيب السنان في ظهره ، ثم أقبل يضربه بسيفه حتى قتله .

يقول الراوي : قام العبدي ينفخ التراب عن قبائه وهو يقول لكعب : أنعمت علي يا أبا الأزد نعمة لن أنساها أبداً .

فلما رجع كعب بن جابر قالت له امرأته أو أخته النوار بنت جابر : أغتت على ابن فاطمة ، وقتلت سيد القراء ، لقد أتيت عظيماً من الأمر ، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً .

استشهاد وهب عليه الرحمة

ثم برز بعده وهب بن عبد الله بن حباب الكلبي ، وكانت معه أمه وزوجه ، فقالت له أمه : قم يا بني فانصر ابن بنت رسول الله ، فقال : أفعل يا أماء ولا أقصر ، فبرز وهو يقول :
إن نكروني فأنابا ابن الكلب سوف نروني ونرون ضري
وحلتي وصولني في الحرب أدرك ثأري بعد ثأر صحبي
وأدفع الكرب أمام الكرب ليس جهادي في الوغى باللعب

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة ، فرجع إلى أمه وامراته ، فوقف عليهما فقال : يا أماء أرضيت ؟ فقالت : ما رضيت أو تقتل بين يدي الحسين (عليه السلام) ، فقالت امرأته : بالله لا تفجعني في نفسك ! فقالت أمه : يا بني لا تقبل قولها ، وارجع فقاتل بين يدي ابن رسول الله ، فيكون غداً في القيامة شفيعاً لك بين يدي الله ؛ فرجع وهو يقول :

إني زعيم لك أم وهب بالمطعن فيهم تارة والضرب
ضرب غلام مؤمن بالرب

فلم يزل يقاتل حتى قتل تسعة عشر فارساً ، واثني عشر راجلاً ، ثم قُطعت يده ،
فأخذت أمه عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول : فداك أبي وأمي ، قاتل دون الطيبين حرم
رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فأقبل كي يردها فأخذت بجانب ثوبه وقالت : لن أعود أو
أموت معك ، فقال الحسين (عليه السلام) جزيتم من أهل بيت خيراً ، ارجعي إلى النساء
رحمك الله ، فانصرفت ، ولم يزل الكلبي يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه .

يقول الراوي : فمشت إليه زوجته تمسح الدم عن وجهه فبصر بها الشمر اللعين فأمر
غلاماً له فضربها بعمود فشدخها وقتلها ، وهي أول امرأة قتلت في عسكر الحسين
(عليه السلام) .

استشهد عمرو بن خالد وابنه : ثم تقدّم عمرو بن خالد الأزديّ الأسديّ الصيداويّ
من الحسين (عليه السلام) وقال : جعلت فداك يا أبا عبد الله ، قد هممت أن ألحق
بأصحابي ، وكرهت أن أتخلف وأراك وحيداً من أهلك قتيلاً ، فقال له الحسين
(عليه السلام) : تقدّم فإنّا لاحقون بك عن ساعة ، فحمل عمرو وهو يرتجز ويقول :
إليك يا نفس من الرحمن فأبشري بالروح والريحان
اليوم تجزيين على الإحسان

فلم يزل يقاتل حتى قتل .

ثم تقدّم ابنه خالد بن عمرو وهو يقول :
صبراً على الموت بني قحطان كيما تكونوا في رضى الرحمن
يا أبتا قد صرت في الجنان في قصر درّ حسن البنيان
فلم يزل يقاتل حتى قتل .

استشهد سعد بن حنظلة ، وعمر

ثم تقدّم سعد بن حنظلة التميمي وهو يرتجز ويقول :
صبراً على الأسياف والأسنة صبراً عليها لدخول الجنّة
وحور عين ناعبات هنّه يا نفس للماحة فاجهدنّه
وفي طلاب الخير فارغبنّه^(١)

(١) الهاء : في هنّه واجهدنّه ، إرغبته : للسكر .

ثم حمل وقاتل قتالاً شديداً حتى قتل رحمه الله .

ثم برز من بعده عُمر بن عبد الله المذحجي وهو يرتجز ويقول :

قد علمت سعداً وحيّ مذحج أني لدى الهيجاء ليثٌ محرج
أعلو بسيفي هامة المذحج وأترك القرن لدى التعرج
فريسة الضبع الأزل الأعرج^(١)

ولم يزل يقاتل حتى قتله مسلم الضبابي وعبد الله البجلي .

مبارزة نافع بن هلال ومسلم بن عوسجة

ثم برز من أصحاب الحسين (عليه السلام) نافع بن هلال البجلي وهو يرتجز ويقول :

أنا ابن هلال البجلي أنا على دين علي
فبرز إليه رجل هو مزاحم بن حرث ، فقال : أنا على دين عثمان ، فقال له نافع ؛ أنت
على دين الشيطان ، فحمل عليه فقتله .

فصاح عمرو بن الحجاج بالناس : يا حمقى ، اتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان أهل
المصر وأهل البصائر ، وقوماً مستميتين لا يبرز منكم إليهم أحد إلا قتلوه على قتلهم ، والله لو لم
ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم .

فقال له عمر بن سعد : الرأي ما رأيت ، فأرسل في الناس من يعزم عليهم أن لا
يبارزهم رجل منهم .

ودنا عمرو بن الحجاج من أصحاب الحسين (عليه السلام) فقال :

يا أهل الكوفة ، الزموا طاعتكم وجماعتكم ، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين
وخالف الإمام .

ثم حمل عمرو بن الحجاج في ميمنته نحو الفرات ، فاضطربوا ساعة ، وفيها قاتل
مسلم بن عوسجة الأسدي ، وانصرف عمرو وأصحابه ، وانجلت الغيرة فإذا مسلم صريع
على الأرض وبه رمق ، فعمشى إليه الحسين (عليه السلام) - ومعه حبيب بن مظاهر - فقال له

(١) الأزل : السريع ، والأعرج : من صفات الضبع .

(عليه السلام) : رحلك الله يا مسلم ، وتلا قوله تعالى : ﴿ فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ .

فدنا منه حبيب فقال له : يعز عليّ مصرعك يا مسلم ، أبشر بالجنة ، فقال له مسلم بصوت ضعيف : بشرك الله بخير ؛ فقال له حبيب : لولا أعلم أنّي في الأثر لاحق بك لأحببت أن توصيني بكلّ ما أمكك ، فقال مسلم : فإنّي أوصيك بهذا - وأشار إلى الحسين - أن تموت دونه ! قال حبيب : أفعّل وربّ الكعبة ، ولأنعمنك عيناً ؛ ثم فاضت نفسه .

ولما حمل ووضع مع القتل صاحت جارية له : يا بن عوسجاء ، يا سيّده !! ومن المعروف أنّ مسلم بن عوسجة كان من شجعان عصره المعروفين ، وقد شهد له شيث بن ربيعي في (آذربيجان) موقفاً كريماً ، فراح يذكر بهذا من حوله .

وكان ابن عوسجة وكيلاً لمسلم بن عقيل في قبض الأموال وشراء الأسلحة وأخذ البيعة ، وكان من عبّاد عصره ، يلزم الاعتكاف بمسجد الكوفة متعبداً كما يشير الدينوري في (الأخبار الطوال) ، ويضعه أهل السير في مقدّمة أصحاب الحسين (عليه السلام) ، وقد تقدّم الحديث عن أقواله للحسين (عليه السلام) ليلة عاشوراء ، وقد أبلى في كربلاء أحسن البلاء ، كان إذا حمل يقول :

إن تسألوا عني فلاني ذو لبد من فرع قوم في ذرى بني أسد
فمن بغانا حائد عن الرشد وكافر بدين جبار صمد

كان هذا الرجل الكبير يكتئب بأبي جحل ، كما أشار إليه الكميّ الأسديّ بقوله :

« إن أبا جحل قليل مجحل ^(١) . . . » .

وكان مقتله - رحمه الله - على يدي مسلم الضبائيّ وعبد الرحمن البجليّ .

ثمّ اشتبك الفريقان ، فحمل الشمر - لعنه الله - في جماعة من أصحابه على ميرة أصحاب الحسين (عليه السلام) فثبتوا لهم ، بعد أن أحاطوا بهم من كلّ جانب ، وأنما هم اثنان وثلاثون فارساً ، فكانوا لا يحملون على جانب من أهل الكوفة ، إلّا كشفوهم .

فلما رأى عروة بن قيس ، وهو على خيل الكوفة ، أن خيله تنكشف من كلّ جانب ، بعث إلى عمر بن سعد يقول : أما ترى ما تلقى خيلي من هذه العدة اليسيرة ؟ ابعت إليهم الرجال والرماة .

(١) الجحل : المصوب العظيم ، ومجحل : الصريع على الأرض .

يقول الراوي : وقاتلهم أصحاب الحسين (عليه السلام) قتالاً شديداً حتى انتصف النهار ، ثم دعا الحصين بن غيم أصحابه ، وكانوا خمسمئة من الرماة ، فأقبلوا حتى دنوا من الحسين وأصحابه ، فرشقوهم بالنبال ، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم .

يقول الراوي : واشتد القتال ، ولم يقدر أصحاب ابن سعد أن يأتوهم إلا من جانب واحد ، لاجتماع أبنيتهم وتقارب بعضها من بعض ، فلما رأى عمر بن سعد ذلك أرسل رجالاً يقوّضونها عن إيمانهم وشيئلتهم ليحيطوا بهم ، وأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخلّلون البيوت فيشذّون على الرجل وهو يقوّض وينهب فيقتلونه ، ويرمونه من قريب ويعقرونه ، فصاح بهم عمر بن سعد أن أحرقوها بالنار ، ولا تدخلوا بيتاً ولا تقوّضوه ، فجاؤوا بالنار وأخذوا يحرقون ، فقال الحسين (عليه السلام) : دعوهم فليحرقوها ، فإنهم إذا فعلوا لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم ، فكان كما قال .

يقول الراوي : وحمل الشمر حتى طعن فسطاط الحسين برمح ، ونادى علي بالنار حتى أحرق هذا البيت وأهله ، فصاح النساء وخرجن من الفسطاط ، فصاح به الحسين (عليه السلام) : يا بن ذي الجوشن ، أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي ؟ حرّك الله بالنار .

يقول حميد بن مسلم : قلت للشمر بن ذي الجوشن : سبحان الله ، إن هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين : تعذب بعذاب الله (يريد الإحراق) ، وتقتل ولدان والنساء ؟! والله إن في قتلك الرجال لما تُرضي به أميرك .

فقال لي الشمر : من أنت ؟ قلت : لا أخبرك من أنا ؛ وخشيتُ والله أن لو عرفني أن يضرني عند السلطان ؛ فجاءه شيب بن ربعي فقال له : ما رأيت مثلاً أسوأ من قولك ، ولا موثقاً أقبح من موقفك ، أمرعياً للنساء صرت ؟! فأشهد أنه استحيى فذهب لينصرف ، فحمل عليه زهير بن القين (ره) في عشرة من أصحابه فكشفهم عن البيوت ، وقتلوا منهم أبا عزة الضبابي ، وكان من أصحاب الشمر ، فعطف عليهم عسكر ابن سعد فكأثروهم ، فكانوا إذا قُتل الرجل والرجلان من أصحاب الحسين نيين فيهم لقلة عددهم ، ولا يتبين في أولئك لكثرتهم ؛ وإجمالاً فقد اشتد القتال وتساقت كثيرون بين قتيل وجريح حتى دخل الزوال .

تذكير أبي ثمامة للحسين (عليه السلام) بالصلاة

واستشهاد ابن مظاهر

أبو ثمامة الصيداوي ، واسمه : عمرو بن عبد الله ، قال للحسين (عليه السلام) لما رأى دخول الزوال : يا أبا عبد الله ، نفسي لك الفداء ، إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ، ولا والله لا تُقتل حتى أقتل دونك ، وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة ، فرفع الحسين رأسه إلى السماء وقال : « ذكرت الصلاة ، جعلك الله من المصلين والذاكرين ، نعم هذا أول وقتها » .

ثم قال : « سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي » ، فقال الحصين بن نمير :

إنها لا تقبل ، فقال له حبيب بن مظاهر : لا تقبل زعمت الصلاة من ابن رسول الله وتقبل منك يا حار ؟

فحمل عليه الحصين ، وحمل عليه حبيب فضرب وجه فرسه بالسيف فشب به الفرس ووقع عنه الحصين ، فاحتوشه أصحابه فاستقدوه ، وأخذ حبيب يقول :

أقسم لو كنّا لكم أعداداً أو شطركم وليتّم أكتاداً^(١)
يا شرّ قوم حسداً وآداً^(٢)

ثم جعل يقول :

أنا حبيب وأبي مظاهر فارس هيجاء وحرب تسعر
أنتم أعدّ عدّة وأكثر ونحن أوفى منكم وأصبر
ونحن أعلّ حجة وأظهر حقاً وأتقى منكم وأعذر

وقاتل قتلاً شديداً حتى صرع - وفقاً لرواية - اثنين وستين رجلاً ، ثم حمل عليه رجل من بني نمير يقال له : بديل بن صريم فضربه بالسيف على رأسه ، وحمل عليه آخر من بني نمير فطعنه بالرمح فوقع ، فذهب ليقوم فضربه الحصين بن نمير على رأسه بالسيف فوقع ، ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه .

فقال له الحصين : إني لشريكك في قتله ، فقال الآخر : والله ما قتله غيري ، فقال الحصين : أعطنيهِ أعلّقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أنّي شركت في قتله ، ثم خذه

(١) أكتاد : جمع كند ، وهو مجتمع الكنفين من الإنسان ، وولّيم أكتاداً أي : فرقاً وأرسالاً .

(٢) الآد : الشدة والقوة .

أنت بعد فامض به إلى عبيد الله بن زياد ، فلا حاجة لي فيها تعطاء على قتلك إياه ، ثم أخذ الرأس فعلقه في عنق فرسه وجال به في العسكر ، ثم رده إليه .

فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ التميمي الآخر رأس حبيب فعلقه في لبان فرسه ، وأقبل به إلى ابن زياد في القصر ، فصر به ابنه القاسم بن حبيب وهو يومئذ قد راهق ، فأقبل مع الفارس لا يفارقه ، فإذا دخل القصر دخل معه ، وإذا خرج خرج معه ، فارتاب به فقال : ما لك يا بني تبني ؟ قال : لا شيء ، قال : بلى يا بني أخبرني ، قال : إن هذا الرأس الذي معك رأس أبي ، أفتعطينيه حتى أدفنه ؟ قال : يا بني ، الأمير لا يرضى أن يدفن ، وأنا أريد أن يثبني الأمير على قتله ثواباً حسناً ، قال له الغلام : لكن الله لا يثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب ، أما والله لقد قتلت من هو خير منك ، وبكى .

ومكث الغلام وهمه الانتقام ، حتى كان زمان مصعب بن الزبير ، فقتله ثاراً لأبيه .

يروى أبو مخنف عن محمد بن قيس قال : لما قتل حبيب بن مظاهر هذا ذلك حسيناً وقال : « عند الله أحسب نفسي وحياة أصحابي » .

وفي بعض المقاتل أنه قال : « لله درك يا حبيب ، فقد كنت فاضلاً تحتم القرآن في ليلة واحدة » .

ولا يخفى أن حبيباً كان من حملة علوم أهل البيت ، وكان من خاصة أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) .

ويروى أنه لقي ميثم التمار فتحادثا طويلاً ، فقال حبيب : « لكأنني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق ، قد صُلب في حب أهل بيت نبيّه ، ويقر بطنه على الخشبة » ؛ ومراده بالشيخ ميثم ، وقد وقع كما قال حبيب .

وفي آخر الرواية أن حبيباً كان من بين سبعين نفرًا نصرُوا الإمام المظلوم ، وواجهوا جبال الحديد ، وتلقوا بصدورهم آلاف السيوف والسهام ، وإن القوم يعطونهم الأمان ، ويعدونهم المال الكثير ، لكنهم يابون ويقولون : وهذا الإمام المظلوم يقتل وفينا عين تطرف ، فلن يكون لنا عذر عند الله ، حتى افتدوه جميعاً بأرواحهم ، وسقطوا حوله قتل . رحمة الله وبركاته عليهم أجمعين .

وقد سبقت الإشارة إلى ما قاله حبيب وعابس عند الحديث عن أحوال مسلم بن عقيل عليه الرحمة ، وقد أشار الكميت الأسدي إلى استشهاد حبيب بقوله :

سوى عصبة فيهم حبيب معفر قضى نحبه والكاهلي مرسل

وأراد بالكاهلي أنس بن الحرث الأسدي الكاهلي ، أحد كبار الصحابة ، وقد كتب أهل السنة في أحواله أنه قال :

« سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول - والحسين بن علي في حجره - : إن ابني هذا يقتل بأرض في العراق ، إلا فمن شهده فلينصره » .

وبقي أنس حتى أدرك واقعة كربلاء واستشهد في نصرة الحسين (عليه السلام) .

يقول المؤلف : يقول البعض : إن حبيب بن مظاهر ، ومسلم بن عوسجة ، وهناء بن عروة ، وعبد الله بن يقطر كانوا من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وقد جاء في شرح قصيدة أبي فراس أن جابر بن عروة الغفاري - وكان شيخاً مسناً - وقد تشرف بصحبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، كما شهد بدرأً وحنيناً - جاء يوم عاشوراء لنصرة الحسين (عليه السلام) ، فشدّ حزامه بعمامة ، وربط حاجبيه بمنديل ، وكانا قد طالا ونزلا على عينيه بحكم تقدّمه بالسّن ، فرآه الإمام الحسين (عليه السلام) فقال له : « شكر الله سعيك يا شيخ » ، ثم حمل على القوم وقتلهم قتالاً شديداً حتى قتل منهم ستين نفرأً ، ثم استشهد ، رحمة الله عليه ورضوانه .

استشهاد سعيد بن عبد الله الحنفي

جاء في الرواية أن الإمام الحسين (عليه السلام) دعا زهير بن القين وسعيد بن عبد الله فقال : تقدّما أمامي حتى أصلي الظهر ، فتقدّما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتى صلى بهم صلاة الخوف ، بينما كان النصف الآخر يدفع القوم عنه .

وروي أن سعيد بن عبد الله الحنفي تقدّم أمام الحسين (عليه السلام) فاستهدف له يرمونه بالنبل ، فكلّمه أخذ الحسين (عليه السلام) ميميناً وشمالاً قام بين يديه ، فما زال يتلقّى النبل حتى انثنى بالجراح وسقط إلى الأرض ، وهو يقول :

اللهمّ العنهم لمن عاد وثمود ، اللهمّ أبلغ نبئك عني السلام ، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح ، فإني أردت بذلك نصرة ذرّية نبئك » .

ثم مات رضوان الله عليه ، فوجد به ثلاثة عشر سهماً ، سوى ما به من ضرب السيوف وطقن الرماح .

وقال ابن نما : وقيل : صلى الحسين (عليه السلام) وأصحابه فرادى بالإيماء .

يقول المؤلف : إن سعيد بن عبد الله كان من وجوه شيعة الكوفة ، مقداماً عابداً وقد

عرفت في ما تقدّم أنه بعث هو وهانيء بن هانيء السبيعي كتاباً إلى الإمام الحسين (عليه السلام) مع رسولين من أهل الكوفة يسألانه المسير من مكة إليهم ، وأنها كانا آخر رسل أهل الكوفة إليه ، كما عرفت كلماته ليلة عاشوراء حين أذن (عليه السلام) لأصحابه بالانصراف ، وكلّ هذا جاء في المقاتل وفي الزيارة المشتملة على أسماء الشهداء .

وفي سعيد هذا ، وفي مواساة الحرّ وزهير بن القين يقول عبيد الله بن عمرو البديّ الكندي :

سعيد بن عبد الله لا تنسينّه ولا الحرّ إذ آمى زهيراً على قمر
فلو وقفت صمّ الجبال مكانهم لمارت على سهل ودكت على وعر
فمن قائم يستعرض النبل وجهه ومن مُقدم يلقى الأسنة بالصدر
حشرنا الله معهم في المستهدين ، ورزقنا مرافقتهم في أعلى عليين .

استشهاد زهير بن القين

يقول الراوي : وخرج زهير بن القين إلى الحرب وهو يقول :

أنا زهير وأنا ابن القين أذودكم بالسيف عن حسين
إنّ حسيناً أحد السبطين أضربكم ولا أرى من شين
ثم اندفع بين القوم كما الصاعقة المحرقة ، وقتل منهم عدداً كبيراً ، حتّى قتل على رواية عمّاد بن أبي طالب مئة وعشرين رجلاً ؛ فشدّ عليه كثير من عبد الله الشعبي ، والمهاجر بن أوس التميمي فقتلاه ، فوقف عليه الحسين (عليه السلام) وقال :

« لا يبعدنك الله يا زهير ، ولعن قاتلك لعن الذين مسحوا قردة وخنازير » .

يقول المؤلف : إن جلال شأن زهير أعظم من أن بوصف ، ويكفي في هذا المقام أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) جعله على ميمنته يوم عاشوراء ، ودعاه عند الصلاة مع سعيد بن عبد الله ليقوما دونه يقياه بنفسيهما ، وقد سبق احتجاجه على القوم ، كما مرّ الحديث عن إقدامه وشجاعته مع الحرّ ، إلى غير ذلك ممّا يتعلّق به .

استشهاد نافع بن هلال

نافع بن هلال بن نافع بن جمل كان أحد أبطال الحسين (عليه السلام) ، كان يرمي بسهام مسمومة كتب اسمه عليها ، وقد برز وهو يقول :

أرمني بها معلمة أفواقها مسمومة تجري بها أخفاقها^(١)
ليملأن أرضها رشاقها^(٢) والنفس لا ينفعها إشفاقها

فلم يزل يرميهم حتى فئت سهامه ، ثم جرد سيفه ، فحمل به على القوم وهو يقول :

أنا الغلام اليماني الجملي ديني على دين حسين وعلي
إن أقتل اليوم فهذا أملي فذاك رأيي ، والأقوي عملي

فقتل اثني عشر رجلاً ، وفي رواية سبعين ، سوى المجروحين ؛ فأحاطوا به حتى كسروا
عضديه ، وأخذوه أسيراً .

يقول الراوي : فأمسكه الشمر ومعه أصحابه يسوقونه إلى عمر بن سعد ، والدعاء تسيل
على وجهه ولحيته ، فقال له ابن سعد : ويحك يا نافع ، ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟
فقال : إن ربي يعلم ما أردت ، وما ألوم نفسي على الجهد ، ولو بقيت لي عضد وساعد ما
أستغني .

فقال الشمر لابن سعد : أقتله أصلحك الله ، فقال له : أنت أتيت به ، فاقتله إذا
شت ، فانتضى الشمر سيفه ليقتله ، فقال له نافع :

« أما والله يا شمر ، لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا ، فالحمد لله
الذي جعل منايانا على يد شرار خلقه » .

ثم ضرب الشمر اللعين عنقه .

هذا وما يجب معرفته أنه ورد في بعض كتب المقاتل اسم هلال بن نافع بدلاً من هذا
الرجل الكبير ، وأظن أن كلمة نافع سقطت من أول اسمه لتكرار نافع ، وكان نافع سيّداً في
قومه شريفاً مقداماً ، وقد عرفت سابقاً أنه التحق بالحسين (عليه السلام) في الطريق ، وكان
دليله الطرمّاح ، والتحق معه المجمع بن عبد الله وآخرون ؛ وكان فرس نافع واسمه
(الكامل) معهم يقودونه .

وينقل الطبري أنه لما اشتد العطش على الحسين وأصحابه دعا العباس أخاه فبعثه في
ثلاثين فارساً وعشرين رجلاً ، وبعث معهم بعشرين قرية ؛ فجاؤوا - يتقدّمهم باللواء نافع بن
هلال الجملي - حتى دنوا من الماء ليلاً ، فقال عمرو بن الحجاج (وهو موكل بالشرعية) : من

(١) الأخفاق : الصرع ، يقال : اخفق زيد غمراً في الحرب ، أي : صرعه ، فكان النيل يجري بها الصرع .

(٢) الرشاق : جمع رشيق ، وهو السهم اللطيف .

الرجل ؟ قال : أنا نافع بن هلال ، قال : مرحباً بك يا أخي ، ما الذي جاء بك ؟ قال نافع : جئنا نشرب من الماء الذي حلائموناه عنه ، قال : فاشرب هنيئاً ، قال : لا والله ، لا أشرب قطرة وحسين عطشان ومن ترى من أصحابه ، فطلعوا عليه ، فقال : لا سبيل إلى سقي هؤلاء ، إنما وُضعتنا في هذا المكان لنمنعهم الماء .

قال نافع لرجاله : املاؤا قريكم ، فملأوا قريهم ، وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه ، فحمل عليهم العباس بن علي ونافع بن هلال فكفروهم ، ثم انصرفوا إلى رحالهم ، فقال : امضوا ، ووقفوا دونهم حتى انصرفوا بالماء إلى الحسين (عليه السلام) .

ونافع بن هلال هو القاتل لسيد الشهداء (عليه السلام) :

« وإنا على نيّاتنا وبصائرنا نوالي من والاك ، ونعادي من عاداك » .

استشهاده عبد الله وعبد الرحمن الغفاريّين

لما رأى أصحاب الحسين (عليه السلام) أنّهم كثروا ، وأنهم لا يقدرّون على أن يمنعوا حيناً ولا أنفسهم ، تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه ، فجاء عبد الله وعبد الرحمن ابنا عروة الغفاريّ فقالا : يا أبا عبد الله ، عليك السلام ، حازنا العدو إليك فأحبينا أن نقتل بين يديك فنمنعك وندفع عنك ، قال : مرحباً بكما ، ادنوا مني ، فدنوا منه فجعللا يقاتلان قريباً منه ، وعبد الرحمن يقول :

قد علمتُ حقاً بنو غفار
لنضربنّ معشر الفجار
يا قوم ذودوا عن بني الأحرار
بالمشرقيّ والسقنا الخطار
فما زالا يقاتلان حتى قُتلا .

سيف بن الحارث بن سريع ومالك بن عبد بن سريع

وهما ابنا عمّ ، وأخوان لأمّ ، أنيا الحسين (عليه السلام) وهما يكيان ، فقال لهما : أي ابني أخي ، ما يبيكما ؟ فوالله إنّي لأرجو أن تكونا عن ساعة قريري عين ، قالوا : جعلنا الله فداك ، لا والله ما على أنفسنا نكي ، ولكنّا نبكي عليك ، نراك قد أحبط بك ولا نقدر أن ندفع عنك ، فقال : « جزاكم الله يا ابني أخي بوجدكم من ذلك ، ومواساتكم إياي بأنفسكم أحسن جزاء المتقين » .

فردّعا ، وقاتلا حتى قُتلا .

استشهاد حنظلة بن أسعد الشبلي

وجاء حنظلة بن أسعد فوقف بين يدي الحسين (عليه السلام) يقيه السهام والرماح والسيوف بوجهه ونحره ، وأخذ ينادي :

﴿ يا قوم ، إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب * مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد * ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ، ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ . يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب ﴾ وقد خاب من افترى ﴾ .

ووفقاً لبعض المقاتل فإن الحسين (عليه السلام) قال له :

« رحمك الله يا بن أسعد ، إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق ، ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابك ، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين ! »

قال : صدقت جعلت فداك ، أفلا نروح إلى ربّنا فنلحق بإخواننا ؟

فقال له : رح إلى ما هو خير لك من الدنيا وما فيها ، وإلى ملك لا يبل .

فقال : السلام عليك يا بن رسول الله ، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك وجمع بيننا في جنته .

قال : آمين ، آمين .

ثم استقدم فقاتل قتلاً شديداً ، فحملوا عليه فقتلوه ، رضوان الله عليه .

يقول المؤلف : كان حنظلة وجهاً من وجوه الشيعة وشجعانهم ، وكان يعدّ من الفصحاء ، ويقال له الشامي نسبة إلى شام ، وبنو شام بطن من همدان .

استشهاد شوذب وعابس

لما عزم عابس بن أبي شبيب الشاكريّ الهمدانيّ على الفوز بسعادة الشهادة أقبل ومعه شوذب مولى شاكرا ، أي حليفهم ، كان شوذب هذا من رجال الشيعة الأوائل ومن الفرسان المعدودين ، وكان حافظاً للحديث وحاملاً له ، وروي أنّه كان يقيم مجلساً يفد الشيعة إليه ويأخذون عنه ، وكان رحمه الله وجهاً فيهم .

قال عابس لشوذب : يا شوذب ، ما في نفسك أن تصنع ؟ قال : أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتّى أقتل ، فقال له عابس :

« ذلك الظن بك ، تقدّم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه ، فإنّ هذا يوم نطلب فيه الأجر بكلّ ما نقدر عليه ، فإنّه لا عمل بعد اليوم ، وأنما هو الحساب » .

فتقدّم شوذب إلى الحسين (عليه السلام) فسلم عليه ، وقاتل بين يديه حتى قتل ، رحمة الله ورضوانه عليه .

قال الراوي : ووقف عابس بعد ذلك أمام الحسين (عليه السلام) وقال :
« يا أبا عبد الله ، والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك ، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلت ، السلام عليك يا أبا عبد الله ، أشهد الله أنّي على هداك وهدى أهلك » .
ثمّ مشى نحو القوم مصلتاً سيفه وبه ضربة على جبينه .

قال ربيع بن نعيم ، وهو أحد عساكر ابن سعد : فلما رأيت عابساً مقبلاً عرفته وقد كنت شاهدته في المغازي ، وكان أشجع الناس ، فقلت :

أيّها الناس ، هذا أسد الأسود ، هذا عابس بن أبي شبيب ، لا يخرجنّ إليه أحد منكم !
وراح عابس يحول كالشعلة وهو ينادي : ألا رجل لرجل ؟ فلم يجرؤ أحد على الخروج إليه ، ولمّا رأى ابن سعد هذا قال : ارضخوه بالحجارة من كلّ جانب . فرضخوه ؛ فلما رأى عابس ذلك ألقي درعه ومغفره ، ثمّ شدّ على الناس .

وكانّ حسان بن ثابت يقول في هذا المقام :

يلقى الرماح الشاجرات ينحصره ويقيم هامته مقام المغفر
ما أن يريد إذا الرماح شجرته درعاً سوى سريال طيب العنصر
ويقول للطرف^(١) اصطبر لثبا القنا فهدمت ركن المجد إن لم تعقر

قال ربيع : فوالله رأيته يطرد أكثر من مشين من الناس ، ثمّ إنهم تعطفوا عليه من كلّ جانب فقتل رضوان الله عليه ، فاحتزّوا رأسه ، وتنازع عدّة من الرجال في رأسه ، كلّ يقول : أنا قتلتها ؛ فقال ابن سعد : لا تختصموا ، هذا والله لم يقتله إنسان واحد .

يقول المؤلّف : نقل أنّ عابساً كان من رجال الشيعة رئيساً شجاعاً خطيباً ناسكاً متهجّداً ، وحديثه مع مسلم بن عقيل عند قدومه إلى الكوفة ، معروف وقد تقدّم .

(١) الطرف : الفرس الكريم .

ويروي الطبري أنّ مسلماً كتب إلى الإمام الحسين (عليه السلام) - بعد بيعة أهل الكوفة له - يستقدمه ، ويحث بكتابه مع عابس

استشهاد أبي الشعثاء البهدي

يقول الراوي : يزيد بن زياد البهدي ، ويقال له : أبو الشعثاء ، وكان رامياً مهذفاً ، فجثا على ركبتيه بين يدي الحسين (عليه السلام) فرمى بمئة سهم ما سقط منها خمسة أسهم ، وكان كلّما رمى بسهم يقول : أنا بن بهدلة ، فرسان العرجلة ، والحسين (عليه السلام) يدعو له ويقول : « اللهم سدّد رميته ، واجعل ثوابه الجنة » .

ثم جعل يرتجز ويقول :

أنا يزيد وأبي مهاصر أشجع من ليث بغيل^(١) خادر
يا ربّ إني للحسين ناصر ولابن سعد تارك وهاجر
فلم يزل يقاتل حتى قتل .

يقول المؤلف : ورد الشطر الثاني من البيت الأوّل كالآتي :

« ليث مصور في العرين خادر » .

وهذا لطيف لالتفاتة إلى مقارنة مصور ومهاصر .

ويقول الفيروز آبادي : إنّ يزيد بن مهاصر كان من المحدثين .

استشهاد جماعة من أصحابه (عليه السلام)

روي أنّ عمر بن خالد الصيداوي ، وجابر بن الحارث السلماني ، وسعد مولى عمرو بن خالد ، ومجمّع بن عبد الله العائذي قاتلوا في أوّل القتال ، فشدّوا مقدمين بأسيا فهم على الناس ، فلمّا غلّوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم وقعظموهم عن أصحابهم غير بعيد ؛ فحمل عليهم العباس بن علي فاستنقذهم ، فجأؤا وقد جرحوا ، فلمّا دنا منهم عدوهم أثناء الطريق شدّوا بأسيا فهم فقاتلوا حتّى قُتلوا في مكان واحد ؛ رحمة الله عليهم .

وروي عن مهران الكايلّي أنّه قال : شهدت كربلاء مع الحسين (عليه السلام) فرأيت رجلاً يقاتل قتلاً شديداً لا يحمل على قوم إلّا كشفهم ، ثم يرجع إلى الحسين (عليه السلام) فيرتجز ويقول :

(١) الغيل : الأجمة أو موضع الأسد .

أبشر مُدبیت الرشید تلقی احمداً فی جَنَّة الفردوس ترقی صعداً
فقلت : من هذا ؟ فقالوا : أبو عمرة الحنظليّ ، ثمّ اعترضه عامر بن نَشل التيميّ فقتله
واحترّ رأسه .

يقول المؤلف : قيل إنّ أبا عمرة اسمه زياد بن غريب ، وكان أبوه من الصحابة ، وقد
أدركه هو رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، وكان رجلاً متهجّداً كثير الصلاة ، شجاعاً
ناسكاً .

استشهاد جون مولیٰ أبي ذر

بدر غفاريّ وشمس في السماء روح المحبة هو ، وسرّو في العلاء^(١)
كان جون مولیٰ لأبي ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه ، وكان عبداً أسود صاحب الحسين
(عليه السلام) ، ولما جاء يستأذنه في البراز قال له (عليه السلام) : « يا جون ، أنت في إذن
منيّ ، إنّما تبعنا طلباً للعافية ، فلا تبتل بطريقنا » .

فقال : « يا بن رسول الله ، أنا في الرخاء العنق قصاعكم ، وفي الشدة أخذلكم ! والله
إنّ رجيمی لتسن ، وإنّ لوني لأسود ، فتنفّس عليّ بالجَنّة لطيب ريحي ، ويشرف حسبي .
ويبيضّ لوني ، لا والله لا أفارقكم حتّى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم^(٢) » .

فأذن له الحسين (عليه السلام) فبرز إلى القتال وهو يقول :

كيف يرى الكفّار ضرب الأسود بالسيف ضرباً عن بني محمّد
أذبّ عنهم باللسان واليد أرجو به الجنة يوم المورد
ولم يزل يقاتل حتّى قتل خمسة وعشرين رجلاً ، ثم قتل ، رحمة الله عليه .

وجاء في بعض المقاتل أن الحسين (عليه السلام) وقف عليه وقال :

« اللهم بيض وجهه ، وطيب ريحه ، واحشره مع الأبرار ، وعرف بينه وبين محمّد آل
محمّد » .

وروي عن حضرّ لدفن القتلى أنّهم وجدوا جسد جون - بعد عشرة أيام - نفوح منه
رائحة طيبة أذكى من المسك ، رضوان الله عليه .

(١) تعريب بيت بالفارسيّة (المرب) .

(٢) عن حاكم كيف أنصرف ومواكم لي به شرف
سيدي لا عشت يوم أرى في سوى أبوابكم أف

استشهد الحجاج بن مسروق

وكان مؤذن الإمام الحسين (عليه السلام) ، برز إلى القتال وهو يقول :

أقدم حسين هادياً مهدياً اليوم ألقى جدك النبيّا
ثمّ أباك ذا الندى عليّا ذاك الذي نعرفه وصيّا
وقاتل حتى قتل خمسة وعشرين رجلاً ، ثم قتل رحمة الله عليه .

استشهد غلام قُتل أبوه

قالوا : كان في عسكر الحسين (عليه السلام) غلام قُتل أبوه في الحملة الأولى ، فقالت له أمّه : يا بنيّ ، اخرج وقاتل بين يدي ابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فخرج الغلام واستأذن الحسين (عليه السلام) في القتال ، فأبى الحسين (عليه السلام) أن يأذن له وقال : هذا غلام قُتل أبوه ، ولعلّ أمّه تكره خروجه ؛ فقال الغلام : إنّ أمّي هي التي أمرتني بذلك ، فأذن له ، فبرز إلى القتال وهو يقول :

أميري حسين ونعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير
عليّ وفاطمة والدا هـ فهل تعلمون له من نظير
له طلعة مثل شمس الضحى له غرة مثل بدر منير
وقاتل فما أسرع أن قُتل ، واحتزّ رأسه ورمي به إلى جهة معسكر الحسين (عليه السلام) ، فأخذت أمّه الرأس وضمتّه إلى صدرها وقالت : أحسنت يا بنيّ ، يا سرور قلبي ويا قرة عيني .

ثم رمت بالرأس غاضبة رجلاً من جيش العدو فقتلته ، وعادت إلى المخيم فانتزعت عمود خيمة ، وحملت على القوم وهي تقول :

أنا عجوز سيّدي^(١) ضعيفة خاوية بالية نحيفة
أضربكم بضربة عنيفة دون بني فاطمة الشريفة
وضربت رجلين بالعمود فقتلتها ، فأمر الحسين (عليه السلام) بصرفها ودعا لها ، وردّها إلى المخيم .

استشهاد غلام تركي

كان للحسين (عليه السلام) غلام تركي ، وكان في مرتبة عالية من الصلاح والساد .
قارناً للقرآن ، وفي يوم عاشوراء تقدّم للقتال وهو يقول :

البحر من طعني وضربي يصطلي والجو من سهمي ونيلي يمتلي
إذا حسامي في يميني ينجلي ينشق قلب الحاسد المجل

ثم حمل على القوم وقاتل فقتل جماعة كثيرة ، ويقول البعض إنه قتل سبعين رجلاً ، ثم سقط صريعاً ، فأتاه الحسين فاعتقه وبكى عليه ، ففتح الغلام عينيه ورأى الحسين (عليه السلام) تنبسم ثم فاضت نفسه والحسين واضع خده على خده .

استشهاد عمرو بن قرظة

وجاء عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري الخزرجي ، ووقف أمام الحسين (عليه السلام) فاستأذنه في الخروج ثم أنشأ يقول :

قد علمت كتيبة الأنصار أنني سأحيي حوزة الذمار^(١)
ضرب غلام غير نكس شارب دون حسين مهجتي وداري
وأقبل عمرو يقاتل بكل الشوق حتى قتل جماعة من القوم ، ووقف أمام الحسين (عليه السلام) يقيه من العدو ويتلقى السهام ب صدره ووجهه ، فلم يصل إلى الحسين سوء ، فلما كثرت فيه الجراح التفت إلى الحسين (عليه السلام) وقال له : أوفيت يا بن رسول الله ؟ قال الحسين (عليه السلام) : نعم ، أنت أمامي في الجنة ، فأقرى رسول الله عني السلام ، وأعلمه أنني في الأثر .

ثم قاتل حتى قتل ، رضوان الله عليه .

يقول المؤلف : قرظة أبو عمرو من كبار الصحابة ، ومن أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، كان رجلاً كفواً مقدماً ، اشترك مع أبي موسى في فتح الري سنة أربع وعشرين ، وفي صفين أسند إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) راية الأنصار ، توفي سنة إحدى وخمسين .

أنجب قرظة ولداً غير عمرو اسمه علي ، كان مع عسكر ابن سعد في كربلاء ، فلما شهد

(١) الذمار : ما يلزم حمايته وحفظه والدفاع عنه ، يقال : حامي الذمار لمن يقوم بذلك ، والحوزة : تعني الناحية ، وحوزة الملكة : ما بين نحومها .

مقتل أخيه صاح ينادي الحسين (عليه السلام) فقال : يا حسين ، يا كَذَاب ابن الكَذَاب ، أضللت أخي وغررته حتى قتله ، فأجابه (عليه السلام) قائلاً :
« إِنَّ الله لم يضلّ أخاك ، ولكنه هدى أخاك وأضلّك » .

فقال عليّ : قتلي الله إن لم أقتلك ، إلا إن هلكت قبل وصولي إليك ، ثم حمل عليه فتلقاه نافع بن هلال برمحه فصرعه أرضاً ، فحمل أصحاب ابن سعد فاستنقذوه ، ثم عولج فشفي .

كان عمرو بن قرظة رسول الإمام الحسين (عليه السلام) في مفاوضاته مع ابن سعد ، وأراد (عليه السلام) أن يلقي ابن سعد ذات ليلة ، ويقال إنها تلاقيا فدعاه الحسين (عليه السلام) إلى نصرته ، فاعتذر عمر أعذاراً منها أنّ داره ستهدم ، فقال له : أنا أبنيها لك ، قال : إذن تؤخذ ضياعي ، قال : أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز ، لكنّ عمر أبى .
وكان ما قاله عمرو بن قرظة وهو يرتجز يوم عاشوراء تعريضاً بابن سعد في ذلك إذ قال :
« دون حسين مهجتي وداري » ، ومراده الإشارة إلى مخاوف ابن سعد من هدم داره ، فقال عمرو إن روحي وداري فداء للحسين (عليه السلام) .

استشهاد سويد بن عمرو

تقدّم سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي ، وكان شريفاً كثير الصلاة ، فقاتل قتال الأسد الباسل ، وبالع في الصبر على الخطب النازل ، حتى سقط بين القتل وقد أثنى بالجراح ، فلم يزل كذلك حتى سمعهم يقولون : قُتل الحسين ، فتحامل وأخرج سكيناً من خفه ، وجعل يقاتل حتى قتل ، قتله عروة بن بكّار التغلبيّ وزيد بن ورقاء .

وكان سويد هذا آخر من استشهد من أصحاب الحسين (عليه السلام) ، رحمه الله ورضوانه عليهم أجمعين ، وأشركتنا معهم إله الحق ، آمين .

يقول أرباب المقاتل : كان كلّ من أراد القتال من أصحاب الحسين (عليه السلام) يأتيه فيودّعه ويقول : السلام عليك يا بن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فيجيبه الحسين : وعليك السلام ، ونحن في الأثر ، ويقرأ : ﴿ فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً ﴾ .

في استشهاد فتيل بني هاشم

ولمّا قتل أصحاب الحسين (عليه السلام) ، ولم يبق إلا أهل بيته فتيان بني هاشم ، وهم

وُلد أمير المؤمنين (عليه السلام) وولد جعفر وعقيل ، وولد الإمام الحسن (عليه السلام) وولد الحسين (عليه السلام) اجتمعوا يودّع بعضهم بعضاً ، وعزموا على الحرب وملاقاة الحتوف ببأس شديد ونفوس آتية .

استشهد أبي الحسن عليّ بن الحسين سلام الله عليهما : أمّه ليل ابنة أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي ؛ وكان عروة بن مسعود أحد السادات الأربعة في الإسلام ، ومن العظماء المعروفين ، وقيل هو مثل صاحب ياسين وأشباه الناس بعيسى ابن مريم .

وعليّ الأكبر (عليه السلام) كان فتي جميل الصورة ، طلق اللسان ، صبيح الوجه ، حسن السيرة والخلق ، أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أخذ الشجاعة عن عليّ المرتضى (عليه السلام) وجمع المحامد والمحاسن .

يروى أبو الفرج عن المغيرة أن معاوية قال ذات يوم من أيام ملكه : من أحقّ الناس بهذا الأمر (يريد الخلافة ؟) قالوا : أنت ، قال : لا ، أولى الناس بهذا الأمر عليّ بن الحسين بن عليّ ، جدّه رسول الله ، وفيه شجاعة بني هاشم ، وسخاء بني أمية ، وزهو ثقيف .

وأجلاً فلماً عزم على القتال ، أقبل مستأذناً أباه ، فأذن له ؛ فلماً تقدّم إلى الميدان نظر إليه أبوه نظر آيس منه ، وبكى ، ورفع شيته إلى السماء وقال :

اللهمّ اشهد على هؤلاء القوم ، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك ، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى وجهه ، اللهمّ امنعهم بركات الأرض ، وفرّقهم تفريقاً ، ومزّقهم تمزيقاً ، واجعلهم طرائق قدداً ، ولا تُرضِ الولاة عنهم أبداً ؛ فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا يقاتلوننا .

ثمّ صاح بابن سعد : « ما لك ؟ قطع الله رحلك ، ولا يارك الله لك في امرك ، وسلّط عليك من يذبحك بعدي على فراشك ، كما قطعت رحمي ، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله . »

ثمّ رفع صوته وتلا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾ .

ثمّ إنّ عليّاً الأكبر (عليه السلام) توجّه نحو القوم ، وجلا عليهم كالشمس الضاحية بطلعته التي تذكر بطلعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

ذكروا بطلعته النبيّ فهلّلوا لما بدا بين الصفوف وكتبّروا فافتنّ فيه الناظرون فصّبح يومي إليه بها وعين تنظر

وشدّ عليهم شدّة الليث الغاضب وهو يرتجز ويقول :

أنا علي بن الحسين بن علي نحن - وبیت الله - أولى بالنسبي
أضربكم بالسيف حتى ينشني ضرب غلام هاشمي علوي
ولا أزال اليوم أحمي عن أبي تالله لا يحكم فينا ابن السدعي
وشد على القوم ، فكان أينما دار ضرب منهم ، حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ، فضج
الناس من كثرة من قتل منهم ، وروي أنه قتل مئة وعشرين رجلاً .

واشتد به العطش من حرارة الشمس ، وثقل السلاح وكثرة الجراح ، فرجع إلى أبيه
فقال : يا أبة ، العطش قد قتلتني ، وثقل الحديد أجهدني ، فهل إلى شربة ماء من سبيل أتقوى
بها على الأعداء ؟

فبكى الحسين (عليه السلام) وقال : واغوثاه ! قتلت قليلاً ، فما أسرع ما تلقى جدك
رسول الله ، فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا نظماً بعدها أبداً .

وفي رواية أخرى أنه قال له : يا بني ، هات لسانك ، فأخذ لسانه فمصّه ، ودفع إليه
خاقمه ، وقال : أسكه في فيك وارجع إلى قتال عدوك ، فلاني أرجو أنك لا تمسي حتى يسقيك
جدك بكأسه الأوفى شربة لا نظماً بعدها أبداً .

فرجع إلى القتال آيساً من الحياة عازماً على الموت وهو يقول :

الحرب قد بانّت لها الحقائق وظهرت من بعضها مصادق
والله ربّ العرش لا نفارق جموعكم أو تنمذ البوارق

وجعل يقاتل أشد قتال ، حتى قتل من القوم ثمانين رجلاً ، ثم ضربه مرة بن منقذ
العبيدي على مفرق رأسه ضربة صرعه ، وفي رواية أن مرة بن منقذ لما رأى علياً
(عليه السلام) يشتد ويرتجز قال : عليّ لعنة العرب إن جازني هذا الغلام إلا أنكلت عليه
أباه ، فلما مرّ (عليه السلام) بمرة اللعين في حملته طعنه بالرمح فصرعه ، وفي الرواية
المتقدمة : ثم ضربه الناس بأسياهم ، فاعتنق فرسه من فرط الجهد ، فاحتمله الفرس إلى
معسكر الأعداء ففقطعوه بسيوفهم إرباً إرباً .

وقال أبو الفرج : وجعل يكرّ كرة بعد كرة حتى رُمي بسهم فوقه في حلقه فخرقه ،
وأقبل يتقلب في دمه ، فلما بلغت الروح التراقي قال رافعاً صوته :

« يا أبتاه ، عليك مني السلام ، هذا جدّي رسول الله يقرئك السلام ، ويقول : عجل
القدم إلينا » .

وفي رواية أخرى أنه نادى :

« يا أبناء ، هذا جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً ، وهو يقول : العجل العجل ، فإن لك كأساً مذكورة حتى تشربها الساعة » .

ثم إن الحسين (عليه السلام) أتاه ، وفي رواية السيّد ابن طاوس : وضع خذّه على خذّه وقال :

« يا بنيّ ، قتل الله قوماً قتلوك ، ما أجرأهم على الله وعلى رسوله ، وعلى انتهاك حرمة الرسول » .

وانهملت عيناه بالدموع وهو يقول : « يا بني ، على الدنيا بعدك العفاء » .

يقول الشيخ المفيد (ره) : وخرجت زينب ابنة عليّ مسرعة ، وهي تندب ابن أخيها حتى وصلت إليه فانكبّت على وجهه ، فأق الحسين (عليه السلام) فرفع رأسها عن جسده ، وأخذ بيدها وردّها إلى الفسطاط ؛ ثم قال لفتيان بني هاشم : احمّلوا أحاكم ، فحملوه من مصرعه وجاؤوا به إلى الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه .

يقول المؤلف : وقع اختلاف بشأن عليّ الأكبر (عليه السلام) في ناحيتين :

الأولى : في ترتيب استشهاد ، فالشيخ المفيد والسيّد ابن طاوس والطبري وابن الأثير وأبو الفرج وغيرهم ذكروا أنّ أوّل شهيد من أهل البيت (عليهم السلام) هو عليّ الأكبر ، ويؤيد قولهم زيارة الشهداء المعروفة ، وفيها : « السلام عليك يا أوّل قتيل من نسل خير سليل » ، وغير أنّ بعض أرباب المقاتل يرون أنّ أوّل شهيد من أهل البيت هو عبد الله بن مسلم ، وأنّ استشهاد عليّ الأكبر يأتي في أواخر من استشهد منهم .

الثانية : في سنّه عند استشهاده ، هل كان في الثامنة عشرة أم في التاسعة عشرة ؟ وهل كان أصغر من الإمام زين العابدين (عليه السلام) أم أكبر ، وكان في الخامسة والعشرين ؟

هناك اختلاف في أقوال فحول العلماء في هذا الصدد ، وقد أشرنا في موضع آخر إلى هذا الاختلاف ، كما أشرنا إلى ما اخترناه فيه ، وفي كلّ تقدير فمن المسلّم به أنه قضى عمره الشريف زاهداً ناسكاً ، يطعم المساكين ويكرم الوافدين ، وكان ذا سعة في الخلق وتوسعة في الرزق ، حتى قيل فيه :

لم تر عين نظرت مثله من محتف يمشي ولا ناعل
(الأبيات)

ويُقرأ في زيارته :

« السلام عليك أيها الصديق ، والشهيد المكرّم ، والسيد المقدم ، الذي عاش سعيداً ، ومات شهيداً ، وذهب فقيداً ، فلم تتمتع من الدنيا إلا بالعمل الصالح ، ولم تتشاغل إلا بالتجرّ الرابع » .

وكيف لا يكون هذا الفتى كذلك وهو أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهو من تلقى الأدب عن سيدي شباب أهل الجنة ، كما توحى بذلك هذه العبارة من الزيارة لمروية المعبرة : « السلام عليك يا بن الحسن والحسين » .

ثم ، هل كانت أمّه في كربلاء أم لم تكن ؟ الظاهر أنها لم تكن ، فأنما لم أعر على شيء من هذا في الكتب المعبرة .

أنما ما هو مشهور - من أنه بعد خروجه إلى الميدان ، توجه أبوه إلى أمّه ليل وطلب منها أن تخلو بنفسها . فتدعوله ، لأنه سمع من جدّه أن دعاء الأم لابنها مستجاب الخ - فهو - بقول شيخنا - باطل كلّه .

استنهاد عبد الله بن مسلم بن عقيل (ره) : يقول محمّد بن أبي طالب : أوّل من برز من أهل بيت الحسين (عليه السلام) عبد الله بن مسلم ، وهو يرتجز ويقول :

اليوم القى مسلماً وهو أبي وفتية بادوا على دين النبي
ليسوا بقوم عُرفوا بالكذب لكن خيار وكرام النسب
من هاشم السادات أهل النسب

فقاتل حتى قتل ثمانية وتسعين رجلاً ، ثم قتله رحمة الله عليه عمرو بن صبيح .

وقال أبو الفرج : أمّه رقية بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ويروي الشيخ المفيد والطبري أن عمر بن صبيح رمى عبد الله بسهم أصابه وهو واضع يده على جبينه فأتته في راحته وجهته ، فما استطاع أن يزيلها ، ثم حمل عليه لعين آخر برمحه فطعنه في قلبه فقتله .

يقول ابن الأثير : بعث المختار بجماعة لأخذ زيد بن رقاد ، وزيد هذا كان يقول : رميت فتى من أهل بيت الحسين اسمه عبد الله بن مسلم بسهم ، وكان واضعاً يده على جبهته ، فسمعتة يقول : « اللهم إنهم استقلّونا واستذلّونا ، فاقتلهم كما قتلونا » . ثم أصابه سهم آخر ، فاتّيته فرائته قد مات ، فانتزعت سهمي الذي أصابه في قلبه ، وأردت انتزاع السهم الذي وقع في جبهته فلم يطاوعني ، « ولم أزل أنتفضّ الآخر عن جبهته حتى أخذته وبقي النصل » .

وإجمالاً فقد جاء أصحاب المختار لأخذ زيد بن رقاد ، فخرج إليهم بسيفه ، فأمر ابن

كامل قائد المهاجمين رجاله أن لا يضربوه بسيف أو رمح ، بل أن يرضخوه بالحجارة ويرموه بالسهم ، ففعلوا ، فسقط فأحرقوه حياً .

يقول بعض المؤرخين : لما قتل عبد الله بن مسلم حمل آل أبي طالب حلة واحدة ، فصاح الحين (عليه السلام) : « صبراً على الموت يا بني عمومي » . فلم يعودوا من الميدان إلا وسقط منهم محمد بن مسلم فقتل ، وقاتله أبو مرهم الأزدي ولقيط بن إياس الجهني .

استشهد محمد بن عبد الله بن جعفر : ثم برز محمد بن عبد الله بن جعفر إلى القتال وهو يرتجز ويقول :

أشكوا إلى الله من العدوان فعال قوم في الردى عميان
قد بذلوا معالم القرآن وعكم التنزيل والتبيان
وأظهروا الكفر مع الطفيان

فقتل عشرة أنفس ، ثم شدّ عليه عامر بن نشل التميمي فقتله .

يقول أبو الفرج : أمه الخوصاء ابنة حفص من بكر بن وائل ، وإلى شهادته أشار سليمان بن قتة في مرثيته إذ قال :

وسمي النبي غودر فيهم قد علّوه بصارم مصقول
فإذا ما بكيت عيني فجودي بدموع تسيل كل مسيل

استشهد عون بن عبد الله بن جعفر : قال الطبري : فاعتورهم الناس من كل جانب ، فحمل عبد الله بن قطنة الطائي ، ثم النهاني على عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنهم .

وجاء في المناقب أن عوناً برز إلى القتال وهو يرتجز ويقول :

إن ننكروني فأنا ابن جعفر شهيد صدق في الجنان أزهـر
نطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفاً في المحشر
وجعل يقاتل فقتل ثلاثة فوارس وثمانية عشر راجلاً ، ثم حمل عليه عبد الله بن قطنة فقتله .

يقول أبو الفرج : أمه العقيلة زينب ابنة علي (عليه السلام) ابنة فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وإليه أشار سليمان بن قتة في قوله :

وانسدي إن بكيت عوناً أخاه ليس في ما ينوبهم بخذول

فلعمري لقد أصيب ذوو القدر بـ فأبكي على المصاب الطويل
وجاء في الزيارة التي زار بها المرتضى علم الهدى رحمه الله :

« السلام عليك يا عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، السلام عليك يا بن
الناسي ، في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والمقتدي بأخلاق رسول الله ، والذاب
عن حريم رسول الله صيباً ، والذائد عن حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله) مباشراً
للحوتف ، مجاهداً بالسيوف ، قبل أن يقوى جسمه ، ويشدّ عظمه ، ويبلغ أشده . .
إلى أن قال :

« فتقرّبت والمنايا دانية ، وزحفت والنفس مطمئنة طيبة ، تلقى بوجهك بواذر السهام ،
وتباشر بمجهتك حدّ الحسام حتى وفدت إلى الله تعالى بأحسن عمل . . » الخ .

ومن شهداء أهل البيت عليهم السلام : عبد الرحمن بن عقيل ، الذي حمل على القوم
وهو يرتجز ويقول :

أبي عقيل فاعرفوا مكاني من هاشم وهاشم إخواني
كهول صدق سادة الأقران هذا حسين شامخ البنيان
وسيد الشيب مع الشبان

فقتل سبعة عشر فارساً ، ثم قتله ، رحمه الله ، عثمان بن خالد الجهني .

يقول الطبري : أخذ المختار إلى البداء اثنين شركا في دم عبد الرحمن بن عقيل وتركوه
عرباناً ، فضرب عنقهما ، ثم أحرقهما .

ثم برز بعده جعفر بن عقيل رحمه الله ، وهو يرتجز ويقول :

أنا الغلام الأبطحي الطالبي
من معشر في هاشم من غالب
ونحن حقاً سادة الذوائب هذا حسين أطيب الأطايب
وقاتل حتى قتل رجلين ، وعلى قول : خمسة عشر فارساً ، ثم قتله بشر بن حوط
الهمداني .

وبرز بعده عبد الله الأكبر بن عقيل ، فقتله عثمان بن خالد ورجل من همدان .

ثم محمد بن مسلم بن عقيل رضي الله عنه ، وقتله أبو مرهم الأزدي ولقيط بن أبياس
الجهني بسهم فقتله .

ثم محمد بن أبي سعيد بن عقيل رحمه الله ، رماه لقيط بن أبياس الجهني .

يقول المؤلف : بعد استشهاد عليّ الأكبر (عليه السلام) جاء ذكر استشهاد عبد الله بن مسلم بن عقيل ؛ غير أنّ من استشهد في نصرة الإمام الحسين (عليه السلام) من آل عقيل بلغوا بالروايات المعتمدة سبعة مع مسلم ، وكذلك عدّهم سليمان بن قتّة في مرثية الحسين (عليه السلام) إذ قال :

يا عين جودي بعبرة وعويل فانسدي إن بكيت آل الرسول
سنة كلهم لصلب عليّ قد أصيبوا وسبعة لعقيل

استشهد القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام : عزم القاسم بن الحسن عليها السلام على القتال فأقبل إلى عمّه يستأذنه ، نظر إليه الحسين (عليه السلام) فلم يملك نفسه دون أن تقدّم إليه واعتنقه ، وجعل يكيان حتى أنها كما في رواية : غشي عليها .

ثم إنّ القاسم استأذن عمّه في المبارزة ، فأبى أن يأذن له ، فلم يزل يتوسّل إليه ، ويقبل يديه ورجليه حتى أذن له ، فخرج ودموعه تسيل على خديّه وهو يقول :

إن تنكروني فأنا ابن الحسن سبط النبي المصطفى والمؤمن
هذا حسين كالأسير المرتهن بين أناس لا شقوا صوب المزن
فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل على صغر سنّه خمسة وثلاثين رجلاً .

قال حميد بن مسلم : كنت في عسكر ابن سعد فخرج علينا غلام كأن وجهه شقّة قمر طالع ، وعليه قميص وإزار ، وفي رجله نعلان انقطع شعاع أحدهما ، ما أنسى أنها كانت اليسرى ، فقال عمرو بن سعد الأزديّ : والله لأشدنّ عليه ، فقلت ؛ سبحان الله ، وما تريد بذلك ؟ فوالله لو ضربني ما بسطت إليه يدي ، يكفيه هؤلاء الذين تراهم قد احتشوه ، فقال : والله لأفعلنّ .

فشدّ عليه ، فما ولى حتى ضرب رأس الغلام بالسيف ففلقه ، فوقع الغلام لرجله وصاح : يا عمّاه ! فأناه الحسين كالصفر المنقّض ، وتخلّل الصفوف ، ثم شدّ شدّة الليث إذا غضب ، حتى إذا وصل إلى عمرو اللعين ضربه بالسيف ، فاتقاه عمرو بيده فاطنّها من المرقف ، فصاح صيحة عظيمة .

وحملت خيل أهل الكوفة ليستنفذوا عمراً من الحسين ، فاستقبلته بصدورها ، ووطته بحوافرها حتى مات .

فانجلت الغبرة ، فإذا بالحسين قائم على رأس الغلام ، وهو يفحص برجله والحسين يقول :

« يَمْزُ اللَّهُ عَلَى عَمَلِك أَنْ تَدْعُوهُ فَلَا يَجِيبُكَ ، أَوْ يَجِيبُكَ فَلَا يَعِينُكَ ، أَوْ يَعِينُكَ فَلَا يَغْنِي عَنْكَ ، بَعْدَ لِقَوْمٍ قَتَلُوكَ ، هَذَا يَوْمُ اللَّهِ كَثْرَ وَاتَرَهُ ، وَقُلْ نَاصِرُهُ » .

ثُمَّ احْتَمَلَهُ ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَجُلِي الْغُلَامِ تَخَطَّانَ فِي الْأَرْضِ ، وَقَدْ وَضَعَ صَدْرَهُ عَلَى صَدْرِهِ ، فَجَاءَ بِهِ حَتَّى الْقَاهِ مَعَ وَلَدِهِ عَلِيٍّ وَالْقَتْلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« اللَّهُمَّ احْصِهِمْ عِدْدًا ، واقتلهم بَدْءًا ، وَلَا تَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ، وَلَا تَغْفِرْ لَهُمْ أَبَدًا » .
ثُمَّ قَالَ :

« صَبْرًا يَا بَنِي عُمُومِي ^(١) ، صَبْرًا يَا أَهْلَ بَيْتِي ، لَا رَأَيْتُمْ هَوَانًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَبَدًا » .

لَا يَخْفَى أَنَّ فَصَّةَ مَصَاهِرَةِ الْقَاسِمِ (عَلَيْهِ السَّلَام) فِي كَرْبَلَاءَ وَتَزْوِيجِهِ مِنْ فَاطِمَةَ ابْنَةِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) لَا صَحَّةَ لَهَا ، ذَلِكَ أَنَّهُ لَا وَجُودَ لَهَا فِي الْكُتُبِ الْمَعْتَبَرَةِ ، وَعِلَاوَةَ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَدْ كَانَتْ لِلْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) بَنَتَانِ كَمَا وَرَدَ فِي الْكُتُبِ الْمَعْتَبَرَةِ ، إِحْدَاهُمَا سَكِينَةُ وَعَنْهَا يَقُولُ الشَّيْخُ الطَّبْرِسِيُّ : زَوْجُهَا سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَدْ اسْتَشْهَدَ عَبْدُ اللَّهِ قَبْلَ الزَّفَافِ ؛ وَالثَّانِيَةُ فَاطِمَةُ ، وَكَانَتْ زَوْجَةً لِلْحُسَيْنِ الْمُثْنَى الَّذِي شَهِدَ كَرْبَلَاءَ كَمَا تَقَدَّمَ الْقَوْلُ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ أَحْوَالِهِ .

أَمَّا إِذَا قِيلَ - وَاسْتِنَادًا إِلَى الْكُتُبِ غَيْرِ الْمَعْتَبَرَةِ - : إِنَّهُ كَانَتْ لِلْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) فَاطِمَةُ أُخْرَى يُقَالُ لَهَا فَاطِمَةُ الصَّغْرَى ، وَكَانَتْ فِي الْمَدِينَةِ ، وَأَنَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَام) لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعْقِدَ لِلْقَاسِمِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهَا ، فَالَّهِ تَعَالَى هُوَ الْعَالِمُ .

يَقُولُ الشَّيْخُ الْمُتَحَدِّثُ الْقَدِيرُ ثِقَّةُ الْإِسْلَامِ الْحَاجُّ مِيرْزَا حُسَيْنُ النَّوْرِيِّ ، نَوَّرَ اللَّهُ مَرْقَدَهُ ، فِي كِتَابِ (اللَّوْلُو وَالْمَرْجَانِ) :

« بِمُقْتَضَى الْكُتُبِ الْمَعْتَمَدَةِ السَّالِفَةِ كَافَّةً ، الْمُؤَلَّفَةِ فِي فَنِّ الْحَدِيثِ وَالْأَنْسَابِ وَالسِّيَرِ لَا يُمْكِنُ الْعُثُورُ لِسَيِّدِ الشَّهَدَاءِ (عَلَيْهِ السَّلَام) عَلَى بَنْتٍ قَابِلَةٍ لِلتَّزْوِيجِ وَهِيَ دُونَ زَوْجٍ ، ذَلِكَ أَنَّهُ قُطِعَ النَّظَرُ - عَنْ صَحَّةِ هَذَا الْأَمْرِ ، وَإِنْ سَقَمَهُ - كَمَا تَمَّ نَقْلُ وَقُوعِهِ - مُمْكِنٌ .

أَمَّا فَصَّةُ زَيْبِدةَ وَشَهْرَبَانُو وَالْقَاسِمِ الثَّانِي فِي أَرْضِ الرِّيِّ وَأَطْرَافِهَا ، وَالدَّائِرَةُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَوَامِّ ، فَهِيَ مِنَ الْخَيَالَاتِ الْوَاهِيَةِ الَّتِي وَضَعَتْ فِي ظَهْرِ كِتَابِ (رَمْوزِ حِمَاةِ) وَسَائِرِ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ ، وَالشَّوَاهِدُ عَلَى زَيْفِهَا كَثِيرَةٌ ، وَقَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْأَنْسَابِ جَمِيعُهُمْ أَنَّ الْقَاسِمَ بْنَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) لَمْ يَعْقِبْ . انْتَهَى كَلَامُهُ ، رَفَعَ مَقَامَهُ .

(١) بنو عمومتهم (ع) : بنو عقيل ومسلم ، وبنو جعفر ، وعبد الله بن جعفر .

يقول بعض أرباب المقاتل : وبعد مقتل القاسم (عليه السلام) خرج عبد الله بن الحسن (عليه السلام) وهو يقول :

إن تنكروني فأننا ابن حيدرة ضرغام آجام وليث فسورة
على الأعداء مثل ربح صرصرة أكيلكم بالسيف كبل السندرة^(١)
ثم حل على القوم فقتل أربعة عشر رجلاً ، ثم قتله هانيء بن ثابت الحضرمي ، فأسود وجهه .

قال أبو الفرج : كان أبو جعفر الباقر (عليه السلام) يذكر أن حرمة بن كاهل الأسدي قتله .

يقول المؤلف : ستحدث عن مقتل عبد الله ضمن الحديث عن مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) إن شاء الله تعالى .

ثم أبو بكر بن الحسن (عليه السلام) ، وأمه أم ولد ، وكان أخاً شقيقاً للقاسم^(٢) ، وقد قتله عقبة الغنوي ، وإلى هذا يشير سليمان بن قتة في قوله :

وعند غني فطرة من دماننا وفي أسد أخرى تُعمد وتذكر

يقول المؤلف : رأيت مكتوباً في بعض المشجرات : أبو بكر بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قتل في السلف ، ولا عقب له ، وقد زوجه الإمام الحسين (عليه السلام) ابنته سكينه ، ودعه في بني غني .

استشهاد أبناء أمير المؤمنين (عليه السلام)

لما رأى أبو الفضل العباس بن علي (عليها السلام) كثرة القتل في أهل بيته دعا إخوته عبد الله وجعفرًا وعثمان بن أمير المؤمنين (عليه السلام) لأمرهم أم البنين ، وقال لهم :

« تقدّموا بنفسي أنتم فحاموا عن سيّدكم حتى تموتوا دونه » .

فاستجاب إخوة أبي الفضل لدعوة أخيه ، وأقبلوا جميعاً فوقفوا أمام الحسين (عليه السلام) وقدموا أرواحهم وقاءً لروحه (عليه السلام) ، واستقبلوا السهام والرماح والسيوف بوجوههم وأعتاقهم .

(١) السندرة : مكياك كبير .

(٢) قيل : يقال إن أم القاسم هي أم أبي بكر ، واسمها رملة .

« فحمل هانيء بن ثابت الحضرمي على عبد الله بن علي (عليه السلام) فقتله ، ثم حمل على أخيه جعفر بن علي (عليه السلام) فقتله أيضاً ، ورمى يزيد الأصبحي عثمان بن علي (عليه السلام) بسهم فقتله ، ثم خرج إليه فاحتز رأسه ؛ وبقي العباس بن علي قائماً أمام الحسين يقاتل دونه ، ويميل معه حيث مال حتى قُتل سلام الله عليه . »

يقول المؤلف : نقلت هذه الأسطر التي قيلت في مقتل أبناء أمير المؤمنين (عليه السلام) عن كتاب أبي حنيفة الدينوري الذي كان قد كتبه قبل أكثر من ألف سنة ، لكنه جاء في المقاتل الأخرى أن عبد الله بن علي (عليه السلام) تقدّم وهو يقول :

أنا ابن ذي النجدة والإفضال ذاك عليّ الخير ذو الفعّال
سيف رسول الله ذو النكال في كلّ يوم ظاهر الأهوال
ثمّ قاتل قتالاً شديداً حتى قتله هانيء بن ثابت الحضرمي بعد أن اختلفا ضربتين ،
ويقول أبو الفرج : كانت سنة في ذلك اليوم خمساً وعشرين سنة .
ثمّ برز جعفر بن علي (عليه السلام) وهو يقول :

إنّي أنا جعفر ذو المعالي ابن عليّ الخير ذي النوال
حسبي بعمّي جعفر والخال أحمي حسناً ذا الندى المفضال
فحمل عليه هانيء بن ثابت فقتله ، ويقول ابن شهر آشوب : رماه خويّ بن يزيد الأصبحي بسهم فأصاب شقيقته أو عينه فقتله ، ويروي أبو الفرج عن الباقر (عليه السلام) أن قاتل جعفر هو خويّ .

ثمّ تقدّم عثمان بن علي (عليه السلام) إلى القتال وهو يقول :

إنّي أنا عثمان ذو المفاخر شيخني عليّ ذو الفعّال الظاهر
هذا حسين سيّد الأخابر وسيّد الصغار والأكابر
وقاتل حتى رماه خويّ الأصبحي بسهم وقع في جبينه فسقط عن فرسه إلى الأرض ،
فجاءه رجل من بني دارم فاحتز رأسه ؛ وكانت سنة في ذلك اليوم إحدى وعشرين سنة ؛
وروي عن علي (عليه السلام) أنه قال : « إنّما سمّيته باسم أخي عثمان بن مظعون . »

يقول المؤلف : عثمان بن مظعون واحد من أجلاء الصحابة الكبار ، ومن خاصّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وكان يحبه كثيراً ، كان عظيم الجلالة ناسكاً زاهداً يصوم النهار ويقوم الليل ، وجلالة شأنه أعظم من أن تذكر ، توفي في المدينة في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة ، ويقال إنه أوّل مدفون في مقبرة البقيع ، ويروي أنّ الرسول (صلّى الله

عليه وآله) قام بقبْله بعد موته ؛ ولما توفي إبراهيم ابنه (صَلَّى الله عليه وآله) قال : « والحفك بسلفك الصالح عثمان بن مظعون » .

يقول السيد السهموري في تاريخ المدينة : الظاهر أن بنات النبي (صَلَّى الله عليه وآله) جميعهن قد دفنن حيث دفن عثمان بن مظعون ، ذلك أن النبي (صَلَّى الله عليه وآله) وضع حجراً عند رأس عثمان بن مظعون بعد دفنه وقال ما مؤذاه : بهذا الحجر أضع علامة لقبر أخي ، وأدفن عنده من يموت من بني .

استشهاد أبي بكر بن علي (عليه السلام) : اسمه غير معلوم ، وأمه ليلي ابنة مسعود بن خالد ، وجاء في (المناقب) أنه برز إلى القتال وهو يقول :

شيخني عليّ ذو الفقار الأطول من هاشم الخير الكريم المفضل
هذا حسين ابن النبي المرسل عنه نحامي بالحسام المصقل
تفديته نفسي من أخ مبجل

وقاتل حتى قتله زجر بن بدر ، وعلى قول : عقبة الغنوي ، ويُقل عن المدائني أنه وجد مقتولاً في ساقية^(١) لا يدري من قتله .

ويروي السيد ابن طاووس أن الحسن المثنى قاتل بين يدي عمه الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء ، وقتل سبعة عشر رجلاً من الأعداء ، وأصيب بشانٍ عشرة جراحة ، وسقط على الأرض ، فألق به أسماه بن خارجة - وكان قريبه لأمه - إلى الكوفة فداواه فشفي ، ثم حمله إلى المدينة .

استشهاد غلام من آل الحسين (عليه السلام) : قال أرباب المقاتل : إن غلاماً خرج من الفسطاط لما كان الإمام الحسين (عليه السلام) خارجاً ، وهو يضع قرطين من الدر في أذنيه ، وهو يلتفت يميناً وشمالاً حيران خائفاً ، وكان من هول الواقعة يرتجف مضطرباً ، وكان القرطان في أذنيه يتذبذبان كلما التفت ، ثم وهو على هذه الحال من الذعر - حمل عليه اللعين هانيء بن ثابت فقتله ، وقبل إن شهر بانو لما شهدت مصرعه وقفت لدَهشتها لا تستطيع حراكاً ولا طلباً للنصرة .

ولكن لا يخفى أن شهر بانو هذه هي غير أم زين العابدين (عليه السلام) ، فترك إنما توفيت أيام ولادته (عليه السلام) .

(١) الساقية : الجدول ، ويظهر أن المراد منه هنا نهر متفرع عن الفرات لسقاية النخل .

وقد أورد الطبري قصة مصرع هذا الغلام بنحو أبسط ، ونحن ننقل هنا عباراته بعينها :

« روى أبو جعفر الطبري عن هشام الكلبي ، قال : حدثني أبو هذيل - رجل من السكون - عن هانئ بن ثابت الحضرمي ، قال : رأيته جالساً في مجلس الحضرميين في زمان خالد بن عبد الله وهو شيخ كبير ، فسمعتة وهو يقول :

« كنت ممن شهد قتل الحسين (عليه السلام) ، قال : فوالله إنني لواقف عاشر عشرة ليس من رجل إلا على فرس ، وقد جالت الخيل وتصعصعت ، إذ خرج غلام من آل الحسين (عليه السلام) وهو ممسك بعود من تلك الأبنية ، عليه إزار قميص ، وهو مذعور يلتفت يمينا وشمالاً ، فكأنني أنظر إلى درتين في أذنيه تذبذبان كلما التفت ، إذ أقبل رجل يركض ، حتى إذا دنا منه مال عن فرسه ، ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف .

قال هشام : قال السكوني : هانئ بن ثابت هو صاحب الغلام ، فلما عُتب عليه كفى عن نفسه » .

استشهاد أبي الفضل العباس (عليه السلام) : كان العباس (عليه السلام) أكبر أبناء أم البنين ، والابن الرابع لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، يكنى بأبي الفضل ، ويلقب بالسقاء^(١) ، وكان صاحب لواء الإمام الحسين (عليه السلام) .

كان العباس رجلاً وسيماً جليلاً حتى كان يدعى بقمر بني هاشم ، يركب الفرس المطهّم ورجلاه تحطّان في الأرض لطوله ، كان أخاً من أب وأم ثلاثة إخوة وكانوا ثلاثتهم بلا عقب ، بعث بهم أبو الفضل امامه حتى يراهم قتل ويحتسبهم .

ولما قتل إخوته الثلاثة على النحو الذي تقدّم جاء إلى أخيه الحسين (عليه السلام) يستأذنه ويسأله الرخصة في القتال ، فبكى الحسين بكاء شديداً وقال :

« يا أخي ، أنت صاحب لوائي ، وإذا مضيت تفرّق عسكري » .

فقال له العباس : « يا أخي ، قد ضاق صدري وسئمت الحياة ، وأريد أن اطلب ثاري من هؤلاء المنافقين » .

(١) قال إبراهيم بن محمد البيهقي أحد أعلام القرن الثالث في كتاب (المحاسن والمساوي) عند ذكر نزول الحسين (ع) وأصحابه كربلاء ما لفظه : « فزّلوا وبينهم وبين الماء سير ، قال : فأراد الحسين (عليه السلام) وأصحابه الماء فحاليوا بينهم وبينه ، فقال له شمر بن ذي الجوشن : لا تشربون أبداً حتى تشربوا من الحميم ، فقال العباس بن علي (ع) للحسين (ع) : ألسنا على الحق؟ قال : نعم ، فحمل عليهم فكشفهم عن الماء حتى شربوا واستقروا .

فقال الحسين (عليه السلام) : إذا فاطلب هؤلاء الأطفال قليلاً من الماء .

فذهب العباس إلى القوم ووعظهم وحذّرههم غضب الجبار ، وطلب منهم شيئاً من الماء لبلاطفال ، فلم ينفهم وعظه ، فرجع إلى أخيه وأخبره ، فسمع الأطفال ذلك فراحوا ينادون : العطش ، العطش .

فركب فرسه وأخذ رمحاً والقرية وقصد الفرات ، فأحاط به أربعة آلاف من كانوا موكلين بالفرات ، فرموه بالنبال ، فحمل عليهم وهو يرتجز ويقول :

لا أُرهب الموت إذ الموت زقا^(١) حتى أوارى في المصاليب^(٢) لبقا
نفسى لنفس المصطفى الطهر وقا إني أنا العباس أغدوا بالسقا
ولا أخاف الشر يوم المنتقى

وكان لا يحمل على جانب منهم إلا كشفهم حتى قتل منهم - على ما روي - ثمانين رجلاً ، حتى دخل الشريعة ، ثم اغترف من الماء غرفة وأدناها من فمه ليشرب ، فتذكر - لشدة عطشه وضرام كبده - عطش أخيه الحسين وأهل بيته ، فرمى الماء من يده ، ثم ملا القرية وحملها على كتفه الأيمن ، وركب جواده وتوجه نحو الخيام مسرعاً ليوصل الماء إلى العطاشي من الأطفال ، فأخذوا عليه الطريق وأحاطوا به من كل جانب ، فقاتلهم حتى كمن له نوفل الأزرق - وفي رواية : زيد بن ورقاء - خلف نخلة ، وأعانته حكيم بن الطفيل ، فضربه على يده اليمنى فقطعها ، فحمل القرية على كتفه الأيسر ، وأخذ السيف بشاله ، وحمل عليهم وهو يقول :

والله إن قطعتم عيني إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين

وقاتل سلام الله عليه ، حتى ضعف عن القتال ، فكمن له حكيم بن الطفيل وراء نخلة وضربه على شاله فقطعها من الزند ، فأنشأ يقول :

يا نفي لا تخشي من الكفار وأبشري برحمة الجبار
مع النبي السيد المختار قد قطعوا ببغيهم يساري
فأصلهم يا رب حر النار

(١) زقا : صاح ، تزعم العرب أن للموت طائراً يصبح ويسمونه الهامة ، ويقولون : إذا قتل الإنسان ولم يؤخذ بثارته زقت هامة حتى يثار له .

(٢) المصاليب : جمع مصلات ، وتعني الرجل الشجاع المصلت سيفه .

أخذ القربة بأسنانه ، وجعل يسرع نحو المخيم ، فجاء سهم فأصاب القربة فأريق ماؤها ، وجاء سهم فأصاب صدره ، فسقط عن جواده .

عَمَرُوهُ بِالنَّبْلِ وَالسَّمْرِ الْعَوَاسِلَ وَالْبَيْضَ الْفَوَاصِلَ مِنْ فَرْقٍ إِلَى قَدَمٍ
فَحَزَرَ لَلْأَرْضِ مَقْطُوعَ الْيَدَيْنِ لَهُ مِنْ كُلِّ مَجْدٍ يَمِينٍ غَيْرِ مَنْجَمٍ
وصاح إلى أخيه الحسين : أدركني يا أخي ، وفي رواية المناقب : أن لعيناً ضربه بعمود حديدي على رأسه فقتله ، ولما سمع الحسين (عليه السلام) نداءه سارع إليه ، فلماذا به يجده متخذاً بالجراح ، مقطوع اليدين ، فبكى وقال :
« الآن انكسر ظهري ، وقلّت حيلتي » .

وفي رواية أنه أخذ ينشد :

تَعَذَّبْتُمْ يَا شَرَّ قَوْمٍ بِبَغْيِكُمْ وَخَالَفْتُمْ دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
أَمَا كَانَ خَيْرَ الرُّسُلِ وَصَّاكُمْ بِنَا أَمَا نَحْنُ مِنْ نَسْلِ النَّبِيِّ الْمَدَّدِ
أَمَا كَانَتْ الزُّهْرَاءُ أُمِّيْ دُونَكُمْ أَمَا كَانَ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدُ
لُعْنَتُمْ وَأَخْزَيْتُمْ بِمَا قَدْ جَنَيْتُمْ فَسَوْفَ تَلْقَوْنَ حَرَّ نَارٍ تَوْقَدُ

ويروى في حديث عن الإمام السَّجَّاد (عليه السلام) أنه قال :

« رحم الله عمّي العباس ، فقد أثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يده فأبدنه الله عز وجل بها جناحين يطير بها مع الملائكة في الجنة ، وإن للعباس عند الله منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة » .

قالوا : وكان للعباس (عليه السلام) حين استشهد أربع وثلاثون سنة من العمر ، وكانت أم البنين تخرج إلى البقيع فترثي العباس وإخوته ، وتندبهم بأشجى ندبة وأحرقتها ، فيجتمع لساع رثائها أهل المدينة ، ويكون لشجى الندبة ورقة الرثاء ، وليس بكأوهم بعجيب ، فهذا مروان بن الحكم ، العدو اللدود لأهل بيت النبوة ، يبكي ليكاثها .

ونقل من رثاء أم البنين لأبنائها قولها :

يا من رأى العباس كَرَّ على جماهير النَّقَدِ

ووراء من أبناء حيدر كلِّ لِيثٍ ذِي لَبَدِ

أنبت أن ابني أصيب برأسه مقطوع يد

ويط على شيلي أَمَالٍ برأسه ضرب العمد

لو كان سيفك في يدك لما دنا منك أحد

ومن رثائهم أيضاً :

لا تدعوني ويك أم البنين تذكريني بليوث العرين
كانوا بنون لي أدعى بهم واليوم أصبحت ولا بنين
أربعة مثل نسور الربى قد واصلوا الموت بقطع الوتين
يا ليت شعري أكما أخبروا بأن عباساً قطع اليمين

هذا وسترده مرثي لأبي الفضل سلام الله عليه في فصل المراثي إن شاء الله تعالى ، ومن المناسب هنا إيراد بعض منها .

وما زال في حرب الطفلة مجاهداً إلى أن هوى فوق الصعيد مجذلاً
وقد رشقوه بالنبال وخرقوا له قربة الماء الذي كان قد ملا
فنادى حسناً والدموع هوايل أيا بن أخي^(١) قد خاب ما كنتُ آملاً
عليك سلام الله يا بن محمد على الرغم مني يا أخي نزلت البلا
فلما رآه السبط سلقى على الثرى يعالج كرب الموت والدمع أهلاً
فجاء إليه والفؤاد مقرح ونادى بقلب بالهموم قد امتلا
أخي كنت عوني في الأمور جميعها أبا الفضل يا من كنت للنفس باذلاً
بعز علينا أن نراك على الثرى طريحاً ومنك الوجه أضحى مرزلاً

في مبارزات أبي عبد الله الحسين واستشهاده (عليه السلام)

ينقل عن بعض أرباب المقاتل أن الحسين (عليه السلام) لما بقي وحيداً ، ونظر إلى اثنين وسبعين من أصحابه وأهل بيته صرعى مجذلين على وجه الأرض عزم على الموت وملاقاة الحتوف ، فجاء حتى وقف بباب خيمة النساء مودعاً مخدرات الرسالة وعقائل النبوة ونادى :

« يا سكينه ويا فاطمة ويا زينب ويا أم كلثوم عليكن مني السلام » .

فقمين وأرسلن الدموع تلهفاً وأسكن منه الذيل منتحبات
إلى أين يا بن المصطفى كسوكب الدجى ويا كهف أهل البيت في الأزمان
فيا ليتنا متنا ولم نر ما نرى ويا ليتنا لم نمتحن بحياة
فمن لليتنامي إذ تهدم ركنهم ومن للعذارى عند فقد ولادة

(١) لعلها : أيا بن أبي (المعرب) .

فنادته سكينه : يا أبة ، آستسلمت للموت ؟

فقال : وكيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين ؟

ف قالت : رُدُّنا إلى حرم جدنا رسول الله .

فقال : هيهات ! (لو تُرك القطا لنام) ، متمثلاً بمضمون قول الشاعر :

لقد كان القطاة بأرض نجدٍ قرير العين لم تجد الغراما
تولّسته البزاة فهيمته ولو تُرك القطا لغفا وناما

فارتفعت أصوات النساء بالبكاء ، فالتفت (عليه السلام) إلى أمّ كلثوم وقال :

« أوصيك يا أخية بنفسك خيراً ، وإنّي بارز إلى هؤلاء القوم » .

وداعه (عليه السلام) لأهل بيته ؛ يقول المؤلف : إنّ مصابب الإمام الحسين (عليه السلام) كلّها لها في القلب حرقه ، وفي العين دمه ، لكنّ مصيبة الوداع لعلّها أشدّ تأثيراً وإيلاماً في النفس ، خاصّة وأنّ صغاره وأطفاله ، وبني قرياه ممّن كانوا منه بمنزلة أولاده (عليه السلام) ، كانوا يحيطون به جميعاً وهم يبكون ويعولون .

ويشهد على هذا ما روي من أنّ الحسين (عليه السلام) لما بلغ قصر بني مقاتل ورأى فسطاط عبد الله بن الحرّ الجعفي ، فبعث إليه الحجاج بن مسروق يدعوّه إليه ، فلم يستجب ، فمضى إليه (عليه السلام) بنفسه في جماعة من أهل بيته وصحبه .

وينقل عن عبيد الله بن الحرّ قوله ؛ قدم عليّ الحسين ولحيته كأنّها جناح غراب ، فما رأيت أحداً قطّ أحسن منه ، ولا أملاً للعين منه ، فما رقت على أحد رقتي عليه حين رأيتّه يمشي والصبيان حوله . انتهى .

كما يؤيد قولنا حكاية الميرزا يحيى الأبهريّ قال :

رأيت في منامي العلّامة المجلسي (ره) في صحن سيّد الشهداء المطهر ، في الطرف الأذن عند باب قبة الصفا ، وهو مشغول بالتدريس ، فبعد أن قال موعظة ، وأراد الشروع في الحديث عن المصائب أتاه شخص فقال : إنّ الصديقة الطاهرة سلام الله عليها تقول لك :

« اذكر المصائب المشتملة على وداع ولدي الشهيد » .

فأقبل المجلسيّ يتحدّث عن مصيبة الوداع ، وأخذ الناس يبكون بكاء شديداً لم أر مثله عمري .

أقول : ورد في الرؤيا نفسها أنّ الحسين (عليه السلام) قال له :

« قولوا لأوليائنا وأمنائنا يَتَمَوَّنُون في إقامة مصائبنا » .

وصيته لزِين العابدين (عليه السلام) : هذا ويروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) دعا ابنته الكبرى فاطمة وأعطاهما كتاباً مطوياً ووصيته ظاهرة ، وأنَّ عليَّ بن الحسين كان مريضاً ، فأخذت فاطمة الكتاب إليه ، وأعطته إيَّاه ، ثمَّ وصل إلينا (إلى الباقر (عليه السلام)) .

وجاء في (إثبات الوصية) أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) أحضر عليّاً ابنه ، وكان عليّاً ، فأوصاه بالاسم الأعظم ومواريث الأنبياء عليهم السلام ، وأطلعه أنَّ العلوم والصحف والمصاحف والسلاح التي هي من مواريث الأنبياء ، مودعة عند أم سلمة رضي الله عنها ، وأمره باستعادتها عند رجوعه .

وجاء في (دعوات الراوندي) عن الإمام زين العابدِين (عليه السلام) أنه قال :

« ضَمَنِي أَبِي إلى صدره في اليوم الذي قتل فيه ، والدعاء تغلي ، وقال :

« أَي بَنِي ، احفظ عَنِّي دعاء عَلَمْتَنِيهِ فاطمة صلوات الله عليها ، وَعَلَّمَهَا إِيَّاه رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) عَلَّمَهُ إِيَّاه جبرئيل ، من أجل الحوائج والمهمات العظيمة والبلايا الشديدة إذا نزلت ، وقال له : قل :

« بِحَقِّ يَاسِينَ والقرآن الحكيم ، وَبِحَقِّ طه والقرآن العظيم ، يا من يقدر على حوائج السائلين ، يا من يعلم ما في الضمير ، يا مَنْفَساً عن المكروبين ، يا مَفْرَجاً عن المغمومين ، يا راحم الشيخ الكبير ، يا رازق الطفل الصغير ، يا من لا يحتاج إلى التفسير ، صَلِّ على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ، وافعل بي كذا وكذا » .

وجاء في (الكافي) أنَّ الإمام زين العابدِين (عليه السلام) ضَمَّ الباقر (عليه السلام) إلى صدره لما حضرته الوفاة وقال له :

أي بني ، أوصيك بما أوصاني به أَبِي لما حضرته الوفاة ، وقال : لقد أوصاني أَبِي فقال :

« يا بَنِي ، إِيَّاكَ وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إِلَّا الله » .

يقول الراوي : وعزم الحسين (عليه السلام) على الموت بنفسه المقدسة ، فلمَّا رآه ابنه زين العابدِين (عليه السلام) وحيداً لا ناصر له خرج - وكان عليّاً لا يقدر على حمل سيفه لضعفه - فنادته أم كلثوم من خلفه : يا بَنِي ارجع ، فقال : يا عَمَّتاه ، ذريني أقاتل بين يدي

ابن رسول الله ، فصاح الحسين (عليه السلام) : يا أمّ كلثوم ، خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد (صلى الله عليه وآله) .

ثم نادى الحسين (عليه السلام) بأعلى صوته :

« هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله ؟ هل من موحد يخاف الله فينا ؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا ؟ »

فارتفعت أصوات النساء بالبكاء والعيول ^(١) .

استشهد الطفل الرضيع : ثم تقدّم سلام الله عليه إلى باب الخيمة ، فطلب من اخته زينب سلام الله عليها أن تأتية بطفله ليودّعه ، فأخذه في حجره بقلبه ويقول : « ويل لهؤلاء القوم إذا كان جدّك المصطفى خصمهم ! » فرماه حرملة بن كاهل الأسديّ بسهم فذبّحه - وهو في حجر أبيه - فتلقّى الحسين دمه بكفه ورمي به نحو السماء وقال : « هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله » ، ثم ناوله لعمته زينب (عليها السلام) .

وينقل السبط بن الجوزي في (التذكرة) عن هشام بن عمّاد الكلبيّ أنّ الحسين (عليه السلام) لما رأى إصرار القوم على قتله رفع القرآن المجيد فوق رأسه بعد أن فتحه وقال :

« بيني وبينكم كتاب الله ، وجدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أيّها القوم ، لماذا تستحلّون دمي ، ألسن ابن بنت نبيكم ، ألم يبلغكم قول جدّي في حقّي وحقّ أخي الحسين : هذان سيّدان شباب أهل الجنة ؟ » .

ثم إنّ نظره وقع على طفل له يكي من شدّة العطش ، فألق به وهو يقول : « يا قوم ، إن لم ترهموني فارحوا هذا الطفل » ، فرماه أحدهم بسهم فجاء في نحره ، فبكى الحسين (عليه السلام) وقال : « اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا » . فسمع (عليه السلام) هاتفاً يقول : « دعه يا حسين فإنّ له مرضعاً في الجنة » .

وجاء في (الاحتجاج) أنّه نزل (عليه السلام) عن فرسه ، وحفر به بعجن سيفه ، ودفعه مرماً بدمه .

(١) جاء في كتاب (الحقائق الوردية) أنّه لما استشهد أنصار الحسين وأصحابه يوم عاشوراء جعل (ع) ينادي : « ألا ناصر فيصيرنا ؟ » فسمع النساء والأطفال صوته فرحوا بصرخون ويعولون .

ولما سمع سعد بن الحرث الأنصاري المجلاي وأخوه أبو الحنفوف نداءه - وكانا في عسكر ابن سعد - وسمعا صياح العيال ، سالّا إلى جانبه ، فقاتلا فقتلا جماعة وجرحا آخرين حتى استشهدا أخيراً ، رحمة الله عليهما .

ويروي الطبري عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أن سهياً أتى الصبي وهو في حجره فذبحه ، فجعل يمسح الدم عنه^(١) ويقول : ۞ اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا^(٢) .

ثم دعا عليه السلام بحبرة - وهي ثوب يمانى - فمزقها ولبسها ، وتقدم إلى القتال بسيفه . انتهى .

قتال الحسين (عليه السلام) : بعد أن انتهى (عليه السلام) من أمر العفل ركب فرسه ، وتوجه نحو القوم وهو يقول :

كفر القوم وقدماً رغبوا عن ثواب الله ربّ الثقلين
قتل القوم علياً وابنه حسن الخير كريم الأبوين
حنقاً منهم وقالوا : اجمعوا واحشروا الناس إلى حرب الحسين
ثم تقدم (عليه السلام) نحو القوم مصلاً سيفه ، آيساً من الحياة ، عازماً على الموت ، وأنشأ يقول :

أنا ابن عليّ الطاهر من آل هاشم كفاي بهذا مفخراً حين أفخر
وجدي رسول الله أكرم من مثي ونحن سراج الله في الخلق يزهر
وقاطم أمي من سلالة أحمد وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقاً وفينا الهدى والوحي بالخير يذكر
ونحن أمان الله للناس كلهم نرى بهذا في الأنام ونجهر
ونحن ولاية الخوض نسقي ولاننا بكأس رسول الله ما ليس ينكر
وشيعتنا في الناس أكرم شيعة ومبغضنا يوم القيامة يخمر

ثم إنه دعا الناس إلى البراز ، فلم يزل يقتل كل من برز إليه حتى قتل منهم جمعاً كثيراً من شجعانهم وأبطالهم حتى لم يبرؤ على الخروج إليه أحد ؛ فحمل على الميمنة وهو يقول :

الموت خير من ركوب العار والعار أولى من دخول النار
ثم حمل على الميسرة وهو يقول :

(١) هذا المضمون ليس في (الطبري) بل فيه : أنه (ع) تلقى دمه ، فلما ملا كفيه صبه في الأرض . (المصحح) .

(٢) هذه العبارة لم ترد في الطبري والاحتجاج والإرشاد أبداً ، بل نقلها البسط في (التذكرة) فقط . (المصحح) .

أنا الحسين بن علي أليت أن لا أنثني
أحي عيالات أبي أمضي على دين النبي

قال بعض الرواة : فوالله ما رأيت مكثوراً قط - قد قُتل ولده وأهل بيته وصحبه - أربط جاشاً منه ، ولا أمضي جنازاً ، ولا أجراً مقدماً ، ولم أر قبله ولا بعده مثله ، ولقد كانت الرجال لتشدّ عليه ، فيشدّ عليها فتكشف بين يديه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب ؛ ولقد كان يحمل فيهم - وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً - فينهزمون بين يديه كأنهم الجراد المنتشر ، ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

هندي يصف شجاعته (عليه السلام) : يقول المؤلف : من المناسب في هذا المقام أن ننقل كلاماً لجيمز كاركرن ، الهندي الهندوسي في شجاعة الإمام الحسين (عليه السلام) ، وقد نقل الشيخ المرحوم في (اللؤلؤ والمرجان) عن هذا الشخص الذي كتب كتاباً في تاريخ الصين بلسان الـ (أوردو) اللسان المتعارف في الهند في أيامنا هذه ، وقد تمّ طبعه ، وقد جاء في المجلد الثاني منه في الصفحة ١١١ - في معرض الحديث عن الشجاعة - هذا الكلام الذي ندرج فيما يلي ترجمته عينا :

« مع أن شجاعة رستم وبطولته كانت مشهورة في زمانه إلا أن بضع بطولات مضت جعلت اسم رستم أسامها لا شيء ، كالحسين بن علي (عليهما السلام) ، الذي فاق كلّ الشجعان فاحتلّ مرتبة متقدمة عنهم ، ذلك أن شخصاً تصدر عنه ضروب البطولة في كربلاء ، فوق الرمال المحرقة ، مع قسوة العطش والجوع ؛ ثم يأتي أحدهم ليذكر اسم رستم في مقابله ، فإنّ من يفعل ذلك لم يقرأ التاريخ .

أين القلم القادر على تصوير حال الحسين ، واللسان الذي يمتلك الطاقة على وصف ثبات اثنين وسبعين رجلاً أمام ثلاثين ألفاً من سفاكي أهل الشام ، وشهادة كلّ منهم كما يجب أن تكون الشهادة ، فأين الخيال الدقيق القادر على تصوير أحوالهم وقلوبهم وكلّ ما حلّ بهم منذ أن حاصروهم عمر بن سعد بعشرة آلاف رجل حتى احتزّ الشمر (اللعين) الرأس الأقدس عن جسده .

هناك مثل مشهور : دواء الواحد اثنان ، ويعني أنّه لا يتأتّى عن إنسان وحيد إنجاز ما لم غنّه بآخر ، وليس أكثر مبالغة من أن يقال : إن فلاناً أحيط به من الجهات الأربع إلا الحسين (عليه السلام) الذي أحيط به مع اثنين وسبعين رجلاً من قبل ثمانية صفوف من الأعداء ، ومع ذلك لم يهتزّ رسوخ أقدامهم ، ومع أنّهم أحاط بهم من الجهات الأربع عشرة آلاف من

عسكر يزيد من حملة الأسنة والرماة الذين تنبعت سهامهم مثل رياح الظلام ، فقد كان لهم عدو خامس ألا وهو حرارة شمس بلاد العرب التي لا يمكن وجود نظير لها تحت قبة الفلك ، حتى يمكن القول إن الحرارة عندهم هي غيرها عند غيرهم ؛ أما العدو السادس فكان رمال أرض كربلاء المحرقة التي تزيدها حرارة الشمس ضراماً وحرقه ، فتنبعث منها النار كما تنبعت من رماد تنور مشتعل ، بل يمكن القول إنها بحر قهّار تقلب حباته حبات حارقة في أرجل بني فاطمة .

والواقع أن هناك ضريين آخرين من العدو هما أشد ظلماً وقسوة من غيرهما ، ألا وهما العطش والجوع ، وكان معاً كمقربي ساعة لا يفترقان ، وكان الأمل بانحسار هذين العدوین يضعف مع الوقت حتى تشققت اللسنة من العطش ، فرجال يخوضون معركة كهذه ضد آلاف مؤلفة من الكفار تحتتم بهم كل شجاعة وبطولة حقاً .

لقد تمّ نقل محل الحاجة من كلام هذا الهندوسيّ عابد الأصنام ، الذي استعاض عن وشمه الأسود الجذّاب بوجه ناصع البياض ، وهو أهل لأن يقال في الثناء عليه : بوشمه الهندوسيّ أغضب سمرقند وبخارى .

ويرجع الكلام إلى سياقه الأول :

يقول ابن شهر آشوب وغيره : ولم يزل يقاتل حتى قتل منهم ألفاً وتسعمئة وخمسين رجلاً سوى المجروحين ، فعند ذلك عرف عمر بن سعد اللعين أنه ليس في الكون العريض الواسع تلك القوة والقدرة التي تقوم للإمام الحسين (عليه السلام) ، ولو أن الأمر استمرّ على هذا المنوال لجمع (عليه السلام) جيش ابن سعد كلّ طعمة لسيفه ، فلا غرو أنه صاح بعسكره : الويل لكم ، أنتم الذين تقاتلون ؟ هذا ابن الأنزع البطين ، هذا ابن قتال العرب ، فاحملوا عليه من كلّ جانب .

أعياهم أن ينالوه مبارزة فصوّروا الرأي لاصعدوا الفكر
أن وجهوا نحوه في الحرب أربعة السيف والسهم والخطي والحجرا

فحملوا عليه من كلّ جانب ، ورشقه الرماة بالسهم وكان عددهم أربعة آلاف ، ثم أحاطوا به فحالوا بينه وبين رحله وعياله ، فصاح بهم :

« ويحكم يا شيعة أبي سفيان ، إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم ، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون » .

فناداه الشمر : ما تقول يا بن فاطمة ؟

فقال : « أقول : أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني ، والنساء ليس عليهن جناح ، فامنعوا عناتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حيًّا » .

فقال الشمر : لك هذا ، ثم صاح بالقوم : إليكم عن حرم الرجل ، فاقصدوه بنفسه ، فلمعري فهو كفؤ كريم .

فقصده القوم ، واشتد القتال ، فجعل يعمل عليهم ويعملون عليه ، وهو كالأسد الغضوب يعمل فيهم سيفه ، فيساقطون صرعى ، وكلما حمل على جانب منهم انكشفوا اسمه ، وكلما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه حتى أجلوه عنه ، وقد بلغ العطش به أشده ، فحمل من نحو الفرات على الأعور السلمي وعمرو بن الحجاج ، وكانا في أربعة آلاف على المشرعة ، فكشفهم عن الماء ، وأقحم الفرس على الفرات ، فلما ولغ الفرس ليشرب قال الحسين (عليه السلام) : أنت عطشان وأنا عطشان ، والله لا ذقت الماء حتى تشرب ، فرفع الفرس رأسه كأنه فهم الكلام ، فقال الحسين : اشرب فأنا أشرب ، فمد يده فغرف من الماء ، فناداه فارس : يا حسين ، أنتلذذ بشرب الماء وقد هتكت حرمك ؟ فنفض الماء من يده ، وحمل على القوم فكشفهم ، وقصد الخيمة فإذا هي سالمة ، واجتمع الأهل حوله بقلوب منكسرة وحال قلقه يتعذر وصفها .

وداعه الثاني للأهل والعيال : ثم إنه (عليه السلام) ودّع عياله وأهل بيته ، وأمرهم بالصبر ولبس الأزر ، ووعدهم بالثواب والأجر ، وقال لهم :

« استعدوا للبلاء ، واعلموا أن الله تعالى حاميك وحافظكم ، وسينجيكم من شر الأعداء ، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير ، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب ، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة ، فلا تشكوا ، ولا تقولوا بالستكم ما ينقص من قدركم » .

ثم تقدّم (عليه السلام) إلى القتال ، فحمل على القوم بمحصد رؤوس أولئك المنافقين فراحوا يتساقطون تساقط الأوراق في الخريف حتى تراكمت أجساد القتل كالثلال ، وسالت دماء الفجار على الأرض من ضربات سيفه البتار فاختلطت بترابها ، كان لا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه فقتله ، أو طعنه برمح فصرعه ، والسهام تأخذه من كل جانب وهو يتقيها بصدرة ونحره ، حتى غدت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ .

ويروى عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال :

« أصيب الحسين (عليه السلام) ووجد به ثلاثمئة وبضع وعشرون جراحة .

كما روي أن الجراحات كلّها كانت في مقدّمه الشريف .

ولما ضعف عن القتال وقف ليستريح ساعة ، فبينما هو واقف إذ رماه رجل بحجر وقع في

جبهته الشريفة ، فسالت الدماء على وجهه ، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه وعينه ، فأتاه سهم محدّد مسموم له ثلاث شعب ، فوقع السهم في صدره ، وفي بعض الروايات : وقع في قلبه ؛ فقال (عليه السلام) : « باسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله » ، ورفع رأسه إلى السماء وقال :

« إلهي ، إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن نبيّ غيره » .

ثم أخذ السهم فانخرجه من قفاه ، فانبعث الدم كالميزاب ، فوضع يده على الجرح ، فلمّا امتلأت دماً رمى به نحو السماء فما رجعت من ذلك الدم قطرة ؛ ثم وضع يده ثانياً فلمّا امتلأت لطح بها رأسه ولحيته وقال :

« هكذا أكون حتّى ألقى جدّي رسول الله وأنا مخضوب بدمي ، وأقول : يا رسول الله قتلي فلان وفلان » .

يقول المؤلف : نظم صاحب (معراج المحبّة) هذه المصيبة بنظم جيّد أرى من المناسب إيرادها هنا ، قال ما مضمونه (١) :

عاد إلى مكانه سيّد الأبرار ، ليوقف دماً يسيل من جراحات النزال
فإذا بيد عدوّ لعين ، ترميه بحجر وقع على جبين أحسن الله صنعه
حجر أطلقته يد الحقد والجور فهشم شمساً أبدعتها يد خالق الكون
وانتثر شقائق ورد على وجه عشق سرمد كان يوم أحد وجه محمد
أراد الشاه مسح الدم عن وجهه مُودعاً إيّاه كف الكرامة
وفجأة بان قلب أكثر إشراقاً من الشمس تحت درع
قلب كما الماس تلقى سهماً من يد الحقد ، طفق منه دماً
وانتزع حافظ أهل الإيمان من قفاه نصلاً حديداً مشرباً سماً
مقام الخالق الأواحد الذي لا يماثله شيء ملأه النصل بالدم
وأطلق (سنان) في جنبه سنانة ، فانتقل إلى جنب الله من سنانة

(١) أورد المؤلف اثني عشر بيتاً بالفارسية ، نورد نحن مضمونها ، ثم أعقب تلك الأبيات بيتين اثنين بالعربية ، هما لسان حال سيّد الشهداء (ع) . (العرب) .

ورفع القلب لمرآه راية السكون ، وجواد العشق أوفر عشقاً

وسقط مفخرة نسل آدم قرير العين بسعادة الوصل ، يقول :

تركت الخلق طيراً في هواك وأبتمت العيال لكي أراك
ولر قطعتني في الحب إرباً لما حنّ الفؤاد إلى سواك

ثم ضعف رضوان الله عليه عن القتال فوقف ، فكلّمنا أناه رجل وانتهى إليه ، انصرف عنه رهبة أو خجلاً ، حتّى جاءه رجل من كندة يقال له : مالك بن اليسر ، فشمّ الحسين (عليه السلام) وضربه بالسيف على رأسه وعليه (بُرْنُس) وامتلاً البرنس دماً ، فقال له الحسين (عليه السلام) : « لا أكلت يمينك ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين » ثمّ القى البرنس ، وشدّ رأسه بمنديل ، ودعا بقلنسوة أخرى فلبسها واعتَمَ عليها .

وأخذ الكندي ذلك البرنس ، وكان من خزّ ، فلما قدم بعد الوقعة على امرأته جعل يغسل الدم عنه ، فقالت له امرأته أم عبد الله ابنة الحرّ البديّ : أتدخل بيتي بسلب ابن رسول الله ؟ أخرج عني ، حشا الله قبرك ناراً ؛ فلم يزل بعد ذلك فقيراً بأسوأ حال ، ويبست يده ، وكانت في الشتاء تنضحان دماً ، وفي الصيف تصيران يابستين كأنهما عودان ، إلى أن أهلكه الله تعالى

مصرع عبد الله بن الحسن (عليه السلام) : وقال السيّد (ره) والمفيد (ره) : إن القوم لبشوا هنيئة ثمّ عادوا إلى الحسين (عليه السلام) وأحاطوا به ؛ فلما رأى عبد الله بن الحسن (عليه السلام) عمّه على هذه الحال خرج - وهو غلام لم يراهق - من عند النساء يشتدّ حتّى وقف إلى جنب الحسين (عليه السلام) ، فلحقته زينب سلام الله عليها لتجبه فقال الحسين لأخته : احبيه يا أختاه ، فأبى وامتنع امتناعاً شديداً وقال : لا والله ، لا أفارق عمّي وأهوى أبحر بن كعب إلى الحسين (عليه السلام) بالسيف ، فصاح به الغلام : ويلك يا ابن الحبيثة ، أنقتل عمّي ؟

فضربه أبحر بالسيف فأنقاه الغلام بيده فاطنّها إلى الجلد ، فإذا هي معلقة ، فصاح الغلام : يا عمّاه !! يا أبتاه !! فأخذه الحسين (عليه السلام) فضمّه إلى صدره وقال :

« يا بن أخي ، اصبر على ما نزل بك ، واحتسب في ذلك الخير ، فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين » .

فرماه حرمله بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجر عمّه .

يقول حميد بن مسلم : سمعت الحسين يقول :

« اللهم أسلك عنهم قطر السماء ، وامنهم بركات الأرض . . الخ .

يقول الشيخ المفيد (ره) : حمل الرجال من يمين وشمال على من بقي مع الإمام الحسين (عليه السلام) فقتلوه ، فلم يبق معه سوى ثلاثة أو أربعة .

يقول السيد ابن طاوس وآخرون : قال الحسين (عليه السلام) : ابعثوا إليّ ثوباً لا يرغب فيه ، أجعله تحت ثيابي لئلا أجرد ، فأتى بثياب فقال : لا ، ذاك لباس من ضربت عليه الذلّة ، وكان ضيقاً ، فأتى بأوسع منه فلبسه .

وفي رواية السيد أنه أتى بثوب خلق فخرقه وجعله تحت ثيابه ، فلما قتل جردوه منه .

وقائع استشهاده (عليه السلام) : يقول الشيخ المفيد (ره) : ولما لم يبق مع الحسين (عليه السلام) سوى ثلاثة نفر من أهله ، أي من غلبانه ، وقف يدفع عنه حملات القوم ، وقام الثلاثة يحمونه حتى قتلوا ، وبقي وحيداً .

ومن كثرة الجراحات التي أصابته في رأسه وبدنه أعياه وثقل عن القتال فرفع سيفه في وجه القوم يدفعهم عنه فيفرقون يميناً وشمالاً ، فلما رأى الشمر اللعين ذلك - وكان أساس كل شر - ولبّة - دعا الخيالة وأمرهم بالإصطفاف خلف الرجال ، ثم أمر الرماة فأمطروه بوابل من سهامهم حتى غدا بدنه كجلد القنفذ .

عند ذاك توقّف (عليه السلام) عن القتال ، وتوقّف القوم ؛ وخرجت زينب (عليها السلام) من الفسطاط وهي تنادي : « يحك يا عمر ، أيقظ أبو عبد الله وأنت تنظر إليه ؟ » فلم يجيبها ، وفي رواية للطبري أن دموع عمر سالت على خديّه ولحيته ، وصرف بوجهه عنها .

ثم التفت (عليها السلام) نحو القوم تقول : الويل لكم ، أما بينكم مسلم ؟ ! فلم يجيبها أحد .

يروى السيد ابن طاوس أنّه لما أئخّن (عليه السلام) بالجراح وبقي كالقنفذ ، وضعف عن القتال ، طعنه صالح بن وهب المزنيّ على خاصرته طعنة ، فسقط (عليه السلام) عن فرسه إلى الأرض على خدّه الأيمن وهو يقول : « باسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله » ، ثم قام صلوات الله عليه .

« فلما خلا سرج الفرس من هيكل الوحي والتنزيل ، وهوى على الأرض عرش الملك الجليل ، جعل يقاتل وهو راجل قتلاً أتعّد الفوارس ، وأرعد الفرائص ، وأذهل عقول فرسان العرب ، وأطار عن الرؤوس الألباب واللبب » .

وكانت العقيلة (عليها السلام) ، وكلّها توجّه إلى أخيها ، قد خرجت وهي تنادي :

« وأخاه ! وإسيّده ! وأهل بيته ! ليت السماء أطبقت على الأرض ، وليت الجبال تدكدكت على السهل » .

قال الراوي : وصاح الشمر اللعين : ما تنتظرون بالرجل ؟ فحملوا عليه من كلّ جانب ، ورماه الحصين بن نمير بسهم في فمه ، ورماه أبو أيوب الغنويّ بسهم آخر وقع في نحره ، وضربه زرعة بن شريك على كفه اليسرى فقطعها ، وضربه لعين آخر على عاتقه المقدّس بالسيف ضربة كبا بها لوجهه ، وكان قد أعيا ، فجعل ينوء ويكبو ؛ فطعنه سنان بن أنس اللعين بالرمح في ترقوته ، ثمّ انتزع الرمح فطعنه في بواقي صدره ، ثمّ رماه سنان أيضاً بسهم وقع في نحره ، فسقط .

وفي رواية ابن شهر آشوب أن ذلك السهم وصل إلى صدره المبارك ، فسقط على الأرض ، وأخذ الدم بكفّه فخضّب رأسه وحلّيته ؛ فقال عمر بن سعد لرجل عن يمينه : انزل ويحك إلى الحسين فأرحه ! فبدر إليه خوليّ بن يزيد ليحتزّ رأسه المبارك ، فأرعد وارتجف ؛ فقال له الشمر اللعين : فتّ الله عضدك ، لماذا ترعد ؟ ثمّ احتزّ هو الرأس المقدّس .

يقول السيّد ابن طاووس : إنّ سنان بن أنس لعنه الله نزل إليه فضربه بالسيف في حلقه الشريف وهو يقول : والله إنّني لأجتزّ رأسك وأعلم أنّك ابن رسول الله ، وخير الناس أباً وأماً ، ثمّ اجتزّ رأسه المقدّس .

وفي رواية الطبري أنّ سنان بن أنس جعل لا يدنو أحد من الحسين إلّا شدّ عليه مخافة أن يغلب على رأسه أحد ، حتى أخذ رأس الحسين فدفعه إلى خوليّ .

فاجعة إن أردت أكتبها مجمّلة ذكرها لمذكّر جرت دموعي وحال حائلها ما بين لحظ الجفون والزبر في ذلك الوقت ارتفعت في السماء غبرة شديدة سوداء مظلمة ، فيها ريح حراء ، لا تُرى فيها عين ولا أثر ، حتّى ظنّ القوم أنّ العذاب قد جاءهم ، فلبثوا كذلك ساعة ثمّ انجلت عنهم .

ويروي ابن قولويه القميّ عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال :

« لمّا قتل الحسين (عليه السلام) أتاهاهم آتٍ في المعسكر (معسكر بن سعد) فصرخ ، فزُبر ، فقال لهم : وكيف لا أصرخ ورسول الله قائم ينظر إلى الأرض مرّة ، وينظر إلى حربكم مرّة ؟ وأنا أخاف أن يدعو الله على الأرض فأهلك فيهم .

فقال بعضهم لبعض : هذا إنسان مجنون !

فقال التَّوَابُونَ : تالله ما صنعنا بأنفسنا ؟ قتلنا لابن سَمِيَّةَ سَيِّدَ شِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛ فخرجوا على عبيد الله بن زياد ، فكان من أمرهم الذي كان .

قال الراوي : قلت له : جعلت فداك ، من هذا الصارخ ؟

قال : « ما نراه إلا جبرئيل . . . » .

يقول الشيخ المفيد (ره) في (الإرشاد) : مضى الحسين (عليه السلام) في يوم السبت العاشر من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة ، بعد صلاة الظهر منه ، قتيلاً مظلوماً صابراً محتسباً ، وسنة يومئذ ثمان وخمسون سنة ، أقام بها مع جدّه سبع سنين ، ومع أبيه أمير المؤمنين ثلاثين سنة ومع أخيه الحسن عشر سنين ، وكانت مدّة خلافته بعد أخيه أحد عشر عاماً .

وكان (عليه السلام) يخضب بالحناء والكتم ، وقتل (عليه السلام) وقد فصل الخضاب من عارضيه .

وقد وردت مرويات كثيرة في فضل زيارته (عليه السلام) بل في وجوبها ، ويروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال :

« زيارة الحسين بن علي (عليهما السلام) واجبة على كل من يعتقد ويفرّ للحسين (عليه السلام) بالإمامة من الله عزّ وجلّ » .

وقال (عليه السلام) : « زيارة الحسين (عليه السلام) تعدل مئة حجة مبرورة ، ومئة عمرة متقبّلة » .

وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) :

« من زار الحسين بعد موته فله الجنة » .

والأخبار في هذا الباب كثيرة ، وقد أوردنا جملة منها في كتاب (مناسك المزار) . انتهى .

الفصل الرابع

فجئ سلب الإمام الحسين (عليه السلام)

مجيء ذي الجناح إلى مخيم الحسين (عليه السلام)

بعد أن استشهد الإمام الحسين (عليه السلام) أقبل فرسه يدور حوله ، ويلطخ عرقه وتناصيته بدمه ، ويصهل صهلاً عالياً ، ثم قصد المخيم بذلك الصهيل الحزين ، ولما بلغ فسطاط الحسين (عليه السلام) أخذ يصهل ويضرب رأسه بالأرض حتى نفق .

فلما سمعت النساء صوته برزن مرعات من سندورهن ، فراين الفرس دون راكبه ، وقد تلطخ بالدماء فعرفن ما جرى ، فارتفع عويلهن ونواحهن : واحسيناه ! وإماماه !!

وفي هذا المقام يقول الشاعر العربي :

وراح جواد السبط نحو نساائه	ينوح وينعى النظامىء المترملا
خرجن بنيات الرسول حواسراً	فعاين مهر السبط والسرّج قد خلا
فأدمنين بالظلم الحدود لفقده	وأسكين دمعاً حرّه ليس يُصطفى

ويقول شاعر العجم :

وبعد عروج الشاه قصد بسرجه الملويّ نحو الخيام

بعرفٍ تَضْمَحُ بالدم وعين باكية تنعى قتيلًا بالنصال

صاحت بوجهه بنت النبيّ لما افتقدت راكبه :

أين ألقيت به ، وكيف حاله ؟ وماذ فعل به العدو اللثيم ؟

فانبرى الإنسان فيه يقول مهمهاً : الظليمة ! الظليمة !!

وانطلقت العقيلة إلى الميدان تبحث عن أخيها

يا ترى كيف حاله ، ولا يدري هذا سوى عارف الأحوال^(١)

يقول الراوي : ووضعت أمّ كلثوم يديها على رأسها وأخذت تندب وتعول ، وهي تقول :

« واعمّدها ، واجدها ، وانبيّاه ، وأبأ القاساه ، واعليّاه ، واجعفره ، واحمزه ، واحسنه ، هذا حسين بالعراء ، صريع بكر بلاه ، محزوز الرأس من القفا ، مسلوب العمامة والرداء » .

وجعلت تندبه حتى غشي عليها ، أمّا حال أهل البيت الآخرين فكانت كحالها ، ويعلم الله ما جرى عليهم وما نزل بهم ليس بمقدور أحد أن يتصوره ، بله أن يصفه ويشرحه !!

جاء في الزيارة المروية عن الناحية المقدسة :

« وأسرع فرسك شارداً إلى خيامك قاصداً ، مهمهاً باكياً ، فلما راين النساء جوادك مخزياً ، ونظرن سرجك عليه ملوياً برزن من الخدود ، ناشرات الشعور ، على الخدود لاطحات ، وعن الوجوه سافرات ، وبالعويل داعيات ، وبعد العزّ مذلات ، وإلى مصرعك مبادرات ، والشمر جالس على صدرك ، مولع سيفه على نحره ، قابض على شيتك بيده ، ذابح لك بمهته ، قد سكنت حواسك ، وخفيت أنفاسك ، ورفّع على القناة رأسك » .

سلب الحسين (عليه السلام)

يقول الراوي : ثمّ أقبلوا على سلب الحسين (عليه السلام) فأخذ قميصه إسحاق بن حُويّة الحضرمي ، فلبسه فصار أبرص ، وامتعط^(٢) شعره ؛ وروي أنّه وُجد في قميصه مئة ويضع عشرة ما بين رمية وطعنة وضربة .

وأخذ عمامته الأخنس بن مرثد ، وقيل : جابر بن يزيد الأزدي ، فاعنم بها فصار معنوهاً ، وقيل : مجذوماً .

وأخذ نعليه الأسود بن خالد ، وأخذ خاتمه الشريف بجدل بن سليم ، بعد أن قطع إصبعه مع الخاتم ؛ وهذا أخذه المختار فقطع يديه ورجليه وتركه يتشخّط في دمه حتى هلك .

وأخذ قطيفة له (عليه السلام) كانت من خزّ قيس بن الأشعث ، وسُمّي لذلك : قيس

(١) مضمون أبيات بالفارسيّة (المَرَب) .

(٢) امتعط الشعر : سقط .

القطيفة ؛ وروي أنه صار مجذوماً ، وهجره أهل بيته ، ورموه في الزباله وهو حي ، فمزقت الكلاب لحمه .

وأخذ درعه عمر بن سعد ، فلما قتل المختار وهب الدرع لأبي عمرة قاتله ، ويقال إنه (عليه السلام) كانت له درعان ، ذلك أنه قيل : وأخذ درعه الأخرى مالك بن يسر ، فجرح .

وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأودي ، وعلى قول : الأسود بن حنظلة التميمي ، وفي رواية : القلاف النهشلي ؛ وهذا السيف المنهوب ليس بذي الفقار ، لأنه كان مصوناً ومذخوراً مع أمثاله من ذخائر النبوة والإمامة .

يقول المؤلف : لم يرد في كتب المقاتل ذكر لسلب ملابس وأسلحة سائر الشهداء ، لكن المعروف أن أجلاف الكوفة لم يبقوا على أحد ، حتى أنهم سلبوهم ما كان على أبدانهم .

ويقول ابن نما : إن حكيم بن الطفيل سلب العباس (عليه السلام) ملابسه وأسلحته .

وجاء في زيارة الشهداء الصادقية المروية : « وسلبوكم لابن سمية وابن آكلة الأكباد » .

وقد عرفت عند الحديث عن استشهاد عبد الله بن مسلم كيف أن قاتله لم يتخل عن السهم الذي وقع في جبهة ذلك المظلوم ، فانتزع منها بصعوبة ، فكيف يتصور أن قاتلاً لا يترك سهماً ، ويتخل عن لباس مقتوله وسلاحه ؟

وقد جاء في حديث معتبر مروى عن زائدة عن علي بن الحسين عليهما السلام تصريح بذلك ، إذ قال :

« وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومي وولد عمي وأهلي مصرعين بدمائهم ، مرملين بالعراء ، مسلمين ، لا يكفنون ولا يوارون » ؟!



الفصل الخامس

فج الإغارة على مخيم أهل البيت (عليهم السلام)

«وتسابق القوم على نهب بيوت آل الرسول، وقرّة عين البتول،

ما أن أنهى جيش ابن سعد أمر الحسين (عليه السلام) حتى مال الناس إلى نقله ومتاعه، يسلبون وينتهون ما في الخيام، وجعلوا يتسابقون في الوصول إليها، ويتنازعون السلب والنهب، فلم يتركوا شيئاً وصلت إليه أيديهم القذرة من الورس والحليّ والحلل، حتى أنهم كانوا ينتزعون ملحفة المرأة عن ظهرها دون رادع أو وازع، حتى المواشي والمطايا لم تسلم منهم، واقعة يصعب وصفها، ويندى الجبين لذكرها.

وفرت بنات الزهراء حاسرات حافيات باكيات، فلم تتحرك شعرة من مروءة أو شفقة في نفوس أولئك الأجلاف القساة، بعد أن غاب الحياة.

غير أن امرأة من آل بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، وقد رأت ما تتعرض له بنات رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، أخذت سيفاً وأقبلت نحو القوم وهي تصيح:

«يا آل بكر بن وائل، ألسلب بنات رسول الله؟»

ثم اندفعت شاهرة سيفها وهي تقول:

«لا حكم إلّا لله، يا لثارات رسول الله.»

فلما رأى زوجها ما فعلت أخذها وردّها إلى رحله.

قال الراوي: ثم أخرجوا النساء من الخيام وأشعلوا فيها النار.

«فخرجن حواسر مسلّبات، حافيات باكيات، يمشن سبايا في أسر الذلّة.»

وما أبلغ ما قاله صاحب (معراج المحبة) أسكنه الله دار السلام :
 بعد أن انتهى العسكر من أمر الشاه وشرعوا بالإغارة على الخيام
 وغدا مبرات النبوة نبأ في أيدي قوم من عديمي المروءة
 وكل ما كان في خيمة الشاه وقع في أيدي أولئك الضلال
 وأضرمو فيها ناراً أحرق دخانها القمر والفلك
 وأحاطت بالخيام شعلة نار فلم يسلم منها فسطاط الشاه
 وبالبتول الثانية تلاطمت الأمور فلم تعد تعرف رجلاً لها من يد
 فمرة هي في الخيمة وأخرى خارجها ، وقلبها بحر دم من غصة الالم
 والعجز يغلبني عن وصف هذا الغم ، إذ في تصوّره ما يحرق الروح
 إلا إذا تصدّى لهذا الوصف عارف قادر يقول فيه الشعر البليغ
 لو كان من ألم واحد ألمي يا له ألماً ، أو كان غمّاً يا له من غم (١) .

يقول حميد بن مسلم : عبرنا الخيام مع الشمر بن ذي الجوشن حتى انتهينا إلى علي بن
 الحسين (عليه السلام) وهو شديد المرض منبسّط على الفراش ، وكان مع الشمر جماعة من
 الرجال فقالوا له : ألا تقتل هذا العليل ؟! فقلت : سبحان الله ، أتقتل الصبيان ؟! إنما هذا
 صبي ، ويكفيكم ما هو فيه ، فلم أزل حتى دفعتم عنه (٢) ، غير أن أولئك الذين لا رحم لهم
 سحبوا النطع الذي كان تحته ، وتركوه مرمياً على الأرض .

وجاء عمر بن سعد فصاحت النساء في وجهه وبكين وأعولن ، فقال لأصحابه : ألا لا
 يدخلن أحد منكم بيوت هذه النسوة ، ولا تعرّضوا لهذا الغلام المريض ، وسألته النسوة أن
 يسترجه ما أخذ منهنّ ليستترن به ، فقال : من أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه فوالله ما ردّ أحد
 منهم شيئاً ، فوكل بالفسطاط وبيوت النساء وعليّ بن الحسين جماعة ممن كان معه ، وقال :
 احفظوهم لئلا يخرج منهم أحد ، ولا يساء إليهم .

ثم نادى ابن سعد في أصحابه : ألا من يُتندّب فيوطىء الخيل ظهره وصدره ؟ فانتدب

(١) مضمون أشعار بالفارسيّة (المربّ) .

(٢) قال صاحب (روضة الصفاء) : قيل إنّ عمر بن سعد أخذ يدي الشمر وقال : ألا تحجل من الله تعالى
 فتقدم على قتل هذا الغلام العليل ؟ فقال الشمر : قد صدر أمر الأمير عبيد الله بن زياد بقتل جميع أولاد
 الحسين ، وبألبغ ابن سعد في منعه ، فامتنع ، وأمر بإحراق خيام أهل بيت المصطفى .

له عشرة من الفوارس (من أولاد الزوّ) فداسوا الحسين (عليه السلام) بحوافر خيلهم حتّى رضوا ظهره وصدره .

وجاء هؤلاء العشرة (اللعناء) حتّى وقفوا على ابن زياد ، فقال أحدهم وهو أسيد بن مالك مفتخراً ومباهياً :

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر بكلّ يعسوب شديد الأمر
فقال ابن زياد : من أنتم ؟ فقالوا : نحن الذين وطننا بخيولنا ظهر الحسين حتّى طحنّا
جناحن صدره ، فأمر لهم بجائزة يسيرة .

وفي حديث عن أبي عمرو الزاهد أنّه قال : فنظرنا في هؤلاء العشرة فوجدناهم جميعاً
أولاد زناء ، وهؤلاء أخذهم المختار فشدّ أيديهم وأرجلهم بسكك الحديد وأوطأ الخيل ظهورهم
حتّى هلكوا لعنهم الله وأخزاهم .

تنبيه وتتمّة : اعلم أنّ علماء الأخبار ومؤرّخي الآثار اختلفوا في عدد المستشهدين في
واقعة كربلاء ، وهذا ما كنّا أشرنا إليه عند حديثنا عن تعداد أصحاب الحسين
(عليه السلام) ، كما وقع الاختلاف كذلك في عدد شهداء أهل البيت عليهم السلام ، فقال
البعض : إنهم سبعة وعشرون ، وقال أبو الفرج : جميع من قتل يوم الطفّ من ولد أبي طالب
- سوى من يختلف في أمره - اثنان وعشرون رجلاً ، وقال ابن نما عن الإمام الباقر
(عليه السلام) أنّه قال : « قتلوا سبعة عشر إنساناً كلّهم ارتكض في بطن فاطمة » يعني بنت
أسد ، وقد تقدّم في حديث الرّيان بن شبيب أنّه استشهد مع سيد الشهداء ثمانية عشر من أهل
البيت ليس على وجه الأرض مثلهم .

وفي زيارة أوردها السيد ابن طاوس خرجت من الناحية المقدّسة ذكر من أولاد الحسين
(عليه السلام) : عليّ وعبد الله ، ومن أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام) : عبد الله والعبّاس
وجعفر وعثمان ومحمّد ، ومن أولاد الحسن (عليه السلام) : أبو بكر وعبد الله والقاسم ، ومن
أولاد عبد الله بن جعفر : عون ومحمّد ، ومن أولاد عقيل : جعفر وعبد الرحمن ومحمد بن أبي
سعيد بن عقيل ، وعبد الله وأبو عبد الله ابني مسلم ؛ فيكون تعدادهم مع سيّد الشهداء
(عليه السلام) ثمانية عشر ، وقد ذكر بالاسم في تلك الزيارة أربعة وستون غيرهم من
الشهداء .

ويروي الشيخ الطوسي (ره) عن عبد الله بن سنان أنّه قال :

دخلت على سيدي أبي عبد الله جعفر بن محمّد (عليه السلام) في يوم عاشوراء فالقيته
كاسف اللون ، ظاهر الحزن ، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط ، فقلت : يا بن

رسول الله ممّ بكاؤك ؟ لا أبكى الله عينيك ، فقال لي : أوفي غفلة أنت ؟ أما علمت أنّ الحسين بن عليّ (عليهما السلام) أصيب في مثل هذا اليوم ؟ قلت : يا سيدي ، فما قولك في صومه ؟ فقال لي :

« صمه من غير تبييت^(١) ، وأفطره من غير تسميت ، ولا يجعله يوم صوم كاملاً ، ولكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة ماء ، فإنه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيّاء عن آل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وانكشفت الملحمة عنهم وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في موااليهم يعزّ على رسول الله مصرعهم ، ولو كان في الدنيا يومئذ لكان صلوات الله عليه وآله المعزّى بهم » .

قال : وبكى أبو عبد الله (عليه السلام) حتّى اخضلت لحيته بدموعه .

يستفاد من هذا الحديث الشريف أنّ من استشهد في كربلاء من آل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كانوا ثمانية عشر ، ذلك أنّ ابن شهر اشوب يقول في (المناقب) : استشهد من موالى الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء عشرة ، ومن موالى أمير المؤمنين (عليه السلام) اثنان ، فيكون المجموع مع ثمانية عشر من آل الرسول (صلّى الله عليه وآله) ثلاثين شهيداً .

وإجمالاً ، فهناك اختلاف في عدد من استشهد من الطالبين ، والأقوى أن من صحب الحسين (عليه السلام) واستشهد منهم كان ثمانية عشر شهيداً ، تماماً كما جاء في رواية معتبرة عن (العيون) و(الأمالي) في حديث الرضا (عليه السلام) مع الريّان ، كما يطابق قول زجر بن قيس الذي شهد الواقعة ، وسيأتي كلامه .

وهذا العدد يتفق كذلك مع رواية عن الإمام السجاد (عليه السلام) أنّه قال : شهدت مصرع أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي ، إلى غير ذلك ، وهو ما اختاره صاحب (كامل البهائيّ) ، ويمكن القول : لعلّ من عدّهم سبعة عشر لم يأخذ الطفل الرضيع بالحسبان ، كما نحمل خبر معاوية بن وهب الذي أوردناه في أوائل هذا الباب على ذلك ، والله تعالى هو العالم .

(١) من غير تبييت : الصوم دون نية .



المقصد الرابع
في الوقف المتأخرة عن استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)

وفيه اثنا عشر فصلاً



الفصل الأول

فجد أرسلال الرؤوس الد الكوفة

بعد الانتهاء من أمر الحسين (عليه السلام) بعث عمر بن سعد برأس الحسين (عليه السلام) مع خُوَيْلٍ بن يزيد وحيد بن مسلم يوم عاشوراء إلى ابن زياد ، وعجل خويل بالوصول إلى الكوفة مع الرأس المظهر سائراً ليلاً ، حتى إذا انتهى إلى الكوفة في الليلة نفسها ، وكان لقاءه ابن زياد متعذراً أتى منزله .

ويروي الطبري وابن غما عن التّوارة بنت مالك زوج خويل أنها قالت :

أقبل خويل برأس الحسين فوضعه تحت إجمانة^(١) في الدار ، ثم دخل البيت فأوى إلى فراشه ، فقلت له : ما الخبر ، وما عندك ؟ قال : جئت بك بغنى الدهر ، هذا رأس الحسين معك في الدار !

فقلت : فقلت : ويلك ، جاء الناس بالذهب والفضة ، وجئت برأس ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ! لا والله ، لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبداً .

قلت : فقم من فراشي فخرجت إلى الدار ، وأتيت الإجمانة التي كان الرأس المظهر تحتها ، وجلست أنظر ، فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجمانة ، ورأيت طيراً بيضاً ترفرف حولها .

قال : فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد .

يقول المؤلف : لم ينقل أرباب المقاتل المعتبرة أي شيء عن أحوال أهل بيت الحسين (عليه السلام) في ليل يوم عاشوراء ، ولم يتضح شيء مما مرّ عليهم كي تقوم نحن بإيراده في

(١) الإجمانة : إناء تفضل فيه الثياب أو جرة كبيرة .

كتابنا هذا ؛ نعم ، بعض الشعراء قالوا في هذا الباب أشعاراً نرى ذكر بعضها مناسباً .

قال صاحب (معراج المحبة) ما مضمونه :

ولما انقلبت مظلة الشمس من ميدان السماء كما راية العباس

ورأت البتول الثانية أم المصائب نفسها دون سيد أو صاحب

احتضنت أيتام أخيها وجمعت بنات النعش كما الأم تحتضن ضناها

تعني بالمرضى منهم وتمسح أحزانهم لفقد الأب وتخفف عنهم الألم

وتواسي كسيري القلب من أبناء النبي في خيام محترقة بجمر النار

وقامت من فسوة وجور الأمة قيامة على شفعاء الأمة

ليلة مرت على آل الرسول كدّرت في جنتها الزهراء البتول

ليلة مرت على خاتم الرسل في وصفها حارت العقول

يا للجمال وحكايات الجمال . . فاللسان مقطوع والصوت أبكم

وعن الإصبع والخاتم فيها . . فالقول يحقر الأدب وكذا الساع^(١)

وقال آخر بلسان العقيلة زينب سلام الله عليها ما مضمونه :

لو أنّ صبح القيامة كان ليلاً فهذه هي ليلته ملّ الطيب مني وبلغت روحي التراقي هذه

الليلة

أخي أرفع رأسك من النوم مرة وتفرّج زينب دونك فقدت الصبر وتدعو يا رب

فالكون في ثورة وأنا غريبة في الفلاة مستوحشة وأنت في نوم هيء ، والمرضى في صبر

على الحمى

رأسك ضيف على خولي ، وبدنك أنيس الرعيان وفي قلبي من كليهما ألف شأن وشأن

فيا صبا أخبر الزهراء عني غربي فعيون العدو تبكي حال زينب هذه الليلة^(٢)

وقال المحتشم عليه الرحمة :

تعال يا عروس الجنة فانظري حالي ، وانظري كيف بالآف البلايا قد ابتلينا

وانظري حال فتيان هاشم في ضعفهم ، فرجالهم قتل ونساؤهم في عزاء^(٣)

هذا وبعد أن سرح عمر بن سعد رأس الحسين المقدس مع خوليّ بن يزيد ، سرح رؤوس أهل بيته وأصحابه وعددها اثنان وسبعون رأساً مع الشمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمر بن الحجاج إلى ابن زياد في الكوفة ، بعد أن نظفوها عما علق بها من تراب .

وفي رواية أنّه أمر بقسمة الرؤوس بين القبائل من كندة ، وهوازن ، وبني تميم ، وبني أسد ، وبني مذحج وغيرهم ، جائزة يتقربون بها من ابن زياد .

عبور النساء على القتل : وأقام ابن سعد في كربلاء من عصر اليوم العاشر من المحرم إلى زوال يوم الحادي عشر منه ، فجمع قتلاه ، وصلى عليهم ودفنهم .

وبعد زوال اليوم الحادي عشر من المحرم أمر بتسيير بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) حواسر على أفتاب الجبال بغير رحل ولا وطاء ، وقد وضعوا الأغلال الجامعة^(١) في عنق الإمام السجاد (عليه السلام) ، وساقوهم كما يساق السبي من الترك والديلم .

فلما عبروا بالسبايا على مصرع الحسين (عليه السلام) ومصارع القتل من أهل بيته وأصحابه ، ووقعت عليهم أنظارهنّ صحن وولولن ، ولظمن الحدود .

يقول صاحب (معراج المحبّة) ما مضمونه :

لما عبر السبايا بمصرع الإخوان اختلط عليهنّ نيسان وحزيران

فهذه تشدّ الشعر على ابن ثكل ، وتلك على مصاب بحبيب

وأخرى تصبغ الخدين بالدم ، وأخرى تجدد وشم علي «

في مائم الصباحة للرأس والقامة أقمن عزاء كفوغاء القيامة

ولما رأت بنت النبي نور عينيها ساقى الكوثر

صاحت تنادي وهذ أخي بروح الخلد حلت نار الحميم

قلّب الغدر زرقه الفلك سواداً في يوم أهل العصمة

(١) اعلم أنّ الجامعة اسم نوع من الأغلال ، ووجه هذه التسمية أن اليمين نجمعان إلى العنق ، والغلّ : طوق حديدي يوضع حول العنق وله في طرفيه سلسلتان ، وباختلافها يكتمل الطوق ، أي ينتجه الطرف الأيمن إلى اليد اليسرى ، والطرف الأيسر إلى اليد اليمنى ، فتغلّ اليدين ، ثم يُغفل طرفا السلسلة ، ويتم إقفالهما بالإذابة أو الطوق ، فتبقى اليدين هكذا فلا تنفصلان أبداً ، ولهذا فعندما أراد يزيد اللعين فك طوقه (ع) أمر بمرد ذلك .

غدر لا طاقة على سماعه ، ومتى كان السماع كالرؤية العيان^(١) ؟
وقال آخر ما مضمونه :

ولما انفرط عقد الدرّ ترجّلت أقمار الجباه عن ظهور الجمال
وأقمن للمأتم حلقات العزاء ، وطرحن في الكون ثورة المحشر
وغدا النواح على كل وردة غصّة بلبلاً يصدح بلوعة الهجران
وقفت زينب على رأس الشاه ، فأقامت عشراً من قران الشمس والقمر
ولما انتهى نظرها تحت الجسد بجهد ، وكانت الشمس المباركة المهد
تبذّت لها جراحات لا تعدّ ، وبينها جرح المهانة لم يسدّ
وأبين تنقلت في فحصها رأت بالعيان آثار سيف أو سهم أو سنان^(٢)

يروى الشيخ ابن قولويه القمي بسند معتبر عن الإمام السجاد (عليه السلام) أنّه قال
لزائدة :

« ... إنّه لما أصابنا بالطف ما أصابنا ، وقُتل أبي (عليه السلام) وقتل من كان معه من
ولده وإخوته وسائر أهله ، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة ، فجعلت أنظر
إليهم صرعى ولم يوازوا معظم ذلك في صدري ، ويشنّد لما أرى منهم قلقي ، فكادت نفسي
تخرج ، وتبيّنت ذلك مني عمّي زينب بنت عليّ الكبرى فقالت :

ما لي أراك تحمد بنفسك يا بقیة جدّي وأبي وإخوتي ؟ فقلت :

وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومي وولد عمّي وأهلي مضرّجين
بدمائهم مرمّلين ، بالعراء مسلّين ، لا يكفّون ولا يوازون ، ولا يعرج عليهم أحد ، ولا
يقربهم بشر ، كأنهم أهل بيت من الديلم والحزر ؟

فقالت : « لا يجزعتك ما ترى ، فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله (صلى الله
عليه وآله) إلى جدّك وأبيك وعمّك ، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم
فراعاة هذه الأرض ، وهم معروفون في أهل السماوات أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة
فيوارونها ، وهذه الجسوم المضرّجة .

وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر إبيك سيّد الشهداء ، لا يدرس أثره ، ولا يعفورسّمه

عل كرور الليالي والآيام ؛ وليجتهدنَّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه ونظميسه ، فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً ، وأمره إلّا علواً^(١) .

أقول : يمكن أخذ تنمة هذا الحديث الشريف من مكان آخر ، وذلك تسوخيّاً للاختصار .

حرق الخيام وأشعار المحتشم : نقل بعضهم أقوال السيد ابن طاوس في باب إحراق الخيام وعبور أهل البيت (عليهم السلام) على مصارع الشهداء ، وأن ذلك وقع في اليوم الحادي عشر من المحرم ، نرى من المناسب إيرادها .

لما أراد ابن سعد أن يبعث بالسبايا نحو الكوفة ، أمر فأخرجوا النساء من الخيمة ، وأشعلوا فيها النار ، فخرجن حواسر مسلّبات حافيات باكيات ، وقلن بحق الله إلّا ما مررتن بنا على مصرع الحسين (عليه السلام) ، فلما نظرت النسوة إلى القتل صحن وضرين وجوههن . وما أحسن ما نظمه المحتشم عليه الرحمة ، في هذا المقام ، قال ما مضمونه :

لما عبرت القافلة في طريقها على المصارع ، طُنَّ أن يوم النشور قد وقع

كلما وقعت منهم على الشهداء العيون رأوا ما تركته السهام من جراح

وعلى غرة وقعت عين ابنة الزهراء على الجسد الشريف لإمام الزمان

فصاحت دون إرادة : هذا حسين مقطوع الرأس كان النار تنزل في الدنيا

وبلسان تغمزه الشكوى توجّهت بضعة الرسول إلى المدينة تقول أيها الرسول :

هذا القتيل ها هنا هو الحسين ، وهذا الصيد المصاب من اليد إلى القدم هو الحسين

هذا اليباس الشفاء الممنوع من الفرات ، من دمه غذا جيحون ، هو الحسين

هذه السمكة الغريقة ببحر الدم ، وجراحه فاقت النجوم عدداً هو الحسين

هذا الشاه قليل الجند كثير الدمع والآه ، الملقى من خيمته في العراء هو الحسين

ثم توجّهت إلى البقيع تقول للزهراء طير الفضاء وسمك البحار بالشواء

أيا مؤنسة القلوب الكبيرة انظرينا نحن أغراب دون أحد دون عارف فانظري

(١) كلمات العقيلة زينب سلام الله عليها هذه ، إشارة لما بدر من هارون الرشيد والمتوكل اللعين في محو آثار ذلك القبر الشريف ، كما جاء في (تنمة المنتهى) في شرح أحوال المتوكل ، لمراجع هناك .

أولادك شغفاء الحشر ، يتردّون في هاوية عقوبة أهل الجور فانظري
 انظري القتل مرمّلين بالدماء ، ورؤوس الأبرار فوق الرماح فانظري
 هذا الجسد الذي كان في كفك متقلّباً ، يتقلّب الآن فوق تراب كربلاء فانظري^(١) .
 وقال آخر ما مضمونه :

لما رأت زينب جسد ذلك الشاه فوق التراب رفعت من القلب أنة يجرّقها الف الم
 أيها الغافي هنيئاً في فراش الدم افتح عينيك وانظر حالنا ثم عد إلى النوم
 يا وارث سرير الإمامة قم فصلّ على القتل بلا أكفان
 أطفالك في هاوية بحر دون قرار فامدد يد الغوث إليهم
 قم فالصبح ليلاً قد غدا ، أيا أمير ، قد أركبونا جمالاً دون وطاء
 أو اخذ بأيدينا من بيداء الرعب هذه وعد بنا ثانية إلى الحجاز^(٢)

قال الراوي : فوالله لا أنسى زينب بنت عليّ (عليهما السلام) وهي تندب الحسين
 وتنادي بصوت حزين وقلب كئيب :

« يا محمّده ، صلّ عليك مليك السماء ، هذا حسين مرمّل بالدماء ، مقطّع الأعضاء ،
 وبناتك سبايا ؛ واعمّده ، هذا حسين بالعرء تسفي عليه ريح الصبا ، قتيل أودلا البغايا ،
 واحزنه ، واكرباه ، اليوم مات جدّي رسول الله ، يا أصحاب محمّده ، هؤلاء ذرّيّة المصطفى
 يساقون سوق السبايا » .

ووفقاً لرواية أخرى أنّها قالت (سلام الله عليها) .

« يا محمّده ، هذا حسين مجزوز الرأس من القفا ، مسلوب العمامة والرداء ، بأبي من
 فسطاطه مقطّع العرى ، بأبي من عسكره في يوم الاثنين نبهاً ، بأبي المهموم حتى قضى ، بأبي
 العطشان حتى مضى ، بأبي من شيبته تقطر بالدماء ، بأبي من جدّه رسول إله السماء ، بأبي من
 لا هو غائب فيرتجى ، ولا جريح فيداوى » .

وجعلت زينب سلام الله عليها تندب أخاها بمثل هذه الكلمات حتى أبكت كلّ عدوّ
 وصديق .

(١) و(٢) مضمون أبيات بالفارسيّة (العرب) .

ثم إنَّ سَكِينَةَ اعتنقت جسد الحسين (عليه السلام) وهي تقول وتبكي ، ويروى أنَّها لم تترك الجسد الشريف حتَّى اجتمع عِدَّة من الأعراب فجرَّوها عنه .

وجاء في (المصباح) للكفعمي أنَّ سَكِينَةَ قالت :

لَمَّا قَتَلَ أَبِي أَخَذَتْ جَسَدَهُ الْحَبِيبَ فِي حَجَرِي ، فَعَرَضَتْ لِي حَالَةً مِنَ الْإِغْيَاءِ ، وَسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ :

شِيعَتِي مَا إِنَّ شَرِبْتُمْ مَاءَ عَذْبٍ فَاذْكُرُونِي
إِنَّ سَمِعْتُمْ بِغَرِيبٍ أَوْ شَهِيدٍ فَاذْكُرُونِي

ثم أبعد أهل البيت عن المقاتل ، وأركبوا جمالاً دون أوطئة بتفصيل تقدّم ، وسيقوا إلى الكوفة .



الفصل الثاني

فجد دفن الأجساد الطاهرة للشهداء

لما أخذ ابن سعد طريقه إلى الكوفة جاء قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغاصرية حول كربلاء ، بعد أن خلت المنطقة من عسكر ابن سعد ، فتولّوا دفن الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه بعدما صلّوا عليهم ، في الأمكنة التي هي عليه الآن ، فقبر عليّ بن الحسين (عليه السلام) فيها يلي قبر أبيه ، أما سائر الشهداء والأصحاب فقد حضروا لهم حفرة واروهم فيها أدن منه مما يلي قدميه ، وأفردوا للعبّاس (عليه السلام) ضريحاً وحده لم يشركوا معه أحداً ، وذلك حيث هو عليه مرقد المظهر في طريق الغاصرية .

ويقول ابن شهر آشوب : إن قبوراً أقيمت لأكثر الشهداء ، وكانت طيور بيض تطوف حولها .

كما أشار الشيخ المفيد في (الإرشاد) إلى أساء شهداء أهل البيت وعددهم ، وأردف يقول : إنهم جميعاً دفنوا في مشهد الحسين (عليه السلام) ممّا يلي قدميه ، إلا العبّاس (عليه السلام) فقد أصرح له حيث مقتله في المسناة على طريق الغاصرية ، وقبره ظاهر ، أمّا قبور أولئك الشهداء المشار إليهم فلا يعرف لها أثر ، غير أنّ الزائر يشير نحو الأرض ممّا يلي قدمي الإمام الحسين (عليه السلام) ، ويسلم عليهم ، وعليّ بن الحسين معهم كذلك ، ويقول إنّه أقرب إلى أبيه من سائرهم .

أمّا أصحاب الحسين (عليه السلام) الذين استشهدوا معه فقد دفنوا حوله ، وليس في مقدورنا تحديد قبورهم على التحقيق والتفصيل بتعين مدفن كلّ منهم ، غير أنّه لا يعرّونا الشك في أنّ الحائر يحيط بهم ، رضي الله عنهم وأرضاهم ، وأسكنهم جنة النعيم .

يقول المؤلّف : يمكن القول : إنّ حكم الشيخ المفيد (ره) في شأن مدافن الشهداء يرى

الأغلب رأيه ، وهذا لا يتناقى مع كون حبيب بن مظاهر والحرب بن يزيد قد دفنا في مدفن منفرد .

وينقل صاحب (كامل البهائي) أن عمر بن سعد أقام في كربلاء يوم الشهادة إلى زوال اليوم التالي ، ثم وكل جماعة من المستن والمعتدين بالإمام زين العابدين وبنات أمير المؤمنين (عليهم السلام) ، والنساء الأخريات ومجموعهن عشرون امرأة وكان زين العابدين (عليه السلام) في الثانية والعشرين من عمره ، والإمام الباقر (عليه السلام) في السنة الرابعة ، وكلاهما كانا في كربلاء ، وقد حفظهما الله تعالى .

ولما ارتحل عمر بن سعد من كربلاء كانت طائفة من بني أسد في ترحال ، فلما انتهوا إلى كربلاء ورأوا تلك الحالة بادروا إلى دفن الإمام الحسين (صلى الله عليه وآله) في قبر وحده ، ووضعوا علي بن الحسين عند رجلي أبيه (عليه السلام) ، ودفنوا العباس (عليه السلام) إلى جانب الغرات حيث استشهد ، وحفروا للباقيين قبراً كبيراً دفنهم فيه ، أما الحرب بن يزيد فقد دفنه ذوو قرباه في الموضع الذي استشهد فيه .

وقبور الشهداء غير مميّزة بحيث يعرف أين دفن كل شهيد ، إلا أنه لا شك في أن الحائر يحيط بهم جميعاً . انتهى .

وقال الشيخ الشهيد في كتاب (الدروس) بعد الحديث عن زيارة أبي عبد الله (عليه السلام) : وكُنّا زاره (عليه السلام) فليزر ابنه علي بن الحسين (عليهما السلام) ، وليزر الشهداء وأخاه العباس (عليه السلام) ، وليزر الحرب بن يزيد (عليه السلام) . الخ .

وهذا كلام ظاهر ، لا بل صريح بأن قبر الحرب بن يزيد كان معروفاً هناك في عصر الشيخ الشهيد ، ويتّصف بصفة الاعتبار عند ذلك الشيخ الجليل ، ونكتفي بهذا القدر .

صلة الحديث : لا يخفى أنه وفقاً للأحاديث الصحيحة التي وصلت إلى علماء الإمامية لا بل ما يتفق مع أصول المذهب ، أن الإمام لا يلي غسله وتكفينه ودفنه إلا إمام مثله ، فمع أن طائفة من بني أسد هي التي دفنت سيّد الشهداء (عليه السلام) بحسب الظاهر ، ففي الواقع أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قدم ودفنه (عليه السلام) ، كما صرح الإمام الرضا (عليه السلام) في احتجاجه مع الواقفية ، بل يستفاد من حديث (بصائر الدرجات) المروي عن الإمام الجواد (عليه السلام) أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) حضر دفنه وكذلك أمير المؤمنين والإمام الحسن وسيّد العابدين مع جبرئيل والروح والملائكة الذين ينزلون إلى الأرض ليلة القدر .

وجاء في (المناقب) عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) رثي في عالم الرؤيا بعد مقتل الحسين (عليه السلام) وهو أشعث أغبر حافي القدمين يبكي وقد ضمّ ججز قميصه إلى نفسه وهو يتلو : ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾ ، وقال (ما مضمونه) : قدمت كربلاء فالتقطت دم ابني الحسين من أرضها ، وما هو في حجري أخاصم قتلته أمام الله تعالى .

وروي عن سلمة أنه قال : دخلت على أم سلمة وهي تبكي ، فقلت لها : ما يبكيك ؟ قالت : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المنام وعلى رأسه ولحيته أثر التراب ، فقلت : ما لك يا رسول الله مغبراً ؟ قال : شهدت قتل الحسين آنفاً .

وفي رواية أخرى : أن أم سلمة رضي الله عنها أصبحت يوماً تبكي ، فقيل لها : مم بكائك ؟ قالت : ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا الليلة ، فرأيت شاحباً كثيراً ، فسألته عن سبب ما هو فيه فقال : ما زلت أحفر القبور للحسين وأصحابه ، عليه وعليهم السلام .

وجاء عن (الجامع) للترمذي^(١) وعن (الفضائل) للسماعي^(٢) أن أم سلمة رأت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المنام وعلى رأسه ولحيته أثر التراب ، فسألته عن سبب حالته فأجابها أنه قادم من كربلاء .

وفي موضع آخر : أنه (صلى الله عليه وآله) كان مغبراً وقال : إني فرغت من دفن الحسين .

ومن المعروف أن الأجساد الطاهرة بقيت ثلاثة أيام مرمية على الأرض دون دفن ، ونقل عن بعض الكتب أنها دفنت بعد عاشوراء بيوم واحد ، وهذا مستبعد ؛ ذلك أن عمر بن سعد كان لا يزال في كربلاء في اليوم الحادي عشر لدفن القتلى من عسكره ؛ وكان أهل الغاصرية قد ارتحلوا عن نواحي الفرات خوفاً من ابن سعد ، وبهذا الاعتبار فهم لا يجرؤون على العودة بهذه السرعة .

وجاء عن (مقتل) محمد بن أبي طالب ، عن الباقر عن أبيه (عليهما السلام) أن الناس

(١) الترمذي : هو الشيخ الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة المتوفى سنة ٢٧٥ هـ . وجامع أحد الصحاح الستة وترمز قرية قديمة على طرف نهر بعلج .

(٢) السماعي : هو أبو أسعد عبد الكريم بن محمد المروزي الشافعي صاحب كتاب (الأنساب) و (فضائل الصحابة) وغيرهما ، توفي بمرو سنة ٥٦٢ هـ .

الذين حضروا المعركة ودفنوا الشهداء عثروا على جسد جَوْن بعد عشرة أيام يفوح منه كرائحة المسك .

ويؤيد هذا الخبر ما جاء في (التذكرة) للبط من أنَّ زهيراً قتل مع الحسين (عليه السلام) فقالت زوجته لمولى زهير : اذهب فكفن مولاك ، فقصد الرجل كربلاء ، فرأى الحسين (عليه السلام) عارياً ، فقال في نفسه : أكفن سيدي وأدع الحسين عارياً ! لا والله ، بل إنه جعل الكفن للحسين (عليه السلام) ، ثم كفن مولاه بآخر .

ويعلم من أمالي الشيخ الطوسي في خبر ديزج الذي قدم بأمر المتوكل لهدم قبر الإمام الحسين (عليه السلام) أنَّ بني أسد أتوا بقصب مقطّع فرشوا به أرض القبر ثم سجدوا الجسد الطاهر فوق ذلك القصب ، وواروه .



الفصل الثالث

في ورود أهل البيت الكوفة وخبر مسلم الجصاص

لما بلغ ابن زياد قُرب وصول أهل البيت عليهم السلام إلى الكوفة أمر برؤوس الشهداء التي سبق لابن سعد أن سرَّحها من قبل ، فنصبت على الرماح وحملت أمام السبایا عند دخولهم الكوفة ، وطيف بهم في السوق والأزقة إمعاناً في القهر وإظهاراً لغلبة يزيد ، ویشاً للرهبنة والرعب في نفوس الناس .

ولما علم أهل الكوفة بوصول السبي خرجوا للنظر إليهنّ ، وفي هذا المقام يقول المرحوم المحتشم ما مضمونه :

لَمَّا غَدَا آلُ النَّبِيِّ مُشَرَّدِينَ عَلَا فِي الْكُوفَةِ صَوْتُ الْمَنَاحَةِ وَالْأَنِينِ

نَصَبَتْ رُؤُوسَ السَّادَةِ عَلَى الرَّمَاكِ وَحَمَلَتْ أَمَامَ أَهْلِ الْحَرَمِ

وَمِنْ أَتَيْنِ الْمَخْذِرَاتِ تَقَاطُرَ سَكَّانِ الْعَرْشِ فِي كُلِّ تَمَرٍّ وَمَعْبَرِ

وَأَمَّةٌ لَمْ تَحْشَ رَبَّ الْعَالَمِينَ هَتَكَتْ سِتْرَ عِثْرَةِ النَّبِيِّ دُونَ خَجَلِ

وَيَدِ الْجَوْرِ لَا يُمْكِنُ إِلَّا أَنْ تَزِيدَ عَلَى جِرْحِ أَهْلِ الْبَيْتِ جَوْرًا آخَرَ^(١)

يروى عن مسلم الجصاص أنّه قال : دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمامة بالكوفة ، فبينما أنا أجصص الأبواب وإذا أنا بالزعمقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة ، فأقبلت على خادماً كان معنا فقلت : ما لي أرى الكوفة تضجّ ؟ قال : الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد ، فقلت : من هذا الخارجي ؟ فقال : الحسين بن عليّ (عليهما السلام) .

(١) مضمون أشعار بالفارسيّة (المعرّب) .

قال : فتركت الخدام حتى خرج ولطمت وجهي حتى خشيت على بصري أن يذهب ، وغسلت يدي من الجص ، وخرجت من ظهر القصر ، وأتيت الكناسة ؛ فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ أقبلت نحو أربعين شقة^(١) تحمل على أربعين جملاً فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة (عليها السلام) ، وإذا بعلي بن الحسين (عليهما السلام) على بعير بغير وطاء ، وأوداجه تشخب دماً ، وهو مع ذلك ينشد فيقول :

يا أمة السوء لا رعباً لربكمم يا أمة لم تراع جدنا فبينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا يوم القيامة ما كنتم تقولونا ؟
نسيرونا على الأقتاب عارية كأننا لم نشيد فيكم ديناً
بني أمية ما هذا الوقوف على تلك المصائب لا ترعون داعينا
تصفقون علينا كفكم فرحاً وأنتم في فجاج تسبوننا
ليس جذي رسول الله ويلكم أهدى البرية من سبل المضلينا
يا وقعة الطف قد أورثني حزناً والله يهتك أستار المسيئينا

قال : وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز ، فصاحت بهم أم كلثوم وقالت : يا أهل الكوفة ، إن الصدقة علينا حرام ، وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض .

كل ذلك والكوفيات يبكين على ما أصابهم ، ثم إن أم كلثوم أطلعت رأسها من المحمل وقالت لمن : صه يا أهل الكوفة ، تقتلنا رجالكم ، وتبكيها نساؤكم ؟ فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء .

فبينما هي تخاطبهن إذا بضجة قد ارتفعت ، فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين^(٢) (عليه السلام) ، وهو رأس زهري قمري أشبه الخلق برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولحيته كسواد السبع^(٣) قد انتصل منها الخضاب ، ووجهه دارة قمر ، والرمح تلعب بها يميناً وشمالاً ، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فسطعت جبينها بمقدم المحمل حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها ، وأومات إليه بحرقة وجعلت تقول أشعاراً هذا مطلعها :

يا هلالاً لنا استتم كلالاً غاله خسفه فأبدي غروباً

(١) المراد بالشقة : المودج أو المحمل .

(٢) في (كامل البهاني) أنه لما أمر ابن زياد بأن يطاف بالراس المقدس في أزقة الكوفة وبين قبائلها اجتمع نحو من مئة ألف من الخلق بعضهم يعزي وبعضهم يهني .

(٣) السبع : حجر أسود شديد السواد .

يقول المؤلف : لم يرد ذكر للمحامل وللهوداج في غير خبر مسلم الحصاص ، ومع أن العلامة المجلسي قد نقل هذا الخبر فإن مصدره (المنتخب) للطريحي ، وكتاب (نور العين) ، وحال الكتّابين لا تخفى على أهل القرن الحديث ، كما أن نسبة شيع الرأس ونسبة الأشعار المعروفة إلى السيدة زينب (سلام الله عليها) بعيدة أيضاً عن هذه المخذرة ، عقيلة الهاشميين ، العالمة غير المعلّمة ، رضية ثدي النبوة ، صاحبة مقام الرضى والتسليم .

وما عُرف عن المقاتل المعتبرة هو أن حلمهم كان على أقتاب الإبل دون وطاء ، بل إن ما قيل في ورودهم إلى الكوفة يتفق مع رواية حذام بن سثير التي أوردها الشيخان من أنهم كانوا محاصرين بالعسكر خوف الفتنة والثورة من أهل الكوفة ، ففي الكوفة الكثير من الشيعة ، النساء اللواتي خرجن من الكوفة يبكين ويشققن الجيوب في ثورة وبكاء ونواح ؛ وستأتي رواية حذام فيها بعد إن شاء الله .

وعلى العموم فقد صعدت الكوفيات على أسطح البيوت بتفرّجن على أبناء المختار وفلذات كبد أمير المؤمنين وقد أتى بهم إلى الكوفة كأنهم أسرى يساقون مع رؤوس الشهداء ، وأشرفت امرأة من الكوفيات فقالت : من أي الكفار الأسارى أنتن ؟ فقلن : نحن أسارى آل محمد ، فنزلت عن سطوحها وجمعت ملاء وأزرأ ومقانع فأعطتهن فتغطين .

المرحوم النراقي ينقل واقعة كربلاء عن مرثي إرميا النبي

يقول المؤلف ؛ إن الشيخ العالم جليل القدر المرحوم الحاج ملا أحمد النراقي عطر الله مرقده ، يروي في كتاب (سيف الأئمة) عن كتاب مرثي إرميا النبي الذي يقول في الإصحاح الرابع في الإخبار عن سيد الشهداء (عليه السلام) ما خلاصته :

ما الذي جرى ، وما هو الحدث الذي وقع حتى اكدر الذهب ، وتغير الإبريز الجيد ، وتناثرت أحجار بناء العرش الإلهي ، وغدا أبناء البيت المعمور وهم من كانوا من الذهب يأخذون زيتهم ، وهم من الخلق كافة أفضل النجباء ، فأصبحوا يحيل إلى من يراهم أنهم كجرار الخرف ، وفي حين أن الحيوانات كانت تقدّم أئدهاء إلى صغارها ترضعها ، كان الأعزّة بين أمة انتفت منها الرحمة ، وقست قلوبها فهي كالخشب ، وهم في القفار أسرى يقاسون العطش حتى صار لسان الطفل الرضيع يلتصق بسقف فمه من شدة العطش ، والأطفال يتضورون جوعاً فإذا سألوا خبزاً لم يكن ليحييهم أحد بعد أن أضحى كبارهم قتلى مجندين ، وراح أولئك الذين شبوا على موائد العز يساقطون هلكى في الشوارع .

لهفي عليهم في غربتهم ، لهفي عليهم وقد نبذوا كما لم ينبذ قوم سدوم ، فهؤلاء لم تلق عليهم الأيدي ، أما أولئك فمع كونهم سلالة بيت الطهر والعصمة ، ومع أنهم أنقى من

الثلج ، وأكثر بياضاً من اللبن الصافي ، وأكثر بريقاً من الباقوت فقد تغيرت منهم الوجوه فلم يعرفوا في الشوارع ، بعد أن لصقت جلودهم بعظامهم .

أقول : من هذه الفقرة في الكتاب السهاوي ، التي هي في الظاهر إشارة إلى هذه الواقعة في الكوفة ، يعرف السرّ في سؤال تلك المرأة إذ قالت : من أيّ الأسارى أنتم ؟! والله هو العالم .

خطبة العقيلة زينب (عليها السلام) بالكوفة

يروى الشيخان المفيد والطوسي عن حذام بن سثير أنّه قال :

قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين عندما وصل عليّ بن الحسين (عليها السلام) مع نساء أهل البيت إلى الكوفة ، يحيط بهم عسكر ابن زياد ، وأهل الكوفة يخرجون من منازلهم للنظر إليهم ، وقد حمل أهل البيت على إبل بغير وطاء ، فجعل أهل الكوفة ينوحون ويبكون ، ورأيت عليّ بن الحسين (عليها السلام) ضعيفاً قد أنهكته العلة ، وقد غلّت يده إلى عنقه ، فقال بصوت ضعيف : « أتنوحون وتبكون من أجلنا ؟ فمن قتلنا ؟ »

قال : وشرعت زينب بنت عليّ (عليه السلام) تخطب في الناس ، فوالله لم أر خفرة قط أنطق منها ، كأنما تفرع عن لسان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، وقد أومات إلى الناس أن اسكتوا ، فارتدت الأنفاس ، وسكتت الأجراس^(١) ، ثم قالت :

« الحمد لله ، والصلاة على أبي محمد ، وآله الطيّبين الأخيار

أما بعد يا أهل الكوفة ، يا أهل الخنثل والغدر ، أتبكون ؟! فلا رفات الدمعة ، ولا هدأت الزفرة ، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزها من بعد قوة أنكاشاً ، تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم ، ألا وهل فيكم إلا الصلف والعجب ، والشنف والكذب ، وملق الإماء وغمر الأعداء كمرعى على دمنة أو كقصّة^(٢) على ملحدودة ، ألا بش ما قدمت لكم أنفسكم أن سحق الله عليكم ، وفي العذاب أنتم خالدون .

(١) أي لما أشارت زينب (ع) عليهم بالسكوت لتكلم ، سكتوا ، وتوقفوا عن الذهاب لسمعوا ما نقول ، فلما توقف الناس فلا غرو أن سكت الأجراس .

وأما البيانات الواردة عن البعض من أنّ هذه تعدّ واحدة من كرامات العقيلة زينب (ع) فإنّما هي مجرد اجتهادات ، وجلالة قدر هذه المخدرة لا تحتاج لثل هذا .

(٢) القصّة : الحصة ، من تطين القبور بالحصّ وتقصيصها ، أي : تجصيصها .

أنيكون وتنتحيون ؟ أجل والله فابكوا فإنكم أحرى بالبكاء ، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً ، فلقد ذهبتم بعارها وشئارها ، ولن ترحضوها^(١) بغسل بعدها أبداً ، وأنّ ترحضون قتل سليل الأنبياء ، وسيد شباب أهل الجنة ، وملاذ خيرتكم ، ومفرغ نازلتكم ، ومنار محبتكم ، ومبرة^(٢) حججكم ؟ ألا ساء ما تزررون ليوم بعثكم ، فبعداً لكم وسحقاً ، فلقد خاب السعي ، وثبت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله ، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة .

أندرون ويلكم أيّ كبد لرسول الله فريتم ؟ وأيّ كريمة له أبرزتم ؟ وأيّ حرمة له هتكتم ؟ وأيّ دم له سفكتم ؟!! لقد جثتم شيئاً إذا تكاد السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هداً ، لقد جثتم بها صلعاء عفاء سوداء فقهاء^(٣) ، كطلاع الأرض أو ملء السماء ، أفعجيتم أن قطرت السماء دماً ؟ ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون ، فلا يستخفّنكم المهمل ، فإنّه عزّ وجلّ لا يحفره البدار ، لا يخاف فوت النّار ، وإنّ ربكم بالمرصاد .

قال الراوي : فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبيكون ، وقد ردّوا أيديهم في أفواههم ؛ ورأيت شيخاً واقفاً يبكي وقد اخضلت لحيته ، وهو يقول :

كهولهم خير الكهول ونسلهم إذا عدّ نسل لا يخيب ولا يخزي

وفي رواية صاحب (الاحتجاج) أن عليّ بن الحسين (عليهما السلام) قال :

« يا عمّة اسكتي ، ففي الباقي من الماضي اعتبار ، وأنت بحمد الله عالة غير معلّمة ، فهمة غير مفهّمة ، إنّ البكاء والحزن لا يردّان من قد أباده الدهر » .

هذا وقد خطبت فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) وأمّ كلثوم أيضاً خطبتين كما نقل ، لا مجال هنا لإيرادهما .

وبعد أن نقل السيّد ابن طاووس الخطبة ، قال : فضجّ الناس بالبكاء والأنين والنوح ، ونشر النساء شعورهنّ ، ووضعن التراب على رؤوسهنّ ، وخشن وجوههنّ ، وضربن خدودهنّ ، ودعون بالويل والثبور ، وبكى الرجال ، فلم يرباك وبائية أكثر من ذلك اليوم .

(١) رخص الثوب : غسله .

(٢) المدرة : سيد القوم وزعيمهم .

(٣) أي الداعية المتفانقة الفبيحة التي أتوها .

خطبة السَّجَاد (عليه السلام)

ثُمَّ إِنَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ (عليه السلام) أَوْسَأَ إِلَى النَّاسِ أَنْ اسْكُتُوا فَسَكُتُوا ، وَهُوَ قَائِمٌ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي فَأَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، أَنَا ابْنُ الْمَذْبُوحِ بِشَطِّ الْفِرَاتِ ، مَنْ غَيْرَ ذُحْلِ وَلَا تَرَاتٍ ^(١) ، أَنَا ابْنُ مَنْ انْتَهَكَ حَرَمِي ، وَسَلَبَ نَعِيمِي ، وَانْتَهَبَ مَالِي ، وَسَبَى عِيَالِي ؛ أَنَا ابْنُ مَنْ قَتَلَ صَبْرًا ، وَكَفَى بِذَلِكَ فَخْرًا .

أَيُّهَا النَّاسُ ، نَاشِدُكُمْ بِاللَّهِ ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ كُتِبْتُمْ إِلَى أَبِي وَخُدَعْتُمُوهُ ، وَأَعْطِيَتْكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ وَالْبَيْعَةَ ، ثُمَّ قَاتَلْتُمُوهُ وَخُدَلْتُمُوهُ ؟ فَنَبَأَ لَكُمْ مَا قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ، وَسَوَاءَ لِرَأْيِكُمْ ، بَأَيِّ عَيْنٍ تَنْظُرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إِذْ يَقُولُ لَكُمْ : قَتَلْتُمْ عَتْرَتِي ، وَانْتَهَكْتُمْ حَرَمِي ، فَلَسْتُمْ مِنْ أُمَّتِي ؟ ! »

قال : فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُ النَّاسِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : هَلَكْتُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ !

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) : « رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا قَبْلَ نَصِيحَتِي ، وَحَفِظَ وَصِيَّتِي فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، فَإِنْ لَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسُوءَ حَسَنَةٍ . »

فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : نَحْنُ كُلُّنَا يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ سَامِعُونَ مَطِيعُونَ ، حَافِظُونَ لَذِمَامِكَ ، غَيْرُ زَاهِدِينَ فِيكَ وَلَا رَاغِبِينَ عَنْكَ ؛ فَمَرَرْنَا بِأَمْرِكَ رَحِمَكَ اللَّهُ ، فَإِنَّا حَرَبَ لِحَرْبِكَ ، وَسَلَمَ لِسَلَمِكَ ، لِنَأْخُذَ تَرْتِكَ وَتَرْتَنَا عَنْ ظَلَمِكَ وَظَلَمِنَا .

فَقَالَ (عليه السلام) : « هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ ! أَيُّهَا الْغُدْرَةُ الْمَكْرَةُ ، حِيلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ شَهْوَاتِ أَنْفُسِكُمْ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ كَمَا أَتَيْتُمْ إِلَى آبَائِي مِنْ قَبْلِ ؟ كَلَّا وَاللَّهِ ، فَإِنَّ الْجَوْحَ لَمَّا يَنْدُمُ ، قَتَلَ أَبِي بِالْأَمْسِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مَعَهُ ، فَلَمْ يَنْسِنِي تُكُلْ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وَتُكُلْ أَبِي وَبَنِي أَبِي وَجَدَهُ فِي لَهَاتِي ، وَمَرَارَتَهُ بَيْنَ حَنَاجِرِي وَحُلْفِي ، وَغَصَصَهُ نَجْرِي فِي فِرَاشِ صَدْرِي ، وَمَسْأَلَتِي أَنْ لَا تَكُونُوا لَنَا وَلَا عَلَيْنَا . »

ثُمَّ قَالَ (عليه السلام) :

لَا غُرُو أَنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ ، فَشَيْخُهُ قَدْ كَانَ خَيْرًا مِنْ حُسَيْنٍ وَأَكْرَمًا

(١) الذَّحَلُ : النَّارُ ، وَالتَّرَاتُ : جَمْعُ تَرَةٍ وَهِيَ الظُّلُمُ وَالْإِنْتِقَامُ .

لا تفرحوا يا أهل كوفة بالذي قتل بشطّ النهر رُوحِي فداؤهُ
 أصيب حين كان ذلك أعظمُ جزاء الذي أَرَداه نار جهنّمَا
 ثم قال (عليه السلام) :

« رَضِينَا مِنْكُمْ رَأْساً بِرَأْسٍ ، فَلَا يَوْمَ لَنَا ، وَلَا يَوْمَ عَلَيْنَا » .



الفصل الرابع

أهل البيت (عليهم السلام) في دار الإهانة بالكوفة

لَمَّا قَدِمَ أَهْلُ الْبَيْتِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ الْكُوفَةَ جَلَسَ ابْنُ زِيَادٍ فِي الْقَصْرِ ، وَأَذَنَ لِلنَّاسِ إِذْنًا عَامًّا ، فَاجْتَمَعَ فِي قَصْرِهِ كُلِّ حَاضِرٍ وَبَادٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِرَأْسِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَتَبَسَّمُ ، وَفِي يَدِهِ قَضِيبٌ^(١) ، وَقِيلَ : سَيْفٌ رَفِيقٌ ، يَضْرِبُ بِهِ ثَنَائِيَاهُ وَيَقُولُ : إِنَّهُ كَانَ حَسَنَ الثَّغْرِ ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِهِ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَلَمَّا رَأَاهُ يَضْرِبُ بِالْقَضِيبِ ثَنَائِيَاهُ قَالَ :

« اِرْفَعْ قَضِيبَكَ عَنْ هَاتَيْنِ الشَّفَتَيْنِ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ رَأَيْتُ شَفَتِي رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَلَيْهَا يَقْبَلُهَا مَا لَا أَحْصِيهِ » .

ثُمَّ انْتَحَبَ بِأَكْبَا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ : أَبْكَى اللَّهُ عَيْنِكَ ، أَنْبَكِي لِفَتْحِ اللَّهِ ؟ وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ خَرَفْتَ وَذَهَبَ عَقْلُكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ ، فَهَضَّ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَصَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ .

قَالَ الرَّاوِي : وَكَانَتْ زَيْنَبُ أُخْتُ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) فِي جُمْلَةٍ مِنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ ، وَقَدْ دَخَلَتْ مُتَتَكِّرَةً وَعَلَيْهَا أَرْدَلُ ثِيَابِهَا ، وَمَضَتْ حَتَّى جَلَسَتْ نَاحِيَةً ، وَحَفَّتْ بِهَا إِمَامُهَا .

(١) لَمَلَّ هَذَا الْقَضِيبُ هُوَ الَّذِي تَحْمُولُ إِلَى حَيَّةٍ بَرَزَخِيَّةٍ بِمَا يَلَاتِمُ تَجَسُّمَ الْأَعْمَالِ ، إِذْ نُقِلَ فِي الْعَدِيدِ مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ أَنَّ رَأْسَ هَذَا الْكَافِرِ كَانَ مَرْمِيًّا عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ رُؤُوسِ الْقَتْلِ أَيَّامَ الْمُخْتَارِ ، وَالنَّاسُ يَنْفَرُجُونَ ، وَإِذَا بَحِيَّةٌ تَدْخُلُ وَتَخْرُجُ مِنْ نَفْثِ عَيْنَيْهِ وَفَمِهِ ، وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : قَدْ جَاءَتْ ، قَدْ جَاءَتْ ، وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْهَا .

وَيُسْتَفَادُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ أَنَّ ابْنَ زِيَادٍ جَعَلَ يَضْرِبُ ثَنَائِيَا الْحُسَيْنِ بِالْقَضِيبِ سَاعَةً ، وَيَكْرُرُ ذَلِكَ بِضَرَبَاتٍ مُتَابِعَةٍ كَالْمَطَرِ الْمُنْتَاقِطِ عَلَى الْأَرْضِ .

فقال ابن زياد : من هذه التي انحازت وجلست ناحية ، ومعها نساؤها ؟ فلم يلق جواباً ، فأعاد القول ثانية وثالثة يسأل عنها فقالت له بعض إمائها : هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

فأقبل عليها ابن زياد وقال : الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم ، وأكذب أحدوثكم ؛ فقالت زينب سلام الله عليها :

« الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) ، وطهرنا من الرجس تطهيراً ، إنما يفتضح الفاسق ، ويكذب الفاجر ، وهو غرنا » .

فقال : كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك ؟

فقالت : « ما رأيت إلا جيلاً ، وهؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل ، فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاح وتخاصم ، فانظر لمن الفلج يومئذ ، ثكلتك أمك يا بن مرجانة » .

قال : فغضب ، وكأنه هم بها ، فقال له عمرو بن حريث (وكان في الحضور) : إنها امرأة ، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها ؛ فقال لها ابن زياد : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين ، والعصاة المردة من أهل بيتك ! فقالت وقد أخذتها الرقة وهي تبكي :

« لعمرى لقد قتلت كهلي ، وقطعت فرعي ، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت » !!

فقال ابن زياد : هذه سَجَاعَةٌ^(١) ، ولعمري لقد كان أبوها سَجَاعاً شاعراً ، فقالت وهي لا تملك صبرها : « يا بن زياد ، وما للمرأة والسجاعة » ؟!

وفي رواية ابن غما أنها قالت : « وإن لي عن السجاعة لشغلاً ، وإنِّي لأعجب ممن يشتفي بقتل أئمنته ، ويعلم أنهم منتقمون منه في آخرته » !

ثم التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين (عليهما السلام) فقال : من هذا ؟ فقيل :

(١) السَجَاعَةُ : التي تقول السجع ، وهو الكلام المفقئ ، ويحتمل أن تكون السجاعة بشين معجمة ، أي الجريئة ، وفي منتهى الأرب : السجاعة بالتثنية : المرأة الجريئة في الشدة .

أقول : يكفي في شجاعة زينب سلام الله عليها أنها في هذا التجمع الكبير أنها عيرت ذلك الدب الأكبر في أمه مرجانة ، وكانت أمه مشهورة بالزنى .

وقد أشار إليها أمير المؤمنين (ع) في قوله ليثم النثار : « لياخذنك المثل الزنيم ابن الأمة الفاجرة عبيد الله بن زياد » وأشار إليها الشاعر أيضاً بقوله :

لعن الله حيث حل زياداً وابنه والمعجوز ذات البعول

عَلِيَّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ قَدْ قَتَلَ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَام) : قَدْ كَانَ لِي أَخٌ يَسْمَى عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ، قَتَلَهُ النَّاسُ ؛ فَقَالَ : بَلِ اللَّهُ قَتَلَهُ ، فَقَالَ : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ .

فقال ابن زياد : ولك جرأة على جوابي ؟ اذهبوا به واضربوا عنقه .

فَتَعَلَّقَتْ بِهِ عَمَّتُهُ زَيْنَبُ وَقَالَتْ : « يَا بْنَ زِيَادَ ، حَسْبُكَ مِنْ دِمَائِنَا » ، وَاعْتَفَقَتْ وَقَالَتْ : « وَاللَّهِ لَا أَفَارِقُهُ ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَأَقْتُلْنِي مَعَهُ » .

فَنَظَرَ ابْنُ زِيَادٍ إِلَيْهَا وَإِلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : عَجَبًا لِلرَّحِمِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُظَاهِبُا وَدَّتْ أَنِّي قَتَلْتُهَا مَعَهُ ، دَعُوهُ فَإِنِّي أَرَاهُ لَمَّا بِهِ .

وَفِي رِوَايَةِ السَّيِّدِ : أَنَّ عَلِيًّا (عَلَيْهِ السَّلَام) قَالَ لِعَمَّتِهِ : اسْكُتِي يَا عَمَّةُ حَتَّى أَكَلِمَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ (عَلَيْهِ السَّلَام) فَقَالَ : « أَبَا الْقَتْلِ تَهْذُبْنِي يَا بْنَ زِيَادَ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَتْلَ لَنَا عَادَةٌ ، وَكَرَامَتُنَا الشَّهَادَةُ ؟ »

وَرَوَى أَنَّ الرِّبَابَ بِنْتَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ زَوْجَةَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) كَانَتْ فِي مَجْلِسِ ابْنِ زِيَادٍ فَأَخَذَتْ الرَّأْسَ الْمُطَهَّرَ وَاحْتَضَنَتْهُ تَقَبَّلَهُ وَتَدَبَّهَ وَتَقُولُ :

وَاحْسِينَا فَلَا نَيْسْتَ حَسِينَا قَصَدْتَهُ أَسْنَةَ الْأَدْعِيَاءِ
غَادَرُوهُ بِكَرْبَلَاءَ صَرِيحاً لَا سَقَى اللَّهُ جَانِبِي كَرْبَلَاءَ
وَقَدْ أَرَادَتْ بِقَوْلِهَا : « لَا سَقَى اللَّهُ جَانِبِي كَرْبَلَاءَ » الْإِشَارَةَ إِلَى عَطَشِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) ، وَالْحَقُّ أَنَّهُمَا لَمْ تَنْسَهُ ، كَمَا سِيرِدَ فِي فَصْلِ قَادِمٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

يَقُولُ الرَّوَايُ : ثُمَّ أَمَرَ ابْنَ زِيَادَ بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) وَأَهْلِهِ فَحَمَلُوا إِلَى دَارٍ إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ ، فَقَالَتْ زَيْنَبُ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهَا : « لَا يَدْخُلُنَّ عَلَيْنَا عَرَبِيَّةٌ ، إِلَّا أَمْ وَلَدٌ أَوْ مَمْلُوكَةٌ ، فَإِنَّهُنَّ سُبَيْنٌ وَقَدْ سَبَيْنَا » .

قُلْتُ : وَيُنَاسِبُ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ أَذْكَرَ شِعْرَ أَبِي قَيْسٍ بْنِ الْأَسَلْتِ الْأَوْسِيِّ :

وَيَكْرِمُهَا جَارَاتُهَا فَيَزِرُهَا وَتَعْتَلُ عَنْ إِيْتَانِهِنَّ فَتُعْذَرُ
وَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَسْتَهِنَ بِجَارَةٍ وَلَكِنَّهَا مِنْهُنَّ تَحْيَى^(١) وَتُخْفَرُ

مقتل عبد الله بن عفيف الأزدي

يقول الشيخ المفيد (ره) : ثم إن ابن زياد صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ، ونصر أمير المؤمنين وأشياعه ، وقتل الكذاب (والباطل بالله) ابن الكذاب وأتباعه .

فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ، وكان من خيار الشيعة وزهادها ، وكانت عينه اليسرى ذهبت في يوم الجمل ، والأخرى في يوم صفين ، وكان يلزم المسجد الأعظم فيصل إلى الليل ، فقال :

يا بن مرجانة ، إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ، ومن استعملك وأبوه ، يا عدو الله ، أنقتلون أبناء النبيين وتكلمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين ؟!

فغضب ابن زياد حتى انتفخت أوداجه ، وقال : علي به ، فبادر إليه الجلاوزة من كل ناحية ليأخذوه ، فقامت الأشراف من الأزدي من بني عمه فخلصوه من أيدي الجلاوزة ، وأخرجوه من باب المسجد ، وانطلقوا به إلى منزله .

ولما لم تكن لابن زياد طاقة على قتالهم ، تربص حتى كان الليل ، فأرسل إليه من أخرجه من بيته ، فضرب عنقه وصلبه في السبخة^(١) ، رحمه الله .

ولما أصبح ابن زياد بعث برأس الحسين (عليه السلام) فدير به في سكك الكوفة وقبائلها .

وروي عن زيد بن الأرقم أنه قال : مرّوا عليّ برأس الحسين (عليه السلام) وهو على رمح ، وأنا في غرفة لي ، فلما حاذاني سمعته يقرأ :

﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ ؟

فقفّ والله شعري عليّ ، وناديت : « رأسك يا بن رسول الله أعجب وأعجب » .

وروي أن أربعة مساجد جذدت بالكوفة فرحاً بقتل الحسين (عليه السلام) : مسجد الأشعث ، ومسجد جرير ، ومسجد سبأك ، ومسجد شيب بن ربيع .

(١) السبخة : أرض ذات ترّ وملح ، وهي اسم موضع في البصرة ، ويحتمل أن بالكوفة سبخة صلب فيها عبد الله ، والبعض يذكر : « مسجد » مكان سبخة ، والله هو العالم .

[جاء في (البحار) أن المراد بالسبخة : الكناسة (المرعب)] .

يعرف من كتاب (الدرّ النظيم) أن خبر مقتل الحسين (ع) وصل إلى المدينة بعد أربعة وعشرين يوماً مضت على يوم عاشوراء ، والله هو العالم .

الفصل الخامس

في كتاب ابن زياد الكندي ويهجوته الكندي

لما انجز عبيد الله بن زياد قتله ونهبه وأسره لأهل البيت صلوات الله عليهم ، كتب إلى يزيد بن معاوية يخبره بقتل الحسين ، وخبر أهل بيته ، وكتب أيضاً إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة يمثل ذلك ، والشيخ المفيد لم يتعرض لكتاب يزيد بل قال :

ثم إنه بعد أن طيف برأس الحسين في سكك الكوفة ، بعث به مع سائر الرؤوس مع زحر بن قيس إلى يزيد .

ثم بعث بعيد الملك السلمي إلى المدينة بعد أن أوصاه بقوله : انطلق حتى تأتي عمرو بن سعيد بالمدينة ، فبشره بقتل الحسين .

قال عبد الملك : فركبت راحلتي وسرت نحو المدينة ، فلقيني رجل من فريش ، فقال : ما الخبر ؟ فقلت : الخبر عند الأمير تسمعه ، قال : إن الله وإننا إليه راجعون ، قتل والله الحسين .

فلما دخلت على عمرو بن سعيد قال : ما وراءك ؟ فقلت : ما سرُّ الأسير ! قتل الحسين بن عليّ ، فقال : اخرج فتاد بقتله ، فتأديت ، فلم أسمع والله واعية^(١) قط مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين بن عليّ حين سمعوا النداء بقتله .

ثم دخلت على عمرو بن سعيد ، فلما رأي تَبَسَّم إليّ ضاحكاً ، ثم انشأ متمثلاً بقول عمرو بن معدي كرب :

(١) الواعية : الصراخ .

عَجَّت نساء بني زياد عَجَّة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب^(١)
ثم قال : هذه واعية بواعية عثمان ، ثم صعد المنبر فأعلم الناس بقتل الحسين .

ووفقاً لبعض الروايات فإن عمرو بن سعيد قال كلاماً يذكر به بدم عثمان ، ملوحاً بأن بني هاشم كانوا سبب قتله ، وما هم الآن قتلوا حسيناً قصاصاً لدم عثمان ، قال : إنها لدممة بلدمة ، وصدمة بصدمة .

ثم قال مراعي المصلحة : والله لوددت أن رأسه في بدنه ، وروحه في جسده ، أحياناً كان يسبنا ونمدحه ، ويقطعنا ونصله ، كعادتنا وعادته ، ولكن كيف نصنع بمن سلب سيفه يريد قتلنا إلا أن تدفعه عن أنفسنا ؟

فقام عبد الله بن السائب فقال : لو كانت فاطمة حيّة فرأت رأس الحسين لبكت عليه ، فقال له عمرو : نحن أحقّ بفاطمة منك ، لو كانت حيّة لبكت عيناها ، وحرّرت كيدها ، وما لامت من قتله ودفعه عن نفسه .

قال : فدخل بعض موالى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فنعى إليه ابنه ، فقال عبد الله بن جعفر : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

ودخل بعض مواليه ودخل الناس يعزّونه ، فقال غلام له هو أبو اللسلاس : هذا ما لقينا من الحسين بن علي ! يريد أن الحسين (عليه السلام) سبب مصيبتهم .

فحذفه عبد الله بنعله ، ثم قال : « يا ابن اللخناء ، أللحسين تقول هذا ؟ والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه » .

ثم أقبل على جلسائه فقال : « عزّ علي مصرع الحسين ، فالحمد لله ، إن لا أكن آسيت حسيناً بيدي فقد آسأه ولداي » .

قال الراوي : لما سمعت أمّ لقيان بنت عقيل بن أبي طالب نعي الحسين (عليه السلام) خرجت حاسرة ومعهما أخواتها : أمّ هانئ ، وأسما ، ورملة ، وزينب بنات عقيل تبكي قتلها بالطف وهي تقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم ؟
بعتري وباهلي بعد مفتقي منهم أسارى وقتلى ضُرّجوا بدم

(١) الأرنب : وقعة كانت لبني زياد على بني زياد من بني الحرث بن كعب ، وهذا البيت لعمر بن معدى كرب .

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تحلفوني بسوء في ذوي رحمي

يقول الشيخ الطوسي (ره) : لما أتى نبي الحسين (عليه السلام) المدينة خرجت أسماء بنت عقيل مع جماعة من نساء أهل البيت ، حتى انتهت إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلاذت به وشهقت عنده ، ثم التفتت إلى المهاجرين والأنصار وهي تقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم
خذلتكم عتري أو كنتم غيباً
يوم الحساب وصدق القول مسموع
والحق عند ولي الأمر مجموع
أسلمتموهم لأيدي الظالمين فما
منكم له اليوم عند الله مشفع

يقول الراوي : فما رأينا باكياً ولا باكياً أكثر مما رأينا في ذلك اليوم ، الذي ما أن وصل إلى آخره وكان الليل ، حتى سمع أهل المدينة منادياً يسمعون صوته ولا يرون شخصه ينادي :

أيها القاتلون جهلاً حسيناً
كل أهل السماء يدعوا عليكم
أبشروا بالعذاب والتنكيل
من نبي ومرسل وقتيل
قد لعنتم على لسان ابن داود
د وموسى وصاحب الإنجيل



الفصل السادس

وَدَّ يَزِيدٌ عَلَى كِتَابِ ابْنِ زِيَادٍ وَالرَّحِيلِ الْكَافِرِ

تسير أهل البيت (عليهم السلام) إلى الشام

لَمَّا وَصَلَ كِتَابُ ابْنِ زِيَادٍ إِلَى يَزِيدٍ وَوَقَفَ عَلَيْهِ أَعَادَ الْجَوَابَ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ فِيهِ بِحَمَلِ رَأْسِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَرُؤُوسَ مَنْ قَتَلَ مَعَهُ ، وَحَمَلَ أُنْقَالَه وَنِسَائَهُ وَعِيَالَهُ .
يقول أبو جعفر الطبري في تاريخه :

لَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنَ وَجِئَ بِالْأُنْقَالِ وَالْأَسَارَى حَتَّى وَرَدُوا بِهِمُ الْكُوفَةَ إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَبَيْنَا الْقَوْمَ مُحْتَسِبُونَ إِذْ وَقَعَ حَجَرٌ فِي السَّجَنِ مَعَهُ كِتَابٌ مَرْبُوطٌ ، وَفِي الْكِتَابِ :
« خَرَجَ الْبَرِيدُ بِأَمْرِكُمْ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَهُوَ سَائِرُ كَذَا وَكَذَا يَوْمًا ، وَرَاجِعٌ فِي كَذَا وَكَذَا ؛ فَإِنْ سَمِعْتُمْ التَّكْبِيرَ فَأَيِّقُوا بِالْقَتْلِ ، وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا تَكْبِيرًا فَهُوَ الْأَمَانُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ قُدُومِ الْبَرِيدِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، إِذَا حَجَرٌ قَدْ أُلْقِيَ فِي السَّجَنِ وَمَعَهُ كِتَابٌ مَرْبُوطٌ وَمَوْسَى ، وَفِي الْكِتَابِ :

« أَوْصُوا وَاعْهَدُوا ، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ الْبَرِيدُ يَوْمَ كَذَا كَذَا » .

فَجَاءَ الْبَرِيدُ ، وَلَمْ يَسْمَعْ التَّكْبِيرَ ؛ وَجَاءَ كِتَابُ بَانَ : « سَرَّحَ الْأَسَارَى إِلَى » .

قال : فدعا عبید الله بن زیاد مخفر بن ثعلبة والشمير بن ذي الجوشن فقال : انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية .

وفي رواية الشيخ المفيد : دفع ابن زياد رأس الحسين صلوات الله عليه . إلى زحر بن قيس ، ودفع إليه رؤوس أصحابه ، وصرّحه إلى يزيد بن معاوية ، وأنفذ معه أبا بردة بن عوف

الأزدّي ، وطارق بن أبي ظبيان في جماعة من أهل الكوفة .

وعلى العموم فبعد إنفاذ الرؤوس أمر بإعداد أهل البيت (عليهم السلام) للرحيل ، وأمر بالسّجّاد (عليه السلام) فُعلّ ، وبالمخدرات فحملن على الجمال كما يفعل بالأسرى ، وعيّن عليهم مخفّر بن ثعلبة والشمر ، وأمرهما بالإسراع والاتحاق بـزحر بن قيس ، فسارعوا يبطون الطرق حتّى انتهوا إلى زحر بن قيس .

قال المقرئزي^(١) في (الخطط والآثار) : وسرّ النساء والصبيان ، وغلّت يدا عليّ بن الحسين ، وحملوهم على الأتائب .

وجاء في (كامل البهائي) أنّ إمام أهل البيت وحرمة خرجوا إلى الشام على رواحلهم ، ذلك أنّ الأموال انتهت ، أمّا الرواحل فتركت معهم ؛ وجاء أيضاً أنّ الشمر بن ذي الجوشن ومخفّر بن ثعلبة وليا أمورهم ، فقرّنا عن عليّ بن الحسين (عليه السلام) بالأغلال الثقلية ، كما قيّدا يديه إلى عنقه ، واشتغل الإمام في الطريق بحمد الله والثناء عليه ، وفي الصلاة والاستغفار ، فلم يكن ليكلّم أحداً سوى مخدّرات أهل البيت عليهم السلام . انتهى .

وعلى العموم فإن أولئك المنافقين نصبوا رؤوس الشهداء على الرماح ، أمام أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وساروا بهم من مدينة إلى أخرى ، ومن منزل إلى آخر ، بكل شناعة وإذلال ، وكانوا يمرّون بهم على كل قرية وقبيلة تحذيراً للشيعة عليّ (عليه السلام) كي يقنطوا من أمر استخلاف بني هاشم ، ويخلصوا الميل إلى يزيد ، وكانت المرأة أو الطفل إذا ذكر أحدهما قتلاه فبكي أسكنته وخزة من رمع في رأسه ، من أحد حملة الرماح المحيطين بهم ، وما زال أولئك المظلومون في معاناتهم ، وهم لا ناصر لهم ، حتّى انتهوا بهم إلى دمشق .

ويذكر السيد ابن طاوس في كتاب (الإقبال) نقلاً عن كتاب (مصابيح الأنوار) عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال :

« قال لي أبي محمّد بن عليّ : سألت أبي عليّ بن الحسين عن حمل يزيد له ، فقال : حملني على بعير يطلع بغير وطاء ، ورأس الحسين على علم ، ونسوتنا خلفي على بغال وكُفّ^(٢) ، والغارطة^(٣) خلفنا وحولنا بالرماح ، إن دعت من أحدنا عين قرع رأسه بالرمح ، حتّى إذا

(١) المقرئزي : تقيّ الدين أحمد بن عليّ المؤرّخ صاحب الكتب الكثيرة ، منها تاريخ مصر المسمّى بـ (المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) ، أصله من بعلبك ، ويعرف بالمقرئزي نسبة إلى حارة تعرف بحارة المقارضة ، وتوفّي سنة ٨٥٤ هـ .

(٢) وكُفّ : جمع وكاف وكاف ، وهو البرذعة دون سرج .

(٣) الغارطة : جمع فارط ، وهو الذي يتقدّم قومه إلى الماء ، والمراد هنا : الأفراد الموكّلون بالمقابلة .

دخلنا دمشق صباح صائح : يا أهل الشام ، هؤلاء سبابا أهل البيت الملعون . (نعوذ بالله) !!

ونقل عن (التبر انداب) وغيره أن المؤكّلين بالرؤوس والأسارى كانوا إذا بلغوا منزلاً من المنازل أخرجوا الرأس المقدس من الصندوق المودع فيه ، فنصبوه على السنان ، فإذا ارتحلوا أعادوه ثم احتملوا ؛ وكانوا في أكثر المنازل يشربون الخمر إذا حلّوا ، ومنهم : مخفر بن ثعلبة ، وزحر بن قيس ، والشمر ، وخولي وغيرهم .

يقول المؤلف : لم يورد أرباب المقاتل المعروفة والمعتمدة ذكراً لمواقع المنازل التي مرّ بها أهل البيت (عليهم السلام) في رحلتهم من الكوفة إلى الشام بترتيب وتسلسل منتظم إلا البعض منها ، مع أن مفردات تلك المواقع وردت صحيحة في الكتب المعتمدة .

وفي كتاب ينسب إلى أبي مخنف^(١) ذكرت أسماء المنازل ، وجاء فيه أن الرؤوس والسبابا سبّروا من شرقي (الحصاصة) ، فعبّروهم إلى (تكريت) ، ثم عبّروهم طريقاً بريّة إلى (أعمى) ، ثم مرّوا على (دير أغور) فعلى (صليتا) ، وبعدها (وادي نخلة) ، وفي هذا المنزل ندّعت إلى أسماءهم أصوات الجنّ وهنّ ينحنّ على الحسين (عليه السلام) ويرثينه ؛ ثم ساروا من وادي نخلة عن طريق (أرمينا) حتى بلغوا (لبا) ، وقد خرج أهلها ينوحون ويبكون ، ويصلّون على الحسين وأبيه وجده صلوات الله عليهم ، ويعلنون البراءة من قتلته ؛ ثم طردوا العسكر من بلدتهم .

(١) لا يخفى أنّ أبا مخنف لوط بن يحيى الأزديّ من أكابر المحدثين ، ومعتمد أرباب السير والتواريخ ، (ومقتله) في غاية الاعتبار ، وذلك معلوم من أنّ أعظم قدماء العلماء يفتنون عنه ، ولكنّ ممّا يؤسف له أنّ أصل (مقتله) الحالي عن أي عيب ليس في تناول ، (و المقتل) الموجود الذي ينسب إليه يشتمل على بعض أمور منكّرة لعلّ الأعادي والجهّال ضنّوها هذا الكتاب لأغراض غير سليمة ، ولهذا السبب فقط سقط الكتاب عن مرتبة الاعتبار ، وبعثت مفرداته عن الوثوق .

غير أنّ ما جاء فيه عن سير أهل البيت من الكوفة إلى الشام من أمور عديدة - ونقلنا نحن ملخصاً عنها - لا يصحّ أن يقال بأنّها جميعها من دسّ الوضّاعين ، سيّما وأنّ بعضها لا داعي فيه للوضع ، علاوة على أن هناك شواهد على صدق أغلبها لوجوده في الكتب المعتمدة ، كفضية دير راهب قنّرين وكان في منزل في حلب ، وآل إلى الخراب إثر غارة من الروم سنة ٣٥١ ، وقصة اليهوديّ الحرّانيّ التي نقلها السيّد عطاء الله بن السيّد غياث الدين في (روضة الأحباب) ، كما نقل ابن شهر آشوب أموراً كثيرة ، وصرّح العالم الجليل الخبير عباد الدين الحسن بن عليّ الطبرسيّ في (كامل السقيفة) أن الركب مرّ في مسيره على مابّد والموصل ونصيبين وبعبلّك وميفارقين وشيّز ؛ كما أنّ الفاضل الأئمّيّ الملاّ حسين الكاشفي نقل أموراً متعدّدة عن المروء فيها بين منازل عديدة في (روضة الشهداء) ، ومن هذا مجموعه يصلّ الاطمئنان إلى أن المسير كان عن هذا الطريق ، كما أنّه لم يصلنا خلافه حتّى الآن من أصول الأصحاب وأقوالهم .

وتابع الركب سيره حتى عبروا (كحيل) ومنها إلى (جُهينة) ، ومن جهينة كتبوا إلى عامل الموصل ليكون في استقبالهم ، ويخبرونه أنَّ رأس الحسين (عليه السلام) معهم ، فأمر عامل الموصل بإقامة الزينات ، وخرج مع جمع كبير من الناس لاستقبالهم على سَنة آميال من المدينة ، وتساءل البعض عن الأمر ، فقيل لهم : إنهم يحملون رأس خارجيٍّ إلى يزيد ! فقال أحدهم : أيُّها القوم إنَّه رأس الحسين بن عليٍّ (عليها السلام) ، وليس رأس خارجيٍّ ، فها أن أدرك الناس ذلك حتى تجهز أربعة آلاف من الأوس والخزرج لقتال عسكر ابن زياد واستخلاص الرأس منهم ودفنه ، فبلغهم ذلك فامتنعوا عن دخول (الموصل) وعبروا من (تلٍّ أعفر) نحو جبل (سنجار) ، ومن هناك انتهوا إلى (نصيبين) ومنها إلى (عين الوردية) ثم إلى (دعوات) ، وقبل أن يبلغوا (دعوات) كتبوا إلى عاملها ، الذي أحسن استقبالهم ، ودخلوا البلدة ، ثم نصبوا الرأس المبارك من الظهر إلى العصر في الرجة ، وانقسم الناس هناك إلى فريقين ، فريق أسعده الأمر وأفرحه ، وفريق أقام مأتم الحزن والعزاء .

وانصرف رجال يزيد تلك الليلة إلى الشراب ، ثم ارتحلوا من غدهم إلى (قنسرين) ، فاستقبلهم أهلها باللعن والضرب بالحجارة ولم يسمحوا لهم بدخولها ، فانصرفوا منها إلى (معرة النعمان) حيث استقبلهم أهلها بالترحاب ، وقدموا لهم الطعام والشراب ، فقصوا هناك يومهم ، ثم توجهوا إلى (شَيزَر) فمنعوا من دخولها ، فتابعوا سيرهم إلى (كفر طاب) حيث منعوا من دخولها كذلك ، وقد نفد منهم الماء واشتدَّ بهم العطش ، ولم يجد التماس خوليٍّ ورجاؤه لهم نفعاً ، بل قيل لهم : لن تذوقوا قطرة ماء واحدة ، كما قتلتم الحسين وأصحابه عطاشي .

ثم انتقلوا منها إلى (سيبور) فانبرت طائفة من أهلها لقتال أولئك الكفرة ، فدعت لهم أمّ كلثوم بأن يسيغ الله مياههم ، ويرخص أثمان حوائجهم ، ويحجب الطغاة عنهم ؛ ثم توجهوا إلى (حاة) فأغلق أهلها الأبواب في وجوههم .

فتوجهوا نحو (حمص) ومنها إلى (بعلبك) حيث استقبلهم أهلها بالطيب والزمهرى وقرى الدفوف ، فدعت عليهم أمّ كلثوم نقيض ما دعت لأهل سيبور ، ثم انتقلوا منها إلى (الصوامة) ومنها إلى (الشام)^(١) .

(١) إلى هذا التجوال بأهل البيت خير الأنام في ديار الإسلام أشارت السيدة زينب سلام الله عليها في خطبتها في مجلس يزيد بقولها :

« أومن العدل يا بن الطلقاء تحذيرك حرائك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن ، تحذو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل . . . الخ .
كما أشار الشاعر إلى إشهار الرأس المقدس فقال :

قد أخذ هذا المختصر عن كتاب ينسب إلى أبي مخنف (ره)، وفي هذا الكتاب كما في (كامل البهائي) و(روضة الأحباب) و(روضة الشهداء) وغيرها قضايا ووقائع متعددة، وكرامات كثيرة لأهل البيت (عليهم السلام)، وكرامات صدرت عن الرأس المقدس في أغلب هذه المنازل، وإذا يتعارض نقلها مع هذا المختصر، فنحن نكتفي بذكر بعضها، مع أن ابن شهر آشوب يقول في (الناقب):

«ومن مناقبه: ما ظهر من المشهد الذي يقال له: مشهد الرأس، من كربلاء إلى عسقلان وما بينهما، والموصل ونصيبين وحماة وحمص ودمشق وغير ذلك».

ويعلم من هذه العبارة أن «مشهد الرأس» كان في كل من هذه المنازل، وأن كرامة كانت تظهر من ذلك الرأس المقدس.

وهذه إحدى الوقائع والكرامات التي وردت في (روضة الشهداء) للفاضل الكاشفي:

لما اقتربت قافلة السبايا من الموصل، وأبلغ جند يزيد عاملها بوصولهم، رفض أهلها إدخال الرؤوس وأهل البيت إلى مدينتهم، وأرسلت إليهم الأطعمة والأعلاف وهم على بعد فرسخ منها، حيث نزلوا هناك، ووضعوا الرأس المقدس على صخرة، فوقعت قطرة دم من الحلقوم المقدس على تلك الصخرة، فصارت تلك الصخرة بعد ذلك ترشح دماً عبيطاً طرياً كل عام في يوم عاشوراء، فيتحلق الناس حول الصخرة وقيمون مأتماً للغزاة؛ واستمر الأمر على ذلك حتى عهد عبد الملك بن مروان الذي أمر باقتلاع تلك الصخرة وإخفائها، فأقام الناس في مكانها مشهداً تعلوه قبة، وصار مزاراً يعرف بمشهد النقطة.

وكرامة أخرى هي واقعة حرّان، وقد وردت في طائفة من الكتب إضافة إلى الكتاب المذكور، وخلاصة الواقعة أنه لما انتهت قافلة الأسرى والرؤوس إلى بلدة حرّان، وما كان من خروج أهلها للفرجة، شاهد أحد اليهود، واسمه يحيى، أن شفي الرأس المقدس تتحركان، فدنا منه فسمعه يتلو: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾، فأخذه العجب مما رأى، وسأل عن قصة الرأس فأخبر بأمره، فترحم على الحسين (عليه السلام) ثم نزع عمامته وقسمها على نسوة أهل البيت، وكان عليه ثوب من خز ثمنه ألف درهم قدمه إلى

للمسلمين على قناة يرفع
لا جازع منهم ولا متوجع
وانمت عينا لم تكن بك نهج
واصم رزوك كل أذن سمع
لك مضجع ولخط قبرك موضع

= رأس ابن بنت محمد ووصيه
والمسلمون بمنظر وبسمع
ايقظت اجفانا وكنت لها كرى
كحلت بمنظرك العميون عماية
ما روضة إلا غمت أنها

الإمام السَّجَّاد (عليه السلام) ، فمنعه الجند من ذلك ، فشهّر سيفه وحمل عليهم فقتل خمسة قبل أن ينالوا منه ، ومات بعد أن شهر إسلامه ، إذ ثبتت لديه أحقية الدين الاسلامي ، وقبره قائم عند بوابة حرّان ، ويعرف بقبر يحيى الشهيد ، والدعاء عنده مستجاب .

ونظير واقعة يحيى جرت واقعة (زبير) في عسقلان ، فقد رأى المدينة غلّالها الزينات ، ولما سأل عن الأمر وعرف الحقيقة قدّم ثياباً عنده للإمام عليّ بن الحسين ومخدرات أهل البيت (عليهم السلام) ، وقد جرح على أيدي الجند .

كما نقل عن بعض الكتب أنه لما بلغت القافلة مدينة حماة ، وما كان من مبادرة أهلها لنصرة أهل البيت (عليهم السلام) ، قالت أمّ كلثوم :
ما يقال لهذه المدينة ؟ قالوا : حماة ، قالت : حماها الله من كل ظالم .

قصة سبط الحسين (عليه السلام) في جبل جوشن : جاء في (معجم البلدان) للحموي أنّ (جوشن) جبل يقع إلى الطرف الغربيّ من حلب ، وفيه منجم يجمع منه النحاس الأحمر ، لكنّ ذلك المنجم توقّف عن العمل منذ عبرت من هناك قافلة أسرى أهل بيت الحسين بن عليّ (عليهم السلام) ، ذلك أنه كانت بين الأسرى زوجة للحسين (عليه السلام) وكانت حاملاً فأسقطت جنينها هناك ، فطلبت من عمّال المنجم ماءً ، أو خبزاً ، فامتنعوا وشتموها ، فلعتنهم ؛ فكان كلّ عملهم بعد ذلك في المنجم لا يأتي بفائدة أو نفع ، وإلى القبلّة من هذا الجبل يقوم قبر ذلك السقط ، ويعرف بمشهد السقط ، ومشهد الدكة ، وذلك السقط اسمه محسن بن الحسين (عليه السلام) .

يقول المؤلّف : تشرّفت بزيارة ذلك المشهد ، وهو بالقرب من حلب ، ويدعونه هناك بالشيخ محسن ، وله عمارة رفيعة ومشهد قد شيّد على صخور كبيرة ، لكنه فعلاً عدا عليه الخراب بسبب الحروب التي وقعت هناك .

ويقول صاحب (نسمّة السحر) نقلاً عن ابن طيّ قوله في (تاريخ حلب) : إن سيف الدولة قام ببناء مشهد خارج مدينة حلب ، لأنه شهد ذات ليلة نوراً ينبعث من ذلك المكان ، فلمّا أصبح ركب إلى هناك ، وأمر بحفر الموقع ، فوجد صخرة كتب عليها : « هذا محسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب » ، فأمر بجمع العلويّين والسادة فسألهم ، فقال بعضهم : لمّا أخذوا أهل البيت أسرى أيام يزيد بن معاوية ، عبروا بهم من حلب ، وحدث أنّ إحدى زوجات الحسين (عليه السلام) أسقطت جنينها هناك ؛ فأمر سيف الدولة ببناء المشهد .

أقول : في هذا المكان الشريف تقع مدافن الشيعة ، وفيه قبر ابن شهر اشوب ، وابن

منير ، والسيد العالم الفاضل الثقة الجليل أبي المكارم بن زهرة ، غير أن بني زهرة ، وهم بيت شريف ، لهم في حلب تربة مشهورة .

قصة دير الراهب : واقعة أخرى جرت ، وقد نقلها أكثر المؤرخين والمحدثين من الشيعة والسنة في كتبهم ، بتفاوت بسيط فيما بينهم .

وجعل الواقعة أنه لما نزل جند ابن زياد بالقرب من دير الراهب ، وكان رأس الحسين (عليه السلام) موضوعاً في صندوق ، أو مركوزاً على رمح ، كما في رواية القطب الراوندي ، والحراس حوله يحرسونه وهم يشربون الخمر ليلاً ، ثم وضعوا الطعام وجعلوا يأكلون ، وإذا بكفت تمتد من حائط الدير ، ومعها قلم من حديد ، فكتبت بالدم :

اترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب ؟

فجزع القوم جزعاً شديداً ، وأهوى بعضهم إلى الكف ليمسك بها فغابت ، فعادوا إلى طعامهم ، فإذا الكف قد عادت تكتب :

فلا والله ليس لهم شفيع وهم يوم القيامة في العذاب
فقام بعضهم إليها فغابت من جديد ، فعادوا إلى ما كانوا فيه ، فإذا بها تظهر للمرة الثالثة وتكتب :

وقد قتلوا الحسين بحكم جور وخالف حكمهم حكم الكتاب
فامتنعوا عن الطعام فما عادوا يستسيغونه ، وقبعوا في رعب شديد ، ثم عليهم التعاس فناموا .

وعند منتصف الليل طرقت سمع راهب الدير أصوات ، فلما أصغى سمع نسيحاً وتقديساً لهيئتين ، فقام ونظر من نافذة الدير فرأى نوراً يسطع نحو السماء من صندوق موضوع بجانب حائط الدير ، ورأى الملائكة تهبط من السماء فوجاً إثر فوج ، وهم يقولون :

« السلام عليك يا بن رسول الله ، السلام عليك يا أبا عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليك » .

تعتب الراهب مما يشهد ، وأخذ الرعب والجزع الشديدين ليكنه تلك ، فلما أشرق الصباح خرج من صومعته فنادى من الجند وسأل عن رئيسهم ، فقالوا : حولي الأصبحي ، وقادوه إليه ، فسأله : ما الذي في هذا الصندوق ؟

قال : رأس رجل خارجي ، خرج في العراق فقتله عبيد الله بن زهاد ! قال : وما

اسمه ؟ قال : الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، قال : وما اسم أمّه ؟ قال : فاطمة الزهراء بنت محمّد المصطفى (صلى الله عليه وآله)، فقال الراهب :

الويل لكم ممّا جنته أيديكم ، لقد صدق أحبارنا وعلمائنا إذ قالوا : إذا قتل هذا الرجل أمطرت السماء دماً ، فليس هو سوى قتل نبيّ أو وصيّ نبيّ !!

ثمّ قال : إنّ لي إليكم حاجة ، دعوني أخذ هذا الرأس ساعة ثمّ أردّه إليكم ، قال خوليّ : لن نخرج هذا الرأس إلّا عند يزيد بن معاوية ، حتّى نفوز منه بجائزتنا .

قال الراهب : وما هي جائزتكم ؟ قال : بدرة فيها عشرة آلاف درهم ، قال : أنا أعطيكم هذا المبلغ ، قال : علينا به .

أحضر الراهب كيساً فيه عشرة آلاف درهم ، فعدها خولي ، ثم جعلها في جرابين ختمها بختمه ، ودفعها إلى خازن له ، وأمر أن يعطى الراهب الرأس .

أخذ الراهب الرأس إلى صومعته ، فغسله بماء الورد ، وحشاه بمسك وكافور كان عنده ، ووضعه على سجّادته ، وأخذ ينوح ويبكي ، ثمّ قال مخاطباً الرأس المنور :

« يا أبا عبد الله ، يعزّ عليّ والله أنّي لم أكن في كربلاء ، إذن لفديتك بنفسي ، فاشهد لي عند جدّك حين تلقاه بأنّي أسلمت على يدك ثمّ قال :

« أشهد أن لا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ، وأشهد أنّ عليّاً وليّ الله » (١) .

ثمّ ردّ الراهب الرأس المقدّس ، ونزل من الدير بعد هذه الواقعة ، ولحق ببعض الجبال يعبد الله ، وصار زاهد عصره حتّى مضى .

وارتحل الجند ، حتّى إذا اقتربوا من دمشق خافوا أن يأخذ يزيد المال منهم ، فجلسوا لاقسامه ، فأمر خوليّ بإحضار الجرايين ، فلمّا استوثق من ختمه عليهما ، فتحهما ، فإذا الدراهم فيها تحوّلت إلى خزف ، وإذا على أحد وجهيها مكتوب : ﴿ لا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون » ، وعلى وجهها الآخر : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أنّي منقلب ينقلبون ﴾ .

قال خولي : هذا سرّ مبهم ، ثمّ قال في نفسه : إنّ الله وإنّا إليه راجعون ، خسرت الدنيا والآخرة .

(١) وفي رواية (التذكرة) للسلط أنّ قال : « أشهد أن لا إله إلّا الله ، وإنّ جدّك محمّداً رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأشهد أنّي مولاك وعبدك » . ثمّ نزل من الدير ، وانصرف إلى خدمة أهل البيت .

ثم قال لخليلانه : اطرحوها في النهر ، فطرحوها في بردى ، وهو نهر في دمشق .

• • •



الفصل السابع

وطول الأسر و رؤوس الشهداء الح الشام

بذكر الشيخ الكفعمي والشيخ البهائي وغيرهما أن الرأس المقدس وصل إلى دمشق في الأول من صفر ، وكان ذلك اليوم عيداً عند بني أمية ، وكان يوماً تتجدد فيه أحزان أهل الإيمان ، قلت : وبحق أن يقال :

كانت ماتم بالعراق تعدها أموية بالشام من اعيادها
قال السيد ابن طاوس (ره) :

وسار القوم برأس الحسين (عليه السلام) ونسائه والأسرى من رجاله ، فلما قربوا من دمشق دنت أم كتلوم من الشمر ، وكان من جملتهم ، فقالت : لي إليك حاجة ، فقال : ما حاجتك ؟ فقالت : « إذا دخلت بنا البلد فاحلنا في درب قليل النظارة ، وتقدم إليهم ان يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل ، وينحونا عنها ، فقد خزيانا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذه الحال » .

فأمر في جواب سؤالها أن تجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل ، بغيأ منه وكفراً ، وسلك بهم بين النظارة على تلك الصفة حتى أن بهم باب دمشق .

حكاية سهل الساعدي

يقول العلامة المجلسي (ره) في (جلاء العيون) : روي في بعض الكتب المعتمدة أن سهل بن سعد قال :

خرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام ، فإذا بمدينة مطردة الأنهار ، كثيرة الأشجار ، في غاية العمران ، ذات قصور رفيعة ، ومنازل كثيرة ، قد عقلوا الستور والحجب والديباج ، وهم فرحون مستبشرون ، يلعبون بالدفوف والطبول ؛ فقلت في نفسي : لعله عبد

لهم ، فرأيت قوماً يتحدثون فقلت : يا قوم ، لكم بالشام عيد لا نعرفه نحن ؟ قالوا : يا شيخ ، لعلك غريب عن هذه المدينة ، فقلت : أنا سهل بن سعد قد رأيت محمداً (صلى الله عليه وآله) ، قالوا : إنا لنعجب من أن الساء لا تمطر دماً ، والأرض لا تنخسف بأهلها ! قلت : ولم ذاك ؟ قالوا : هذا رأس الحسين (عليه السلام) عترة محمد (صلى الله عليه وآله) يهدى من أرض العراق ! فقلت : سبحان الله ، يهدى رأس الحسين ، والناس يفرحون ؟ ثم سألت : من أي باب يدخل ؟ فأشاروا إلى باب يقال له باب الساعات .

قال : فتوجهت إلى الباب فها بلغته حتى رأيت الرايات يتلو بعضها بعضاً ، فإذا نحن بفارس بيده لواء منزوع السنان عليه رأس أشبه الناس وجهاً برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فإذا أنا أرى من ورائه نسوة على جمال بغير وطاء ، فدنوت من أولاهم فقلت : من أنت ؟ قالت : أنا سكينه بنت الحسين ، فقلت لها : ألك حاجة إلي ؟ فأنا سهل بن سعد ، فمن رأى جدك وسمع حديثه ، قالت :

يا بن سعد ، قل لصاحب هذا الرأس أن يقدم الرأس أمامنا ، حتى يشتغل الناس بالنظر إليه ، ولا ينظروا إلى حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

قال سهل : فدنوت من صاحب الرأس فقلت له : هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ مني أربعمئة دينار ؟ قال : ما هي ؟ قلت : تقدم الرأس أمام الحرم ، ففعل ذلك ، فدفعت إليه ما وعدته .

وفي رواية ابن شهر اشوب : أنه لما أراد صرف الدنانير إذ بها تحولت إلى حجارة سوداء ، وقد كتب على أحد وجهيها : ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾ ، وكتب على الوجه الآخر : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ .

ويروي القطب الراوندي عن المنهال بن عمرو أنه قال : « أنا والله رأيت رأس الحسين حين حمل وأنا بدمشق ، وبين يديه رجل يقرأ (الكهف) حتى بلغ قوله :

﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ ؟

فأنتطق الله الرأس بلسان ذرب ذلق فقال : « أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحلي » .

وهذه إشارة إلى رجعته (عليه السلام) للمطالبة بدمه .

قصة الشيخ الشامي مع زين العابدين (عليه السلام)

ثم أقیم نساء الحسين (عليه السلام) وعياله على باب درج المسجد الجامع حيث يقام

السبي ، فدنا شيخ من أهل الشام منهم ، فقال : الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم ، وأراح البلاد من رجالكم ، وأمكن أمير المؤمنين منكم !

فقال له عليّ بن الحسين (عليه السلام) : يا شيخ ، هل قرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال فهل قرأت هذه الآية : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ ؟ قال الشيخ : قد قرأت ذلك ، فقال له عليّ (عليه السلام) : فنحن القربى يا شيخ !

ثم قال (عليه السلام) : فهل قرأت هذه الآية : ﴿ واعلموا أنّ ما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسة وللرسول ولذي القربى ﴾ ؟ قال نعم ، قال عليّ (عليه السلام) : فنحن القربى يا شيخ !

ثم قال (عليه السلام) : فهل قرأت : ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ ؟ قال : نعم ، قال (عليه السلام) : فنحن ذوو القربى يا شيخ !

ثم قال (عليه السلام) : فهل قرأت هذه الآية : ﴿ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً ﴾ ؟ قال : قد قرأت ذلك ، قال (عليه السلام) : فنحن أهل البيت الذين خصصنا بأية الطهارة يا شيخ !

قال : فبقي الشيخ ساكناً ، نادماً على ما تكلم به ، ثم قال : بالله إنّكم هم ؟ فقال (عليه السلام) : نالّه إنّنا لنحن هم ، وحقّ جدّنا رسول الله إنّنا لنحن هم ، فبكى الشيخ ورعى عمامته ، ورفع رأسه إلى السماء وقال :

اللهمّ إنّى أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد من جنّ وإنس ، ثم قال : هل لي من توبة ؟ فقال له (عليه السلام) : نعم ، إنّ تبت تاب الله عليك ، وأنت معنا ، فقال : أنا تائب .

قال : فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ ، فأمر به فقتل .

ويروى عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال :

« لما قدم على يزيد بذراري الحسين (عليه السلام) أدخل بهم نهاراً ، مكشّفات وجوههنّ ، فقال أحد أهل الشام الجفاة : ما رأينا سبياً أحسن من هؤلاء ، فمن أنتم ؟ فقالت سكيّنة بنت الحسين : نحن سبايا آل محمّد . انتهى .

رواية (كامل البهائي) في ورود أهل البيت (عليهم السلام) إلى الشام

الشيخ الجليل والعالم الخير الحسن بن عليّ الطبري ، المعاصر للعلامة والمحقّق ، قال في كتاب (كامل البهائي) المصنّف قبل ما يزيد على ستمئة وستين سنة ، في صدد ورود أهل بيت الإمام الحسين (عليهم السلام) إلى الشام :

لقد سَيرُوا أهل البيت من الكوفة إلى الشام قريةً فقريةً حتى بلغوا بهم إلى مسافة أربعة فراسخ من دمشق ، ومن هناك حتى المدينة ، وفي كل قرية يَمْرُونُ بها كانوا ينثرون عليهم ما يتفق لهم ، وعلى باب المدينة تركوهم ثلاثة أيام مهملين هناك قبل أن يدخلوهم المدينة ، فإذا بالخلى والزينات قد أقيمت فيها بصورة غير معهودة فقد خرج ما يقرب من خمسة ألف رجل وامرأة بالدفوف والطبول والأبواق ، مع آلاف الرافضين من رجال ونساء وفتية ، على نفر الدفوف وأنغام المزامير ، وقد خضب أهل المدينة كافة أيديهم وأقدامهم ، وكحلوا عيونهم ، وكان يوم الأربعاء السادس عشر من ربيع الأول ، يوم دخلوا المدينة كيوم الحشر من كثرة الخلق ، وكان دخولهم عند طلوع الشمس ، فما انتهوا إلى باب قصر يزيد إلا عند الزوال ، لكثرة ما اجتمع حولهم من الخلق .

وكان يزيد يجلس على سرير مرصع في إيوان قصره المزدان ، وقد صفت الكراسي المذهبة على الجانبين والحجائب يروحون ويغدون ، وتقدم اللعناء الذي قدموا بالرؤوس إلى يزيد ، يشرون أميرهم بأنهم قضوا على آل أبي التراب ! وجاؤوا برؤوس أولاد الرسول (صلى الله عليه وآله) ! وفي تلك الأيام الستة والسبع التي قضاها أهل البيت في أيدي أولئك الكفرة ، الكفار لم يجرؤ أحد حتى على مبادرتهم بالتحية والسلام .

وروي أيضاً عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال :

خرجت بعد الحج قاصداً زيارة بيت المقدس ، حتى عرجت على الشام ، فإذا أنا بمدينة يعمها البشر والفرح ، ورأيت جماعة وقد اختبأوا في المسجد ينوحون ويندبون ، فسألتهم عنم فيكونون ، فقالوا : نحن من موالي أهل البيت (عليهم السلام) ، وقد أتوا اليوم برأس الحسين وأهل بيته إلى المدينة .

يقول سهل : خرجت إلى الفلاة (ظاهر المدينة) فرأيت يوماً كأنه يوم الحشر من كثرة الخلق ، وصهيل الجياد ، وأصوات الطبول والدفوف ، ورأيتهم يسبرون بالرؤوس وقد ركزت فوق الرماح ، فأتوا أولاً برأس العباس^(١) (عليه السلام) ، وأعقب الرؤوس نساء الحسين (عليه السلام) .

ورأيت رأس الحسين (عليه السلام) تُلَفَّ العظمة ، ويسطع منه نور عظيم بلحية مدورة خالط سوادها البياض ، وقد وسمها الخضاب ، أسود العينين ، جميل سوادهما ، متصل الحاجبين ، أفنى الأنف ، يتيسم إلى السماء ، وعينه مفتوحة إلى الأفق ، يحرك الهواء محاسنه ذات اليمين وذات الشمال ، حتى لتحسبه أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) .

(١) في (نفس المهموم) وردت عبارة « كأنه يضحك » بعد كلمة العباس ، ولعلها من سهو القلم .

يقول عمرو بن منذر الممداني : رأيت أمّ كلثوم فتخيلت الزهراء (عليها السلام) ،
 بعباءتها الخلقة السوداء على رأسها ، والغطاء يستر وجهها فدنوت من زين العابدين
 (عليه السلام) وأهل بيته ، فسلمت عليهم ، فقالوا لي : يا أخا الإيمان ، هلاً أعطيت
 صاحب رأس الحسين شيئاً ليقدّم الرأس أمامنا ، فيشتغل الناس بالنظر إليه ، فقد لقينا من
 النظارة إيلاًماً .

قال : فأعطيت اللعين حامل رأس الحسين (عليه السلام) مئة درهم ، فابتعد عن
 الحرم ، وساروا على هذا المنوال حتى انتهوا إلى يزيد . انتهى .



الفصل الثامن

في ورود أهل البيت (عليهم السلام) إلى مجلس يزيد

لما علم يزيد بوصول الأسرى الأطهار اتخذ مجلسه على سرير الملك في قصره المزدان بأنواع الزينة ، ومن حوله علوج بني أمية وعلوج أهل الشام ، والأسرى على باب القصر ينتظرون الإذن بالدخول عليه ، وكان زحر بن قيس أول من أذن له ، فدخل عليه ، فقال له يزيد : ويلك ، ما وراءك وما عندك ؟

قال : أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ، ورد علينا الحسين بن عليّ في ثمانية عشر من أهل بيته ، وستين من شيعته ، فرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا أو ينزلوا على حكم الأمير عبيد الله ، أو القتال ، فاختاروا القتال على الاستسلام ، فعدونا عليهم مع شروق الشمس ، فأحطنا بهم من كلّ ناحية ، حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم جعلوا يهربون إلى غير وُزْر^(١) ، ويلوذون منا بالأكام والحفر لواء كما لا ذ الحما من الصقر ، فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلّا جزر جزور ، أو نومة قاتل^(٢) ، حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم مجرّدة وثيابهم مرمّلة ، وخدودهم معقّرة ، تصهرهم الشمس ، وتسفي عليهم الريح ، زوّارهم الرخم والعقبان .

فأطرق يزيد هنيئة ، ثم رفع رأسه وقال : قد كنت أرضى من طاعتكم من دون قتل الحسين ، أما لو كنت صاحبه^(٣) لعفوت عنه .

ويقول بعضهم : لما أنهى زحر بن قيس مقالته ، غضب يزيد وقال : قبح الله ابن

(١) الوُزْر : الملجأ ، الجبل المنيع .

(٢) القاتل : من القالة وهي النوم في الظهيرة .

(٣) لو كنت صاحبه : أراد بها : لو كنت خصمه في تلك الواقعة .

مرجانة ، لا زال يذير بذور عداوتي في القلوب ، وصرف ابن قيس دون أن يصله بشيء .
وكانت هذه معجزة من الحسين (عليه السلام) ذلك أنه أثناء قدومه إلى كربلاء أخبر
زهير بن القين أن زحر بن قيس يحمل رأسي إلى يزيد طمعاً بعطائه ، ولن يفوز بعتاء ؛ وهذا ما
نقله محمد بن جرير الطبري .

ثم إنَّ غُفْرَ بن ثعلبة الموكَّل برحيل أهل البيت (عليهم السلام) ، قدم إلى باب يزيد
فرفع صوته فقال : هذا غُفْرَ بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين بالثلاث الفجرة !!

فأجابه الإمام السَّجَّاد (عليه السلام) : « ما ولدت أم غُفْرَ أشراً وألام »! وفي رواية
ابن نما أن يزيد صاحب القول ، وهذا أولى ، ذلك أن الإمام (عليه السلام) لم يكلم أحداً
منهم قط .

يقول الشيخ المفيد (ره) : فلم يكن علي بن الحسين (عليهما السلام) يكلم أحداً منهم
في الطريق كلمة .

وقيل : إن قول يزيد هذا النوع من المقال لعلَّه إيهام للناس بأنه هو لم يأمر بقتل الحسين
(عليه السلام) ولم يكن به راضياً .

أشعار يزيد وسوء معاملته للأسرى

يقول بعض المؤرخين : كان يزيد في قصر جيرون لما بلغه خبر ورود أهل البيت
(عليهم السلام) ، وراح ينظر من بعيد إلى الرؤوس مركوزة على الرماح ، فطرب للمشهد
وأنشد :

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشموس على رب جيرون
نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح فلقد قضيت من الغريم ديوني

ومراده الكشف عن مكنون نفسه من الكفر والزندقة ، وإرادته الانتقام من الرسول
(صَلَّى الله عليه وآله) عن مقتل آبائه وعشيرته في موقعة بدر بقتله لأبنائه (صَلَّى الله
عليه وآله) ، وهذا يبدو جلياً مما قاله عند ورود أهل البيت (عليهم السلام) إلى مجلسه ،
مضيقاً إلى أشعار قالها ابن الزُّبَيْري ، قوله :

قد قتلنا القمر من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
وعلى العموم فلما أتى بالرؤوس ، وضع رأس الحسين في طست من ذهب بين يدي
يزيد ، وكان في مجلس شراب وقد غلب عليه السكر ، فجعل يشرب ويقول :

يا حسنه يلمع باليدين يلمع في طست من اللجين
كأنما حُفَّ بسوردين كيف رأيت الضرب بالحسين
شفيت غلي من دم الحسين يا ليت من شاهد في حنين
يرون فعلي اليوم بالحسين

ويقول الشيخ المفيد (ره) : ولما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد وفيها رأس الحسين (عليه السلام) ، قال يزيد :

نفلتُ هاماً من أناس أعزّة علينا ، وهم كانوا أعزّ وأظلمنا
فقال يحيى بن الحكم أخو مروان ، وكان مع يزيد في مجلسه :

هَمَّ بِجَنبِ الطَّفِّ أَدْنِ قَرَابَةٍ مِنْ ابْنِ زِيَادِ الْعَبْدِ ذِي النِّسْبِ الْوَعْلِ
سَمِيَةِ أُمِّي نَسَلَهَا عَدَدَ الْحَصَى وَبَنَتْ رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَتْ بِذِي نَسْلِ
فضربه يزيد بيده على صدره وقال : اسكت ، ومراده القول : أفي مثل هذا المجلس
تشنع على آل زياد ، وتأسف على قلة آل المصطفى ؟

وروي عن المعصوم (عليه السلام) أنه قال :

« لَمَّا حَمَلَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) إِلَى يَزِيدَ أَمَرَ بِهِ فَوَضَعَ وَنَصَبَ عَلَيْهِ مَائِدَةً ،
فَأَقْبَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَشْرِبُونَ الْفَقَّاعَ وَيَلْعَبُونَ الشَّطْرَنْجَ ، فَجَعَلَ يَسْقِي أَصْحَابَهُ وَيَقُولُ :
اشْرَبُوا ، فَهَذَا شَرَابُ مَبَارِكٍ ، وَمَنْ بَرَكَتُهُ أَنَا تَنَاوَلْنَاهُ وَرَأْسَ عَدُوِّنَا بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَنَحْنُ نَأْكُلُ
وَنَقُوسُنَا سَاكِنَةً ، وَقُلُوبُنَا مَطْمَئِنَّةٌ ، ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ الْحُسَيْنَ وَأَبَاهُ وَجَدَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ،
وَيَسْتَهْزِئُ بِذِكْرِهِمْ .

وكان إذا قمر صاحبه^(١) تناول الفقّاع فشربه ثلاث مرّات ، ثم صبّ فضلته مما يلي
الطست من الأرض .

فمن كان من شيعتنا فليثورع عن شرب الفقّاع ولعب الشطرنج ، ومن نظر إلى الفقّاع
أو إلى الشطرنج فليذكر الحسين (عليه السلام) ، وليلعن يزيد وآل زياد بمحو الله عزّ وجلّ
بذلك ذنوبه ، ولو كانت كعدد النجوم .

ونقل في (كامل البهائي) عن حاوية أن يزيد شرب الخمر وصبّ فضلته على رأس

(١) قمر صاحبه : غلبه بالفار .

الحسين (عليه السلام)!! فأخذت زوجة يزيد الرأس المنور وغسلته ونظفته ، وفي تلك الليلة رأت فاطمة (عليها السلام) وسألتها العذر .

وعلى العموم فلما أدخلت الرؤوس على يزيد ، وأدخل نفل الحسين (عليه السلام) ونساؤه وأهله وهم مقرنون في الجبال ، وقد غلّ عليّ بن الحسين (عليهما السلام) إلى عنقه ، ورأهم يزيد على هذه الحال ، قال : قبح الله ابن مرجانة ، لو كانت بينكم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا بكم ، ولا بعث بكم على هذا .

وفي رواية ابن غما عن عليّ بن الحسين (عليه السلام) أنهم أدخلوا على يزيد وكانوا اثني عشر رجلاً مغلّين ، فلما أوقفوا بين يديه قال عليّ بن الحسين (عليهما السلام) : أتأذن لي في الكلام؟ فقال : قل ، ولا تقل هجراً! قال : لقد وقفت موقفاً لا ينبغي لثلي أن يقول المهجر ، ثم قال :

أتشكك الله يا يزيد ، ما ظنك برسول الله لو رأنا على هذه الحال ؟ وقالت فاطمة بنت الحسين : يا يزيد ، بنات رسول الله سبايا ؟ فبكى الناس ، وبكى أهل داره حتى علت الأصوات ، فقال يزيد لمن حوله : حلّوا أغلالهم .

ويروي الشيخ الجليل عليّ بن إبراهيم القمي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال :

« لما أدخل رأس الحسين بن عليّ (عليهما السلام) على يزيد لعنه الله ، وأدخل عليه عليّ بن الحسين وبنات أمير المؤمنين (عليه وعليهم السلام) ، وكان عليّ بن الحسين مقيداً مغلولاً فقال يزيد لعنه الله : يا عليّ بن الحسين ، الحمد لله الذي قتل أباك ! فقال عليّ بن الحسين ، لعنة الله على من قتل أبي » .

قال : « فغضب يزيد وأمر بضرب عنقه ، فقال عليّ بن الحسين : فإذا قتلني فبنات رسول الله من يردهنّ إلى منازلهنّ وليس لمن محرم غيبي؟ فقال : أنت تردّهنّ إلى منازلهنّ؛ ثم دعا بمبرد فأقبل يبرد الجامعة من عنقه بيده .

ثم قال له : يا عليّ بن الحسين ، أتدري ما الذي أريد بذلك ؟ قال : بلى ، تريد أن لا يكون لأحد عليّ مئة غيرك ، فقال يزيد : هذا والله ما أردت .

ثم قال يزيد : يا عليّ بن الحسين ، « ما أصابكم من مصيبة فيها كسبت أيديكم » . فقال عليّ بن الحسين : كلاً ، ما هذه فينا نزلت ، إنما نزلت فينا : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها » ، فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا ، ولا نفرح بما آتانا منها .

وعلى العموم فقد أمر يزيد بوضع رأس الحسين (عليه السلام) في طست بين يديه ،
وأجلس النساء خلفه لئلا ينظرون إليه ، فلما رآه علي بن الحسين (عليه السلام) لم يأكل بعد
ذلك أبداً ، والحزن يغمر نفسه ، أما زينب (عليها السلام) فلما رآته اهوت إلى جيبها
فشقت ، ثم نادى بصوت حزين يفرح القلوب : يا حسيناه ! يا حبيب رسول الله ! يا ابن مكة
ومنى ! يا ابن فاطمة الزهراء سيّدة النساء ! يا ابن بنت المصطفى ! فابكت والله كل من كان في
المجلس ، ويزيد ساكت .

ومما يزيل القلب عن مقرّها ويترك زند الغيظ في الصدر واريها
وقوف بنات الوحي عند طليقها بحالٍ بها تشجين حتى الأعاديا
ثم جعلت امرأة من بني هاشم في دار يزيد تندب الحسين وتنادي : يا حبيباه ! يا سيّد
أهل بيتاه ! يا ابن محمداه ! يا ربيع الأرامل واليتامى ! يا قتيلاً أولاد الأعداء ! فابكت كل من
سمعها .

أما يزيد فلم يترك لديه هذا الكلام أي أثر ، بل إنّه دعا بقضيب خيزران ، فجعل
ينكت به ثانياً الحسين (عليه السلام) ، وينشد^(١) أشعاراً يتمنى فيها لو كان أشياخ بني أمية

(١) الأبيات التي أنشدها يزيد ، ونقلها عن (ناسخ التواريخ) :

لبت أشياخي ببدر شهدوا وقعة الخزرج مع وقع الأسل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من جندف إن لم أنقم من بني أحد ما كان فعل
قد أخذنا من علي ثأرنا وقتلنا الفارس الليث البطل
وقتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعمدل
فجزيناهم ببدر مثلها ويأحد يوم أحد فاعندل
لو راوه لاسهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
وكذاك الشيخ أوصاني به فاتبعته الشيخ فيما قد مال
وغالباً فإن الأبيات لم تذكر بكاملها ، وما ذكروه ينسبون بعضه إلى يزيد والبعض الآخر إلى الزيمري ، دون
أن يوضح أحد أيها ليزيد وأنها لابن الزيمري ، فالواجب يقضي أن نذكر أبيات ابن الزيمري التي قالها يوم
أحد كي يمكن التمييز بين ما قاله كل منهما .
قال ابن الزيمري :

يا غراب البين ما شئت فعلت إنما ينمق أمراً قد فعل
إنّ للخير ولشّر مدى وسواء قبر شرّ ومقل
كل خير ونعيم زائل وبنات الدهر يلعبن بكل
أبلغنا حنان عني فريض الشعر يشفي ذا العلل

الذين هلكوا في سوقة بدر حاضرين ، إذن لراوا كيف ثار لمقتلهم بقتله أولاد من قتلهم ،
ولكانوا سرّوا لما فعل وقالوا له : لا شئت يدك يا يزيد ، فقد أحسنت الثار .

قال : وكان أبو برزة الأسلمي ، أحد أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ممن
شهد مجلس يزيد ، ورآه ينكت بالقضيب ثنايا الحسين (عليه السلام) ، فقال له : « ويحك يا
يزيد ، أتنتك بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة ؟ أشهد لقد رأيت النبي يرشف ثنايا وثنيا أخيه
الحسن ويقول : « أنتما سيّدا شباب أهل الجنة ، فقتل الله قاتلكما ولعنه ، وأعدّ له جهنم
وصات معصراً » .

قال : فغضب يزيد وأمر بإخراجه ، فأخرج سحياً .

خطبة زينب (عليها السلام) في مجلس يزيد

فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقالت :

« الحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين .

كم ترى في الحرب من جمجمة
وسراييل حنان سلبت
كما قتلنا من كريم سيّد
صادق النجدة قرم بارع
فنبّل المهراس من ساكنه
لبت أشياخي ببدر شهدوا
حين ضلّت بقباء بركها
ثم حقوا عند ذاكم رقماً
فقتلنا النصف من ساداتهم
لا اليوم النفس إلا أننا
بسيوف المند تعلقو هامهم
والآن بمقدورنا أن نغيّر بين ما استشهد به يزيد وبين ما أنشأ إنشاء ، فقرأه بتفاوت بسيط .

وقد جاء هناك أيضاً أنه لما أتى يروّس الشهداء إلى يزيد سمع نعيّ غراب ، فأشهد هذا الشعر الذي نسب
إليه إنشاء :

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت
صاح الغراب فقلت صبح أو لا تصح
ولما وقع عليه نعيّ الغراب على حين غرة رأى فيه - بحكم التطيّر - دلالة على زوال الملك ، فاستشهد
بهذين البيتين لابن الزبيري محاطاً بالغراب :

يا غراب البين ما شئت فقل
كل ملك ونعيم زائل
إنما تنذب امرأ قد فعل
وبنات الدهر يلعبن بكلّ

صدق الله إذ يقول : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسَاؤُوا السَّوْءَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نُساق كما تساق الأسارى أَن بنا هواناً على الله ، وبك عليه كرامة ؟ وَأَنَّ ذلك لعظم خطرك عنده ؟ فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك جذلان مسروراً ، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة ، والأمور متسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا .

مهلاً مهلاً ، أنسيت قول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا غَلَبُوا لَهُم خَيْرٌ لَّانْفُسِهِمْ ، إِنَّمَا غَلَبُوا لَهُم لَيْزَادَاوَأْ إِنَّمَا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ؟

أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن ، تخدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ، والدني والشريف ، ليس معهن من رجالهن ولي ، ولا من حاتنهن حمي ؟

وكيف يرغى من لفظ فوه أكباد الأزكياء ، ونبت لحمه بدماء الشهداء ؟ وكيف يستطفا في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن ، والإاحن والأضعان ؟ ثُمَّ تقول غير متأنم ولا مستعظم :

لَاهَلُوا وَاسْتَهْلُوا فرحاً ثُمَّ قالوا يا يزيد لا تثل متحياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة ، تنكتها بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت الفرحة ، واستأصلت الشافة ، بإراقتك دماء ذرية محمد (صلى الله عليه وآله) ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ؟

وتنف بأشياخك ، زعمت أنك تناديهم ، فلتردن وشيكاً موردهم ، ولترودن أنك شلت وبكمت ، ولم يكن قلت ما قلت ، وفعلت ما فعلت .

اللهم خذ بحقنا ، وانتقم من ظالمنا ، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا ، وقتل حاتنا .

ثم قالت (عليها السلام) : « فوالله ما فريت إلا جلدك ، ولا جززت إلا لحمك ، ولتردن على رسول الله بما تحملت من سفك دماء ذريته ، وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ، ويلم شعنهم ، ويأخذ بحقهم ، ﴿ وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ، حسبك بالله حاكماً ، وبمحمد

خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم من سوى لك ومكنك من رقاب المسلمين ، ﴿ بشس للظالمين بدلاً ﴾ ، وأيكم ﴿ شر مكاناً وأضعف جنداً ﴾ .

ولئن جرت عليّ الدواهي غاطبتك ، إنّي لاستصغر قدرك ، واستعظم تقريبعك ، واستكبر توبيخك ، لكنّ العيون عبرى ، والصدور حرى ؛ ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ! فهذه الأيدي تنطف من دمائنا ، والأفواه تتحلب من لحونا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتناهب العواسل ، وتعفوها أنهب الفراعيل ، ولئن اتخذتنا مغنياً لتجدنا وشيكاً مفرماً ، حين لا تجد إلا ما قدّمت ، ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ .

فللى الله المشتكى ، وعليه المعول ، فكذلك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تحمؤ ذكرك ، ولا تميت وحيثنا ، ولا تدرك أحدنا ، ولا ترحض عنك عارها ، وهل رايتك إلا فند ، وآيامك إلا عدد ، وجمعك إلا بدد ، يوم ينادي المناد : ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ .

فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ، ولآخرنا بالرحمة والشهادة ، ونسال الله أن يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة ، إنه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

لم يكن يزيد ليرتاح لكلام زينب (عليها السلام) ، هذا الكلام الحسن ، والقول الجارح المثير للسخط والغضب ، وأراد أن يتحلّ عذراً بأن النساء النوائح لا يصدرن إلا عن عدم إدراك ، وإنّ هذا النوع من الكلام الصادر عن قلوب محترقة مقبول ، فلا غرو أنه قال :

يا صبيحة محمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح
ثمّ إنه استشار جلساءه من أهل الشام في ما يصنع بهم ، فقال أولئك الخبيثاء كلاماً قبيحاً لا يصدر إلا عن أمثالهم ، وثائف عن ذكره ، ومرادهم تحكيم السيف فيهم جميعاً .

فقال له النعمان بن بشير وكان حاضراً في المجلس : أنظر ما كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يصنعه بهم فاصنعه بهم .

ويروي المسعودي أنّه لما قال أهل المجلس قولتهم انبرى الباقر (عليه السلام) للكلام ، وكان آنذاك ابن ستين وبضعة أشهر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم التفت إلى يزيد وقال : لقد أشار عليك أهل مجلسك برأي يخالف ما أشار به أهل مجلس فرعون إذ استشارهم في أمر موسى وهارون ، فأولئك قالوا : ﴿ أرجه وأخاه ﴾ ، وأشار هؤلاء بقتلنا ، وإنّما لهذا سبب ، قال يزيد : وما هو ؟ قال : لأن أهل مجلس فرعون كانوا أبناء حلال ، بينما هؤلاء ليسوا كذلك ، إذ لا يقتل الأنبياء وفرارهم إلا أولاد الزنى ؛ فسكت يزيد .

الشامي الآخر وحديث زينب (عليها السلام) إليه

وفي رواية السيد المفيد أنّ رجلاً من أهل الشام أحمر نظر إلى فاطمة بنت الحسين (عليها السلام) ، ثم التفت إلى يزيد وقال : يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية !

تقول فاطمة (عليها السلام) : ولما سمعت قوله أرعدت ، وظننت أنّ ذلك جائز لهم ، فأخذت بثياب عمّي زينب (عليها السلام) فقلت : يا عمّة ، أوعت وأستخدم ؟! فقالت عمّي للشامي :

كذبت والله ولؤمت ، والله ما ذلك لك ولا له ، (تريد يزيد) .

فغضب يزيد وقال : كذبت والله ، إن ذلك لي ، ولو شئت أن أفعل لفعلت !

قالت : « كلّ والله ، ما جعل الله لك ذلك ، إلّا أن تخرج من ملتنا وتدين بغيرها » .

فاستطار يزيد غضباً وقال : إنيّ استقبلين بهذا ؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك !!

قالت زينب (عليها السلام) : « بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وأبوك وجذّك إن كنت مسلماً » .

قال : كذبت يا عدوة الله !

قالت له : « أنت أمير تشتم ظالمًا ، وتقهّر سلطانك » .

فكانه استحيا وسكت ، وعاد الشامي فقال : هب لي هذه الجارية ، فقال له يزيد : اعزب ، وهب الله لك حتفًا قاضيًا .

قال : فقال الشامي : من هذه الجارية ؟ فقال يزيد : هذه فاطمة بنت الحسين ، وتلك زينب بنت عليّ ، فقال الشامي : حسين ابن فاطمة ، وعليّ بن أبي طالب ؟ قال يزيد : أجل ، فقال الشامي :

لعنك الله يا يزيد ، تقتل عترة نبيّك ، وتسي ذرّيته ؟! والله ما توهمت إلّا أنهم سي الروم !

فقال يزيد : والله لأحقنّك بهم ، ثم أمر به فضربت عنقه .

يقول الشيخ المفيد (ره) : ثم إن يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين فحبسن مع عليّ بن الحسين (عليهما السلام) في دار منفصلة تتصلّ بداره ، وفي قول : حبسهم في خرب لا يكتهم من حرّ ولا قرّ ، حتّى تفسدت وجوههم ، وكانوا طيلة وجودهم في الشام في بكاء ومناعة على الحسين (عليه السلام) .

ويروى أنه في تلك الأيام لم يرفع حجر على وجه الأرض بيت المقدس إلا وجد تحته دم عبيط .

ونقل عن جماعة أن يزيد أمر بأن يصلب الرأس على باب داره ، وأمر بأهل بيت الحسين (عليه السلام) فأدخلوا داره ، فلما دخلت النسوة دار يزيد لم يبق من آل معاوية ولا أبي سفيان أحد إلا استقبلهن بالبكاء والصراخ والنياحة على الحسين (عليه السلام) ، والقين ما عليهن من الثياب والحلي ، وأقمن المأتم عليه ثلاثة أيام .

وخرجت هند بنت عبد الله بن عامر امرأة يزيد ، وكانت قبل ذلك تحت الحسين (عليه السلام) ، حتى شقت السر وهي حاسرة ، فوثبت إلى يزيد وهو في مجلس عام فقالت : يا يزيد ، أراس ابن فاطمة بنت رسول الله مصلوب على فناء بابي ؟ فوثب إليها يزيد فغطاها ، وقال : نعم ، فأعولي عليه يا هند ، وابكي على ابن بنت رسول الله وصرخه قريش ، عجّل عليه ابن زياد لعنه الله فقتله .

يقول العلامة المجلسي (ره) في (جلاء العيون) : بعد أن نقل قصة الرجل الشامي الأحمر الوجه : ثم إن يزيد أمر بأهل البيت (عليهم السلام) فحبسوا ، وصحب الإمام زين العابدين (عليه السلام) معه إلى المسجد ، ودعا الخطيب فأمره أن يصعد المنبر فيذم الحسين وآباء صلوات الله عليهما ، فصعد ، وبالع في ذم أمير المؤمنين والحسين الشهيد صلوات الله عليهما ، والمدح لمعاوية ويزيد ، فصاح به علي بن الحسين (عليه السلام) :

« ويلك أيها الخاطب ، اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق ، فتبوا مقعدك في النار » .

خطبة الإمام السَّجَّاد (عليه السلام) في مسجد الشام

ثم قال علي بن الحسين (عليه السلام) : يا يزيد ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد ، فأتكلم بكلمات لله فيهن رضى ، وهؤلاء الجلساء فيهن أجر وثواب ، قال : فأبى يزيد عليه ذلك ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ، ائذن له فليصعد المنبر ، فلعلنا نسمع منه شيئاً ! فقال : إنه إن صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال : إنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقاً .

قال : فلم يزالوا به حتى أذن له ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم ، ثم خطب خطبة أبكى منها العيون ، وأوجل منها القلوب^(١) .

(١) جاء في (كامل البهائي) أنه (ع) قال :

قلت : إِنِّي أَحَبُّ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ أَتَمَلَّ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَمْدَحَ بِهَا إِلَّا هَذَا
الإمام (عليه السلام) :

حتى أنرت بضوء وجهك فأنجل
فاقتنَّ فيك الناظرون فلأصبغ
يحدون رؤيتك التي فازوا بها
من أنعم الله التي لا تُكفر
فعميت مشية خاضع متواضع
الله لا يزهي ولا يتكبر
فلو أن مشتاقاً تكلف فرق ما
في وسعه لمشي إليك المنبر
أبدت من فصل الخطاب بحكمة
تنبي عن الحق المبين وتحير

ثم قال (عليه السلام) : أَيُّهَا النَّاسُ ، لَقَدْ أُعْطِينَا سِتْرًا وَفَضَّلْنَا بِسَمْعٍ ، أَعْطَيْنَا الْعِلْمَ
وَالْحِلْمَ وَالسَّامِعَةَ وَالْفَصَاحَةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَفَضَّلْنَا بِأَنَّ مَنْ النَّبِيَّ الْمُخْتَارَ
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : وَمَنْ الصَّدِيقَ (الْأَعْظَمُ عَلَى الْمُرْتَضَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)) ، وَمَنْ جَعَفَرَ
الطَّيَّارَ (الَّذِي يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ) ، وَمَنْ حَزَةَ أَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدَ رَسُولِهِ (صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وَمَنْ سَبَطَا هَذِهِ الْأُمَّةَ (الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ (١) ، مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي أَنْبَأَنَهُ بِحَسْبِي وَنَسْبِي .

« أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنَا بِنِ مَكَّةَ وَمَنْ ، أَنَا ابْنُ زَمْزَمَ وَالصَّفَا . . » ، وَمَا زَالَ يَقُولُ أَنَا أَنَا ،
وَيَعْتَدُّ عَلَى الْحُضُورِ مَآثِرَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ ، إِلَى أَنْ قَالَ :

« أَنَا ابْنُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ، أَنَا ابْنُ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ ، أَنَا ابْنُ خَدِيجَةَ الْكُبْرَى ، أَنَا ابْنُ الْمَقْتُولِ
ظُلْمًا (بِسَيْفِ أَهْلِ الْجَفَا) ، أَنَا ابْنُ الْعَطْشَانِ فِي كَرْبَلَاءَ ، أَنَا ابْنُ مَنْ نَاحَتْ عَلَيْهِ الْجَنِّ فِي
الْأَرْضِ وَالطَّيْرِ فِي الْمَوَاءِ ، أَنَا ابْنُ مَنْ رَأَسَهُ عَلَى السَّنَانِ يَهْدِي ، أَنَا ابْنُ مَنْ حَرَمَهُ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى
الشَّامِ تَسِي ، نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ الْمَحَنَةِ وَالْبَلَاءِ ، نَحْنُ مَحَلُّ نَزُولِ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ ، وَمِهْبَطِ عُلُومِ
اللَّهِ تَعَالَى » .

وَمَا زَالَ يَعْتَدُّ مَآثِرَ أَجْدَادِهِ الْكَرَامِ ، وَمَفَاخِرَ آبَائِهِ الْعِظَامِ حَتَّى ضَجَّ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ
وَالنَّحِيبِ ، وَخَشِيَ يَزِيدُ أَنْ تَنْتَفِضَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنَ أَنْ يُؤَذِّنَ لِيَقْطَعَ حَدِيثَهُ ، فَلَمَّا

= « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا بَدَايَةَ لَهُ ، وَالِدَ الدَّائِمِ الَّذِي لَا نِفَادَ لَهُ ، وَالْأَوَّلُ الَّذِي لَا أَوَّلَ لَأَوَّلِيَّتِهِ ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَا
مُؤَخَّرَ لِآخِرِيَّتِهِ ، وَالْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ الْخَلْقِ ، قَدَرُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَقَسَمَ فِيهَا بَيْنَهُمُ الْأَقْسَامَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ
الْمَلِكُ الْعَلَامُ » .

(١) لم يرد ذكر للمفضل السابع في المرويات التي بين أيدينا ، والسابع هو صاحب الزمان (ع) الذي يقتل
الدُّجَالُ ، وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُهُ فِي (كَامِلِ الْبَهَائِيِّ) ، وَاللَّهُ هُوَ الْعَالِمُ .

قال المؤذِّن : « الله أكبر » قال (عليه السلام) : لا شيء أكبر من الله ، ولَمَّا قال : « أشهد أن لا إله إلا الله » قال الإمام (عليه السلام) : شهد بها لحمي ودمي وبشري ، ولَمَّا قال : « أشهد أن محمداً رسول الله » التفَّت عليَّ بن الحسين (عليه السلام) إلى يزيد بن معاوية وقال : يا يزيد ، هذا جدِّي أم جدُّك ؟ فإن زعمت أنه جدُّك فقد كذبت وكفرت ، وإن قلت إنه جدِّي فلم قتلْت عترته وسببت حرمه ! فلم يحرم يزيد جواباً ووقف للصلاة .

مصانعة يزيد لأهل البيت (عليهم السلام) خوف الفتنة

يقول المؤثَّف : إنَّ ما جاء في المقاتل والحكايات عن مسلك يزيد مع أهل البيت (عليهم السلام) يبدو منه أنَّ يزيد كان يخشى اندلاع الفتنة ، وأن تتحوَّل الشِّماتة بأهل البيت والتشيع عليهم ، فراح يسلك معهم سبيل الرِّفق والمصانعة فأبعد الحراس عنهم ، وترك لهم الخيار في الحركة والسكون ، وجعل أحياناً يدعو الإمام السَّجَّاد (عليه السلام) إلى مجلسه ، وينسب قتل الإمام الحسين (عليه السلام) إلى ابن زياد ، ويلعنه ، ويظهر الندامة ، وكان هذا كلُّه لكسب قلوب العامة ، والحفاظ على ملكه وحكمه ، وليس لأنه نادم وحزين ، ذلك أنَّ المؤرِّخين قد نقلوا أنَّ يزيد كان وفقاً لبعض المقاتل يأمر بإحضار الرأس المقدَّس عند كلِّ غداء وعشاء إلى مائدته ؛ كما ذكروا أنَّه كان يجلس إلى مائدة شرابه ، ويحضر المغنِّين ، ويجلس ابن زياد إلى يمينه ، ويخاطب السَّاقِي بقوله :

اسقني شربة تروِّي حشاشي ثمَّ بل فاشق مثلها ابن زياد
صاحب السرِّ والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسيناً ومبيد الأعداء والحساد

ويروي السيّد ابن طاووس (ره) عن السَّجَّاد (عليه السلام) أنَّه لما أتى برأس الحسين (عليه السلام) إلى يزيد كان يتخذ مجالس الشراب ، ويأتي برأس الحسين (عليه السلام) ويضعه بين يديه ويشرب عليه .^(١)

وحضر في مجلس يزيد ذات يوم رسول ملك الروم ، وكان من أشراف الروم وعظمائهم ، فقال : يا ملك العرب ، هذا رأس من ؟ فقال له يزيد : مالك ولهذا الرأس ؟ فقال : إنِّي إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلِّ شيء رأيت ، فأجبت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه حتَّى يشاركك في الفرح والسرور .

فقال له يزيد : هذا رأس الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب ، فقال الروميُّ : ومن أمّه ؟

(١) يحتمل أن الخبر المروي عن السَّجَّاد (ع) ينتهي هنا ، والبقيَّة ليست منه .

فقال : فاطمة بنت رسول الله ، فقال النصراني : أَفَ لَكَ ولدُبنك ! لي دين أحسن من دينك ، إنَّ أبي من أحفاد داود (عليه السلام) وبيني وبينه آباء كثيرة ، والنصارى يعظمونني ويأخذون من تراب قدمي تركاً ، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله وما بينه وبين نبيكم إلاَّ أم واحدة ، فأني دين دينكم ؟!

ثم قصَّ الروميَّ على يزيد قصَّة كنيسة الحافر ، فأمر يزيد بقتله لئلاَّ يفضحه في بلاده ، فلما أحسَّ النصرانيُّ بذلك قال له : تريد أن تقتلني ؟ قال : نعم ، قال : اعلم أنَّي رأيت البارحة نبيكم في المنام يقول لي : يا نصراني ، أنت من أهل الجنة ، فتعجبت من كلامه ، وأنا أشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وأنَّ محمداً رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، ثم وثب إلى رأس الحسين فضمَّه إلى صدره ، وجعل يقبله ويبكي حتى قتل .

وجاء في (كامل البهائي) أنَّ كبير تجار الروم واسمه عبد الشمس حضر مجلس يزيد ، فأقبل عليه يقول : أيُّها الأمير ، مضى عليَّ ستون عاماً في مهنة التجارة ، وقدمت مرّة من القسطنطينية إلى المدينة ، وحملت معي عشرة أبراد بمانية ، وعشرة أجربة من المسك ، ومئتين من العنبر ، فجئت بها إلى رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) وهو يومئذ في بيت زوجته أم سلمة رضي الله عنها ، فاستأذن أنس بن مالك لي عليه ، فدخلت وقدمت الهدايا المذكورة إليه ، فقبلها مني بعد أن أسلمت ، ومسيَّني عبد الوهاب ، وأنا أخفي إسلامي خشية من ملك الروم .

واعلم يا يزيد أنَّي كنت يوماً في حضرة النبي (صَلَّى الله عليه وآله) فدخل الحسين والحسين (عليهما السلام) ، فاحتضنهما وجعل يقبلهما ، وهما أنت اليوم تقتل الحسين (عليه السلام) وتنتك بقضيبك ثناياه موضع قبلات رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) !

واعلم يا يزيد أنَّ في بلادنا بحراً فيه جزيرة ، وفي الجزيرة دير فيه أربعة حوافر يزعمون أنَّها حوافر حمار كان يركبه عيسى (عليه السلام) ، وقد رضعوا الحوافر بالذهب والديباج ووضعوها في صندوق ، وفي كلِّ عام يقصدها أمراء الروم وعامة النصارى يطوفون حولها ويحجّذون ديباجها ، ويتقاسمون القديم منها قطعاً يحتفظون بها للتبرك ، وأنت تصنع يا بن نبيكم ما تصنع ؟!

قال يزيد : إنَّه يفسد عليَّ أمري ، اضربوا عنقه ، فأطلق عبد الوهاب لسانه بالشهادتين ، مقرأً بنبوة محمّد (صَلَّى الله عليه وآله) وإمامة الحسين (عليه السلام) ، ولعن يزيد وآبائه وأجداده قبل أن يقتل^(١) .

(١) أقول : إن حديث كنيسة الحافر والحكاية المنقولة عن (كامل البهائي) كلاهما مستبعدان في نظري ، وليس موضع اعتقاد مني ، والله هو العالم .

حكاية المنهال بن عمرو وحديثه مع السَّجَّاد (عليه السلام)

قال السيّد : خرج زين العابدين (عليه السلام) يوماً يمشي في أسواق دمشق ، فاستقبله المنهال بن عمرو فقال له : كيف أمسيت يا بن رسول الله ؟ قال :

« أمسينا كمثّل بني إسرائيل في آل فرعون ، يذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، يا منهال ، أمست العرب تفتخر على العجم بأنَّ محمّداً عربيّ ، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنَّ محمّداً منها ، وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مغضوبون مقتولون مشردون ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون » .

وقد نقل الشيخ الأجلّ عليّ بن إبراهيم القميّ في تفسيره هذا الحديث مع المنهال في أحد أسواق دمشق مع تفاوت فيه ، فبعد تشبيهه (عليه السلام) حاله ببني إسرائيل قال : « .. وأصبح خير البرية^(١) يُلعن على المنابر ، وأصبح عدونا يعطى المال والشرف ، وأصبح من يجنّأ محقوراً منقوصاً حقّه ، وكذلك لم يزل المؤمنون ؛ وأصبحت العجم تعرف للعرب حقّها بأنَّ محمّداً كان منها ، وأصبحت العرب تعرف لقريش حقّها بأنَّ محمّداً كان منها ، وأصبحت قريش تفتخر على العرب بأنَّ محمّداً كان منها ، وأصبحت العرب تفتخر على العجم بأنَّ محمّداً كان منها ، وأصبحنا - أهل بيت محمّد - لا يُعرف لنا حقّ !! فهكذا أصبحنا » .

وقد نقل المحدث الجليل السيّد نعمّة الله الجزائريّ في كتاب (الأنوار النعمانيّة) هذا الحديث بشكل أبسط ، وفيه أن المنهال رأى الإمام (عليه السلام) وهو متكىء على العصا ، وساقاه أشبه بعودين من القصب والدم يسيل منها ، وكان مصفّر اللون ، ولما سأله عن حاله ، قال : كيف يصبح من كان أسيراً ليزيد بن معاوية ؟ أما نسوتنا فلم يشبعن طعاماً ولم يسترن رأساً ، وشغلنّ النياحة والبكاء .

وبعد أن نقل شطراً ممّا جاء في رواية (تفسير القميّ) قال : ما دعانا يزيد إليه مرّة إلا وظننّا أنه يريد قتلنا ، وأنه إنّما يدعونا لذلك ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

(١) في قوله (ع) في الحديث الشريف : « خير البرية يلعن على المنابر » إشارة إلى سيرة معاوية في ما سنّه من سب عليّ (ع) على منابر الإسلام ، وقد أجاد ابن سنان الخفاجي إذ قال : يا أمة كفرت وفي أفواهها القرآن فيه ضلالها ورشادها أعلى المنابر تعلنون بسبّه ويسيف نصبت لكم أعوادها ؟ تلك الخلائق فيكم بدرية قتل الحسين فما خبت أحقادها واستمرّ أمر منابر المسلمين ومساجدهم على ذلك سنين طويلة كان سبّ أمير المؤمنين فيها سنة لهم ، حتى خلافة عمر بن عبد العزيز الذي أوقف هذا العمل الشنيع بأساليب لطيفة ، وافرّ بدلاً عنه تلاوة الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ .. ﴾ .

يقول المنهال : وسألته (عليه السلام) أين يريد الآن ؟ فأجاب : إلى حيث أعطونا داراً لا سقف لها ، وحيث الشمس تصهرنا ، وحيث لا نرى للهواء النقي أثراً ، وما خرجت الآن - على ما بي من ضعف - إلّا لأستريح لحظة أعود بعدها خشية على النساء .

قال : فسمعت - وأنا أتحدث إليه - صوت امرأة تقول : أين أنت ذاهب يا نور عيني ؟ وكانت تلك زينب (عليها السلام) .

وجاء في (مشير الأحزان) في وصف المساكن التي أنزل فيها أهل البيت (عليهم السلام) ، القول :

« وأسكن في مساكن لا يقين من حرٍّ ولا برد ، حتّى تفسّرت الجلود وسال الصديد ، بعد كنّ الخدور وظلّ الستور » .

ونقل عن بعض الكتب أنّ يزيد بن معاوية جعل السجّاد (عليه السلام) ومن معه في بيت خرب ، ومراده أن يقع البيت عليهم فيقتلهم .

وجاء في (كامل البهائي) نقلاً عن حاوية أن نساء بيت العصمة كنّ - في فترة الأسر - يخفين عن الأطفال حقيقة مقتل رجائهن في كربلاء ، فإذا سأل طفل عن أبيه أجبه بأنه مسافر وسيمود ، حتّى جيء بهم إلى الشام وأنزلوهم في دار خربة إلى جنب قصر يزيد .

وكانت للحسين (عليه السلام) طفلة صغيرة لها من العمر أربع سنين ، وذات ليلة انتهت من نومها مذعورة باكياً تقول : أين أبي ؟ لقد رأيته الساعة وهو حزين مغموم ، أريد أبي !!

فتعالى الصراخ والبكاء من العيال والأطفال حتّى وصل صراخهم إلى يزيد ، فانتبه من نومه وسأل : ما الخبر ؟ فقيل له : إنّ طفلة للحسين رأت أباه في المنام ، فانتبهت من نومها تطلبه وتبكي عليه .

فأمر - لعنه الله - فجيء برأس الحسين (عليه السلام) ووضع أمام تلك الطفلة ذات الأربع ، فسألت : ما هذا ؟ قالوا : هذا رأس أبيك !! فذعرت وجعلت تبكي وتنوح وتندب أباه ، واعتلت آثاماً ، ثمّ فارقت الحياة .

ونقل بعضهم هذه الواقعة بشكل مبسّط ، فنظم واحد من الأكابر (ره) مضمونه بأبيات نكتفي بها في هذا المقام ، قال رحمه الله^(١) :

(١) أورد المؤلف مجموعة أبيات للناظم ، وقد أوردنا نحن مضمونها نترأ (المعرب) .

انتهت وردة كالبرعم الغضّ في روضة الزهراء (عليها السلام) من نومها، تقول بصوت أشبه بصوت البليل، ودمعها يجري من بين أهدابها دماً: عَمَتَاهُ، أين أبي الذي كان يَضْمُنِي، ويمسح وجهي ورأسي بيديه، ثم غاب عني فجأة، وتركني دامية القلب والعين؟

أحاطت النسوة الحجازيات بالطفلة الباكية فلم يملكن أنفسهن من البكاء في هذه الحزبة ومع هذا الجور، وانتبه يزيد الملعون من نومه على صراخهنّ ونياحتهمّ، وسأل: ما هذا النواح وما سببه؟ فقيل: أهل بيت النبيّ يكون، لأنّ طفلة للشهيد رأت أباه الساعة في نومها، وهي تطلبه الآن من عَمَتِها، الأمر الذي يفطر الأكباد.

قال الطريد من رحمة الله: الحبل سهل، وعندني العلاج، خذوا إليها رأس أبيها، وهاكم الطست والرأس فيه، فضعوه أمامها، فأتوا بالرأس مغطّى وقدموه، فجذّدوا أحزان أهل البيت.

قالت الطفلة: أريد أبي، فإذا بهذا الطست تحت المنديل؟ قيل: في الطست ما تطلبين، فانظري إليه عسى ترضين!!

رفعت الغطاء عن الرأس فكادت روحها تطير لهول ما رأت، وضمت الرأس إلى صدرها وهي تقول:

يا أبه، من فعل بك هذا؟ لقد تقاطرت علينا المحن بعدك، ويسير بنا في الفياق والقفار، والكلّ في الكوفة والشام يقولون: إنهم على الإسلام خارجيون!

يا أبه. لم نلق بعدك إلّا ضرب السياط، ووخز الأسنة، لقد جابوا برأسك هذا كل مكان، فمن ذا الذي قطع وريدك وفصل رأسك عن الجسد؟

يا أبه، لقد أيتموني وأنا بعد طفلة، فمن لليتيمة بعدك يا أبه؟! وجعلوني أسيرة، وفي الأغلال وضعموني، ومن أبي حرموني.

قالت هذا وضمت رأس أبيها، وسكنت حركتها وهي تضمه، ثم طارت روحها إلى جنان الخلد. واتخذت لها عشاً في حضن البتول.

ولما رأى النسوة هذه الحال، وكيف طارت دون ريش وجناح، قمن عليها نادبات باكيات، وعادت إليهنّ هذه الواقعة واقعة كربلاء من جديد.

حلم وانطوى وأجهش نار - يخ وظلّت مأساتها تنمهاها

سكينة والمنام في خربة الشام

قال الشيخ ابن غما : ورات سكينة في منامها وهي بدمشق ، في اليوم الرابع من وصولهم إليها - وفقاً لرواية السيد - قالت : رأيت خمسة نُجُب من نور قد أقبلت ، وعلى كِبَلٍ نجيب شيخ ، والملائكة محدقة بهم ، ومعهم وصيف يمشي ؛ وأقبل الوصيف إليّ ، وقرب مني وقال : يا سكينة ، إِنَّ جَدَّكَ يَسْلَمُ عليك ، فقلت ؛ وعلى رسول السلام ، يا رسول من أنت ؟ قال : وصيف من وصائف الجنة ، فقلت : من هؤلاء المشيخة الذين جاؤوا على النجب ؟ قال : الأول : آدم صفوة الله ، والثاني : إبراهيم خليل الله ، والثالث : موسى كلم الله ، والرابع : عيسى روح الله ، فقلت ؛ من هذا القابض على لحينه يسقط مرةً ويقوم أخرى (من الضعف) ؟ فقال : جَدَّكَ رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، فقلت ؛ وأين هم قاصدون ؟ قال ؛ إلى أبيك الحسين (عليه السلام) ، فأقبلت أَسْعَى في طلبه لأعرّفه ما صنع بنا الظالمون بعده .

فبينما أنا كذلك إذ أقبلت خمسة هودج من نور ، في كُلِّ هودج امرأة ، فقلت : من هذه النسوة المقبلات ؟ قال : الأولى حواء أم البشر ، والثانية : آسية بنت مزاحم ، والثالثة : مريم ابنة عمران ، والرابعة : خديجة بنت خويلد ، فقلت : من الخامسة الواضعة يدها على رأسها تسقط مرةً وتقوم أخرى ؟ فقال : جَدَّتْكَ فاطمة بنت محمد ، أم أبيك ، فقلت : والله لأخبرنها ما صنع بنا .

فلحققتها ووقفت بين يديها أبكي وأقول : يا أمتاه ، جحدوا والله حقنا ؛ يا أمتاه ، بددوا والله شملنا ؛ يا أمتاه ، استباحوا والله حرمنا ؛ يا أمتاه ، قتلوا والله الحسين أبانا .

فصالت : كَفَى صوتك يا سكينة ، فقد أحرقت كبدي ، وقطعت نياط قلبي ، هذا قميص ابك الحسين معي لا يفارقي حتى ألقى الله به .

ثم انتهت من نومي .

وروي عن سكينة (عليها السلام) منام آخر رأتها في الشام ، وروي أنه نقل إلى يزيد ، وقد ذكره العلامة المجلسي (ره) في (جلاء العيون) ، ثم قال : ويروي القطب الراوندي عن الأعمش أنه قال :

كنت أطوف بالبيت فإذا أنا برجل يقول : اللهم اغفر لي وما أراك فاعلاً !! ولما سألته عن سبب فتوته قال : أخرج بنا عن الحرم ، فخرجنا ، ثم قال : اعلم أننا كنا في جيش ابن سعد ، وكنت أحد الأربعين الذين حملوا رأس الحسين من الكوفة إلى الشام ، وفي الطريق شاهدنا كرامات كثيرة تصدر عن هذا الرأس .

ولمّا دخلنا دمشق أتينا يوماً بالراس إلى يزيد في مجلسه ، وابتدأ قاتل الحسين إلى يزيد فقال :

أوفر ركابي فضّة وذهباً أنا قتلت السيّد المحجّباً
قتلت خير الناس أمّاً وأباً وخيرهم إذ ينسبون النسباً
فقال يزيد : لو علمت أنّه خير الناس فلم قتله ؟ ثمّ أمر به فضربت عنقه ، ثمّ أمر بالراس فوضع بين يديه وهو فرح مسرور ، فحاجّه أهل المجلس وأتمّوا عليه الحجج ، فلم يحن أيّ فائدة .

ثمّ أمر بالراس فنصب في قبة بلزاء القبة التي يشرب فيها ، وأوكل إلينا حراسته ، ولم استطع النوم لما كنت شاهدته من كرامات تصدر عن هذا الرأس ، ولمّا مضى وهن من الليل ، وانصرف رفاقي إلى النوم ، سمعت دويّاً من السماء ، فإذا منادٍ ينادي : يا آدم اهبط ، فهبط أبو البشر ومعه كثير من الملائكة ؛ ثمّ سمعت منادياً ينادي : يا إبراهيم اهبط ، فهبط ومعه كثير من الملائكة ؛ ثمّ سمعت منادياً ينادي : يا موسى اهبط ، فهبط ومعه كثير من الملائكة ؛ ثمّ سمعت منادياً ينادي : يا عيسى اهبط ، فهبط ومعه كثير من الملائكة ، ثمّ سمعت دويّاً عظيماً ومنادياً ينادي : يا محمّد اهبط ، فهبط ومعه خلق كثير من الملائكة ، فأحدث الملائكة بالقبة .

ثمّ إنّ النبيّ دخل القبة وأخذ الرأس منها ، وفي رواية أنّ محمّداً قعد تحت الرأس ، فانحنى الرمح ووقع الرأس في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فأخذه وجاء به إلى آدم فقال : يا أيّ آدم ، أترى ما فعلت أمّي بولدي من بعدي ؟

قال : فاقشعرّ لذلك جلدي ، وإذا بجبرئيل ينزل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويقول : يا محمّد ، أنا صاحب الزلازل ، فمرني لأزلزل بهم الأرض ، وأصيح بهم صيحة واحدة ، يهلكون فيها ، فقال : لا ، قال : يا محمّد ، دعني وهؤلاء الأربعين المؤكّلين بالراس ، قال : فدونك ، فجعل ينفخ بواحد إثر واحد ، فدنا منّي فقال : تسمع وترى ؟ فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) : دعوه دعوه ، لا يغفر الله له ؛ فتركني ، وأخذوا الرأس وولّوا ، فافتقد الرأس من تلك الليلة فما عرف له خبر .

ولحق عمر بن سعد بالريّ فما لحق سلطانه ، وحقّ الله عمره ، وهلك في الطريق .

قال الأعمش : قلت للرجل : تنع عني ولا تحرقني بنارك ، وولّيت عنه^(١) .

(١) هذا السطر الأخير لم يرد في كتاب المؤلف هذا ، ونظراً لوروده في الرواية عن الأعمش فقد رأيت من المناسب إدراجه ، وذلك لاستكمال النص (المعرّب) .

الاختلاف في مدفن الرأس المقدس

يقول المترجم : اعلم أن هناك اختلافاً كبيراً بين العامة في مدفن الرأس المبارك لسيد الشهداء عليه آلاف التحية والثناء ، غير أنه لا فائدة من ذكر أقوالهم في هذا الصدد ؛ أما المشهور بين علماء الشيعة فهو أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أتى به إلى كربلاء مع سائر رؤوس الشهداء ، حيث ألحقها بأجسادها في اليوم الأربعين ؛ وهذا القول بعيد وفقاً للمرويات .

وتدل أحاديث كثيرة على أن رجلاً من الشيعة أخذ الرأس المبارك ، وجاء به فدفنه عند رأس أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ولهذا السبب سنت زيارته (عليه السلام) في ذلك الموضع ، ودلت تلك الرواية على أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حمل الرأس المقدس معه .^(١)

ولا شك في أن ذنك الرأس والبدن انتقلا بين أشرف المواضع ، وألحق أحدهما بالآخر في عالم المقدس ، ولو كانت الكيفية مجهولة ، انتهى كلام العلامة المجلسي (ره) .

أقول : إن ما ورد في آخر الخبر المروي عن الأعمش من أن ابن سعد هلك في طريقه إلى الري ليس صحيحاً ، ذلك أن المختار قتله في منزله في الكوفة ، واستجيب بذلك دعاء الحسين (عليه السلام) عليه إذ قال :

« وسلط عليك من يذبحك بعدي على فراشك » .

يروى أبو حنيفة الدينوري عن حميد بن مسلم أنه قال :

كان عمر بن سعد صديقاً لي ، ولما رجع من كربلاء بعد أن فرغ من قتل الحسين (عليه السلام) قدمت لرؤيته وسألته عن حاله فقال : لا تسألني عن حالي ، فلم يعد مسافراً إلى داره بأسوأ مما عدت به ، فقد قطعت القرابة القريبة ، وأتيت أمراً كبيراً .

وجاء في (تذكرة) السبط أن الناس أعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه ، وكان إذا مرّ يقوم أعرضوا بوجوههم عنه ، وإذا دخل مسجداً خرج الناس منه ، وكان من يراه يسبه ، فلا غرو أنه اختار التزام بيته حتى قتل ، لعنة الله عليه .

(١) أقول : إن قول يزيد لعلي بن الحسين (ع) : « أما رأس أبيك فلن تراه أبداً ، فإن ما سيأتي فيها بعد سيؤيد هذه الرواية .

الفصل التاسع

فج تسيير يزيد أهل البيت (عليهم السلام) إلى المدينة

لما عرف أهل الشام حقيقة ما أحاط بقتل الحسين (عليه السلام) وظلم يزيد له ولأهل بيته ، وما نزل بهم من كوارث وعمن ، بدأت تلوح منهم آثار الكره ليزيد واستنكار أفعاله .

وأدرك يزيد أبعاد ذلك ، فراح يحاول باستمرار أن يمحو تلك الصورة من أذهان الناس ، وأن يوهمهم ببراءته ونظافة يديه من دم الحسين (عليه السلام) ، ويلصق قتله بابن مرجانه ، كما تظاهر بمعاملة أهل البيت (عليهم السلام) بالرفق والحسنى ، وجعل أولى اهتماماته العمل على مداواة جراحاتهم ، ومن هذا المنطلق دعا علي بن الحسين (عليه السلام) يوماً إليه ، وكان قد وعده أن يقضي له حاجات ثلاث ، فقال له : اذكر حاجاتك الثلاث اللاتي وعدتك بقضائهن .

قال (عليه السلام) : الأولى : أن تريني وجه سيدي وأبي ومولاي الحسين ، فأترؤد منه وأنظر إليه وأودعه ، والثانية : أن تردّ علينا ما أخذ منا ، والثالثة : إن كنت عزمت على قتلي أن ترسل مع هؤلاء النسوة من يردّهن إلى حرم جدّهن (صلى الله عليه وآله) .

فقال يزيد : أما رأس أبيك فلن تراه أبداً ، وأما قتلك فقد عفوت عنك ، وأما النساء فلا يردّهن إلى المدينة غيرك ، وأما ما أخذ منكم فأنا أعوضكم عنه أضعاف قيمته .

فقال له (عليه السلام) : أما مالك فلا نريده وهو موقر عليك ، ولأما طلبت منك ما أخذ منا لأن فيه مغزول جدّي فاطمة ومقنعتها وقلادتها وقميصها ، فأمر يزيد برّد ذلك عليه ، وأضاف إليه مئتي دينار ، فأخذها زين العابدين (عليه السلام) وفرّقها في الفقراء والمساكين .

ويقول العلامة المجلسي وآخرون إنّ يزيد خير أهل البيت بين البقاء في الشام والرجوع إلى المدينة ، على أن يأذن لهم بإقامة مأتم عزاء للإمام الحسين (عليه السلام) فقال لهم : أنتم

وما شئتم ، ثم أفرد لهم بيتاً ، فلبسوا السواد ، وأقاموا مأتماً دام أسبوعاً ، وشاركهم فيه كل من كان بالشام من قریش وبني هاشم .

وفي اليوم الثامن دعاهم إليه ، وجدد رغبته بيقائهم في الشام ، ولما أبوا أمر بترزين الهوادج لهم ، وخصص أموالاً لنفقاتهم وقال لهم : هذا يعوضكم عما وقع لكم ، فسالته له أم كلثوم سلام الله عليها : ما أقل حياءك يا يزيد ! تقتل إخواننا وأهلنا ، وما على وجه الأرض لا يعدل شعرة منهم ، ثم تقول : هذا عوض عما فعلته ؟!

ثم دعا النعمان بن بشير صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال له : جهّز هؤلاء بما يصلحهم ، وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً ، وابعث معهم خيلاً وأعواناً .

وفي رواية الشيخ المفيد (ره) أن يزيد دعا بعلي بن الحسين (عليهما السلام) فقال له : لعن الله ابن مرجانة ، أما والله لو كنت صاحبه ما سألتني خلة إلا أعطيتها إياه ، ولدفعت عنه الختف بكل ما قدرت عليه ، ولكن قضى الله ما رأيت ، فكتابني وأنه إلى كل حاجة تكون لك . ثم وهبه ثوباً ، كما قدم كسوة لأهل بيته .

ثم أوصى الرسول أن يرحل بهم من ليلته مع النعمان بن بشير ، فخرج بهم الرسول يسايرهم فيكون أمامهم ، فإذا نزلوا تنح عنهم ، وتفرق هو وأصحابه كهيئة الحرس ، ثم ينزل بهم حيث أراد أحدهم الوضوء ، ويعرض عليهم حوائجهم ، ويلطف بهم .

ويروي القرماني في (أخبار الدول) أن النعمان بن بشير خرج بأهل البيت في ثلاثين نفراً ، فسلك بهم الطريق الذي حدده يزيد ، حتى انتهى بهم إلى المدينة .

قالت فاطمة بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) : قلت لأختي زينب : قد وجب علينا حق هذا الحسن صحبته لنا ، فهل لك أن تصليه ؟ فقالت : والله ما لنا ما نصله به إلا أن نعطيه حلينا ، فأخذت سوارى ودملجى^(١) أو سوار أختي ودملجها فبعثنا بها إليه ، واعتذرتنا من قلتها وقلنا : هذا بعض جزائك لحسن صحبتك إيانا ، فقال : لو كان الذي صنعت للدينا كان في دون هذا رضاي ، ولكن والله ما فعلته إلا لله ، وقرابتكم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

ورود أهل البيت إلى كربلاء

يقول السيد : ولما رجعت نساء الحسين (عليه السلام) وعياله من الشام وبلغوا إلى العراق قالوا للدليل : مر بنا على طريق كربلاء ، فوصلوا إلى موضع المصرع ، فوجدوا

(١) الدملج : حلي يلبس في المعصم .

جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم ، ورجالاً من آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد وردوا لزيارة قبر الحسين ، فوافوا في وقت واحد ، وتلاقوا بالبكاء والحزن والطمع ، وأقاموا المأتم المفرح للأكياد ، واجتمع إليهم نساء ذلك السواد ، وأقاموا على ذلك أياماً .

يقول المؤلف : غير خاف أن ثقافة المحدثين والمؤرخين متفقون ، بل روى السيد الجليل علي بن طاوس نفسه ، أنه بعد استشهاد الحسين (عليه السلام) بعث عمر بن سعد برؤوس الشهداء أولاً إلى ابن زياد ، وبعد ذلك بيوم بعث بأهل البيت إلى الكوفة ، فأمر ابن زياد بحبسهم بعد أن شفى حقه منهم بالشهادة بهم والتشيع عليهم ، ثم كتب إلى يزيد يستشير في أمرهم ، فكتب إليه يزيد في الجواب أن يسيرهم إلى الشام ، فجهزهم ابن زياد وبعث بهم إلى الشام .

ويتضح مما نقل عن مسيرهم إلى الشام من الكتب المتبعة أنهم سَـيروا عبر الطريق الرئيسي ، فمروا بمدن وقرى مأهولة ، وقد نزلوا في ما يقرب من أربعين منزلاً ، وبصرف النظر عن ذكر تلك المنازل نقول : إن مسيرهم كان من البرية وغربي الفرات يحتاج إلى ما يقرب من عشرين يوماً ، ذلك أن المسافة بين الكوفة والشام تبلغ بالخط المستقيم مئة وخمسة وسبعين فرسخاً ، كما توقفوا في الشام ما يقرب من شهر وفقاً لما قاله السيد في (الإقبال) : روي أن أهل البيت أقاموا في الشام شهراً في محبس لا يقيهم من حر ولا قر ، ويلاحظ كل هذه الأمور يستبعد كثيراً أن يعود أهل البيت إلى كربلاء فيصلوا إليها في اليوم العشرين من صفر الذي يوافق اليوم الأربعين ، كما يتفق مع يوم وصول جابر بن عبد الله إلى هناك .

وقد اعتبر السيد الأجل نفسه هذا الأمر مستبعداً ، وعلاوة على أن أحداً من أجلاء فن الحديث والمعتمدين من أهل السير والتواريخ في المقاتل وغيرها ، لم يشر إلى هذا الأمر ، مع أن جهات لائقة أخرى أتت على ذكره ، غير أنه يلاحظ من سياق كلامهم إنكارهم له ، كما في كلام الشيخ المفيد في صدد مسير أهل البيت (عليهم السلام) إلى المدينة ، ويقرب من كلامه ما ذكره ابن الأثير والطبري والقرماني وآخرون ، وليس في كلام أي منهم ذكر للسفر إلى العراق .

غير أن الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والكفعمي قالوا إن حرم أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) رجعوا من الشام إلى المدينة ، وفي اليوم نفسه جاء جابر بن عبد الله إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ، وكان أول رجل يزور الإمام الحسين (عليه السلام) .

ولشيخنا العلامة النوري طاب ثراه في كتاب (الذلؤل والمرجان) كلام في الرد على هذا النقل ، كما رأى عدداً لنقل ابن طاوس لهذا الأمر في كتابه ، والمجال لا يتسع لبسط أقواله .

ويحتمل البعض أن أهل البيت عليهم السلام عرجوا إلى كربلاء خلال مسيرهم من الكوفة إلى الشام ، وهذا الاحتمال بعيد لأسباب عديدة ؛ كما احتمل آخرون أنهم عليهم السلام قدموا إلى كربلاء بعد رجوعهم من الشام ، ولكن ليس في اليوم الأربعاء ، ذلك لأن السيد والشيخ ابن غما اللذين ذكرا قدومهم إلى كربلاء دون أن يقيّده باليوم الأربعاء ، وهذا الاحتمال ضعيف أيضاً ، لأن آخرين كصاحب (روضة الشهداء) و (حبيب السير) وغيره قيّدوا في ما نقلوه ورودهم باليوم الأربعاء ؛ كما يظهر من عبارة السيد أيضاً أنهم وردوا كربلاء مع جابر في وقت واحد ويوم واحد ، في قوله : « فوافوا في وقت واحد » ، ومن المسلم أن قدوم جابر إلى كربلاء كان في اليوم الأربعاء .

وعلاوة على ما تقدّم فإن تفاصيل ورود جابر إلى كربلاء في كتاب (مصباح الزائر) للسيد ابن طاوس ، و (بشارة المصطفى) ، وكلا الكتائب هما من الكتب المعتمدة ، هذه التفاصيل موجودة ، ولم يرد أبداً أي ذكر لورود أهل البيت في ذلك الحين ، مع أن المقام يقتضي ذكره ، ومن المناسب أن تذكر رواية ورود جابر إلى كربلاء لاشتغالها على فوائد جمّة .

زيارة جابر يوم الأربعاء

يروى الشيخ جليل القدر عماد الدين أبو القاسم الطبري الأملي ، وهو من أجلاء فن الحديث ، ومن تلامذة أبي علي بن الشيخ الطوسي في كتاب (بشارة المصطفى) وهو من الكتب البالغة النفاسة ، يروي مسنداً عن عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي ، وهو من رواة الإمامية ، ومَن صرح أهل السنة في الرجال بصدقه في الحديث ، أنه قال :

خرجنا مع جابر بن عبد الله الأنصاري لزيارة قبر الحسين (عليه السلام) ، فلما انتهينا إلى كربلاء دنا من القرات فترع مئزره ولبس ثوباً غيره ، ثم فتح ربطة فيها سُد ، فنثرته على بدنه ، ثم تقدّم نحو القبر ، ولم يكن بخطو خطوة إلا بذكر الله ، حتى دنا من القبر ، فقال لي : ضع يدي على القبر ، فوضعتها ، فما بلغت يده القبر حتى وقع فوقه مغشياً عليه ، فرششت وجهه بالماء حتى استعاد وعيه ، فقال :

يا حسين ، ثلاثاً ، ثم قال : حبيب لا يجيب حبيبه ! ثم قال : من أين لك أن نجيب وقد زالت عروقك عن مواضعها ، وعنقك معلق بين ظهرك وكفتيك ؟ وافترق رأسك عن جسدك ؟ ! إني أشهد أنك ابن خير النبيين ، وابن سيد المؤمنين ، وابن حليف التقوى ، وسليل الهدى ، وخامس أصحاب الكساء ، وابن سيد النقاء ، وابن فاطمة سيّدة النساء .

وكيف لا نكون كذلك وقد أُدبَت على يدي سيّد المرسلين ، ونشأت في كنف المتقين . ورضعت من ثدي الإيمان ، وفطمت بالإسلام ، وظهرت في الحياة وفي المهات ؟

إِنَّ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ جَزَعَةٌ لِفِرَاقِكَ ، وَلَا يَخَامِرُهَا الشُّكُّ فِي طَهَارَةِ نَفْسِكَ ، فَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبِرَكَاتِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مُضِيَتْ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ أَخُوكَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا .

ثُمَّ أَدَارَ جَابِرُ عَيْنَيْهِ عَلَى قُبُورِ الشَّهَدَاءِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ :

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْأَرْوَاحُ الَّتِي حَلَّتْ بِفَنَاءِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِهِ ، أَشْهَدُ أَنَّكُمْ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَأَتَيْتُمْ الزَّكَاةَ ، وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَجَاهَدْتُمُ الْمُلْحِدِينَ ، وَعَبَدْتُمُ اللَّهَ حَتَّى أَتَاكُمْ الْيَقِينُ .

ثُمَّ قَالَ : تَاللهِ لَقَدْ بَعَثَ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِالنَّبَوَةِ الْحَقَّةِ ، وَنَحْنُ شُرَكَاءُكُمْ فِي مَا دَخَلْتُمْ فِيهِ .

قَالَ عَطِيَّةٌ : فَقُلْتُ لَهُ : وَكَيْفَ نَكُونُ شُرَكَاءَهُمْ وَنَحْنُ لَمْ نَنْزِلْ وَادِيًا ، وَلَمْ نَصْعَدْ جَبَلًا ، وَلَمْ نَضْرِبْ سَيْفًا ، بَيْنَهُمَا فُرْقٌ بَيْنَ رُؤُوسِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ ، وَانْتَهَى إِلَى الْبَيْتِ أَوْلَادُهُمْ ، وَإِلَى الشَّكْلِ نَسَاؤُهُمْ ؟

قَالَ جَابِرٌ : يَا عَطِيَّةُ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَقُولُ :

« مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حَشَرَ مَعَهُمْ ، وَمَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ كَانَ فِيهِ شَرِيكًا » . فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَنَا وَأَصْحَابِي عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَأَصْحَابِهِ .

ثُمَّ قَالَ : امْضُ بَنَانُ حُوبِيوتِ الْكَوْفَةِ ، فَلَمَّا طَوَيْنَا قِسْمًا مِنَ الطَّرِيقِ قَالَ لِي : أَيُّ عَطِيَّةٍ ، أَلَا أَوْصِيكَ ؟ فَلَا أَعْلَمُ إِنْ كُنْتُ سَالِفَاكَ بَعْدَ سَفَرِي هَذَا ، وَوَصَّيْتُ إِلَيْكَ : أَنْ تَحِبَّ آلَ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مَا دَامَ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ مَقِيمًا ، وَأَنْ تَبْغِضَ عَدُوَّ آلَ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مَا دَامَ لَهُمْ عَدُوًّا ، وَلَوْ صَامَ وَصَلَّى ، وَدَارَ مَحَبَّ آلَ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَلَوْ زَلَّتْ قَدَمُهُ بِكَثْرَةِ الْأَثَامِ ، وَثَبَّتَتْ قَدَمُهُ الْأُخْرَى عَلَى مَحَبَّتِهِمْ ، فَلَمَّا مَحَبَّتُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمُبْغَضَتُهُمْ إِلَى النَّارِ .

تَفْذِيلٌ : يُعْلَمُ مِنْ وَصْفِ جَابِرٍ لِلْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِخَامِسِ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ أَنَّ هَذَا لَقِبٌ مِنَ الْأَلْقَابِ الْمَعْرُوفَةِ عَنْهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، وَحَدِيثُ اجْتِمَاعِ الْخَمْسَةِ الْأَطْهَارِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) تَحْتَ الْكِسَاءِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ الَّتِي يَرَوِيهَا عُلَمَاءُ الْفَرِيقَيْنِ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ عَلَى السَّوَاءِ ، وَجَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ آيَةَ التَّطْهِيرِ نَزَلَتْ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ ، وَكَمَا وَرَدَ بِكَثْرَةِ فِي أَحَادِيثِ الْمُبَاهَلَةِ ؛ وَلَعَلَّ السَّرَّ فِي جَمْعِ الرُّسُولِ الْأَكْرَمِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لِلْأَنْوَارِ الطَّيِّبَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ تَحْتَ الْكِسَاءِ ، إِنَّمَا هُوَ لِرَفْعِ الشُّبْهَةِ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَزْعُمَ شُمُولَ آيَةِ التَّطْهِيرِ أَحَدًا غَيْرَ الْمُجْتَمِعِينَ تَحْتَ الْكِسَاءِ ، وَمَعَ أَنَّ طَائِفَةً مِنْ مُعَانِدِي الْعَامَّةِ قَالُوا بِتَعْمِيمِ الْآيَةِ ، إِلَّا أَنَّ أَغْرَاضَهُمُ الْفَاسِدَةَ مِنْ ذَلِكَ وَاضِحَةٌ وَبَيِّنَةٌ .

وجوه الشبه بين الحسين ويحيى عليها السلام : وأمّا كلام جابر إذ قال : « ومضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريّا » فهو إشارة إلى التشابه التام بين الحسين ويحيى بن زكريّا (عليهما السلام) ، كما صرح بذلك الإمام الصادق (عليه السلام) إذ قال :

« زوروا الحسين (عليه السلام) ولا تحفوه ، فإنه سيّد شباب الشهداء - أو سيّد شباب أهل الجنة - وشبهه يحيى بن زكريّا . . » .

وروى جماعة من أهل الحديث عن السيّد السجّاد (عليه السلام) أنّه قال :

خرجنا مع الحسين ، فما نزل منزلاً وما ارتحل منه إلّا ذكر يحيى بن زكريّا وقتله ، وقال يوماً : ومن هوان الدنيا على الله عزّ وجلّ أنّ رأس يحيى بن زكريّا أهدي إلى بغي من بغايا إسرائيل .

ولا يبعد أنّ تكرار ذكر الإمام الحسين ليحيى (عليهما السلام) هو إشارة لهذا المعنى ، أمّا أوجه الشبه بين هذين المظلومين فكثيرة ، ونكتفي بذكر ثمانية منها :

الأوّل : أنّ اسمي هذين المعصومين كليهما لم يعرفا قبل أن يتسمّيا بهما ، وفقاً لما جاء في مروّيات عديدة من أنّ اسمي يحيى والحسين لم يتسمّ بهما أحد قبلهما .

الثاني : أنّ مدّة حمل كلّ منهما كانت ستّة أشهر ، كما ورد في المروّيات .

الثالث : ورود الأخبار ونزول الوحي الإلهي يشرّان بولادة كلّ منهما قبل أن يولدا ، ويشرح مجريات أحوالهما ، كما تقدّم في صدد ولادة الإمام الحسين (عليه السلام) ، وما نقله المحدثون والمفسّرون في تفسير الآية : ﴿ حملته أمّه كرهاً ووضعته كرهاً ﴾ .

الرابع : بكاء السماء عليهما كليهما كما ورد في مروّيات الفريقين في تفسير الآية الكريمة : ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض ﴾ .

ويروي القطب الراوندي أنّه « بكت السماء عليهما أربعين صباحاً » الخ .

الخامس : أنّ قاتليهما كانا ولدي زن ، وفي هذا الباب وردت مروّيات عدّة ، بل يروى عن الباقر (عليه السلام) أنّه لم يقتل الأنبياء إلّا أولاد زن .

السادس : أنّ كلّاً من رأسيهما وضع في طست ذهبيّ ، وأهدي إلى زناة أو أولاد زن كما جاء في المروّيات ، ولكن هناك تفاوتاً هو أنّ رأس يحيى جزّ في طست كي لا يقع دمه على الأرض فيكون ذلك مدعاة للغضب الإلهي ، غير أنّ كفّار الكوفة وأتباع بني أميّة لم يراعوا ذلك مع سيّد الشهداء (عليه السلام) ، ولنعم ما قيل :

أسفاً فقد سفكوا دماك على الثرى لكن يحيى في الإنسا جمعوا دمه^(١)
السابع : تكلم رأس يحيى كما في تفسير القمي ، وتكلم رأس الحسين كما مر في موضعه .

الثامن : الانتقام الإلهي لمقتل يحيى والإمام الحسين (عليهما السلام) بمقتل سبعين ألف نفر ، كما في خبر عن المناقب .

وفي المقارنة بين حال يحيى وحال الحسين يعرف كنه الأحاديث التي تفيد أن ما وقع للأمام السابقة لا بد واقع لهذه الأمة : « حذوا النعل بالنعل ، والقذة بالقذة » ، والله هو العالم .

أما وصية جابر لعطية بأن يكون محباً لمحب آل محمد (صلى الله عليه وآله) . . الخ فتشبه ما كتبه الإمام الرضا (عليه السلام) لجئاله ، وما نصّه :

« كن محباً لآل محمد وإن كنت فاسقاً ، ومحباً لمحبيهم وإن كانوا فاسقين » .

يقول القطب الراوندي في (الدعوات) : إن هذا الكتاب موجود الآن عند بعض أهل كرمند ، وهي قرية في ظاهر إصفهان ، وقصته أن رجلاً من أهل هذه القرية كان جالاً عند الإمام (عليه السلام) ، ولما عزم الإمام (عليه السلام) على التوجه إلى خراسان وأراد صرف الرجل التمس من الإمام (عليه السلام) أن يكتب له بخطه المبارك شيئاً يستمد منه البركة ، وكان هذا الرجل من العامة ، فكتب له الإمام (عليه السلام) هذا الكتاب .



(١) تعريب بيت بالفارسية (المعرب) .

الفصل العاشر

فجد ورود أهل البيت (عليهم السلام) إلى المدينة

انفصل أهل البيت (عليهم السلام) من الشام طالين المدينة ، وبعد طَيِّ مراحل ونزول منازل انتهوا إلى موقع قريب من المدينة .

قال بشير بن جذلم - وكان يرافق الراكب - : فلما قربنا منها نزل علي بن الحسين (عليهما السلام) فحط رحله ، وضرب فسطاطه وأنزل نسائه وقال : يا بشير ، رحم الله أباك ، لقد كان شاعراً ، فهل تقدر على شيء منه ؟ قلت : بلى يا ابن رسول الله ، إني لشاعر ، قال : فادخل المدينة وانع أبا عبد الله .

قلت : ويناسب أن أذكر في هذا المقام هذه الأبيات :

عج بالمدينة وأصرخ في شوارعها	بصرخة تملا الدنيا بها جزعا
ناد الذين إذا نادى الصريخ بهم	لُبوهُ قبل صدى من صوته رجعا
قل : يا بني شية الحمد الذين بهم	قامت دعائم دين الله وارتفعا
قوموا فقد عصفت بالطف عاصفة	مالت بأرجاء طود العز فانصدعا

قال بشير : فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة ، فلما بلغت مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) رفعت صوتي بالبكاء ، وأنشأت أقول :

يا أهل بئر لا مقام لكم بها	قتل الحسين فادمعي مدار
الجسم منه بكرسلاء مضرَج	والرأس منه على القناة يدار

قال : ثم قلت : هذا علي بن الحسين مع عَمَّاه وأخواته قد حلُّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم ، وأنا رسوله أعرفكم مكانه .

(وكان صرخة بشير كانت نفخة في الصور أقامت في المدينة صباح النشور) فباقيت في المدينة مخدّرة ولا محجّة إلا برزن من خدورهنّ ، مكشوفة شعورهنّ ، مخمّسة وجوههنّ ، ضاربات خدودهنّ ، يدعون بالويل والثبور ؛ فلم أر بأكياً أكثر من ذلك اليوم ، ولا يوماً أَمَرَ على المسلمين منه .

قال بشير : وسمعت جارية تنوح على الحسين وتشد أشعاراً في رثائه (عليه السلام) ، ثم قالت : أيها الناعي ، جدّدت حزننا بأبي عبد الله ، وخدشت منّا قروحاً لما تندمل ، فمن أنت رحمك الله ؟

فقلت : أنا بشير بن جذلم ، وجّهي مولاي عليّ بن الحسين عليهما الصلاة والسلام ، وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله ونسائه .

قال : فتركوني مكاني وبادروا ، فضربت فرسي حتى رجعت إليهم ، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع ، فنزلت عن فرسي وتخطّيت رقاب الناس حتى قربت من باب القسطنطين ، وكان عليّ بن الحسين (عليهما السلام) داخلًا ومعه خرقه يمسح بها دموعه ، وخلقه خادم معه كرسي^(١) ، فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتألم من العبرة ، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء ، وحينئذ الجوّاري والنساء ، والناس من كلّ ناحية يعزّونه ، فضجّت تلك البقعة ضجّة شديدة ، فأومأ بيده أن اسكتوا ، فسكنت فورعهم ، فقال (عليه السلام) .

خطبة السجّاد (عليه السلام) في ظاهري المدينة

﴿ الحمد لله ربّ العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين ﴾ ، بارئ الخلائق

(١) يحدّد العلم أنّ أول من نصب في الإسلام كان في المدينة إذ كان المسلمون أقلّيّة ، فقد كان رسول الله (ص) إذا خطب يستند إلى جذع نخل إلى جانب المحراب بابس عتيق ، فلما كثّر المسلمون أقاموا للرسول (ص) منبراً بثلاث درجات حيث هو المنبر اليوم في مسجد المدينة ، ولما كان يوم جمعة صعد رسول الله (ص) المنبر ، فعزّ ذلك الجذع كحينئذ الناقه إلى فضيلها ، وسمعه كلّ من كان في المسجد ، وأرى من المناسب في هذا المقام أن أقول بقول البحري :

فلو أنّ مشناقاً تكسّف فوق ما في وسعه لسمعى إليك المنبر
فنزّل رسول الله (ص) فاحتضن الجذع ، فسكن من الحنين ، ثم عاد (ص) فصعد المنبر ، ثم أمّن ثلاث مرّات على دعوة جبرئيل على ثلاثة : عاقى الوالدين ، ومن حرم من مغفرة الله في شهر رمضان ، ومن سمع اسم رسول الله (ص) ولم يصلّ عليه .

وعلى نحو ذلك نصب منبر لذكر مصائب سيّد الشهداء (ع) في المدينة إذ خرج الناس لاستقبال أهل البيت (ع) ، فجاء خادم بكرسيّ صعد عليه الإمام السجّاد (ع) وتحدّث عن استشهاد أبيه ، كما ورد في المتن .

أجمعين ، الذي بُعِدَ فارتفع في السماوات العللى ، وقُرِبَ فشهد النجوى ، نحمده على عظام الأمور ، وفجائع الدهور ، وألم الفجائع ، وعضاصة اللواذع ، وجيليل الرزء ، وعظيم المصائب القاضعة^(١) ، والكافئة الفادحة الجاثحة .

أيها الناس ، إن الله - وله الحمد - ابتلانا بمصائب جلييلة ، وثلمة في الإسلام عظيمة ، قتل أبو عبد الله وعترته ، وسي نساؤه وصبيته ، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان ، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية .

أيها الناس ، فأى رجالات منكم يـسـرون بعد قتله ؟ أم أي عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهماها ، فلقد بكت السبع الشداد لقتله ، وبكت البحار بأمواجها ، والسماوات بأركانها ، والأرض بأرجائها ، والأشجار بأغصانها ، والحيتان ولجج البحار ، والملائكة المقربون ، وأهل السماوات أجمعون .

أيها الناس ، أي قلب لا ينصدع لقتله ، أم أي فؤاد لا يحزن إليه ، أم أي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ؟!

أيها الناس ، أصبحنا مطرودين مشردين ، مذودين شاسعين عن الأمصار ، وكأننا أولاد ترك وكابل ، من غير جرم اجترمناه ، ولا مكروه ارتكبناه ؛ والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما ازدادوا على ما فعلوا بنا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، من مصيبة ما أعظمها ، وأوجعها . وأنجعها ، وأكظها ، وأفظها ، وأمرها ، وأفدحها ، فعند الله نحسب ما أصابنا وما بلغ بنا ، إنه عزيز ذو انتقام .

قال : فقام صوحان بن صمصمة بن صوحان - وكان زينا - فاعتذر إليه صلوات الله عليه بما عنده من زمانة رجليه^(٢) ، فاجابه بقبول معذرتة ، وحسن الظن فيه ، وشكر له ، وترحم على أبيه .

ودخل الإمام (عليه السلام) المدينة مع أهل البيت ، فلما وقع نظرهم على الضريح المطهر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ارتفعت أصواتهم بالبكاء ، ويقولون : واجداه ، وأحمداه ، هذا حسينك قتل عطشان ، وأهل بيتك أسرى لم يرحموا صغيراً منهم ولا كبيراً .

وعلا من جديد ضجيج أهل المدينة بالبكاء والعيول ، وروي أن زينب (عليها السلام)

(١) القاضعة : القاهرة المفرقة .

(٢) الزمانة : العانة ، والزمن : من أصيب بالزمانة ، واعتذر صوحان إليه (ص) كان لزمانة في رجليه عاتة عن الخروج معهم ونصرتهم عليهم السلام .

لما انتهت إلى المسجد أخذت الباب بيديها وصاحت : يا جدّه ، إني ناعية إليك أخي الحسين (عليه السلام) .

« أي جدّه قم واسأل عن حال زينب التي تفطر الأكباد ، واسأل البنت المظلومة عن حال الولد ، فأنت لم تكن مع القتل بيداء البلاء ، فدعني أقصّ عليك ما جرى ، وأروي لك عمّا جرى في الكوفة وعمّا وقع في الشام قصّة لم يُسمع بمثلها ، عن أطفالك يذرعون الأرض بين الكوفة والشام ، ويقاسون آلام السفر ، اسأل طيور السحر عن حال سكيّنة الورد المتفتحة ، واسأل عن العيون الباكية ، والقلوب الهلعة ، قم واسأل عن الطائر الكبير الجناح »^(١) .

وما زالت تلك المخدّرة في بكاء لا ينقطع ، ودمع لا يجفّ ، فإذا نظرت إلى عليّ بن الحسين (عليه السلام) تجدد حزنها وازدادت غصتها .

ويروي الطبريّ عن الباقر (عليه السلام) أنّهم لما دخلوا المدينة خرجت امرأة من آل عبد المطلب مشوّشة الشعر ، وهي تبكي وتقول :

ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم	ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقي	منهم أسارى ومنهم ضرّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم	أن تخلّفوني بسوء في ذوي رحمي

كثرة بكاء السجّاد (عليه السلام) بعد كربلاء

روي عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال :

« إنّ زين العابدين (عليه السلام) بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره ، قائماً ليله ، فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه وشرابه ، فيضعه بين يديه فيقول : كل يا مولاي ، فيقول : قتل ابن رسول الله جائعاً ، قتل ابن رسول الله عطشان ، فلا يزال يكرّر ذلك ويبكي حتّى يبيلّ طعامه من دموعه ، ثم يمزج شرابه بدموعه ، فلم يزل كذلك حتّى لحق بالله عزّ وجلّ » .

وحديث مولى له (عليه السلام) قال : إنّّه برز يوماً إلى الصحراء ، فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشنة ، فوفقت وأنا أسمع شهيقه وبكائه ، وأحصيت عليه ألف مرّة :

« لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً ، لا إله إلّا الله تعبّداً ورقاً ، لا إله إلّا الله إيماناً وصدقاً » .

ثمّ رفع رأسه من السجود وإنّ لحته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه ، فقلت : يا

(١) مضمون أبيات بالفارسيّة (المعرب) .

سيدي ، أما آن لحزنك أن ينقضي ، وليكاثك أن يقل ؟ فقال لي :

« ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبياً ابن نبي ، وكان له اثنا عشر ابناً . فغيب الله سبحانه واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن ، واحدودب ظهره من الغم ، وذهب بصره من البكاء وابنه حي في الدنيا ! وأنا فقدت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين ، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي ؟ »

ويروى أنه (عليه السلام) بعد مقتل أبيه اعتزل الناس فنزل في البادية في بيت من شعر يقال له الحياء الأسود ، وذلك لسنوات ، وكان يزور أحياناً جدّه أمير المؤمنين وأباه الحسين صلوات الله عليهما ، دون أن يعلم أحد .

وجاء في جملة من الكتب المعتمدة أن الرباب ابنة امرئ القيس أم سكينه (عليها السلام) ، وكانت حاضرة في وقعة الطف ، لم تنزل تحت سقف منذ عودتها إلى المدينة ، ولم تنق حرّاً ولا قرّاً ، وكان يخطبها الأشراف من قريش فتقول :

« لا يكون لي هو بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولا زالت تبكي باستمرار حتى قضت .

وينقل عن أبي الفرج أن هذه الأبيات قالتها الرباب بعد مقتل الحسين (عليه السلام) ترثيه بها :

إن الذي كان نوراً يُستضاء به	بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة	عنا وجُنت خسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به	وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من للبتامى ومن للسائلين ومن	يعني ويأوي إليه كل مسكين
والله لا ابتغي صهراً بصهركم	حتى أغيب بين الرمل والطين

وروي أنه ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ، ولا رثي في دار هاشمي دخان إلى خمس حجج ، حتى قتل عبيد الله بن زياد لعنه الله تعالى .

يقول المؤلف : بعث المختار برأس ابن زياد إلى علي بن الحسين (عليه السلام) فادخل عليه وهو يتغذى ، فسجد (عليه السلام) لله شكراً وقال :

« أدخلت على ابن زياد لعنه الله وهو يتغذى ، ورأس أبي بين يديه ، فقلت : اللهم لا تمنني حتى ترني رأس ابن زياد وأنا أتغذى ، فالحمد لله الذي أجاب دعوتي ، وجزى الله المختار خيراً » .

ومن هنا يعلم حال المختار ، وكيف أفرح القلب المبارك للإمام (عليه السلام) ، بل شفى قلوب المصابين المظلومين الحزاني من أراميل آل النبيّ وبناماهم ، الذين قضوا خمس سنين في الحزن والأسى وإقامة مآتم العزاء ، بل إنه أخرجهم من حالة العزاء ، وعمر دورهم ، وشفى صدورهم .

جاء في كتب الحديث المعتمدة أن رجلاً كافراً كان جاراً لرجل مسلم ، وكان الكافر يعامل جاره بالحسنى والمداواة ، فلما مات الكافر كان ماله إلى جهنم طبقاً للوعيد الإلهي ، فبنى الله له وسط النار بيتاً من طين يحول دون وصول ضرر النار إليه ، وكان رزقه يأتيه من مكان غير جهنم ، ويقال له : هذا جزاء حسن المعاملة الذي عاملت به جارك المسلم ، فإذا كان هذا حال كافر أحسن لمسلم ، فكيف يكون حال المختار الذي كانت سيرته على هذا النحو المرضي ؟

والأخبار المعتمدة في فضل إدخال السرور على قلب المؤمن أكثر من أن تحصى .

وكم هو سعيد حال المختار الذي أسعد قلوباً حزينه سحقها الألم من أهل بيت الرسالة ، وقد استجيت للإمام السجّاد (عليه السلام) دعوتان تحققتا على يديه ، أولاهما مقتل ابن زياد كما تقدّم ، والأخرى مقتل حرملة بن كاهل حرقاً كما في الخبر عن المنهال بن عمرو الذي قال :

دخلت على عليّ بن الحسين (عليه السلام) منصرفي من مكة ، فقال لي : يا منهال ، ما صنع حرملة بن كاهل الأسدي ؟ فقلت : تركته حياً بالكوفة ، قال : فرفع يديه جميعاً ثم قال (عليه السلام) : « اللهم أذقه حرّ الحديد ، اللهم أذقه حرّ النار » .

قال المنهال : فقدمت الكوفة وقد ظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، وكان لي صديقاً ، فكنيت في منزلي أياماً حتى انقطع الناس عني ، وركبت إليه ، فلقيته خارجاً من داره ، فسايرته ونحن نتحدث حتى أتى الكناسة ، فوقف وقوفاً كأنه ينتظر شيئاً ، فلما لبثنا أن جيء بحرملة بن كاهل وقد أخذ ، فلما نظر إليه المختار قال : الحمد لله الذي مكّني منك ، ثم أمر به ففقطعت يده ورجلاه ، ثم ألغوا به في النار ، فقلت : سبحان الله ! فقال لي : يا منهال ، لم سبحت ؟ فرويت له قصة دعوة الإمام السجّاد (عليه السلام) واستجابتها ، فنزل المختار عن دابته وصلى ركعتين فأطال السجود ، ثم قام فركب وقد احترق حرملة ، وركبت معه وسرنا ، فحاذيت داري فدعوته إلى الدخول وتناول الطعام ، فقال : يا منهال ، تعلمني أن عليّ بن الحسين (عليه السلام) دعا دعوات فأجابه الله على يدي ، ثم تأمرني أن أكل ؟ هذا يوم صوم شكراً لله عز وجل على ما فعلته بتوفيقه .

خاتمة في بكاء الكائنات على مصاب الحسين (عليه السلام)

اعلم أن أخباراً كثيرة وردت في صدد بكاء الملائكة والأنبياء وأوصيائهم سلام الله عليهم أجمعين ، وبكاء السماء والأرض ، والجن والإنس ، والوحش والطير في مصيبة سيد المظلومين أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) .

كما نقلت مرويات كثيرة في صدد ما ورد على أحوال الأشجار والنباتات والبحار والجبال عند شهادته (عليه السلام) ، وفي صدد الأشعار والمرائي ونواح الجن عليه ، وتبيان أن المصاب به فاق كل المصائب ، وبيان ثواب زيارته ، وكرامة أرض كربلاء وفوائده تربته المقدسة (عليه السلام) ، كما في بيان الظلم والجور للذين وقعا على قبره الشريف ، وبيان ثواب لمن قاتله وكفرهم وما ينتظرهم من عذاب شديد ، وأنهم لم يخرجوا من دنياهم فائدة ، بل تذوقوا العذاب الإلهي في الدنيا ، ولولا توخي الإيجاز لحق التبرك بإيراد مختصر عن كل من هذه المرويات .

إنما ما ينبغي معرفته هو أن الوقائع والأثار المنقولة إلينا عن التقلبات الكلية في أجزاء عالم الإمكان جزءاً استشهاد سيد المظلومين ، إنما هي غير مستبعدة وليست موضع استغراب في نظر أرباب الأديان والملل ، وفي نظر القائلين بالمبدأ والمعجزات والكرامات ، وإذا رجع المتتبع الخبير إلى التواريخ والسير فسيصدق أن وقائع سنة إحدى وستين من الهجرة ، وهي سنة استشهاد (عليه السلام) ، إنما كانت وقائع فوق العادة ، وقد حقق الكثير منها أهل التاريخ ممن لم يتهموا بالتشيع أو القول الجزاف .

فابن الأثير الجزري صاحب (كامل التواريخ) ، والذي هو معتمد أهل التاريخ ، والمعروف بالإتقان ، يقطع ويحزم في كتابه ذلك ، فيما كتبه من وقائع سنة إحدى وستين أن الناس ظلوا شهرين أو ثلاثة بعد مقتل الحسين (عليه السلام) يشاهدون الجدران كأنها ملطخة بالدم ، وذلك منذ شروق الشمس إلى ارتفاعها ، ومن هذا القبيل جاء الكثير في الكتب المعتمدة .

ويذكر الفاضل الأديب الأرباب اعتياد السلطنة في كتاب (حجة السعادة في حجة الشهادة) أن سنة شهادة السيد المظلوم (عليه السلام) ، وهي سنة إحدى وستين اضطرب فيها سطح الأرض بعد سكونه ، واضطربت صفحة الممالك في أوروبا وآسيا بلون الدم الأحمر ، أو هي اضطربت فعلاً فلم تستقر وتسكن ، وتقطعت جذور السلم والصلاح ، وثار بين الناس غبار الفتن والثورات .

وقد اعتمد هذا الكتاب في مناه على تواريخ الدنيا العتيقة ، وكانت بالأسنة مختلفة

ولغات شتى ، فجمعها في كتابه هذا بالفارسية ، ويمكن لمن أراد الاطلاع الرجوع إليه .

ويكفي في هذا المقام مشاهدة آثار إقامة العزاء على ذلك المظلوم حتى يوم القيامة ، إذ هي تتجدد سنة بعد سنة ، ولن تحمي آثارها ولن يغادر الخواطر ذكرها ، كما أشير إلى هذا الأمر في أخبار أهل البيت (عليهم السلام) ، وهذه عقيلة خدر الرسالة ، ورضيعة ندي النبوة زينب الكبرى (عليها السلام) تقول في خطبتها في مجلس يزيد :

« فكبد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا نتمحو ذكركنا ، ولا نغيب وحيناً » .

وبعدَ البعض من العلماء هذا الأمر من معجزاتها الباهرة ، فمنذ عهد الديلمية حتى الآن ، وفي كل سنة ، ترفع ألوية مجالس العزاء على هذا المظلوم في شرق العالم وغربه ، ويُشاهد كيف أن الشيعة في أيام عاشوراء لا يشغلهم في البلدان كافة سوى إقامة مجالس العزاء والطمع ولبس السواد ، وما إلى ذلك من مستلزمات المصاب .

وقد نقل العديد من المؤرخين أن معز الدولة الديلمي - في سنة خمسين وثلاثمئة ، وفي يوم عاشوراء - أمر أهل بغداد بالنياحة والطمع وإقامة المآتم على الإمام الحسين (عليه السلام) ، وأن على النسوة أن يشعن شعورهن ، ويسودن وجوههن ؛ وأن على الأسواق أن تغلق ، وأن تعلق الرايات على الدكاكين ، وأن يتوقف الطبّاخون عن عملهم .

وقد خرجت النسوة وقد مرغن وجههن بسواد دخان القدور ، وهن يطمعن ويندبن ، وامتد الأمر لسنوات دون أن يستطيع أحد إيقافه أو منعه ؛ لكون السلطان مع الشيعة .

ومن غرائب ذلك أنه يترك تأثيره في نفوس العامة ، حتى المخالفين منهم لهذا المذهب ، أو الذين لا يهتمون بطقوس الشريعة ، وأذكر أنني عند مطالعتي لكتاب (تحفة العالم) تأليف الفاضل البارع عبد اللطيف الشوشري^(١) ، رأيت تفاصيل عجيبة عن مراسم تعزية يقيمها عبدة النار في الهند يوم عاشوراء .

يقول الشيخ الجليل والمحدث الفاضل النبيل الحاج الميرزا محمد القمي رحمه الله تعالى في (الأربعين) : كنت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمئة وألف أيام عاشوراء في طريق كربلاء ، وفي

(١) السيد عبد اللطيف المذكور من أحفاد السيد نعمة الله الجزائري ، وقد ألف هذا الكتاب في الهند في تاريخ شوشتر ، مضطراً إياه مآثر سلفه من أحوال السيد الجزائري وبنه حتى زمانه هو ، وأدرج فيه كثيراً من أحوال سكّان الهند ، وقد وضع هذا الكتاب من أجل عهده السيد أبي القاسم بن السيد الرضوي الملقب بـ (مير العالم) بعنوان (تحفة) ، لذلك فهو موسوم بـ (تحفة العالم) والله هو العالم .

الأول من عاشوراء سمعت وأنا في البعقوبية ، وأكثر أهلها من السنة ، نعمة نواح أصوات أطفال ، فسألت طفلاً من أهلها عن ذلك ، فأجابني بلسان عربي : ينوحون على السيد المظلوم ، قلت : ومن السيد المظلوم ؟ قال : سيدنا الحسين (عليه السلام) .

وفي ما تبقى من أيام عاشوراء - وكنت في كردستان - رأيت سكان البادية ، وهم بعيدون عن طغوس الشريعة ، وقد تجمعوا معاً ، ونداء يا حسين يرقى منهم نحو معارج الأفلاك .

والأعجب من هذا تأثير ذلك المصاب في الجمادات والنباتات والحيوانات ، كما تدل الأخبار الكثيرة على أن الكائنات كافة تألمت للمصاب المفجع الذي ألم بسيد المظلومين ، وكل منها بكى على طريقته ، وجرت تقلبات كلية في أجزاء عالم الإمكان بواسطة ارتباط واقعي ومناسبة حقيقية هي عبارة عن تلقي الفيض الإلهي بواسطة ذلك الوجود المقدس ، والاستمداد من بركات تلك الذات الميمونة في نيل الترقيات المرتقبة من كل أحد في كساله الطبيعي الذي يحوزه مع ذلك الجناح ، والذي هو واضح ظاهر على وجه لا يمكن معه إسدال ستار على حقيقة الأمر ، فالحب والعدو والمؤمن والكافر كلهم شاهدوا وشهدوا .

ولما كان استيفاء هذه الأخبار يستوجب وضع كتاب مستقل عنها ، كما أن نقل جزء منها لا يتناسب مع هذا المختصر ، فإننا نشير إلى محصلة بعض من هذه الأخبار والآثار .

بروى عن باقر العلوم (عليه السلام) أنه قال :

« بكت الإنس والجن ، والطير والوحش على الحسين بن علي (عليهما السلام) حتى ذرفت دموعها » .

وينقل عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه سمع يقول :

« إن أبا عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام) لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب عليهن ، والجنة والنار ، ومن خلق ربنا ، وما يرى وما لا يرى » .

وجاء في ذيل خبر أن الإمام الحسن (عليه السلام) قال للإمام الحسين :

« . . فعندما (أي بعد الشهادة) تحمل بني أمية اللعنة ، وتطر السماء دماً ، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات ، والحيتان في البحار » .

وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) في قوله لزرارة أن السماء والأرض والشمس بكت على الحسين أربعين صباحاً .

ويروي الشيخ الصدوق (ره) عن رجل من أهل بيت المقدس أنه قال :

« والله لقد عرفنا (نحن) أهل بيت المقدس ونواحيها عشية قتل الحسين بن علي ! قلت : وكيف ذلك ؟ قال : مارفعنا حجراً ولا مدرأ ولا صخراً إلّا ورأينا تحتها دماً يغلي ، واحمرت الحيطان كالعلق ، ومُطرنا ثلاثة أيّام دماً عبيطاً ، وسمعنا منادياً ينادي في جوف الليل : اترجوامة قتلت حسيناً . . الأبيات .

وفي خطبة السيّد السّجّاد (عليه السلام) عند وروده المدينة ، وفي طائفة من زيارات سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وفي مرويات كثيرة إشارة إلى بكاء الموجودات ، وثورة المخلوقات ، كما أنّ أخبار العامّة وأقوال أهل السّنة تشهد بوقوع آثار غريبة لهذا المصاب العظيم في السماء والأرض .

وبملاحظة هذا كلّه يمكن القطع بدعوى عموم هذا المصاب ، ومن جملة مروياتهم كذلك ما جاء في تفسير الآية الكريمة : ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض ﴾ ، من أنّه « لما قتل الحسين بكت السماء ، وبكاؤها حرّتها » .

ونقل ابن عبد ربّه الأندلسيّ في ذيل الحديث عن وفود محمّد بن شهاب الزهريّ عن عبد الملك بن مروان ، أن عبد الملك سأل الزهريّ عمّا وقع في بيت المقدس يوم قتل الحسين ، فقال الزهريّ : بلغني عن فلان أنّه لم يُقلب حجر - صبيحة مقتل عليّ بن أبي طالب والحسين بن عليّ - في بيت المقدس إلّا وجد تحته دم عبيط .

وجاء في (كامل الزيارة) مثل هذا الحديث عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قاله هشام بن عبد الملك ؛ وكما أنّ ابن عبد ربّه يروي أنّه لما أغبر على معسكر الحسين وُجد فيه طيب ما أذهنت به امرأة إلّا ابتليت بالبرص .

وحكاية القلم الحديدي الذي كتب على الجدار الأشعار المعروفة :

اترجوامة قتلت حسيناً . . الأبيات .

وكذلك الحكاية التي سبقت عن تحوّل الدنانير إلى خزف ، تلك الدنانير التي أعطاها الراهب لقاء أخذه الرأس المطهر والتي نقلها علماء العامّة .

والحكايات عن مرثي الجنّ ونواحهم أكثر من أن تحصى ، وسأع أم سلمة ليلة مقتل الحسين (عليه السلام) مرثية الجنّ : « ألا يا عين فاحتفلي بجهد . . » ، وكذلك سماع الزهريّ لنواح الجنّ بهذه الأبيات :

نساء الجنّ يبكين نساء الهاشميات ويلطمن خدوداً كاللدنانير نقبات ويلبسن ثياب السود بعد القصيات

وكذلك مرثيتهم بهذه الكلمات :

مسح النبيّ جبينه وله بریق في الحدود أبواه من عليا قریش جدّه خير الجدود
وجاء في (تذكرة) السبط وغيرها أن محمد بن سعد يقول في (الطبقات) : إن هذه
الحمرة لم تُر في السماء قبل مقتل الحسين (عليه السلام) .

وعن أبي الفرج أن جدّه نقل في كتاب (النيرة) أن وجه السماء يكتسي بالحمرة عند
الغضب ، وأنّ هذه الحمرة دليل غضبها وأمارة سخطها ، والله تعالى منزّه عن الجسميّة
وعوارض الأجسام ، وقد أظهر غضبه لمقتل الحسين (عليه السلام) بحمرة الأفق ، وهذا دليل
على عظمة تلك الجناية .

وجاء في جملة من مرويات العامة أنّ الحيطان ظلّت شهرين بل ثلاثة أشهر وكأنّها ملطّخة
بالدم ، وأمطرت السماء مطراً بقيت آثاره على الملابس مدة .

وكتب إبراهيم بن محمّد البيهقيّ في كتاب (المحاسن والمساوي) الذي تمّ تأليفه قبل ما
يزيد على ألف سنة ، أنّ محمّد بن سيرين قال : لم تُر هذه الحمرة في السماء إلّا بعد قتل الحسين
صلوات الله عليه ، ولم تحض امرأة في الروم حتّى أربعة شهور إلّا أصيبت بالبرص ، فكتب
ملك الروم إلى ملك العرب : لقد قتلتُم نبياً أو ابن نبي . انتهى .

كما نقل عن ابن سيرين قوله : إنّ حجراً وجد قبل البعثة النبويّة بخمسمئة سنة ، وكان
مكتوباً عليه بالسريانيّة ما تعريبه :

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جدّه يوم الحساب
ويقول سليمان بن يسار : إنّ حجراً وجد مكتوباً عليه :

لا بدّ أن ترد القيامة فاطمة وقميصها بدم الحسين ملطّخ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه والصور في يوم القيامة ينفخ

وجاء في مجموعة الشيخ الصدوق و(الكشكول) و(زهر الربيع) وغيرها أنّ عقيقة حمراء
وجدت وقد كتب عليها :

أنا در من السما نثروني يوم تزويج والد السبطين
كنت أنقى من اللجين بياضاً صبغتني دماء نحر الحسين

ويقول السيّد الجزائريّ في (زهر الربيع) : إنّهُ عُثِر في مدينة شوشتر على حجر صغير
اصفر استخرجه الحفّارون من الأرض ، وقد كتب عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، عليّ وليّ الله ، لما قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) كتب بدمه على أرض حصباء : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أنّي منقلب ينقلبون ﴾ .

إنّ العجب من وقوع أمور كهذه ليتفني إذا علمنا أن نظيراً لها يقع في زماننا ، فالشيخ المحدث الجليل المرحوم ثقة الإسلام النوريّ ينقل عن شيخه المرحوم الشيخ عبد الحسين الطهرانيّ أنّه قد اتفق حين كان في الحلة أن قطعوا شجرة ، ثم نشروها طولانياً بالمشار إلى نصفين ، فإذا قد نقش في باطن كلّ شقّ : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، عليّ وليّ الله » .

وقد نقل العالم الفاضل الأديب الماهر الحاج ميرزا أبو الفضل الطهرانيّ بتوسط والده المحقق هذه القصة أيضاً عن المرحوم شيخ العراقيين الشيخ عبد الحسين ، الذي قال بعد ذلك : إنّ كنت في طهران فرأيت قطعة ماسٍ صغيرة بحجم لا يزيد عن نصف حبة من العدس ، وقد نقش في باطنها - بطريقة يقطع من يراها أنّها ليست مصنوعة - الإسم المبارك « عليّ » بياء مقلوّبة ، مع كلمة صغيرة تظهر كأنّها « يا » ، ويكون مجموعهما : « يا عليّ » ، والقصص من هذا القبيل كثيرة في التواريخ والسير .

وقد جاء في العديد من كتب العامة أنّه سمع ليلة مقتل الحسين (عليه السلام) قائل يقول : أيها القاتلون جهلاً حسيناً .. الخ .

كما جاء في أحاديث عديدة أنّه لما قتل الحسين (عليه السلام) أمطرت السماء دماً ، كما ورد أن السماء انقلبت سوداء حتّى أن النجوم ظهرت فيها نهاراً ، وأنّه لم يرفع حجر إلّا وجد تحته دم عيط .

وفي رواية ابن حجر أنّ السماء بكت سبعة أيام وصارت حمراء .

وينقل ابن الجوزيّ عن ابن سيرين أنّ الدنيا أظلمت ثلاثة أيّام ، ثم ظهرت بعدها حمرة في السماء .

وروي في (ينابيع المودة) عن (جواهر العقدين) للسمهريّ أنّ جماعة حضروا عزاء عند الروم ، فأروا في الكنيسة مكتوباً : أترجوا شاة قتلت حسيناً .. الخ ، فسألوا عمّن كتبها ، فقالوا : لا نعلم .

وفيه أيضاً عن (مقتل أبي مخنف) مرويات عديدة عن نواح الجنّ ومراثيهم فيما بين أهل البيت (عليهم السلام) في طريقهم بين الكوفة والشام ، وجاء فيه أنّهم لما انتهوا إلى دير الراهب نصب الجند رأس الحسين (عليه السلام) على رمح ، فسمعوا صوتاً يقول :

والله ما جشتمكم حتى بصرت به بالطف متعفر الحذيين منحورا
وحموله فتية تدمى نحوهم مثل المصابيح يفشون الدجى نورا
كان الحسين سراجاً يستضاء به الله يعلم أني لم أقل زورا

وقد نقل عن حمزة ابن حجر أنه قال : من جملة الآيات التي ظهرت يوم مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) أن السماء أمطرت دماً ، وامتلأت الأواني بالدم ، واسود الأفق حتى رثيت النجوم ، واشتد ظلمة الليل حتى ظن الناس أنها هي ، أي هي القيامة قد قامت ، والتفت النجوم واختلطت ، ولم يرفع حجر إلا ظهر تحته دم يغلي ، وأظلمت الدنيا ثلاثة أيام ، ثم ظهرت فيها الحمرة^(١) . وقيل إن هذا امتد ستة شهور ، وكان يرى بعد ذلك على الدوام .

وذكر السيوطي في (تاريخ الخلفاء) ما يقرب من هذه المضامين ، ثم أضاف يقول : والورس^(٢) الذي كان في معسكرهم تحول إلى رماد ، ونحروا النوق التي كانت فيه قرأوا في لحمها ما يشبه النار ، وطبخوها فإذا مرارتها كالصبر .

وعلى العموم فإن من هذه المقولات الكثير في مطاوي كتب السنة ، وهي أكثر من أن يتم حصرها والإحاطة بها .

حكاية غريبة في جبل الوند

نختم كلامنا بحكاية غريبة : ينقل الشيخ المرحوم المحدث النوري طاب ثراه بسند صحيح عن العالم الجليل صاحب الكرامات الباهرة والمقامات العالية العالم الملا زين العابدين السلمي^(ره) أنه قال :

(١) يقول المؤلف : قال شيخنا صاحب (أربعين الحسينية) : يمكن أن يكون هذا النوع من الأحاديث مستبعداً في نظر أهل العصر ، ويوسوس شيطان الخيال أن حمرة السماء والأفق من الأمور الطبيعية المعهودة ، التي ذكرت في كتب الهيئة (الجغرافية) كما ذكرت الأسباب الطبيعية لها ، غير أن هذا المعنى لا يتفق مع ما نقل عن المعتمدين من أهل التاريخ ، ذلك أنه يمكن أن يكون مرادهم حدوث حمرة خاصة ، تظهر من الخارج أو وسط السماء في غروقت الشروق ، لا حمرة الأفق عند الشروق والغروب التي تحدث عن انعكاس الأشعة ، فلا يذهبن الظن أنها مراد العلماء الأعلام والمؤرخين الكبار ، ذلك أن أي عاقل لا يمكن أن يعطي الأمر المعتاد صفة الحادثة الواقعة ، وخصوصاً علماء العامة الذين لا يسلمون - ما أمكنهم ذلك - بمناقب وفضائل تنسب إلى الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ، وقد حفلت سنة إحدى وستين من الهجرة بوقائع عجيبة إلى الحد الذي لا يقبل الإنكار .

وقد تعرض صاحب (شفاء الصدور) لهذا الأمر ببيان لا يتسع المقام لذكره ، وعلى من يطلبه الرجوع إليه في مظانه ، والله هو العالم .

(٢) الورس : نبات أصفر كالسمسم يزرع في اليمن ، وتصنع به الملابس ، وقد ذكر البيهقي هذا الأمر أيضاً في (المحاسن والمساوي) .

لما رجعنا من زيارتنا لمشهد الإمام الرضا (عليه السلام) اتفق أن كان مرورنا بجبل الوند على مقربة من همدان ، فنزلنا هناك ، كان الفصل ربيعاً ، وانصرف مرافقونا إلى نصب الخيام ، فرحت أنظر إلى سفح الجبل ، وإذا بي أرى شيئاً أبيض ، فلما انعمت فيه نظري ظهر أنه شيخ مسن ذو لحية بيضاء ، وعلى رأسه عمامة بيضاء ، وقد جلس على صفة (مصطبة مرتفعة) تعلو عن الأرض نحو أربعة أذرع ، وقد صفت حولها حجارة كبيرة بحيث لم يعد يظهر منها سوى طرف موضع استراحت ، فدنوت منه وسلمت عليه ببشاشة ، فانس إلى ونزل من مكانه ، ثم أخذ يخبرني عن أحواله ، وأنه لم يتنكب عن الطريق المشروعة الطبيعية ، فهو ذو أهل وأولاد ، لكنه اختار الاعتزال عن تسير شؤونهم ليتفرغ تفرغاً تاماً للعبادة ، وكانت لديه رسائل عملية لعلماء العصر ، وقد مضى عليه في مكانه ذلك ثمان عشرة سنة كما قال :

ومن العجائب التي شهدناها ورأيناها لي - بعد استفسار مني - هذه القصة ، قال :

كانت بداية قدومي إلى هنا في شهر رجب ، وبعد مرور خمسة أشهر وبعض الشهر ، وكنت ذات ليلة مشغولاً بصلاة المغرب ، فإذا بي أسمع صدى عويل عظيم وجلبة عجيبة ، فعراي الخوف ، وخففت من صلاتي ، ثم نظرت إلى الفلاة فرأيتها مليئة بالحيوانات وهي تنجبه نحوي ، وكانت حيوانات مختلفة متضادة ، ففيها الأسد والغزال والبقرة ووعلى الجبل والنمر والذئب ، وقد اختلطت ببعضها وهي تصرخ بأصوات متباينة ، فزاد خوفي واضطرابي ، كما أخذني العجب في اجتماع هذا الخليط من الحيوانات بأصواتها الغريبة حولي في هذا المكان ، وقد أشرأبت برؤوسها نحوي ، فقلت في نفسي : إن من المستبعد أن يكون السبب في اجتماع هذه الحيوانات والضواري المعادية هو رغبتها بافتراسي في حين أنها لا تفرس بعضها البعض الآخر ، وليس اجتماعها إلا لأمر عظيم وحدث جلل ، وبعد التأمل جرى في خاطري أن تلك الليلة كانت ليلة عاشوراء ، ولا بد أن يكون هذا الأنين والنواح وهذا الاجتماع إلا من أجل المصائب بأبي عبد الله (عليه السلام) .

ولما اطمانت نفسي إلى هذه الفكرة تناولت عمامتي ووضعتها فوق رأسي ، ونزلت من مكاني وأنا أقول : حسين حسين ، شهيد حسين ، وأمثال هذا الكلام ، فأفسحت لي الحيوانات مكاناً خالياً في وسطها ، وأحاطت بي كالحلقة ، وكان بعضها يضرب الأرض برأسه ، وبعضها يتمرغ بالتراب ، واستمر الأمر على هذا النحو حتى بزغ الفجر ، فأخذت الحيوانات الأكثر وحشية تتسحب ، وتبعثها الحيوانات الأخرى حتى تفرقت وغابت ، وجرت عادتها على ذلك في كل سنة ، ومنذ ثمان عشرة سنة حتى الآن ؛ وكنت أحياناً يشبهه علي يوم عاشوراء فيأتي اجتماعها هنا ليذكرني به ، إلى آخر الحكاية^(١) مما لا داعي لذكره !

(١) أقول : هذا الحكاية موضع استغراب شديد عندي ، ومستبعدة أيضاً ، نظير الحكاية الثالثة في الباب الرابع =

وجاء في السيرة الحلبيّة نقلاً عن بعض الزهاد أنّه اعتاد على تفتيت الخبز طعاماً للنمل كلّ يوم ، فإذا كان عاشوراء امتنع النمل عن أكل هذا الخبز ؛ إلى حكايات كثيرة من هذا القبيل ، ونكتفي إلى هنا بهذا المقدار ، ومن أجل تصديق هذه الحكاية التي نقلها الشيخ المرحوم نوردهذا الحديث الشريف :

يروى الشيخ الأجلّ الأقدم أبو القاسم جعفر بن قولويه القميّ عن الحارث الأعور أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قال :

« بآي وأمي الحسين المقتول بظهر الكوفة ، والله كأيّ أنظر إلى الوحش مائة أعناقها على قبره ، ومن أنواع الوحش ، يبيّونه ويرثونه ليلاً حتّى الصباح ، فإذا كان كذلك فليأكلهم والجفاء » .

* * *



الفصل العاشر عشر

فجد مراثيد الالهام الحسين (عليه السلام)

تقدّم القول في الفصول الأولى من الباب الخامس في أنّ رثاء الحسين (عليه السلام) والبكاء على مصابه موجب للشواب العميم ، وهو فعل محبوب لدى الأئمة الأطهار سلام الله عليهم أجمعين ، وكان دأبهم عليهم السلام أن يحثوا الشعراء على قول المراثي والبكاء .

وحرصاً مني على أن تكون هذه الرسالة الموجزة ذات نفع عميم ، فإنّي أتبرك بذكر بعض من هذه المراثي ، ومع أن هذه المراثي عربيّة اللسان ، وأنّ هذا الكتاب المستطاب فارسيّ اللسان ، فلا بدّ أن تكون ذات نفع لأولئك الذين لا يحسنون العربيّة .

قال الشيخ الجليل محمد بن شهر اشوب نقلاً عن أمالي المفيد النيشابوري : رأى ذرّة النائح فاطمة سلام الله عليها في نومه واقفة على رأس الحسين (عليه السلام) وأمرته أن يرثيه بهذه الأشعار :

أيها العينان فيضاً واستهلاً لا تغيضاً
وابكيا بالطف ميتاً مبرك الصدر رضيضاً
لم أمرضه قتيلاً لا ولا كان مريضاً

وجاء في ديوان السيّد الأجلّ العالم الكامل السيّد نصر الله الحائري أن رجلاً ثقةً ومعتمداً من أهل البحرين حكى له أنّ بعض الأخيار رأى في عالم الرؤيا فاطمة الزهراء صلوات الله عليها مع جماعة من النساء يتحنّ على أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) بهذا البيت :

واحسيناه ذبيحاً من قفا واحسيناه غسيلاً بالدماء

فذيّله السيّد بهذه الأبيات :

واغريباً قطنه شيبته
واسليباً نسجت أكفانه
واطميناً ماله نعش سوى الرّ
واوحيداً لم تغمض طرفه
واذيحاً يتلفّى عطشاً
واقبلاً حرقوا خيمته
أه لا أنساه فرداً ما له
من معين غير ذي دمع أسى

ونقل شيخنا في (دار السلام) عن بعض الدواوين أن أحد الصلحاء رأى في نومه فاطمة الزهراء صلوات الله عليها فقالت له : قل لأحد الشعراء الموالين لنا أن ينظم قصيدة في رثاء سيّد الشهداء (عليه السلام) يكون الشطر الأول من مطلعها :

من أيّ جرم الحسين يقتل

فامتثل السيّد نصر الله الحائري للأمر وأنشد :

من أيّ جرم الحسين يقتل
وينسج الأكفان من غفر الثرى
وقطنه شيبته ونعشه
ويوطنون صدره بخيلهم
وبالدماء جسمه يغسل
له جنوب وصبا وشمال
رمح له الرّجس سنناً يحمل
والعلم فيه والكتاب المنزل

أقول : إن البعض لم يرضوا عن تشبيه الشيب بالقطن كما جاء في أشعار السيّد ، وكما في بعض الزيارات ، في حين أنّ هذا التشبيه بليغ إلى حدّ أن شعراء العرب العجم أوردوه في أشعارهم أيضاً ، وهذا الحكيم النظامي يقول :

إن خولطت سوداء شعورك بالبيا
قطن المشيب غداً خيوطاً للكفن
ض هو النذير إلى النهاية لا الرجاء
فالقطن هذا مؤذنٌ بالإنكفاء^(١)

يقول ابن شهر اشوب والشيخ المفيد وآخرون : أوّل شعر رثي به الحسين بن عليّ (عليهما السلام) قول عقبة بن عمرو السهمي ، وهو :

إذ العين قرّت في الحياة وأنتم
مررت على قبر الحسين بكربلا
ما زلت أرثيه وأبكي شجوه
تخافون في الدنيا فأظلم نورها
ففاض عليه من دموعي غزيرها
ويسعد عيني دمعها وزفيرها

(١) تعريب بيتين بالفارسيّة (المعرّب) .

ويكيت من بعد الحسين عصابةً أطاف به من جانبها قبورها
سلام على أهل القبور بكربلا وقل لها مني سلام يزورها
سلام بأصال العثي وبالفصحى تؤذيه نكباء الرياح ومورها^(١)
ولا برح الوقاد زوار قبره يفوح عليهم مسكها وعبرها

ويروي الشيخ ابن غما في (مثير الأحزان) أن سليمان بن قتة العدوي مر بكربلاء بعد ثلاثة أيام من مقتل الحسين (عليه السلام) ورأى مصارع الشهداء ، فأتكا على فرسه ، وأنشأ يقول :

مررت على أبيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلت
الم نرا أن الشمس أضحت مريضة لفقد حسين والبلاد اقشعرت
وكانوا رجاء ثم أضحوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
إلى أن يقول :

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاب المسلمين فذلت
وقد اعمولت تبكي السماء لفقده وأنجمها ناحت عليه وصلت
يجدر القول : قد تقدّم عند الحديث عن خروج الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى مكة أن إحدى عمات الحسين (عليه السلام) قالت له : يا بن رسول الله ، سمعت الجن ينوحون عليك ويقولون : « وإن قتيل الطف من آل هاشم » .

فلما أن يكون سليمان قد سمع هذا القول من رثاء الجن فأدرجه في أشعاره ، وإما أن يكون من نوادر الخواطر الذي يتفق وقوعه بكثرة ؛ وقد نقل أن أبا الرمح الخزاعي تشرف بالحضور لدى فاطمة بنت الحسين (عليهما السلام) ، فأنشد يرثي الحسين (عليه السلام) بأبيات ختمها بقوله :

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً من قریش فذلت
فقال له فاطمة (عليها السلام) : يجدر القول : أذل رقاب المسلمين فذلت ، فقال أبو الرمح : سيكون ذلك .

يقول أبو الفرج في (الأغاني) نقلاً عن علي بن إسماعيل التميمي عن أبيه أنه قال : كنت في حضرة أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) فدخل حاجبه يطلب الإذن للسيد

(١) المورد بالفصحى : الغبار تثيره الرياح .

الحميري بالدخول ، فأذن له ، وضرب ستراً فأجلس أهل بيته من وراء الستر ليسمعوا رثاء السيد للإمام الحسين (عليه السلام) ، ثم دخل السيد فسلم وجلس ، فطلب منه أبو عبد الله (عليه السلام) أن يرثي الحسين (عليه السلام) ، فأنشد :

أمر على جدث الحبيب من فقل لأعظمه الزكية
يا أعظم لا زلت من وطفاء ساكية روية
فإذا مررت بقبوره فاطل به وقف المطية
وابك المطهر للمط هـر والمطهرة النفية
كبكاء معولة^(١) أنت يوماً لواحد لها المنية

يقول الراوي : فرأيت دموع أبي عبد الله تنهل على وجهه ، وارتفع الصراخ والبكاء من أهل بيته (عليهم السلام) حتى أمر السيد أن يمسك ، فامسك .

يقول المؤلف : لقد تقدّم القول بأن أبا هارون المكفوف أنشد هذه المراثية للصادق (عليه السلام) فما جاوز البيت الأول إلا ويكي الصادق (عليه السلام) فامسك أبو هارون عن الإنشاد ، فأمره (عليه السلام) أن يستمرّ ففعل .

وما ألفت مراثية الوصال الشيرازي في هذا المقام إذ يقول :

ليس الخلق عسى يعافوا سلبه من خوف أن يعرى الشهيد الأرفع
ما نفع ثوب ليس يستر تحته جسداً ولا كفن يقيه فينجع
لو جسم يوسف بالخوافر رَضُوا ربح القميص أباه لم تك تنفع^(٢)

مراثية مختارة من قصيدة للمرحوم السيد جعفر الحلي

وجه الصباح عليّ ليل مظلم وجه الليل يشهد لي بأنّي سامر
والليل يشهد لي بأنّي سامر من قرحة لو أنّها بيّلت لم
ما خلت أنّ الدهر من عاداته ما خلت
ويقدّم الأموي وهو مؤخر ويؤخر العلوي وهو مقدّم
مثل ابن فاطمة يبيت مشرداً ويزيد في لذاته متنعم

(١) إشارة إلى من أعوت على قتل طفلها الوحيد .

(٢) تعريب أبيات بالفارسية (المغرب) .

(٣) اليّلتُم : جل يقال إنه ميفات أهل اليمن للحج .

حتى تقاذفه الفضاء الأعظم
 كخروج موسى خائفاً يترككم
 وبه تشرقت الحسبيم وزمزم
 فكأنما المأوى عليه محرم
 مثل النعام به تحب وترسم^(١)
 كالسيدر حين تلف فيه الأنجم
 تسري المنيا أنجدوا أو أتهموا
 من عزمهم طبعث فليس نكهم^(٢)
 فيها الجحام معنون ومترجم
 بأس وأطر من جوانبها الدم
 تتقاعد الأبطال حين تقوم
 منهم عوائدها النور الحوم
 أن سوف يكثر شربه والمطعم
 لطليقهم^(٣) في الفتح أن يستلموا
 من دون ذلك أن تنال الأنجم
 من باسل هو في الوقائع معلم
 غير أن يعجم لفظه ويدمدم
 عباس فيهم ضاحك يتبسّم
 أوساط يحصد للرزوس ويمحط
 فراوا أشد ثباتهم أن يُزمو
 سيان أشقر لونها والأدهم
 فيها أنوف بني الضلالة تُرغم
 أم أين من عليا أبيه مكدم^(٤)

وتضيق الدنيا على ابن محمد
 خرج الحسين من المدينة خائفاً
 وقد انجلى عن مكة وهو ابنها
 لم يدرك أين يريح بدن ركابه
 فمشت تؤم به العراق نجائب
 حفته خير عصابة مضرية
 ركب حجازيون بين رحالم
 متقلدين صوارماً هندية
 بيض الصفاح كأنهن صحائف
 إن أبرقت رعدت فرائص كل ذي
 ويقومون عوالياً خطية
 نزلوا بحومة كربلاء فتطلبت
 وتباشر^(٥) الوحش المشار أمامهم
 طمعت أمية حين قلّ عديدهم
 ورجوا مذلتهم فقلن رماحهم
 وقع العذاب على جيوش أمية
 ما راعهم إلا تقحّم ضيغم
 عبت وجوه القوم خوف الموت وال
 قلب اليمين على الشمال وغاص في ال
 وثى أبو الفضل الفوارس نكصاً
 صبغ الخيول برمحه حتى غدا
 بطل تورث من أبيه شجاعة
 حامي الظعينة أين منه ربيعة

(١) ترسم الناقة : تمشي مشياً شديداً .

(٢) نكهم : تنكهم السوف أي : تكل .

(٣) تباشروا : بشر بعضهم بعضاً يقرب توفر المأكّل والمشرب من لحم ودم .

(٤) لطليقهم متعلقة به (يستلموا) .

(٥) هذا البيت إشارة إلى ربيعة بن مكدم المعروف به (حامي الظعن) حياً وميتاً ، عرض له فرسان من بني سليم ومعه طعائن من أهله يجميهم وحده ، وكان شجاعاً مشهوراً ، فأصيب قلبه بسهم ، فنصب رمحه في =

وبكفه اليمنى الحسام المخنم^(١)
 فيصيب حاصبه العدو فيرجم
 في غير صاعقة السلا لا أقسم
 والله يقضي ما يشاء وبحكم
 وحسامه من حذهن لأحسهم
 كالليلث إذ أظفاره تنقلم
 آمن البغاث إذا أصيب القشعم^(٢)
 للشاربين به يُداف العلقم^(٣)
 بين الخيام وبينه متفهم
 بدر بمنحطم الوشيح^(٤) مثلهم
 صبغ البسيط كأنها هو عندهم^(٥)
 لم يُذمه عَض السلاح فيلثم
 صم الصخور لوطها تنائم
 إن صرن يسترحمن من لا يرحم
 ولواك هذا من به يتقدم
 والجرح يُسكنه الذي هو آلم

في كفه اليسرى السقاء يقله
 مثل السحابة للفواطم صوبه
 قسماً بصارمه الصفيقيل وأنني
 لولا القضا لمحا الوجود سيفه
 حسمت يديه المرهفات وأنه
 فغدا يهيم بأن يصول فلم يطق
 أمين الردي من كان يحذر بطشه
 وهوى بجانب العلقمي فليته
 فمشي لمصرعه الحسين وطرفه
 ألفاء محجوب الجمال كأنه
 فأكب منحنياً عليه ودمعه
 قد رام يلثمه فلم يرم موضعاً
 نادى وقد ملأ السوادى صيحة
 أخى من يحمي بنات محمد
 هذا حسامك من يذل به العدى
 هونت يا ابن أبي مصارع فتيني

من قصيدة له أيضاً

من طول علته والسقم قد نهكا
 وفي كعوب القنا قالوا البقاء لكنا
 وأوطأوا جنبه السعدان والحسكا

يا لهفتاه لزين العابدين لقي
 كانت عبادته منهم سباطهم
 جرّوه فانتهبوا النطع المعدّ له

= الأرض واعتمد عليه وهو ثابت في سرجه لم يزل ولم يمل ، وأشار إلى الظمائن بالرواح فسرن حتى بلغن
 بيوت الحي ، وبنو سليم إزاءه لا يقدمون عليه ويظنون به حياً .

(١) المخنم : القاطع من السيوف .

(٢) البغاث : الطير يطيه الطيران ، أي الضعيف ، والقشعم : السر المسن ، أي المجرب ، أو الأسد والمعنى
 أن ضعاف الطير تأمن الردي ، إذا أصيب السر .

(٣) العلقمي : اسم وائد من روافد الفرات ، يداف العلقم : يُجَلَط الخنظل المر .

(٤) منحطم الوشيح : مثنيك الرماح .

(٥) العندم : خشب البقم يُصَبَّغ به ، ويقال له : دم الأخوين .

من قصيدة لبعض السادة الإجلاء (قدّه)

فانزل بارض الطفّ كي تسفيها
ما بلّت الأكباد من جاريها^(١)
ثقل النسبوة كان القي فيها
ببكائها حزناً على أهلها
مذهولة تصغي لصوت أخيها
فغدت تقابلها بصبر أبيها
تشكولوا عجزها إلى حاميتها
يرمي حشاها جمره من فيها
في الأمر سائقها ومن حاديا
والشمر يحدها بسبب أبيها
واليوم آل أمية تبديها
لك من ثيابك ساتراً يكفيها
تسمو إليه ووجدها يرضيها
أو قدّموه فحاله يشجّيها

إن كان عندك عبرة تجريها
فعسى تبلّ بها مضاجع صفوة
ولقد مررت على منازل عصمة
فبكيت حتى خلّتها مستجيبي
ودكرت إذ وقفت عقيلة حيدر
بأبي التي ورثت مصائب أمها
لم أنس إذ متكوا حمّاهما فانثنت
تدعو فتحترق القلوب كأنما
هذي نساؤك من يكون إذا غدت
يسوقها زُحُرُ بضرب منونها
عجبا لها بالأمس أنت تصونها
حسرى وعزّ عليك أن لم يتركوا
وسرّوا برأسك في القفنا وقلوبها
إن أخروه شجاء رؤية حالها

من قصيدة للشيخ صالح الكوّاز (قدّه)

بطوي أديم الفيا في كلّما ذرعا
بصرخة تملأ الدنيا بها جزعا
لُبّوه قبل صدى من صوته رجعا
قامت دعائم دين الله وارتفعا
مالت بأرجاء طود العزّ فانصدعا
فلإنّ تساعي حسين في السماء نعي
فطفله من دما أوداجه رضعا
بعد الكرام عليها الذلّ قد وقعا
لعمّه ليل بدر قطّ ما هجعا

ياراكبا شدقمياً^(٢) في قوائمه
عج بالمدينة واصرّخ في شوارعها
ناد الذين إذا نادى الصريخ بهم
قل يا بني شيبة الحمد الذين بهم
قوموا فقد عصفت بالطفّ عاصفة
فتملأ الأرض نعيّاً من صوادمكم
ولتذهل اليوم فيكم كلّ مرضعة
نسيتم أم تناسيتم كرائمكم
اتجمعون وهم أسرى وجدهم

(١) مراده الماء الجاري في الفرات .

(٢) الشدقيّ : يعبر ينسب إلى النعمان بن المنذر ، وكان معروفاً .

فليت شعري من العباس أرقه أنينه ، كيف لو أصواتهم سمعا

من قصيدة للسيد محمد نجل السيد الكاظم القزويني

ومحذرات من عقائل أحمد
من تاكل حرى الفؤاد مروعة
ويتيمة فزعت لجسم كفيها
أهوت على جسم الحسين وقلبا
وقعت عليه تشم موضع نحره
ترتاع من ضرب السياط فتثني
أين الحفاظ وفي الطفوف دماؤكم
أين الحفاظ وهذه أشلاؤكم
أين الحفاظ وهذه أطفالكم
أين الحفاظ وهذه فتياتكم

هجمت عليها الخيل في أبياتها
أضحت تجاذبها العدى حراتها
حسرى القناعات تعج في أصواتها
مصدوع كاد يذوب من حراتها
وعيونها تنهل في عبراتها
تدعو سرايا قومها وجماتها
سُفكت بسيف أمية وقناتها
بقيت ثلاثاً في حجر فلاتها
ذبحت عطاشاً في نرى عرصاتها
مُحلت على الاقتاب بين عداتها



الفصل الثاني عشر

فجد بيان أولاد الحسين (عليه السلام) وأزواجه

أولاد الإمام الحسين (عليه السلام)

يقول الشيخ المفيد : كان للحسين (عليه السلام) ستة أولاد ، منهم أربعة ذكور وهم :

الأول : علي بن الحسين الأكبر ، وكنيته أبو محمد ، وأمه شاه زنان بنت كسرى يزيد جرد .

الثاني : علي بن الحسين الأصغر ، ويعرف بالأكبر ، استشهد مع أبيه في كربلاء كما تقدم ، وأمه ليل بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي .

الثالث : جعفر بن الحسين ، وأمه امرأة من قضاة ، وكانت وفاته في حياة الحسين (عليه السلام) ، ولم يعقب .

الرابع : عبد الله بن الحسين ، قتل في كربلاء أيضاً بسهم وهو في حجر أبيه كما تقدم .
أمّا البناتان فهما : سكينه ، وأمها الرباب ابنة امرئ القيس ، وهي كذلك أم عبد الله بن الحسين ؛ والبنت الثانية واسمها فاطمة ، أمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي . انتهى .

وقد اختار جماعة آخرون ما اختاره الشيخ المفيد ، لكنهم دعوا الإمام السجاد (عليه السلام) بعلي الأوسط ، ودعوا علياً الشهيد بعلي الأكبر .

وقال ابن الخشاب وابن شهر آشوب : إنَّ عدد أبناء الحسين (عليه السلام) ستة ، بإضافة محمد وعلي الأصغر ، وزادا على ابنتيه زينب ، فيصبح المجموع تسعة .

وعَدَّ الشيخ علي بن عيسى الإربلي في (كشف الغمّة) نقلاً عن كمال الدين بن طلحة أولاده (عليه السلام) بعشرة ، سَمَى تسعة منهم بما سَمَّاهم ابن شهر آشوب ، وأضاف ابنة رابعة ولم يسمها .

وعلى أي حال فقد تقدّم الحديث عن استشهاد ابني الحسين (عليه السلام) في الطفّ ، وسيأتي الحديث عن أحوال الإمام السجاد (عليه السلام) فيما بعد إن شاء الله .

وأما كونه (عليه السلام) أكبر من علي الأكبر كما يقول الشيخ المفيد ، أو كونه أصغر كما يقول ابن إدريس وجماعة من أهل التاريخ فنحن قد ذكرنا في كتاب (نفس المهموم) بياناً لهذا الأمر ، فلا نكرّر .

وجاء في الباب الرابع ضمن الحديث عن أولاد الإمام الحسن (عليه السلام) أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) عقد لابنته فاطمة على ابن أخيه الحسن المثنى ، وأنها أنجبت منه عبد الله المحض وإبراهيم الغمر والحسين المثلث ، وقد تقدّم الحديث عنهم .

وكانت فاطمة عديمة النظير في التقوى والكمال والفضل والجمال ، وقد دعيت بـ (الخور العين) .

توفيت فاطمة في المدينة سنة سبع عشرة ومئة من الهجرة ، كما توفيت أختها سكينه (عليها السلام) في السنة نفسها أيضاً في المدينة ، واسم سكينه كان أمانة أو أئمة ولقبت أمها بسكينه ، وكانت سكينه سيّدة النساء وعقيلة قريش ، مع حصافة في العقل وإصابة في الرأي ، ويقال إنّها كانت أفصح الناس وأعلمهم بلسان العرب والعلم والشعر والفضل والأدب ، وتروى عنها أمور كثيرة .

فقد روي أنه لما توفيت تلك المخدرة الفاضلة تأخّر الخروج بجنازتها لأنّ خالد بن عبد الملك (وكان حاكماً على المدينة) أمر أن لا يخرجوا بها حتى يحضر ، ولما حضر متأخراً ابتاعوا كافوراً بثلاثين ديناراً ونثروه على جسدها المبارك .

ويقول أبو الفرج : إن جنازتها تأخرت من الليل حتى الصباح ، فأعطى محمد بن عبد الله ، النفس الزكية ، عطاراً أربعمئة دينار ثمناً للعطور والعود الذي أحرقوه في المجامر حول سريرها .

ويروي أبو الفرج أيضاً عن سكينه (عليها السلام) أنّها قالت : قال أبي وعمي الحسن في حقّي وحقّ أمّي الرباب :

لعمرك إنّني لأحبّ داراً تكون بها السكينه والرباب

أحبَّهما وأبذل جُلِّ ما لي وليس لعاتب عندي عتاب

ويقول السبط بن الجوزي نقلًا عن سفيان الثوري : إنَّه لما عزم علي بن الحسين (عليه السلام) على الخروج إلى الحجِّ أو العمرة أعدَّت له سَكينة (عليها السلام) زاداً ثمنه ألف درهم^(١) وبعثت به إليه ، فلمَّا بلغ (عليه السلام) الحِمْيَر - وهي منطقة صخرية معروفة قرب المدينة - ورَّع هذا الزاد على الفقراء المساكين .

زوجات الإمام الحسين (عليه السلام)

الأولى شهر بانو أو شاء زنان وهي الأمُّ الماجدة للإمام زين العابدين (عليه السلام) ، وسيرد الحديث عنها فيما بعد إن شاء الله ، والثانية الرباب بنت امرئ القيس ، أمُّ السيدة سَكينة (عليها السلام) ، وكان الحسين (عليه السلام) شديد التعلُّق بها والرعاية لها .

جاء في نتائج المَوْدَّة أنَّه كان لامرئ القيس ثلاث بنات ، زَوَّج إحداهنَّ لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، وزَوَّج الثانية للحسن (عليه السلام) ، والثالثة هي هذه زوجة الحسين (عليه السلام) ، وقد قال فيها أشعاراً معروفة ؛ وكان يخطبها أشراف قريش بعد استشهاده فكانت ترثِّهم وتقول : « لا يكون لي حو بعد رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) » ولا زوج بعد الحسين (عليه السلام) .

وفي مجلس ابن زياد لما نظرت إلى رأس زوجها ضَمَّتْه وتقبَّله وتقول :

واحسيناه فلانسيت حسيناً أقصدتُه أسنة الأعداء
غادروه بكربلاء صريعاً لا سقى الله جانبي كربلاء

وجاء في التواريخ أنَّها لم تنقِ على قيد الحياة بعد واقعة كربلاء أكثر من سنة ، ولم تنزل في بكاء وعزاء ، ولم تكن تنزل تحت سقف بعد أن رأت بعينها جسد زوجها مطروحاً تحت الشمس عارياً ، فأثَّلت على نفسها أن لا ترتاح إلى ظِلِّ .

ويقول ابن الأثير في (الكامل) : إن الرباب ظَلَّتْ سنة قائمة على قبر الحسين (عليه السلام) ، عادت بعدها إلى المدينة ، وتوفَّيت من تأثير الحزن والأسى .

أقول : عرفت عند الحديث عن أحوال الحسن المثنى أنَّ زوجته فاطمة بنت الحسين أقامت على قبره أيضاً مدة سنة منشغلة بالحزن والعبادة ، عادت بعدها إلى بيتها .

الثالثة من زوجات الإمام الحسين (عليه السلام) ليلي بنت أبي مرَّة بن مسعود

(١) الدرهم أو الدراهما : عملة فضية زنتها اثنا عشر قيراطاً .

الثقافية ، وأمها ميمونة بنت أبي سفيان ، وهي أم عليّ الأكبر ؛ وعليّ الأكبر هاشميّ من جهة أبيه ، ثقيّ أمويّ من جهة أمه ، وإلى ذلك أشار معاوية إذ سأل ذات يوم : من أحقّ الناس بهذا الأمر (يريد الخلافة) ؟ قالوا : أنت ، قال : لا ، أولى الناس بهذا الأمر عليّ بن الحسين بن عليّ جدّه رسول الله ، وفيه شجاعة بني هاشم ، وسخاء بني أميّة ، وزهو ثقيف .

ولم يرد في كتب المقاتل ذكر لكون ليلي في كربلاء أم في الكوفة أم في الشام ، فلو كانت فلا بدّ أن يرعاها شيعة أبي سفيان وأهل الشام لما يربطها بإمامهم من نسب ، وما يقوله بعض أهل المنبر عن أحوالها وهي في كربلاء لا واقع له .

ومن زوجاته (عليه السلام) امرأة لا يعرف اسمها ، كانت معه في كربلاء ، ثمّ أسرت في من أسر ، وكانت حاملاً . وأسقطت حملها في طريق العودة من الكوفة إلى الشام عند جبل الجوشن بالقرب من حلب ، كما تقدّم في الفصل السادس .



خاتمة في فضل إقامة مجالس الغزاء

لا يخفى أنّ من المتعارف عليه في أقطار الشيعة بحمد الله إقامة مجالس الغزاء والمآتم على سيد الشهداء صلوات الله عليه ، وما يرافق ذلك من نشر الأعلام السوداء ، ونصب الخيام ، وتعطيل الأسواق يوم عاشوراء ، وأداء مراسم الحزن والنواح ، وقراءة المراثي ، والبكاء والإبكاء ، إلى غير ذلك مما لم يرد النهي عنه في الشرع المطهر ، ومما لا محذور فيه ، من عبادات مشروعة راجحة ، فيها الثواب الجليل والأجر الجميل .

وهذا الأمر هو من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى دليل ؛ ولا يخفى على المتتبع الخبير والناقد البصير أن أخباراً متواترة وردت في استحباب البكاء على الحسين (عليه السلام) ، وكذلك الإبقاء والتباكي^(١) ، وليس المراد بهذا الرياء في البكاء ، ذلك أنّ البكاء عليه (عليه السلام) عبادة ، والرياء في العبادة شأنه شأن القياس في الأدلة ، والربا في المعاملات ، وهو غير جائز .

وقد وردت أخبار كثيرة في إحياء أمر الأئمة وفضل المجالس التي تحيي أمرهم ، وأنّ الأئمة (عليهم السلام) يحبّون هذا النحو من المجالس ، التي يحضرها الملائكة .

كما جاء في الأخبار أنّ : « كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين (عليه السلام) » ، كما جاء أنّ أيام عاشوراء هي أيام مصاب أهل البيت وآيام حزنهم ، كما روي عنهم القول : احزنوا لحزننا ، وافرحوا لفرحنا ؛ كما وردت أخبار لا تحصى بأنّ الأئمة (عليهم السلام) كانوا يأمرّون الشعراء بإنشاد المراثي ، فيستمعون إليها ويبكون ، ويعطونهم

(١) احتمل شيخنا في (اللؤلؤ والمرجان) معنى آخر للتباكي هو أن المؤمن يُبكي بعضهم بعضاً بما يصدر عنهم من عمل أو قول أو مسلك .

الجوائز ، ويثبتون فضل هذا العمل ، وقد أوردنا بعضاً من هذه الأقوال في أوائل الباب الخامس .

وجاء في (الكافي) (التهذيب) عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قوله بأن أباه أبا جعفر (عليه السلام) أمره بأن يوقف له كذا وكذا من أجل النسوة اللواتي يندبنه في « منى أيام منى » .

وجاء في التهذيب أن خالد بن سدير سأل الصادق (عليه السلام) عن رجل يشق الثوب على أب وأم وأخ أو قريب ؟ فأجابه بأن لا بأس في شق الجيوب ، فقد شق موسى بن عمران الثوب على أخيه ، وقال في ذيل الحديث : « ولقد شققن الجيوب ، ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي (عليهما السلام) ، وعلى مثله تلطم الخدود وتشق الجيوب » .

وقد ورد في مرويات عدة أنه ما اكتحل هاشمية ولا اختضبت ، ولا رثي في دار هاشمي دخان إلى خمس حجج ، حتى قتل عبيد الله بن زياد ، وبعث المختار برأسه إليهم .

البكاء عليه (عليه السلام) عبادة

ينقل ابن الأثير والكثير من علماء العامة وأهل السير أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد رجوعه من وقعة أحد إلى المدينة سمع نساء الأنصار يبكين قتلاهم فقال : « لكن حمزة لا بواكي له » ، فلما سمع الأنصار أن النبي (صلى الله عليه وآله) يحب البكاء على عمه أمروا نساءهم بالبكاء على حمزة قبل البكاء على قتلاهم .

يقول الواقدي : وجرت هذه مجرى العادة ، فجعل أهل المدينة عند وقوع مصاب يبدؤون ندبتهم بالبكاء على الحمزة أولاً ، ومعلوم أنّ محبة رسول الله لعمة الحمزة لم تكن لتفوق محبة لسيد الشهداء (عليه السلام) ولو أنّ البكاء عليه مأمور به ، فبالطبع ، بل من الأولى أنّ البكاء على الحسين (عليه السلام) مأمور به ، ولما استقرت سيرة أهل المدينة على أن يبدؤوا البكاء على مصائبهم بالبكاء على الحمزة مواساةً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأداءً لحقّ قوله (صلى الله عليه وآله) : « لكن حمزة لا بواكي له » ومع أنّ سنين كثيرة مرت على شهادة الحمزة ولم ينكر أحد على أهل المدينة عاداتهم وسيرتهم ، فعلى المخالفين من باب أولى - علاوة على أن يكفوا عن لوم الشيعة على إقامتهم مجالس الغزاء على الحسين (عليه السلام) - أن يواسوا الشيعة ويشاركوهم بمجالسهم .

« فيا له لقلب لا يتصدّع لتذكّار تلك الأمور ! ويا عجبا من غفلة أهل الدهور ! وما عذر أهل الإسلام والإيمان في إضاعة أقسام الأحزان ؟ ألم يعلموا أنّ محمداً (صلى الله عليه وآله) متور وجيع ، وحبيبه مقهور صريع ، وقد أصبح لحمه (عليه السلام) مجرداً على الرمال ،

ودمه الشريف مسفوكاً بسيف أهل الضلال ؟ فيا ليت لفاطمة وأبيها عيناً تنظر إلى بناتها وبنيتها وهم ما بين مسلوب وجريح ، ومسجون وذبيح !

وأما ما جاء في الصحيحين من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، وفي رواية : ببكاء الحي ، وفي رواية : يعذب في قبره بما يتأخ عليه ؛ فإنه خطأ من الراوي بحكم العقل والنقل .

فمن الفاضل النووي^(١) قال : هذه المرويات كلها من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ، قال : وأنكرت عائشة عليها ونسبتها إلى النسيان والاشتباه ، واحتجّت بقوله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ . انتهى .

قال صاحب (المجالس الفاخرة) :

« وأنكر هذه الروايات أيضاً عبد الله بن عباس واحتج على خطأ رواها ، والتفصيل في الصحيحين وشروحيهما ؛ وما زالت عائشة وعمر في هذه المسألة على طرفي نقبض ، حتى أخرج الطبري في حوادث سنة ١٣ من تاريخه بالإسناد إلى سعيد بن المسيب قال :

لما توفي أبو بكر أقامت عليه عائشة النواح (أي النائحات) ، فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها فنهاه عن البكاء على أبي بكر ، فابن أن ينتهين ، فقال عمر لهشام بن الوليد : ادخل فأخرج إليّ ابنة أبي قحافة ، فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك عن عمر : إني أخرج عليك بيتي ، فقال عمر لهشام : ادخل فقد أذنت لك ، فدخل هشام فأخرج أم فروة أخت أبي بكر إلى عمر ، فعلاها بالذرة فضرها ضربات ، فتفرق النوح حين سمعوا ذلك .

قلت : كأنه لم يعلم تقرير النبي (صلى الله عليه وآله) نساء الأنصار على البكاء على موتاهن ، ولم يبلغه قوله (صلى الله عليه وآله) : « لكن حمزة لا بواكي له » ! وقوله : « على مثل جعفر فلتبك البواكي » ! ولعله نسي نهي النبي (صلى الله عليه وآله) إياه عن ضرب البواكي في يوم وفاة رقية .

وفي مقام آخر نتلو خبرها عليك : أخرج الإمام أحمد في مسنده من جملة حديث ذكر فيه موت رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وبكاء النساء عليها ، قال : فجعل عمر يضرهن بسوطه ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : « دعهن يبكين » ، ثم قال : « مهما يكن من القلب والعين فمن الله الرحمة » . وقعد على شفير القبر وفاطمة (عليها السلام) إلى

(١) النووي : هو محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الشافعي ، الفقيه اللغوي صاحب الكتب الكثيرة ، المتوفى سنة ٦٧٦ ، وينسب إلى نوا ، ببلدة قرب دمشق ، قال في (المراصد) : وهي منزل أبوب ، وبها قبر سام بن نوح (عليه السلام) .

جنبه نيكى ، قال : فجعل النبي (صلى الله عليه وآله) يسمح عين فاطمة بثوبه رحمة لها .
وأخرج أيضاً حديثاً فيه ؛ أنه مرَّ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) جنازة معها بواكب
فنهروهنَّ عمر ، فقال رسول الله . : « دعهنَّ فإنَّ النفس مصابة ، والعين دامعة » ، إلى غير
ذلك .

في ذم الرياء والكذب في الماتم ومفلسد الكذب

وعلى العموم فالأخبار في هذا الباب كثيرة ، وهذا المختصر لا يتسع لأكثر من ذلك ،
ومن الجدير بالشبهة عموماً ، وبالأكثرين خصوصاً الالتفات في مجالس العزاء هذه إلى نوع
للسلوك لا يعطي التواصب فرصة لتطويل الستهم ، وأن يكتفوا بالقيام بالسواجبات
والمستحبات دون المحرمات من قبيل الغناء الذي لا يخلو منه نواح اللطمة غالباً ، وأن يجتروا
من الأكاذيب المفتعلة والحكايات الضعيفة التي يُظنُّ بها الكذب ، والتي توجد في جملة من
الكتب غير المعتمدة ، بل تؤخذ نقلاً عن كتب صنفها أناس غير متدينين ، وليسوا من أهل العلم
والحديث ، وأن لا يجعلوا للشيطان سبيلاً إلى هذه العبادة العظيمة التي هي أعظم شعائر الله ،
وأن يمحذروا المعاصي الكثيرة أن تشوب روح هذه العبادة ، وخصوصاً الرياء والكذب والغناء
الذي غدا سارياً جارياً في هذا العمل ، ولا ينجو منه إلا القليل .

ولتصويب أمثال ذلك نذكر بضعة أخبار في هذا المقام في شدة عقاب كلٍّ منها لعلَّ من
ابتلي بها يرتدع عنها .

أما الرياء : ففي الكتب والسنة آيات وأخبار كثيرة تذمُّ الرياء وتوعده عليه ، وجاء في
الحديث النبوي الشريف : « أدنى الرياء الشرك » .

ويروى عنه (صلى الله عليه وآله) أيضاً أنَّ النار وأهل النار يستغيثان من أهل الرياء ،
فقيل : يا رسول الله ، وهل تستغيث النار أيضاً ؟ فقال : أجل ، من شدة النار التي يعذب بها
المراؤون .^(١)

وقال أيضاً بأن المرائي ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء :

فيقال : يا كافر ، يا فاجر ، يا غادر ، يا خاسر ، لقد ضللت وضلَّ سعيك ، فلا أجر
لك ، فاطلب أجرَك ممن ترائيه .^(٢)

وقال أيضاً : إنَّ الجنة تكلمت فقالت : إني محرمة على البخيل والمرائي .^(٣)

(١) و(٢) و(٣) : الأحاديث أنت مضمونها لا نصاً (المعرب) .

وقال أيضاً ؛ إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَحْشَاهُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْفَرُ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُوَ الشُّرْكَ الْأَصْفَرُ ؟ قَالَ : الرِّيَاءُ ^(١) .

والأحاديث في هذا الصدد كثيرة ، ويكفي في خبثه أَنَّهُ مَا دَخَلَ عَمَلًا إِلَّا أَبْطَلَهُ ، وَأَنْزَلَهُ عَنْ دَرَجَةِ الْقَبُولِ ، وَهَذَا بَفَتْوَى الْفُقَهَاءِ .

وللرياء أقسام خفية ذكرها العلماء في مظانها ، وقد أشرنا في بداية الخاتمة في معنى التباكي إلى الردّ على من يرون - عن عدم إدراك - جواز الرياء في عزاء سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فأزالوا بذلك شرط الإخلاص ؛ ويعتدّ هذا من فضائله المخصوصة (عليه السلام) .

سبحان الله ! لقد تحمّل (عليه السلام) كلّ هذه المصائب بهدف إحكام أساس توحيد الذات المقدّسة للباري تعالى ، وإعلاء كلمة الحقّ ، وإتقان مبادئ الدين المبين ، وحفظه من تطرّف بدع الملحدين ؛ فكيف يحتمل ذو شعور أن يكون (عليه السلام) سبباً لجواز أعظم المعاصي وأكبر الموبقات التي هي الرياء والشرك الأصغر ؟ ! إن هذا إلّا اختلاق .

وإنما الكذب فالآيات والأخبار في دمه وتبيان مفاسده في الدنيا والآخرة تفوق الحصر ، وجعل الله تعالى لعنته على الكاذبين ، وقال أيضاً :

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

ولو لم يكن في ذمّ الكذب سوى هذه الآية ، فهي تفي بما اشتملت عليه آيات كثيرة .

روي في (الكافي) عن الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ :

« إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَكْذِبُ الْكَذَّابُ ، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ مَعَهُ ، ثُمَّ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ » .

جاء في (الكافي) أيضاً وفي كتاب (عقاب الأعمال) عنه (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ :

« وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ لِلشَّرِّ أَقْفَالًا ، وَجَعَلَ مِفْتَاحَ تِلْكَ الْأَقْفَالِ الشَّرَابُ ، وَالْكَذِبُ شَرٌّ مِنَ الشَّرَابِ » .

وفي (الكافي) أيضاً عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ :

« لَا يَجِدُ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتْرِكَ الْكَذِبَ ، هَزْلَهُ وَجَدَّهُ » .

وفي (جامع الأخبار) عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنَّهُ قَالَ :

(١) هذا الحديث أن مضموناً لا نصّاً .

« المؤمن إذا كذب من غير عذر لعنه سبعون ألف ملك ، وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ العرش ، فيلعنه حملة العرش ، وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية ، أهونها كمن يزني مع أمه » .

وروي عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أنه قال : جعلت الخبائث كلها في بيت ، وجعل مفتاحها الكذب » .

ويروى عن الصادق (عليه السلام) قوله : لا تنظروا إلى طول ركوع المرء وطول سجوده ، فهو شيء اعتاد عليه لو تركه لاستوحش ، بل انظروا إلى صدق قوله ، وإعادته ما أوثمن عليه .^(١)

ونقل عن دعوات الراوندي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال :

رأيت الليلة في نومي أن شخصين أتياني وذهبا بي إلى الأرض المقدسة (يظهر أن المراد بها الشام) وذكر جملة من العجائب رأيا هناك ، ومنها هذه :

قال : رأيت رجلاً مستلقياً على ظهره ، وآخر يقف على رأسه وفي يده ما يشبه العصا الحديدية ، ورأسها معقوف ، فيأتيه من جانب فيضربه بما كان في يده من طرف فمه حتى قفاه فيمزقه قطعة قطعة ، وكذلك يفعل بأنفه وعينه ؛ ثم يأتيه من الجانب الآخر ويصنع به ما صنعه في الجانب الأول ، فلا يفرغ من جانب حتى يكون الجانب الآخر قد عاد سليماً ، فيعود إليه ويصنع ما صنعه في المرة الأولى .

قال : فقلت : ما هذا ؟

والخبر طويل ، وجاء في آخره أن ذينك الشخصين شرحا له (صلى الله عليه وآله) ما رآه في ليلته من عجائب ، وعن الأشخاص الذين رآهم يعذبون ، حتى قال :

أما هذا الرجل الذي كان يمزق من فمه إلى قفاه ، ومن أنفه إلى قفاه ، ومن عينه إلى قفاه ، فهو رجل كان يخرج من بيته صباحاً ، فيقول كذباً يبلغ الآفاق ، فيصنعون به ما رأيته ، حتى يوم القيامة .

وقد جاء هذا الخبر في بعض الكتب المعتمدة كالآتي :

قال : أتاني رجل فقال لي : قم ، فقممت معه فرأيت رجلين أحدهما واقف والآخر قاعد ، وفي يد الواقف ما يشبه العصا الحديدية ، فيدخلها في جانب من فم الرجل الجالس

(١) هذا الحديث أن مضموناً لا نصاً (المعرب) .

حتى تبلغ كتفه ، ثم يسحبها ويدخلها من الجانب الآخر ، فإذا سحبها عاد الجانب الأول كما كان ، فقلت للذي أتى بي : ما هذا ؟ قال : هذا كذاب يعدب في قبره حتى يوم القيامة .

وعلى العموم فالمفاسد والأضرار التي تنتج عن الكذب كثيرة ، والأستاذ الشيخ المحدث المتبحر الثقة جليل القدر الحاج ميرزا حسين النوري طاب ثراه أورد في كتاب (اللؤلؤ والمرجان) خلاصة للمفاسد والأضرار المترتبة على الكذب ، والمستفادة من الآيات والأخبار والأخبار ، وقد تلخص تلك المفاسد والأضرار في أربعين مفسدة ، وهي :

- ١ - الكذب فسق : ﴿ لا رفث ولا فسوق ﴾ فالكاذب فاسق : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ ﴾ .
- ٢ - الكذب قول للزور ، كما ذكر مقروناً بعبادة الأوثان : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾ .
- ٣ - الكاذب لا إيمان له : ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون ﴾ .
- ٤ - الكذب يدعى إثماً ، كالخمر والقمار .
- ٥ - الكاذب مبعوض من الله .
- ٦ - وجه الكاذب أسود .
- ٧ - الكذب شر من الشراب .
- ٨ - الكاذب ريح فمه متعفنة ونتنه .
- ٩ - الملك يبتعد عنه مسافة ميل .
- ١٠ - الكاذب يلعنه الله تعالى : ﴿ أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ﴾ ، ﴿ فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ .
- ١١ - الريح التنتة لعم الكاذب يبلغ العرش .
- ١٢ - حلة العرش يلعنون الكاذب .
- ١٣ - الكذب يفسد الإيمان .
- ١٤ - الكذب يمنع من تذوق طعم الإيمان .
- ١٥ - الكاذب يفرس بذور العداوة والبغضاء في الصدور .
- ١٦ - الكاذب أقل الخلق مروءة .

- ١٧ - الكاذب يلعنه سبعون ألف ملك بسبب كذبة واحدة .
- ١٨ - الكذب علامة النفاق .
- ١٩ - الكذب مفتاح لبيت يحوي كلّ الخبايا .
- ٢٠ - الكذب فجور ، والكاذب فاجر .
- ٢١ - لا يُقبل للكاذب رأي في مشورة .
- ٢٢ - الكذب أفجع الأمراض النفسية .
- ٢٣ - الكذب إصبع الشيطان الملتوية .
- ٢٤ - الكذب أسوأ أشكال الرياء .
- ٢٥ - الكذب يورث الفقر .
- ٢٦ - الكذب يعدّ من الخبايا .
- ٢٧ - الكذب يؤلّد النسيان .
- ٢٨ - الكذب باب من أبواب النفاق .
- ٢٩ - الكاذب يعذب في القبر عذاباً مخصوصاً .
- ٣٠ - الكذب يحرم الكاذب من صلاة الليل فيحرمه من الرزق .
- ٣١ - الكذب سبب للخذلان الإلهي .
- ٣٢ - الكذب سبب لسلب الكاذب صورته الإنسانية .
- ٣٣ - الكذب أكبر الخبايا .
- ٣٤ - الكذب من الكبائر .
- ٣٥ - الكذب بعيد عن الإيمان ومجانِب له .
- ٣٦ - الكاذب من أكبر الأثمين .
- ٣٧ - الكذب يهلك صاحبه .
- ٣٨ - الكذب يفقد صاحبه الحسن والطرواة والبهاء .
- ٣٩ - الكاذب غير مؤهل للمؤاخاة ، وقد نهي عن مؤاخاته ومرافقته .

٤٠ - الله تعالى لا يمنحه الهداية ، ولا يرشده إلى سبيل الحق : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ . انتهى .

وبعد أن عرفت مفسد الكذب فاعلم أن جملة من فحول الفقهاء عدّوا مطلق الكذب من الكبائر لما يترتب عليه من مفسدة ، ولأن حالة الكذب لا تكون بلا مفسدة ، فإذا ترّبت عليه المفسدة - وخصوصاً المفسدة الدينيّة ، وكانت سبباً لإضعاف العقيدة الإسلاميّة ، أو للاقتراف على الإمام ، أو للحطّ من قدر أهل البيت (عليهم السلام) - كان بالطبع أسوأ بمئة مرّة ، إثمه أكبر ؛ فإذا كان كذباً على الله ورسوله (صلّى الله عليه وآله) ، وعلى الأئمّة (عليهم السلام) فحال معلومة ، وهو مبطل للصوم ، وموجب للكفارة .

وجاء في (عقاب الأعمال) عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنه قال :
« من قال عليّ ما لم أقلّ فليتبوأ مقعده من النار » .

ومقتضى إطلاق هذا الخبر أنّه لو كان القول كلمة واحدة ، فلم تُفدّ فائدة ، ولم تترتب عليها مفسدة ، فهي موجبة لدخول النار .

ومن هذه الناحية يروى عن المرحوم الفقيه الزاهد الورع الحاج محمّد إبراهيم الكلّباسي نقلاً عمّا جاء في (شفاء الصدور) من أنّ أحد أفاضل أهل المنبر قال في محضره ، في ذيل قصّة يرويه : إنّ الحسين (عليه السلام) قال : يا زينب ، يا زينب ؛ فإذا بهذا الفقيه الورع يردّ عليه - بلا محاباة ، وعلى مشهد من الملأ ، وبصوت مرتفع - ويقول : فضّ الله فاك ! فالإمام لم يقل : يا زينب مرتين ، بل قالها مرّة واحدة !! فعلى السلالة الجلييلة من أهل المنبر أن يراقبوا أحوالهم في هذا الصدد ، وأن يتصرّوا بمفاسد الكذب بعامة ، فيتركوا المطالب الكاذبة والمرويّات الموضوعة ، بل يمتنعوا عن نقل كلّ ما رآوه أو سمعوه ، ويقتصروا على الأمور التي يكون ناقلها موثوقاً .

يقول السيّد ابن طاوس في (كشف المحجّة) نقلاً عن رسائل الكليني : إن هذا الرجل الكبير يروي بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) حديثاً من جملة فقراته قوله : « .. ولا تحدّث إلا عن ثقة فتكون كذاباً ، والكذب ذلّ » .

وفي نهج البلاغة أن أمير المؤمنين يقول ضمن كتابه إلى الحارث الهمداني : « ولا تحدّث بكلّ ما سمعت ، فكفى بذلك كذباً » .

كما يروى عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال في ذيل حديث ما مضمونه : أما سمعت أنه يكفي في كذب الرجل أنّه ينقل ما سمع ؟

يقول العلامة المجلسي في شرح هذا الحديث : إنّهُ يدلّ على أنّه لا يجوز نقل كلام عمّن لا

يُطْمَأَنُّ إلى نقله وهناك مرويات كثيرة بهذه المضامين، وينبغي العلم بأنه كما أنَّ قول الكذب مذموم ومنهي عنه، فالاستماع إلى الأخبار الكاذبة والحكايات والقصص الكاذبة مذموم أيضاً، والله تعالى يقول في ذم اليهود وبيان صفاتهم الخبيثة: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾.

ثم يعقب في الآية التي تليها مباشرة بقوله: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾.

وفي تلكها الآيتين الكريميتين تحذير بليغ من سماع الكذب مطلقاً.

ويقول عز وجل أيضاً: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.

وقد قرّر قول الزور بالكذب أيضاً، ولا يتحقّق الاجتناب إلّا بالابتعاد عن الكذب من نواحيه كافة سواء القول أو الكتابة أو السمع ونحوها؛ وبناء على أن قول الزور هو الكذب فيمكن الاستشهاد بالآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

كما جعل الحق عز وجلّ عدم سماع اللغو وهو الحديث وعدم سماع الكذب من جملة نعم الجنة، ويعلم بالمقابل أن سماع الكذب عذاب، وخاصة لأهل النار.

ويروي الشيخ الصدوق (ره) في كتاب (العقائد) أن الإمام الصادق (عليه السلام) سئل عن القصاص إن كان يحمل الاستماع إليهم فأجاب: لا يحمل، وقال: من أصغى إلى قائل فقد عبده، فإن كان قوله من عند الله عز وجلّ، أي الحق والصدق، فسامعه عابد لله، وإن كان قوله من طرف الشيطان، أي الكذب والباطل، فسامعه عابد للشيطان.

وجاء في الكتاب نفسه أنه (عليه السلام) سئل عن الآية الكريمة: ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾، فقال: هم القصاص، الذي يقرأون القصص.

وفي تفسير الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾:

يروى عن الباقر (عليه السلام) أنه قال: منهم القصاص، أي هم أيضاً من الذين يجب الإعراض عن مجالسهم، وعدم الاستماع إلى أقوالهم، والكلام في هذا يطول، ولا يتسع له المقام.

عدم جواز الغناء في المراثي

أما الغناء فلا شك في حرمة الاستماع إليه مطلقاً أكان في مجلس عزاء وثناء لسيد الشهداء (عليه السلام) أم في غيره، ويناسب في هذا المقام أن نكتفي بما نقله صاحب (شفاء الصدور) من شرح لزيارة عاشوراء إذ يقول بإجماع علماء الإمامية على حرمة الغناء.

وإجمالاً ففي (الكافي) بسند ينتهي إلى محمد بن مسلم أن الصادق (عليه السلام) قال الغناء تواعد الله عز وجل عليه بالنار ، ثم تلا :

﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل به عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً، أولئك لهم عذاب مهين﴾ .

وقالوا : إنَّ لهو الحديث هنا بغنى عن التفسير ؛ وهذا المعنى عموماً في أخبار أهل البيت (عليهم السلام) يمكن القول بتواتره ، وفي بعض الأخبار قُسر قول الزور به .

وحقيقة الغناء هي الصوت المطلوب به اللهو مع الترجيع ، أو الذي يحصل من تقطيع الصوت وتوزينه ، كما في اللحن المشهور بالتصنيف ، والنواح الموازن له يصبح مشهوراً ؛ وقد صرح بهذا التعميم الشيخ الأفقه الأكبر الشيخ جعفر في (شرح القواعد) ، ولا فرق - على المشهور - بين مراثية سيد الشهداء (عليه السلام) وبين غيرها في الحرمه ، ولا يشترط حسن الصوت ، بل الميزان هو الصوت الذي يتلهم به أهل الفسوق في حال الطرب ، ويقال له في العرف : التغني ، فكل ما غني وعلى أي وجه كان فهو حرام وموجب لدخول جهنم ، وإذا كان نشر الفضائل مستحباً فالكذب والغناء حرام وباطل .

ويناسب هنا إيراد ما قاله الشيخ الأجل الأعظم ، أستاذ من تأخر وتقدم ، حجة الفرقة الناجية ، وعلمة الملة الزاكية ، شيخنا الأستاذ الأكبر نور الله ضريحه المطهر في (المكاسب) ، في الرد على من يتوهم أنَّ الغناء في المراثي يوجب المزيد من البكاء والتفجع ، يقول :

« الاستعانة بالغناء على البكاء والتفجع ممنوع طالما عرفت أنَّ الغناء صوت لهو ، البكاء والتفجع لا يتناسبان مع اللهو ، بل بناء على ظاهر التعريف المشهور بأن اللهو هو الترجيع الطرب ، فهو كذلك ، ولو أنَّ الطرب المطلق حالة مختلفة ، والطرب الناتج عنه ، إذا استبطن السرور ، ينافي التفجع ، وليس معيناً عليه ، وإذا استبطن الحزن فيسبب ما هو مركز في النفوس الحيوانية من فقد المشتبهات النفسانية ، لا بسبب أنه متصل بسادات الزمان وعزة خاتم النبيين ، وعلى فرض أنه يعين ، فإن توقف مستحب أو مباح على أمر ليس دليلاً على إباحته ، بل لا بد من التحري عن دليل الحرمه ، فإذا وجد فيها ، وإلا فهو - بحكم الأصل - سيكون محكوماً بالإباحة .

ولا يجوز - بأي وجه - التمسك بالإباحة على أنها مقدمة لأمر غير حرام . وما يظهر من كلامه إذ قال : لا طرب في المراثي ، النظر إلى أمثال المراثي المتعارفة عند أهل الديانة الذين لا يكون مقصودهم من المراثية سوى التفجع ليس إلّا ؛ وظاهراً لم يحدث في عصره مرث كهذه بحيث يكتفي أهل اللهو والسرور من الرجال والنساء بتلك المراثي عن حضور مجالس اللهو

وضرب الاعواد والتغني بالقصبة والمزمار كما هو شائع في آيائنا ، وكما أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) بنظيره حيث قال : « يتخذون القرآن مزامير » .

كما أن السفر لزيارة سيد الشهداء (عليه السلام) أضحي من أسفار اللهو والنزهة عند كثير من المترفين ، وقد أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنظير ذلك في سفر الحج إذ قال : يمحّ أغنياء أمتي للنزعة ، وأوسطهم للتجارة ، وفقراؤهم للسمعة ؛ وكلامه (صلى الله عليه وآله) على الأغلب ينطبق على الكتاب العزيز الوارد في موره . والجاري في نظيره ، وتنتهي إلى هنا ترجمة عبارة (المكاسب) للشيخ قدس الله نفسه ، وروح رسمه .

وبما أن عموم أهل هذه الملة من عالم وعامي يرون كلام هذا الحجة المقدم والقُدوة المعظم جاريًا مجرى النصوص ، فيستحسن التأمل في دستور عمله وسلوكه وتصرّفه نموذجًا لانتخطاه .

إن من أعظم مصائب الإسلام أن المؤمن الغيور إذا أسلم الروح من شدة هذا المصاب ، فهو غير ملموم ، فنبى الناس - طلباً للهو وعبادة الهوى - يزجون بأساء أهل بيت الطهارة (عليهم السلام) ، الذين مجّدهم ربهم بالكرامة والعظمة ، مثل زينب وسكينة (عليهما السلام) ، يزجون بأسائهن مع آلات اللهو واللعب ؛ كما يدفعون في الأغاني والمثالث والمثاني بأساء مثل ليلى وسلمى ويعيدون ويكرّرون ، ويتخذون من ذكر مصائب الرسول (صلى الله عليه وآله) بسيرة بني أمية وبني مروان أساساً للعيش والتنعّم ، ووسيلة للتغني والترنم ؛ ولو تأمل المرء هذا العمل الذي جاوز حدّ الفسق لطاش صوابه من الكفر والإلحاد ؛ نعوذ بالله من الخذلان ، وغلبة الهوى ، ومكيدة الشيطان . انتهى .

وقد وردت في مقدّمة كتاب (أربعين الحسينية) نصيحة بالغة ، وموعظة جامعة ، من المناسب إيرادها هنا ، قال :

على أهل المذهب من متديّني الاثني عشرية لزوم الوقوف على أنه ليس في عصرنا شعار في مذهب الشيعة أكثر شيعياً من مراسم العزاء والبكاء على المصاب بسيد المظلومين (عليه السلام) ، بل إنّ أكثر الآثار والسنن والآداب الشرعية قد هُجرت عدا التوسّل بسيد الشهداء (عليه السلام) الذي هو أساس الأمل والرجاء عند الشيعة ، والذي هو في سبيل الترقّي والكمال يوماً بعد يوم .

غير أنه يجدر أن تضبط حدود هذا العمل بما يطابق قواعد الشرع الأقدس ، وأن لا يكون مورداً للطعن والاعتراض من المذاهب الأخرى ، ونظراً للاختلاف والاختلاط الكاملين بين أهل هذا المذهب مع أهل المذاهب الأخرى ، وأن واقعة كربلاء ومصاب سيد الشهداء

(عليه السلام) المذكوران ومحققان في أكثر تواريخ الملل ، فمن اللائق الاحتراز في مجامع العزاء عن الأمور المبتدعة وعن منهيات الشريعة المقدسة ، كل الاحتراز ، كآلات العزف والتغني المطرب ، وما يكثر وقوعه من تحويل مجامع العزاء إلى مجالس للهو واللعب .

وجاء في حديث يبين حال أناس كهؤلاء : « يطلبون الدنيا بأعمال الآخرة » ، وهذه الحركات توجب الحرمان من الثواب العظيم ، والشیطان هو العدو لكل أنواع الناس ، وكلما كان العمل أكثر نفعاً ، كان توجه الشيطان لإفساد هذا العمل أكثر ؛ كالتوسل بسيد الشهداء (عليه السلام) الذي يوجب - بحسب ضرورة الدين وأخبار الأنسنة الأطهار (عليهم السلام) - الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة ؛ بينما لا يكون العمل الموجب لنفع دنيوي أهلاً لتوجه تام ، وهجوم عام ، كذكر المصائب الذي أضحى وسيلة من الوسائل المعترية للمعاش ، ولوحظ انحسار الناحية التعبدية شيئاً فشيئاً حتى بتنا نسمع في مجامع علماء المذهب أكاذيب صريحة تذكر ، والنهي عن هذا المنكر غير متيسر ، وأضحى جماعة من ذاكري المصائب لا يتورعون عن اختراع وقائع مبكية ، وكثر اختراع الأقوال منهم ، واعتبروا أنفسهم ممن يشملهم الحديث : « من أبكى فله الجنة » ، وشاع هذا الكلام الكاذب مع الأيام حتى صار يظهر في مؤلفات جديدة ، وإذا حاول محدث مطلع أمين منع هذه الأكاذيب ، نسبوها إلى كتاب مطبوع أو كلام مسموع ، أو تمسكوا بقاعدة التسامح في أدلة السنن ، وتوسلوا منقولات ضعيفة توجب اللوم والتوبيخ من الملل الأخرى ، كجملة من الوقائع المعروفة التي ضببطت في الكتب الجديدة ، في حين أنه لا عين ولا أثر لهذه الوقائع عند أهل العلم والحديث ؛ كعرس القاسم في كربلاء الذي نقل في كتاب (روضة الشهداء) من تأليف الفاضل الكاشفي ، وقام الشيخ الطريحي - وهو من أجلة العلماء والمعتدين - بنقله عنه ، ولكن في كتاب (المنتخب) أمورا كثيرة جرى التساهل والتسامح بها ، وهي لا تخفى على أهل البصيرة والاطلاع . انتهى .

نُطْعٌ وَتَهْذِيبٌ للسَّلاَةِ الْجَلِيلَةِ مِنْ أَهْلِ الْمَنْبَرِ

كما هو لازم ولائق بالسَّلاَةِ الْجَلِيلَةِ مِنْ أَهْلِ الْمَنْبَرِ وَالذَّاكِرِينَ لِمَصَابِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ وَالْمُظْلُومِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام) - الَّذِينَ شَمَّرُوا عَنْ سِوَاعِدِ الْهَمَّةِ ، وَرَفَعُوا لِرِوَاءِ تَعْظِيمِ شَعَائِرِ اللَّهِ فَوْقَ اكْتِفَائِهِمْ ، وَبَذَلُوا مِنْ أَجْلِ تَنْظِيمِ هَذَا الْمَشْعَرِ الْعَظِيمِ نَفْسَهُمْ - أَنْ يَلْتَفِتُوا إِلَى أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ عِبَادَةٌ كَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَيَنْبَغِي حِينَ آدَائِهِ أَنْ لَا يُنْظَرَ إِلَى غَرَضٍ أَوْ مَقْصِدٍ مِنْهُ سِوَى رِضَى اللَّهِ وَسُرُورِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَثْمَةِ الْهُدَى صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَأَنْ يَحْذَرُوا مِنَ الْمَافَاسِدِ الَّتِي طَرَأَتْ وَسَرَتْ فِي هَذَا الْعَمَلِ الْعَظِيمِ ، لِثَلَا يَكُونَ فِي إِقْدَامِهِمْ عَلَى هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ رَغْبَتُهُمْ بِكَسْبِ مَالٍ أَوْ جَاهٍ ، أَوْ يَنْتَلُوا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - بِقَوْلِ الْكَذِبِ ، وَالْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَلَى الْحُجَجِ الطَّاهِرَةِ وَالْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ ؛ وَبِالْفَنَاءِ - وَالْأَطْفَالُ الْمُرْدِ أَمَامَهُمْ - بِالْحُلُوحِ الْفُسُوقِ بِالتَّغْيِي وَالْأَدَاءِ ؛ وَدُخُولِ بَيُوتِ النَّاسِ دُونَ إِذْنٍ ، بَلْ مَعَ النَّهْيِ الصَّرِيحِ ؛ وَصُعُودِ الْمَنْبَرِ وَإِثْدَاءِ الْحَاضِرِينَ - إِذَا لَمْ يَكُونُوا - بِكَلِمَاتٍ بَلِيغَةٍ ، وَتَرْوِيجِ الْبَاطِلِ وَقَتِ الدَّعَاءِ وَقَبْلِ الْحُضُورِ ، وَمَدْحِ أَهْلِ الْأَنْصَارِ لَا يَسْتَحِقُّونَ الْمَدْحَ ، وَإِنْزَالِ الْإِهَانَةِ بِأَكْبَارِ الدِّينِ ، وَإِفْشَاءِ أَسْرَارِ آلِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) ، وَبَثِّ الْفِتَنِ وَإِعَانَةِ الظُّلْمَةِ ، وَزَرْعِ الْغُرُورِ فِي نَفُوسِ الْمُجْرِمِينَ ، وَتَحْرِيقِ الْفَاسِقِينَ ، وَالتَّقْلِيلِ فِي الْأَنْظَارِ مِنْ شَأْنِ الْمَعَاصِي ، وَخُلْطِ حَدِيثٍ بِحَدِيثٍ آخَرَ عَلَى نَحْوِ التَّدْلِيلِ ، وَتَفْسِيرِ آيَاتِ الشَّرِيفَةِ بِآرَاءِ كَاسِدَةٍ ، وَنَقْلِ الْأَخْبَارِ بِمَعَانِي بَاطِلَةٍ فَاسِدَةٍ ، وَالْإِفْتَاءِ مَعَ فَقْدَانِ الْأَهْلِيَّةِ لَهُ ، أَكْبَارُ بَحْثٍ أَمْ بِخِلَافِهِ ، وَالْحُطُّ مِنْ شَأْنِ الْأَنْبِيَاءِ الْعِظَامِ وَالْأَوْصِيَاءِ الْكَرَامِ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) بِسَبَبِ تَعْظِيمِ وَإِعْلَاءِ مَقَامَاتِ الْأَثَمَةِ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) ، وَالتَّوَسُّلِ - لِتَرْتِينَ الْكَلَامِ وَتَرْوِيقِ الْمَجْلِسِ - بِأَقْوَالِ الْكُفْرِ ، الْحِكَايَاتِ الْمُضْحَكَةِ ، وَأَشْعَارِ الْفَجْرَةِ الْفَسَقَةِ فِي أُمُورٍ مُنْكَرَةٍ ، وَتَصْحِيحِ أَشْعَارِ الْمَرَاثِي الْكَاذِبَةِ بِعُنْوَانِ لِسَانِ الْحَالِ ، وَذِكْرِ الشِّبْهَاتِ فِي مَسَائِلِ أَصُولِ الدِّينِ دُونَ بَيَانِ رَفْعِهَا أَوْ عَدَمِ تَوْفُّرِ قُوَّتِهَا ، وَإِفْسَادِ أَسْسِ الدِّينِ عِنْدَ ضَعْفِ الْمُسْلِمِينَ ، وَذِكْرِ مَا يَتَنَاقَى مَعَ عَصْمَةِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَطَهَارَتِهِمْ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) ، وَإِطَالَةِ

الكلام بسبب أغراض كثيرة فاسدة ، وحرمان الحاضرين من فضيلة الصلاة ، إلى غير ذلك من أمثال هذه المفاسد التي لا تعد ولا تحصى .

وأن يحذروا أن يدخلوا - والعياذ بالله - في زمرة أولئك الذين يستبقون مقدّمات الوعظ ، فيذكرون حيناً الخطب البليغة لأمر المؤمنين (عليه السلام) ، ومواعظه الشافية ، ومسلكه وعمله ، ويخوفون الناس من محنة الدنيا وآفاتا ومهلكاتها ، ويحثّونهم ويحذرونهم على بغض الدنيا والزهد فيها ، ويستشهدون بأحوال قادة الدين وخواصّ الأصحاب والعلماء الراشدين ، ويتحدّثون حيناً عن أحوال النفس وصفاتها من خوف ورجاء وتوكل ورضى ، وعن الرذائل الخبيثة والصفات القبيحة وغيرها ؛ ويبيّنون ما حفظوه من كتاب الغزاليّ وغيره بغاية الفصاحة والبلاغة ، وبلا توقف ولكنة ، ويزيّنون كلامهم بالآيات والأخبار المناسبة للمقام بترتيب وتنظيم ، ولا ينسون ذكر الكلمات التي يمتزج فيها السجع بالقافية .

يتوهم أولئك المساكين أنهم بأقوالهم هذه إنما يتصفون بها أنفسهم ، في حال أنهم - في تلك الصفات - لم يرقوا عن درجة أدنى عامي ، ومثل الواله بجيفة الدنيا وقد لوّثته خبائث الرذائل كمثّل صاحب مجلس غفل عنه الناس حين دخوله أو خروجه ، ولم يقوموا بلوازم تكريمه وتوقيره التي كان يتوقعها ، أو أنه لم يكن الذي يختم هذا المجلس ، فيضطرب بعضه في بعضه ، فيشكو ويتعلّل بأمر تافه ، ويشير الفضائح ، ويخجل إليه أنه - في تلك الحال - من أهل الله وأهل الآخرة ، ومن الداخلين في زمرة خدم سيد الشهداء (عليه السلام) روعي فداه ، ويتوهم أنه بسبب حفة من المحفوظات المنبرية قد تظّهر من الرذائل والخبائث كلّها ، ويرى من أخلاق الرذيلة عند عوام الناس والمستمعين في المجلس .

ولا يخفى على البصير وعلى من يتحرى عيوب النفس أن شخصاً كهذا حاله كحال سراج يحرق نفسه ويضيء للآخرين ، وهو من الداخلين في زمرة الغاوين بنصّ الآية الكريمة : ﴿ فُكِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ ، ومَن تشلّهم الآية الشريفة : ﴿ إِنْ تَقُولْ نَفْسٌ بِأَ حَرِّنا عَلَى ما قَرَّطْتَ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ ، والآية المباركة : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ؟ والآية الكريمة : ﴿ لَمْ تَقُولُوا ما لَمْ تَفْعَلُوا ﴾ ؟ وغيرها .

ولقد أجاد الحافظ الشيرازيّ إذ قال :

يا واعظاً عظّة المناصح إذ علوت المنبر
ما بال فعلك عكس قولك إذ تركت المنبر ؟
تدعو نلج على المتابعة سامعيك وإنما
قد كنت فيهم للمتابعة والإنابة أقفرا
أفهل نسيت بأن يوم البعث آتٍ وبه
عند الحساب الواعظ المرتاب لن ، لن يعدّرا ؟

قال تعالى :

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً • الذين ضلّوا سبيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنأً ﴾ .

كان ما تقدّم بيانه شرحاً لتكاليف أهل المنبر ومن نحا نحوهم ، أمّا تكاليف الآخرين ، تلك التكاليف التي يفيدون منها ويصلون بالتزامها إلى فيوضات لا تحصى ولا تحصى ، سواء في ذلك صاحب المجلس أو غيره من الحضور والمستمعين ، فإن يقوموا باعائته ورعايته ، وتوقيره وإكرامه ، والإحسان إليه ، والإنعام عليه بالمال واللسان وسائر الجوارح بقدر ما بثّه من قوة ، ويقدر ما تحدّث به ممّا هو معهود به إليه ، وليس ما يقومون به نحوه قطّ وفاء بحق ما عاد به عليهم من هذا العمل ، إذ أن ما فعلوه له وما أعطوه - بالغا ما بلغ - إنما هو من متاع الدنيا الذي لا يعدل خيطاً واحداً من بُرد من أبرد الجنة التي سينالون الآلاف منها بواسطة هذا المجلس الروضة ، فهم مهما أعطوا فقليل عطائهم ، ومهما صنعوا فقليل صنعهم .

عطايا الأئمة الأطهار وحكاية الكميت الشاعر

وتلك كانت السيرة المرضية للأئمة الأطهار (عليهم السلام) مع هذه الجماعة وأشغالها ، ارجع فقط إلى الأحاديث والآثار وانظر كيف هي العطايا التي أمر بها الإمام زين العابدين (عليه السلام) للفرزدق الشاعر بعد أن أنشده القصيدة المعروفة ، ولاحظ عطايا الصانق (عليه السلام) لأشجع السلمي بعدما جاءه عائداً وأنشدهم بيتين مطلعها : ألبسك الله منه عافية .. الخ .

وكان لديه (عليه السلام) أربعمئة درهم أعطاهم لأشجع الذي أخذها شاكراً ومضى ، فدعاه وأعطاه خاتمه وقيمته عشرة آلاف درهم ، وقصّة عطاء الإمام الرضا (عليه السلام) لدعبل الخزاعي معروفة فقد أعطاه (عليه السلام) مالاً كثيراً وجبةً ، وفي رواية أنه أعطاه خاتمه عقيق وقميصاً من خز أخضر كان قد صلّى فيه ألف ليلة في كلّ ليلة ألف ركعة ختم فيها القرآن الكريم ألف مرة .

وجاء نقلاً عن (الغرر والدرر) للسيد أن دعبل بن عليّ وإبراهيم بن العباس وكانا صديقين حميمين ، قدما إلى ثامن الأئمة (عليهم السلام) بعد أن أصبح ولياً للعهد ، فأنشد دعبل :

مدارسُ آياتٍ خلّت من تلاوةٍ ومنزل وحي مفسّر العرصات
وأنشد إبراهيم قصيدة مطلعها :

أزالت عزاء القلب بعد التجلّد مصارعُ أولاد النبيّ محمد

فمنحها (عليه السلام) عشرين ألف درهم وفيها الدراهم التي صك المأمون اسمه المبارك عليها ، فجاء دعبيل بحصته إلى قم حيث اشتراها أهلها منه درهماً بعشرة دراهم فبلغت حصته مئة ألف درهم ، أما إبراهيم فقد احتفظ بها حتى وفاته .

ولما تعلم أحد أبناء الحسين (عليه السلام) سورة الحمد أعطاه (عليه السلام) ألف اشرفي^(١) وألف ثوب ، وملا فمه لؤلؤاً ، وقال : كيف بقي هذا العطاء بعطائه ؟!

وقد تقدم في فصل مكارم أخلاقه (عليه السلام) أنه أعطى عربياً أربعة آلاف درهم بعد أن أنشده :

لسن بخيب الآن من رجاك ومن حرّك من دون بابك الحلقة
ومع هذا العطاء كله فقد خجل منه . سأله العذر بقوله : « خذها فإنّي إليك
معتذر ... » .

وسأيت عند الحديث عن أحوال موسى بن جعفر (عليهما السلام) - إن شاء الله - أنه جلس مكان المنصور في عيد نوروز بأمر من المنصور نفسه ، وجاء الناس للسلام عليه ومع كلّ منهم هديّة بقدر وسعه ، وكان آخرهم شيخاً فقيراً جاء فقال : ليس معي من هديّة إلا ثلاثة أبيات قالها جدّي في رثاء جدك الحسين (عليه السلام) ، فقال أنشدنيها ، فلما أنشدتها قال له : قبلت هديّتك ، اجلس ، فجلس الرجل ، وبعث (عليه السلام) إلى المنصور يسأله في شأن الأموال التي اجتمعت من الهدايا ، فأجابه المنصور بأنّها بكاملها هديّة له ، فقدمها (عليه السلام) بدوره هديّة للشيخ لقاء المروية التي أنشدتها .

وينقل المؤرّخ أمين المسعودي رحمه الله في (مروج الذهب) في بيان سبب العصبية القبليّة بين الزنارّة والبياتيّة ، والتي كانت المقدمة لوصول العباسيين إلى السلطة والقضاء على الأمويّين أنّ الكميت بعد أن قال قصيدته « الهاشميات » قدم البصرة فلقى الفرزدق وقرأ عليه القصيدة ، ومطلعها :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني ، وذو الشيب يلعب ؟
فلما سمعها الفرزدق استحسناها وأشار عليه بنشرها ، فأثى الكميت المدينة فلقى الباقر (عليه السلام) ذات ليلة وأنشده قصيدته الميمية ، فلما بلغ قوله :

وقستيل بالطف غودر منهم بين غوغاء أمة وطغام

(١) الاشرفي : عملة ذهبيّة كانت رائجة في إيران أيام الملك اشرف الغاجاري .

بكى الإمام (عليه السلام) وقال : يا كميت ، لو كان عندي مال لوصلتك ، لكني أقول لك ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحسان بن ثابت :

« لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا » .

ثم إن الكميت غادره وأتى عبد الله بن الحسن وأنشدته أشعاره ، فقال عبد الله : لقد اشتريت ضبيعة ذات أرض وماء بأربعة آلاف درهم ، وهذا صك ملكيتها ، ثم أعطاه الصك ومنحه تلك الضبيعة ؛ فقال الكميت : أبى أنت وأمي ، لو قلت شعري لغيركم فللحال والدنيا أقوله ، والله ما رجوت من أجلكم أهل البيت إلا الله عز وجل ، وما كان لله فلا آخذ له ثمناً ، فأصر عبد الله إصراراً شديداً فقبل الكميت عطاءه ومضى عنه .

وبعد أيام أتى الكميت إلى عبد الله وقال : إن لي إليك حاجة ، قال : حاجتك مجابة فقل ما هي ، قال : أريد أن تسترد مني الصك والضبيعة ، فقبل ، عبد الله .

في ذلك الوقت جاء عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بشوب من جلد ، ودعا أربعة من أطفاله ، فأخذ كل منهم بطرف من أطرافه الأربعة ، ثم أمرهم بالاختلاف إلى دور بني هاشم ، ونادى بهم يقول :

يا بني هاشم ، هذا الكميت يقول الشعر فيكم حين سكت الناس ، وما هو يتحدث عن دمائكم التي سفكها بنو أمية ، فليصله كل منكم بما يقدر عليه ، فجعل كل منهم يلقي في هذا الثوب بما قدر عليه من درهم ودينار ، كما دعا نساء بني هاشم للمشاركة ، فرحن ينزعن ما عليهن من حلٍ وزينة ويقدمنها من أجل الكميت ، حتى اجتمع له ما قيمته مئة ألف درهم .

جاء عبد الله بما جمعه إلى الكميت وقال له : يا أبا المستهل ، أتيناك بجهد المقل ، ونعتذر إليك أننا في زمان دولة عدونا ، وجعلنا لك هذا وفيه كما ترى حلٍ للنساء ، فاستعن بها على أيامك .

قال الكميت : أبي وأمي لكم الغداء ، لقد أكثرتم العطاء ، وليس لي من غرض من مدحكم سوى الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) ، فلا آخذ منكم شيئاً ، ولتردوها إلى أصحابها ، ولم يقلع عبد الله في ثني الكميت عن قراره .

وجاء في روايات السنة أن صاعداً مولى الكميت قال : أتينا الإمام الباقر (عليه السلام) وأنشدته الكميت قصيدة مطلعها : من لقلب منيّم مستهام ... فقال (عليه السلام) :

« اللهم اغفر للكميت ، اللهم اغفر للكميت » .

وقال صاعد : أتى الكميت الباقر (عليه السلام) ذات يوم فأعطاه (عليه السلام) ألف دينار وكسوة ، فأبى الكميت أخذ المال ، وقبل بالكسوة تبركاً بها وتيمناً .

وقال : تشرّفنا مرّة بالحضور لدى فاطمة بنت الحسين (عليهما السلام) ، فقالت : هذا شاعرنا أهل البيت ، وقدمت له قدح سويق فشرّب منه ، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً وراحلة ، فبكى الكميت وقال : والله لا أقبلها ، إني لا أصنع ما أصنعه معكم حباً بالدنيا . الخ .

هذا إلى قضايا كثيرة من هذا القبيل ، وما كانت هذه الإطالة إلّا لتنبيه بعض أصحاب النفوس الضعيفة من أصحاب مجالس العزاء إلى أنهم عندما يقيمون مجلس تعزية كم يحطّون من قدر السلالة الجليلة لأهل الذكر والمراثي ، ويحسبون بسبب ذلك الكسب الجزئي أنهم بعد مدة مديدة قد اشتروا بهذا الإيلام ناصية المنبر ووضعوا طوق العبوديّة في عنقه ، وما أكثر ما يصدرونه من الأوامر والنواهي ، وما أكثر ما لديهم من توقّعات وآمال زائفة ، علاوة على الأضرار والمفاسد الأخرى الكثيرة والتي لا يمكن إصلاحها بهذه الجزئيات ؛ وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟ لكنّ للعالم أن يظهر علمه .

نُبّهنا الله وإياكم من رقدة الغفلة ، والسلام على من اتّبع الهدى .

تمّ بحمد الله المجلّد الأول من كتاب (منتهى الآمال في ذكر تواريخ النبي والآل) بيد مؤلّفه عبّاس بن محمّد رضا القميّ ، وسيتلوه الشروع ببيان أحوال الإمام زين العابدين (عليه السلام) في المجلّد الثاني إن شاء الله تعالى ، والله هو الموفق .



مختبر الكتاب

٥ مقدمة المؤلف

الباب الأول

في تاريخ خاتم الأنبياء محمد (ص)

- ٩ الفصل الأول: في النسب الشريف لحضرة الرسول (ص)
- ٢٣ الفصل الثاني: في ولادة رسول الله (ص)
- ٢٧ الفصل الثالث: في أحواله (ص) في أيام الرضاعة والطفولة
- ٣١ الفصل الرابع: في وصف خلقه رسول الله (ص) وشماله وصفاته الشريفة
- ٤٣ الفصل الخامس: في ذكر شطر من معجزات رسول الله (ص)
- ٤٤ ١- المعجزات المتعلقة بالأجرام السماوية
- ٤٦ ٢- المعجزات المتعلقة بالجمادات والنباتات
- ٤٨ ٣- المعجزات المتعلقة بالحيوانات
- ٥١ ٤- معجزاته (ص) في إحياء الموتى وشفاء المرضى
- ٥٦ ٥- معجزاته (ص) في كفاية شر الأعداء
- ٥٩ ٦- معجزاته (ص) في استيلائه على الجنّ والشياطين، وإيمان بعضهم به
- ٦٢ ٧- معجزاته (ص) في إخباره بالمفاتيح
- ٦٩ الفصل السادس: في وقائع الأيام والسنين من العمر الشريف للرسول (ص)
- ٧٠ السنن الخمس لعبد المطلب
- ٧١ زواج الرسول (ص) من السيدة خديجة الكبرى، وبعثه (ص)

٧٥	قصة شعب أبي طالب، ووفاء أبي طالب وخديجة
٧٨	الإسراء والمعراج
٧٩	بيعة العقبة
٨٠	هجرة الرسول (ص) وليلة المبيت
٨١	وقائع العام الثاني من الهجرة
٨١	غزوة الأبواء
٨٢	غزوة بدر الكبرى
٨٦	غزوة بني قينقاع
٨٧	غزوة قريظة الكندر
٨٧	غزوة السوق
٨٨	وقائع العام الثالث من الهجرة
٨٨	غزوة غطفان
٨٩	غزوة بحران
٨٩	غزوة أحد
٩٢	استشهاد حمزة بن عبد المطلب
٩٥	غزوة حمراء الأسد
٩٥	وقائع العام الرابع من الهجرة
٩٥	غزوة معونة والرجيع
٩٧	غزوة بني النضير
١٠٠	وقائع العام الخامس من الهجرة
١٠٠	غزوة المريسيع
١٠١	غزوة الخندق
١٠٥	غزوة بني قريظة
١٠٦	غزوة دومة الجندل
١٠٧	وقائع العام السادس من الهجرة
١٠٧	غزوة ذات الرقاع

١٠٨	غزوة بني لحيان
١٠٨	غزوة ذي قرد
١٠٨	غزوة الحديبية
١١١	وقائع العام السابع من الهجرة
١١١	فتح خيبر
١١٤	وقائع العام الثامن من الهجرة
١١٤	موقعة مؤتة
١١٦	موقعة ذات السلاسل
١١٨	فتح مكة المعظمة
١٢٣	غزوة حنين
١٢٦	وقائع العام التاسع من الهجرة
١٢٧	غزوة تبوك
١٣٠	أصحاب العقبة ومسجد ضرار
١٣١	وقائع العام العاشر من الهجرة
١٣١	قصة المباللة ونصارى نجران
١٣٤	حجة الوداع
١٣٨	غدير خم ونصب أمير المؤمنين (ع)
١٤١	الفصل السابع: في وقوع المصيبة العظمى بوفاة النبي الأكرم (ص)
١٤٤	وصية رسول الله (ص) لأصحابه
١٤٤	توعدك الرسول ووصاياه (ص)
١٤٧	كيفية وفاته وغسله ودفنه (ص)
١٥١	الفصل الثامن: في بيان أحوال أبناء النبي (ص)
١٥٥	الفصل التاسع: في بيان موجز لأحوال أقارب النبي (ص)
١٦١	الفصل العاشر: في بيان أحوال بعض أصحاب النبي (ص)
١٦١	١ - سلمان المحمدي

- ٢ - أبو ذرّ، جندب بن جنادة ١٦٤
- ٣ - أبو معبد، المقداد بن الأسود ١٦٧
- ٤ - بلال بن رباح ١٦٨
- ٥ - جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري ١٦٩
- ٦ - حذيفة بن اليمان العنسي ١٧٠
- ٧ - أبو أيوب الأنصاري ١٧١
- ٨ - خالد بن سعيد بن العاص ١٧٢
- ٩ - خزيمة بن ثابت الأنصاري ١٧٣
- ١٠ - زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ١٧٣
- ١١ - سعد بن عبادة ١٧٤
- ١٢ - أبو دجاجة ١٧٥
- ١٣ - عبد الله بن مسعود الهذلي ١٧٦
- ١٤ - عمار بن ياسر العنسي ١٧٦
- ١٥ - قيس بن عاصم المصفر ١٧٩
- ١٦ - مالك بن نويرة الحنفي اليربوعي ١٨٠

الباب الثاني

في تاريخ فاطمة الزهراء سلام الله عليها

- الفصل الأول: في بيان الولادة السعيدة لفاطمة الزهراء (ع) ١٨٥
- كيفية ولادتها ١٨٥
- الفصل الثاني: في بيان أسماء فاطمة (ع) وألقابها وبعض فضائلها ١٨٩
- مناقب الزهراء (ع) ١٩٠
- الفصل الثالث: في وفاة الزهراء (ع) ١٩٥
- كيفية دفنها سلام الله عليها ١٩٩
- أحزان أمير المؤمنين (ع) ٢٠٠

الباب الثالث

في تاريخ سيد الأوصياء علي بن أبي طالب (ع)

٢٠٥	الفصل الأول: في الولادة السعيدة لأمير المؤمنين (ع)
٢٠٩	الفصل الثاني: في بيان فضائل أمير المؤمنين (ع)
٢٠٩	الوجه الأول: أنَّ جهاده (ع) في سبيل الله
٢١٠	الوجه الثاني: أنَّه كان أعلم الناس وأعرفهم
٢١٣	الوجه الثالث: فضله في آتني التطهير والمباهلة
٢١٤	الوجه الرابع: كثرة جوده وسخائه
٢١٥	الوجه الخامس: كثرة زهده
٢١٧	الوجه السادس: أنَّه كان أعبد الناس
٢١٧	الوجه السابع: أنَّه كان أحلم الناس
٢١٨	الوجه الثامن: حسن خلقه
٢١٨	الوجه التاسع: سبقه إلى الإيمان بالله وبرسوله (ص)
٢١٩	الوجه العاشر: فصاحته وبلغته
٢٢٠	الوجه الحادي عشر: معجزاته الباهرة
٢٢٩	الوجه الثاني عشر: إخباره بالمغيّبات
٢٣٣	الوجه الثالث عشر: استجابة دعواته
٢٣٣	الوجه الرابع عشر: اختصاصه بنصرة رسول الله (ص)
٢٣٩	الفصل الثالث: في استشهاد أمير المؤمنين (ع)
٢٤٢	أحوال أمير المؤمنين (ع) ليلة تسع عشرة من شهر رمضان
٢٤٤	مجيئه (ع) إلى المسجد وإيقاظه للناثمين
٢٤٤	ضربة اللعين ابن ملجم لعلّي (ع)
٢٤٧	حديثه (ع) مع قاتله
٢٥١	الفصل الرابع: في وصايا أمير المؤمنين (ع) وكيفية وفاته

٢٥١	وصايا أمير المؤمنين (ع)
٢٥٥	بيان غسله وتكفينه
٢٥٥	كيفية تشييعه ودفنه
٢٥٩	الفصل الخامس: في قتل ابن ملجم اللعين بيد الإمام الحسن (ع)
٢٦١	الفصل السادس: في ذكر أبناء أمير المؤمنين (ع) وأزواجه
٢٦٣	أبناء محمد بن الحنفية رضي الله عنه
٢٦٤	أبناء أبي الفضل العباس بن علي عليهما السلام
٢٦٨	عمر الأطراف بن أمير المؤمنين (ع) وأبناؤه
٢٧١	الفصل السابع: في الحديث عن كوكبة من أكابر أصحاب أمير المؤمنين (ع)
٢٧١	الأول: الأصمغ بن نباة المجاشعي
٢٧٢	الثاني: أويس القرني
٢٧٣	الثالث: الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني
٢٧٤	الرابع: حجر بن عدي الكندي الكوفي
٢٧٥	الخامس: رشيد الهجري
٢٧٨	السادس: زيد بن صوحان العبدي
٢٧٩	السابع: سليمان بن صرد الخزاعي
٢٨٠	الثامن: سهل بن حنيف الأنصاري
٢٨٠	التاسع: صعصعة بن صوحان العبدي
٢٨١	العاشر: ظالم بن ظالم أبو الأسود الدؤلي البصري
٢٨٢	الحادي عشر: عبد الله بن أبي طلحة
٢٨٣	الثاني عشر: عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي
٢٨٤	الثالث عشر: عبد الله بن جعفر الطيار
٢٨٦	الرابع عشر: عبد الله بن الخطاب بن الأرت
٢٨٦	الخامس عشر: عبد الله بن عباس
٢٨٨	السادس عشر: عثمان بن حنيف

٢٨٩	السابع عشر: عدّي بن حاتم الطائي
٢٩٠	الثامن عشر: عقيل بن أبي طالب
٢٩٢	التاسع عشر: عمرو بن الحمق الخزاعي
٢٩٢	العشرون: قنبر مولى أمير المؤمنين (ع)
٢٩٣	الحادي والعشرون: كميل بن زياد النخعي اليماني
٢٩٤	الثاني والعشرون: مالك بن الحارث الأشتر النخعي
٢٩٦	الثالث والعشرون: محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة
٢٩٧	الرابع والعشرون: محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن عبد شمس
٢٩٨	الخامس والعشرون: ميثم بن يحيى النّار
٣٠٢	السادس والعشرون: هاشم بن عتبة بن أبي وقاص

الباب الرابع

في تاريخ الإمام الحسن المجتبي (ع)

٣٠٧	الفصل الأول: في الولادة السعيدة للإمام الحسن (ع)
٣٠٩	الفصل الثاني: في مناقب الإمام الحسن (ع)
٣١٥	الفصل الثالث: في طرف من أحوال الإمام الحسن (ع) وصلحه مع معاوية
٣١٥	ما جرى بعد استشهاد أمير المؤمنين (ع)
٣٢٠	الصلح مع معاوية
٣٢٥	الفصل الرابع: في استشهاد الإمام المجتبي (ع) وخبر جنادة
٣٢٥	استشهاده (ع) مسموماً
٣٢٧	وصاياه (ع)
٣٢٩	تشييعه ودفنه (ع)
٣٣١	الفصل الخامس: في طغيان معاوية واضطهاده لشيعته علي (ع)
٣٣١	فتن معاوية في الحجّ
٣٣٤	منع معاوية ذكر فضائل علي (ع)

٣٣٥	اضطهاد شيعة علي (ع)
٣٣٧	الفصل السادس: في بيان أبناء الإمام الحسن (ع) وطرف من أحوالهم
٣٣٧	أبناء الإمام الحسن (ع)
٣٤٢	أحفاد الإمام الحسن (ع)
٣٤٢	ذكر بني أبي الحسن زيد بن الحسن بن علي (ع)
٣٤٧	ذكر أحوال الداعي الكبير الأمير الحسن بن زيد
٣٤٨	ذكر أحوال محمد بن زيد الحسني
٣٥٠	ذكر أبناء الحسن بن الحسن بن علي (ع)
٣٥١	أبناء عبد الله بن الحسن المثنى
٣٥٨	أحوال إبراهيم بن الحسن المثنى وأحوال أبنائه
٣٦١	أحوال أبي علي (الحسن المثلث)، وذكر موقعة فُخ
٣٦٤	شرح موقعة فُخ
٣٦٧	أحوال جعفر بن الحسن المثنى وأحوال أبنائه
٣٦٩	أحوال داود بن الحسن المثنى وأحوال أبنائه
٣٦٩	ذكر نسب طاووس وآله
٣٧١	مقتل عبد الله بن الحسن المثنى (المحضر) ومقتل ولديه
٣٧٨	مقتل محمد بن عبد الله (النفس الزكية)
٣٨١	مقتل إبراهيم بن عبد الله (قتيل باخمري)
٣٨٥	القصيدة الغراء في مدح الإمام الحسن (ع) وورثاته

الباب الخامس

في تاريخ الإمام الحسين عليه السلام

المقصد الأول

في ولادة الإمام الحسين عليه السلام

وذكر طرف من فضائله

٣٩٣	الفصل الأول: في الولادة السعيدة للإمام الحسين (ع)
٣٩٧	الفصل الثاني: في فضائل الإمام الحسين (ع) ومناقبه ومكارم أخلاقه
٣٩٧	محبة رسول الله (ص) للحسين عليهما السلام
٤٠٠	سخاء الإمام الحسين (ع) وجوده
٤٠٣	طرف من زهده ومناقبه (ع)
٤٠٧	الفصل الثالث: في ثواب البكاء على الإمام الحسين (ع) وراثته وإقامة مجالس العزاء
٤١٥	الفصل الرابع: في الإخبار بشهادة الإمام الحسين (ع)

المقصد الثاني

في بيان ما جرى على الإمام الحسين (ع)

منذ تحرّكه من المدينة حتّى نزوله في كربلاء

٤٢١	الفصل الأول: في توجّه الإمام الحسين (ع) إلى مكّة
٤٢٤	كيفية خروجه (ع) من المدينة
٤٢٦	كلامه (ع) مع الملائكة والجنّ
٤٢٩	الفصل الثاني: في قدوم الإمام الحسين (ع) إلى مكّة وورود كتب أهل الكوفة إليه
٤٣١	الفصل الثالث: في إيفاد الإمام الحسين (ع) مسلم بن عقيل إلى الكوفة
٤٣٥	الفصل الرابع: في قدوم مسلم بن عقيل إلى الكوفة وأمر البيعة
٤٣٥	بيعة أهل الكوفة لمسلم وانكشاف أمره لابن زياد

- ٤٤٠ غدر أهل الكوفة بمسلم بن عقيل
- ٤٤٢ قتال مسلم مع أهل الكوفة ووقوعه في الأسر
- ٤٤٥ استشهاد مسلم وهانيء رحمهما الله
- ٤٤٩ الفصل الخامس: في كيفية أسر طفلي مسلم واستشادهما
- ٤٥٣ الفصل السادس: في توجه الإمام الحسين (ع) إلى كربلاء
- ٤٥٣ خطبته (ع) في مكة وحديثه مع محمد ابن الحنفية
- ٤٥٥ بلوغه (ع) منزل التنعيم وتسلمه كتاب عبد الله بن جعفر
- ٤٥٦ مقتل قيس بن مسهر الصيداوي رسول الحسين (ع)
- ٤٥٨ دعوته (ع) زهير بن القين لنصرته ومعرفته بمقتل مسلم
- ٤٦٠ بلوغه (ع) منزل الثعلبية
- ٤٦٣ الفصل السابع: في لقاء الإمام الحسين (ع) الحرّ بن يزيد الرياحي
- ٤٦٤ صلاة الحرّ مع الحسين (ع)
- ٤٦٦ بلوغه (ع) قصر بني مقاتل ولقائه عبيد الله بن الحر الجعفي

المقصد الثالث

في قدوم الإمام الحسين (ع) إلى كربلاء

- ٤٧١ الفصل الأول: في نزول الإمام الحسين (ع) أرض كربلاء
- ٤٧٢ حديث أبي ثمامة الصائدي مع كثير بن عبد الله
- ٤٧٧ الفصل الثاني: في وقائع التاسع من المحرم وورود الشر بن ذي الجوشن
- ٤٧٩ وقائع ليلة عاشوراء وخطابه (ع) في أصحابه
- ٤٨٣ الفصل الثالث: في وقائع يوم عاشوراء
- ٤٨٣ اصطفاة الجيشين صباح يوم عاشوراء واحتجاجه (ع) على القوم
- ٤٨٥ موعظة زهير بن القين لأهل الكوفة
- ٤٨٧ خطبته (ع) أمام القوم وإتمامه الحجة عليهم
- ٤٨٩ توبة الحرّ ورجوعه إلى الإمام (ع)

- ٤٩١ من قُتل من أصحابه (ع) في الحملة الأولى
- ٤٩١ مبارزات أصحاب الحسين (ع) مع عسكر ابن سعد
- ٤٩٨ مبارزة الحرّ الرياحي (ره)
- ٤٩٩ مبارزة بُرير ووهب وعمرو بن خالد
- ٥٠٠ استشهاد وهب عليه الرحمة
- ٥٠١ استشهاد عمرو بن خالد وابنه
- ٥٠١ استشهاد سعد بن حنظلة وعمير
- ٥٠٢ مبارزة نافع بن هلال ومسلم بن عوسجة
- ٥٠٥ تذكير أبي ثمامة للحسين (ع) بالصلاة واستشهاد ابن مظاهر
- ٥٠٧ استشهاد سعيد بن عبد الله الحنفي
- ٥٠٨ استشهاد زهير بن القين
- ٥٠٨ استشهاد نافع بن هلال
- ٥١١ استشهاد حنظلة بن أسعد الشامي
- ٥١١ استشهاد شوذب وعابس
- ٥١٣ استشهاد أبي الشعثاء البهلي
- ٥١٣ استشهاد جماعة من أصحابه (ع)
- ٥١٤ استشهاد جَوْن مولى أبي ذر
- ٥١٥ استشهاد الحجاج بن مسروق
- ٥١٥ استشهاد غلام قُتل أبوه
- ٥١٦ استشهاد غلام تركي
- ٥١٦ استشهاد عمرو بن قرظلة
- ٥١٧ استشهاد مُويد بن عمرو
- ٥١٧ في استشهاد فتيان بني هاشم
- ٥١٨ استشهاد أبي الحسن علي بن الحسين (ع)
- ٥٢١ استشهاد عبد الله بن مسلم بن عقيل (ره)
- ٥٢٢ استشهاد محمد بن عبد الله بن جعفر

٥٢٢	استشهاد عون بن عبد الله بن جعفر
٥٢٣	استشهاد سائر بني عقيل (ره)
٥٢٤	استشهاد القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام
٥٢٦	استشهاد أبناء أمير المؤمنين (ع)
٥٢٨	استشهاد أبي بكر بن علي (ع)
٥٢٨	استشهاد غلام من آل الحسين (ع)
٥٢٩	استشهاد أبي الفضل العباس (ع)
٥٣٢	في مبارزات أبي عبد الله الحسين واستشهاده (ع)
٥٣٣	وداعه (ع) لأهل بيته
٥٣٤	وصيته لزين العابدين (ع)
٥٣٥	استشهاد الطفل الرضيع
٥٣٦	قتال الحسين (ع)
٥٣٧	هتدي يصف شجاعته (ع)
٥٣٩	وداعه الثاني (ع) للأهل والعيال
٥٤١	مصرع عبد الله بن الحسن (ع)
٥٤٢	وقائع استشهاد (ع)
٥٤٥	الفصل الرابع : في سلب الإمام الحسين (ع)
٥٤٥	مجيء (ذي الجناح) إلى مخيم الحسين (ع)
٥٤٦	سلب الحسين (ع)
٥٤٩	الفصل الخامس : في الإغارة على مخيم أهل البيت (ع)
٥٥١	تنبيه وتنقذ

المقصد الرابع

في الوقائع المتأخرة عن استشهاد الإمام الحسين (ع)

٥٥٥	الفصل الأول : في إرسال الرؤوس إلى الكوفة
-----	--

٥٥٧	عبور النساء على القتلى
٥٥٩	حرق الخيام وأشعار المحتشم
٥٦٣	الفصل الثاني: في دفن الأجساد الطاهرة للشهداء
٥٦٧	الفصل الثالث: في ورود أهل البيت الكوفة وخبر مسلم الجصاص
٥٦٩	المرحوم التراقي يقتل واقعة كربلاء من مراثي إرميا النبي
٥٧٠	خطبة العقيلة زينب (ع) بالكوفة
٥٧٢	خطبة السجاد (ع)
٥٧٥	الفصل الرابع: أهل البيت (ع) في دار الإمارة بالكوفة
٥٧٨	مقتل عبد الله بن عفيف الأزدي
٥٧٩	الفصل الخامس: في كتاب ابن زياد إلى يزيد وبمعوته إلى المدينة
٥٨٣	الفصل السادس: ردّ يزيد على كتاب ابن زياد والرحيل إلى الشام
٥٨٣	تسير أهل البيت (ع) إلى الشام
٥٨٨	قصة سيقط الحسين (ع) في جبل جوشن
٥٨٩	قصة دير الراهب
٥٩٣	الفصل السابع: وصول الأسرى ورؤوس الشهداء إلى الشام
٥٩٣	حكاية سهل الساعدي
٥٩٤	قصة الشيخ الشامي مع زين العابدين (ع)
٥٩٥	رواية (كامل البهائي) في ورود أهل البيت (ع) إلى الشام
٥٩٩	الفصل الثامن: في ورود أهل البيت (ع) إلى مجلس يزيد
٦٠٠	أشعار يزيد وسوء معاملته للأسرى
٦٠٤	خطبة زينب (ع) في مجلس يزيد
٦٠٧	الشامي الأحمر وحديث زينب (ع) إليه
٦٠٨	خطبة الإمام السجاد (ع) في مسجد الشام
٦١٠	مداواة يزيد لأهل البيت (ع) خوف الفتنة

- ٦١٢ حكاية المنهال بن عمرو وحديثه مع السجاد (ع)
- ٦١٧ الاختلاف في مدفن الرأس المقدس
- ٦١٩ الفصل التاسع: في تسيير يزيد لأهل البيت (ع) إلى المدينة
- ٦٢٠ ورود أهل البيت إلى كربلاء
- ٦٢٢ زيارة جابر يوم الأربعين
- ٦٢٤ وجوه الشبه بين الحسين ويحيى عليهما السلام
- ٦٢٧ الفصل العاشر: في ورود أهل البيت (ع) إلى المدينة
- ٦٢٨ خطبة السجاد (ع) في ظاهر المدينة
- ٦٣٠ كثرة بكاء السجاد (ع) بعد كربلاء
- ٦٣٣ خاتمة في بكاء الكائنات على مصاب الحسين (ع)
- ٦٣٩ حكاية غريبة في جبل ألوند
- ٦٤٣ الفصل الحادي عشر: في مرثي الإمام الحسين (ع)
- ٦٤٦ مرثية مختارة من قصيدة للمرحوم السيد جعفر الحلبي
- ٦٤٨ من قصيدة له أيضاً
- ٦٤٨ من قصيدة لبعض السادة الأجلاء (قده)
- ٦٤٩ من قصيدة للشيخ صالح الكوازي (قده)
- ٦٥٠ من قصيدة للسيد محمد نجل السيد الكاظم القزويني
- ٦٥١ الفصل الثاني عشر: في بيان أولاد الإمام الحسين (ع) وأزواجه
- ٦٥١ أولاد الإمام الحسين (ع)
- ٦٥٣ زوجات الإمام الحسين (ع)
- ٦٥٥ خاتمة في فضل إقامة مجالس العزاء
- ٦٥٦ البكاء عليه (ع) من العبادة
- ٦٥٨ في ذم الرياء والكذب في المآتم ومفاسد الكذب
- ٦٦٤ عدم جواز الغناء في المراثي

٦٦٩	نصح وتحليل للسلالة الجبليلة من أهل المنبر
٦٧١	عطايا الأئمة الأطهار وحكاية الكميت الشاعر
٦٧٥	محتويات الكتاب

